

# محبند الماليان الحاليان



المجلد الدال، والعشرون \_ الجوء الأنول مايو حنة ١٩٦١.

## محب لنة كالمتي للإلااف



المجلد الثـالث والعشرون ـــ الجزء الأول مايو سنة ١٩٦١

تصدر هذه المجلة مرتين كل سنة ، في مايو وديسمبر ، وتطلب من مكتبة جامعة القاهرة بالجيزة ، وتوجه الكاتبات الخاصة بالناحية العلمية الى المشرف على تحريرها الاستاذ الدكتور عمد حدى البكرى الإستاذ بكلية الاداب بجامعة القاهرة ، وثمن المجزء الواصد من اي مجلد ثلانون قرشا مضريا

### فهرس القشم العربى

مبقحة	
1	قوش عربية جنوبيسة للدكتور خليل يحيى نامى
,	كتل العول لتعويل قناة السويس نكاية في بريطانيا للدكتور عبد العزيز
11	محمد الشناوى
100	<b>واسات مقارنة: في المعجم العربي ( ٣١-٢٠ )</b> للدكتور السبيد يعقوب بكر
410	شاة النحو عند السريان وتاريخ نحاتهم للدكتورة زاكية محمد رشدي

نقوش عربية المحفود بياً اله (-الدكتور خليل يحى بالمصار

الحدوعة الخامسة(١)

#### نقش رقم ۱۵

هو نقش مكون من ستة وثلاثين سطرا ، وعلى يمين السطرين الأولين شعار مكسور وهو فى الغالب شعار حية ، والسطران الأول والثانى مكسوران ، ولا يظهر من السطر الثاني إلا بضمة حروف وكامات .

. . . . . .

(۲) ن و | ذم حل تم | أكبرو |ى ذكر [ | هق نى د | ألم ق ه | ث ه و

(۳) ن|بعل|أوم|صلمن|ذذهبن|ذستوكلهو| وذبهو|حم

<sup>(</sup>١) نشرت المجموعة الأولى في مجلة كلية الآداب، الجزء الأول من ألهلد التاسع ص ١٥ — ٧٧، والمجموعة التانية في الجزء التاني من المجلد السادس عشر ص ٢١ — ٣٠. والمجموعة التالغة في المدد الأول من المجلد المشرين ص ٥٥ — ٣٦ والمجموعة الرابعة في المدد التاني من المجلد التاني والمشرين من ص ٥٧ — ٣٣ ونتش رقم ١٥ هو من التقوش التي كشفت عنها حفريات بعثة وندل فيلبس الأمريكية ، وهو غير منشور في كتاب :

- (٤) دو خى ل أوم ق م إمرأهم و أللم ق ه إب ذت أخ م د | ص ح ح أو ه
- (ه) ىمن ابن اغ لى ت او ت ن ك ر اف ق د اوغ ل ل ا ون ك رن الم ق ه ابع
- (۲) لى اعبده إن ش أك رب إذم حلت م اوب ذت اهع ذ ا وشرح او
- (۷) متعن|أل مق ه | جرىب ت |عب دى هو |ن ش أكرب | ووهب أوم إب
- (۸) نی | ذمح لاتم | وبی تهمو | بن | بأس تم [ ومن جت اس و أم
- (٩) و ب ن | أض د ر | و م ن ج ت | كون و | ب خ رف | معدك رب إب ن إن ش أكر
- (۱۰) بإبن إن ض حم إثكم تن أوبذت إخمر ألم ق ه أ عبد ه و إن
- (۱۱) شأكرب | س توفى ن | و م ظأ إوت أى س ن | بوفى م | ع دى | مرىب |
- (۱۲) بم هوت آخ دف ن آب ك ن آم لك آم د أهم و أو هب أل أ ى ح ز آم ل
- (۱۳) ك | س ب أ | ب ب ى ت ن | س ل ح ن | ب أ ث رى | هم ت إ أ ض ر د ن او هم ت |
- (۱۱) من ج ت ألى الكون و إب هو ت أخرف ن إبن إسب أت السب أت السب أن أن سب أان ش
- (١٥) أكدرب | أدض | ح م ى دم | ودح ب ت ن | ب خ ر ف | ب ق دم ى | ذن | خ ر

- (۱۲) ف ن | و ب ذ ت | ص د ق | و هو ف ى ن | و هأم ن ن | ألم ق ه | أدم هو إن ش
- (۱۷) أكرب | ووهب أوم |بكل | مىدع | وأمل أ | س تمل أو | بع م هو
- (۱۸) و ح م دم | ب ذت | خ م ر | ص دق ه م و | و هو ف ی ن همو | أل م ق ه | ب ك
- (۲۹) ل | ص رى | و ت ب ش ر | و ش ف ت | و ت خ و د | ص رى | و ش ف ت | و ت خ و د | ص رى |
- (۲۰) شرن | ألم ق ه | عبده و | ن ش أكرب | لو ف ي هو | وأت ي ت هم و | ع
- (۲۱) دى | م دى ب | بن | هى ت | س ب أ تن | و أن م ق ه | ف ل | ى ز أن | ص د ق
- (۲۲) و هوف ى ن عبده و ان شأك رب باب أمل أ اص دقم ا ذى خمر ن هم و
- (۲۳) ص ح ح م |أمل أ | ومى دع | ى ذ أن ن | س ت م ل أن | ون ت ض ع ن | بع م
- (۲٤) هو | وألم ق ه | شهون | بعل | أوم | ف ل | ى ذأن | خ م د | و سع د | ع
- (۲۰) بده و انش أكرب وبنى ذم حلتم وبى توم و ا نعمتم
- (۲۲) و و ف ی م | و م ن ج ت | ص دق م | ذی ه ر ض ی ن ه م و | و ر ض و | و ح ظ ی | م د أ .
- (۲۷) هم و | و هبأل | ى حزاملك | سبأ او ألم ق ه ا ف ل ا ى ذأن اش

(۲۸) دح | وهع ن ن | وم تعن | جدی بت |عبدی هو | ن ش آلارب |ووهب أ

(۲۹) وم | دبی ت همو | بن | بأستم | وت ض رعم | ومن جت اس وأم

(٣٠) و بن | س ى ب | و ن ض ع | و ش ص ى | ش ن أ م | ذرح ق | و ق رب | و أ ل م ق ه

(۳۱) ف ل | ى خ بمدن | و س ع د | ع ب د ه و | ن ش أك ر ب | و ب ن ى | ذ م ح ل ت [ م ]

ُ (٣٧) أول دم | أذك روم | هن أم | وأثمر | وأف ق ل | ص دق م | ول [ذ]

(۳۳) ت | نعمت | وتنعمن| لعبد «و|نشأكرب| وبنى|ذم حل[تم|]

(۳۹) [بع]ثتر|وهبس|وألمقه|شهون|وثورم| بعلم|[بعلى|أ]

(۳۰) [وم]|وح دون م|وبذت|حمىم|وبذت|بعدن م| و[رث دو||

(٣٦) هوَنى ت هم و إعث ت ر إش رون إو ألم ق ه[ت هون| بع ل أوم]

#### الزجمي

- . . . . . . . . . (1)
- ( ٢ ) ابنا ذي محلة أو محلاة كبار يذكر قدموا لإلمقاه ثهوان
- (٣) سيد أوام هذا الصنم الذهبي للدلالة به على اتكالها عليه ، والذي به عربا عن حمد
  - (٤) هما لقدرة ومقام سيدهما إلمقاه لأنه من علمهما بالصحة أو بالشفاء
- (ه) وأسعدها إلمقاه بانقاذها (أو بتأمينهما) من ضرر وتغير افتقاد وغضب واستنكار

- (٦) إلمقاه لعبده نشأ كرب ذي محلاه ، ولأن إلمقاه ساعد وحفظ
  - (٧) جسدی عبدیه نشأ کرب ووهب أوام ابنی
  - ( ٨ ) ذى محلاة أو محلة وبيتهما من ضرر ونازلة سوء
- (٩) ومن أضوار ونازلة كانت في السنة الأولى من حكم معمدى كرب
   اس نشأ كرب
  - (١٠) ابن فضح . ولأن إلقاه من على عبده
  - (١١) نشأ كرب بالصيانة والوصول والمساعدة بأمان حتى مأرب
  - (١٢) فى تلك السنة عندما ملك أو حكم سيدهم وهبئيل يحوز ملك
    - (١٣) سبأ بالحصن سلحين بعد تلك الأضرار و تلك
- (١٤) المصائب التي كانت في هذه السنة من الحروب أو الغزوات التي حاربها أو غزاها
  - (١٥) نشأ كرب في أرض حمير ورحابتان في السنة السابقة لهذه السنة
    - (١٦) ولأن إلمقاه حقق آمال وأسبغ على عبديه
  - (١٧) نشأ كرب ووهب أوام كل الالتماسات والأمانى التي طلباها منه
    - (١٨) لأن إلمقاه من عليهما بتحقيق آمالها، وبمنحهما
  - (۱۹) کل نصح و بشری و وعد وخلاص من الشدة تلك التي نصح و وعد و بشر و خلص من الشدة
    - (٠٠) إلقاه عبده نشأ كرب لسلامته وعودتهم سالمين
  - (٢١) إلى مأرب من هذه الجروب أو الغزوات ، وليداوم إلمقاه على تحقيق
    - (٢٢) ومنح عبده نشأ كرب الأماني الكاملة التي بمن به عليهما
  - (٣٣) منحاً صحيحاً ، والأماني والطلبات التي يستمران يتمنيان ويسألان إياه
    - (٢٤) وليداوم إلمقاه ثهوان سيد أوام على منح وسعادة
      - (۲۵) عبده نشأ كرب وبني ذي محلة وبينهم نعمة
      - (۲۹) ومنجاة صدق ترضيهم وترضى وتنال حظوة

(٢٧) سيدهم وهبئيل يحوز ملك سبأ . وليداوم إلمقاه

(۲۸) على حفظ وسلامة وشفاء جسمى عبديه نشأ كرب ووهب

(٢٩) أوام وبيتهما من البأساء والخضوع لعدو ونازلة سوء

(٣٠) ومن هجوم عدو وضعته وأذاه من قريب أو من بعيد . وإلمقاه

(٣١) فليمن على عبيده نشأ كرب وبني ذي محلة ويسعدهم

(٣٧) بمنحهم أولاداً ذكوراً أصحا. وثماراً وبقولا جيدة لكى

(٣٣) ينعم ويتنعم عبده نشأ كرب وبني ذي محلة

(٣٤) بحق عثتر وهو بس و إلقاء تهوان وثور بط سيدى أوام

(۳۵) وحروانم ، وبذات حميم وبذات بعدان . وقد وضعا

(٣٩) تقدمتهما تحت حماية عثتر شرقان وإلمقاء ثهوان سيدأوام

#### التعليق\_ات

السطر الأول مكسور تماما وكذلك نصف السطر الثاني .

(١ ـ ٧ ) نو محلتم 🚍 بنوذ محلتم 🚍 بنو ذي محلة :

جاء فى صفة جزيرة العرب للهمدائى ص ١١٦ س ١ : ومن بلد جنب ٍ راحة ومحلاة واديان يصبان من الحبل الأسود إلى نجد .

وجاء فى كتاب : فى ربوع عسير لمحمد عمر رفيع ص ١٠٤ وادى حمرة ينبع من جبل تعلل ويصب فى وادى أبها عند بلدة المحالة من قرى بنى مالك عسير ... الخ

وجاه فى الجزء السابع من معجم البدان لياقوت ص ٣٩٨ : المحلة بفتح الميم وكسر الحاء قرية من قرى دمار بأرض البين ( مطبعة السعادة سنة ١٩٠٦ ) .

وجاه فى الجزء الرابع من معجم ما استحجم للبكرى ص ١١٩٣ : المحلة بفتح أوله وثانيه موضع بالسحول من اليمن .

وجاه فى طبقات فقها. البمن تحقيق فؤاد سيد ص٣٧٣ ما يلي : المحلة قرية بوادى السحول بين إب والمخادر ( الحجري ١٣ والجندي ١٨٣ ) . أكبر ويذكر : كبار أو سادة أو حكام بني يذكر .

جاء يذكرئيل اسم قبيلة فى النقوش العربية الجنوبية القديمة (١). وفى تاح العروس ( ذك ر ): يذكر بطن من ربيعة . وجاء فى صفة جزيرة العرب المهمدائي ج ١ ص ١٧٧ س ٥ : يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة ، كما جاء أيضا فى الجزء الأول من معجم ما استعجم للبكرى ص ١٩ ـــ ٧١ .

تكملة السطر الثاني مبنية على بقايا الحروف الظاهرة في صورة النقش .

( س ـ ٣ ) ذستو كلهو = الذي به أي بتقديم الصنم أظهروا المكالهم على إلههم إلماه .

وقد جاء هذا التركيب في نقش Jamme رقم ٧٢٦ س m .

( س ـ ٤ ) بذت خمر صحح = لأنه وهب أو من بالصحة<sup>(٢)</sup> .

(١٥ - ١٥) هيمن بن غليت

جاه الفعل هیمن فی نقش CIH رقم ۴۳۶ س ۳ ، کا جاءت (غلیت) فی CI H رقم ۳۵۲ س ۱۲ ما RES رقم ۴۰۱۱ س ۱۲ س ۱۳ ما Jamme رقم ۹۹۶ س ۱۸ (۵) .

تنكر : تفير (٥) .

فقد ـ افتقاد ـ طلب . تشوق

وقد جاءت فقد بمعنى فقدان فى نقش Jamme رقم ١٥١ س ٢٩(٦) .

وغلل 🛥 غضب .

جاه فی نقش G L رقم ۱۲۱۰ س ه : وذ یفلن بن مبعل تألب.

(٨) وهنجت سوء م 🛥 و نازلة سوء

(۱) انظر: Ryck N. P. S. ج س ۲۹

الله J. M. Sola Solé, Inschriften aus Riyam المرا ( ۲ )

(۳) انظر C. R, C. س ۱۹۳

انظر Jamme, Sab. Inscr from Mahran Bilqis انظر

Y · t م Jamme, Sab, Inser from Mahran Bilqis من القرارة الم

انظر Jamme, Inscr. Sab. Mh. Bilqis ص ه ه ١

جا هذا التركيب في نقش Jamme رقم ۹۲ه س۲۷-۲۵ و في CIH رقم ۸۱ مس ۱۹ (۱۰). ۹ ـ . ۱ : بخرف معد كرب بن نشأ كرب بن فضح نكمتن = في السنة الأولى من حكم معدى كرب بن نشأ كرب بن فضح :

جاء فی نقش RES رقم ۲۷۷۴ س ۱۲ س ۱۳ : ذخرف [ معد ] کرب بن نشأ کرب بن فضحم ثکنن ، کما جاء فی نقش نامی رقم ۱ س ۲ س ۷ . بخرف نشأ کرب ابن محکرب بن فضحم (۲) ، فی نقش فخری رقم ۲۱ س ۱۶ س ۱۵ : ذخرف معد کرب بن محکرب بن فضحن ربعن (۲) ، وفی نقش Jamme رقم ۱۳۳ س ۱۹ س ۷ ذخرف أبكرب بن معد کرب بن فضحم ، وفی نقش Jamure رقم ۱۳ س ۲ س ۲ دخرف نشأ کرب بن معد کرب بن فضحم ثنین .

س ١١ ستوفين ومظأ : الصيانة والوصول أو المجيُّ :

جاءت ( مظاً ) في نقش Jamme رقم ٧٣٥ س ١٧

وتأيمن 💳 والمساعدة

جاءت هذه اللفظة فى نقش Jamme رقم ٢٧٩ س ٣٥ : بذت ستوفى وتأيسن مراجمو .

س ۱۲ ــ ۱۳ : وهبئيل يحوز ملك سبأ :

باه اسم وهبثيل بحوز فى نقش GL رقم ۱۷۲۸ س ۱۲ ما ۱۳۲۰ س ۱۱-۱۱ ما ۱۳۹۶ س و<sup>(٤)</sup> عا BES رقم ۱۳۰ ؛ ما Jamine رقم س۱۲، مکرر س۱۹

س ۱۷ بكل ميدع وأملاً ستملأ وبعمهو = كل الالتماسات أو الطلبات والأمانى النى طلباها منه

> جا، فى نقش Jamme رقم ٥٦٥ س ١٨ ما يلى : بكل أملاً وميدع . س ١٩ - ٢٠ وتحود صرى وشفت وخودن وتبشن إلمقه

انظر Jamme, Inscr. Sab. Mh. Bilqis س ۲۹

<sup>(</sup>٢) نتوعي عربية جنوبية المجموعة الأولى ص ٢ و ٤

G. Ryak, A. Fakhry,, an archreological. Journey to Yemen, PartII p.42 انظر (۲)

إنظر J. M. Sola Solé, Inschriften aus Riyam. انظر (٤)



جاه فى نقش نامى رقم ١٧ س ٢٠ : وخودهمو إلمقه وقد ترجمناها بـ : وأذلهم الإله إلمقاه ، غير أن معنى تخود ، وخود فى هذا النقش مفاير المعنى السابق ، لذلك ترجمناها بمعنى فرح أو سرور أو الخلاص من الشدة أو الضيق .

(۲۷ ــ ۲۷) وألمقه فل يزأن شرح وهعنن ومتعن جربيت ـــــ وليداوم إلمقاه على حفظ وسلامة وشفاء جسمى

(٣٠) بن سيب و نضع وشصى شنأم 🗠 من هجوم عدو وضعته وأذاه

جاءت لفظة (سيب) فى نقش Jamme رقم ٥٦٧ س ٢٨ : بن نضع وشصى وسبب و تثعت .

( ٣٤ ـــ ٣٥ ) وإلمقه ثهون وثورم بعلم بعلى أوام وحروانم .

جاه فی نقش Jamme رقم ۹۲۹ س ۶۲ : إلمقه بعلی أوام وحروانم ما فی نقش Jamme رقم ۷۲۷ ت — d — e بالمقه ثهون بعل أوام وحروانم.

#### في اعقاب الاحتلال البريطاني لصر:

### تكتل الدول لتدويل قناة السويس نكاية في بريطانيا للدكتور عبد العزيز محمد الشناوي

تعرضت مصر ثلاث مرات في خضون القرن التاسع عشر لاحتلال قوات بريطانية لأراضيها كانت المرة الأولى في مطلع هذا القرن إبان الحملة الفرنسية حين أيقنت الحكومة البريطانية أن الأثراك الميانيين عاجزون بمفردهم عن إخواج الفرنسيين من مصر ، وأن الثورات الشعبية في القاهرة والأقالم ، على الرغم من تعددها وتلاحقها وإنها كها الفرنسيين ، لم تسفر عن إجهائهم ، ومن ثم استقر رأبها على إرسال قوات بريطانية الإسهام في إخراج الفرنسيين من مصر . فتحرك جيش بريطاني بقيادة سير رالف ابركومي Sir Ralph Abercomby من المجيل طارق وبلغ الاسكندرية في أول مارس ١٩٨١ واستطاع النزول إلى البر بيد في ٨ من مارس . وحوالي هذا الوقت تقريبا تحركت قوات بريطانية بقيادة الجنرال بيرد Baird من المحدود والمحراء الشرقية إلى قنا ثم صعدت في النيل إلى الجيزة فيلغتها في ٧ من أغسطس١٨٠٧ ، ولكنها لم تشرك في العمليات الحربية لأنه كان قد تم جلاء الفرنسيين عن القاهرة، ومن ثم أنجهت إلى رشيد . وقد أسهمت حملة البحرالمتوسط ١١٠٠ في تضييق الحنال الحرابة وطادر آخر فوج منهم الاسكندرية في ١٨ من أكتوبر ١٨٠١ . ولكن الحكومة البريطانية ماطات

<sup>(1)</sup> يطلق على الجيش الذي ترل اسكندية بقيادة سير رالف الركومي حملة البحر المتوسط تمييزا له عن الجيش الذي نرل القصير بقيادة الجرال بيرد والذي يطلق عليه حملة الهند والبحر الأحمر.

فى الجلاء وعملت على اصطناع حزب من الأمراء المماليك يكون مواليا السياسة البريطانية . وأخيرا أمام إلحاح سلطان الدولة المثانية وضغط بونابرت القنصل الأول للجمهورية الفرنسية على الحكومة البريطانية للجلاء عن مصر تنفيذا لصلح اميان Amiens ( ۲۷ مارس ۱۸۰۷ ) تم جلاء القوات البريطانية عن مصر فى ۱۲ مارس سنة ۱۸۰۳ بعد أن ظلت هذه القوات مرابطة فى البلاد زهاء عامين .

#### \* \* \*

وكان الاحتلال الثاني في صنة ١٨٠٧ حين تعرضت مصر لحملة بريطانية كانت تضم أخلاطا شتى من الجنود الانجليز ومن جنود مرتزقة من شبه الجزيرة الايطالية ومن المهاجرين الفرنسيين الذين وقفوا موقفا عدائبًا من الثورة الفرنسية . وكانت هذه الحملة بقيادة فريزر Major General Mackenzie Fraser وتحوكت من جزيرة صقلية التي اتخلتها بريطانيا قاعدة عسكرية لها في البحر المتوسط في حروبها ضد نابليون إميراطور فرنسا , واستهدفت الحملة احتلال الاسكندرية لعدة أغراض ، منها ، أولا : الضغط على الباب العالى وإزعاجه لحمله على نبذ صداقة فرنسا والوقوف إلى جأنب بريطانيا وفرنسا روثانيا : منم نزول حملة فرنسية في مصر، إذ سيطرت على عقول رجال السياسة والحرب في انجلترا أن فرنسا ستحاول لا محالة إنفاذ حملة عسكرية مرة أخرى لامتلاك مصر. واعتقدت الحكومة البريطانية أنها ارتكبت خطأ سياسيا وعسكريا بتنفيذ جلاء القوات البريطانية عن مصر في مارس ١٨٠٣ ، لأن الحرب سرعان ما استؤنفت بين الدولتين بعد شهرين من هذا الجلاء . ورأت أنه كان يجدر بها أن تتمسك ببقاء قواتها في مصر على غرار ما فعلت في جزيرة مالطة ،على الرغم من أن صلح اميان قد نص على حلاء بريطانيا عن مصر ومالطة. فكان العامل الحاسم في إرسال حملة فريزر هو تصحيح الحطأ الذي اعتقدت الحكومة البريطانية أنها وقعت فيه بتنفيذ الجلاء عن مصر في مارس ١٨٠٣ . وأخيرا كان من بين أغراض الحملة تأييد البيوتات المملوكية الصديقة لبريطانيا أي جماعة الألني بك تمهيدا لإنشاء حكومة مملوكية ذات ميول ودية نحو بريطانيا وتقوم على أنقاض حكومة محمد على وتعمل على إقصاء النفوذ الفرنسي وبسط النفوذ البريطاني في سائر البلاد ووضع نظام للدفاع عن مصر بمعاونة المماليك الموالين لها يحول بير

الفرنسين وبين ما يشتهون من امتلاك مصر إذا جاءوا بحملتهم المرتقبة إليها . وقد غيم ميست Misset قنصل بريطانيا العام بالاسكندرية في رشوة حاكم الاسكندرية التركي واسمه أمين أغا، فسلم المدينةودخلها جنود الحملة في ٢ من مارس ١٨٠٧ وكان هذا القنصل العام من غلاة المستمرين اعتقد لحمقه وللانتصار الرخيص الذي أحرزته الحملة باحتلال الاسكندرية أن في مقدور هذه الحملة وقوامها سنة آلاف مقاتل احتلال مصر كلها فجاشت في نفسهرغبة قوية في أن يمد قائد الحملة علياته الحربية إلى داخل البلاد، وأوضح لقائد الحملة خطورة موقفها إذا ظلت قابعة في الاسكندرية، أن الملينة تعتند في تحوينها بالمواد الغذائية على داخل البلاد، وقرور له أن كيات القمح الموجودة في الثفر لا تني بحاجات سكانه أكثر من أسبوعين كما أن مواصلات الاسكندرية مع داخل البلاد تعتمد على طريق النيل الاسكندرية ، ولكن منيت الحملة بهزيمتين فادحين متعاقبتين في رشيد والحماد، وكان للشعب المصرى النصيب الأوفي في إيقاع الهزيمة بالحملة التي تحرج مركزها وقبعت في الاسكندرية تنتظر مزيدا من النجلات المسكرية واتهي بها الأم بالجلاء عن مصر في ٢٥ من سبتمبر ١٨٥٧ بعد أن دام الاحتلال الثاني سنة أشهر .

---

أما الاحتلال الثالث فقد تم فى سنة ١٨٨٧ فكان أرسخ قلما وأشد خطرا وأطول أملا من سابقيه، إذ استطال ما يقرب من ثلاثة وسبعين عاما وقد سبقه ثم لحقد تكوين مصالح مالية واقتصادية وسياسية وحسكرية لبريطانيا فى مصر وتخلت ملاه المصالح فى شطر لا يستهان به من الليون الأجنيية التى أسرف حكام مصر من أسرة محمد على فى عقدها، ثم شراء بريطانيا أسهم مصر فى شركة قناة السويس، وكانت هذه الصفقة تحمل الطابعين السياسي والمالى معا، إذا اضطرت شركة القناة إلى قبول ثلاثة أعضاء اتجليز فى مجلس إدارتها، كما شاركت بريطانيا فى مؤسسات وأنظمة دولية فى مصر مثل المخاكم المختلطة وصندوق الدين العدومى والمراقبة الثنائية وقانون المتصفية وما إلى ذلك، أما بعد الاحتلال فقد سيطرت قواتها العسكرية على وقانون المتصفية وما إلى ذلك، أما بعد الاحتلال فقد سيطرت قواتها العسكرية على المناطق الحساسة فى منطقة قناة السويس فضلا عن الملدن الكبرى، و ونظرت إلى القناة على أنها شريان رئيسي يربط بين أجزاء الامبراطورية البريطانية، وعملت على تدعيم على أنها شريان رئيسي يربط بين أجزاء الامبراطورية البريطانية، وعملت على تدعيم

وحماية مصالحها السياسية والحربية والاقتصادية والمحافظة على مصالح الأجانب حتى تتنال رضاء الدول الأوربية ، وأشرفت على الجيش المصرى الجديد وعلى قوات الشرطة وعينت عددا من الإنجليز في المناصب القيادية في وزارت الحكومة ومصالحها ، وسبطرت على الحكومة المصرية سيطرة محكمة فعلية ، وحولت مصر إلى مزرعة كبيرة للقطن لتزود به مصانع الغزل والنسج في انجلترا . وعملت على إقصاء النفوذ الفرنسي بوجه خاص من مصر فألفت نظام المراقبة الثنائية الذي كان يقضى بتعيين مراقبين أحدهما إنجابزي والآخر فرنسي للاشراف على إيرادات ومصروفات الحكومة المصرية ، وإستبدلت بهذا النظام الثنائي نظاما انفراديا تمثل في إنشاء منصب مستشار مالى الحكومة المصرية وتعيين أحد كبار الإنجابزي في هذا المنصب هو سير أوكلند كلفن المنائق ، وتحقق للاحتلال بهذا التعيين الانفراد بالإشراف على الماقية المصرية إشرافا تاما (1).

وقد عملت الحكومة البريطانية بمشورة بسيارك المستشار الألماني ، وكانت له زعامة سياسية على أوربا في ذلك الوقت ، ظلم تضم مصر بحيث تغدو جزءا من الامبراطورية البريطانية، ولم تعان الحميانية البريطانية عليها، بل أبقت السيادة المهانية على مصر مع العمل على تثبيت دعائم الاحتلال ، وكانت وجهة نظر بسيارك في المخافظة على السيادة المهانية على مصر هي وجوب عدم الاضرار بمركز سلطان تركيا في العالم الاسلامي ، كما أن هذه السياسة التي نصح بها كانت كفيلة في نظره بأن تجعل التساطان يتركد و إن لم يحجم حن الانضهام إلى فرنسا وغيرها من الدول الأوربية المساطانيا أن تغير من اختصاصات قنصلها المعادية لبريطانيا : كما اقترح بسيارك على بريطانيا أن تغير من اختصاصات قنصلها العام في مصر محيث يغدو منصبه مشابها لمنصب المقيم العام الفرنسي في تونس . وقد

<sup>(</sup>۱) أرسل شريف باشا مذكرة مؤرخة فى ٧ من نوقبر ١٨٨٧ إلى الحكومتين الفرنسية والبريطانية باعترام الحكومة المصرية إلغاء نظام الرقابة الثنائية وبيان الأسباب الى دها إلى هذا الإجراء . وفى ١٨ من يتأثر ١٨٨٣ صدر موسوم جديوى بإلغاء الرقابة الثنائية . وفى ٣ من فبراير رفع شريف باشا مذكرة إلى الحديرى اقترح فيها الاستبانة بأحد الحبراء الأجانب فى الشئون المالية وأن يكون لقبه و مستشار مالى السحومة المصرية ، ورشح سير أوكان كلفن فى حال المنصب . وصدر مرسوم خديوى فى ٤ من فبراير .

صادف الاقتراح الاول أو المشورة الأولى هوى فى نفس لورد جرانفل Granville وزير الحارجية البريطانية فوافق على إيقاء مصر تحت السيادة المثانية ، لأن هذه المفكرة صادرة من ألمانيا ، ولأن فصل مصر عن تركيا نهائيا سيثير مشكلات دولية خطيرة تؤدى إلى فتح باب المسألة الشرقية على مصاريعها من جديد . ولكن جرانفل اعتذر عن قبول الاقتراح الثانى وهو الخاص باختصاصات قنصل بريطانيا العام منعا لاثارة فرنسا على بريطانيا . وبذلك ظلت مصر من ناحية القانون الدولى ولاية عثمانية ، وظل سلطان تركيا صاحب السيادة عليها ، وإن كانت سيادة إسمية محدودة فى نطاق ضيق للغاية . والواقع أنه لم يكن فى مقدور الحكومة البريطانية بمفردها وبدون أن قسيد لمارضة الدول الأوربية أن تغير من مركز مصر القانوني الذي كان قد تصيد في معاهدة لندن ١٨٤٠ على وضع معين من الاستقلال الذاتي داخل نطاق الدولة العثمانية ، ولم تكن غالبية الدول الكبرى لتقبل سنة ١٨٨٧ إدخال تعديل يقرر لبريطانيا حقاً أو مركز امعينا فى مصر . وبذاك أصبح مركز مصر القانوني من سنة المركز اعينا فى مصر . وبذاك أصبح مركز مصر القانوني من سنة بريطانيا حقاً أو مركز امعينا فى مصر . وبذاك أصبح مركز مصر القانوني من سنة بريطانيا حقاً أو مركز اعينا في مصر . وبذاك أصبح مركز عمر القانوني من سنة بريطانيا .

كانت بريطانيا تشعر بضعف مركزها في مصر وعدم ثمرعيته ، فقد دخات قواتها البلاد بغيا وعدوا ، بعد أن خولت لنفسها حقا ادعته لنفسها ، هو إخاد ثورة حسكرية وتثبيت سلطة حاكم نفر منه الشعب المصرى ، إذكان الخديو توفيق حاكما مستبدًا سقيم الرأى لا يستقر على قرار ويستجيب للنفوذ الأجنبي ، ولم يقر السلطان أو الشعب المصرى أو معظم الدول الأوربية الكبرى لبريطانيا باحتلال مصر وتدعيم مركزها السياسي والحربي فيها ، ولذلك عملت الحكومة البريطانية على استرضاء السلطان والدول الأوربية فكانت تعلن من حين لاخر أن الاحتلال البريطاني مؤقت، السلطان والدول الأوربية فكانت تعلن من حين لاخر أن الاحتلال البريطاني مؤقت، سلطة الحديو توفيق ، وقد أسرفت في إصدار هذه الوعود وبخاصة خلال السنوات الأولى للاحتلال .

كان من أولى محاولات الحكومة البريطانية فى هذا الصدد المنشور الذى أرسله لورد جرائفل Granville وزير الحارجية إلى الدول الأوربية الكبرى في ٣ من يناير ١٨٨٣ – ولم يكن قد مضت أربعة أشهر على دخول الجيش البريطاني مدينة القاهرة – أوضح فيه مركز بريطانيا في مصر عقب الاحتلال . قال فيه إن بجرى الحوادث في مصر قد ألتي على عانق الحكومة البريطانية عبئا كانت تود عن طيب خاطر لو أن اللول الأخرى قد شاركتها فيه ، وهو والقضاء على الثورة المسكرية في مصر وإعادة الأمن والنظام إلى هذا الاقليم ، وقال إن الحكومة البريطانية قد نجحت في القيام بهذا العمل . وعلى الرغم من أن قوة بريطانية لا تزال باقية في مصر لصيانة النظام العام، فإن الحكومة البريطانية تعتزم سحبها حالما تسمح بذلك حالة البلاد وتستطيع تنظيم الوسائل المناسبة لتثبيت سلطة الخديو، وإلى أن يحين ذلك تستح فإن مركز الحكومة البريطانية تجاه خديو، عمر يفرض عليها واجب بذل نصائح تشهدف التأكد من أن النظام الذي يوضع سيكون مرضيا ويحتوى على عناصر الاستقرار والتقدم .

م قسم المنشور مسائل مصر إلى قسمين : مسائل خارجية ومسائل داخلية . وقال عن المسائل الأولى إنها محس الدول الأوربية الكبرى وتخضع لموافقة ملمه الدول : وبدأ المنشور باستعراض هذه المسائل وكانت على حسب ترتيب ورودها : قناة السويس وقانون التصفية وهو قانون اشتركت الدول الأوربية فى وضعه واقترح إدخال تعديلات عليه لا تمس مصالح أصحاب الديون ولكنها تهدف إلى الاقتصاد فى الفقات وطلب مساواة الأجانب بالمصريين فى دفع الضرائب عن إعادة تنظيم الجيش المصرى والمشرطة وقال إن الحكومة البريطانية ترى لدواعى عن إعادة تنظيم الجيش المصرى والمشرطة وقال إن الحكومة البريطانية ترى لدواعى المخديو توفيق ووزراءه قد أبدوا رغبة قوية فى شغل مناصب معينة فى الجيش بضباط المجدي وقرر أن الحكومة البريطانية قدا استجابت فله الرغبة . ثم أشار المنشور إلى إلغاء نظام الرقابة الثنائية وتمسح بالحكومة المصرية فقال إنها هى التى قدمت مذكرة فى هذا الموضوع وطلبت فيها إلغاء هذه الرقابة وتعيين موظف أوربي يعمل مستشارا فى هذا الموضوع وطلبت فيها إلغاء هذه المرقابة مستعدة الموافقة على هذا الموضوع وطلبت فيها أن توافق الحكومة المبريطانية مستعدة الموافقة على هذا الما العذيو . وقال المنشور إلى الخديمة المربطانية مستعدة الموافقة على هذا الموضوع وطلبت فيم أن توافق الحكومة المبريطانية عبد . كما تعرض المنشور ماليا المخدي . كما تعرض المنشور المناقر المناقرة الغيز عبد . كما تعرض المنشور الانتراب وانها ترغب في أن توافق الحكومة المربطانية عليه . كما تعرض المنشور

إلى إصلاح القضاء الوطنى فى مصر وإلى رغبة الحكومة البريطانية فى إلغاء الرقيق كنظام وتجارته كسلعة : ثم ناقش المنشور أخيرا مسألة النظم السياسية فى مصر ووجهة نظر الحكومة البريطانية فى إقامتها .

واختتم المنشور بهذه العبارة وإن حكومة حضرة صاحبة الحلالة أرادت أن تقدم معلومات كاملة للدول الكبرى عن هذه المسائل التي تتصل اتصالا مباشرا بالأمن والثقة والنظام الاجتماعي في مصر . وإنها تعتقد بناء على ذلك أن واجبها هو تقديم النصح للخديو عن أفضل أسلوب يمارس به سلطته الحاكمة ، وهي تأمل أن تكون الروح التي أملت عليها هذا النهج متمشية مع آراء الحكومات الأخرى التي تهتم برخاء ذلك الاقلم » .

وقبل أن نناقش الخطوط الرئيسية في هذا المنشور نعود إلى الجزء الذي ورد به خاصا بقناة السويس ، لأن هذا الجزء كان الركيزة الأساسية التي استندت اليها الحكومة البريطانية في معارضتها لتدويل قناة السويس ، فنورد هنا ترجمتنا الحرفية لهذا الجزء .

وكان من إحدى نتائج الأحداث القريبة أن اتجه اهتهام خاص إلى قناة السويس ، أولا ، بسبب الخطر الذي كان مهدما لها خلال النجاح القصير المدى الذي ظفرت به الثورة ، وثانيا ، كنتيجة لاحتلال القوات البريطانية للقناة باسم الحديو ، واستخدام هذه القوات للقناة كفاعدة للعمليات التي اتخذت نيابة عن سموه وتأييدا لسلطته ، وثالثا ، بسبب الموقف الذي اتخذته إدارة شركة قناة السويس وضباطها في فترة حرجة أثناء الحملة ..

و وبالنسبة النقطتين الأولييد تعتقد حكومة حضرة صاحبة الجلالة أن حربة الملاحة في القناة في كل الأوقات وعدم عرقلتها ومنع سدها والحياولة دون الاضرار بها مسائل تهم جميع الشعوب . ومن المعترف به عموما أن الاجراءات التي اتخلتها حكومة حضرة صاحبة الحلالة الملكة لحماية الملاحة واستخدام القناة نياية عن حاكم الاقليم بقصد استعادة سلطته لا تتعارض بأية حال من الأحوال مع هذا المبدأ العام ، و ولتقرير مركز القناة في المستقبل على أساس أكثر وضوحا ، وللحيلولة دون

ما قد يقع من أخطار محتملة ، ترى حكومة حضرة صاحبة الجلالة أنه من المفيد الوصول إلى اتفاقية بين الدول الكبرى تحقق هذه الأغراض على الأساس الآتى ، وتدعى الشعوب الأخرى للانضمام إليها فها بعد :

١ ــ تكون القناة حرة لمرور جميع السفن في كل الأحوال :

 لا ــ في وقت الحرب تحدد فترة من الزمن ترابط خلالها في القناة السفن الحربية التابعة لدولة متحاربة ، ولا يجوز نزول قوات أو تفريخ ذخائر حربية في القناة .

٣ ــ لا يجوز ارتكاب أعمال عدائية في القناة أو في تحومها أو في أى مكان
 آخر يدخل في نطاق المياه الاقليمية لمصر ، حتى ولو كانت تركيا إحدى الدول
 المتحاربة .

 ٤ -- لا يطبق الشرطان الأخيران السابقان على الاجراءات التى قد تكون ضرورية الدفاع عن مصر<sup>(1)</sup>

المال عبد أية دولة تسبب سفنها الحربية أي ضرر القناة تاتزم يتحمل نفقات الاصلاح اللي يجب أن يتم فورا .

٦ - يجب على مصر أن تتخذ جميع النابير التي في سلطتها لتنفيذ الشروط المفروضة على مرور سفن المتحاربين في القناة في وقت الحرب .

٧ - لا تجوز إقامة تحصينات على القناة أو في الجهات المجاورة لها ..

That neither of the two immediately foregoing conditions shall apply (1) to measures which may be necessarry for the defence of Egypt.

رقه ترجم بعض الاساتفة هذا النص ترجمة تنطوى على تصرف يحل بالمعيى ويفتح الباب لتفسير ات شتى . فقال « لا يطبق هذان الشرطان على الاجراءات الق تتخذها مصر للدفاع من الفناة » .

أنظر : دكتور محمد مصطن صفوت . انجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ – ١٩٥١ . الطبعة الأولى ١٩٥٢ ص ٩٧

وقد استخدمت الحكومة البريطانية المرونة والدهاء السياس في صياغة هذه المادة لانها لم تحدد السلطة التي تتخذ التدايير للغاج من مصر ، وهل هي الحكومة المصرية ? أو الدولة الشائبة بصفتها صاحبة السيادة على مصر؟ أو الحكومة البريطانية يمنكم الإستلال البريطاني لمصر ؟ .

 ٨ ــ لا يوضع فى الدتفاق أى شرط يستهدف الانتقاص أو التأثير على الحقوق الاقليمية الخاصة بالحكومة المصرية أكثر مما ينص عليه صراحة .

#### تقد منشور لورد جرانفل:

والتحليل السريع لهذا المنشور يوضح أنه ينطوى على متناقضات ومغالطات من ناحية ومكاسب لمصر من ناحية أخرى . فوزير الخارجية البريطانية يقرر أنه ليس في نية بريطانيا البقاء في مصر وأن قواتها ستجلو عنها حين يستقر الأدن والنظام فيها ، ويتدم مركز الخديو . وهي عبارات عامة مرنة لا تحمل تحديث زمنيا لفترة الاحتلال المقول بأنه مؤقت ، ثم أفصح عن نية حكومة بريطانيا في إدخال نظم وإصلاحات ، وإصلاحات في شتى مناحي الحياة المصرية ، وحدد هذه النظم والاصلاحات ، ولما كان تنفيذها يستغرق بداهة وقتا طويلا ، فإن النية كانت مبينة على إطالة أمد الاحتلال ما استطاعت الحكومة البريطانية إلى ذلك سبيلا ، وهو أمر بتعارض مع ما قرره في مقامة المنشور من أن الاحتلال مؤقت .

وصرح لورد جرانفل فى منشوره بأن حكومته وضعت الجيش المصرى الجديد أمرة ضباط انجليز ، وأنها تؤيد إلفاء الرقابة الثناثية ، وأشار تاميحا إلى أن انجليزيا سوف يشغل منصب المستشار المالى للحكومة المصرية ، ومبنى هذا التعييز الجارد بريطانيا بالاثراف على المالية المصرية ، وأنه لم يعد لفرنسا وركز ممتاز فى مصرمساو لمركز بريطانيا ثم هناك ما هو أخطر ون هذا كله، وهو أن الحكومة البريطانية ستقدم نصائح لرجالات حكومة مصر ، وهو تعبير دبلوماسى وهذب معناه أوامر يلتزم بتنفيذها رئيس الوزارة المصرية والوزيراء المصريون ، فإذا امتنع أحدهم عن تنفيذ نصيحة كان عليه أن يستقبل فورا ، فكأن الحكومة البريطانية ، وقد تعلر علما يسط حماية سافرة على مصر جأت إلى فرض حماية مقنعة تستند إلى جيش احتلال ومعتمد بريطانية نى بطش شديد وموظفين انجايز يشغلون مناصب رئيسية فى دواوين الحكومة ، ووزارات مصرية تؤمر فتصدح تنفيذ المناش البريطانية . ورؤارات مصرية تؤمر فتصدح تنفيذ المناش و محمر وساطنها فى المسريين أو سلطان تركيا فى المسائل وأكدت الحكومة البريطانية فى هذا المنشور مركزها المتفوق فى مصر وساطنها فى المسريين أو سلطان تركيا فى المسائل التصويد والارشاد دون الرجوع إلى رأى المصريين أو سلطان تركيا فى المسائل

اللاخلية . فهذا المنشور قد أرسى قواعد السياسة التى أزمعت بريطانيا انتهاجها فى مصر عقب الاحتلال . وفضلا عن ذلك فقد قرر هذا المنشور حق الدول الأوربية الكبرى فى الاشتراك فى تسوية المسائل الخارجية المتعلقة بمصر والحصول على وافقتها.

وتضمن المنشور فوق ذلك عدة مغالطات ، وقد قصد بها تبرير العمليات العسكرية التي اتخذتها بريطانيا في منطقة القناة ، وتمسحت بالخديو توفيق ، فقررت أنها قامت بهذه العمليات باسمه ونيابة عنه وتأييدا لسلطته ، وانتحلت علمراً آخر هو أن الخطر كان عدقا بالقناة خلال النجاح الذي ظفرت به الثورة المصرية في مراحلها الأولى . ولهذا يقول جان شارل رو مؤرخ القناة « يجب أن يكون الانسان ذا ذمة واسعة إلى درجة غير عادية كي يقرر أن اتخاذ القناة قاعدة لعمليات حربية وعرقلة حركة المرور فيها وإنزال قوات عسكرية بها ، كل هذا لا يعتبر فقضاً لحيدة الفناة (١) » .

أما ما جاء في هلما المنشور واعتبر كسبا لمصر أو بعبارة أدق تقريرا عادلا لحقوق مصر وتأكيدا لها ، فيشمل ثلاث حقائق أو ثلاثة مبادىء .

أولا : إن اللغاع عن مصر فوق كل اعتبار وتأسيسا على هذا المبدأ فإن القيود المسكرية التي جاء بها المنشور لتنظيم حرية مرور السفن في القناة لا تعوق تدابير الدفاع عن مصر (بند ٤).

ثانيا : من حق مصر وحدها تنفيذ المعاهدة المقترحة لكفالة حرية مرور السفن فى القناة (بند ٣) .

ثالثاً : الحقوق الاقليمية لحكومة مصر يجب أن تكون بمنأى عن أى مساس أو انتقاص لها مجعة تنظيم تحرية مرور السفن فيها (بند ٨) .

وقد جاء تأكيد هذه الحقوق فى المنشور وهو فى حد ذاته يعتبر وثيقة دولية صدرت عن الحكومة البريطانية وأبلغته إلى الحكومات الفرنسية والألمانية والنساوية والابطالية والروسية والتركية كما أرسلت نسخة منه إلى الحكومة المصرية

Charles - Roux J, L'Isthme et le Canal de Suez. 2 vois Paris 1901. (1) t II p. 85.

أرسل هذا المنشور في وقت كانت الأزمة السياسية قد بلغت عنفوانها بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية بسبب إلغاء نظام المراقبة الثنائية في مصر . فقد احتجت الحكومة الأولى على هذا الإلغاء احتجاجا شديدا عنيفا . إذ رأت في هذا الالغاء قضاء مبرما على النفوذ الفرنسي في مصر وحدر دكارك Duclero رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية إذ ذاك لورد جرانفل وزير خارجية بريطانيا من عواقب هذا التصرف على العلاقات الفرنسية البريطانية وتبودلت مذكرات عديدة بين باريس ولندن كان فيها عنف وتهكم من جانب فرنسا ومحسكت بريطانيا بموقفها وانفرادها بالاثراف على المالية المصرية ولم تكن الاحتجاجات الفرنسية نتيجة سوى أنها زادت الهوة اتساعا وعمقا بين فرنسا

والواقع أن فرنسا كانت تنقم من أول الأمر على بريطانيا استثنارها باحالال مصر والانفراد بالنفوذ فيها . كانت فرنسا ترى أن مصر يجب أن تكون منطقة نفوذ لما على الأقل ، ففرنسا أول دولة أوربية غزت مصر غزوا عسكريا في التاريخ الحديثة إلى مصر طوال القرن التاسع عشر ، وأن الطابع الحضارى الذي لازم مصر في هذا القرن كان طابعا فرنسيا أكثر منه أى طابع آخر . واعتقدت أن مصالحها عديدة حيوية متشعبة في مصر . فشروع قناة السويس – وهو أعظم مشروع نفذ في العالم في ذلك القرن – مدين بوجوده إلى العبقرية الفرنسية ولى العلم الفرنسية ، وفرنسا تشرف إشرافا إداريا وفنيا على القناة ، وفا أكبر نصيب في أسهم شركة قناة السويس ، ولها شطر كبير من الدين المصرى . والحالية الفرنسية في مصر كثيرة العدد موفورة النشاط واسعة الثراء ، ولها وهسات مصرفية وتجارية في مصر كثيرة العدد موفورة النشاط واسعة الثراء ، ولها وهسات مصرفية وتجارية والحالي والخضارى والأدبي .

واعتقدت فرنسا من ناحية أخرى أن الاحتلال البريطانى لمصر قد عصف بالتوازن الدولى في منطقة الشرق الأدنى ، فقد سيطرت بريطانيا على جزيرة قبرص ثم على مصر ، وأصبحت تشرف على الحوض الشرق للبحر المتوسط وتتحكم فى قناة السويس . وإلى جانب ذلك كله أدركت فرنسا أن بريطانيا لا تماطل فى تنفيذ وعودها المكررة بالجلاء عن مصر فحسب ،، بل تعمل على ضرب النفوذ الفرنسى واستبعاده من ميادين السياسة والادارة فى مصر »

تحرجت الأمور بين فرنسا وبريطانيا وتحولت إلى نضال شديد احتدم أواره فعملت الدبلوماسية الفرنسية بكل نشاط ودهاء على خلق المتاعب أمام بريطانيا في أصقاع شتى من العالم : في الكونغو وفي النيجر وفي مدغشقر وفي جزر المحيط الهادي : وأيدت الباب العالى في احتجاجاته العديدة المتلاحقة على بريطانيا بسبب استمرار الاحتلال البريطاني لمصر ، وساندت روسيا في سياستها التوسعية الاستعارية في البلقان وأواسط آسيا والشرق الأقصى ، وشجعت ألمانيا في السياسة الاستعارية التى انتهجتها ابتداء من عام ١٨٨٤ وأثارت حفيظتها على بريطانيا وصورتها لها بمظهر الدولة التي تقوم سياستها الخارجية إزاء الدول الكبرى على الجشع والأنانية والرغبة الجامحة في السيطرة بمفردها على العالم . وحدث فعلا تقارب فرنسي ألماني سنة ١٨٨٤ على عهد وزارة جيل فرى Jules Ferry واستهدفت هذه الوزارة من التقارب الفرنسي الألماني في هذه السنة تكوين جبهة من دول أوربا الغربية ضد بريطانيا حتى تضطرهذه الدولة آخرالأمر إلى الجلاء عن مصر جلاء ناجزا غير مشروط أوبشروط معقولة. أما فيمصر فقد عملت على خلق المصاعب أمام الاحتلال البريطاني ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وساعدها على ذلك وجود أنظمة وقيود دولية تمثلت في الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة وصندوق الدين العمومى وقانون التصفية وما إلى ذلك . وقد صور لوردكرومر الموقف الداخلي في مصر تصويرا دقيقا في تقرير مؤرخ في ٢٩ من ديسمبر ١٨٨٤ ورفعه إلى لور د جرانفل جاء فيه أن الجو السياسي في مصر مفعم باللسائس على اختلاف أنواعها وصورها(١). وهكذا أدى الاحتلال البريطاني لمصر إلى زوال التفاهم الفرنسي الانجليزي وهو التفاهم الذي ظل قائمًا في ميادين السياسة من سنة ١٨٥٧ إلى سنة ١٨٨٧ وزالت إلى حين الكتلة الغربية الديمقراطية التي نشأت ونمت سنة ١٨٧٥ كرد فعل لاتحاد القياصرة Dreikaiser Bund في سنة ١٨٧٧ .

<sup>(</sup>١) الكتاب الازرق مصر رقم ﴾ لسنة ١٨٨٥ وثيقة رقم ٧٤ .

وقد ساعد فرنسا على مناوئة بريطانيا مناوئة فعالة مباشرةعاملان : أحدهما هولى أوربي والثاني محلى مصرى . أما العامل الأول فيتمثل في تدهور العلاقات السياسية بين بريطانيا وألمانيا منذ سنة ١٨٨٤ . وقد مر بنا كيف ساندت ألمانيا الاحتلال البريطاني لمصر في سنتيه الأوليين مساندة قوية، فقد أراد بسهارك وقتذاك أن يجعل من المسألة المصرية وسيلة لاسترضاء بريطانيا وتبديد مخاوفها وشكوكها من ألمانيا ثم لاجتذابها إلى دول التحالف الثلاثي الذي كونه نهائيا في سنة ١٨٨٧ من ألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا بغية المحافظة على التفوق السياسي لألمانيا في أوربا . وكانت بريطانيا تميل إلى التحالف الثلاثي لأن مصالحها كانت تتعارض مع مصالح روسيا في الشرق ومصالح فرنسا في مصر . ولكن دخلت ألمانيا ميدان الاستعار في سنة ١٨٨٤ فقوبلت بمعارضة عنيفة من بريطانيا. وكان بسهارك منذ تأسيس الامبراطورية الألمانية إلى ما قبل سنة ١٨٨٤ ــ يرى عدم الزج بألمانيا في طريق الاستمار بعد إتمام الاتحاد الألمانى مباشرة مفضلا توجيه جهود الأمة الألمانية إلى تدعم البناء الداخلي للدولة الحديثة في شتى مرافقها بدلا من بعثرتها في عدة ميادين، إذكان يخشى أن يؤدى نزول ألمانيا في ميدان الاستعار إلى اتحاد فرنسا وبريطانيا ضدها، وكان يصرح بأن المستعمرات تعتبر من قبيل الكماليات؛النسبة لدولة ناشئة مثل ألمانيا ، وعلى ذلك فهي ليست في حاجة إلى مستعمرات , ولكنه غير رأيه منذ سنة ١٨٨٤ تحت ضغط الرأى العام الألمانى وبخاصة رجال الاقتصاد الذين نادوا بضرورة إيجاد مستعمرات خاصة بألمانيا لتصريف منتجات الصناعة الألمانية المتزايدة المتفوقة مرزاحة ، ولمواجهة زرادة عدد السكان في ألمانها من ناحية ثانية ، وكانت قذ تأسست في سنة ١٨٨٧ الجمعية الألمانية للاستعار ، وسرعان ما أشرفت على عدد من الجمعيات الألمانية التي نادت بضرورة انتهاج سياسة استعارية نشيطة ، وأصدرت جريدة تعبر عن أهدافها سميت Kolonial Zeitung (١) وفي السنة

 <sup>(</sup>١) دكتور جلال يحيى: التنافس الدولى في شرق أفريقيا . الطبعة الأولى ١٩٥٩ مس مس
 ١٦٨ - ١٦٨

التالية ، أي في سنة ١٨٨٣ ، تألفت في مجلس الريستساغ Reichstag الشعبة الاستعارية . وكانت البحرية الألمانية قد نمت نموا سريعاً أثار دهشة العالم ف ذلك الوقت ، فقد تضاعفت حمولة سفن ألمانيا سبع مرات فى خلال العشرين عاما التي أعقبت إنمام الاتحاد الألماني في سنة ١٨٧١(أ) وأخذت السفن الألمانية ترسو في عرض القارة الأفريقية وتتجر مع دول الشرقين الأدنى والأوسط . ولذلك لم يكن في مقدور أي سياسي مهما سمت مكانته في أعين مواطنيه الألمان أن يصم أذنيه عن صيحات الرأى العام ، ومن ثم أكره بسهارك على التسليم بمطالب الشعب الألماني ووجه ألمانيا في طريق الاستعار محتجا بأن الضرورة أحكاما(٢) واعتبر الاستعار مسألة حيوية بالنسبة لألمانيا بروقد وجه بسهارك أنظاره ذات اليمين وذات اليسار في قارة أفريقيا واستطاع منذ أبربل ١٨٨٤ أن يقتطع لألمانيا مساحات واسعة من أقالم هذه القارة في الشرق والغرب والجنوب الغربي . وكان من مظاهر اهتمام ألمانيا بالاستمار في أفريقيا اختيار برلين مقرا للمؤتمر الدولي الذي عقد خلال المدة من أكتوبر ١٨٨٤ إلى فبراير ١٨٨٥ ورأسه بسهارك لبحث مشكلات غرب أفريقيا ووسطها . واتخذ المؤتمر عدة قرارات لتنظيم عمليات الاحتلال والحماية والتملك والاستغلال وغيرها من شئى صور تزاحم الأوربيين على اقتسام القارة الافريقية ..

 <sup>(</sup>١) فيشر Flabor : تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٥ -- ١٩٥٠ ترجمة الأستاذين
 أحد نجيب هائم ووديع الفسيع . القاهرة طبة ثانية ١٩٥٣ ص ٣٨٦ .

<sup>(</sup> ۲ ) المرجع السابق. وعا يذكر أن هذا الرأي قد تعرض النقد في النصف الثاني من القرن الدشرين إذ ظهر في سنة ١٩٥٤ كتاب لأحد أسائلة التاريخ الحديث في جامعة أكسفورد : The Struggle for Mastery in Burope 1848—1918 by A. J. P. Taylor.

خالف فيه مؤلفه آراه فيشر ، و سبر انت ، و تمبر لى وغير هم من المؤر غيراللدين تعرضوا لحلما المؤضوع .
وكان بما قاله أن المانيا البسياركية لم تكن دولة بر لمانية ديمقراطية حيث يحسب حسابا لرخبات الرأى العام وإنما كانت دولة أو توقر الحيال المؤسسات الاتحاف الميشار عليه رخبة قوية الارسمهار وقرر أن المؤسسات الاتصادية في هامبورج و بريمن وغيرها كانت تصللع إلى مساندة الحكومة الإلمانية لحافى توطيد العلاقات التجارية مع أفريقيا و لكن بسيارك استطاع في سنة ١٨٨٤ أن يستغل هذه الإتجاهات والشرعات الاستخدارية ويتظاهر في ميدان السياسة اللولية إنام تلخمه إلى تحوير سياسته الخارجية . وخلص من ذلك إلى المقول بأنه من الحدن أن يتصور الانسان أن بسيارك قد حميج السماس الاستعماري الملفي غمر منذلك إلى القول بأنه من الحدن أن يتصور الانسان أن بسيارك قد حميج السماس الاستعماري من خلا المصدر.

وأبدت ألمانيا اهتهاما عميقا بنشاط بريطانيا وفرنسا في الممتاكات المصرية الواقعة في شرق السودان بعد أن أخلاها المصريون. فقد استفسر في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ المتصريون. فقد استفسر في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ التبحر الأحمر وخليج عدن (٢٠٠ و وكانت ألمانيا قد بدأت نشاطها الاستمارى في شرق أفريقية وهددت في هذه المنطقة مشروعات بريطانيا التي كانت تهدف إلى الاستئثار بالنفوذ على سواحل المحيط الهندى . وأدركت بريطانيا أن الاستفسار الألماني يحمل في طياته استعداد ألمانيا لمنافستها في تلك الأقاليم بشكل يسمح لها بالحصول على جزء من الساحل تعمل منه على تهديد القاعدة الحربية في عدن عند نشوب حرب دولية من الساحل تعمل منه على تهديد القاعدة الحربية في عدن عند نشوب حرب دولية . وزاد في مخاوف بريطانيا أن الدوائر السياسية الألمانية أخدت تتحدث عن شراهة الامبراطورية البريطانية للاستعار ، وأن المصلحة الألمانية تقضى بوجوب تقرب البريطانية في الناحية الاستعارية جعل الحكومة الألمانية أقل رغبة في مساعدتها في البريطانية في الناحية الاستعارية بعل الحكومة الألمانية أقل رغبة في مساعدتها في أفريقية ، فأسس الألمان شركة أفريقية الشرقية سنة ١٨٨٥ ورد الانجايز عليم بناطي المنفوذ (٤٤).

وقد أفزع الحكومة البريطانية نشاط ألمانيا في ميادين الاستنهار ، إذ انتشرت البحثات الدينية الألمانية في أتحاء العالم ، وتغلغل النجار الألمان في جنوب أفريقيا وجزر الحيط الهادي, واستقروا في المحلمات التي أقاموها في تلك الأصقاع ، فأخطت المحكومة البريطانية تثير صنوفا شي من المتاعب والعقبات في وجه المستعمرين الألمان في غرفي أفريقيا وجزائر فيجي وساموا Samoa ، واعترضت على بسط الحماية الألمانية

<sup>(</sup>١) دكتور جلال محيم : التنافس الدول في بلاد الصومال ص ١٥٣

 <sup>(</sup>٢) المصدر السابق ص ١٥٤. وانظر أيضا لنفس المؤلف: التنافس اللول في شرق أفريقية.
 ص ص ص ١٧٥ - ١٨٤

<sup>(</sup> ٣ ) الكتاب الأزرق (مصر ) رقم ؛ لسنة ١٨٨٥ وثيقة رقم ١٢٨ من جرانفل إلى مولت Sir E. Majet ومؤرخه في ٣ يناير ١٨٨٥

<sup>(</sup> ٤ ) دكتور عمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان ص ٥٠٠ وانظر أيضا دكتور جلال يميى : التنافس الدولى في شرق أفريقية ص ص ٣١٠ – ٣١١

على الجزء الشهالى من غينيا الجديدة : وهكذا تلبد الجو بين ألمانيا وبريطانيا وتبادلت صحافة الدولتين الحملات العنيقة .

وبعث بسيارك إلى مونستر Miinster السفير الألمانى فى لندن رسالة مؤرخة فى غ من أبريل سنة ١٨٨٤ يطلب منه تذكير حكومة بريطانيا بموقف ألمانيا الودى نحوها إزاء المسألة المصرية . فألمانيا لم تحتج على ضرب الأسطول البريطانى لمدينة الاسكندرية فى يوليو ١٨٨٧ ، وألمانيا أيدت الاحتلال البريطانى تأييدا لم تشبه شائبة ، وتركت الانجليز أحرارا فى مصر يفعلون ما يشاءون . وألمانيا لها الحق فى أن تنتظر رد الجميل من حكومة بريطانيا ، فلا تقيم العراقيل أمام الرعايا الألمان فى فيمجى . ولوح بسيارك بالتهديد فقال إذا عرقلت حكومة بريطانيا تحقيق مشاريع ألمانيا لخالف لمصر (١٠) .

وبعث بسيارك برسالة أخرى مؤرخة في ٥ مايو ١٨٨٤ إلى مونستر طلب منه 
تبليغ حكومة بريطانيا أنها إذا ناقشت حق ألمانيا في سياستها الاستمارية فن حق ألمانيا 
أن تناقشها في سياستها في مصر ونعت السياسة البريطانية بأنها تقوم على الأنانية وأنها 
تعمل على إثارة المستعمرات البريطانية في أفريقيا على السياسة الألمانية ، ثم تتمسح 
الحكومة البريطانية فتقول إن المعارضة لا تصدر عنها ، ولكنها تأتى من جانب 
المستعمرات . وقال إن استقلال المستعمرات البريطانية في شئونها الخارجية مهزلة 
لا تصدق ٢٢) .

ومضى بسيارك فى سياسة العنف ضد الحكومة البريطانية ، فأوفد ابنه الكونت هربت دى بسيارك إلى لندن يحمل تبليغا صارما إلى الوزارة البريطانية بشأن موقفها من بسط الحياية الألمانية على غينيا الجديدة . وقد وصل المبعوث الألماني إلى العاصمة البريطانية فى ٣ من مارس ١٨٨٥ وأبلغ لورد جرانفل وغيره من أعضاء الوزارة البريطانية أن العلاقات المبلوماسية بين ألمانيا وبريطانيا لا يمكن أن تستمر على هلما

<sup>(</sup>١) دكتور محمد مصلق صفوت : الاحتلال الانجليزيلمسر ص ١٤٢ – ١٤٣ نقلا عن الوثالق الإلمانية .

<sup>(</sup> ٢ ) المرجع السابق.

المنوال ، ولا تستطيع دولة كبرى مثل ألمانيا أن تقبل هذا الوضع ، وإذا لم تعدل الحكومة البريطانية سياستها إزاء ألمانيا تعديلا سريعا فإن المستشار الألماني سوف يستخدم كافة الوسائل لاثارة المتاعب أمام بريطانيا في ، صر ، بل سيذهب إلى نهاية الشرط فيطالب بجلاء بريطانيا عن مصر ، ويلاحظ أن بسهارك لم يسلك الطريق المديوماتي العادى في تبليغ هذه الرسالة إلى الحكومة البريطانية عن طريق السفارة الألماني في لندن ، فقد صرح هربرت بسهارك بأن مونستر Miinster السفير الألماني في العاصمة البريطانية ليس في مركز يسمح له بأن يباغ لورد جرانفل هذا التبليغات العنيفة ليست من مهام المسفراء ، ولقد أمضي مونستر اثاني عشرة سنة في لندن وأراد بسهارك أن يجنب السفير الألماني هذا المؤقف الحرج ، فعهد بهذه المهمة إلى ابنه الكونت هربرت بسهارك أن .

وفي نفس الوقت الذي تدهورت فيه الملاقات السياسية بين الحكومة بن المنكومة الفرنسية والبريطانية حدث تقارب بين باريس وبرلين . وكان هلا التقارب أبرز ما يكون في المسألة المصرية عند ظهور العامل الذي أطلقنا عايه في هذا البحث العامل الحلي المصرى. فقد تعرضت الحكومة المصرية الأزمة مالية عنيفة ، إذ أضاف الاحتلال البريطاني أعباء ثقالا على عائق الخزانة المصرية ، فكان عليها أن تدفع نفقات جيش الاحتلال كل عام ، وأن تؤدى مرتبات باهظة تقررت الموظفين الانجليز بلغط أربعة ملايين وربع مايون جنيه بمثابة تعويضات لمن أصيبوا بحسائر وأضرار بلغط أربعة ملايين وربع مايون جنيه بمثابة تعويضات لمن أصيبوا بحسائر وأضرار الموابية ، ونفقات الحملات العسكرية التي أرسلت القضاء على الثورة المهدية ، ثم نفقات إخلاء السودان بعد ذلك ، والأضرار التي نجمت عن انتشار وباء الكوليرا في مصر منذ شهر يونيو ١٨٨٣ انتشارا موعا ، وأرادت حكومة بريطانيا علاج الأثرمة المالية بتعديل قانون التصفية إذ كان خصص أكثر من نصف الدخل في الميزانية للديون، ولماكان هذا القانون وقد اشتركت في وضعه خمس ذول أوربية -

Doc. Dipl. Fr. 1ère Sèrie doc. no 615. Télégramme très confidentiel. (1) Londres, 6 mars 1885 Waddington, Ambassadeur de France à Londres, à Jules Ferry, Ministre des Affaires Btrangères.

قد نص على ضرورة موافقة هذه الدول على أى تعديل يراد إدخاله عليه فقد دعت الحكومة البريطانية الدول الكبرى لعقد مؤتمر دولى لتعديل هذا القانون . وانتهزت حكومة فرنسا هذه الفرصة وطالبت ببحث دمسائل معينة تنصل بقانون التصفية ويكون في حكم الاستحالة إغفالها. ونزلت حكومة بريطانيا على رأى حكومة فرنسا ودارت مباحثات سياسية أسفرت عن اتفاق مؤقت Modus Vivendi وافقت فيه حكومة بريطانيا على الجلاء عن مصر في مستهل عام ١٨٨٨ وأن تقدم مشروعا إلى الدول الكبرى بما فيها تركيا يقرر حيدة مصر حيدة دائمة على غرار بلجيكا، كما تقدم مشروع اتفاقية دولية تنظيم حرية مرور السفن فى قناة السويس على ضوء المبادىء الواردة فى منشور لورد جرانفل المؤرخ فى ٣ من يناير ١٨٨٣ وسجلت حكومة فرنسا على نفسها أنها لا تبغى إعادة نظام المراقبة الثنائية . وأعلنت الحكومة البريطانية أن تنفيذ الجلاء وتقرير حيدة مصر وعقد اتفاقية القناة كل ذلك متوقف على تسوية المسألة المالية المصرية تسوية مرضية تتمشى مع المقترحات التي تتقدم به الحكومة البريطانية إلى مؤتمر لندن الذي دعت إليه، وتبادلت الحكومتان ثلاث مذكرات في ١٥ ، ١٦ ، ١٧ من يونيو ١٨٨٤ سجلتا فيه هذا الاتفاق . وعقد مؤكمر لندن في ٢٨ من يونيو ١٨٨٤ وفي جلساته عاد الخلاف يطل برأسه بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، وفشل المؤتمر الذي أنهي جلساته في ٢ من أغسطس ١٨٨٤ إلى أجل غير مسمى sine die وسقط الاتفاق المؤقت سقوطا تلقائيا ،ولاح شبح الافلاس يهلدالحكومة المصرية وخشى الانجايز أن تضطر حكومة مصر إلى وقف أداء مرتبات الموظفين أو التوقف عن دفع الجزية إلى تركيا. ورأى الانجليز لتلافى وقوع هذين الاحتمالين أو أحدهما علاج الأزمة المالية علاجا مؤقتا بالاذن للحكومة المصرية في الاستيلاء على الايرادات المخصصة ـــ طبقا لقانون التصفية ـــ لصندوق الدين في مصر ، وثارت ثائرة الحكومات الأوربية على هذا الاجراء وألقت ألمانيا مسئوليته على عاتق الحكومة البريطانية ، ورفع ممثلو الدول في صندوق الدين ــ ما عدا ممثل بريطانيا ــ قضية على الحكومة المصرية أمام المحكمة المختلطة بالقاهرة فصل فيها فى ٢٩ ديسمبر ١٨٨٤ لصالح صندوق الدين وأصطرت حكومة مصر إلى استثناف هذا الحكم كوسيلة لايقاف تنفيذه حتى يفصل فى الاستثناف، وطلبت الحكومة البريطانية إلى اللول الكبرى أن تشتر لشمعها في تسوية المسألة المالية ورفضت فرنسا وألمانيا الموافقة على تعديل قانون التصفية ما لم تتم في نفس الوقت تسوية مسألة قناة السويس. وقدمت حكومة فرنسا مشروعا مضادا للمشروع البريطانى الخاص بالمسألة المالية طالبت فيه بأن يكون القرض الذي يقدم للحكومة المصرية بضهان جميع الدول الأوربية الكبرى لا بضهان حكومة بريطانيا وحدها، واستهدفت حكومة فرنسا من هذا الضهان الجماعي إثراف أوربا إشرافا فعايا، على المالية المصرية وأن يكون هذا الاشراف الدولى خطوة في سبيل تدويل الحكومة في مصر.

وتدخل بسهارك لدى حكومة بريطانيا لتأييد فرنسا في موقفها من المسألة المصرية بشقيها : الناحية المالية وقناة السويس . وكان التقارب الألماني الفرنسي في هذه الفترة قويا بينها ازدادت العلاقات الألمانية البريطانية سوءا بسبب رفض بريطانيا تمثيل ألمانيا وروسيا في لجنة صندوق الدين العموى في مصر . وتأزمت العلاقات بين بسيارك وبين لورد جرانفل وزير الخارجية البريطانية إذكان الأخير قد صرح بأن المستشار الألماني هو الذي دعى بريطانيا إلى احتلال مصر وأصدر بسهارك تكذيبا المستشار الألماني هو الذي دعى بريطانيا إلى احتلال مصر وأصدر بسهارك تكذيبا لمنا الألماني وكشف عن الحديث السرى الذي دار في سبتمبر ١٨٨٧ بينه وبين لورد Ampithili المشير البريطاني في برلين في ذلك الوقت . وأراد بسهارك أن يكيد كيدا لبريطانيا فأرسل مذكرة ضافية مؤرخة في ١٤ من ينابر ١٨٨٥ إلى حكومة بريطانيا إلى قبول معظم المقترحات الفرنسية تأييدا تاما ومطلقا . واضطرت حكومة بريطانيا إلى قبول معظم المقترحات الفرنسية كا وافقت على تمثيل ألمانيا وروسيا في صندوق الدين .

وأخيرا اتفقت كلمة حكومات الدول الكبرى فى تصريح صدر فى لنلن فى ١٧ من مارس ١٨٨٥ على تسوية المسألة المالية وقد أفرد لها فى التصريح البندان الأول والثانى . أما مسألة القناة فقد أفرد لها البند الثالث من تصريح لندن وهذا هو منطوقه :

و لما كانت جميع المدول مجمعة على الاعتراف بالحاجة الماسه إلى إجراء مفاوضات يكون الهدف منها أن تقرر فى صك اتفاقى إنشاء نظام نها فى يكفل ضيان حرية استخدام قناة السويس فى كل وقت ولجميع اللعول ». و فقد اتفقت الحكومات السبع المتقدم ذكرها على أن تجتمع فى باريس بوم ٣٠ من مارس ١٨٨٥ لجنة تتكون من مندوبين تعينهم الحكومات المذكورة كى تقوم باعداد وصياغة هذا الصك على أن تتخذ أساسا له منشور حكومة حضرة صاحبة الجلالة البريطانية والمؤرخ فى ٣ من يناير ١٨٨٥

ويحضر اجتماعات اللجنة مندوب بصوت استشارى من قبل حضرة صاحب
 السمو الخديو .

ويعرض المشروع الذى تضعه اللجنة على الحكومات المذكورة التي تستخدم
 حينئذ جهودها للحصول على موافقة الدول الأخرى عليه .

# اجتماع لجنة باريس الدولية:

اجتمعت بحنة باريس الدولية في هيئة مؤتمر في مقر وزارة الخارجية الفرنسية Lo Palais du Quai d'Orsay في ما مرس ١٨٨٥ . ورأس شطرا من جلسة الافتتاح جيل فرى Intes Ferry رئيس الوزارة الفرنسية ووزير ألخارجية . وقد تلا خطابا حيا فيه باسم فرنسا مندوبي المدول الأوربية، وأشار إلى ضخامة الأعباء الملقاة على عاتقهم في اللجنة، وقال إنهم يواجهون إحدى المسائل الأساسية في السياسة العامة وإنهم يضيفون لبنة إلى البناء الجديد الذي تسمى أوربا إلى تشييده وهي ترنو ببصرها إلى عهد جديد من السلام والتبصر لتكون بمنجاة من المنافسات العنبفة التي زخر بها التاريخ في حقبته السابقة ، ولكى تخضع حركة التوسع الاستماري لقواعد دقيقة وقانونية . وقد نعت رئيس الوزارة الفرنسية هذه الحركة الاستمارية بأنها أصبحت حركة عالمية وإنه يصعب مقاومتها فقد غدت السمة البارزة في نشاط جميع الأمم .

وأشار وثيس الوزارة إلى النجاح الذى أصابه مؤتمر برلين الأفريق الذى عقد في خلال الفترة من ١٥ نوفبر ١٨٨٤ إلى ٢٦ من فبراير ١٨٥٥ لبحث مسائل الكونغو وسائر شئون الاستعار في القارة الافريقية ، وقال إن الآمال التي دعمها هذا المؤتمر لتقبم السلام وازدهار الحضارة في المستقبل ستكون باعثا قويا الأعضاء لحنة اريس على معالحة مسألة قناة السويس التي فرضت نفسها في عجال السياسة الدولية.

وأشاد رئيس الوزارة بفضل دىاسبس وفضل فرنسا وفضل الأموال المراسية في تحقيق مشروع قناة السويس . وقال إن فرنسا لم تنس مع ذلك أن هذا المشروع له الطابع العالمي والأوربي والانساني . وقال أنه لتأكيد هذا الطابع الدولي بطريقة واضحة نهائية قد دعت حكومة الجمهورية الفرنسية بالاتفاق مع اللول المكبرى والدولة صاحبة السيادة La Puissance Souveraine إلى عقد هذا الاجهاع .

وأخيرا تعرض رئيس الوزارة لمنهاج العمل في اللجنة فقال أنه قد أعدت اقتراحات وستعرض على الأعضاء . ثم أكد أن حرية الدراسات وحرية تقديم الاقتراحات هي حرية مطلقة . فالبحث الحر هو الشرط الأول لتبادل الآراء في موضوع يتصل بمصالح عديدة بالفة الأهمية ، ويضع الحقوق القديمة جنها إلى جنب مع الآراء الجديدة ، كما أن ها الموضوع يتصل بواجبات المتحاريين وحقوق الحايدين ، وله أهميته القصوى لدى الدولة صاحبة الاقام المتحاريين وحقوق وخوج من ذلك إلى وجوب المواءمة والتوفيق — في نطاق قانوني عادل بتي تحديده ابين حيدة القناة وحرية المرور فيها . ثم اختم خطابه بقوله إن فرنسا كانت تاتزم ما نم ساستها إزاء المسائل المصرية بمبدأ التضاءن الدونى ، أى أن فرنسا لم تكن تستقل ببحث هذه المسائل ولكنها كانت تشرك معها الدول الكبري (٢٠٠٠).

وقد تولى الرد على رئيس الوزارة الفرنسية المندوب الأول في الوفد البريطانى وهو سير جوليان بوتسفوت Sir Julian Paunoefote فشكره باسم زملائه مندوبي الدول في لجنة باريس وباسمه على عبارات الترحيب التي وجهها لم وأكد له أنه وزملاءه أعضاء اللجنة سيبدلون قصارى جهدهم حتى تكال مهمتهم بالنجاح . وتعت هذه المهمة بأنها سلمية وحضارية . وقال إنهم سعلاء باجتماعهم في باريس ، لأن اجتماعهم في العاصمة الفرنسية ينطوى على تقدير للمبقرية الفرنسية التي يرتبط ذكرها على تعاقب العصور والدهور بانشاء قناة السويس .

 <sup>(</sup>١) يقمه جول فرى من عبارة « الدولة صاحبة السيادة » الدولة الديانية باعتبارها صاحبة السيادة على مصر . وهذا تعريض غير مباشر بالاحتلال البريطاني لمصر .

Blue Book. No. 19. (1885). Part II No. 1. Protocole No. 1. (Y) Seance du 30 Man. 1885, p.p. 69-72.

على أثر هذه الكلمة غادر رئيس الوزارة قاعة الاجتماع . واقترح المندوب الأول في الوفد البريطاني أن تكون رياسة لجنة باريس للمندوب الأول في الوفد الغرنسي ، وقد أقر الأعضاء هذا الاقتراح . وهو اقتراح يتمشى مع التقاليد المدلوماسية التي تقضى بأن يتولى رياسة المؤتمر رئيس وفد الدولة المنعقد في إقليمها من باب الحجاملة والرعاية للدولة المضيفة (1) .

تولى رياسة اللبجنة بيللو Billo المندوب الأول في الوفد الفرنسي ، وكان يشغل وقتلد منصب مدير الشئون السياسية بوزارة الخارجية الفرنسية بدرجة وزير مفوض . وقد ألتي خطابا استهله بالإشارة إلى التقايد اللبلوماسي اللبى التزمته اللبجنة حين أستدت اليه رياستها على أساس أن فرنسا هي الدولة المضيفة . وقال إنه يشعر بجسامة المسئولية التي ألقيت على عاتقه ، ولذلك فسوف يسعى جاهدا ليكون جديرا بثقة أعضاء اللبجنة ، وسيتوخى في إدارة المناقشات روح النزاهة والمواعمة والإنفاق والبعد عن التحيز ، وأكد أن هذه الصفات تجيش في نفوس الأعضاء على بكرة أبيهم ، وأنها ضرورة لا بد منها لنجاح العمل ذي الأهمية العالمية والذي يتكاتف مندوبو الدول لانجازه .

وتطرق رئيس اللجنة بعد ذلك إلى صميم الموضوع ، فقال إن جول فرى رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الحارجية قد أشار إلى هدف اللجنة وذلك في خطاب الافتتاح الذى ألقاه . وأضاف بيللو إلى ذلك أنه يجب الرجوع إلى تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ ليجد فيه الأعضاء الصياغة اللقيقة لمهمة اللجنة ، فالمطلوب من الأعضاء هو «إعداد وصياغة صك اتفاق ، يتخذ منشور الحكومة الانجليزية المؤرخ في ٣٠ من يناير ١٨٨٣ أساسا له ويقرر إنشاء نظام نهائى يستهدف ضيان حرية استخدام قناة السويس في كل وقت ولجميع الدول » .

ووجه نظر الأعضاء إلى أن النتائج التي يصلون اليها في أبحاثهم ومناقشتهم لن يكون لها الطابع النهائي ، ولن تقيد حكوماتهم بشيء ما ، لأن تصريح لندن المشار إليه قد قرر صراحة أن الاتفاق الذي تضعه اللجنة إنما هو مشروع اتفاقية يعرض

<sup>(</sup>١) هكتور عل صادق أبو هيت : القانون اللمولى العام . طبعة رابعة . ص ص

بعد ذلك على المدول . وخرج بيللو من ذلك إلى القول بأنه لأعضاء اللجنة حرية مطلقة واسعة غير مقيدة في بحث جميع المسائل القانونية والبحرية والتجارية والسياسية التي تتصل انصالا وثيقا بهذه المشكلة المعقدة ، وهي مشكلة حرية المرور في قناة المسويس . ثم قال إنه قد أتبحت لأعضاء اللجنة أفضل فرصة لوضع حل كامل يتضمن المبادىء التي يرونها ، ويقترح الوسائل العملية التي تجعل هذا الطريق اللولى مفتوحاً على المدوام بلدون الاضرار أو الاخلال بالحقوق المكتسبة .

ونهج بيللو نهج رئيس الوزارة الفرنسية ، فلم يستطع الاثنان أن يتخليا عن تصبهما للفرنسيين . فأقحم بيللو هو الآخر في كلمته موضوعا بعيد الصلة عن أهداف اللجنة . إذ قال إن العالم مدين بوجود قناة السويس إلى العبقرية والمذابرة اللتين أبداهما فرديناند دى لسيس وشركة قناة السويس . وتناسى بيللو ، كما تناسى جيل فرى من قبل ، التضحيات التي فرضت على مصر في الأنفس والأموال في سبيل إنشاء القناة .

انتقل بيللو Billot بعد ذلك إلى نقطة جوهرية فشرح الخطوة العملية الايجابية التى اتخلتها حكومته إزاء أعمال اللجنة ، فقال إن الحكومة الفرنسية أرادت أن تسهل مهمة أعضاء اللجنة فأعدت مشروع اتفاق ليتخذه الأعضاء أساسا لدراساتهم إذا قبلوا ذلك ، واستطرد فقال إن المشروع الفرنسي ليس مشروعا كرانة في خلال المفاوضات التى دارت في العاصمة البريطانية وأسفرت عن صدور تصريح لندن في ١٧ من مارس ١٨٨٥ كان أمرا متفقا عليه بين الحكومات الموقمة عليه أنها بقبول منشور لورد جرانفل ليكون أساسا لبحث اللجنة قد احتفظت عليه المخرومات بحق تقديم اقتراحات أخرى ، وخرج من ذلك إلى أن المشروع الفرنسي لا يعلو أن يكون بحثا يتارسه الأعضاء ولا تستهدف الحكومة الفرنسية منه أن تقيد به نفسها ، كما أن هذا المبشروع لا يمنع الأعضاء من إدخال تعديلات علم أو تقديم اقتراحات مضادة له .

واختتم بيللو خطابه بالكلام عن المناحية التطبيقية لأعمال لجنة باريس الدولية ، فقال إنه يصعب أن تدرس اللجنة وهي بكامل هيئتها المشروع الفرنسي ، واقترح إحالته إلى لجنة فرعية لدراسته على أن تتكون هذه اللجنة من مندوب واحد عن كل دولة من دول تصريح لندن . ثم حدد بيللو مهمة هذه اللجنة فقال إنها إعداد وصياغة المشروع النهائي لتنظيم استخدام قناة السويس ، فاذا فرغت من إعداده اجتمعت اللجنة العامة بكامل هيئها لمناقشته ، واقترح أن يكون للجنة الفرعية الحق في استدعاء الشخصيات التي ترى الاستفادة من آرائهم ، وأن يترك لها أيضا مسألة تحديد اجتماعاتها وتنظيم أعمالها . وأخيرا طلب إلى الأعضاء الموافقة على أن يكون له الحق في دعوة اللجنة العامة إلى الاجتماع كلما رأى ذلك أمرا ضروريا .

وسرعان ما ظهرت بوادر الخلاف بين الوفدين الفرنسي والبريطاني في نفس جلسة الافتتاح ، وذلك بعد الخطاب الذي ألقاه بيلو Billot رئيس اللجنة فقد احتلم النقاش بين عضوى الوفد الفرنسي من ناحية وبين المندوب الأول في الوفد البريطاني من ناحية أخرى . إذ اعترض الأخير على ما جاء في خطاب بيلو خاصا بمدى اختصاص لجنة باريس الدولية . وقال إن الحكومة البريطانية قد أصدرت تعليات إلى وفدها في اللجنة بأن يلتزم بالمبادىء التي جاءت في منشور لورد جرافل والمؤرخ في ٣ من يناير ١٨٨٣ وخرج من ذلك إلى أن الوفد البريطاني لا يستطيع أن يناقش مسائل جديدة لم ترد في هما المنشور . وقد رد عليه بيللو رئيس اللجنة قائلا إن الحكومتين الفرنسية والبريطانية متفقتان على أن يكون هما المنشور أساسا لأعمال اللجنة وتدخل في المناقشة كاميل بارير Camille Barrèr وتدخل في المناقشة كاميل بارير عميم لأعضاء المنبوب الثاني في الوفد الفرنسي وقال في شيء من التهكم إنه إذا لم يسمع لأعضاء المنجنة من من جرية المدراسة والبحث والمناقشة فانه يتعملر عايم أن يصلوا لل بنتيجة مرضية . وإذا كان الأمر كذلك فانه لم تكن هناك حاجة على الاطلاق لما للدوس ،

وزاد من حدة الحلاف أن قدم الوفد الفرنسي لأعضاء اللجنة في جلسة الرفتتاح مشروعا لاتفاقية القناة أصدته الحكومة الفرنسية . وحلا هذا الحذو الوفد البريطاني فقدم هو الآخر مشروعا قال عنه إن وزارة الخارجية البريطانية قد أعدته على أساس المبادىء الواردة في منشور لورد جرافقل . ثم تخذت اللجنة العامة عدة قرارات يهمنا منها في هذا البحث قرار واحد هو أنه يجوز للجنة الفرعية أن تدعو اللجنة العام حول المبادئ اللجنة العامة إلى الاجتماع إذا ظهر بين الأعضاء خلاف خطير حول المبادئ الأساسية التي سوف تتضمنها الاتفاقية . وقد ظفرت فرنسا أيضا برياسة اللجنة الفرعية بناء على اقتراح المندوب الأول في الوفد البريطاني، إذ لما اجتمعت اللجنة المنوع في نفس اليوم قرر الأعضاء اختيار كاميل بارير Camille Barrère المندوب الثاني في الوفد الفرنسي رئيسا لها ، وكان هذا الاختيار متمشيا مع المتقليد الدبلوماسي الذي سبقت الاشارة إليه . واقترح المندوب البريطاني أن تسمح اللجنة الفرعية للمندوب الآخر في كل دولة ممثلة بعضوين أن يحضرا جلساتها كلما كان ذلك أمرا مجديا . ورد رئيس اللجنة الفرعية بأنه يشاطر المندوب البريطاني رأيه ، إلا أنه يرى تقييد هذا الحق بحيث لا يمارس إلا في الأحوال الاستثنائية .

كان المشروع الفرنسي مفاجأة غير سارة من الناحيتين الشكلية والموضوعة للدوائر البريطانية ، سواء في باريس أو في لندن فقد استطاع وادنجتون Waddingtoni السفير الفرنسي في لندن أن يحدع لورد جرانفل وزير الخارجية البريطانية ويوهمه أن الحكومة الفرنسية لم تقم بإعتاد مشروع للاتفاقية المقترحة . كانت قد محت مقابلة بينها في ٢٨ من مارس ١٨٨٥ في مقر وزارة الخارجية في لندن، أي قبل اجتماع بلحنة باريس بثلاثة أيام، وأبلغ الوزير عدثه السفير الفرنسي أن الحكومة البريطانية قد أعدت مشروعا للاتفاقية وأطلعه عليه (١٠) به فشكره السفير وقال إنه لا يعتقد أن وزارة الخارجية الفرنسية قد وضعت بعد هي الأخرى مشروعا للاتفاقية (٢٠) في جين أن هذا السفير كان يعلم علما يقينيا — من برقية أرسلها إليه في اليوم السابق في حين أن هذا السفير كان يعلم علما يقينيا — من برقية أرسلها إليه في اليوم السابق خيل فرى Inles Ferry رئيس الوزارة الفرنسية ووزير الخارجية — أن

<sup>(1)</sup> تسلم السفير الفرنسي في نفس اليوم ست نسخ من المشروع الإنجاليزي

Blue Book, No. 19. (1885) Part L ( v )

وثیقة رقم ۳۱ من لورد جرانفل إلى لورد لیونز Iyons أَ السفير البريطانی في باريس و مؤرخة في ۲۸ من مارس ۱۸۸۵

ووثيقة رقم ٣٦ من وادنجنون Waddington. أتسفير الفرنسي في لندن إلى لورد جرائفل ومؤرخة في ١٨ من مارس و ١٨٨٨

الحكومة الفرنسية قد أعدت مشروعا للاتفاقية وأنها تعتزم تقديمه في أول جلسة تعقدها لجنة باريس الدولية وكان السفير يعلم محتويات المشروع الفرنسي ، وكان على علم أيضا بأن جيل فرى قد أدخل عليه تعديلات معينة . وقد جاء في هذه البرقية كذك أن الحكومة الفرنسية ترى علم اطلاع الحكومة البريطانية على نصوص المشروع المفرنسي حتى لا تثيرهذه الحكومة اعتراضات أو تحفظات على المشروع تكون سابقة لأوانها . وتضمنت البرقية أن الاتفاق قد تم بين وزير خارجية فرنسا وبين السفير الفرنسي في لندن على مسألتين :

أولا: أن ياتزم السفير الفرنسى التحفظ في حديثه مع وزير الخارجية البريطانية فلا يصارحه بأن هناك مشروعا فرنسيا للاتفاقية المقترحة أعدته باريس<sup>(1)</sup> ثانيا: أن يكون اتصال الحكومة البريطانية بالحكومة الفرنسية عن طريق السفارة البريطانية في باريس ووزير خارجية فرنسا رئاسا في كل أمر يتصل يموضوع قتلة السويس

أما من الناحية الموضوعية فقد رأت الحكومة البريطانية أن المشروع الفرنسي ينطوى في عدد غير قليل من مواده على خروج سافر على المبادىء الواردة في منشور ثورد جرانفل. وكان من أخطر هذه المواد تدويل قناة السويس تحت سنار إنشاء رقابة دولية عليها. ولم يطلق الموقد البريطاني صبرا على الانتظار حتى يحين موعد اجتاع اللجنة الفرعية في ٦ من أبريل ١٨٨٥ وإذ ذاك تتاح له الفرصة الطبيعية ليعترض على المشروع الفرنسي ويبدى وجهة نظره في مواده . ولكنه المحمل فورا وبدون إيطاء . فعقد في ٣٠ من مارس ١٨٨٥ بدار السفارة

Doc. Dipl. Fr, (1871-1914) 1ére Série. Tome V. (1)

وثیقة رقم ۲۳۳ مبارة عن برقیة مؤرغة أن ۲۷ مارس ۱۸۸۵ أرسلها جیل قری وزیر الحارجیة إلى وادنجترن السفیر الفرنسی نی لندن . وکلافتهما مبتاه فی هاه نالبرقیة :

Mon intention est de saint la Commission de Suez, dès la première séance, du projet d'arrangement que vous connaissez, et dans lequel j'ai infroduit certaines modifications.

البريطانية في باريس اجتماع عاجل ضم لورد ليونز Lyons السفير البريطاني وسير جوليان بونسفوت Sir Julian Pauncefote وسير ريفرز ولسن Sir Julian Pauncefote وسير جوليان بونسفوت عضوى الوفد البريطاني في جلنة باريس، وقر رأيهم على أن يبرق الوفد البريطاني إلى لورد جرانفل وزير الخارجية البريطانية غيره والرة الخارجية البريطانية فورا بتقديم اعتراضاتها على المشروع الفرنسي إلى وادنجتون Waddington سفير فرنسا في لندن وتبليغه أن الوفد البريطاني في لجنة باريس لا يستطيع ، طبقاً للتعليات الصادرة إليه ، مناقشة المواد الرئيسية الواردة في المشروع الفرنسي وأن هذا المشروع يستهدف تدخلا خطيرا في شفون مصر في حين أن المشروع البريطاني قد وضع نظاما للقناة لا يستهدف تحقيق مصلحة ذاتية (اكبر).

وقد أيد لورد جرانفل الوفد البريطانى تأييدا تاما فى هذا الموقف فأبرق فى أول أبريل ١٨٨٥ إلى ليونز السفير البريطانى فى باريس يطاب إليه أن يقدم فورا وبدون إبطاء إلى وزارة الخارجية الفرنسية اعتراضات الحكومة البريطانية على المشروع الفرنسي ، وأبلغه أن الحكومة الفرنسية كانت قد طلبت إليه أن يتم الاتصال بين الحكومتين عن طريق السفارة البريطانية فى باريس ووزارة الخارجية الفرنسية رأسا وذلك فى كل أمر يتصل بقناة السويس (٣٧).

## استقالة الوزارة الفرنسية:

لكن حدثت مفاجأة لم تكن في الحسبان فقد سقطت الوزارة الفرنسية في مساء نفس اليوم الذى افتتح فيه جيل فرى رئيسها ووزير الخارجية فيها الجاسة

Blue Book No. 19 (1885) Part I (1)

وثيقتان رئم ، ٤ ورثم ٤١ وهما مذكرتان صدرتا عن سير جوليان بونسفورت وسير ديفرز ولسن إلى الفررد جرانفل وزير الحارجية البريطانية الأولى بتاريخ ٣٠ من مارس ١٨٨٥ والثانية بتاريخ ٣٠ منه .

Blue Book \No. 19 (1885) Part L (Y)

وثيقة رقم ٤١ من لورد جرائفل وزير الحارجية البريطانية إلى لورد ليونز السفير البريطاف في باريس ومؤرخة في أول أبريل ١٨٨٠ .

الأولى للجنة باريس الدولية (١) ، وبقيت فرنسا بدون وزارة قرابة أسبوع بسبب تصارع الزعماء ورجال السياسة فيا ينهم (١) ، واستطاع آخو الأمر بريسو Brisson تشكيل وزارة في ٢ من أبريل ١٨٨٥ تولى هو وزارة العدل فيا يجانب رياسة مجلس الوزراء . أما منصب وزير الخارجية فيها فقد شغله دى فريسينيه (٢) de Freycinet

وفى غضون هذه الفترة التي ظلت فيها فرنسا بدون وزارة تعذر على السفير البريطانى في باريس أن يقدم اعتراضات حكومته على المشروع الفرنسي<sup>(1)</sup>. وكان

<sup>(</sup>۱) اعتبر مجلس النواب الفرنسي وزارة جيل فرى مسئولة عن الاخفاق اللى أصاب في ذلك الوقت الحملة الفرنسية في الصين وهزيمة القائد Négrier وسقوط لانج صن Lang-Son في أيلمي الوطنين الصينين . وكان رئيس الوزارة قد تقدم إلى الجلس في ٣٠ من مارس ١٨٨٥ بمشروع تقلون بفتح المهاد اضافي قدره ماتنا مليون فرنف المحلس الحملات المسكرية في الصين فرفض المجلس الخلقية والماد المستحربة في الصين فرفض المجلس المخلس المتعربة بعض هذا المشروع قبل أن بيناتش أو لا وقبل كل شيء مستجوابا عن مسلك الوزارة إزاء مسألة توزكين Trackin في المسين على أساس أن الوزارة أهملت في تزويد قادة القوات المقرفية في منطقة الشرق الاتصارات عسكرية . وحد ولهي الوزارة هذا التصرف من جانب مجلس النواب هزيمة لوزارته وخلانا لسياسته التوسعية الاستهارية ما الاسمان من من الله.

Doc. Dipl. Fr. ière Serie. Tome V. : انظر

<sup>.</sup> رئائق رقم ۲۲۷ ، ۲۲۹ ، ۲۲۲ ، ۲۶۳

<sup>(</sup>٢) عبد جرق Grévy رئيس الجمهورية الفرنسية إلى دى فريسينيه do Freycinet تأليف وزاوة جديدة تخلف وزارة جيل فرى ، ولكته أخفق في تكويمها . فعهد رئيس الجمهورية بهذه المهمة إلى كونستانر Constans ولكته فشل هو الآخر في تأليف الوزارة . فعرض رئيس الجمهورية على بريسو Brisson تأليف الوزارة فنجم بعد لأي .

<sup>(</sup>٣) لم تعمر وزارة Brisson طویلا إذ سرعان ما سقطت فی ٧ من پنایر ١٨٨٦ و خلفتها وزارة بریاسة دی فریسینیه de Proycinet لم تظل فی کرامی الحکیم سوی شهور معلودة إذ لقیت نفس المصیر فی ١١ من دیسمبر ١٨٨٦. و کان علم استقرار الوزارات فی فرنسا ظاهرة و اضحة التم بها تاریخ الجمهوریة الثالث فی فرنسا .

Blue Book No. 19 (1885) Part I. (§)

<sup>.</sup> وثيقة رتم ٢٠ عبارة عن برقية من لورد ليونر Eyous السفير البريطانى في باريس إلى لورد جرائفل وزير الحارجية البريطانية ومؤرخة في أول أريل ١٨٨٥

من رأى السفير أنه لا بد من إخطار وزير الخارجية الفرنسية بهذه الاعتراضات قبل أن تعقد اللجنة الفرعية جلستها التالية في ٢ من أبريل ١٨٨٥ . ولكن مرت الأيام سراعا ولم تكن قد تشكلت بعد وزارة جديدة في فرنسا . ولذلك أرسل السفير مذكرة شفوية note verbale مؤرخة في ٣ من أبريل ١٨٨٥ إلى الحكومة الفرنسية بالطريق العادي(١) .

وقد جاء في هذه المذكرة أن لورد جرانفل وزير الخارجية البريطانية قد أرسل مذكرة مؤرخة في ٢٧ من مارس ١٨٨٥ إلى وادنجتون Waddington أرسل مذكرة مؤرخة في ٢٧ من مارس ١٨٨٥ إلى وادنجتون متى أية دولة عملة في لجنة باريس الدولية أن تقترح إدخال تعديلات أو إضافات يكون المدف منها استكمال وتطبيق الأسس الواردة في المنشور البريطاني المؤرخ في ٣ من يناير جديدة خاصة بتموين السفن الحربية في الفتاة ، ولكن الحكومة البريطانية لا ترى إطلاقا أنه بمقتضى تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ عتى لمندوبي الدول في المبعنة الدولية صياغة أي اقتراح جديد يكون خارجا عن نطاق الأسس الواردة في ١٨ من مارس ١٨٥٥ عتى لمندوبي الدول في ١٨ من مارس ١٨٥٥ عتى لمندوبي الدول في المنجنة الدولية صياغة أي اقتراح جديد يكون خارجا عن نطاق الأسس الواردة في ١٨ من مارس المدول المريطاني المشار إليه .

ثم مضت المذكرة البريطانية تقول إن الحكومة البريطانية قد علمت من وفدها في جلنة باريس الدولية بأمر مشروع المعاهدة الذى قدمه المندوبان الفرنسيان في أول اجتاع لهذه اللجنة . وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية لا ترغب إطلاقا في أن تسبق مناقشات اللجنة إلا أنها ترى لزاما عليها أن تقرر أن في بعض مواد هذا المشروع خروج على الأسس الواردة في منشور ٣ من يناير ١٨٨٣ إلى حد أنه يصعب على المندوبين البريطانيين أن يشتركا في مناقشته طبقا البتعليات الصادرة الهما في هذا الشأن . ولهذا أدادت هذه الحكومة أن توضع للحكومة الفرنسية

Blue Book No. 19 (1885) Pprt L (1)

وُنْيَقَةَ رَمَّ ٩ ﴾ عبارةً عن مذكرة من لورد ليونز السفير البريطانى فى باريس إلى لورد جرائفل وزير المفارسية البريطانية ومؤرسة فى ٣ من أبريل ١٨٨٥

قبل اجتماع اللجنة الفرعية المحلد له ٢ من أبريل ١٨٨٥ الأسباب التي من أجلها ترى أن بعض مواد المشروع قد «تجاوزت النطاق المحلد لأعمال اللجنة ».

وقبل أن توضح المذكرة المآخذ التي تراها على المشروع الفرنسي مرت مرورا سريعا على المنشور البريطاني المؤرخ في ٣ من يناير ١٨٨٧ لتكون المقارنة محكمة بين المشروعين الفرنسي والانجليزي . فقالت إن الاقتراحات الواردة في هذا المنشور مبنية على مبدأ أساسي يتلخص في وضع ترتيب توافق الدول بمقتضاه على الرتكاب أي عمل من شأنه إعاقة حرية الملاحة في قناة السويس وأن تتقيد بهذا التعهد الدولة صاحبة الاقليم the territorial Power ولا يسمح لهذه الدولة بالمتحلل من هذا القيد إلا في حالة واحدة هي حالة الدفاع عن الاقليم وهر حتى مستمد من سيادتها على مصر وقد طالب الساهان بهذا التحفظ وجمل الأخذ به شرطا لموافقته على مشروع المعاهدة (١) .

وانتقلتُ المذكرة إلى توضيح المُآخذ على المشروع الفرنسي فقالت :

أولا: إنه ينطوى على تدخل فعلى فى شنون القناة ويأخد هذا التدخل فظهرين أحدهما تكوين لجنة دولية يعهد إليها بحماية القناة ومراقبة تنفيذ المعاهدة . والآخو تحويل الدول المتعاقدة الحق فى أن ترابط كل منها بسفينتين عند مدخل القناة (المادتان الثالثة والرابعة ) .

ثانيا : إنه يفرض على الدول النزامات ضهان دولى ، إذ نص على أن تلتزم الدول المتعاهدة بعدم تعطيل حرية المرور في القناة وأن يقوموا من جانبهم بما يكفل

<sup>(1)</sup> تشير الحد كرة البريطانية إلى التصفيط اللدى أورده موزوروس باشا سفير تركيا في لندن حين وقع ياسم حكومته على تصويح كندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ فقد قرن توقيمه بتصفيلين كان أحدهما المطالبة بأن يدوج في الاتفاقية التي تسدما لجنة باريس فسيا يشور أن و لحكومة حضرة صاحب الجلالة الامبر اطورية السلطان الحق المطلق في المخاذ الاعبر اداث للضرورية للدفاع عن مصر سواء ضد هولة متحاربة أو في مصر قصبها في حالة الاضطرابات الداخلية ، انظر :

الكتاب الأزرق مصر رتم ١١ لسنة ١٨٥٥ وثيثة رتم ١ وموفقها . الكتاب الأزرق مصر رتم ١٧ لسنة ١٨٥٥ وثيثة رتم ٧٨ وموفقها . الكتاب الأزرق مصر رتم ١٩ لسنة ١٨٥٥ وثيقة رتم ٧٣ وهوفقها .

احترام ذلك ، ولم يقف المشروع الفرنسى عند هذا الحد بل مد الضهان نفسه إلى ترعة الماء العذب . . التي يجب حمايتها من أية محاولة لتعطيلها ، . ( المادة الأولى ) .

ثالثا : أنه يخول للدول الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ الحق في أن تحدد الاجراءات التي تتخذ في حالة عجز الحكومة المصرية عن تدبير الوسائل الكافية للدفاع عن مصر أو العمل على احترام نصوص المعاهدة (المادة السادسة).

وخلصت المذكرة من ذلك إلى أن هذه المقترحات لا تستهدف استكمال تنظيم مبنى على الأسس الواردة فى منشور لورد جرانفل ولكنها تضمين لمشروع جديد يقوم على مبدأ مضاد<sup>(1)</sup> .

تدل هذه المذكرة على أن الحكومة البريطانية لا تزال عند رأيها فهى فصر الاصرار كله على أن يلتزم أهضاء لجنة باريس الدولية النطاق اللى حددته لهم في منشور لورد جرانفل . كما أن هذه المذكرة تحمل معنى التهديد بانسحاب الحكومة البريطانية من اللجنة إذا أصرت فرنسا على مناقشة المواد المعترض عليها والثي وردت في المشروع الفرنسي إذ تقرر المذكرة البريطانية أنه يصعب على المندوبين البريطانين — طبقا للتعليات الصادرة إليهما — أن يشتركا في مناقشة هذه المواد .

وعلى الرغم من أن الوزارة الفرنسية الجديدة وهي وزارة بريسو Brisson لم يكن قد تم تشكيلها ، بل إنهاكانت لا تزال في عالم الغيب ، إذ لم يكن في استطاعة أحد أن يتكهن إذاكان بريسو سينجع في تشكيل وزارة أو سيفشل كما فشل من قبل كل من دى فريسينيه de Freycine وكونستانز Constans في تأليف وزارة تخلف وزارة جيل فرى – فقد فوجئت السفارة البريطانية في باريس في مساء ٥ من أبريل ١٨٨٥ بتلتي مذكرة تحمل توقيع جيل فرى رئيس الوزارة الفرنسية المستقيلة

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق رتم ١٩ استة ١٨٨٥ الحزء الأول. مرفق الوثيقة رتم ٤٩ سالفة الذكر.

ردا على المذكرة البريطانية . وكان الرد الفرنسى عبارة عن مذكرة شفوية note verbale أيضا ، وقد وقعها جيل فرى على أساس أنه لا يزال يصرف الأمور الهامة العاجلة إلى أن يتم تأليف وزارة جديدة تخلف وزارته(١).

قالت الحكومة الفرنسية في مذكرتها أنها متفقة مع الحكومة البريطانية على أن المبادىء الواردة في منشور لورد جرائفل سوف تظل الأساس الذي تقوم عليه الاتفاقية التي عهد إلى اللجنة الدولية باعدادها وصياغتها . وأكدت أن المواد التي وردت في المشروع الفرنسي ليست خارجة عن نطاق تلك المبادىء بل هي توضيح طبيعي لما ولا تستهدف سوى ضهان تطبيقها من الناحية العملية .

وتعرضت المذكرة الفرنسية للمفاضلة بين المشروعين الفرنسي والبريطاني ينص على حون أن تتعرض لتدويل قناة السويس ، فقالت إن المشروع البريطاني ينص على تهد الدول بعدم ارتكاب أى عمل يؤدى إلى إعاقة الملاحة في قناة السويس . أما المشروع الفرنسي فلم يأخذ بهذا المبدأ فحسب بل عمل على تدعيمه فنص على أن المتخل الدول المتعاقدة للعمل على احترام تنفيذ مواد الاتفاقية المقترحة . وخرجت المذكرة من هذه المفاضلة فقالت إنه لا يمكن القول بأن الحكومة الفرنسية باقتراحها مثل هذا التدخل — وقد قصرته على حالات معينة وبشروط عددة — تنصرف مثل هذا التدخل المبدأ الذي ورد في المنشور البريطاني . ولا يراد من اللجنة سوى أن تنص على الاجراءات التي تتخد لمنع الاخلال بالقواعد التي يتم الاتفاق عليها .

وقد نفت المذكرة الفرنسية أيضا وجود أى نص فى المشروع الفرنسى يمس الحقوق المقررة لمصر فيا عدا حق الاتفاق وقد وافقت عليه هذه الدولة من بادىء الأمر لمصلحة حرية الملاحة فى قناة السويس .

واختتمت الحكومة الفرنسية مذكرتها بقولها إن اللجنة الفرعية سوف تناقش المقترحات المختلفة التي ستعرض عليها للدراستها . وستقوم اللجنة العامة بعد ذلك بمراجعة قراراتها وستكون مهمتها بعد ذلك محدودة لا تعدو عرض مشروع المعاهدة

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء الأول .

وثیقة دتم ٥٢ من لورد لیونز السفیر البریطانی فی باریس إلی لورد جرانفل وزیر الحارجیة البریطانیة ومؤرخة فی ٢ من آبریل ١٨٨٥

على الدول : وخلصت الحكومة الفرنسية فى مذكرتها من ذلك كله إلى أنه ليس هناك أى ضرر إذا نوقشت فى لجنة باريس المواد المعترض عليها فى المشروع الفرنسى والتى أشارت إليها الحكومة البريطانية فى مذكرتها ، لأن مناقشات أعضاء هذه اللجنة ئن تربط الحكومة البريطانية أو أى حكومة أخرى ممثلة فى لجنة باريس المدلية بأى قيد أو أى التزام على أى نحو من الأنحاء وبأية صورة من الصور (١٠).

والواقع أن مسارعة الوزارة الفرنسية المستقيلة إلى إرسال هذا الرد يدل على براعة اللبلوماسية الفرنسية. فان جيل فرى - كما سبق أن ذكرنا - قد قدم استقالة وزارته في مساء ٣٠ من مارس ١٨٨٥ إلى جريني Jules Grévy ويُس الجمهورية الفرنسية ، وبقيت فرنسا بدون وزارة قوابة أسبوع إذ تعذر تشكيل وزارة أخرى تخلف وزارته وتواجه الموقف العسكرى المدقيق الذي كانت تصكيل وزارة الجديدة مواجهة الموقف الذي آلت إليه مشكلة قناة السويس : فقد قدمت فرنسا إلى لجنة باريس مشروعا للاتفاقية المنشودة ، وأثار هذا المشروع ثائرة الحكومة البريطانية ، ومن ثم أرسلت مذكرة يشتم منها عزمها على الانسحاب من فرنسا على الأخذ بالمشروع الفرنسي . وهذا المشروع - فوق التحديلات التي ارتاها . ومن ثم أرسل المذكرة الفرنسية الشفوية في ه من التعديلات التي ارتاها . ومن ثم أرسل المذكرة الفرنسية الشفوية في ه من أبريل مهمه وتألفت الوزارة الجديدة في اليوم التالى . والمدراسة الفاحصة أبديل المذكرة توحى بأن جيل فرى كان يهدف منها إلى تحقيق ثلاثة أغراض رئيسية غيا يأتى :

أولا : القضاء على أى احتمال خاص بانسحاب الحكومة البريطانية من لحنة باريس احتجاجا على بعض المواد التى وردت فى المشروع الفرنسى . فالحكومة الفرنسية لم تغلق الباب فى وجه الحكومة البريطانية بل مدت يدها إليها حين قورت

<sup>(</sup>۱) الكتاب الأزرق وقم ۱۹ استة م۱۸۸ الجزء الأول .

أنها متفقة مع الحكومة البريطانية على أن تظل المبادىء الواردة فى منشور لورد جرانفل دستورا للجنة باريس الدولية .

ثانيا : إشاعة الطمأنينة فى نفس الحكومة البريطانية حين قررت الحكومة الفرنسية فى مذكرتها أنها لا تبغى التدخل فى شئون مصر ولا المساس بحقوقها المقررة وأنها لا تنهج نهجا يتعارض مع المبادىء الواردة فى منشور لورد جرانفل .

ثالثا : حاولت الحكومة الفرنسية أن تجد فكاكا من القيد الذي أرادت الحكومة البريطانية فرضه على أعضاء لجنة باريس حين أصرت هذه الحكومة على أن تكون مناقشات اللجنة في نطاق الأسس الواردة في المنشور البريطاني واستندت الحكومة الفرنسية في هذه المحاولة إلى أن أبحاث لجنة باريس لا تسفر إلا عن مشروع معاهدة لا يقيد الحكومة البريطانية أو أية حكومة أخرى ممثلة في اللجنة بأى التزام أو قيد .

وقد نجمت الدبلوماسية الفرنسية في خطفها إذ رأى السفير البريطانى في باريس أن المذكرة الشفوية التي أرسلها إلى الحكومة الفرنسية ورد هذه الحكومة عليها كافيان في نظره لاتخاذ الحيطة ضد أى زعم قد يثار مستقبلا بأن الحكومة البريطانية قد أقرت أن المشروع الفرنسي يتمشى مع المنشور البريطانى . كما رأى السفير أيضا أن يقدم سير جوليان بونسفوت المحالات Sir Julian Pauncefota المندوب الأول في الوقد البريطاني و وذلك في أول جلسة تعقدها اللجنة الفرعية اعتراضات الحكومة البريطانية على بعض المواد الواردة في المشروع الفرنسي والتي ترى الحكومة البريطانية على بعض المواد الواردة في المشروع الفرنسي والتي ترى جوليان بونسفوت هذا الحد بحيث لا يحتج على اللجنه إذا رأت المضيى في مناقشة المواد التي تعترض عليها الحكومة البريطانية، لأن مثل هذا الاحتجاج قد يؤدى في رأى السفير إلى انفقهاض اللجنة وعودة أعضائها إلى بلادهم . وقد أسر السفير بهذه الآراء إلى وزير الخارجية البريطانية وإلى عضوى الوفد البريطاني في خية باريس . وقد أخر أحد الجريس . وقد أخذ ثلاثهم بها (الا

<sup>(1)</sup> الكتاب الأزرق مصر رقم ١٩ كسنة ١٨٨٥ الجؤر، الأولى .

والحق إن الدبلوماسية البريطانية أرادت أن تفرض اتجاهاتها في مجال السياسة الدولية إزاء مشكلة هامة وخطيرة هي مشكلة قناة السويس والتي أطلقت عليها المحكومة الفرنسية المشكلة الأوربية الكبرى Ja Grand Problème Enropéen كانت الحكومة البريطانية تنظر إلى قناة السويس على أنها طريق أسامي للمواصلات كانت الحكومة البريطانية فيا وراء المجار ولل تم الاحتلال البريطانية فيا وراء البحار ولما تم الاحتلال البريطانية فيا وراء البحار ولما تم الاحتلال البريطانية مصر استغلت الأمر الواقع ، ومن ثم عكف خبراؤها في وزارات الحارجية والحرب والبحرية على وضع المبادىء التي تكفل صون مصالحها السياسية والعسكرية والاقتصادية وقد أدرجت هذه المبادىء في منشور لورد جرانفل المؤرخ في ٣ من يناير ١٨٨٣ وأبلغته وقتثلا إلى المدل الكبرى . فبريطانيا هي التي انفردت دون غيرها من المدول بوضع هذه الملول الكبرى . فبريطانيا هي التي انفردت دون غيرها من المدول بوضع هذه من طرف خني وبأسلوب دبلومامي مهذب جيل فرى رئيس الوزارة المفرنسية من طرف خني وبأسلوب دبلومامي مهذب جيل فرى رئيس الوزارة المفرنسية كانت تلتزم من طرف خني وبأسلوب دبلومامي مهذب جيل فرى رئيس الوزارة المفرنسية كانت تلتزم من عرف هذه المسائل المصرية بمبدأ التضامن الدولي وأنها لم تستقل بنفسها عند بحث هذه المسائل .

والواقع أن الحكومة البريطانية لم تقنع بأنها انفردت بوضع تلك المبادئ. بل أرادت أن تجعل من هذه المبادئ مستورا القناة تفرضه على الدول النمانية التي اشتركت معها في عضوية لجنة باريس الدولية.،ثم أرادت أن تسير في الشوط إلى مداه فأبت على أعضاء اللجنة أن يتناقشوا في ما هو خارج عن هذه المبادئ. فكأن الحكومة البريطانية قد فرضت على مندولي المدول أن يتباحثوا داخل نطاق معين رسمت هي حدوده وحينت معاله.

ولكنها لم تستطع داخل اللجنة أن تمضى ليل نهاية الشوط ، إذ واجهت تكتلا متاسكا متراصا من الغالبية العظمى من اللول الأعضاء فى اللجنة وظهر الصراع

 <sup>(</sup>١) الكتاب الازرقىم رقم ؛ لمنة ١٨٨٤ وثيثة رقم ٩٧ من وادنجتون الدغير الفرقسى فى
 لندنا إلى لورد جزائقل وزير الخارجية البريطانية ومؤومتة فى ١٧ من يناير ١٨٨٥ وانظر أيضا
 الكتاب الآزرق مصر رقبهه ١ لمستة ١٨٨٥ وثيقة يتم ٢٤

السياسي أعنف ما يكون بين فرنسا والدول المضالعة معها وبين بريطانيا حول تدويل قناة السويس .

## أهداف التدويل وموقف الدول منه:

كان أخطر ما جاء به المشروع الذى قلمته الحكومة الفرنسية إلى بلحنة باريس الدولية هو تدويل قناة السويس تحت ستار إنشاء رقابة دولية على القناة تتمثل في قيام لجنة دولية تكون بمثابة منظمة دولية ، تتخذ بور سعيد مقرآ لها ، وتنتظم اللول السبع الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ ، وتحتص بشتون القناة ، وتتبعها أجهزة عسكرية وفنية وسياسية وإدارية ، وتحويلها سلطات متشعبة وخطيرة تمكينا لها من مزاولة اختصاصاتها ، وتجب سلطتها جميع السلطات في مصر سواء سلطة الحكومة المصرية أو سلطة شركة الفناة أو سلطة الاحتلال البريطاني ، وتحارس نشاطها على مدار السنة .

ويلاحظ أن الحكومة الفرنسية قد استخدمت الدهاء السياسي في صياغة مشروعها فتحاشت عبارة و تدويل القناة و واكتفت بذكر واللجنة الدولية و ولكن كان في تشكيل هذه اللجنة وفي اختصاصاتها المتعددة ما يجعل المشروع الفرنسي في لحمته وسداه تدويلا لقناة السويس كما شاء الدهاء السياسي الفرنسي ألا يدمج جميع نقاط تدويل القناة في مادة واحدة بل وزع هذه النقاط بدرجات متفاوتة على ثلاث مواد هي الثالثة والرابعة والحامسة كما سنري بعد حين

استهدف الحكومة الفرنسية عدة أغراض من تدويل قناة السويس ، أرادت ضرب التفوذ المتفوق الانفرادى الذى تتمتع يه بريطانيا في مصر بوجه عام وفي منطقة قناة السويس بوجه خاص نتيجة الاحتلال البريطاني ، ورغبت في أن تستبدل بهذا النفوذ البريطاني نفوذا دوليا تشترك فيه جماعة الدول الأوربية ، لأنه إذا حيل بين بريطانيا وما تشتيه من استمرار انفرادها بالسيطرة على قناة السويس يتلاشى السبب الرئيسي الذي يدعوها إلى التمسك بالبقاء في مصر يريضاف إلى نتلاشي السبب الرئيسي الذي يدعوها إلى التمسك بالبقاء في مصر يريضاف إلى ذلك أن فرتساكان يحدوها أمل قوى في أن يكون تدويل القناة خطوة في سبيل نتدويل المقالة المصرية برمتها بحيث تكفل بصفة نهائية وحاسمة المصالح الأوربية

وتكون لهذه المصالح الغلبة على المصالح القومية في مصر، وكان قد كثر الحديث في العواصم الأوربية في تلك السنوات عن تدويل المسألة المصرية تارة ، وتدويل المكومة المصرية تارة أخرى ، وحيدة مصر تارة ثالثة . وحسبنا أن نشير هنا إلى تصريح خطير أدلى به جيل فرى Jules Perry رئيس الوزارة الفرنسية أمام البراان الفرنسي بجلسة ٢٣ يوليو ١٨٨٤ عند مناقشة المسألة المصرية إذ قال وربية ، فهي في نظر هذا السياسي الذي يطاق عليه أب الاستمار الفرنسي وربية أوربا، وأوربا هي التي نظمت القضاء فيها ، وأوربا هي التي أصلحت أرض أخصبتها أوربا، وأوربا هي التي نظمت القضاء فيها ، وأوربا هي التي أصلحت النها على الملك المعدي المعامد في مساسة تدويل مصر وجود أنظمة ومؤسسات المخاطة وصندوق الدين العموى وقانون التصفية وكانت هذه الأنظمة بمثابة ركائر فوية تستند اليها فرنسا في تدويل مصر كا كانت تزى في قناة السويس ، مشروعا فاطابع عالمي وأوربي .

هذه الأهداف هي التي أملت على حكومة فرنسا تدويل القناة ولكنها لم تقف عند هذا الحد بل طالبت في المشروع الذي تقدمت به إلى لجنة باريس الدولية بتحريم مجموعة من الأعمال الحربية والسياسية نذكر منها على سبيل المثال إقامة أية تحصيدنات عسكرية على القناة أو في المنطقة الحباورة لها أو احتلال أية نقطة تشرف على مدخليها احتلالا عسكريا كما عملت على القضاء على أية محاولة قد تقوم بها حكومة بريطانيا مستقبلا لتدعيم مركزها في منطقة قناة السويس فيقرر المشروع الفرنسي ألا تسعى اللول المتعاقدة للحصول على أية منفعة إقليمية أو تجارية أو امتياز في الترتيبات التي قد تتم مستقبلا فيا مختص بموضوع قناة السويس.

وعارضت الحكومة البريطانية بكل عنف تدويل قناة السويس ، وتمسكت بحقوق الحكومة المصرية في ممارسة واجبائها سواء في الدفاع عن القناة ، أو في

 <sup>(</sup>١) دكتور محمد مصطفى صفوت: الاحتلال الاتجليزي لمصر وموقف الدول الكبري إزاءه.
 القاهرة ١٩٥٧ ص ٨١.

تنفيذ المعاهدة المقترحة ، أو في تنفيذ لواقع الشرطة على السفن التي تجناز القناة .
وصرحت بأن في تدويل المقناة أو قيام رقابة دولية من أى نوع على المقناة مساسا بحقوق الحكومة المصرية على إقليمها . ولم تكن هذه المعارضة بريئة خالصة تستهدف أصلا الملفاع عن حقوق مصر ، ولكنها كانت معارضة مغرضة تنبثق من صميم المصالح البريطانية . فقد أرادت أن تقضى على محاولة فرنسا والدول الفسالعة معها لتدويل منطقة المقناة ، لأن هذه المحاولة إذا نجحت فانها تعصف بنفوذ بريطانيا الانفرادى في هذه المنطقة . وعارضت الحكومة البريطانية تدويل المقناة أيضا المحربة سواء في منطقة القناة أو سائر أجزاء الاقليم المصرى إنما ينتقل من الناحية المواقعية العملية من يد الحكومة المصرية إلى يد الحكومة البريطانية بطريق غير مباشر بحكم احتلالها لمصر وسيطرة أجهزة الاحتلال على الحكومة المصرية ، والأن كل قيد يوضع على حرية الحكومة المصرية في التصرف في منطقة القناة إنما هو كل قيد يوضع على حرية الحكومة المصرية في التصرف في منطقة القناة إنما هو قيد على الحكومة البريطانية طالماكان الاحتلال على الحكومة المصرية ، والأن

ووقفت إيطاليا إلى جانب بريطانيا في معارضتها لتدويل القناة على الرغم من أن إيطاليا كانت إحدى دول التحالف الثلاثى الذى يتكون من ألمانيا والنمسا والمجر، لأن الحكومة البريطانية لم تعارض نمو الاستعبار الايطالى في شرق أفريقيا وخاصة في منطقة مصوع ، كما كانت هذه الحكومة تعطف على آمال الشعب الايطالى في طرابلس، ولذلك كانت إيطاليا جد حريصة على عدم إغضاب بريطانيا فيا يختص بمسألة هامة وحاسمة مثل تدويل قناة السويس. وفضلا عن ذلك فلم تكن العلاقات بين فرنسا وإيطاليا علاقات ودية بسبب نشاط فرنسا في الفاتيكان وهو أمر اعتبرته الحكومة الايطالية يهدد الدولة الايطالية الناشئة ويعد أن بسطت فرنسا حمايتها على تونس سنة ١٨٨٨ ورأت إيطاليا أن هذا العمل الحربي إذلال حديد لما وكانت تحتى امتداد النفوذ الفرنسي إلى بقية شهال أفريقيا : طرابلس ومراكش وكانت ترى أن سواحل البحر المتوسط وليست سواحل المبحر الأحمر هم المجال المديدي والطبيعي للاستعار الإيطائي . ولذلك ابتهجت إيطاليا حين رأت أن الاحتلال البريطاني ضربة أبحة موجهة للنفوذ الفرنسي في المجعر المتوسط .

أما الحكومة الفرنسية فقد استطاعت أن تشد اليها في موقفها الغالبية العظمى من الدول الأعضاء في لجنة باريس الدولية ، وكان في مقدمة هذه الدول ألمانيا والنيسا والحجر ، فضت تؤيد في حاس بالغ تدويل الفناة، وكان يؤلف بين هذه الدول بوجه عام — داخل اللجنة — عامل الرغبة في القضاء على النفوذ المنفوق الذي تنفرد به بريطانيا في القناة ومنطقتها ، والذي كان يتبح لها ألوانا من التحكم والسيطرة على القناة باعتبارها أقصر وأسرع وأسهل طريق يصل بين دول أوربا وبين ممتلكاتها فيا وراء البحار في وقت اشتدت فيه حدة التنافس الاستعارى بين الدول الأوربية ، وفي وقت رصدت فيه الدول ميزانيات ضخمة التسليح ، وفي وقت نشطت فيه الدول الكبرى في الدخول في عالفات لتكتسب مزيلا من التفوق الحربي والسياسي والاقتصادي .

ويجانب هذه الأسباب العامة كانت توجد أسباب خاصة بالدول الأوربية الكبرى جعلتها تؤيد تدويل القناة . أما ألمانيا فقد سبق أن تكلمنا عن تأزم العلاقات السياسية بينها وبين بريطانيا، لأن الأخيرة وقفت في وجهها حين أرادت أن تنطلق في ميادين الاستعار سواء في أفريقيا أو في الاقيانوسية . أما روسيا فانها لم تنس الموقف الذي وقفته منها بريطانيا بعد معاهدة سان استفانو (٣ مارس ١٨٧٨ ) وفي مؤتمر برلين (١٣ يونيو -- ١٣ يوليو ١٨٧٨) وبعد أن أخلت بريطانيا جزيرة تبرص في نفس العام وأصبحت في موقف حربي تستطيع أن تشرف منه على آسيا الصغرى وأرمينيا وهمال الشام . وكانت الحكومة البريطانية تكافح النفوذ الروسي على حدود الهند مكافحة لا هوادة فيها . وكادت الحرب تنشب بين بريط نيا وروسيا من أجل أفغانستان في شهرى أبريل ومايو ١٨٨٥ أى في نفس الوقت الذي كان يعرض فيه تدويل القناة على لجنة باريس، بل إن الجيوش الروسية اقتحمت حدود أفغانستان وهددت الهند حتى أن دى ستال de Staal السفير الروسي في لندن كان يتوقع قطع العلاقات بين الدولتين «كأمر محتمل جدا» فالحكومة البريطانية كانت قد طلبت رسميا سحب القوات الروسية التي تحتل المناطق المتنازع عليها على حدود أفغانستان . ورفضت الحكومة الروسية هذا الطلب . وأشار العسكريون البريطانيون على حكومتهم بانتهاز هذه الفرصة ودخول الحرب لأعطاء

الروس درسا قاسيا . إذكانوا يعتقدون أن القوات البريطانية على حدود أفغانستان متفوقة عددا وعدة على القوات الروسية ، وأن أهل أفغانستان يؤيدون الانجليز قلبا وقالبا . وكان لورد دوفرين Dufferia السفير البريطانى في الآستائة قدرقى نائبا للملكة في الهند . وكان هذا الحاكم العام الجديد للهند يشاطر العسكريين البريطانيين آراءهم في وجوب ضرب الروس فورا .

ويلاحظ أن وزارة الأحرار البريطانية كانت تواجه في ذلك الوقت موقفا عاصفا أمام البرلمان الانجليزى بسبب تدهور الموقف في السودان على أثر مقتل الجنرال غوردون وسقوط الخرطوم في آيدى أتباع المهدى . وكان بعض أعضاء السلك الدبلوماسي الأجنبي في لندن في ذلك الوقت يرون أن الحرب وشيكة الوقوع به تلكما الدولتين العملاقتين . وكان من رأى الكونت كارولى الامتراطورية النساوية الجزية في لندن أن الوزارة البريطانية تجد في دخول الحرب ضد الروسيا غرجا لها من هذه الأزمة العارمة التي قد تعصف بها – وقد عصفت بها فعلا – لأن كل المشكلات السودانية وما يتمخض عنها تتوارى وتهون أمام صراع رهيب تخوضه بريطانيا ضد الزوسيا إذ تنصرف كل الجهود نحو المجهود الحرب (١٠) . فكانت روسيا تريد أن تثأر لنفسها من بريطانيا ولم تكن تميل على المطلاق ليسبر مهمة بزيطانيا في مصر وهكذا ألف بين فرنسا وروسيا شعور مشترك بالعلاوة إذاء بريطانيا .

أما النمسا والمجر فعلى الرغم من أنه لم تكن لهذه الامبراطورية مصالح سياسية هامة في مصر بل كانت مصالحها بها مالية تجارية إلا أنها كانت بحكم التحالف الثنائي الذى ارتبطت به مع ألمانيا منذ سنة ١٨٧٩ تؤيد برلين فيا يختص بالمسائل غير الآوربية وخاصة مسألة مصر. وكانت هذه الامبراطورية — كدولة دائنة — ممثلة في صناوق الدين العموى في مصر وكانت بحكم هذه العضوية تشترك في الاشراف على المشون المالية في مصر.

<sup>(</sup>١) أنظر بخصوص هذا الموضوع .

ومن الغريب أن تركيا انساقت بجهالة وقصر نظر وراء فرنسا والدول الأوربية الأخرى فأيدت تدويل القناة تحت ستار إنشاء الرقابة الدولية على القناة ، ظنا منها أن هذه الرقابة ستؤدى إلى إنهاء الاحتلال البريطاني لمصر ، وتناست أن هذه الرقابة الدولية أمرشديد الخطورة على مصالح تركيا ومصر على السواء ، وأنها تتعارض تعارضا صارخا مع السيادة العبَّانية على مصر ، وهي السيادة التي حرص المندوب التركى في بحنة باريس على المطالبة بتأكيدها في مواد المعاهدة المقترحة لقناة السويس . وكان هذا المندوب لا يطيق ذكر اسم الحكومة المصرية أو خديو مصر **في مناقشات اللجنة أو في**مواد المعاهدة ، بل أنه عارض فيأن يوقع مندوب مصر على مضابط الجلسات بحجة أن صوته استشارى فلا يحق له أن يقف على قدم المساواة مم أعضاء اللجنة الدولية الذين يبحثون أمرا يتصل بمرفق مصرى قام في أرض مُصرية بفضل الأموال المصرية والسواعد المصرية . لقد كأن في استطاعة الوفد التركى أن يستغل موقف الوفد البريطاني وينضم إليه في معارضة قيام الرقابة الدولية ومن المؤكد أنه كان يجد في الوفد البريطاني نعم النصير , وليس معني هذا أنه كان على تركيا أن تقبل الأمر الواقع وهو الاحتلال البريطاني لمصر وترفض تدويل قناة السويس على أساس المفاضلة بين بقاء الاحتلال البريطاني الانفرادي وبين الاحتلال الجاعي فكلا النظامين شر مستطير ولون خطير من ألوان التدخل الأجنبي في شثون مصر ي

وهكذا أيدت تدويل القناة كتلة متراصة من الدول تتكون من فرنسا وألمانيا والروسيا والنمسا والمجر وتركيا وأسبانيا وهولندا وقفت كلها في جانب بينا وقفت في جانب آخر بريطانيا ومعها إيطاليا تعارضان التدويل .

أما مصر صاحبة القناة فكانت مسلوبة السلطة والارادة والكلمة في لجنة باريس وصوتها صوت استشارى . وكان الوفد التركى ينوب عن مصر ضمناً باعتباره مندوب الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر . وكان تدويل الخناة أمرا بالغ الحلورة على مستقبل مصر السياسي ووضعها اللوئى لأنه كان يؤدى إلى إنشاء نفوذ دولى جماعي يتألف من تسع دول هي الموقعة على اتفاقية الآستانة أو على أحسن تقدير سبع دول هي الموقعة على تصريح لنلن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ وكان من الحمد جلى من الموابة الموابة الموابة على المعتباً المنابقة الموابة على وكان من الحمد المدالة الموابة على

قناة السويس – على غرار ما حدث بالنسبة للجنة الدانوب الأوربية – وأن يستشرى نفوذها وينتمى بها الأمر إلى ممارسة السيادة الفعلية على قناة السويس ومنطقة القناة وتخومها والنقط العسكرية التى تسيطر على مداخلها بل ويمتد سلطانها إلى ترعة الماء العدب التى تخرج من القاهرة وتغذى منطقة القناة وتنتحل لنفسها أسبابا للتدخل استاعا إلى مواد وردت فى صلب المعاهدة (1) وإلى أن فى مقدمة واجبات بحنة الرقابة الدولية مراقبة تنفيذ أحكام المعاهدة .

## تشكيل اللجئة الدولية واختصاصاتها الخطيرة:

جاء تشكيل اللجنة التي يعهد إليها الرقابة الدولية على قناة السويس متهشيا مع الأغراض التي توختها فرنسا ، ولهذا روعي تمثيل العناصر السياسية والعسكرية في عضوية اللجنة . فنص على أن تضم اللجنة مندوبين عن الدول السبع الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ تعييم حكومات دولم خصيصا للقيام بهذه المهمة ، كما تضم قواد السفن الحربية التي تتبع نفس هذه الدول والتي أجاز لها المشروع الفرنسي أن ترابط كل منها بسفينتين عند مصبي القناة في البحرين المتوسط والأحمر ، وتضم اللجنة أيضا مندوبا عن الحكومة العمانية وآخر عن الحكومة المانية وآخر عن الحكومة المعانية وآخر عن الحكومة المعانية وآخر عن الحكومة المعانية وآخر عن الحكومة المعانية وآخر عن الحكومة

أما اختصاصاتها فمتعددة ، كانت تشمل مهمة حماية القناة ، وملاحظة لواقح الملاحة والشرطة ، ومراقبة تطبيق نصوص المعاهدة المقترحة للقناة ضهانا لتنفيذها تنفيذا محايلها لصالح دول العالم قاطبة بدلا من تنفيذ أحكام المعاهدة على نحو يحدم مصالح دولة واحدة هي بريطانيا . ، والاتصال المباشر بالدول وإبلاغها بالاقترادات التي ترى أنها مناسبة لمضان تنفيذها ، وإصدار الأوامر للسفن الحربية التابعة للدول

<sup>(</sup>١) جاء في المادة الثانية لاتفائية الأستانه المبرمة سنة ١٨٨٨ أن ترعة الماء العلب لا على عبا المقناة البحثولة ، وسجلت الترامات الحكومة المصرية تجاء شركة فئاة السويس فيا يختص بتلك الترعة طبقا لاتفاق صابق عقد يبيها في ١٨٥من مارس١٨٦٨ . كا سبلت علمه المادة الترام اللمول المتماقعة بعدم المساس بأى شكل بسلامة تلك الترعة وفروعها الى لا يجوز أن تكون مهمها عملا لأية بحاولة التعليلها . فكل هذه المتصوف تفع آفاق فسيحة التعليلها . فكل هذه المتصوف تفع آفاق فسيحة التعليلها .

التى فى حالة حرب والتى تعتزم اجتياز الفناة على أن يلتزم قواد هذه السفن بالأوامر التى تصدرها اليها لجنة الرقابة الدولية النزاما صارما دقيقا .

وقد أفردت الحكومة الفرنسية المادة الرابعة من مشروعها لتشكيل لجنة الرقابة الملاولية وبيان اختصاصاتها . ومهدت لهذه الرقابة بجملة جاءت في ثنايا المادة الثالثة ، كا خصصت الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة لاستكمال اختصاصات لحنة الرقابة . وسنبدأ ببحث المادة الثالثة باعتبارها المدخل لنظام الرقابة الدولية أو المادة اليي تتضمن الركيزة العسكرية التي تمهد لقيام الرقابة الدولية ثم تسندها وتشد أزرها بعد إنشائها ، ثم نبحث بعد ذلك المادة الرابعة والفقرة الأخيرة من المادة الخامسة ونستعرض المناقشات والأسائيد التي أدلى بها المؤيدون والمعارضون لتدويل القناة . ولم تكن هذه الأسائيد في الوافع وما لابيها من مناقشات عنيفة إلا مظهرا لهلا المصراع المدراع اللذي انتقل إلى لجنة باريس واحتدم بين فرنسا وبين بريطانيا .

## مرابطة السفن الحربية عند مدخل القناة:

تعتبر المادة الثالثة في المشروع الفرنسي من المواد العسكرية ، وهي مادة ظاهرها الحرص على بقاء المجرى المائى لقناة السويس منطقة بحره على أية سفينة حربية أن ترابط فيها ، وباطنها التهيد لقيام الرقابة الدولية على القناة ، إذ أباحت أن ترابط كل دولة من الدول المتعاقدة بسفينتين عند مصبى القناة ، وكان هالم الترخيص بمهيدا الاشتراك قواد هذه السفن الحزبية في لجنة الرقابة الدولية التي جاء بها منطوق المادة التالية وهي المادة الرابعة . كما أن هذه المرابطة لسفن جربية تتميى إلى دول عديدة يترتب عليها من الناحة العملية نوج من الرقابة الدولية القيال والفهان لتنفيذ أخكام المعاهدة المقترحة ، إذ أن في مجرد وجود هذه السفن منا يحمل المنزو السفن فيها (17) النير على أحترام سلامة المتابقة بسفيلتين لكل دولة يضم قيدا على الحكومة البريطانية ينعها من أن تحشد في بور سعيد والسويس عددا كبيرا من وحدات أسطولها المغربي . . وقد كشف الوقد البريطانية باريس هذه المحاولة المسترة

<sup>🔾 (</sup>١) وكتور عبد الله رشوان : المركز الليولى لقناة السويس ونظائرها، القاهرة ١٩٥٠ . جي١٣٨

للاعداد لانشاء الرقابة الدولية وعارض مرابطة سفن حربية أجنبية أمام موانى القناة وأبدى أسبابا قوية وطلب قصر هذا الحق على الحكومة المصرية .

ويلاحظ أن الوفد الإيطانى الذى أيد الوفد البريطانى في معارضته لانشاء الرقابة الدول عادته فلافع بحرارة عن تقرير حتى الدول في المرابطة بسفنها عند ملخلي القناة . ولعل حلما جميلاكان يداعب خيال المندوبين الايطاليين كى يكون لايطاليا المنطر الدول الكبرى وأضعفها وقتذاك سفيلتان حربيتان ترابطان عند ملخلي قناة السويس تشاهدهما السفن العابرة للقناة في غدوها وواحها . وقد تحمس المندوبان الايطاليان في لجنة باريس لادراج المادة المقترحة في صلب المعاهدة تحمسا فاق تحمس مندوبي فرنسا والدول الضالعة معها .

عرض كاميل بارير Camille Barrère رئيس اللجنة الفرعية المادة الثالثة من المشروع الفرنسي للبحث في جلسة أول مايو ١٨٨٥ ، وهذا منطوقها

 ولا يبتى الأطراف السامون المتعاقدون أية سفينة حربية في مياه القناة . ويجوز فقط أن يرابطوا في مصباتها بسفن حربية خفيفة يجب ألا يتنجاوز عددها اثنتين لكل دولة .

 ومن المفهوم كذلك أن هذا النص لا يعرقل مرور السفن الحربية ، وهو المرور الذى يتم ، شأن مروركل السفن الأخرى ، طبقا للوائح المعمول بهابخصوص ملاحة القناة » .

"Les Hautes Parties Contractantes ne maintiendront dans les eaux du Canal aucun vaisseau de guerre. Elles pourront seulement faire s'atlonner oux embouchures des bâttments légers sous pavillon de guerre dant le nombre ne devra pas excéder deux pour chaque Pulssance".

"Il est d'ailleurs entendu que cette desposition ne fera pas obstacle au transit des bâtiments de guerre, transit qui s'effectuera, comme celui de tous autres navires, conformément aux Règlements en vigueur pour la navigation du Cazal".

وقد أوضح رئيس اللجنة الفرعية الضرورة التي أملت على الحكومة الفرنسية الهتراح هذه المادة ، فقال عنها إنها عنصر هن عناصر الأمان لجرية القناة ، وضهان ثلمول. المتعاقدة وللدولة صاحبة الاقليم Ia Puissance Territoriale ، واقترح على اللجنة أن تستكمل هذه المادة باضافة فقرة إليها تنص على منع الدول المتحاربة من ممارسة حتى مرابطة سفينتين من سفنها الحربية عند ملخلى القناة .

واعترض على هذه المادة سير جوليان بونسفوت المنادوب الأول في الوفد البريطاني على أساس أن مرابطة سفن حربية أجنبية عند ملخل القناة أمر ينطوى على مساس بحقوق الدولة صاحبة الاقليم . وبحأ المندوب البريطاني إلى طريقته التقليدية فتمسح بمنشور لورد جرانفل الصادر في ٣ من يناير متمشية مع هذا المنشور ، إذ أنه يستهدف وضع نظام لقناة السويس على أسس معينة وعمددة تحديدا واضحا ، وقرر أن المادة المقترحة تتعارض تعارضا جذريا مهراجة على أن تتخذ مهر وقت الحرب سائز التدابير التي في ساطتها لتنفيد مهراجة على أن تتخذ مهر وقت الحرب سائز التدابير التي في ساطتها لتنفيد المشروط التي توضع لمرور سفن الدول المتحاربة ، كما أن البند الثامن من نفس المشور نيص على أال البند الثامن من نفس المشور ينص على ألا تمس المعاهدة المقترحة حقوق الحكومة المصرية على إقليمها المشور ينص على ألا تمس المعاهدة المقترحة حقوق الحكومة المصرية على إقليمها عيث لا ينتقص شيء من هذه الحقوق إلا ما تنص عليه المعاهدة صراحة .

ومضى مندوب بريطانيا في معارضته فقال إن المادة المقترحة هي بمثابة ممهيد أو إعداد لقيام اللجمة المعولية التي نص المشروع الفرنسي على تشكيلها على خرار لجنة المدانوب بقصد حماية القناة ومراقبة تنفيذ الماهدة المنشودة . وقد أجيزت مرابطة السفن الحربية عند مصاب نهر المعانوب لكى تقوم بتنفيذ الأوامر التي تميدر إليها من لجنة جالاتر "Galats" . ولكن شركة قناة السويس تقوم تعيدر إليها من لجنة جالاتر "Galats" . ولكن شركة قناة السويس تقوم

<sup>(1)</sup> هي لمنة تشكلت تفييدا الاتفاقية عقدت في ٢ من نوفير ١٨٦٥ في مدينة جالائر وهي سيناه كير مل الدانوب في دومانيا . وقد هكلت لجنة جالائر لتنظيم الملاحة في هر الدانوب . وقد خولت مسابلات و إستقابائيرة مهمتها فأصيحت لها شخصية متييز تذات طابع دول تينج بالحجرانة ولا تستطيع دولة مسابلات من نفرذ وسلطات ماه الجمعة ، فيصيع موظن الجبينة بركاتباء والمهام التي تقوم بها على طول البرية بكرية عليه المحاسلات ماه القيمة ، وأصبحت ركاتها دولة ، فلها علمها الحاس بها ، ولما أن تباشر مطالعت الدولة في مناطق الهر وتضع الواقع وتفرض الجزارات ، وتشرف مل حركة الملاحة ، ولها أنسانية تائيس مع النب تناسب من حصيلة درمو ما لمور و تنقي ضاحل أعمال الديانة والتجمين .

انظر : دكتور مصطنى الحفناوى : قناة السويس ومشكلاتها المعاصرةُ ج ٣ . القاهرة : يوليو 1404 ص ٤١٦ه

بنفس الدور المخول لهذه اللجنة . وشركة القناة ليست فى حاجة إلى مرابطة سفني حربية تابعة لدول أجنية تتواجد عند مدخلي القناة .

وانتقل مندوب بريطانيا إلى أعمال الشرطة في منطقة القناة فقال إنها واجب يقع على عاتق الدولة صاحبة الاقليم La Puissance Territoriale دون سواها من الدول . أما حاية القناة زمن الحرب فقال إن المادة المقترحة تحدد سفنا خفيفة صغيرة الحجم للمرابطة عند مدخلي القناة ولا تستطيع مثل هذه السفين أن تقوم بدور فعال في هذا الشأن .

وأشار بطريق حنى إلى إوجاء البحث في هذه المادة لأنها وثيقة الصلة بالمادة التالية وهي المادة الرابعة من المشروع الفرنسي والتي تنص على إنشاء لحنة دولية بتولى حماية القناة ومراقبة تنفيذ المهاهدة . وقال إن مبادرة الأعضاء في ذلك الوقت إلى بحث المادة موضوع المناقشة إنما هو أمر سابق لأوانه لأنه إذا انتهت اللجنة إلى رأى سواء كان رأيا إيجابيا أو سلبيا قان هذا الرأى يؤثر بلا شك على وضع المادة التالية الحاصة بقيام الرقابة الدولية .

وتكلم سير ريفرز ولسن Sir Rivers Wilson المندوب الثانى في الوفد البريطانى فقال إن تحويل السفن الحربية الأجنبية حتى المرابطة عند مدخلى القناة يعتبر اعتداء على سلطة رجال الشرطة في مصر . وإنه طبقا البند السادس من منشور لورد جرانفل يكون لمصر وحدها دون سائر الدول حتى مباشرة أجمال الشرطة في القناة . وطالب بارجاء بحث هذه المادة حتى تنتهى اللجنة إلى رأى بخصوص إنشاء لحنة الرقابة الدولية التي نص عليها المشروع الفرنسي .

وقد ردكاميل بارير رئيس اللجنة الفرعية فقال إن هذه المادة أبعد ما تكون عنى المساس بحقوق الدولة صاحبة الاقلم ، بل إنها على النقيض ، ن ذلك تقييخ المساس بحقوق الدولة صاحبة الاقلم ، بن التمتع به في ذلك الوقت فيا يتعلق نقتاة السويس ، لأن الدول تستطيع في الحقيقة وواقع الأدر أن تحشد وأن تبقى عند مرفأ السويس وميناء بور سعيد أكبر خدد ممكن ثراه مناسبا من وحدات الأساطيل الحربية . ويكون هذا الحشد وهذا التجمهر وهذه المرابطة إجراء لا تحريم

أية معاهدة . أما المادة التي تقترحها الحكومة الفرنسية فتحد من تجمهر القوات اللبحزية الأجنبية وتحصر عددها في نطاق معين . وبذلك تسهم هذه المادة في إضفاء مزيد من الضيان لحرية المرور في قناة السويس<sup>(17)</sup> ولن يكون في استطاعة الدول مستقبلاً أن تحشد عند ملخلي القناة في البحرين المتوسط والأحمر أساطيل ذات حجم أكبر أو أصغر من الحجم والعدد المقررين لكل دولة من الدول المتعاقدة . ثم أضاف رئيس اللجنة إلى ذلك أن بجرد وجود سفن حربية عند مدخل القناة ثم أضاف رئيس المنجنة إلى ذلك أن بجرد وجود سفن حربية عند مدخل القناة يؤدي إلى منع أية محاولة تقوم بها دولة ما لتعطيل الملاحة في القناة عشية أو غداة إعلان الحرب . وخرج من ذلك إلى أن المادة المقترحة تنطوى على ضهان بالغ الأهمية ضدكل اعتداء قد يقع على القناة ، كما أن هذه المادة ليست لها صلة بالمادة أو المواد

Le Président émet l'opinion que l'Article III, loin de porter atteinte aux; droits. (1)
de la Puissance territoriale, donne, su contraire, au Sultan et à l'Egypte une garantie
dont dis sont aujourd'hui totalement privés en ce qui touche le Canal. Les Puissances,
en effet, peuvent réunit et maintenir, tant à Suez qu'à Port-Said, autant de bâtiments
qu'elles le jugent à propes, et cette manière d'agir n'est en contradiction avec aucen
Traité, L'Article proposé restreint cette faculté illimitée et, en la restreignant, il contribue
à garantir la liberté du cassance.

النظر الكتاب الآزوق مصر رقم 13 السنة 1400 اليلز- الثاني بمشهر وقم بطشة أول ماييز 1400 الهي به 140 بـ 140 بـ 140 بـ
 وقد ورد ملا النص في ص 127 بن مشهبلة الجلسة الملكورة :

ومراقبة تنفيذ المعاهدة . وتعرض البارون دى هان de Haan مندوب الفسا والمجر لمسألة مرابطة السفن الحربية عند مصاب نهر الدانوب فقال إن هذه المرابطة لم تؤد إلى قيام أية صعوبة على الرغم من أنه لم تظهر إلى ذلك الوقبت ضرورة ما للاستعانة بهذه السفن،ولكن مجرد مرابطتها عند مصاب نهر الدانوب قد أضفى ضهانا من الطراز الأول لحرية الملاحة فى هذا النهر ومحارسة أعمال الشرطة فيه .

وعاد سير جوليان بونسفوت يرد على المؤيدين لادراج تلك المادة في مشروع المعاهدة فقال إنه يعارض الرأى القائل بأن ترابط سفن حربية بصفة دائمة عند مدخل القناة ، وإنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيفضل أن تمنع منعا باتا حتى في أوقات السلم مرابطة السفن الحربية التي تلتي مراسيها أمام موانى القناة وتهدد مداخلها ، لأن مثل هذه المرابطة تنطوى على تدخل في شئون مصر الداخلية ، وقال إنه يرى الترخيص للسفن الحربية المصرية فقط بهذه المرابطة . ثم أشار المندوب البريطاني إلى ما أثاره البارون دي هانة de Haan متدوب النمسا والمجر بخصوص تهر الطونة ، فقال إن مرابطة سفن حربية بصفة دائمة عند مصاب، هذا النهر إنما هو تطييق للمادة البماسعة عشرةمن معاهدة باريس ١٨٥٦ ونعب المادة الثالثة التي وردبت في المشروع. الفرنسي الخاص بقناة السويس بأنها صورة أخرى من تلك المادة ﴿ وقال إن السفن الحربية التي يسمح لها بالمرابطة عند طرفي القناة إما أن تكون لها سلطة عددة مقررة تمارسها نيابة عن الدول المتعاقدة فيا يختص بأعمال الشرطة والمراقبة في قناة السويس ، وفي هذه الحالة يعتبر اختصاصها اعتداء صارخا على حقوق الدولة صاحبة الاقليم ، وأمرا يتعارض مع البنه السادس من منشور أورد جرانفل . وإما أن تكون هذه السفن مجردة من كل ساطة ، وفي هذه الحالة لا يكون هناك ما يبرر إمراجها في المعاهدة وتنتني علة وجودها raison d'être (١٠)م وطالب رمان Recessen المندوب الأول في الوفد الايطالي بضرورة إهواج المادة المقترحة في صلب المعاهدة وقال إنه في حالة عدم إقرارها تستطيع

<sup>(</sup>١) الكتاب الأورق ممبر رقم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء الأول وثيقة رقم ٧٧ من سير جو ليان يونسفون وسير ديفوذ ولسن إلى لورد جرائفل وزير الخارجية البريطانية موسلة من باريس وطورخة ق ٣ من مايو ١٨٨٥

أية دولة أن تحشد عند موانى القناة أى عند من السفن تمليه عليها مصالحها الخاصة . أما هذه المادة فتحدد عند وقوة السفن التي يسمح لها بالمرابطة , والمادة بهذا التهديد تعطى ضهاتا إضافيا لحرية المرور في القناة , وأضاف إلى ذلك أن هذه المادة لاتلزم كل دولة من النول المتعاقدة بأن ترسل سفينتين من سفنها الحزبية لترابط عند مدخلي القناة ولكنها تجيز لها ذلك . فالمادة تقرر حقا اختياريا لتلك المول ، إن شاحت مارسته ، وإن شاحت امتنحت عن مباشرته . واضمتم كلمته قائلا إن إقرار هذه المادة لا يؤثر على وضع المادة التالية في المشروع الفرنسي والخاء ة بانشاء لجنة الوقاية اللولية .

وأعطيت الكلمة للأب أنطوى المندوب الثانى في الوقد الإيطالى فقال إن المادة المقترحة لا تنطوى على مساس مجقوق السيادة المقررة الباب العالى ، ولكنها على المكس من ذلك تحد من حق اللول في إيقاء سفنها الحربية في المياه الإقليمية الإجنية. وقد وصف الفقيه الإيطالى هذا الحق بأنه قد غدا حقا ثابتا مكتسبا لا يقبل المخربية فور وصولها إلى مياه تابعة لدولة أخرى وتخضع تشريعيا وقضائيا وإداريا المحربية فور وصولها إلى مياه تابعة لدولة أخرى وتخضع تشريعيا وقضائيا وإداريا في هذه الحالة ستكون هذاك ساطتها مثل الموانى والتغور والفرض والمرافىء والخلجان والبحار الاقليمية ، في هذه الحالة ستكون هذاك ساطتان ذات سيادة وجها لوجه في صعيد واحد منه لحوادث خطيرة مهددة لها يحتمل وقوحها واستنادا إلى حقها في الملود عن منه لحوادث خطيرة مهددة لها يحتمل وقوحها واستنادا إلى حقها في الملود عن استخلال والمحادث من جانب هذه الحكومة على إخلال بمبدأ والاستخدام السلمي للمياه الاقليمية و وهو المبدأ اللدي تأخذ به الدولة قاطبة ، ولكن الدولة التي تأمر سفينة حربية أجنبية بالرحيل عن مياهها المدولة وسلامتها واستقلالها .

واسترسل الآب أنطوني فناشد أعضاء اللجنة بأن يتمسكوا تمسكا تاما بحق اللمول في إرسال أى علمد من السفن الحربية إلى منطقة القناة ومرابطتها في أكما مكان يقع عليه اختيار الدول. وقال إنه حق عزيز للفاية جدير بأن تحرص عليه الدول الأوربية وبخاصة في بلد يوجد به قضاء قنصلى . وقال إن هذا الحق هو خير ضمان لاحترام السلطة الهواسعة المخولة للقناصل في البلاد الشرقية .

وقد أسرف هذا الفقيه الايطالى إسرافا بعيدا للذاية في تأكيد آرائه التي بسطها الأحضاء اللجنة ، فضى يقول إن إلسفن الحربية الأجنبية كلك في الواقع وإلى ذلك الوقت حتى المرابطة في أية تقطة تحلو لها في منطقة الفناة . وإذا رأت اللجنة الفرعية تحديد هذا الحتى يجعل مرابطة السفن الحربية مقصورة على مدخلي القناة فلا بد عند وضع الصياغة النهائية لهذه المادة — من الاشارة إلى أي حد تخلت الدول نهفا التحديد عن حقها كي يبدو للعيان مدى التضحية التي فرضتها الدول على نفسها وعن طيب خاطر في سبيل الصالح العام (١٠).

M. Pierantoni croit que, loin de porter atteinte aux droits souverains de la Sublime (1) Forte, cet Article viendrait l'imiter au contraire le droit incontestablement acquis aux Etats de faire séjourner leurs bâtiments de guerre dans les eaux territoriales étrangères. Ce droit est certain, mais, par ce fait que le principe d'exterritorialité couvre les navires de guerre aussitôt leur arrivée dans les eaux juridictionnalles d'une Puissance étrangère (ports, rades, havres, et mees territoriales), deux souverainetés sont en présence. En prévision d'éventualités menacantes et par droit de conservation et d'indépendance, un Gouvernement peut être amené à défendre l'accès de ses ports aux bâtiments de guerre étrangers, s'il a des motifs sérieux : en ce cas, l'usage pacifique des eaux territoriales, qui est la règle ordinaire, se trouve être interrompu, mais l'Etat qui somme un navire de guerre étranger de quitter ses eaux assume, dès lors, la responsabilité qui résulte de tout, acte dont le caractère n'est pas défensif.

Le Délégué d'Italie attache une haute importance à ce que les Puissances ne renouéent pas, d'une manière trop étendue et pour n'importe quel nombre de navires, au droit d'envoyer et de faire séjourner des forces navales sur quelque point que ce loft. C'est un droit trop précieux, surtout dans les pays de juridiction Consulaire; il constitue la meilleure garantie du respect de l'autorité très étendue qui est dévolue aux Consuls en Orient. Si, cependant, la Sous-Commission croit devoir limitér aux gayires de guerre étrangers le droit qu'ils ont actuellement de stationner aux embouchures du Canal, il demande qu'il soit au moins fait mention, dans le texte de l'Article définitif, de la mésure dans laquelle les Puissances auront renoncé à ce droit, afin de faire valoir l'étendue du sacrifice qu'elles se scront imposé dans un intérêt genéral.

ورد هذا النص في من ١٤٥ من محضر الحلمة التي مقدّمًا اللبينة الفرعية بناريخ أول مايو ١٨٥٥ والسابق الإثبارة اليه .

وعلق كاميل باربر رئيس اللجنة الفرعية تعليقا جزئيا على كلمة الفقيه الإيطالى فيقال أنه يؤيد قلبا وقالبا الرأى الذى أبداه الأب أنطونى بخصوص الخطر الذى يكمن وراء تحديد حق مرابطة السفن الحربية في موانى بلاد الشرق . وأضاف إلى ذلك أنه لا يتعرض بالبحث لموضوع تحديد بهذا الحق إلا فيا يتعاق بمدخلى قناة الهسويس وذلك بالنسبة للطابع الدولى الذى تتسم به هذه القناة باعتبارها طريقا عالما من الطراز الأول .

وصرح سير جوليان] بونسفورت المندوب الأول في الوفدالبريطاني بأنه على استعداد للموافقة على صياغة لا تجعل مرابطة السفن الحوبية عند مدخلي القناة أمراً ملزما للدول المتعاقدة على أى نحو من الأنحاء .

ونما هو جدير بالذكر أن حسى باشا مندوب تركيا وقف عند بحث تلك المادة موقفا سلبيا للغاية كان يدعو إلى الغزابة . فقد طلب إليه رئيس اللجنة في مستهل الجلسة أن يدلى برأيه في موضوع تلك المادة فأجاب بأنه لن يشترك في المناقشة قبل أن يقف على رأى أعضاء اللجنة ، لأن المشروع الانجليزى لم يتعرض اللوضوع تلك المادة ولا لموضوع المادة ولا لموضوع المادة الرابعة التي وردت كذلك في المشروع الفرنسي والخاصة بانشاء رقابة دولية على القناة . وقال إن هاتين المادتين جديرتان بكل اهتمام عمين من لدن أعضاء اللجنة . ولكن المندوب التركي التزم الصمت طوال هذه المناقشة .

أما جانسن Jansen مندوب هولندا فانه لم يأت بجديد إذ أدلى بأقوال معادة كما اتسم موقفه بالتردد وعدم الوضوج التام . قال أنه بؤيد الرأى الذى أبداه مندوب بريطانيا بوجوب تحريم مرابطة السفن الحربية في مياه القناة بحتى في أوقات السلم . ثم عاد فقال وإذا رأت اللجنة أن ترابط سفن حربية في بور سعيد والسويس فيجب أن يعين لكل دولة عدد معين من هذه السفن لا تتجاوزه .

# الشروع الذي وضعته اللجنة الفرعية بجلسة أول مايو ١٨٨٥ :

واقترح رثيس اللجنة الفرعية الصياغة التالية : .

 و لا تبنى الدول السامية المتعاقدة أية سفينة حربية داخل مياه الفناة ( بما فيها مجيرة النساح والبحيرات المرة ) . ويجوز فقط أن ترابط في موانى ملخليها ، بور سعيد والسويس ، بسفن حربية يجب ألا يتجاوز عددها اثنتين لكل دولة .

و وهذا الحق لا يجوز أن يمارسه المتحاربون ، .

"Les Hautes Puissances Contractantes ne maintiendront dans les eaux du Canal (y compris le Lac Timsah et les Lacs Amers) aucun vaisseau de guerre.

"Dans les ports d'accès de Port-Saïd et de Suez, elles pourront seulement faire stationner des bâtiments de guerre, dont le nombre ne devra pas excéder deux pour chaque Puissance.

"Ce droit ne pourra être exercé par les belligérants"(1).

وقد وافق على هذه الصياغة مندوبو فرنسا والروسيا وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا . أما مندوب تركيا فقال أنه إزاء موافقة الغالبية العظمى لأعضاء اللجنة على صياغة المادة فانه يقرها أيضا بشرط موافقة حكومته عليها .

#### الشروع البريطاني:

أعلن سير جوليان بونسفورت المندوب الأول في الوفد البريطاني أنه يحتفظ يحق الرجوع إلى حكومته لاستطلاع رأيها في المشروع الذي وضعته اللجنةالفرعية . وقال إنه يرى أنه ليست هناك حاجة لتأكيد حتى مرابطة السفن الحربية عند طرفي القناة طالماكان هذا الحتى قائما . وإن الحاجة تدعو فقط إلى النص صراحة على تحديد عدد السفن . ثم اقترح الصياغة المختصرة التالية :

الا يجوز أن ترابط أية دولة في مواتى ملخليها ، بور سعيد والسويس ،
 يأكثر من سفينتين حربيتين في وقت واحد » ..

ووهذا الحق لا يجوز أن يباشره المتحاربون ۽ .

"Dans les ports d'accès de Port-Sald et de Suez, aucune Puissance ne pourra faire stationner à la fois plus de deux vaisseaux de guerre.

Ce droit ne pourra être exercé par les belligérants".

 <sup>(</sup>١) ورد هذا النص فى ص ١٤٥ من محضر جلسة اللجنة الفرعية بتاريخ أول مايو ١٨٨٥ واللى
 سبقت الإشارة اليه .

ولكن اللجنة لم تأخذ بالمشروع البريطانى وتمسكت بالمشروع الذى اقترحه وثيسها .

#### الشروع الذي انتهت اليه اللجنة الفرعية :

عادت اللجنة الفرعية في آخر جلسة حقلتها بتاريخ ١٩ من مايو ١٨٥٥ ، وأثناء تلاوة مشروع المعاهدة للمرة الثانية فأدخلت تعدياين الفظيين على صياغة الفقرة الثانية : أضافت في مستهلها كلمتي « ومع ذلك » وحلفت لفظة و فقط » وهكذا أصبحت الصياغة التي انتهت إليها لجنة باريس الفرعية على النحو التالى :

 ولا تبقى الدول السامية المتعاقدة أية سفينة حربية داخل مياه القناة ( بما فيها يميرة التمساح والبحيرات المرة) .

ومع ذلك ، يجوز لها أن ترابط في موانى منخليها ، بور سعيد والسويس ،
 بسفن حربية يجب ألا يتجاوز عددها اثنين لكل دولة .

ووهذا الحق لا يجوز أن يباشره المتحاربون؛ .

"Les Hautes Puissances Contractantes ne maintiendront dans les eaux du Canal (y compris le Lac Timsah et les Lacs Amers) aucun vaisseau de guerre.

"Toutefois, dans les ports d'accès de Port-Saïd et de Suez, elles pourront faire stationner des bâtiments de guerre, dont le nombre ne devra pas excéder deux pour chaque Puissance.

"Ce droit ne pourra être exercé par les belligérants"(1).

وقد عرض موضوع هذه المادة على اللجنة العامة بجلسة ٨ من يونيو ٩٨٨٥ وقال بيللو Billot رثيسها إن هذه المادة تسئهل بعبارة ولا تبتى الدول السامية المتعاقدة . . . . و و و المتعاقدة ي حتى يكون النصي أكثر شمولا ، ويصبح المنى المستفاد من صياغتها أن تنفيذ هذه المادة لا يكون

<sup>(1)</sup> الكتاب الأورق مصر رقم 14 لسنة ه 1۸۸ أيخره الثانى . رقم ١٧ محضر وقم ١٦ جلسة 14 من مايو ه 1٨٤ ص ص ٢١٩ ~ ٣٢٠ النفر ملسق الهشر رقم ١٦ ص ص ٣٢٠ — ٣٢٢

موضع اهتام الدول المتعاقدة فحسب بل مثار اهتام الحكومة المصرية وشركة القناة أيضا. وقد أقرت اللجنة هذا الاقتراح .كما وافقت على أن تستبدل بكلمة vaisseau التي وردت في الفقرة الخاصة بتحريم مرابطة السفن الحربية داخل مياه القناة لفظة أخرى هي Bâtiment . والكلمتان تتفقان في المعنى العام ولكنهما تقتلفان من حيث دلالة كل منهما على حجم الشفينة . فالكلمة الأولى vaisseau ثمير إلى سفينة ذات حجم أكبر . أما الكلمة الأنترى فتدل على سفينة ذات حجم أحبر . أما الكلمة الأنترى فتدل على سفينة ذات حجم أحبر . أما الكلمة الأنترى فتدل على سفينة ذات حجم أحبر . أما الكلمة الأنترى

وانتهت اللجنة العامة في نفس الجلسة إلى صياغة المادة بالصورة الآتية : ولا تبتى الدول أية سفينة حربية داخل مياه القناة ( بما فيها بحيرة التمساح والبحيرات المرة) .

و ومع ذلك ، يجوز لها أن ترابط في موانى مدخليها ، بور سعيد والسويس ،
 بسفن حربية يجب ألا يتجاوز حددها اثنتين لكل دولة .

ولكن هذا التغير الفنطى كان متصوراً على الفقرة الأولى الشامة يتحريم مرابطة السقن الحربية أعلَّى مياه الشقن الحربية أعلَّى مياه الفندة . أما الفقرة التالية الخاصة بجواز مرابطة السفن الحربية في موانى مدخلها فلم يتناولها هذا التغيير الفلطى لمبيب يسيط هو أن هذه الفقرة قد وردت فيها أصلا كلمة bâtiments وذلك سواء في المادة التالفة من المشروع الفرني أوفي المشروع الفرني أوفي المشروع الفرنية المن من المن المسلم المنافقة الفرعة تجلسة الما من مايو ه ١٨٨٥ . فلم تكن هناك حاجة لتغيير لفظي يطرأ على صيافة الفقرة التافية .

والواتح أن التغيير الفظى الذي تم بالنسبة الفقرة الأولى كان يسهدن إضفاء مزيد من الضهان باللمبية لأمن النتاة وسلاميًا وحرية مرور السفن فيها لأنه إذا كانت بلتة باريس الدولية قد وأت تحريم مرابطة السفن الحربية ذات الحجم الصغير داخل مياه الفتاة بما فيها بحيرة التمساح والبحير أت المدة فان مثل هذا التحريم ينسحب من باب أولى على مرابطة السفن الحربية الخطرة الفيضمة داخل قناة السويس لأن هذا النوع الأخير من السفن الحربية يشغل حيزا أكبر في مجريم الفتاة الأمن الذي يؤدى إلى إماقة الملاحة في الفتاة ، كا بأن هذه السفن تشكل خطرا يفوق الحطر الذي ينجم من مرابطة السفن الحربية الصغيرة وهو أمر يؤدي إلى مهده أمن الفتاة وسلامياً.

#### ووهذا الجق لا يجوز أن يباشره المتحاربون و .

"Les Puissances ne maintiendront dans les eaux du Canal (y compris le Lac Timsah et les Lacs Amers) aucun hâtiment de guerre.

"Toutefols, dans les ports d'accès de Port-Sald et de Suez, elles pourront faire stationner des bâtiments de guerre, dont le nombre ne devra pas excéder deux pour chaque Puissance.

"Ce droit ne pourra être exercé par les belligérants"(1).

#### \*\*\*

نتتقل بعد ذلك إلى المادة الرابعة ولمل الفقرة الأخيرة من المادة الخامسة ونطلق عليهما المشروع الفرنسي الأول تمييزا له عن المشروعات التي أخذت تترى سواء من جانب فرنسا أو إيطاليا أو بريطانيا أو تركيا .

#### المشروع الفرنسي الأول:

وفيا يلى نص المادة الرابعة من المشروع الفرنسي :

«يعهد بمهمة حماية القناة إلى لجنة تشكل من مندوبين عن الدول الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ ، يساعدهم قواد السفن الحربية المرابطة والتي تتبع نفس هذه الدول ، وينضم إليهم مندوب عن الحكومة المهانية ، ومندوب عن الحكومة المصرية ، وتتفق مع شركة السويس لفهان مراعاة لوائح الملاحة والشرطة ، وتراقب بصفة عامة تطبيق نصوص المعاهدة الحالية ، وتخطر . الدول بالاقتراحات التي ترى أنها مناسبة لفهان تنفيذها » .

"Une Commission, composée de Délégués des Puissances Signataires de la Déclaration de Londres du 17 Mars 1885, assistés des Commandants des stationnaires de ces mêmes Puissances, auxquels se réuniront un Délégué du Gouvernement Ottoman et un Délégué du Gouvernement Egyptien, sera chargée du service de la protection du Canal; elle s'entendra avec la Compagnie de Suez pour assurer l'observation des Règlements de navigation et de police; elle surveillera d'une manière générale

 <sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصررتم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء الثانى رتم ١٩ بروتوكول رتم ٣ جلسة ٨ من يونيو ١٨٨٥ ص. ص. ٧٤٧ - ٧٥٧

l'application des clauses du présent Traité, et saistra les Puissances des propositions qu'elle jugera propres à en assurer l'exécution (1).

وليس يُمنَّه المادة نظير يقابلها في المشروع البريطاني .

أما الفقرة الأخيرة من المادة الحامسة في المشروع الفرنسي فجاءت في معرض ذكر القيود المفروضة على السفن الحربية التابعة للدول المتحاربة أثناء مرورها في قناة السويس إبان فترة الحرب . وجاءت صياغة هذه الفقرة على النحو الآتي : ألما

ويجب عليها (السفن الحربية التابعة للمتحاربين) فضلا عن ذلك أن تلتزم بكل
 الأوامر التي تصدرها اللجنة الدولية » .

"Ils (les bâtiments de guerre des belligérants) devront d'ailleurs se conformer à toutes les prescriptions édictées par la Commission Internationale" (Y).

وقد عرض كاميل باربر Camille Barrère رئيس اللجنة الفرعية بجلسة ٦ من مايو ١٨٨٥ موضوع إنشاء الرقابة الدولية على قناة السويس . ولعل الحكومة الفرنسية قد شعرت سلفا بأن لجنة الزقابة الدولية بتشكيلها واختصاصاتها المقترحة تنظوى على مساس بحقوق السيادة التي يتمتع بها سلطان تركيا على مصر، فأعلن رئيس اللجنة الفرعية أن حكومته ترى إدخال انتعديلات الآتية على المادة الرابعة من مشروعها الذي قدمه الوفد الفرنسي في جلسة الافتتاح للجنة باريس الدولية :

م م الكتاب الازرق مصر رقم ۱۹ است ه ۱۸۸ الجزء الثانى ملسق رقم ۱ المبروتوكرل رقم ا Projet de Traitó relatif à la Liberté du passage par le Caoal de Suez présenté à la Commission Internationale par MM. les Délégués de la France pp. 72 — 73.

<sup>(</sup>٢) عرضت المادة الحاسة من المشروع الفرنسي متضمة هذه الفقرية على الليمة الفرصة بجلسة ٢٤ من أبريل ١٩٨٨ . وقد وجد رئيس اللجمة الفرصة أن المشروع العربطانى قد أفرد الالانة مواد المقبود التي تلذم بها السفن الحربية التابعة العول التعارفية أثناء ميورها القناة فتقلم بمشروع جديد قصد به إدماج هذه المواد الملاوت مع المادة الخاسمة من المشروع الهرنسي . وفي المشروع الجديد لم يرد ذكر المنقرة الأشهرة التي وردت في المادة الخاسة فسقطت هذه الففرة مقوطا التعاليا .

انظر:

الكتاب الازرق مصررتم 1.1 لسنة ١٨٨٥ البيزةالثانى رقم ٧ مضيطة وقم ٦ جلسة ٢٤ من إبريل ١٨٥٥ ص ص ١٢١ – ١٢٢

أولا : أن تكون رياسة اللجنة اللولية لمندوب تركيا بصفة إدائمة :

﴿ ثَانِيا : أَنْ يَكُونُ مُنْدُوبُ مُصِرَ فَيُ اللَّجِنَةِ ﴿ أَنَّا لِمُعَالِّدًا صُوتَ اسْتُشَارِي

آثالثاً: أن يستبعد من عضوية اللجنة القواد العسكريون البحويون السفن الحربية التابعة للدول الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٨ والتي ترابط في بور سعيد والسويس. وقال رئيس اللجنة تبريرا لهذا الاستبعاد أن اللجنة الفرعية سبق أن بحثت موضوع مرابطة السفن الحربية في ميناء بور سعيد ومرفأ السويس ورأت تحديد علدها بائنين لكل دولة وقررت أن يكون حق. المرابطة اختياريا وليس ملزما لجميع الدول الموقعة على المعاهدة.

رابعا : أن ينص صراحة فى المادة الرابعة موضوع المناقشة على أن اختصاص. اللجنة المدولية لايمس بأية حال من الأحوال حقوق السيادة التي يتمتع بها سلطان تركيا على مصر .

ويلاحظ أن فرنسا استهدفت من هذه التعديلات استرضاء تركيا واستالتها إلى الوقوف بجانبها وهي على أبواب معركة دبلوماسية عنيغة تخوضها ضد انجلترا بخصوص إنشاء لحنة الرقابة اللولية ، كما يلاحظ أن التعديل الثانى جاء على حساب مصر إذ جعل صوت مندوبها في اللجنة استشاريا ، وكانت فرنسا تعلم جيدا من سير المناقشات في اللجنة الفرعية أن مثل هذا القيد يرضى غرور تركيا التي عارضت في أول الأمر في اشتراك مصر في عضوية لجنة باريس . كما أن حرمان مصر من التصويت ينطوى على حرمان آخر لانجائز الأنه كان من المتوقع أن يقف مندوب مصر في لجنة الراقابة الدولية إلى جانب انجلترا بسبب هيمنة الأخبرة هيمنة تامة على الحكومة المصرية في ذلك الوقت .

#### المشروع الفرنسي الثاني :.

وعلى ضوء التعديلات التي أعلنها كاميل باريز في مستهل الجلسة تقدم بالصياغة المعدلة للمادة الرابعة وكانت على النحو الآتى :

د تجتمع برياسة مندوب خاص عن تركيا لجنة مكونة من ممثلي الدول الموقعة
 على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ وينضم إليهم مندوب عن

الحكومة المصرية يكون صوته استشاريا .ولكى تدبر مهية حماية الفناة تتفق اللجنة مع شركة السويس لفيان مراعاة لوائح الملاحة والشرطة المعمول بها . وتراقب ، في نطاق اختصاصاتها ، تطبيق تصوص المعاهدة الحالية ، وتحيط الدول علما بالإجراءات التي تراها مناسبة لفيهان تنفيذها .

ومن المفهوم أن وظيفة اللجنة الملكورة لا تمس إطلاقا حقوق السيادة
 التي لحضرة صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان .

"Une Commission, composée des Représentants des Puissances Signataires de la Déclaration de Londres du 17 Mars, 1885, et auxquels sera adjoint un Délégué du Gouvernement Egyptien, avec voix consultative, siégera sous la présidence d'un Délégué spécial de la Turquie. Afia de pourvoir au service de la protection du Canal, elle s'entendra avec la Compagnie de Suez pour assurer l'observation des règlements de navigation et de police en vigueur; elle surveillera, dans la limite de ses attributions, l'application des clauses du présent Traité et saisira les Puissances des mesures qu'elle jugera propres à en assurer l'oxécution.

"Il est entendu que le fonctionnement de la dite Commission ne pourra porter aucune atteinte aux droits souverains de Sa Majesté Impériale le Sultan" (1).

#### \*\*\*

#### الصراع السياسي حول الرقابة الدولية :

وفى نفس الحلسة بسط كاميل بارير مندوب فرنسا ورثيس اللجنة الفرعية المواعث التي حدت بمكومة الجمهورية الفرنسية إلى المطالبة بانشاء لجنة الرقابة الدولية،فقال إن لجنة باريس الفرعية قد فرغت إلى ذلك الوقت من إعداد وصياغة

<sup>(</sup>۱) الكتاب الازرق مصر رقم ۱۹ استة ۱۸۸۰ الجزءالثاني وقم ۱۲ محضر رقم ۱۱ جلسة ۹ من مايو ۱۸۸۰ ص س ۱۹۸۸ – ۱۹۲۸

وقه ورد هذا النص في ص ١٥٩ من محضِر هذه الجلسة .

وانظر أيضا الجزء الأول من هذا الكتاب الأزرق .

وثيقة دتم ۸۲ مرفق دتم ۱ من السير جوليان بولسفوت وشير ويفرز ولسن إلى لورد جرانفل بمئلدغة في ۱ من مايو ۱۸۸۹

تسع مواد تمثل الشطر الآكبر من المعاهدة المقترسة . وهذه المواد تتضمين المبادىء التي تكفل إلى الأبد حرية استخدام قناة السويس لجميع السفن الشجارية والحربية في وقت السلم وزمن الحرب على السواء ، كما تشمل هذه المواد النظام الذي ينبثن من تلك المبادىء ، ولكن اللجنة الفرعية سوف يكون عملها عديم الجدوى بل سيظهر عقم عملها وجدبه وقصوره إذا هي قنعت باعلان المبادىء الخاصة بحرية المرورإ في القناة دون أن تهتم بتعيين وسائل تنفيذ هذه المبادىء . وذهب رئيس اللجنة الفرعية إلى أن هذا هو الهدف الوحيد الذي ترى إليه الحكومة الفرنسية من إنشاء اللجنة الدولية لقناة السويس .

ومضى كاميل بارير يقول إن هذا الاقتراح الفرنسي لا يدخل في نطاق الاحتياجات التي أشار اليها منشور لورد جرانفل فحسب، بل إنه يسد النقص الوارد في بعض بنود هذا المنشور ·، فالمنشور ينص على ضرورة تنفيذ الشروط المفروضة على السفن الحربية التابعة للدول المتحاربة أثناء مرورها في الفناة . وَلَكُن تَنْفَيْدُ المعاهدة يجب ألا يكون مقصورا على وقت الحرب فقط بل يجب أن ثكون أحكام المعاهدة موضع الاخترام في زمن الحرب ووقت السلم على السواء . واسترسل فقال إن حكومة الجمهورية الفرنسية ترى أن واجب تنفيذ المعاهدة إنما يقع على عاتق مصر بصفتها السلطة الاقليمية `l'autorité territoriale كما يشير إلى فلك منشور لورد جرانفل . ولكن حكومة الجمهورية الفرنسية ترى أيضا وفي نفس الوقت ضرورة وضع قيود معينة على هذه السلطة الاقليمية فتترك للدول الكبرى الموقعة على المعاهدة واجب المراقبة العليا على هذا الواجب الذي نيط بالحكومة المصرية . فعلى مصريقع واجب هو تنفيذ المعاهدة ، وعلى الدول الكبرى يقع واجب آخر هو مراقبة تنفيذ المعاهدة . ومن شأن هذه المراقبة الدولية أنها قضني ضهانات متبادلة لكل الدول وتهبيء للمحكومة المصرية سلطة لا غناء عنها تساعدها على القيام بعبء تنفيذ المعاهدة . وأن الدولة صاحبة الاقليم La Puissance Torritoriale وهي دولة واحدة لا تستطيع أن تمسك بيديها زمام مصير تجارة العالم التي تمر في القناة ولا تستطيع أن تعهد إلى مصر بعبء تنفيذ المعاهدة دون أخذ الحيطة اللازمة . ومضى كاميل بارير يقول إن هناك فرقا جوهريا بين تنفيذ المعاهدة وبين مراقبة هذا التنفيذ . وتعتقد الحكومة الفرنسية أنها إذا تركت إجراءات تنفيذ المعاهدة للسلطة الاقليمية Pautorité territoriale ولشركة قناة السويس فان المراقبة على التنفيذ يجب أن يباشرها ممثلو الدول بالاتفاق مع الدولة صاحبة السيادة على مصر وهي تركيا La Puissanco Souveraine .

وقال بارير إن الحكومة الفرنسية لم تأت بجديد حين طالبت بانشاء لحنة دولية تقوم بمراقبة تنفيذ المعاهدة . فهي تستند في هذه المطالبة إلى السوابق الدبلوماسية وأشار إلى نهرى اللانوب وبزوث Pruth . ولكنه احتض نهز الدانوب بحديثه واهتامه . فقال إن المصالح الدولية في حالة نهز الدانوب أقل أهمية وأقل تعرضا للخطر من المصالح التي تعتمد على حزية استخدام قناة السويس . ومع ذلك فقد رأت الدول أنه لا مناص من وضع نهز الدانوب تحت مراقبة دولية يقوم بها مندوبون خاصون عن الدول ، وعلى هذا الأساس تشكلت لجنة الدانوب الأوربية La Commission Europeane du Danuhe الأوربية فهي تراقب تنفيذ الإجراعات الدبلوماسية التي وضعت النظام متشعبا : فهي تراقب تنفيذ الإجراعات الدبلوماسية التي وضعت النظام الخلص لهذا النهر الكبير ، وهي تنفذ عن طريق وكلائها ومن ميزانيتها الخاصة جميع القوارات التي ترى أنها تتمشي مع روح اختصاصها وسلطاتها ، وبحضي الأيام اتسعت سلطات لجنة الدانوب الدولية حتى بلغت حدا أصبحت فيه هذه اللجنة تسعد سلطات لجنة الدانوب الدولية حتى بلغت حدا أصبحت فيه هذه اللجنة المارس في الواقع سلطة ذات سيادة على هذا النهر الكبير

وحاول رئيس اللجنة الفزعية أن يصور الحكومة الفرنسية في صورة الحكومة المعتدلة بل المتواضعة في مطالبها ، فقال إنها لم ترض — فيا يتملق بقناة السويس — أن تذهب إلى هذا المدى البعيد فتطالب بتطبيق نظام لجنة الدانوب بحلافيره على قناة السويس ، وذلك لسببين هما : إن حكومة باريس تحترم مزكز الباب المعالى على أساس أن مصر ولاية عبانية، وهذه محاولة دبلوماسية ماكرة من فرنسا لضرب بريطانيا والتنديد بالاحتلال البريطاني لمصر من ناحية ، والتقزب لتركيا

<sup>(</sup> ١ ) ثهر يروث هو قرع من ثهر الدانوب .

من ناحية أخرى . أما السبب الثانى فهو مراجاة المركز الاستثنائي الملدى تتمثع به الشركة العالمية لقناة السويس . ولذلك فالحكومة الفرنسية تكثنى باقتراح تكوين لجنة تتألف من ممثل الدول ويكون اختصاصها هو مراقبة وضهان تنفيذ المعاهدة .

واحتم كاميل بارير كلمته قائلا إنه إذا كانت الدول الواقعة على نهر النانوب والدول الكبرى غير الواقعة على هم النانوب والدول الكبرى غير الواقعة على هذا النهر ، إذا كانت هذه وتلك ، قد قررت لنفسها ضهانات فها يمتص بحرية استخدام نهر اللانوب مع أن مصالحها في هذا السويس، فليس من المعقول إطلاقا ألا تطالب الدول الكبرى لنفسها بشطر من هذه الضهانات يطبق على قناة السويس . وأبدى رجاءه في أن يظفر الاقتراح الفرنسي بموافقة أعضاء اللجنة الفرعية .

وفى الحال أعلن دى ديرنتهول de Derenthall مندوب ألمانيا موافقته على إنشاء لجنة الراقبة الدولية من حيث المبدأ ، وتبعه فى ذلك البارون دى هان do Haan مندوب النمسا والمجر ، ثم هتروفو Hitrovo مندوب الروسيا (1)

## مندوب النمسا والمجر يؤيد اقتراح انشاء اللجنة الدولية :

وكان البارون دى هان de Haan مندوب النسا والمجر أول المتكلمين تأييلا لانشاء رقابة دولية على قناة السويس، ققال إنه يرى أن يسترشد الأعضاء بالنظام المقرر للجنة الأوربية لنهر اللناوب وأن يتخلوا منه نموذجا يحتلن إلى حد معين للجنة الراقبة الدولية المقترحة لقناة السويس . فهذه القناة تقع في إقلم يخضع لمسيادة دولة واحدة ولكن تشارك فيه المسالح التجارية للدول المظمى . إن جنة اللانوب تتكون من أعضاء يمثلون الدول الواقعة على هذا النهر ومن أعضاء يمثلون الدول الكول من عير الواقعة على هذا النهر ومن أعضاء يمثلون الدول الواقعة على هذا النهر ومن أعضاء يمثلون وقد أدت لجنة اللانوب عملها على خير وجه مرض ، وقياسا على هذه السابقة فان إنشاء لجنة دولية على غرارها لقناة السويس

وانظر أيضًا محضر جلسة اللجنة الفرعية في ٦ من مايوه ١٨٨ وألسابق الإشارة إليه ٠٠

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء الارك . وثيقة رقم ٨٠ عبارة عن برقية مؤرخة في ٢ من مايو ١٨٨٥ أرسلها مير جوليان بوتسفوت وسير ريفرز ولسن إلى لورد جرانفل وزير الحاوجية البريطانية .

يكون أمرا طبيعيا ومنطقيا وسليا وذلك بالنسبة للمصالح التجارية العالمية التي تعتمك على كفالة حرية المرور في قناة السويس في جميع الأوقات .

ثم عرج على موضوع لجنة الدانوب فقال إن مصاب هذا النهر كانت منذ ثلاثين سنة خلت في حالة يرثى لها . وكان بجرى النهر في معظيم أجزائه يتغرض للكثير من أسباب الاطهاء والترسيب المستمرين ، ولذلك كان في خلال غالبية شهور السنة مليثا بالطمي مفعما بالرواسب بمحيثكان يتعذر مرورالقوارب الصغيرة اللهم إلا في قترات قصيرة على مدار السنة ، ولم تكن هناك آلات حاصة لتطهير النهر ، كما لم تكن هناك لواثح تنظم شئون الملاحة في نهر الدانوب ، ولم تقم على ضفافه هيئات فنية تسهر على مراقبة الملاحة وتيسير سبلها ، ومن هنا نبئت فُكرة تعاون الدول الكبرى على تحقيق الأغراض العامة المشتركة ، وأنشئت على أثر ذلك لحنة دولية هي لجنة الدانوب الأوربية . وكان من اختصاصاتها تنفيذ الأعمال الضرورية لتطهير مجرى النهر فها وراء إيزاكتشا Isaktscha وتطهير مصاب النهر في البحر الأسود وكذلك تطهير أجزاء البحر الأسود المجاورة لهذه المصاب من رمال البحر وغيرها من العواثق الأخرى التي كانت تعوق الملاحة في هذه الأجزاء . وقد خولت اللجنة الحق في فرض رسوم مناسبة على السفن من أجل تغطية مصاريف عمليات التطهير ونفقات المؤسسات التي تسهر على ضهان الملاحة وتيسير سبلها في مصاب النهر . وفي معاهدة أبرمت في ١٩ من يونبو ١٨٥٧ أعيدت مصاب نهر الدانوب إلى وضعها السابق فوضعت تحت السيادة المباشرة للباب العالى ، واستطاعت لجنة الدانوب الأوربية أن تؤدى عملها على خير وجه تحت رعاية سلطان تركيا .

ومضى مندوب النمسا والمجر فقال إنه يطول به الحديث إذا عدد الخدمات التى أستها بلخنة اللمانوب ، ولكن أستها بلخنة اللمانوب ، ولكن حسبه أن يذكر أنه تقديرا لهذه الخدمات فان أجل هذه اللجنة الذى كان محددا له من قبل سنتين فقط قد تقرر مده إلى سنة ١٩٠٤ وإلى ما بعد هذا التاريخ وذلك بمقتضى معاهدات رسمية ، وأن لواقع اللجنة ونظمها قد اكتسبت من الحصانة والقوة والشمول والالزام بحيث تأيدت في معاهدات ضدهت عليها المدول . وقال إن

مؤتمر برلين الذى حقد فى سنة ١٨٧٨ قد تعرض تعرضا مباشرا البجنة المنافريب فقرر فى المادة الثالثة والخمسين من المعاهدة التى أسفر عنها هذا المؤتمر أن لجنة المنافريب تباشر سلطاتها منذ ذلك الوقت مستقلة تمام الاستقلال عن الساطات الحلية . وكانت رومانيا ممثلة وقتئذ فى لجنة الدانوب . وقال أيضا إنه جدير بالذكر أن جميع الأعمال التى قامت بها لجنة اللهانوب قد نفلتها ورياسة اللجنة معقودة على الدوام لمندوب تركيا وفى ظل اتفاق سابق عقدته اللجنة مع السلطات المحلية نجصوص تنفيذ لوائح الملاحة والمشرطة بحيث أن موظني لجنة المنانوب ولو أنهم يخضعون لسلطتها وإدارتها إلا أنهم احتفظوا بصغتهم كستخدمين تابعين الباب العالى، وكانوا فضلا عن ذلك يتقاضون منه مرتباتهم .

مُ انتقل البارون دى هان إلى موضوع إدارة قناة السويس نقال إنه يجد نفسه نجاه شركة أسهم une Société par actions ، أنشأها رجل واحد ، وقد نجست هذه الشركة ، وهي تحت إدارة هذا الربحل ، في تنفيذ أكبر مشروع شاهده القرن التاسع عشر وفي تحقيق أعظم عمل أسدى أجل خدمة التجارة المالمية . ولكن مهمة الشركة العالمية لقناة السويس ليست مقصورة على الادارة الفنية في القناة ، فقد أعلنت هذه الشركة حيدة القناة بموافقة السلطان صاحب السيادة ، وقامت الشركة بوضع لواتح الملاحة والشرطة وتقوم بتنفيذها في موانى القناة بمساعدة السلطات المحلية .

واسترسل البارون دى هان فقال إن الأجانب في مصر يتمتعون بنظام الامتيازات الأجنبية ، وهو نظام يعفيهم من الخضوع للقضاء الاقليمي والتشريع الامتيازات الأجابية ، وعلى ذلك فهن المتطلات الاقليمية ، وعلى ذلك فهن المشكوك فيه أن مملك الحكومة المصرية حتى وضع لواثع الملاحة والشرطة السفن الأجنبية أو مملك حتى تنفيذها على هذه السفن على الرغم من أنه لم تقع إلى ذلك الوقت أحداث تدعو إلى الشكوى إلا في أثناء العمليات الحربية التي وقعت في منة ١٨٨٧ ، إذ وجدت شركة القناة نفسها عاجزة عن المحافظة على حيدة القناة التي كان قد نص عليها عقد الامتياز الذي أصدره والى مصر وصدق عليه فيا بعد سلطان تركيا . وقد وجدت شركة القناة أنه لا سول لها ولا قوة أمام الاعتلال

البريطانى وأمام الثورة العرابية المصرية . وفي خلال هذه الأزمة لم بجد الشركة وسيلة لانقاذ القناة سوى إجراء مفاوضات بين الفريقين المتحاربين . وإلى هذا الجعل أشار لورد جرانفل في متشوره المؤرخ في الثالث من يناير ١٨٨٣ إذ قال وكان من إحدى نتائج الأجداث القريبة أن اتجه اهتمام خاص إلى قناة المسويس : أولا بسيب الحلم الذي كان مهدها لها خلال النجاح القصير الأمد الذي ظفرِ ت به الثورة ، وثانيا كنتيجة لاحتلال القوات البريطانية للقناة بامم الجديو ، واستخدام جده المقوات للقناة كفاحة للعمليات التي اتخذت نيابة عن سموه وتأييدا لسلطته ، وثالثا بسيب الموقف الذي انحذته إدارة شركة قناة السويس وضباطها في فترة خرجة أثناء الحملة (١) و

وعلى البارون دى هان على هذه العبارات التى وردت فى منشور لورد جرانفل قائلا إن الحكومة البريطانية لم توضيح الوسائل الكفيلة بمنع تكرار وقوع مثل هذا الحطر ، فهى لم تتعرض لهذه الوسائل سواء فى منشور لورد جرانفل أو فى المشروع الانجليزى الذى قدمه وفدها إلى لجنة باريس فى جلستها الافتتاحية بتاريخ ٣٩ من مارس ١٨٨٥ .

وأبرز البارون دى هان الفارق بين موقف بريطانيا وبين موقف فرنسا ، فقال إن هذا الفارق واضح ، فانجلترا لا تطلب سوى أن توقع الدول معاهدة تنص على حيدة المرور في القناة وأن تترك لخديو مصر مهمة تنفيذ المعاهدة واللوائح الحاصة بها . أما فرنسا فهي على عكس بريطانيا تماما : ترى أنه لا يمكن ضمان تنفيذ المعاهدة إلا بانشاء هيئة دولية ، وإن تطبيق هذه الفكزة ليس بالأمر الجديد . ولما كانت حركة المرور في قناة السويس قد زادت زيادة عظيمة ومطردة فان جميع الدول التي تمثلك أساطيل تجارية تسعى لحاية مصالحها عن طريق تفاهم مشترك فيا بينها ،

<sup>(</sup>١) إن النص الذي تلاه البارون دي هان وورد في عشر الحلية عنطف اعتلانا لفظيا لا على بالمني من النص الرسمي لمنشور لورد جرانفل كما نشر في الكتاب الأورق. وقد آثر نا أن نتر جم عن النص الوسمي قلمنشور والذي نشرته الحكومة البريطانية في وثائلتها . انظر : البكتاب الازرق مصروقم ١٠ لسبة ١٨٥٥ وثيقة رقم إ

نفس هذا المعنى الدولى من الرابطة الدولية للسلام la Paja أثناء مؤتمرها الذي عقدته في مدينة جنيف في سبتمبر ١٨٨٧ ، كما صدر عن هذه الرابطة في نفس اجتاعها قرار خطير كان بما جاء فيه و تعد جيدة الفناة ناقصة غير كاملة إذا كانت الصعوبات التي تنشأ بمن تنفيذ المعاهدات التي تقرر هذه الحيدة تعالج بطرق أخرى غير طريقة والالتجاء إلى نظام تحكم تكفله قوة دولية » .

La neutralité du Canal serait incomplète si les difficultés auxquelles pourront donner lieu les actes qui l'établiront pouvaient être vidées par d'autres voies que celle de "l'arbitrage sanctionné par une force internationale".

وقال مندوب النمسا والمجر مذكرا أصفاء اللجنة إن بريطانيا كانت من بين اللغول التي أيدت إنشاء لجنة المعانوب الأوربية ووافقت على امتداد أجلها . وتساءل لماذا لا يقام على ضفاف قناة السويس نظام شبيه بالنظام الذي أقيم على ضفاف تهز المعانوب واعتبر نظاما قانونيا لا شائبة فيه ولا مأخل عليه ؟ وتساءل الماذ يعتبر ما هو قانوني على ضفاف نهر المعانوب غير قانوني على ضفاف قناة السويس ؟ وأعلن أنه من المصادفات العجبية أن الدولة صاحبة الاقليم صاحبة الاقليم عند قناة السويس (٢٠). ويجب أن نوجه سؤالا إلى هذه الدولة . هل هي شعرت بأسف أو ندم في يوم ما لأنها وافقت على إنشاء لجنة المعانوب الأوربية وأقرت التوسم في اختصاصاتها وزيادة ساطاتها ؟

 <sup>(1)</sup> ورد هذا النص في ص ١٦٦١ من محضر جلمة اللجنة الفرعية بتاريخ ٦ من مايو ١٨٨٥ وأللي
 سيقت الإشارة إليه .

<sup>(</sup> ٢ ) يلاحظ أن البارون دى هان استخدم عبارة والدولة ساحية الانتراعات المتعدد المساحية المتعدد بها تركيا . وهذا مثل العلط الذي كان يقم فيه بمض أعضاء اللجنة وكان بعض أعضاء اللجنة يقصدون بهذه المبارة مصر ويستخدمون في الانحارة إلى تركيا عبارة الدولة صاحبة السيادة Poissance ولمل المصي الصحيح الذي كان يقصده مندب المسا والمجرهو : إن الدولة صاحبة السيادة على القتابة .

وأهلن البارون هي هان أن الأمر المعروض هو إقرار اقتراح إنشاء بختة دولية ثانية ، فليس مطلوبا من السلطة الاقليمية Fautorité territoriale أن تغطى امتيازات أو تقدم أموالا أو تمنح أراضى، ولكن الامتياز الوحيد المطلوب منها هو الاذن في قيام نوع من الرقابة اللولية على قناة المسويس . ومن المعلوم أن رياسة اللبجنة ستكون معقودة للباب العالى على غوار ما عو مقرر بالنسبة للجنة اللانوب ، وأن اللول يجب أن تتفق مع الحكومة المصرية لتنظيم العمل اللي سوف تباشره اللججنة .

وقال إن مزايا إنشاء رقابة دولية على قناة السويس واضحة العيان : ققد وضع مندوبو الدول المبادىء التى تكفل حرية استخدام قناة السويس فى جميع الأوقات لكل السفن التجارية والحربية . وسيكون من نتائج قيام الرقابة الدولية ضهان تنفيذ النظام الموضوع لتحقيق هذه المبادىء،وذلك عن طريق تدخل منتظم دائم من جانب الدول الموقعة على المعاهدة ، كما أن الطابع الدولى لقناة السويس سوف ترسى قواجده على أسس ثابتة إرساء سرمديا حتى يرث الله الأرض ومن عليا .

و تابع مندوب النسا والمجر حديثه قائلا إن منشور لورد جرانفل يهدف إلى منع وقوع أعمال حربية في مرزخ السويس . ويمكن تحقيق هذا اللهدف بطريقة أفضل عن طريق مجموعة بالدول الأوربية الموقعة على المعاهدة أكثر من طريق العمل الانفرادى المذى يقوم به خديو مصر أو دولة أخرى . وفي الواقع إذا تعرضت حيدة القناة لأى اعتداء عليها فسوف تكون هناك هيئة محايدة وفي مركز يسمح لها بأن تدرس الحالة وتصدر فيها رأيها .

ثم اختتم البارون دى هان مندوب النما والحجر كلمته الضافية بأن اقترح — بالاضافة إلى ما نصت عليه المادة الرابعة من المشروع الفرنسي — إنشاء هيئة تفتيش بحرى في القناة بالاتفاق مع السلطات الاقليمية . وقال إن إنشاء هيئة التفايش البحرى أمر يتمشى مع مصالح الحكومة المصرية وشركة القناة .

وقد استفسر رسمان Restaman المندوب الأول في الوفد الأيطالي

عن ماهية هذا الاقتراح ، وهل يقصد منه تقديم اقتراح رسمي مستقل قائم بلاته ينص على إنشاء هيئة تفتيش بحرى فى قناة السويس ؟ فأجاب البارون دى هان يأنه فى ذكر هذا الاقتراح كان يعبر عن رأيه ، وأن هذا الرأى لا ينطوى على اقتراح رسمى .

#### منعوب الروسيا يؤيد الرقابة الدولية:

وأعطيت الكلمة لمندوب الروسيا وهو هتروفو Hitroyo فأيد الحجج التي جاءت على لسان مندوب النسا والمجر وقال إن المادة الرابعة من المشروع الفرنسي تتمشى مع تصريح لندن ومع الهدف الذي من أجله اجتمعت لجنة باريس: وإن ما تبتثيه هذه اللجنة هو إرساء نظام ثابت معين مجلد ليستقر أماما طويلا . ولا بد من إنشاء سلطة تنفيذية تساعد السلطة الاقليمية في عملها . وليس في هذا الأمر ما يتعارض مع نصوص منشور لورد جرافل وهو منشور لا يستطيع أن يتعرض لكل التفاصيل .

ومضى مندوب الروسيا يقول إنه يلاحظ بارتياح تام أن إقرار المادة الرابعة من المشروع الفرنسي لا ينطوى على أى مساس بحقوق السيادة التي يتمتع بها مسلطان تركيا طالما أن اللبجنة الدولية النائمة لقناة السويس ستكون مهمتها معاونة الحكومة المصرية في تنفيذ نصوص المعاهدة وأن رياسة اللبجنة ستكون دائما لمندوب يعينه الباب العالى لهذا الغرض. ثم أشار إلى أن فرديناند دى لسبس — حين طلبت إليه اللبجنة الفرعية الحضور أمامها لاستشارته في موضوع ترعة الماء العذب — للدصر بأن على الشركة ، وهي في صدد تنفيذ اللواقح ، أن تلجأ وقت الحاجة إلى الشرطة المصرية ، ولكن لم يحلث قط إلى ذلك الوقت أن سلكت البشركة هذا السيل . وقال مندوب الروسيا إن الواقع على خلاف ذلك لأنه إذا نشأت صعوبة فإن الشركة لا تستطيع في الحقيقة أن تعتمد على الشرطة المصرية ولكنها تعتمد على النفوذ الأدبى الخاص بالشركة ، فتتصل اتصالا مباشرا بأصحاب البيفن وشركات المنافوذ الأدبى الخاص بالشركة ، فتتصل اتصالا مباشرا بأصحاب البيفن وشركات الملاحة وتناشدهم احترام اللواقع . وذهب مندوب الروسيا إلى أن مثل هذا المنوذ الأدبى أن يظل كافيا في جميع الأحوال ، وبخاهية إذاء الأساطيل الحربية .

وخلص من ذلك إلى ضرورة وجود سلطة دائمة فنى منطقة القناة يرجع إليها في الحال .

وقد تعرض مندوب الروسيا في كلمته لنقطتين توضحان نظرة أوربا إلى مصر وحكومة مصر في ذلك الوقت. وهي نظرة تقوم على الاستعلاء وعلى افتراض أن لأوربا سيطرة سياسية وعسكرية واقتصادية بل وأدبية أيضا على الشعوب الشرقية بلا منازع , فقد قال إن حتى التدخل مقرر على وجه الاختصاص للشرطة المصرية . وهنا تنشأ مسألة هامة هي : هل بما يتفق مع كرامة المدول الكبرى أن نحضع قوادها المسكريين البحريين — في حالة نزاع مع مستخدى شركة القناة — لولاية موظف مصرى يصدر حكما نهائيا في هذا النزاع مهما كانت درجة هذا الموظف وسواء كان يقم في القنطة أو في أي مكان آخر في القناة ؟

أما النقطة الأخرى التى أثارها المندوب الروسى فتتلخص فى أن السفن الحربية لجميع الدول تكون على قدم المساواة المطلقة داخل القناة ، فهل مما يمكن قبوله أن يوافق سلطان تركيا على أن يكون سلوك قواد السفن الحربية خاضما لأحكام يصدرها موظفون فى حكومة دولة غير مستقلة ، حكومة دولة تابعة للسلطان ، هى الحكومة المصرية ؟ واختم هتروفو مندوب الروسيا كلمته قائلا إنه إزاء الاعتبارات التى بسطها فى كلمته يؤيد تأييدا مطلقا مشروع فرنسا بانشاء لحنة دولية لمراقبة تنفيذ المعاهدة .

**你你也** 

# الوفد البريطاني يمارض انشاء الرقابة الدولية:

أدرك الوفد البريطاني خطورة إنشاء رقابة دولية على قناة السويس بالنسبة المصالح البريطانية في القناة . وأدرك أن مثل هذه الرقابة تعصف بالنفوذ البريطاني الانفرادى في منطقة القناة ، وتستبدل يه نفوفا دوليا تشترك فيه جماعة الدول الأوربية المشتركة في وضع المعاهدة . وأدرك أيضا الوفد البريطاني أنه يواجه داخل اللجنة تكتلا دوليا يؤيد إنشاء الرقابة الدولية على قناة السويس ، وأن هذا التكتل ، وقد ظهر أشد ما يكون عنفا وتماسكا وإصرارا وتحديا ، كفيل باقرار قيام الرقابة

الدولية . ولذلك انبرى العضوان البريطانيان ، الواحد تاو الآخر ، للاعتراض على الاقتراح الفرنسي وإبراز المآخذ عليه بل والتنديد به . وكان هذا الموقف هو أضعب موقف واجهه المندوبان البريطانيان في هاخل اللجنة وتفرضا لهجرم وضغط شديدين من معظم مندوبي الدول ومجاصة مندوبي ألمانيا والروسيا والنما والمجر ولم يجا تأييدا إلا من الوقد الايطالي .

أعطبت الكلمة لسير جوليان بونسفوت الكلمة المندوب الأول في الوفد البريطاني فاستهل كلمته بقوله إنه يزفض الاقتراح الفرنسي حملة وتفصيلا . وقال إنه بعد أن استمع مليا إلى بعض زملائه أعضاء اللجنة ، وكلهم مؤيدون للاقتراح الفرنسي ، يدرك أنهم على كناس وجود تشابه بين قناة السويس وبين نهر اللانوب ، ولكنه على التقيض منهم تماما يرى أن هذا التشابه لا وجود له على الاطلاق ومن ثم فلا محل لقيام قياس بين الحالتين .

ومفى يقول إن الدانوب نهر دولى كبير بمدة دول . وكانت حالة الهر المادية لم حين أنشلت لجنة الدانوب مبعث عراقيل خطيرة للملاحة في أجزائه . وكان لا مناص من تنفيذ عمليات ضخمة لتطهير مجرى النهر . وكان على السفن التي تمخر عباب هذا النهر أن تخضع تباعا لعديد من اللواقع المتبابنة وضعها كل دولة من الدول الواقعة عليه . فاتجهت النبة إلى إنشاء نظام جديد يطبق على طول مجرى النهر ، وكان من الضرورى وضع لاثحة موحدة للملاحة تخضع لها السفن التي تسير في هذا النهر ، وكان من الضرورى وضع تعريفة موحدة لرسوم الملاحة ، وكان من الضرورى تنفيذ أعمال ضحمة واستخدام عدد كبير من الموظفين لادارة ومباشرة كل هذه الأعمال . ولذلك كان إنشاء لمنة دولية أمرا لا مفر منه لتحقق هذه الأهداف المختلفة ولتباشر لونا من ألوان المراقبة على التنظيم الحديد . وتسامل المنابوب وبين المريطاني أين هو التشابه الذي قبل أنه يوجد بين نهر الدانوب وبين المسائة التي تشغل بال أعضاء اللبجنة وهي تأمين حرية مرور السفن إ في قناة السويس ؟

واسترسل المنتوب الانجليرى فقال إن قناة السويس تمتد في إقلم دولة واحبة ؛ والقناة تخصى شركة خاصة (أ) تحكمها عقود الإلتزام وقوانين الدولة صاحبة الاقلم والقناة تخصى شركة خاصة وهي شركة نفلت جميع الأعمال المتصلة بالقناة على نفقها الخاصة ، وهي تدير الملاحة في القناة طبقا الوائحها الجاصة وبواسطة جمع كبير من المستخدمين . وفي جميع هذه النواحي لا يوجد أدنى فارق بين شركة القناة وبين شركة سكة حديد تخترق خطوطها الحديدية الأراضي المصرية . وتساءل مندوب بريطانيا الذا إذاً تريد المدول أن تتدخل في شئون شركة القناة ؟

وأكد سير جوليان يونسفوت أنه منذ أن افتنحت قناة السويس للملاحة البحرية الكبرى لم تنشأ أية صعوبة سواء مع السفن التجارية أو مع الأساطيل الحربية . فقد سارت أمور الملاحة عبر القناة في انتظام وتنسبق كاملين . وكان الأمر حينئذ مقصورا على تطبيق لواقح الشركة . وقال إن تدخل لجنة دولية في أمور الملاحة في القناة لن يكون أمرا عديم الفائدة فصب بل سيجلب معه أضرارا كثيرة من عدة وجوه . ثم وجه نظر أعضاء اللجنة إلى أن بريطانيا العظمى التي تفوق مصالحها في القناة مصالح المدول الأخرى مجتمعة ، إذ أن تجارتها تمثل ثمانين في المائة من مجموع حركة المرور في قناة السويس ، لا تطالب بأية ضمانات أخرى ؛ لا تطالب بأية ضمانات الحالية ليست كافية فحسب بل ووفيرة أيضا .

واستمر المندوب الأول في الوفد البريطاني يفند الآراء التي قيلت في جانب الاقتراح الفرنسي ومنها الأهمية التي يعلقها أنصار هذا الاقتراح على وجود لجنة دولية في منطقة القناة إبان زمن الحرب . فتساءل مندوب بريطانيا هل سيجلس أعضاء هذه اللجنة بدون عمل وقد وضع كل منهم يديه على صدره والأسلحة عمانهم مكلسة يخزونة مطوية حتى يأتى يوم تهدد فيه دولة بحرق المعاهدة ؟ إنه

<sup>(</sup>١) جاءت في ص ١٦٢ من محضر الجلسة هذه العيارة :

II (le Canal) appartient â uno Compagnie privée وجاءت في الترجمة الإنجليزية ص ١٧٣ تحضر الجلسة هذه الدبارة :

إذا حدث مثل هذا التهديد حقيقة فسيكون لدى الدول متسع من الوقت التشاور في البها بخصوص الحطة التي يجب انتهاجها . ومن المحتمل أنه في مثل هذه الجالة قد تتخذ بعض إجراءات دولية لحماية القناة . وأكد أن الحكومة البريطانية لم يدر في خلدها إطلاقا فكرة إنشاء لجنة دولية ، كما أنه لم يرد ذكر لهذه اللجنة في المبادىء التي تضمنها منشور لورد جرانفل بل إن البند السادس من هذا المنشور قد نص صراحة على أن الدولة صاحبة الاقليم Ta Puissance Territoriale (1) دون غيرها من الدول هي التي يقع عليها عبء مراقبة تنفيذ المعاهدة . وخرج من ذلك من الدول هي التي يقع عليها عبء مراقبة تنفيذ المعاهدة . وخرج من ذلك إلى أن الاقتراح الفرنسي يتعارض تعارضا جذريا مع هذا البند السادس لورد جرانفل هو أحد الشروط الأساسية الرسمية التي يجب أن تشملها الاتفاقية لورد جرانفل هو أحد الشروط الأساسية الرسمية التي يجب أن تشملها الاتفاقية الدولية المزمع عقدها بشأن ضمان حرية المرور في قناة السويس .

\* \* \*

#### الندوب الثاني في الوقد البريطاني يعارض الشروع:

وبعد أن فرغ سير جوليان يونسفون من كلمته أعطيت الكلمة لزميله مير ريف مير رولس Sir Rivers Wilson المتلوب الثانى في الوفد البريطانى ، فتكلم عن التناقض الظاهر بين الاقتراح الفرنسى وبين البند السادس من منشور لورد جرائفل والمندى سبقت الإشارة إليه ، وقال إنه إذا كانت هذه الفكرة الخطيرة الخاصة بانشاء لحقة دولية لمراقبة تنفيد المعاهدة المقترحة قد جالت في ذهن الحكومة البريطانية كي تغدو هذه الفكرة أحد العناصر التي تتألف منها المعاهدة لكانت الحكومة البريطانية نفسها قد نصت عليها صراحة في منشور لورد جرانفل . وقد جاء هذا المنشور خلوا من أية إشارة لموضوع اللجنة اللولية ، وقبلت الدول الموقعة على تصريح لندن المنشور البريطاني دون أن تدخل أدني تعديل عليه .

<sup>(</sup>١) يقصد سير جوليان بونسفوت من عبارة و الدولة صاحبة الاقليم و مصر . وقد رأينا أن متدوب الخما و المجو قد استخدم نفس هده العبارة في نفس الجلسة وكان يقصد جا تركيا . وهذا شهوب آخر من خمروب الحلط في استخدام هذه العبارة

ووجه سير ريفرز ولسن نظر أعضاء اللجنة الفرعية إلى ضرو قال إنه يكمن وراء إنشاء اللجنة الدولية ، وإن أحلا قبله لم يشر إلى هذا الضرر ، إذ ستقوم في منطقة القناة ثلاث سلطات تقف وجها لوجه ، هي :

(أولا) السلطة الأولى وتتمثل في الحكومة المصرية بصفتها حكومة الدولة صاحبة الاقلم(١) La Puissance Territoriale .

(ثانيا ) السلطة الثانية وتتمثل فى شركة قناة السويس بمقتضى عقود الامتياز الصادرة إلى فرديناند دى لسيس .

( ثَالِثًا ) السلطة الثالثة وتتمثل في بلحنة الرقابة الدولية بمقتضي المشروع الفرنسي.

#### سفسطة المندوب الأول في الوقد الإيطالي:

ثم تكلم رسان Ressman المندوب الأول في الوقد الإيطالي فحاول أن يلبس لبوسا غير لبوسه ، فظهر في خلال هذه المرحلة من المناقشة بمظهر العضو المحايد الذي يريد أن يستوضح بعض نقاط الموضوع . قال إنه لا يريد أن يسبق الرأى الذي سوف تسفر عنه مناقشات اللجنة يخصوص إنشاء لجنة الرقابة الدولية ؛ ولكن حسبه في تلك الآونة أن يبدى ملاحظات ثلاث :

(أولا) جاء على لسان سير جوليان بونسفوت أنه في الاستطاعة اتخاذ تدابير دولية في حالة وقوع حرب وأن الدول قد تصل فيا بينها إلى اتفاق لحماية القناة . ولكن منشور لورد جرانفل لم يتعرض من قريب أو من بعيد لهذه الحالة التي أشار إليها المندوب البريطاني . وتأسيسا على ذلك فليس هناك تناسق بين المنشور وبين أهوالى سير جوليان بونسفوت وتكون تصريحاته في هذا الصدد غير قاطعة وغير جازمة .

(ثانياً) طلب رسان إلى متدوب بريطانيا أن يذكر على وجه التحديد الأخطار التي تنشأ عن قيام لجنة دولية لمراقبة تنفيذ الماهدة؛ وقال إن مندوب بريطانيا قد

 <sup>(</sup> ۲ ) نبح سمير ريفرز ولسن نهيها علميا صحيحا إذ قصمه بهله الدبارة حسر . وهو نفس المعنى الذي ورد أي مشور لورد جرائفل .

اكتنى بأن قرر أنها عديمة الفائدة فى وقت السلم ولكنه كاد يعترف باقتدارها على مواجهة الموقف فى وقت الحرب .

(ثالثا) إن التعديلات التي أدخلها مندوب فرنسا في مستهل الجلسة على المادة الرابعة من المشروع الفرنسي قد دلت على أن الحكومة الفرنسية قد أدخلت في اعتبارها مقدما وإلى حد معين الاعتراضات التي أثيرت فعلا أثناء مناقشة الاقتراح الفرنسي . فقد استبعدت الصياغة المعدلة لهذا الاقتراح تعيين مندوبين تعينهم دولم خصيصا لعضوية اللجنة واستبدلت بهم ممثلوها في القاهرة وهؤلاء في الحقيقة مندوبون دائمون .

وقال رسيان عن هذه الملاحظات الثلاث إنها لا تدل على اتجاه معين ينحو غوه ، وهو لم يهدف منها إلى المبادرة باحلان رأى الوفد الإيطائي في إنشاء اللجنة اللولية لأن مثل هذا الرأى يكون سابقاً لأوانه في تلك المرحلقامن مراحل المناقشة، ثم قال إن الوفد الايطالي لا يستطيع أن يصل إلى رأى نهائي إلا بعد أن يستمع إلى كافة الآراء التي يبديها جميع أعضاء اللجنة وبعد أن يرجع إلى الحكومة الإيطالية في هذا الصدد .

ومضى رسمان في هذه السفسطة يقول إن الحكومة الإيطالية قد بعثت بوفدها إلى باريس دون أن تطلب منه الانفيام إلى فريق على حساب فريق ودون أن تكون للديه فكرة سابقة عن موقف معين يتخذه في اللجنة سوى أن يبحث بروح الاخلاص خير الوسائل التي تضمن حرية الملاحة في قناة السويس. وسوف نرى من سياق مناقشات الأعضاء وهم يبحثون موضوع اللجنة الدولية أن مندوب إيطاليا كان يستهدف من كلمته التمويه على الأعضاء لأنه كان يضمر غير ما يقول إذ أنه كان يضمر غير ما يقول إذ أنه كان بدرك جيدا أنه عما قليل سيفصح عن موقفه فاذا به بوق للوفد البريطاني يردد أقواله فأراد هذا المندوب أن يدرأ عن نفسه الشبهات بمثل هذه السفسطة.

#### المندوب الاول فالوقد البريطاني يطالب باحالة المشروع الى اللجنة العامة :

فلجأ سير جوليان بونسفرت Sir Tulian Pauncefote أعضاء اللجنة الفرعية حين طالب باحالة موضوع إنشاء لجنة الرقابة اللوابة إلى اللجنة العامة بمحجة أن هذا الموضوع يتصل بمسائل تختص بمبادىء على بعانب كبير من الخطورة بحيث يجب أن تمتنع اللجنة الفرعية عن مناقشة هذا الموضوع أو الوصول فيه إلى قرار . وقد سارع كاميل بارير Camille Barrère رئيس اللجنة الفرعية إلى الزدعليه ، فقال إن هذه اللجنة سبق أن تعرضت بالبحث لمسائل تختص بمبادىء أكثر أهمية وخطورة من موضوع إنشاء لجنة الرقابة الدولية ووصلت فيها إلى قرارات . وضرب مثلا بمسألة إعلان حيدة القناة في وقت الحرب وزمن اللسلم لجميع السفن التجارية والحربية على السواء دون أدنى تميز في المعاملة . وأضاف إلى ذلك أن اللجنة الفرعية قد تلقت تفويضا من اللجنة العامة بأن تعد لها مشروعا كاملا للمعاهدة . كما أن أعمال اللجنة الفزعية ستتعرض للتعطيل إذا هي مشروعا كاملا للمعاهدة . كما أن أعمال اللجنة الفرعية يرد على مندوب بريطانيا فقال إنه يلاحظ أن اللجنة الفرعية تضم المندوب الأول في كل دولة وأن معظم المندوب الأوان في كل دولة وأن معظم المندوب الأوان في كل دولة وأن معظم المندوب أن يكون استبدال اسم باسم ؛ فلن ينجم عن اجتاع اللجنة العامة سوى تغيير الاحم من باخة فرعية إلى لجنة عامة .

. . .

# منعوب الروسيا يرد على اعتراضات الوفد البريطاني :

انبرى متروفو Hirrow مندوب الروسيا الرد على بعض الاعتراضات التى أثارها سير جوليان بونسفوت ، فقال إنه إذا عقدت مقارنة بين بر اللنانوب وبين قناة السويس من حيث أهمية كل منهما فان نتيجة هذه المقارنة ستكون في صف القناة ، وأضاف إلى ذلك أنه متفق مع سير جوليان بونسفوت على أن طول قناة السويس يقل بكثير عن طول أحد الأنهار الكبرى في أوربا ، ولكنه يرجو أن يقر سير جوليان بونسفوت من جانبه أن الملاحة في المنانوب لهجت الا ملاحة عالمية تصل بين

عمیطات انع<sup>ی</sup>لم ، وهمی تربط بین القارات ، وهمی تصل بین رأس هورن<sup>(۱)</sup> وبین ک<sub>ام</sub>نشا*دکا<sup>(۲)</sup> وقصل بین لندن وبین الهند واسترالیا .* 

أما عن المقارنة التي اعتقد مندوب بريطانيا أنه في استطاعته عقدها بين قتاة السويس وبين خط حديدى ؛ فقال مندوب الروسيا إنها تؤدى إلى نتائ تتعارض السويس وبين خط حديدى ؛ فقال مندوب الروسيا إنها المندوب البريطاني . تعارض أساسيا مع المناتج التي كان يرجو أن يصل إليها المندوب البريطاني . واستطرد فقال هل من الممكن أن يتصور أحد خطا حديديا يحترق أراضي إحدى اللوول وينقل على هذا الحط في جميع الأوقات وفي كافة الظروف أساطيل حديدية أجنية وبحارتها ومدفعيتها وفخائرها فضلا عن جيوش كاملة المعدد والعدة ؟ وقال إنه إذا كان في الاستطاعة تصور مثل هذه الحالة فانه يتخيل أن حكومة مثل هذا الإقلم ستكون أولى الحكومات التي قطلب قيام مراقبة جدية ودقيقة جداً على حركة مرور من هذا النوع .

ولم يقف هتروفو Hitrov مندوب الروسيا عند هذا الحد في رده على اعتراضات سير جوليان بونسفوت؛ فقد قال إن الحكومة البريطانية قد فكرت في اعتراضات من الأوقات في إنشاء منصب مفتش لقناة السويس على أن يشغل هذا المنصب أحد ضباط الاسطول الإنجليزي (٢٥ وقال إنه على أية حال لا يستطيع أن يتصور اتفاقا دوليا يقرر مبادىء هامة وينشىء نظاما معينا لاستخدام قناة السويس ؟

<sup>(</sup>١) يقع رأس هورن Cape Hom في أقصى الطرف الحنوبي لأمريكا الجنوبية .

<sup>(</sup> ۲ ) Kamtsobataka شبه جزيرة جبلية تقع في سيريا الشرقية بين بحر بهزنج Behring دبين بحر أوختسك Okhotsk .

أنظر ص ١٩٨ من مضبطة جلسة اللجنة الفرعية بتاريخ ٣ من مايس ١٨١٨ والسابق الإشارة إلمتيها ﴿

وفي نفس الوقت يترك هذا الاتفاق ثغرة واسعة بين مندوني شركة خاصة من ناحية وبين الدولة صاحبة السيادة La Puissance Souveraine من ناحية ثانية . وأضاف إلى ذلك أن هدف الاتفاق المدولي المنشود يجب ألا يكون مقصورا على منع وقوع الحالات غير العادية التي يحدث فيها إخلال صارخ بنصوص المعاهدة كالتي تقع في حالة نشوب حرب أو في حالة اندلاع ثورة عارمة في مصر ولكن يجب أن يحتاط هذا الاتفاق المدولي فيتضمن نصوصا لمواجهة المنازعات والمشكلات اليومية . واختتم كثمته بقوله إنه إزاء كل هذه الاعتبارات التي بسطها فانه لا يزال عند رأبه وهو أنه لا مناص من إنشاء سلطة دولية دائمة في منطقة القناة .

## مندوب المانيا يفنك اسانيد الوفد البريطاني:

ولكن بما تجب الإشارة إليه أن دى دير نتبول Derenthall مندوب ألمانيا هو الملدى تحمل العبء الأكبر في المرد على اعتراضات الوفد البريطاني وفي تفنيد الحجيج التي أدلى بها بوجه خاص سير جوليان بونسفوت Sir Julian Paunoeloto نذكان المندوب الألماني يناقش كل اعتراض على حدة بحيث إذا انتهى من مناقشة اعتراض التنالي وهكذا ؛ بما مجمل على الاعتقاد بأن اعتراض انتقل إلى مناقشة الاعتراض التالي وهكذا ؛ بما مجمل على الاعتقاد بأن المنافق مرسومة بين كاميل بارير Camille Barrère المندوب التالي في الوفد الفرنسي ورئيس اللجنة الفرحية وبين مندوني ألمانيا والنما والحجر والروسيا بحيث ترك الأول للاتحرين مهمة الرد على الوفد البريطاني وتقنيد اعتراضاته . وكانت هذه الخطة تطبيقا عمليا لما ورد في الوفاد البريطاني وتقنيد من أن يكون الوفد المرتسى في بلخة باريس أقل الوفود كلاما بقدر الاستطاعة من ينفس انجاترا .

نعود إلى دى ديرتنهول de Desenthall فنرى كيف حاول تُفنيد الحجج التي أهلى بها الوفد البريطاني .

(أولا) الاعتراض الأول الذي أبناه مندوب يريطانيا بعدم جواز انخابة لجنة الثنانوب كوذجا يحتقى لإنشاء الثجنة الدولية لقناة السويس وإتكار وجود أى تشابه بين قناة السويس وبين نهر المانوب . قرر مندوب ألمانيا أن هذا النشابه موجود وقائم فعلا في صورة واضحة دامغة ؟ 

إذه إذا كانت لجنة المدانوب تتكون فقط من مندوبين يمثلون الدول الواقعة على هذا 
النهر لكان في الاستطاعة اعتبارها هيئة ذات طابع محلى ، ولكن تشترك أيضا 
في عضوية لجنة المدانوب فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وعلى قدم المساواة مع دول 
المدانوب على الرغم من أن تلك المدول الثلاث ليست واقعة على هذا النهر ولا تنساب 
مياهه في أراضيها . وتساعل مندوب ألمانيا عن الحق الذي خول لفرنسا وبريطانيا 
وإيطاليا أن تشترك في عضوية لجنة المدانوب ؟ وأجاب قائلا إنه حتى الدول الكبرى 
الموقعة على معاهدات أوربية ولها مصالح هامة في هذا الطربق النهرى العظيم ويجب 
أن تدافع عن مصالحها .

وخلص من ذلك إلى أنه على أساس نفس هذه الحجة تستطيع الدول الكبرى الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ أن تطالب بحق الاشتراك في لحنة تحتص بمراقبة قناة السويس وهي قناة تشترك فيها بل وتتزاحم فيها مصالح كبرى وخطيرة تفوق في أهميتها وفي خطرها إلى حد بعيد مصالح الدول في تهر المانوب .

(ثانيا) : الاعتراض الثانى الذى أبداه مندوب بريطانيا بأن قناة السويس تخص شركة خاصة ١٦٠ .

قال مندوب ألمانيا إن هذه الحقيقة تعتبر سندا قويا الإنشاء اللولية الدولية المقترحة وتساءل هل في استطاعة أحد أن يجيز إخضاع معاهدة دولية على درجة كبيرة من الحطورة الموائح شركة خاصة ؟ وأجاب بأن شركة قناة السويس ليست لها صفة البيقاء السرمدى بل إنه يمكن أن تتعرض هذه الشركة في يوم ما المحل . وأشار إلى أحداث الثورة العرابية في مصر فأطرى مسلك فرديناند دى لسبس وقال إنه عرف كيف يتخذ تدابير فعالة لتجنيب القناة أي مماس بها . ولكن هل يدوى عرف كيف يتخذ تدابير فعالة لتجنيب القناة أي مماس بها . ولكن هل يدوى

 <sup>(</sup>١) وقع عندوب ألمانيا في نفس الحلماً الذي سبقه البه سير جوليان بونسفوت إذ قرر الاثنان
 أن الفناة تخص الشركة وهي شركة خاصة ولم يذكر أن الفناة ملك لمصر.

أحد أن الرئيس الذى سيخلف فرديناند دى لسبس في رياسة الشركة سيكون له هذا الحظ الوفير من النفوذ الأدبى ومن هذه الصفات السامية التي يتميز بها فرديناند دى لسبس ? وانتهى من مناقشة هذه النقطة إلى القول بأنه لامناص من إنشاء سلطة أكثر حزما وأكثر ثباتا من السلطة التي تتواجد في إدارة شركة خاصة حتى مكن اتحاذ كافة الاحتياطات ضد الحوادث التي يحتمل وقوعها .

# (ثالثا) الاعتراض الثالث الذي أبداه مندوب بريطانيا بأن اللجنة الدولية المقترحة عديمة الفائدة :

قال مندوب ألمانيا إن سير جوليان بونسفوت حاول أن يدلل على عدم فائدة اللجنة المقترحة إذ ذكر الأخير أنه منذ أن افتتحت القتاة للملاحة البحرية الكبرى لم تنشأ أية صعوبة علية ، وإن لوائح الشركة كانت دائمًا موضع الاحترام عند تطبيقها وإن بريطانيا العظمى على الرغم من مصالحها المتفوقة في القناة لم تطالب إطلاقا بضهانات إضافية . وقد رد دى ديرتبول de Derenthall على كل هذه الحجج التى كان قد بسطها سير جوليان بونسفوت متسائلا : هل يكنى أن نشيز فقط إلى الماضى وأن نرجع إليه حين يكون الأمر متعلقا بتقرير مبدأ عظيم نبيل يبقى نافلا على مر العصور وكر الدهور ؟

واستطرد مندوب ألمانيا فقال إنه لا ينكر أحد أنه تقوم في تلك الآونة حركة استمارية هامة بين الدول الأوربية . ففرنسا أنشأت لها امبر اطورية في الهند الصينية وأسست ألمانيا لنفسها مستعمرات فيا وراء البحر الأحمر وانتهجت إيطاليا نفس هذه السياسة الاستمارية . وقال إنه كان من نتائيج هذه الحركة الاستمارية أن تضاعفت أهمية فناة السويس خلال السنوات الأخيرة ، ومن المحتمل أن تقفز أهميتها إلى ثلالة أضعافها في المستقبل القريب . وتساءل المندوب الألماني قائلا هل من المؤكد ... وأوربا تواجه هذه الأهمية المطردة لقناة السويس ... أن الضهانات التي كانت كافية في الماضي ستكون كافية أيضا لمواجهة المستقبل ومفاجآته ؟

واسترسل مندوب ألمانيا فقال إن سير جوليان بونسفوت قد أقر أثناء كلمته بفائلة إجراءات دولية معينة تتخذ لحماية قناة السويس في حالة الحرب. ورد مندوب ألمانيا على هذه النقطة بقوله إن مصر ؛وكانت تنهم بسلام عميق ؛قد قدمت لأوربا أكثر من مفاجأة : كان عراني يتهدد القناة ثم جاءت قوات أجنبية واتخذت من القناة قاعدة لعمليات حربية . وكان من المحتمل أيضا أن يكون الشيخ محمد أجد المهدى زعيم الحركة المهدية التي نشأت في السودان مصدر خطر على قناة السويس (۱) . وتساءل مندوب ألمانيا قائلا أليس من الضروري أمام هذه الحقائق والأحداث أن تمتد رقابة الدول على القناة إلى أوقات السلم أيضا ؟

ررابعا) الاعتراض الرابع الذي أبداه مندوب بريطانيا بأن اللجنة الدولية المقترحة غير ذات موضوع لأن حماية القناة شأن من شئون الحكومة المصرية وحدها دون غيرها من الدول :

أجاب مندوب ألمانيا على هذا الاعتراض بأنه بما لا جدال فيه أن البند السادس من منشور لورد جرانفل قد فرض على مصر أن تتخذ جميع المتنابير التى فى سلطتها لتنفيذ الشروط المفروضة على مرور السفن الحربية التابعة للدول المتخاربة أثناء مرورها في القناة؛ ثم قال المندوب الألماني إن من يفكر مليا في الاقتراح الفرنسي يحد أنه لا يتعارض مع هذا المبدأ الذى تضمنه البند السادس المشار إليه، لأن الاقتراح الفرنسي لا يحرم الدولة صاحبة الإقليم Phissance Territorials من مناشرة جقوقها والوفاء بواجباتها فهى تستطيع استخدام قوات جيشها وشرطتها الاتخاذ التلابير التي تحمل على احترام نصوص المعاهدة ، وخلص من ذلك إلى أن اللجنة الدولية ،

<sup>(</sup>١) أذاع المهدى منشور ا بعد مقوط مدينة الحرطوم في يه أتباعه قال فيه إنه حل راية المهاد الدين ، 
لا يبتنى من وراء ذلك تحقيق أطماع دنيوية مثل إقامة امير اطورية تكون وسيلة لمنع الأروات أو لامتلاك القصور الفضمة ، و لكنه يعمل جاهدا على الأخذ بيد المسلمين المؤمنين وتخليصهم من حالة الرق التي أوجدهم في الاستراد المورية الاستراد المورية الإسلامية وسيميه البها مجدها التليد . ولذلك أعلن أنه اعترام أن يحمل سيفه من الحرطوم إلى برر ودنقلة ثم يحفى قدما إلى القاهرة فالاسكندية ويقم في كل مدينة عربها أركان الشريمة الاسلامية ويقم في كل مدينة عربها أركان الشريمة الاسلامية يوبس المكومة الاسلامية المسحيحة كما أعلن في منشوره أنه بعد أن يتم له الاستيلاء على مصر فسوف يتجه مع أنصاره إلى الأراضي الاسلامية للمقدمة في بلاد العرب ويطرد الاراك وقد فعت حكومتهم بأنها ليست بأفضل من حكومة الكفار غير المؤمنين ، وونهد سكان مكة والمدينة بأنه سيكون بين ظهر انهم في وقدت قريب وقال إن القد مبيخانه و تمال قد أمام مروح من تعدد وروده بسلاح الاعمان الصحيح .

(٣) أدقعه مناوب المائيا مصر من استخدام عبارة الدولة صاحبة الاطليم .

المقترحة إنما تقوى وتدعم عمل الحكومة المصرية بايجاد ضمان إضافي . وأشار المندوب الألماني إشارة سريعة إلى الأحداث التي وقعت في مصر في سنة ١٨٨٧ وقال إنه بدا واضحا للعيان قصور مصر وعجزها عن حماية قناة السويس وقتئذ؛ وعلى ذلك فان من مصلحة الحكومة المصرية نفسها أن تجد عونا في القيام بواجبها من لمدن هيئة دولية؛ كما أن هذه اللجنة المنائمة ستكون مصدر تأييد أدبى الحكومة المصرية .

واختتم دى ديرنتهول مندوب ألمانيا كلمته قائلا إنه لا يعتقد فقط في فائدة اللجنة المدولية المقترحة بل يعتقد اعتقادا راسخا في ضرورة إنشائها بالصورة التي اقترحها مندوب فرنسا ورئيس اللجنة الفرعية .

\* \* \*

#### المشروع الايطالي الأول :

وأعطيت الكلمة عقب ذلك للفقيه الإيطالى الأب أنطونى وهو العضو الثانى في الوفد الإيطالى؛فقال إنه لا يستهدف من كلمته سوى الرغبة في التوفيق بين الآراء المتعارضة وقال إنه يعتزم عقد مقارنة بين المادة الرابعة من المشروع الفرنسي الخاصة بانشاء اللجنة الدولية وبين المادة الثامنة من المشروع الإنجليزى (1).

تطرق الفقيه الإيطالى بعد هذه المقدمة إلى المناقشة الموضوعية فقال إنه لا يدين بالرأى الفائل بأن لجنة المدانوب يمكن أن تعتبر سابقة تستند إليها الحكومة الفرنسية في المطالبة بانشاء لجنة دولية على غرارها لقناة السويس . فنظام الحيدة المقرر لنهر المدانوب سواء من ناحيته التاريخية أو من ناحية الاتفاقات الدولية التي تعرضت لإنشاء لجنة المدانوب وتشكيلها واختصاصاتها — لا يمكن اتخاذه نموذجا يحتذى للجنة دولية يتقرر إنشاؤها لمراقبة قناة السويس . وقال إن تاريخ نظام المدانوب قد بات معروفا للخاصة والعامة في أوربا ، ولكنه يريد أن يتعرض للأحداث التي وقعت بعد حرب القرم وكان لها أثرها في تطوير نظام الرقابة الدولية على الملاحة

<sup>(</sup>١) تنص المادة الثامنة من المشروع الانجليزي على الآتي :

ويتخذ صاحب السعو خديو مصر ، في نطاق موارده ، كل الإجراءات الضرورية ، إذا استدعى
 الحال ذلك ، لجمل السفن الحربية التي تستخدم الفتاة ، تر امى الشروط التي يفرضها الميثاق الحال » .

ني نهر الدانوب . لقد عقدت في أعقاب هذه الحرب معاهدة باريس ( ٣٠ من مارس ١٨٥٦ ) وكان من بين مقررات هذه المعاهدة دخول الدولة العبَّانية في الأسرة الأوربية وتمتعها بكل الحقوق والامتيازات التي يخولها النظام العام الأوربي ، كها تقررت أيضًا في معاهدة باريس سيادة الدولة العثمانية على جميع أجزاء الإقليم الذي تقع فيه مصاب نهر الدانوب . وقال إن معاهدة باريس قد أتاحت للدول السبع الموقعة عليها(١) فرصة للتدخل في تنظيم شئون الملاحة في نهر الدانوب . ولكن كانت تجول في أذهان واضعي معاهدة باريس فكرة التمييز أو التفرقة بين مسألتين دقيقتين شائكتين هما : الرقابة الأوربية على تنظيم الملاحة في نهر الدانوب ، وحقوق السيادة التي للدول الواقعة على هذا النهر . وكان على اللجنة الأوربية بعد مضى سنتين أن تسلم سلطاتها إلى لجنة تتكون فقط من الدول الواقعة على هذا الهر La Commission des Etats Riverains ونسميها في هذا البحث لجنة دول الدانوب . وكان عليها أن تقوم بتنفيذ العمليات الضرورية التي تجعل النهر بعد ايزاكتشا Isakıcha وعند سواحل البحر الأسود المجاورة لمصاب النهر في حالة صالحة للملاحة . وعهد إلى لجنة دول اللانوب أن تضع لواثح الملاحة والشرطة الخاصة بالنهر ، كما عهد إليها أيضا بعد حل اللجنة الأوربية بأن تسهر على المحافظة على مصاب النهر وسواحل البحر المجاورة بحيث تكون هذه وتلك في حالة صالحة الملاحة .

ومضى الفقيه الإيطالى يقول إنه لأجل ضهان تنفيذ هذه اللوائح خولت معاهدة ياريس للدول الحق في أن ترابط كل منها بسفيلتين خفيفتين عندمصاب نهر الدانوب ع وعلى هذا النحو استطاع مؤتمر باريس أن يوفق بين الأمانى القومية لدول الدانوب وبين الاحتياجات الدولية لحرية التجارة . وأخيرا نصت معاهدة باريس فها يختص بالمتحاربين على حيدة النهر وعلى تحريم إقامة تحصينات أو منشآت عسكرية على ضفقى الدانوب .

<sup>(1)</sup> هي قرنسا ، وانجلترا ، والنصا والجر ، والروسيا ، وتركيا ، وسردينيا ، وبروسيا . ويركيا ، وسردينيا ، وبروسيا . ويلاسط أن بروسيا ، لم تتابع إلى الافتراك في من من الله بد منهي فترة على افتتاحه اللهي تم في 20 من فبر ابر ١٨٥٦ . وكان التأخر في دعوتها اللافتراك في المؤتمر نوعا من البقاب ها لأنها اتبعت سياسة الشابية الدوسيا – الحقولة .

واستطرد الآب أنطوق فقال إن الطابع المؤقت للجنة الدانوب كان نتيجة لاتفاق سنة ١٨٦٦ الذي أطال أمد هذه اللجنة خمس سنوات ثم جاءت المعاهدة التي وقعت في لندن فأطالت لائتي عشرة سنة المهلة التي تباشر اللجنة خلافا ساطاتها ، وتقرر في هذه المعاهدة أيضا تحديد الشروط والأحوال التي تجتمع فيها لجنة دول اللنانوب : فعهد إلى هذه اللجنة بازالة المواثق التي تعترض قاع المهر حتى البوابات الحديدية تهر المدانوب . وتضمن الحديدية تهر المدانوب . وتضمن هذا الإعلان اعترافا رسميا صريحا بحق الدولة المثانية - بصفتها الدولة صاحبة الإعلان اعترافا رسميا صريحا بحق أن تدخل سفنها الحربية في جميع الأوقات في نهر المدانوب .

انتقل الأب أنطونى بعد ذلك إلى معاهدة براين التى أبرمت في سنة ١٩٧٨ فنعتها بأنها بمثل المرحلة الثالثة في تاريخ نظام الملاحة في نهر المدانوب، وقال إنها أخطت تغييرا هاما من تاحية القانون الدولى العام على الوضع السياسي لأجزاء من ضفاف نهر المدانوب، لأن المروسيا قد استردت طبقا لهذه المعاهدة اقليم بساراييا Bessarabie الواقع على فرع كيليا هنائكا وعلى مصب هذا الفرع. فغلت المروسيا ورة أخرى في عداد الدول الواقعة على جانبي النهر أى من دول المدانوب. ولذلك كان من المضروري تغيير النصوص التي كانت سارية وقتئذ. فالمنابخة الأوربية كان عليها أن تظل قائمة طوال المدة التي حددت لها في موسمر لندن، فاللبخة الأوربية كان عليها أن تظل والتي الملاحة على طوال امتداد النهر من الملجنة إلى عضويتها مندوبين عن الدول الواقعة على بهر الدانوب ، ثم صبغت فيا المهدنسوص أخرى زادت في اختصاصات اللجنة من الناحيتين القانونية والسياسية. وحرج الأب أنطوني من هذا السرد التاريخي إلى أن الجزء الصالح للدلاحة في نهر الدانوب ينقسم في ذلك الوقت أي في سنة ١٨٥٠ إلى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : ويشمل مصاب النهر ولا تزال أوربا تديره منذ أمد طويل :

الحزء الثانى : ويشمل مجرى مائى دولى دعيت دول الدانوب لإدارته طبقاً لمبدأ المساواة المجللةة بينها في الحقوق . الحزء الثالث : وهو جزء متوسط بمند من جالاتز Galatz إلى البوايات الحديدية ويخضع للنظام الوارد في المادة الخامسة والخمسين من معاهدة برلين .

واسترسل الأب انطونى فقال إن معاهدة لندن المؤرخة في ١٠ من مارسى الممرس قد زادت في اختصاصات اللجنة الأوربية قملت ولايتها القضائية من جالاتز Galata إلى برايلا Brata ؟ كما تقرر إطالة المهلة التي تباشر فيها اللجنة سلطاتها إحدى وعشرين سنة . ولم تظل المراقبة اللغقة الجدية بعد ذلك قائمة على الأجزاء الواقعة على فرع كيليا ، فان ضفتى هذا الفرع قد أصبحتا في ذلك الوقت تحت سيادة دولة واحدة من دول المدانوب . وقد أنشأت لائحة الملاحة لجنة عتلطة الأمر الذي إلى تعديل النظام الذي كان متبعا من قبل .

انتقل الفقيه الايطالى الأب أنطونى بعد هذا السرد التاريخي المستفيض لتطور نظام الملاحة في نهر الدانوب إلى الكلام عن قناة السويس؛ فقال إنها تختلف اختلافا جذريا عن أى نهر دولى، فالقناة لا تخترق أراضى عدة دول؛ وبالتالى ليس هناك ما يبرر إنشاء نظام الكوندمنيوم Condominium أى الاشتراك في الحكم والمراقبة؛ وقد نظمت الفرمانات السلطانية كافة المسائل التي تتصل بادارة القناة وصيانها . ويجب تشبيه القناة بمضيق دولى أنشأته عبقرية الإنسان وأسهمت فيه رموس أموال تنتمى إلى دول عديدة . والقانون الدولى يعترف بحرية المرور مؤسل المضايق لم اقبة تباشرها لمحان

"Le droit de gens reconnaît la liberté des détroits, mais il ne les a jamais soumis à la surveillance de Commissions Internationales siégeant sur le territoire même de l'Etat propriétaire des rives," (1).

وفيا يختص بمصر قال الفقيه الإيطالي إن الذي حدث هو عكس ذلك مماما إذ وصلت الدول الموقعة على تصريح لندن إلى نتيجة مختلفة . وتلا الفقيه الإيطالي الفقرة الآتية من تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥

<sup>(</sup>١) ورد هذا النص في ص ١٩٦ من مضبطه جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ التي سبقت الإشارة إليها .

و لما كانت جميع الدول مجمعة على الاعتراف بالحاجة الماسة إلى لجراء مفاوضات يكون الهدف منها أن تقرر ، في صك اتفاق ، إنشاء نظام نهائى يكفل ضمان حرية استخدام قناة السويس في كل وقت ولجميع الدول؛ فقدا تفقت الحكومات السبع المتقدم ذكرها على أن تجتمع في باريس يوم ٣٠ من مارس ١٨٨٥ لجنة تتكون من مندويين تعينم الحكومات المذكورة كي تقوم باعداد وصياغة هذا الصك على أن تتخذ أساسا له منشور حكومة حضرة صاحبة الجلالة البريطانية والمؤرخ في ٣ من ينابر ١٨٨٣

ويعلق الدكتور مصطنى الحفناوى على موقف الأب أنطونى فيقول ١ وظاهر أن النقيه الايطالى أراد بهذا التعبير أن يقول إن البحث الدولى في موضوع قناة السويس شذوذ عن المبادىء العامة بالأن القناة مصرية وتشق أرض دولة واحدة وهى التي يعنها الأمر ، ولكن نزعات المتكلم الشخصية غلبت فقهه فلم يفصح عا يعلمه و(١).

ثم تعرض الأب أنطونى إلى المادة الثامنة من المشروع الإنجليزى فقال إنها لا تمنى بالشروط الضرورية لقيام ضمان جاعى لتنفيذ الماهدة. ومصر دولة ليست كاملة السيادة ويمكن التسلم ، بصفتها الدولة صاحبة الإقلم Ta Prissance (٢)، بأنها تملك حتى ممارسة أعمال الشرطة على السفن التجارية ، ولكن ماذا يكون موقفها إزاء الأساطيل الحربية التى تتمتم كما هو معاوم الجميع بحصانة وحقوق تناًى بهما عن الخضوع السلطة الإقليمية .

وانتهى الأب أنطونى إلى أنه ليست هناك ضرورة تدعو لإنشاء باخنة دولية خاصة يعهد لليها بمراقبة تنفيذ المعاهدة المقترحة.وقال إنه يوجد فى مصرسلك دبلوماسى(٣٠). والسلطان المخولة لأعضاء هذا السلك تجعل من واجبهم السهر على تنفيذ المعاهدات

<sup>(</sup>۱) دكتور مصطن الحفناوى : قناة السويس ومشكلاتها المماصرة . ج ٣ س ٢٣٩

<sup>(</sup>٢) أشار الفقيه الإيطالي بصريح العبارة إلى مصر حين ذكر الدولة صاحبة الاقليم .

<sup>(</sup>٣) أم يكن في مصر في ذلك الوقت صلك ديلوماسي بل كان بها صلك تنصل ، وكان فناصل الدول في مصر يوجهون رسائلهم إما إلى أهضاء السلك الديلوماسي : السفراء أو الوزراء المفوضين أو القائمين بالأعمال Les chargés d'affaires المقيمين في الآمنانة ، وإما إلى وزارات الحارجية التابعين لحا ، وإما إلى أبلهجين حما .

والعمل على احترام نصوصها ، كما يقع عليهم فى حالة الحرب أو حالة الاضطرابات الداخلة واجب العمل على حماية الممتلكات والأنفس والحقوق المتعلقة بدولهم وبرعايا دولهم . وخلص من ذلك إلى أن أعضاء السلك الدبلوماسى فى مصر لديهم الصلاحية كى يعهد إليهم بمراقبة تنفيذ المعاهدة كلما دعت الظروف إلى ذلك . واقترح على ضوء الآراء التى بسطها الصياغة الآتية للمادة موضوع المناقشة :

« يؤلف ممثلو الدول الموقعة على تصريح لندن ، المعتمدون في القاهرة ، من بين أنفسهم لجنة برياسة مندوب خاص تركى يعاونه مندوب مصرى لتنظيم مهمة حماية القناة وتنفق مع شركة السويس لضهان مراءاة لواثح الملاحة والشرطة في كل مرة تنشب فيها حرب أو تهدد ثورة داخلية سلامة القناة » :

"Les Représentants au Caire des Puissances Signataires de la Déclaration de Londres se constitueront en Commission, sous la présidence d'un Délégué spécial Turc assisté par un Délégué Egyptien, pour organiser le service de protection du Canal et s'entendre avec la Compagnie de Suez à l'effet d'assurer l'observation des Règlements de navigation et de police, toutes les fois qu'une guerre éclatera ou qu'une révolte intérieure menacera la sûreté du Canal."(1)

ويلاحظ أن الاقتراح الإيطالى حاول التوفيق بين الرأيين المتمارضين أشد التمارض . فقد أقر مبدأ إنشاء اللجنة وأقر طريقة تشكيلها المعدلة التي اقترحتها فرنسا ، واحتفظ لتركيا برياسة اللجنة واحتفظ بعضوية مصر في اللجنة دون أن ينص على أن يكون مندوب مصر فا صوت استشارى . ولكن من ناحيتين أخريين سلب الاقتراح الإيطالى من اختصاص اللجنة أخطر حق اقترحته فرنسا وهو مراقبة تطبيق نصوص المعاهدة وإحاطة الدول علما بالاجراعات التي تراها مناسبة لضان تنفيذها . كما أنه قصر قيام اللجنة وقصر عملها على حالتين هما :

 <sup>(1)</sup> ورد فى هذا النص فى س١٦٦٠ من مضيطة جلسة اللجنة الفرصة بتاريخ ٢ من مايو ١٨٨٠ والتي بيئة والأول
 والتي سيقت الاشارة إليها وانظر أيضا الكتاب الأزرق مصر رقم ١٦ لسنة ١٨٨٥ الجزء الأول
 وثيقة رقم ٨٦ مرفق وتم ٢

نشوب حرب واندلاع ثورة داخلية في مصر . فني هاتين الحالتين فقط تتولى لجنة الفتاصل تنظيم مهمة حماية الفتاة والاتفاق مع شركة قناة السويس على ما يضمن احترام لوائح الملاحة والشرطة . وقد بمر حقبة طويلة أو حقب لا تقع في غضونها أى من هاتين الحالتين فتفقد اللجنة خلال هذه الحقبة أو الحقب علة وجودها raison d'être بل يكون الجنة وجود قانوني existence légale لأن قيامها مرتبط بسبب فاذا انعدم السبب انعدم قيام اللجنة بعكس الاقتراح الفرنسي الذي يضفي على اللجنة صفة الاستمرار والدوام إذ تظل يعكس المتراح الفرنسي الذي يضفي على اللجنة صفة الاستمرار والدوام إذ تظل عاشر اختصاصاتها المتعددة في وقت السلم وزمن الحرب على السواء .

وقد أشاد الوفد البريطاني - في تقرير ضاف مؤرخ في ٢ من مايو ١٨٨٥ أرسله إلى آلورد جرانفل وزير الحارجية البريطانية بالموقف الذي وقفه الفقيه الإيطالي الآب أنطوني في جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ . فقال عضوا الوفد البريطانية وألاً أنطوني قد أيد وجهة النظر البريطانية القائلة بعلم وجود أدني تشابه بين تمناق السويس وبين نهر اللانوب ، وأنه قرر أيضا أنه ليست هناك أدني فائدة ترتجي من وجود لجنة رقابة دولية على قناة السويس في وقت السلم الأن شركة القناة أخما متناجات الملاحة الدولية على خير وجه ، وقد قال عضوا الوفد البريطاني تمنا الاقتراح الإيطاني بأنه غرج قد يؤدى إلى تفاهم وفض الخلاف دون إخلال عن الاقتراح الإيطاني بأنه غرج قد يؤدى إلى تفاهم وفض الخلاف دون إخلال بالمبادى التي جاء بها المنشور البريطانية (١) ولكن لم يأخذ لورد جرانفل بهذا الرأى فأبرق في ٨ من مايو ١٩٨٥ إلى سير جوليان بونسفوت يقول إن الحكومة البريطانية تعارض الاقتراح الإيطاني أشد المهارضة كما أنها ترفض الصياغة الفرنسية المعدلة تقارض الاقتراح الإيطاني أشد المهارضة كما أنها ترفض الصياغة الفرنسية المعدلة التي قدمها رئيس اللجنة الفرعية في مستهل جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ إلى المعروب المنافرة عن ١٨ من مايو ١٨٨٥ المهارضة على مستهل جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ المهارضة على التياق قدم من مايو ١٨٨٥ المهارضة على مستهل جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ المهارضة على مستهل جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ المهارضة المنافرة على ١٨ من مايو ١٨٨٥ المهارضة في مستهل جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ المهارضة المنافرة على ١٨ من مايو ١٨٨٥ المهارضة المنافرة على ١٨ من مايو ١٨٨٥ المهارضة المنافرة على مستهل جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ المنافرة على المنافرة المناف

<sup>&</sup>quot;...... and we venture to submit that the proposal of the Italian Delegate (1) indicates an opening which might lead to a compromise without departing from the principles of the British Circular......."

i.i.i

وثيقة رقم ٨٢ من سير جوليان بونسفوت وسير ريفرز ولسن إلى لورد جرانفل وزير الحارجية البريطانية ومؤرخة في ٦ من مايو ١٨٨٥

 <sup>(</sup>٢) المرجع السابق. وثيقة رقم ٨٣ عبارة عن برقية مؤرخة في ٨ من مايو ١٨٨٥ من لورد
 جرافغل وثربر الخارجية البريطانية إلى مير جوليان بوتسفوت.

#### تخط مثدوب تركيا:

وأخبرا تكلم في نهاية جلسة ٦ من مايو ١٨٨٥ حسنى باشا مندوب تركيا ، فأعلن أنه يؤيد إنشاء اللجنة الدولية المقترحة ويقر الصياغة المعدلة التي قدمها كاميل بارير Camille Barrère رئيس اللجنة الفرعية ، وبنى موافقته على سبب ظاهرى يدعو إلى السخرية والرثاء معا ، فقال إنه لا يسعه بعد أن اتفقت المغالبية العظمى من أعضاء اللجنة المقابدة اللجنة المقابدة اللا أن يوافق هو أيضا على قيامها ١ ا وكان يجدر بمندوب تركيا أن يدع جانبا موقف أعضاء اللجنة فلا يتأثر بهم ، لأنهم جميعا يمثلون دولا ذات أطماع إستمارية واسعة ، ولأن بعضا من هذه اللول عملت على تقطيع أوصال اللولة العيانية . فكان يجب عليه أن يضع في اعتباره الأول مصالح ولته ومدى تأثر هذه المصالح بانشاء لجنة دولية دائمة .

لقد قرر حسنى باشا بعد أن أحلن موافقته على إنشاء اللجنة أنه لا يدرك تماما وعلى وجه التحديد الاختصاصات التى ستخول للجنة الرقابة الدولية المقترحة ، وعلى وجه التحديد الاختصاصات التى ستخول للجنة الرقابة الدولية المقترحة ، وطالب بجدف عبارة وردت في الصياغة الفرنسية المعدلة وهي و وتراقب ، في نطاق اختصاصاتها ، تطبيق نصوص المعاهدة الحالية، وتحيط الدول علما بالاجراهات التي تراها مناسبة لضهان تنفيذها » . وقال إن الجزء الأخير من هذه العبارة قد نص عليه في المادة السادسة من المشروع الفرنسي . وأنهى كلمته قائلا إن موافقته على إنشاء المبجنة متوقف على موافقة حكومته . ولا ندرى فيم كانت الموافقة ثم المطالبة بتعديل فقرة منها ثم التراجع والتحفظ . بتوضيح اختصاصات اللجنة ثم المطالبة بتعديل فقرة منها ثم التراجع والتحفظ . لقد كان موقفه إذاء هذه المسألة وفي جلسة ٢ من ما يو ١٨٥٥ يتسم بالتخيط والواقع أن تمثيل تركيا في لجنة باريس كان بوجه عام تمثيلا ضعيفا هزيلا شاحبا .

#### تمليق رئيس اللجنة الفرعية على مناقشات الأعضاء:

ولم يفلح التحفظ الذي أبداه مندوب تركيا في نهاية كلمته ، فقد اعتبر رئيس اللجنة أن تركيا قد غدت في عداد الدول المويدة لإنشاء اللجنة الدولية وأعلزأنه يقرر بارتياح أن جميع زملائه أعضاء اللجنة الفرعية ــباستثناء مندوب بريطانيا ــقد وافقوا بطريقة قاطعة هاتة ومن حيث المبدأ حلى نشاء اللجنة الخلوطية لمقاة فلاسويس وعلى الطريقة التي تتم بها مراقبة تنفيذ المعاهدة كا حدمتها الماجة الرابعة من المشروع الفرنسي وقال إن أعضاء اللجنة قد أثاروا مناقشات أريبة مستفيضة استنفدت مبهم جهودا مضية ، ولكن هذه المناقشات لم نضع سدى ، فقد ألقت ضوءا ساطعا على الموضوع . وأشار إلى الاعتراضات التي أبلاها المندوبان البريطانيان على مبدأ إنشاء اللجنة اللولية ، فقال إنه لن يتناولها جميعا بالردعليها خشية تكرار الحجج اللامنة والمقنعة التي بسطها زملاؤه في تفنيدهم إياها . وأعلن أنه يؤيد هذه الحجج قلبا وقالبا ، ولكنه يقصر رده على ما قاله سير جوليان بونسفوت من أنه لا يوجد أساس للمقارنة بين نهر اللانوب وبين قناة السويس من المقارنة بين نهر اللانوب وبين قناة السويس من المقارنة الله المقارنة المواسلة المسارة المساركة ال

مر رئيس اللجنة الفرعية مرورا سريعا على نشأة بلحنة الدانوب الحالية، فقال إن المادة السادسة عشرة من معاهدة باريس ١٨٥٦ قد قررت إنشاء لجنة عهد الها بازالة العقبات المادية التي كانت تعوق وقتئد الملاحة في نهر الدانوب ، ولكن نصت هذه المادة في نفس الوقت على حل اللجنة حالما تفرغ اللجنة الأولى من القيام بمهمتها ، ولكن قوة الحوادث وضغطها حملت الدول على الإبقاء على لجنة جالاتر علاقها حتى بعد أن فرغت من القيام بالأعمال الفنية التي أنشئت اللجنة لتنفيذها . وكذلك الحال فيا يختص بقناة السويس ، فالمطلوب هو إنشاء لجنة يعهد إليا بالمراقبة من أجل المحافظة على الأعمال التي سبق أن نفذت في نفس الظروف التي تمت فيها مثيلاتها في نهر الدانوب(١٠) .

وفي هذا القول خروج بلجنة الرقابة الدولية عن اختصاصها الأول الذي رسمه لها مندوب فرنسا في الصياغة المعدلة التي قدمها في «ستهل تلك الحاسة براسة ٢ من مايو ١٨٨٥ ــ فقد أضاف إلى اختصاصات لجنة الرقابة الدولية اختصاصا جديدا يتناوله هذا النص الذي ذكرناه . وهو عبارة ، رئة لا يمكن تحديدها وتفتح مجالا واصعا لشتي التأويلات والتفسيرات .

ولم يقف رئيس اللجنة الفرعية طويلا عند هذا التفسير الطارىء، بل انتقل إلى مهاجمة الاحتلال البريطاني لقناة السويس ، فقال إن الفوائد التي تنجم عن إنشاء

De même, il ne s'agit quant au Canal de Suez, que d'établir une Com- ( 1 ) mission chargée de surveiller la conservation des trayaux déjà faits dans les mêmes conditions qu'au Danube.

الظرءُ صَ ١٦٧ من محضر جلسة اللجنة الفرعية بتاريخ ٦ من مايو ه ١٨٨٥ و الذي سبقت الاشارة اليه .

جنة الرقابة الدولية أصبحت واضحة بحيث غلت لا تقبل نقاشا . وإن الصعاب التي مبعثًا وجود القوات البريطانية على ضفتى القناة منذ ثلاث سنوات لهى دليل قاطع على ضرورة وجود سلطة للرقابة في وقت السلم وفي زمن الحرب . ومضى يقول إن الثورات قد تنشب في وقت السلم : وإذا لم يكن فرديناند دى لسبس قد انحذ التنابير التي أقدم عليها لكان أحمد عرابي قد ارتكب أعمالا عمائية ضد المتناة ، وقال إن من أهداف اللجنة الدولية المقترحة منم الإعداد لمثل هذه العمليات العائية التي توجه ضد سلامة القناة .

واسترسل رئيس اللجنة فقال إن هنائه نصوصا تضمنها المعاهدة المقترحة مثل النصوص الخاصة بتحريم إقامة التحصينات وتحريم الاحتلال العسكرى لأية نقطة تشرف على القناة البحرية أو تهدد مجراها أو مداخلها ، وتتطلب هذه النصوص تشرف على القناة البحرية أو تهدد مجراها أو مداخلها ، وتتطلب هذه النصوص الاطمئنان إلى سلامة تنفيذها واحترامها في وقت السلم كما في زمن الحرب ، والملك فان هذه النصوص تستدعى قيام رقابة دولية على قناة السويس ، وتساءل رئيس اللجنة من الذي يتحقق من أن ترعة الماء العلب ليست هدفا لأية محاولة بغية تعطيلها ؟ ومن الحرب الإسلام المجرية سين تكون الحرب وشيكة الوقوع ؟ ومن أجدر من أعضاء السلك الدبلوماسي في مصر بابلاغ الحكومات بأية محاولة تبدل لاحتلال ضفقي القناة والنقط المشرفة على بابلاغ المخلها بقوات عسكرية في وقت السلم بدون أدني مسوغ أو أية ضرورة ؟

ومضى مندوب يقرنسا فقال إنه على الرغم من أن هناك تشابها كبيرا بين لجنة الدانوب وبين اللجنة المقترحة لقناة السويس إلا أنه يرى ألا يذهب زءلاؤه أعضاء اللجنة الفرعية بعيدا في هذا السبيل ، لأن لجنة الدانوب تباشر احقوقا تشمل المراقبة والتنفيذ معا بربينا اللجنة المقترحة لقناة السويس سوف تمارس حقوقا للرقابة فقط و وتبعا لذلك فان اختصاصاتها ضئيلة إذا قيست باختصاصات لجنة الدانوب .

وعرض وثيس اللجنة الفرعية على الأعضاء حجة أخرى قال عنها إنه لم يسبق أن تعرض لها أحد وإنها جديرة بأن تظفر بعناية أعضاء اللجنة الفرعية . وهى إذا أقدمت مصر على حرق المعاهدة ، فأى ضهان تملكه الدول لمتع و مثل هذا الإخلال الخطير بنصوص المعاهدة ؟ ، واختتم كلمته بقوله إنه إذا أنشأت بحنة باريس نظاما لتنظيم حرية المرور في قناة السويس دون أن تدعم هذا النظام بسلطة تقوم بمراقبة تنفيذه تنفيذا سليا محابدا، عام تكون قلقامت بعمل لا ترنجي منه فائدة، وتكون اللجنة في هذه الحالة قد حدت حدو مؤتمر السلام فان هذا الموتمر قد أعلن مبادىء قانونية هامة تنم عن نزعات حميدة سامية لتجنيب العالم ويلات الحروب ولكن هذه المبادىء التي أعلنها المؤتمر سوف تظل في مجال التطبيق العملي عديمة الأثر لأنها لم تخرج عن نطاق الأماني .

### مندوب النمسا والمجر يستشهد باقوال فقهاء القانون الدولي :

وأعطيت الكلمة حقب ذلك البارون دى هان de Esaan مندوب النما والمجر فقال إن اللجنة الفرعة قد قررت مبدأ حرية المرور في قناة بحرية تستخدم لمراصلات بين بحرين تصل اليهما سفن جميع الدول . ولم يشهد القانون الدولى لهله الحالة من قبل مثيلا . ولذلك وأت اللجنة الفرعية أنه من المناسب أن تطبق على قناة السويس – بطريق القياس – النظام المقرر الدوانى المحايدة (۱). كا أضافت نصوصا أخرى من أجل ضهان حرية المرور المطلقة في قناة السويس وبين كا أضافت نصوصا أخرى من أجل ضهان حرية المرور المطلقة في قناة السويس وبين لحقى في وقت الحرب . ثم قال إن هناك تشابها كبيرا بين قناة السويس وبين المضايق التي تصل بين بحرين مفتوحين لكل الشعوب حتى إنه يمكن الأخذ بالقياس بينها لاعاد العلة (۲). وحاول أن يعزز هذا الرأى بأقوال ثلاثة من رجال القانون الدولى فقال إن الأستاذ ا . آزونى A. Azuni قرر الرأى الآئي فها يختص جذه المضانة . :

وحينا تكون المضايق البحرية في موقع يجعل من المحتم استخدامها كطريق
 اتصال بين بحرين تباح الملاحة فيهما لجميع الشعوب ، فان الأمة التي تمتلك المضيق

<sup>(</sup>١) هناك قاعدة قانونية تقول إن النصوص التشريعية تسرى في لفظها وفي فحواها .

<sup>(</sup>٢) التياس هو الحاق أمر لم ينص عل حكة في التشريع بأمر نص عليه فيه لاشتر اكهما في علة الحكم . وما ورد النص بحكه يسمى الأصل أو المقبس عليه ، وهو في هذه الحالة المضايق البحرية ، وما لم يرد النص بحكه يسمى الفرع أو المقيس ، وهو في هذه الحالة قناة السويس . والمني اللهي الإجباء شرع الحكم في فلنصوص عليه يسمى اللمة .

لا تملك أن تمنع غيرها من المرور فيه ، بشرط أن يستعمل المضيق استعمالا معتدلا ولا يحدة به ضهررا .

او إذا كانت هي البادئة باعاقة المرور دون مسوغ يتسم بالعدالة، فأنها تحرم الشعوب الأخرى من ميزة منحتها الطبيعة لهذه الشعوب . لأن حق الملاحة من بحر إلى بحر هو نتيجة لمبدأ المشاركة أصلا في المياه التي هي في امتدادها العظيم مشاع بين الجميع (10) .

وحاول البارون دى هان أن يثبت أن قناة السويس كانت على نحو من الأنحاء مفييقا طبيعيا قديما ، فقال إنه إذا افترض — كما هو ثابت إلى حد بعيد — أن مياه البحر كانت في العصور الجيولوجية القديمة تغطى برزخ السويس بأكمله ، فان اللجنة تكون إزاء تنظيم استخدام مرور السفن في مضيق قديم كانت الطبيعة قد أو جدته في المعصور السحيقة الموغلة في القدم . وعاد يناقش نظرية حرية المرور في المفايق واستند في هذه المرة إلى رأى كالفو Oalvo أحد رجال القانون الدولى وتلا في اللجنة شطرا من أقواله وهي :

« إن حق المرور الحر الذى يباشر في المياه الإقليمية للدول الواقعة على نهر دولى لا يستند إلى نص يرد في عقد الامتياز . ولكن ينبثق من مبدأ حرية البحار واللذى يتصل به ، كنتيجة حتمية ، حرية استخدام طرق المواصلات التي تربط بحرين بقمان بينهما » (٣) .

<sup>«</sup>Lorsque les détroits maritimes sont disposés de manière à servir nécessaire- ( ) ment de communication entre deux mers dont la navigation est commune à toutes les nations, la nation qui possède le détroit ne peut refuser le passage aux autres, pourvu qu'on en use avec modération et sans lui porter dommage.

<sup>&</sup>quot;Si elle s'opposait la première et sans juste motif au passage, elle priverait les autres nations d'un avantage qui leur est accordé par la nature, puisque le droit de naviguer d'une mer à l'autre est une conséquence du principe de la communauté primitive d a eaux qui, dans leur vaste étendue, appartenaient à tous".

ورد هذا النص فى ص ١٩٧٧ من محضر جلسة اللجنة الفرعية بتاريخ ٢ من مايو ١٨٨٥ والذي سبقت الإشارة الله .

<sup>&</sup>quot;Le droit de libre passage, exercé dans les eaux territoriales des Etats ( )
Riverains, no repose pas sur une Concession, mais qu'il dérive du principe de la liberté
des mors, auque se rattache, par voic de conséquence nécessaire, le libre usage des
voics de communication reliant deux mers entre elles".

ورد ها.ا النص فى ص ١٦٨ من محضر جلبة اللبنة الفرعية بتاريخ ٢ من مايو ١٨٨٥ واللحم سبقت الإشارة إليه .

### واستشهد أخيرا برأى دى كسى de Cussy وهو :

دحيث أن المضايق ليست سوى ممرات تصل بين بحرين وتسمح بالملاحة من أحد البحرين إلى الآخر، قان استخدام أحد البحرين إلى الآخر، قان استخدام المضايق يجب أن يكون حراكحرية استخدام البحر نفسه ع (1). واختم البارون دى هان كلمته بأن أكد أن قناة السويس لاتشترك حتى من حيث المبدأ ــ مع خط حديدى في أى وجه من وجوه الشبه .

#### \* \* \*

#### بريطانيا تطالب يتقرير ارتفاق اتفاقى بالرور في القناة :

وتولى سير جوليان بونسفوت Tulian Pannoefote الأول في الوفد البريطاني الرد على أقوال البارون دى هان Ge Haan مندوب النسا والحجرا (؟) فقال إن هذا المندوب حاول استعال القياس بين المضايق التي تصل بين بحرين ، فقال إن هذا المندوب حاول استعال القياس بين المضايق التي تصل بين بحرين ، وبين قناة السويس، وإنه استشهد بكتابات ثلاثةمن رجال القانون الدولي هم ا. آزوني A. Azumi أن هؤلاء الفقهاء الثلاثة قد تكلموا عن المضايق الطبيعية ولم يتعرضوا للممرات الصناعية أن هؤلاء الفقهاء الثلاثة قد تكلموا عن المضايق الطبيعية ولم يتعرضوا للممرات الصناعية وطاقاته في ميادين الهندسة والصناعة في إقلم دولة مستقلة . ولا يمكن التسلم بتحميل مثل هذه الطوق حق ارتفاق دولى بالمرور فيها على الرغم من أنها تصل بين بتحميل مثل هذه الطوق حق ارتفاق دول بالمرور فيها على الرغم من أنها تصل بين بجمين مثل هذه الطوق حق ارتفاق دوخلص

<sup>&</sup>quot;Les détroits n'étant que des passages qui mettent deux mers en ( 1 ) communication, et permettent de naviguer de l'une à l'autre, leur usage doit être libre comme la mer elle-même".

<sup>(</sup>۲) حين اجتمعت اللبنة الفرصة بجلسة ٨ من مايو ١٨٨٥ طلب المنثوب الأول في الوفد البريطاني إرجاء مواصلة البحث في موضوع إنشاء اللبنة العولية إلى جلسة تالية ، واقتراح أن تبحث اللبنة في جلسة ٨ من مايو ١٨٨٥ موضوعات أخرى . وقد استجابت اللبنة إلى انتراحه فيحثت في جلسة ٨ من مايو . المادتين الثامنة والتاسعة من المشروع الفوتسي، ثم أرجات اجهامها إلى جلسة ١١ من مايو . ولف علم الجلسة المانفة من مشهر المجتبة اللبولية . وقد أصليت الكلمة في مستهل الجلسة المناسوب الأول في الوقد الريطاني .

مندوب بريطانيا من ذلك إلى أنه لا محل إطلاقا للقياس بين قناة السويس وبين مفسق بحرى (١) .

ومؤدى هذا القول الذي ذهب إليه مندوب بريطانيا أن الرأى الذي أبداه مندوب النسل أن الرأى الذي أبداه مندوب النسل والمجر بالأخذ بالقياس بين المضايق البحرية الطبيعية وبين قتاة السويس إنما هو رأى يجانب الصواب . وإذا أمكن الأخذ بالقياس في هذه الحالة في رأى البعض على أحسن الفروض ، فانه يكون قياسا مع الفارق . والقياس مع الفارق . عبر جائز قانونا فلا يعتد به ويتعين استبعاده (٢٧) .

إِ وانتقل مندوب بريطانيا الأول بعد ذلك إلى مناقشة الآراء التي كان قد بسطها دى دير تنهول de Derenthall مندوب ألمانيا في جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ ، فقال إن هذا المندوب حاول أن يبرر إنشاء لجنة الرقابة الدولية على أساس

The Delogate of Great Britain observes that these authors were speaking of matter strates, and not of artificial passages, such as the Suez Canal or the Caledonian Canal, created by human industry within the territory of an independent Power. It cannot be admitted that such channels of communication, although connecting two seas, should be burdened with an international servitude of transit. As regards the Suez Canal, it is a question of conventional servitude, and, from this point of view, in his opinion, there is no analogy between the Suez Canal and a maritime strait.

انظر مضبطة جلسة ١٦ من مايو ١٨٨٥ ص ١٩٣٦ ، ص ١٩٦٩ قل الدكتاب الأزرق مصروتم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء الثانى رتم ١٤ عضر رقم ١٣ جلسة ١١ من مايو ١٨٨٥ ص ص ١٨٣ – ١٩٣٦ ( ٧ ) للأخذ بالقياس علة شروط منها أن يكون الفرح أو المقيس مساويا للأصل أو المفيس عليه في علة الحكم ، لأن تعدية الحكم بالقياس إنما تكون إلى نفير الأصل أو شيه. ويقال القياس الذي لا يتحقق فيه هذا الشرط قياس مع الفارق وهو غير جائر قائونا .

جاء في محضر الجلسة ما يلي :

La Délégué de la Grande — Bretagne fait observer que ces auteurs ( ) parlaient des détroits naturals, et non pas de passages artificiels, tels que le Canal de Suez ou le Caledonian Canal créés par l'industrie humaine sur le territoire d'une Puissance indépendante. On ne sauratt admetire que de pareilles voies de communication, quoique reliant deux mers, soient grevées d'une servitude internationale de passage. Il s'agit, quant au Canal de Suez, d'une servitude conventionnelle, et, à ce point de vue, selon ini, il n'y a aucune analogie entre le Canal de Suez et un détroit muritiem.

وأماالنص الانجليزي الذي سجك مضبطة الجلسة فهو :

أن شركة القناة هي مجرد شركة خاصة وأنها تعتمد اعتهادا مؤقفا على النفوذ الشخصي والآدي العظيم الذي يتمتع به رئيسها الممتاز فرديناند دى لسبس ، وأن تعديلات . شتى قد نطراً على نظامها الأساسى ، كما أن أجل امتيازها ، وقت ومحدود . وأنه من المضرورى ، واللجنة الفرعية في صدد وضع معاهدة دولية ، ألا يكون تفكيرها مقصورا على الحاضر ومشكلاته، ولكن يجب أن تمتد أبحائها إلى المستقبل وما قد يجى ، به من أحداث ومفاجآت .

وقد اهتم سير جوليان بونسفوت بلحض هذه الآراء التي جاءت على لسان المندوب الألماني، وتناول بادىء ذى بدء الاعتراض المبني على أن شركة قناة السويس إنما هي شركة ذات طابع خاص ، فقال إن هذا الاعتراض قد تكون له قيمة كبيرة إذا كانت المسألة تتعلق باحدى الشركات المساهمة التي تؤسس لاستغلال إحدى الصناعات . وقال إن هذا النوع من الشركات موجود بكثرة ماحوظة في جميع اللبول . ولكن مركز هذه الشركات يكون عادة غير مستقر تماما ، فقد تتعرض لهزات اقتصادية تودى بها على عكس شركة قناة السويس . وقد أشاد مندوب بريطانيا بمتانة مركزها إلى حد أن جعل منها المثل الأعلى لجميع الشركات في العالم قاطبة ، وقال إنه يجب ألا يعزب عن بال أحدهذه الحقيقة وهي أن فرديناند دى لسبس قد أسس - جنبا إلى جنب مع قناة السويس البحرية التي تم شقها -شركة قناة السويس . وهي من أقوى المؤسسات التي توجد في أوربا ، ولن يستطيع أحد أن يجد لهذه الشركة مثيلا من ناحية مواردها أو نفوذها أو مستوى مستخدميها أو متانة تنظيمها وعظمته أو من ناحية النجاح الذي أصابته في أعمالها ، ثم تساءل عن الضرورة التي تستدعي فرض رقابة على مثل هذه الشركة . وقال مندوب بريطانها أما فيما يختص بما قد يحدث عند انتهاء أجلى امتيازها فان لجنة باريس يجب ألا تشغل نفسها به ، ويكني أن تقور اللجنة في مشروع المعاهدة مبادىء محددة وأن تترك للأجيال القادمة عبء تطوير هذه المبادىء بادخال التعديلات التي تتطلبها الظروف وقنثذ.

#### تراجيع بريطانيا:

وتبدو هنا ظاهرة جديرة بالتسجيل وهي أن سير جوليان بونسفوت التزم إلى

ذلك الوقت وبوجه عام موقف النقد السلبي الذي يقوم على تفنيد آراء المؤيدين لإنشاء اللجنة الدولية لقناة السويس . ولكنه بدأ منذ ذلك الحين خطة جديدة هي المقد الإيجابي البناء . وتتمثل هذه الحطة في عاولة إقناع أعضاء اللجنة الفرعية بطرح فكرة إنشاء لجنة المرقابة اللولية وإحلال نظام آخر يقوم مقاءها . وقد تولى هو بنفسه عرض النظام الجديد ، وقد مهد له بخطوات إيجابية استرضاء لزملائه أعضاء اللجنة ، فأدلى بسلسلة من التصريحات الهامة . قال مذكرا أعضاء اللجنة الفرعية بأنهم حين شرعوا في بحث المادة السادسة من المشروع الفرنسي ، وهي الني تعرضت بادىء ذى بدء لمسألتي المدفاع عن مصر وتنفيذ المعاهدة، قام هو بتوجيه نظر مندوبي المدول إلى أن هاتين المسألتين عناهتان بعضهما عن بعض تمام الاختلاف وأنه قد نعى على المادة السادسة من المشروع الفرنسي هذا المزج بين مسألتين نظر مندوبي المدول إلى أن هاتين المسألتين عز واخد أخلت وقتئذ اللجنة الفرعية بوجهة نظره ، وأفردت مادة مستقلة لمسألة الدفاع عن مصر وإقرار النظام العام بها ، واستبقت لفرصة أخرى مستقلة لمسألة الدفاع عن مصر وإقرار النظام العام بها ، واستبقت لفرصة أخرى بحث مسألة تنفيذ المعاهدة . وهذه المسألة الأخيرة قد تعرض لها منشور لورد جرانفل في المبند السادس على النحو الآتي :

٤ يجب على مصر أن تتخذ جميع التدابير التي في سلطتها لتنفيذ الشروط المفروضة
 على سفن المتحاربين أثناء مرورها في القناة في وقت الحرب»

وقد صرح سير جوليان بونسفوت بأنه يدرك أن زملاءه أعضاء اللجنة الفرعية مجمعون على أن هذا البند السادس من المنشور البريطانى قاصر عن ضهان تنفيذ أحكام المعاهدة في جميع الأوقات والظروف تنفيذا فعالا تطمئن إليه الدول ، لأنه ليست لدى مصر قوات مسلحة تكنى لحمل البسفن الحربية التابعة الدول المتحاربة على احترام نصوص المحاهدة في وقت الحرب (1) وصرح أيضا بأنه يدرك

<sup>( 1 )</sup> السكتاب الأزرق مصر رقم ١٩ لسنة ١٨٨٥ ايلزء الأول

وثيقة رتم ٨٢ من سير جوليان بونسفوت وسير ويفرز ولسن إلى لورد جرانفل مؤرخة في ٦ بن مايو ١٨٨٥

أن قصور هذا البند السادس عن ضهان تنفيذ المعاهدة كان السبب الذي حمل الدول على تأييد إنشاء لمحنة دولية لمراقبة تنفيذ المعاهدة (١). وأضاف إلى ذلك أنه نقل إلى حكومته هذه الآراء فأخلت بها . وأعلن أن حكومة لندن توافق على إدراج نص في المعاهدة يقرر أنه إذا أعوزت مصر الوسائل التي تكفل تنفيذ المعاهدة ، فعليها أن تطلب مساعدة الحكومة العمانية وحكومات الدول الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ ، ويجب على هذه وتلك أن تتشاور فورا لتحدد بانفاق مشترك فها بينها الإجرامات التي تتخذ لتلبية طلب الحكومة الصرية .

ومضى سير جوليان بوتسفوت فقال إن الحكومة البريطانية قد خطت هذه المحطوة للالتقاء بأعضاء لجنة باريس ، وعلى ذلك فليست هناك حاجة للخرض في موضوع إنشاء لجنة الرقابة اللولية ويتمين استبعاده كلية ،ن المناقشة لأن الاقتراح البريطاني يغنى عن الرقابة فيا هو الحارج عن المراقبة التي يباشرها ممثلو الدول في مصر على تنفيذ المعاهدات الدولية وفي إنطاق اختصاصاتهم المعتادة .

#### الشروع البريطاني الأول:

شفع سير جوليان بونسفوت هذه التصريحات بتقديم الاقتراح التالى ونطلق عليه في هذا البحث المشروع البريطاني الأول :

ا تتخذ الحكومة المصرية الإجراءات الضرورية للعمل على احترام نصوص المحاهدة الحالية. وفي حالة ما إذا كانت الحكومة المصرية إلا تدبر الوسائل الكافية، فعليها أن تطلب المساعدة من الباب العالى ومن الدول الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥

وعلى الأطراف السامين المتعلقدين أن يتشاوروا فيا بينهم فورا ليحددوانًا،
 باتفاق مشتركً، الإجراءات التي تتخذ لإجابة طلبها ».

<sup>(</sup>١) محضر جلمة اللجنة الفرعية بتاريخ ١١ من مايو ١٨٨٥ والذي سبقت الإشارة اليه.

"Le Gouvernement Egyptien prendra les mesures nécessaires pour faire respecter les dispositions du présent Traité. Dans le cas où le Gouvernement Egyptien ne disposerait pas de moyens suffisants, il devra réclamer l'assistance de la Sublime Porte et des Puissances Signataires de la Déclaration de Londres du 17 Mars, 1885.

"Les Hautes Parties Contractantes devront se concerter immédiatement pour arrêter, d'un commun accord, les mesures à prendre en vue de répondre à son appel." (1)

#### تفخيص موقف بريطانيا من الافتراح:

ونستخلص من قصريحات سير جوليان بونسفوت ومن المشروع البريطاني الأول الذي قدمه عدة حقائق منها .

رأولا) أن الحكومة البريطانية لا تزال ترفض شكلا وموضوعا مسألة الوقابة المدلمة على قناة السويس .

رثانيا) أن الحكومة البريطانية ترغب في القضاء على تحوف الدول من هيجز القوات المسلحة المصرية عن مواجهة الموقف الحرب في القناة في وقت الحرب وما قد يطرأ على الموقف من مفاجآت عسكرية، وعلى سبيل المثال تستغل سفينة حوبية تابعة لدولة متحاربة ضعف مصر بحريا ، قترفض الخضوع القبود التي تفرضها المعاهدة عليها عند مرورها في القناة .

 إنا الله إن الحكومة البريطانية تدوك أن هذا التخوف كان من بين الأسباب التي حملت مندوبي الدول على التكتل وتأييد إنشاء لجنة الرقابة الدولية على قناة السويس.

 <sup>(1)</sup> ورد علما النص فى ص ١٨٤ من تحضر جلسة اللجنة الفرعية بتاريخ ١١ من مايو ١٨٨٥.
 والذي سبقت الإشارة اليه .

وأنظر أيضا :

السكتاب الأزرق رقم 19 لسنة 1840 إبلزء الأول المرفق دتم ٣ ألوثيقة دتم ٨٢.

(رابعا) أرادت الحكومة البريطانية أن تستبدل بنظام الرقابة الدولية نظاما آخر يغنى ــ من وجهة نظرها ــ عن الرقابة الدولية . ولم يكن هذا النظام المقترح من وضعها بل اقتيسته من الفقرتين الأخيرتين من المادة السادسة من المشروع الفرنسي وهي الخاصة بالدفاع عن مصر وتنفيذ المعاهدة . وهذا هو منطوقهما :

وفى حالة ما إذا كانت الحكومة المصرية لا تدبر الوسائل الكافية فيجب عليها
 أن تطلب مساعدة الباب العالى والدول الموقعة على تصريبح لندن المؤرخ في ١٧
 من مارس ١٨٨٥

 وعلى الأطراف السامين المتعاقدين أن يتشاوروا في الحال ليحددوا باتفاق مشترك الاجراءات التي تتخذ لاجابة طلبها ».

(خامسا ) أن الحكومة البريطانية قد قبلت - فها يختص بتنفيذ المعاهدة - الخطوات التي رسمتها الحكومة الفرنسية في هذا الصدد .

(مادسا) أن الحكومة البريطانية قد اضطرت تحت ضغط تكتل الدول ضدها إلى إدخال تعديل جوهرى على منشور لورد جرانفل . وكانت هذه الحكومة حريصة كل الحوص – كما رأينا – على ألا تخرج المعاهدة المقترحة عن نطاق الأسس التي يتضمنها المنشور البريطاني .

وأخذ سير جوليان بونسفوت يوضح المزايا التي يراها في الاقتراح البريطاني الأول. فكان بما قاله إن صياغته تتمشى مع البندالسادس من منشور لورد جرانفل، وإنه يؤدى إلى حل مرض لمسألة تنفيذ المعاهدة : فصر تقوم بتنفيذها بوسائلها الخاصة أولا ، فاذا عجزت فعليها أن تستعين بالباب العالى ثم أخيرا بالمدول الموقعة على تصريح لندن . وقال إن إنشاء لحنة من قناصل الدول لمراقبة تنفيذ المعاهدة أمر عديم الجدوى لأن مثل هذه المراقبة تلخل بطريقة ضمنية في اختصاصات أمر عديم الجدوى لأن مثل هذه المراقبة تلخل بطريقة ضمنية في اختصاصات قناصل الدور الذي يقوم به كل قنصل على حدة ومن تلقاء نفسه وهو يؤدى أداء نفس الدور الذي يقوم به كل قنصل على حدة ومن تلقاء نفسه وهو يؤدى مهام منصبه . وقد غذا في استطاعة القناصل — بسبب إقامتهم في مصر وبفضل استخدام نظام المرق — أن يوافوا حكوماتهم فورا يأنباء عن أي خطر قد تتعرض استخدام نظام المرق — أن يوافوا حكوماتهم فورا يأنباء عن أي خطر قد تتعرض

له القناة . وتستطيع حينتُذ حكومات الدول الكبرى بفضل سرعة المواصلات وانتشار الصحافة انتشارا واسعا أن تتخذ التنابير لمنع أى خطر يهد حرية الملاحة في القناة ، وبذلك تنتني حالات المفاجأة التي تخشى الدول أن تؤخذ بها على غرة .

وانتقل مندوب بريطانيا إلى مناقشة نقطة أخرى ، فقال إن الدول تريد إنشاء لجنة دولية لمراقبة تنفيذ المعاهدة وتساءل : على من تطبق المراقبة منذ اللحظة التي يأخذ فيها خديو مصر على حاتقه عبء تنفيذ المعاهدة ؟ وكان سير جوليان بونسفوت يقصد من هذا التساؤل هل اللجنة الدولية المقترحة ستراقب خديو مصر وهو يتفذ المعاهدة ؟ أو تراقب شركة قناة السويس ؟ أو تراقب السفن الحربية والتجارية ومدى خضوعها المواشح الملاحة والشرطة في منطقة القناة ؟

ومضى سير جوليان بونسفوت يقول إن المعاهدة المنشودة يجب أن تنأى عن إدخال أى تغيير في العلاقات بين السلطان والخديو أو في العلاقات القائمة بين الحكومة المصرية وشركة القناة . وقال إن منشور لورد جرانفل لم يقرر فرض رقابة من أى لون على شركة القناة ، واختتم كلمت قائلا إنه يعتقد أن المادة السادسة من المشروع الفرنسي والمعدلة بالمصورة التي اقترحها تكنى لتقديم جميع الفهانات المطلوبة وإنه لا يخامره أدنى شك في أن اللجنة سوف تستبعد فكرة إنشاء لجنة دولية لمراقبة تنفيذ المعاهدة ، إذ أن هذه اللجنة المقترحة قد أصبحت بعد تقديم الاقتراح البرطاني حفير ذات موضوع .

. . .

ولم يظفر المشروع البريطانى بموافقة مندوبي الدول، وسرحان ما تعرض مندوب بريطانيا لهجوم عنيف شنه عليه ، على النوائى ، مندوبو ألمانيا والروسيا وفرنسا والنمسا والمجر ، وطالت تلك الحلسة ١٠٠ من مايو ١٨٨٥ – حتى استغرقت الهجم بطوله دون أن تنتبي اللجنة فيها إلى قرار . والحق أن تكتل الفالمية العظمي من أعضاء لحنة باريس ضد يريطانيا لتأييد قيام المرقابة الدولية على قناة السويس كان أعمق وأقوى من أن تزحزحه مثل هذه الآراء التي يسطها سير جوليان بونسفوت دفاعا عن وجهة نظر الحكومة البريطانية .

### متدوب المانيا يعود فيرد على المندوب البريطاني :

وقد رد دى ديرنتهول de Derenthall مندوب ألمانيا فبدأ بتوضيح بعض النقاط التي جاءت على لسان سير جوليان بونسفوت منسوبة إليه ، فقال إنه حين أشار إلى أن شركة القناة تعتبر شركة خاصة لم يكن يهدف إلى القول بأن تدخل الدول أمر ضرورى على أساس الطابع الخاص الذى تتسم به هذه الشركة ، ولكنه أراد بهذه الإشارة أن يوضح لزملائه أعضاء اللجنة اعتبارا هاما هو أن الاواثع التي تضعها شركة خاصة يجب ألا تستخدم لتكون أساسا لاتفاق دولى ، وأنه لا مناص في مثل هذه الظروف من إيجاد ضهانات أكثر جدية وأكثر ثباتا .

وأوضع مندوب ألمانيا نقطة أخرى فقال إنه تناول في كلمته مدة الامتياز المقررة لشركة قناة السويس ونعتها بأنها مدة مؤقتة محددة ، ولكن لم يدر في ذهنه أن يطالب أعضاء اللجنة بأن يضعوا مقدما نظاما يتلام مع الموقف اللدى سيطرأ عند انتهاء أجل امتياز الشركة في سنة ١٩٦٨ ، وأعلن أنه أراد أن يوضح لزملائه أن شركة القناة قد تتعرض للحل قبل انتهاء أجل امتيازها ، وأن شأنها في ذلك شأن أية شركة القناة أمر ممكن حدوثه ، ولو أنه بعيد الاحتمال . ثم تكلم مندوب ألمانيا عن العمليات الحربية التي وقعت في منطقة القناة سنة ١٨٨٧ وقرر في سخف بالغ أن دى لسبس قد أنقذ قناة السويس من أى ضرر بفضل و نفوذه الشخصي و وتساءل هل يكون للشخص الذي يخلف دى لسبس في منصبه هذا المركز وهذه المكانة ؟

وانتقل مندوب ألمانيا بعد ذلك إلى تفنيد بعض الآراء التي بسطها مندوب بريطانيا وترك لزملائه مهمة تفنيد بقية الحجيج ، فقال إنه ليس في الاستطاعة أن تتفق الدول فيا بينها بسرعة على الإجراءات التي تتخد لمواجهة أي خطر بهدد القناة إذا لم تكن هذه الدول قد أخطرت من قبل باقتراحات محددة ودقيقة وضعنها لجنة دولية دوساءل عمل محلات من الناحية العملية طبقا للاقتراح البريطاني ، فقال إن كل ممثل من ممثل الدول في مصر يقوم بابلاغ حكومته بالحطر الذي يتراءى له أنه بهدد القناة ، وسوف تتبادل حكومات الدول الأجنية حينتذ وجهات النظر بعضها مع بعض ، وهو أمر يؤدى إلى مكاتبات عديدة مستفيضة غزيرة تمالاً ملفات

ضخمة ، وقد ينتهى الأمر بطلب عقد لجنة خاصة . ولكن يتغير وجه المسألة إذا كانت هذه اللجنة وجودة من قبل وقائمة على مقربة من مسرح الحوادث ، فإن ذلك يؤدى إلى تسهيل قيام التفاهم المنشود . وإذا فرض أنه لم يكن هناك إجماع في الآراء بين أعضاء اللجنة على التنابير التي تتخذ ، فسوف تكون هناك دائماً أظلية ، ويكون لرأبا قيمته ووزنه .

### مندوب الروسيا يعود فيرد على المندوب البريطاني :

وأعطيت الكلمة لهتروفو Hitrovo مندوب الروسيا فقال إنه يقر بأن شركة قناة السويس تفوق جميع الشركات الأخرى ولا وجه للمقارنة بينها وبين مثيلاتها ، ولكن مهما بلغت شركة القناة من عظم الأهمية وقوة التنظيم وضخامة الموارد في القطاعين الصناعي والتجارى فانها نظل في نظر القانون وقسسة خاصة، والمؤسسات الخاصة لا دخل لها في الملاقات الدولية . وتأسيسا على هذه القاعدة فلا يمكن القول بأن اللوائح التي تضعها شركة القناة تستخدم كأساس لاتفاق دولى أو كضيان لهذا الاتفاق .

وعمد مندوب الروسيا إلى تذكير أعضاء اللجنة الفرعية بما سبق أن قرره أمامهم فرديناند دى لسبس من أنه إذا حدث نزاع بين شركة القناة وبين سفينة تجارية أو سفينة حربية واحتدم النزاع بين الطرفين ، فليس أمام مستخدى شركة القناة – من الناحية القانونية – إلا الالتجاء إلى رجال الشرطة المصرية ، واستطرد فقال إن النفوذ الشخصى الذى يتمتم به فرديناند دى لسبس كان كفيلا بتجنب كل نزاع ، ولكن ليس معنى هذا أن تقرر لجنة باريس ضانات لمعاهدة دولية ، ثم تترك هذه الضانات في مهب الربح متوقفة على النفوذ الشخصى لرجل واحد وعلى إدارة شركة خاصة د

إن وانتقل مندوب الروسا إلى مناقشة الاعتراض الذى أثاره سير جوليان بونسفوت من أن إنشاء اللجنة الدولية المقترحة يؤهى إلى تدخل أجنبى بؤثر فى العلاقات التي تربط بين سلطان تركيا وخديو مصر ، فقال إن تدخل اللجنة بإذا كان هناك تدخل ... فلن يعدو على أكثر تقدير أن يكون بين قائد عمارة حربية وبين السلطات المحلية في القنطرة أو السويس أو الاساعيلية ، وقال مندوب الروسيا السألة لا تمس سلطان تركيا أو خديو مصر ، ولكنه يتوقع حدوث حالات عديدة من النزاع بين شركة القناة وبين ضباط عسكريين من فوى الرتب الكبيرة الذين يعملون في الأساطيل الحربية للدول الأجنبية . ثم عاد يزدد النغمة المرذولة التي سبق أن ذكرها في جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ وهي سيطرة المرجل الأوربي وضرورة إعفائه من الحضوع القضاء الإقليمي في بلاد الشرق . وتساءل هل تخاطر المدول فتخضع مسلك كبار ضباطها العسكريين البحريين لولاية رجال الشرطة المحريين وتقديرهم المدوق ، وقال إنه على النقيض من ذلك إذا أنشئت بلغة لدولية برياسة ممثل اللولة صاحبة السيادة على مصر La Puissance Souveraine دولية برياسة ممثل اللولة صاحبة السيادة على مصر الجميع . وأكد أن الدول لا تحدوها أدني رغبة في أن تندخل لجنة الرقابة الدولية في شئون شركة القناة ، بل إن الأمر على النقيض من ذلك تما الدول هي أن تتدخل على ظروف صعبة ودقيقة وشائكة .

## كلهة متعوب فرنسا :

وبعد أن فرغ مندوبا ألمانيا والروسيا من بسطآرائهما تأييداً لقيام بلحنة المرقابة المولية أعلن كاميل بارير Camillo Barrero مندوب فرنسا ورئيس اللجنة الفزعية أنه يؤيد آراه هما تأييداً مطلقاً ، ثم أخذ يفند الحججج التي بسطها سير جوليان بونسفوت ، فقال إن مندوب بريطانيا يخشي تدخلا من جانب اللجنة الدولية في الشئون الخاصة المتعلقة بشركة القناة ، وأكد أنه ليس هناك مبرر لمثل هذا التخوف ، واستند في تلك إلى انص المذى ورد في المشروع الفرنسي المعدل من أن اللجنة تتفق مع شركة القناة من أجل العمل على احترام اللارتج الموضوع قالملاحة والشرطة ، ومضى يقول إنه لما كانت شركة القناة تقوم فعلا بتطبيق لوائح الملاحة فانه بحب ومضى يقول إنه لما كانت شركة القناة تقوم فعلا بتطبيق لوائح الملاحة فانه بحب عليا أن تتفق مع خلة الرقابة الدولية ، حتى تستطيع الأخيرة أن تكون في مركز يسمح لها بأن تتأكد أن حاية المقامة أمر محقق وكامل لا غبار عليه ، ولتتأكد أيضاً أن لوائح الهلاحة تعلق بطريقة متنظمة ، وأكد مندوب فرنسا أنه ليس في هله الإجراء ما يشتم منه أى تتدخل من الحقة المرقابة الدولية في الشئون الخاصة المتعلقة بشركة قناة المسويس في المشتون الخاصة المتعلقة بشركة قناة المسويس في المشتون الخاصة المتعلقة بشركة قناة المسويس في المناه المناه الموسى في هله المسويس في المشتون الخاصة المتعلقة بشركة قناة المسويس في المناه المسلم المسلم المسلم المسلم في المناه المسلم في المشتون الخاصة المتعلقة بشركة قناة المسويس في المسلم في المسلم في المناه المسلم في المسلم

ودافع رئيس اللجنة الفرعية عن حق تركيا في أن تكون لها رياسة بلحنة الرقابة اللولية المقترحة ، وقال إنه لم يحلث قط أن اجتمعت بلحنة دولية إلا وكانت رياستها لممثل اللدولة التي تقع في أراضيها جميع اختصاصات وواجبات هذه اللجنة . وقال إن هذه مسألة شكلية تقوم على واجب المراعاة لحقوق اللدولة صلحية السيادة على مصر . أما فيا يتصل بتمين مندوب مصرى في بلحنة الرقابة اللدولية فقال إن وجوده أمر ضرورى ، لأن اللجنة تستطيع أن تقف منه على جميع المعلومات والتفسيرات التي قد تحتاج إليها في أثناء مزاولتها لاختصاصاتها . وأضاف إلى ذلك أن المندوب المصرى يعتبر أداة اتصال بين الحكومة المصرية وبين لجنة الرقابة اللاولية .

وانتقد كاميل بلرير رئيس اللجنة الفرعية المشروع البريطانى : وقال إنه لم يكن له من أثر عليه بحيث يجمله يعدل عن رأيه الذي أعلته من قبل ، فهو لا يزال يعتقد في ضرورة قيام هيئة دولية الرقابة على القناة ، ولكنه تدلوك فقال إن الاقتراح البريطانى سيأخذ بطبيعة الحال مكانه في المعاهدة المقترحة ، إذ ستدرج فيها المادة المحلة التي اقترحها سير جوليان بونسفوت ، ولكن ستتضمن المعاهدة أيضاً نصا على إنشاء لحنقالر قابةاللولية . ولن يكون هناك ازدواج أو تعارض بين النصين : فالحكومة المصرية يعهد إليها بتنفيذ المعاهدة ، واللجنة الدولية يعهد إليها بتنفيذ المعاهدة ، واللجنة الدولية يعهد إليها براقبة هما المتنفيذ ، وقال كاميل بارير أيضا إنه يتمسك بالحق المطلق الدول في أن تراقب هي بنفسها تنفيذ المعاهدة عن طريق بمثيها في مصر . وأكد أنه إذا كان الأمر على عكس ذلك ، فلن تقبل أية دولة أن توقع على معاهدة توتبط فيها ارتباطا كيا ومطلقا بالترامات معينة إذاء مصر دون أن تكون مصر هي الأخرى مرتبطة بعيهالات إذاء هذه الدولة .

### مندوب النمسا والمجر يستانف الرد على مندوب بريطانياً:

وتكلم الدارون دى هان de Ham مندوب النمسا والمجر فقال إنه حين تعرض لموضوع المضايق وإمكان اللقياس بينها وبين قناة الدوس، مخلتا كان يتحدث عن المضايق بوجه عام . ولم يفرق في كلمته بين المضايق الطبيعية وبين المضايق التي صنعها يد الإنسان ، فحيها يوجد عمر ماهي يصلي بين مجريف ، فهناك حق لا يقبل جدلا ، هو حرية استخدام هذا الممر الماثى فى أغراض التجارة . وأضاف إلى ذلك أنه إذا كان الممر صناعيا شقته يد الإنسان فان صاحب هذا الممر لا يملك الحق فى أن يغلقه حسب هواه . لك:

ثم تناول في كلمته الاعتراض الذي أثاره سيرجوليان بونسفوت بألاوجه للمقارنة بين نهر الدانوب وقناة السويس . فقال إنه حين كان يتكلم عن هذا النهر مقارنا بينه وبين قتاة السويس كان حديثه منصبا على دلتا النهر و•صابه في البحر الأسود ، ولم يدر مخلده أن يتعرض لحميع أجزاء الدانوب: فالاوائح الخاصة بمصاب الدانوب هي التي تصلح أساسا للمقارنة ، يعكس اللوائح التي وضعت لتنظيم الملاحة في طول عجرى النهر ، إذ هي لا تحقق الغرض الذي يهدف إليه . كما أن إنشاء لجنة الدانوب جاء مخالفا للمبادىء التي تقوم عليها لجان الأنهار الدولية ؛ لأن عضوية لجنة الدانوب ليست مقصورة على الدول الواقعة على هذا النهر ، بل تشمل أيضًا دولًا غير واقعة عليه . والسبب اللي حمل الدول الأخيرة على إنشاء منظمة خاصة لنهر الدانوب هو مصلحتها المشتركة في تحسين الملاحة في هذا الطريق التجارى الهام . وأخذ المبارون دى هان يدلل بالأرقام على أن لجنة الدانوب قد نهضت بالملاحة في نهر الدانوب نهوضا عظها(١). وأكد أنه يمكن الأخذ بالقياس بين مصاب نهر الدانوب وبين قناة السويس . ورد على ما قاله سير جوليان بونسفوت من أن نهر الدانوب يخترق أراضي عدة دول فقال إنه في الوقت الذي انشئت فيه لجنة الدانوب كانت مصاب الدانوب تابعة لدولة واحدة . 111

وشرح البارون دى هان بعض الفروق الجوهرية بين لجنة اللمانوب وبين اللجبة اللمولية المقترحة لقناة السويس ، فقال إن هذه اللجبة المعترجة لقناة السويس ، فقال إن هذه اللجبة سيمهد إليها بصيانة المقناة أى المحافظة على عمل عظيم تم إنشاؤه . أما لجنة اللمانوب فاختصاصها الأساسي المتروج : الإنشاء والصيانة ، ذلك أن معاهدة باريس المبرمة في سنة ١٨٥٦

<sup>(</sup>۱) ذكر البارون إدى هان منفوب النسا والمجر أنه في سنة ١٨٨٣ بلغ" مدد السفن التي دخلت في سمر الدانوب وخرجت منه إلى البحر الأسود ٢٨٨١ بطينة بلغت حولتها ١٩٧٢,٥٩٧٢ طنا ـ ثم عرج عل قناة السويس فقرو أن حدد السفن التي اجتازت الثناة في نفس الدام أبى في سنة ١٨٨٣ قد تغفز إلى ١٩٣٠، تمنية بلغت حولتها ٢٨٠،٥٧٧و طنا زيلاحظ أن عدد السفن التي سرت بالشناة في سنة إلى ١٩٣٠، أفر في ظل الإدارة العزبية بلغ ١٨٠،٥٧٩ م سفينة بلغ إرراضا من ١٠٥،٧٠٠ و ٨٠ جنها

نست على تنفيذ أعمال تستهدف النهوض بالملاحة في ذلك النهر ، وقد تولتها لجنة الدانوب بمكيناً لها من الحافظة على العمليات التي أنشأتها .. ثم انتقل مندوب النما والمجر إلى المنارق من الحافظة على العمليات التي أنشأتها .. ثم انتقل مندوب النما والمجر إلى المنارق اللان فقال إن العمليات التي تحت في نهر الدانوب قد تفلتها الدول ممثلة في لجنة الدانوب . وقد وضعت الدول هذه العمليات من بادى الأمر تحت مراقبها ، كما وضعتها في نفس الوقت و تحت حماية القانون الدولي والممثلة على مناقبها مناما مناما المحتل المحتل المتعارفة المحتل المحتل المناقب المشترت بامتيازات غير عادية أغدقت عليها إغداقا مما جعل لهذه الشركة طابعا عاما النما والمجر الماروب .. ثم تعرض مندوب حتى قبل أن تقتح قناة السويس للملاحة البحرية الكبرى .. ثم تعرض مندوب النما والمجر المناقب المحتل المول المناقب المول علما الملاحة في نهر الدانوب .. قدوضعتها الدول المحتل الرسوم المقررة على السفن التي تسير في الدانوب .. ثما لوات الملاحة في قناة السويس فقد وضعتها شركة القناة ، ويقوم مندوبوها أما لواتح الملاحة في قناة السويس فقد وضعتها شركة القناة ، ويقوم مندوبوها بتبطيق هذه اللوائد دون الغرائح دون أن تعترف الدول اعترافا رسميا بذلك .

وقال مندوب النسا والمجبر إن اللجنة الفرصيرة قد قررت في مشروع الماهدة حرية الملاحة في قناة السويس وعدم المساس بها . وبفضل الروح الطبية التي أبداها اللباب العالى أصبيحت الدول في مركز يسمح لها بانشاء وتنظم هيئة لمراقبة تنفيد اللوائح وضان احترام حرية القناة وعدم المساس بها وللنك فهو يشعر بفيض من الأسف إذ يرى البعض يجادل في الفوائد التي تعود من وراء إنشاء لحنة الرقابة الدولية .

ومضى مندوب النمسا والمجر فرد على تحوف بريطانيا من أن يؤدى قيام اللجنة اللولية المقترحة إلى تدخلها في الشئون الحاصة المتعلقة بشركة القناة ، فقال إن هذه الشركة التخلف علم من أول الأمر اصم والشركة العالمية ، وإن الاجتماعات العامة التي تعقدها الشركة لحملة الأسهم يحضرها مسهمون ينتمون إلى دول عديدة مختلفة ، وإن الوثائق المتعلقة بعقود الامتياز قد أبلغت إلى الدول ، ثم تلا الهارون دى عان خطابا موريحا في 10 من مارس ١٨٧٧ وجهد الكونت داندواسى

d'Andrassy اوزير خارجية النمسا والمجر إلى دى لسبس أبلغه فيه موافقة الممكومة النمساوية المجرية على نظام قياس حمولة السفن الذي أخلت به الشركة . وخلص البارون دى هان من ذلك إلى أنه يرى في هذه الاجراءات تدخلا من جانب أوربا في شئون شركة قناة السويس ، وأن هذا التدخل أوجدته الشركة بنفسها ، وكانت هي الباعثة عليه, وليس هذا التدخل إلا اعترافا بالطابع العام وبالطابع اللولى لمشروع قناة السويس ، وأضاف إلى ذلك أن بجرد قيام لجنة الرقابة اللولية سيؤدى إلى منع كل تدخل خارجي في أعمال الشركة وفي متعلقاتها .

اختتم المبارون دى هان حديثة الضافى بكلمة تصور الحقيقة المائلة وقتلذ في إدارة قناة السويس إذ قال إن سيرجوليان بونسقوت قذ أعلن أن بريطانيا لا ترغب في إنشاء لجنة لمراقبة تنفيذ المعاهدة على الرغم من أن صالحها في قناة السويس تفوق مصالح الدول الأخرى مجتمعة ، وأن المتاجر البريطانية التى تمر في القناة ممثل أربعة أخاس مجموع المتجارة التي تجتاز القناة سنويا . فقال مندوب النمسا والحجر إن هذا حتى لا مراء فيه ، لكن بريطانيا تتمتع في شئون القناة بنفوذ تتضامل إزاءه جميع الضائات الأخرى ، فهي مملك نصف عدد أسهم شركة القناة ، وواحي قد عينت عدما من المديرين البريطانين في مجلس إدارة الشركة ، وزادت من عددهم ، وخلص من ذلك إلى أن مصالح الدول الأخرى في القناة في حاجة الى مزيد من الحماية ، على الرغم من أن هذه المصالح أقل أهمية من المصالح المربطانية ، وأشار إلى التضامن الذي يربط بين الدول الكبرى في مثل هذه المواقف ، وناشد مندوب بريطانيا بألا يخرج على [هذا التضاء ن من أجل مسألة شكلية ولأن مصالح الدول الكبرى تشارك بعضها مع بعض .

# المنعوب الثاني في الوفد الإيطالي يؤيد بريطانيا :

وأعطيت الكلمة بعد ذلك للأب أنطونى العضو الثانى في الوقد الإيطالى غايد وجهة النظر البريطانية من حيث قيام الفروق بين نهر الدانوب وقناة السويس، وقال إنه لا يمكن الأخذ بالقياس بين هذين المطريقين الملاحيين سواء من الناحية التلويقية أو من الناحية القانونية أو وقال إذا أرادت الدول تخويل لجنة السويس الخصاصات ، فان هذه الاحتصاصات ، فان هذه الاحتصاصات ، فان هذه الاحتصاصات .

المتصاصات إدارية أو فنية ، لأن شركة القناة هي الهيئة الوحيدة التي بكن أن تباشر هذه الاختصاصات ، وهي ليست في حاجة إلى أية مساعدة للقيام بالواجبات الملقاة على عاتقها . أما في ظروف الحرب فسواء كانت الحرب المستمر إوارها حربا دولية أو حربا أهلية في مصر ، فان المسألة بتغير وجهها تماما . ولا ينكر أحد أنه لا بد في مثل هذه الظروف المصيبة من انخاذ اجراءات لمنم الأحداث لتي قد تهدد القناة . وتساءل لماذا لا يعهد بادىء ذى بدء بهذه الاجراءات إلى ينكل في الدول الدبلوماسيين في القاهرة ؟ وليس في هذا الأهر غرابة أو شلوذ لأنه ينخل في اختصاصات وواجبات ممثلي الدول المعتمدين في القاهرة . وحذر اللجنة المنوعية بألا تخاطر بسعمها وكرامها ومركزها إذا هي أقرت عملا غير قانوني تقابله شركة القناة بالرفض ، واختتم كلمته بأنه شركة القناة بالرفض ، واختتم كلمته بأنه يتمسك باقتراحه الذي سبق أن قدمه إلى اللجنة بجاسة لا من مايو ١٨٨٥ ويرى يتصلح أساسا للوصول إلى اتفاق يرضي جميع الأطراف ،

وقدرد عليه هتروفو Hitrov مندوب الروسيا فقال إن هناك فرقا جوهويا بين الاقتراح الفرنسي وبين الاقتراح الإيطالى ، فييمًا ينص الاقتراح الأول على قيام لجنة في القاهرة في الإقتراح الإيطالى ينص على قيام لجنة في القاهرة فالاقتراحان ينبقان من مبدأين مختلفين تمام الاختلاف بعضهما عن بعض ، وأحدهما يعهد إلى الحكومة المصرية بالسهر على تنفيذ المعاهدة بينيا ينص الثانى على إنشاء رقابة دولية .

ولكن الآب أنطونى اتحذ من نظام الامتيازات الأجببية القائم وقتله في مصر ركيرة يستند إليها في موقفه ، فقال إن قناصل الدول يباشرون في ظل هلا النظام سلطات شتى وانتصاصات واسعة ، من بينها مراقبة تنفيذ المعاهدات الدولية ، ومشرى بطبيعة الحال على المعاهدة المقترحة لقناة السويس ما يسرى على غيرها . إذ مسيعهد إلى قناصل الدول بمراقبة تنفيذها ، وعليم في حالة الحرب أو الاضطرابات اللاخلية في مصر أن يضاعفوا من التباههم ويقظهم . وشحرج من هذا إلى أن قدام قناصل الدول بمراقبة تنفيذها ليس فيه جديد ، إنما هو تقرير بحالة ظائمة في مصر . ولكن الجديد الذي يطالب به هو أن يدرج نص صريح في المعاهدة . بأن يؤلف القناصل فيا بينهم لحنة تقوم بمراقبة تنفيذ المعاهدة . وعلى دى ديرتهول de Derenthall على هذه الإجابة بقوله إنه لا يظن أنه في استطاعة ممثل الدول في مصر أن يؤلفوا من أنفسهم وفنا بينهم لجنة بالسهولة التي يعتقدها الأب أنطوني ، لأن اجتماعات أعضاء السلك الدبلوماسي تعترضها عقبات ليست هينة . فقد يرفض عيد الهيئة الدبلوماسية توجيه المعودة إلى زملائه لعقد الاجتماع ، أو قد يرفض بعض أعضاء السلك الدبلوماسي قبول الدعوة . وفي مثل هاتين الحالتين تظل الأمور في وضعها السابق . ثم قال مندوب ألمانيا إنه إذا ألقت الدول واجب مراقبة تنفيذ المعاهدة على ممثلها في مصر ، وكان هؤلاء مجردين من كل سلطة فعلية وعاجزين عن اتخاذ أي اجراء ، قان جميع الأسانيد التي قدمها الأب أنطوني تنهاوى وتغدو هباء .

ورد الأب أنطونى على مندوب ألمانيا محددا الأسس التي يقوم عليها اقتراحه"، فقال إنه يرى أن يؤلف قناصل الدول فيا بينهم لجنة تقوم بمراقبة تنفيذ المعاهدة ] في حالتين فقط ، هما : قيام حرب أو اندلاع ثورة داخلية في مصر تهدد قناة ] السويس ، وأن يكون حضور اجتماعات اللجنة أمرا وجوبيا يلتزم به ممثلو الدول ، إ وأن تخضع شلركة القناة لمثل هذه المراقبة في حالة الحرب فقط .

# الشروع الايطالي الثاني :

وتكلم رسان Ressman المتدوب الأول في الوفد الإيطالي فكان على شاكلة زميله الآب أنطوني مؤيدا لوجهة النظر البريطانية وقال إنه طبقا للمادة السادسة من المشروع الفرنسي لا تستطيع الدول الموقعة على تصريح لندن أن تتخذ باتفاق مشترك فيا بينها الإجراءات الكفيلة بمنع أي بخطر يهدد القناة إلا بعد أن تتلقى هذه الدول تبليغا من الباب العالى والحكومة المصرية بطلب المساعدة ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر أو يجادل في الواجب الملتي على عاتق قناصل الدول المتمدين في القاهرة ، وهو أنه يتعين عليهم في حالة الحرب أو الاضطرابات المالحية في مصر أن يتصرفوا تصرفا مستقلا عن أي طلب من الباب العالى أؤ المحكومة المصرية . وخلص من ذلك إلى المطالبة بضرورة إدراج نص صريح في المحكومة المصرية . وخلص من ذلك إلى المطالبة بضرورة إدراج نص صريح في المحاهدة يقرر هذا الواجب على القناصل المعامية عمر عيث يصبح تدخلهم المحلة يقرر هذا الواجب على القناصل المعامية عمر عيث يصبح تدخلهم

أمر! حتميا وضروريا فى حالة نشوب حرب أو اندلاع ثورة داخلية فى مصر . ثم ردد رسمان بعد ذلك نفس الرأى الذى أعلنه الوفد البريطانى وهو أن اللجنة المدلية المقترحة ستكون قليلة الجدوى فى وقت السلم .

وتعرض رسيان إلى ما قاله البارون دى هان de Haan مندوب النمسا والمجر من أن شركة قناة السويس كانت قديرة على ضمان حرية المرور في القناة وعلى تنفيذ لواثح الملاحة والشرطة بمساعدة السلطات المحلية وحدها دون أن يرتفع صوت بالشكوي ، وأن الموقف قد ظل على هذا الوضع حتى وقعت أجداث سنة ١٨٨٧ في منطقة القناة . ثم مضى رسمان يقول إنه على الرغم من هذه الحقائق التي ذكرها مندوب النمسا والمجر عاد هذا المندوب يؤيد فرضُ رقابة دولية على قناة السويس بحجة ضهان تنفيذ المعاهدة وذلك عن طريق إنشاء هيئة دولية دائمة تمثل فيها جميع الدول الموقعة على المعاهدة وتباشر مهامها في وقت السلم وزمين الحرب . وعلق رسمان على هذا الرأى بأنه ينطوى على المغالاة والإسراف . ثم قال إن مندوب بريطانيا من ناحية أخرى قد صرح بأنه في حالة الحرب يمكن اتحاذ بعض اجراءات لضهان حرية المرور في القناة . وخلص المتدوب الأول في الوقد الإيطالي من ذلك إلى أنه يمكن الوصول إلى حل يوفق بين هذين الرأيين . ويتلخص : هذا الحل في أن يدرج في المعاهدة نص صريح يعهد بمقتضاه إلى ممثلي اللوك المعتمدين في مصر والمقيمين في القاهرة بمراقبة تنفيذ المعاهدة ، ويفرض عليهم الاجتماع سويا في حالة ما إذا تعرضت سلامة القناة لخطر قريب متوقع نليجة نشوب حرب أو اندلاع ثورة في مصر . وانتهى من ذلك إلى أنه في استطاعة الفريق المؤيد لإنشاء لجنة الرقابة الدولية والفريق المعارض لقيامها أن يتلاقيا في منتصف الطريق.

(ق] وتمشيا مع هذا الرأى قدم زسان Ressman اقتراحا بتعديل المشروع الايطالى الذى كان قد قدم من قبل الأب أنطوني بجلسة 3 من مايو ١٨٨٥ . ونورد هذا نص التعديل ونطلق عليه في هذا البحث المشروع الإيطالى الثانى :

ويراقب تنفيذ المعاهدة الحالية ممثلو الدول الموقعة عليها ، المعتبدون في مصر ،

وينبهون دون إبطاء حكوماتهم الخاصة بكل منهم إلى كل نقض وإلى كل خطر تقض يمكن أن يقع لها :

د وإذا نشبت حرب أو هددت اضطرابات داخلية سلامة القناة بجتمع هؤلاء الممثلون فورا برياسة مندوب خاص عن تركيا ويشترك معهم مندوب عن الحكومة المصرية يكون صوته استشاريا ، كي يدبروا مهمة خاية القناة وليتفقوا مع شركة السويس لضهان مراعاة لوائح الملاحة والشرطة ع .

Les Représentants en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité veilleront à son exécution et signaleront sans délai à leurs Gouvernements respectifs toute infraction et tout danger d'infraction qui pourraient se produire.

"Si une guerre éclate ou si des troubles intérieurs menacent la sécurité du Canal, ces Représentants se réuairont aussitôt, sous la présidence d'un Délégué spécial de la Turquis et avec le concours d'un Délégué du Gouvernement Egyptien ayant voix consultative, afia de pourvoix au service de la protection du Canal et de s'entendre avec la Compagnie de Suez pour assurer l'observation des règlement de navigation et de police". (1)

وقال رسمان معلقا على هذا المشروع الإيطالى المدل إن تقرير رياسة اللجنة لمندوب تركيا إنما هو من قبيل المراعاة للدولة صاحبة السيادة على مصر وهي تركيا La Puissance Souveraine ، وأضاف إلى ذلك أن عبء مراقبة تنفيذ المعاهدة على ممثل جميع الدول الموقعة على المعاهدة إنما هو إجراء يتسم بالعدالة والحكة والسداد.

### ملاحظات على الشروع الإيطالي الثاني:

ولنا على إهذا المشروع عدة ملاحظات نذكر منها :

(أولا) استيدل المشروع المثانى بعبارة ، ممثار المدول الموقعة على تصريح لندن المعتمدون في القاهرة ، وهي المعيارة التي وردت في المشروع الإيطائي الأول

 <sup>(</sup>١) ورد ملا النص ف ص ص ١٨٨ – ١٨٩ من مضبطة جلسة اللمبنة الفرعية بتاريخ ١١ من هايو ١٨٨٠ وكمني سيئت الإشارة إلحها \_

عبارة جديدة هي # تمثلو الدول الموقعة عليها <sub>#</sub> أي على المعاهدة الحالية وبللك أدخل المشروع الثانى أسبانيا وهولندا في عداد هذه الدول

(ثانيا) أغفل المشروع الثانى إغفالا متعمداً ذكر كلمة ولجنة ، بينا وردت هذه اللفظة في المشروع الأول إذ جاء فيه ( يؤلف ممثلو الدول الموقعة على تصريح لندن ، المعتمدون في القاهرة ، من بين أنفسهم لجنة . . . . . .

(ثالثاً) نص المشروع الثانى على أن ممثل الدول يجتمعون في حالتين فقط. هما حالة الحرب أو الاضطرابات الداخلية في مصر .

(رابعا) قرر المشروع الثانى أن مندوب مصر يكون ذا صوت استشارى ولم يتعرض المشروع الأول لهذه النقطة .

(خامساً ) ليس هناك جديد فى الفقرة الأولى من المشروع المعدل فهى عبارة عن تقرير أو ترديد لاختصاصات أعضاء السلك القنصلى فى مصر من حيث قيامهم بمراقبة تنفيذ المعاهدة وليخطار حكوماتهم بأى نقض لنصوصها .

### المشروع البريطاني الثاني :

وقد فاجأ سير جوليان بونسفوت Jurian Pauncefote المندوب الأول في الموفد البريطاني أعضاء اللجنة الفرعية باقتراح جديد مهد له بتلخيص الأسباب التي حملت الحكومة البريطانية على رفض فكرة لجنة الرقابة الدولية ، ثم قال إنه قد رأى لزاما عليه أن ينقل إلى حكومته رأى أغلبية أعضاء اللجنة الفرعية ، وإن الحكومة البريطانية ، بدافع من روح المسالمة والرغبة في التوفيق بين وجهات النظر المتباينة ، قد أذنت له في أن يقدم إلى اللجنة الفرعية اقتراحا يتلخص في أن يكون بحميع الدول الموقعة على المماهنة الحق في الاشتراك في اتفاذ الإجراحات أن يكون بحميم المدوب البريطاني يقول أنه يشاطر رسمان Ressman مندوب المواليا وقد على المناقب عن التفاصل بحتى اتفاذ تلك الإجراحات الهامة التي قد تتطليها الظروف ولكنهم يخولون حقا تحده الفقرة التيالية على أن تضاف إلى المادة التي اقترحها هو ... أى مندوب بريطانيا ... في المائلة المراب الإسلام المن مندوب بريطانيا ... في مندوب بريطانيا ... في منشل تلك الجلسة وهي جلسة 1 من مايو 1100 .

إلى ويراقب تنفيذ المعاهدة الحالية ممثلو الدول السامية المتعاقدة ، المعتمدون
 في مصر ، كي يخطروا حكوماتهم الخاصة بكل منهم بأى نقض لهذه النصوص
 أو بكل خطر يمكن أن ينج عن انتهاك لهذه النصوص » .

"Les Représentants en Egypte des Hautes Parties Coutractantes veilleront à l'exécution du présent Traité, afin de saisir leurs Gouvernements respectifs de toute infraction ou de tout danger d'infraction à ces dispositions qui pourraient se produire".(1)

وعلق سير جوليان بونسفوت على هذه الصياغة التى اقترح إضافتها بأنها سترضى جميع الأعضاء ، وستجعل من واجب ممثلى الدول فى مصر أن يقوموا في نطاق اختصاصاتهم القنصلية بكل إجراء يرون أنه ضرورى ومجد لأجل حماية المصالح المشتركة .

ومعنى هذا أن بريطانيا قد أقرت ، بنص صريح ، بحق الدول في مراقبة تنفيذ المعاهدة وذلك عن طريق ممثليها المعتمدين في مصر . وهو حق ظلت تجادل

 <sup>(</sup>١) ورد هذا النص في ص ١٨٩ من مضيطة جلسة اللجنة الشرعية بتاريخ ١١ من مايو ١٨٨٥
 والتي سيقت الإشارة إليها .

ومما هو جدير بالذَّكر أن المشروع الإصل لهذا الانتراج البريطانى الثانى كان يتضمن فقرة أخرى ثالة هـ :

<sup>«</sup> ویجتمون کلما دمت الظروف ویشر مون فی اجراء التحقیقات الضروریة کی محطروا حکوماتهم قدرا بالحادث » .

<sup>&</sup>quot;Ils se réunirout quand les circonstances l'exigeront et procéderont aux constanttions nécessaires afin de saisir leurs Gouvernements immédiatement de l'incident".

وقد وضع الوف البريطاني هذا المشروع بفقرتيه وأبرق به في ٢ من مايو ١٨٨٥ إلى لورد جرانغل وزير الحارجية للبريطانية فتلق منه برقية مؤرخة في ٨ من مايو ١٨٨٥ تقول إن الحكومة البريطانية تقو الفقرة الأولى وترفض الفقرة الثانية . وتمثيا مع حلمه التعليات اقتصر منير جوليان بونسفوت على تقدم الاقتراح مضمنا الفقرة الأولى فقط .

انظر:

الكتاب الأزرق مصر رقم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء الأول

وثيقة رقم ۸۲ مرفق رقم ؛ من سير جوليان بونسفوت وسير ريفرز ولسن إلى لورد جرانفل بتاريخ ۲ مايد ۱۸۸۰

ووثيقة رتم ٨٣ عبارة عن برثية مؤرخة في ٧ مايو ١٨٨٥ أرسلها لورد جرانفل إلى الوفد البريطاني في باريس

[فيه طوال المناقشات الضافية السابقة . ويعتبر المشروع البريطانى الثانى تراجعاً ثانيا اضطرت إليه بريطانيا اضطرارا تحت ضغط تكتل الدول ضدها في اللجنةالفرعية.

### ملاحظات على الشروع البريطاني الثاني

ولكن يلاحظ أن هذا التراجع كان في أول أبره تراجعاً شكليا أكثر منه تراجعا موضوعيا لعدة أسباب منها :

أولا : جاءت صياغة المشروع البريطاني الثاني مشوبة بالغدوض المتعمد ، إذ أغفلت النص على أن يؤلف قناصل الدول فيا بينهم لجنة تنولى مراقبة تنفيذ المعاهدة ، بل تركت أمر هذه الرقابة إلى قناصل الدول الأوربية الكبرى الموقعة على المعاهدة يباشرونها على نحو من الأنحاء مجتمعين أو فرادى، وهذا الغموض يجعل المشروع البريطاني الثاني يحمل معنى الطابع الفردي أكثر مما بحمل من معنى الطابع الجماعي ، وكانت حجة الحكومة البريطانية في ذلك ــــكما أوضحها سير جوليان بونسفوت في جلسة ١١ من مايو ١٨٨٥ ــ أنه قد جرى العرف في مصر على أن يعقد قناصل الدول فيما بينهم اجتماعات طارئة يرأسها عميد السلك القنصلي كلما وقعت أحداث خطيرة تهدد سلامة رعايا دولهم أو مصالح هؤلاء الرعايل . وضرب مثلا بالاجتماعات التي عقدها قناصل الدول حين وقعت الاضطرابات الدامية في الاسكندرية إبان حوادث الثورة العرابية . وصرح بأنه ليس هناك ما يمنع قناصل الدول من أن ينهجوا هذا النهج إذا حدث أى خطر بهدد قناة السويس . وهذا القول دفاع هزيل لا يعتد به ، لأنه رفض أن ينص في المشروع البريطاني الثاني على تكوين لجنة من قناصل الدول تباشر مراقبة تنفيذ المعلمدة . والسبب في هذا الرفض وبالتالي هذا الغموض في الصياغة إنما يرجع إلى أن الحكومة البريطانية كانت تعارض معارضة عنيفة قيام هيئة دولية رسمية تنازعها النفوذ والاختصاص في منطقة القناة .

(ثانيا) إن المشروع البريطانى الثانى يعطى قناصل الدول حق المشاركة في مراقبة تنفيذ المعاهدة ، ولكن لا يخول لهم حق اتحاذ تدابير أو اجراءات مباشرة في بل مجرد إيلاغ حكوماتهم بأية مخالفة أو تهديد بمخالفة يمكن أن يقع ضد أحكام المعاهدة (ثالثا) إن المشروع البريطانى الثانى لا يأتى من هذه الناحية بجديد ، لأن حق مراقبة تنفيذ المعاهدات قائم فعلا في مصر وكان يدخل في الاختصاصات الواسعة التي كان يباشرها أعضاء السلك القنصلي بسبب قيام نظام الامتيازات الأجنبية وقتذ في مصر ، وفي هذا يقول سير جوليان بونسفوت في نفس الجلسة .

"Sir Julian Pauncefote fait observer que sa formule impose expressément aux Consuls l'obligation de veiller au maintien du Traité, quoique cette obligation ressorte déjà de leurs attributions ordinaires".

أما اتصال قناصل الدول بحكوماتهم لإبلاغها أى نقض للمعاهدات فهو حق مقرر للقناصل لا تستطيع بريطانيا سلبه منهم .

(رابعا) إن المشروع البريطانى الثانى يغلق الباب فى وجه أية محاولة لما أسمته بريطانيا والتدخل فى الشئون الخاصة المتعلقة بشركة قناة السويس ٤ . لأنه كان من ين اختصاصات بلعنة الرقابة الدولية أن تتفق مع شركة القناة من أجل العمل على احترام اللوائح الموضوعة للملاحة والشرطة . واعتبرت بريطانيا هنا الاختصاص تدخلا فى شئون الشركة . وقد رأينا كيف دافع صير جوليان بونسفوت عن هذا المبدأ دفاط طويلا . ولما كان المشروع البريطانى الثانى قد أغفل النص على إنشاء اللجنة فلا يكون هناك محل للاتفاق مع الشركة وبالتالى ينتنى التدخل فى شؤنها ينه .

(خامسا): أغفل المشروع البريطاني الثاني النص على أن تكون رياسة اللجنة لتركيا كما تجنب التعرض لعضوية مصر في هذه اللجنة وكانت حجة بريطانيا في عمّا الإغفال بشطويه أوهي من خيط العنكبوت . إذ قال سير جوليان بونسفوت إن اشتراك تركيا ومصر في مراقبة تنفيذ المعاهدة أمر يتنافي مع المتعلق ، لأن هذه المراقبة سيعهد به إلى الدول . أما تركيا ومصر فلهما دور آخر هو المحافظة على المتناة ، وستكون الدول رقيبة على تصرفاتهما في هذا الصدد . فاذا اشتركت تركيا ومصر في أعمال المراقبة في هذا أن كل دولة من جاتين الدولتين تقوم بأعمال التنفيذ والمراقبة في وقت واحد وتقيم كل دولة رقيبا من نفسها على نفسها أي أنه تركيا تراقب مصر تصرفات مصر ر

<sup>(</sup>۱) مضبطة جلسة ۱۱ من مايو ۱۸۸۵

ولكن كان هناك دافع ختى حمل بريطانيا على هذا الإغفال هو الإمهان في استبعاد أى احتمال كى يؤلف قناصل الدول لجنة فيا بينهم ، لأن النص على اشتراك تركيا ومصر فى مراقبة تنفيذ المعاهدة والنص على أن تكون لتركيا رياسة هذه الاجتماعات يؤدى إلى تشكيل هيئة أياكان اسمها : لجنة \_ جاعة \_ منظمة \_ جمية \_ مجلس ، وما يستتبع ذلك من تكوين أجهزة فنية وإدارية وكتابية تلحق بها ، وتدلى تنسيق وتنظيم هذه المراقبة التى يشترك فيها قناصل الدول ومندوب عن تركيا وآخر عن مصر .

(سادسا): وأخيراً لنا على صياغة المشروع البريطانى الثانى ملاحظة عابرة سريعة ، فقد استبدلت هذه الصياغة ، على غرار ما فعل المشروع الإيطالى الثانى ، بعبارة والدول الموقعة على تصريح لندن ، عبارة أخرى هي والدول الموقعة على المعاهدة الحالية ».

#### اركان الرقابة الدوليسة على قنساة السسويس في نظس فرنسسا والبول الفسالمة فيها:

وما كانت فرنسا صاحبة الفكرة في إنشاء الرقابة الدولية على قناة السويس لترضى أن تمسخ هذه الرقابة وأن يتضاءل تكوينها وتنكمش اختصاصلتها إلى هذا الحد الذي أرادته بريطانيا . ولذلك أعلن كاميل بارير Gamille Barrère مندوب فرنسا ورئيس اللجنة الفرعية في مواجهة الوفد البريطاني أن أي اقتراح خاص بانشاء الرقابة الدولية على قناة السويس يجب أن تتوفر فيه الأركان الثلاثة الآتية :

( أولا ) الطابع الجماعي للمراقبة la collectivité de surveillance ويتمثل في أن يؤلف قناصل الدول فيا بينهم لجنة تقوم بكامل هيأتها بمراقبة تنقيذ المعاهدة وفير ذلك من الاختصاصات .

(ثانيا): الطابع الإلزامي الدراقية Pobligation de surveillance ويتمثل في أن يكون قيام اللجنة بمباشرة اختصاصاتها أدرا إجباريا ياتزم به قناصل اللعول الموقعة على المعاهدة،

(الله ): حوام المراقبة germanance de surveillance عا ويتمثل في أن تظل

اللجنة قائمة في زمن السلم ووقت الحرب على السواء أى يكون لها طابع الاستمرار والدوام .

وقال هتروفو Hitrovo مندوب روسيا مؤيدا أقوال مندوب فرنسا إن اللجنة الدولية المقترحة يجب ألا يكون قيامها مقصورا على وقت الحرب ، بل يجب عليا أن تباشر يوميا وعلى مدار السنة أعمال المراقبة على حركة مرور السنة في القتاة . ومن المختلل وقوع حوادث عديدة تنطوى على إخلال بنصوص المخاهدة . فلا مفر من إنشاء هيئة تكون قائمة بصفة دائمة لتفصل في المسائل مثار المنزاع . وقال إنه يشفق على هذه الهيئة ، لأنها لن تواجه مواقف دقيقة شائكة في وقت الحرب فقط بل في وقت السلم أيضا ، فقد ترتكب سفينة حربية في وقت السلم وهي تجناز القناة أعمالا تتعارض تعارضا صارخا مع أحكام المعاهدة . واختم مندوب الروسيا كلمته قائلا إنه لا يليق بالحكومة العيانية أن تترك الحكومة المجرية التي تجناز القناة ، وإنه أكرم المحكومة العيانية أن تترك الشرطة على السفن الحربية التي تجناز القناة ، وإنه أكرم المحكومة العيانية أن تدع هذا الحق تباشره لجنة دولية يرأسها مندوب عن الباب العالى .

ورد عليه سير جوليان بونسفوت فقال إنه لم تنشأ إلى ذلك الوقت صعوبة من تصرف سفينة حربية أثناء مرورها في القناة . وتساءل قائلا إذا رفضت سفينة حربية الخضوع للقيود والأنظمة التي تنص عليها المعاهدة ، فما هي السلطة التنفيذية التي تملكها لجنة دولية أو الشرطة الإقليمية لحمل هذه السفينة الحربية على احترام أحكام الماهدة ؟ إن مثل هذا التصرف لا يعدو أن يكون إخلالا بنصوص المهاهدة من جانب الدولة صاحبة السفينة الحربية ، ولن يفعل ممثلو الدول في المقاهرة في هذه الحالة أكثر من إبلاغ حكوماتهم بهذا الحادث الذي يصبح مسألة دبلوماسية تسوى بالطرق الدبلوماسية المعتادة ..

وقد أجلب هتروفو Etitrovo مندوب الروسيا فقال إن الدول قد تحملت هذا الوضع ورضيت به إلى ذلك الوقت ، لأنه لم تبنغر عنه حوادث ،وشفة . [ولكن ليس فى الاستطاعة قبول فكرة إقرار هذا الوضع من الناحية القانونية بالنسبة للمستقبل وهو ملىء بأحداث يتعذر التكهن بها مقدماً .

الثانى في الدافسة سير ريفرز ولسن Sir Rivers Wilson المندوب الثانى في الرفد البريطانى فقال إنه يعتقد أنه كان يجدر بالدول أن تثير هذه الماقشة في سنة ١٨٩٦ حين صدر عقد الامتياز الأول الإنشاء القناة أو في سنة ١٨٩٦ حين كانت ثبركة القناة تقوم باجراء مفاوضات من أجل الحصول على تصديق سلطان تركيا على عقدى الامتياز والاتفاقات التي أبرمتها مع الحكومة المصرية. فني ذلك الوقت لم يحطر على بال الدول أن تقرر مبدأ حق التدخل الدولى في شون قناة السويس. وقد أثبتت التجربة خلال تلك السنوات الطوال أن الدول قد التزمت جادة الحق والصواب حين باعدت بين نفسها وبين التدخل في شئون القناة . وتساءل عن الأسباب التي دعت الدول في سنة ١٨٥٥ إلى محاولة تقرير مبدأ التدخل وإدخال تعديل على نظام ثبتت صلاحيته وقوته وسلامته .

وتولى رئيس اللجنة الفرعية الردعليه ، وكانت إجابته تجمع بين التهكم وبين قوة الحجة ، فقال إذا أخذت اللجنة نفسها بالمنطق الذى يتكلم به سير ريفرز ولسن فليست هناك حاجة تدعو إلى وضع ، شروع الماهدة الذى تناقشه اللجنة الفرعية . وأضاف إلى ذلك أن الحكومة البريطانية هي التى أخرجت مسألة القناة إلى النطاق الدولى حين أرسلت منشورها المؤرخ في ٣ من يناير ١٨٨٣ إلى الدول الكبرى تعرض عليها وضع اتفاق دولى يقرر مركز قناة السويس في المستقبل على أساس أكثر وضوحا ويمنع ما يحتمل أن يقم من أخطار على القناة .

وقال هتروفو Hitrovo مندوب الروسيا إن من رأيه ألا تغفل اللجنة الغرعية أية وسيلة تضمن بها بقاء المعاهدة سارية المفحول ، وتضمن بها احترام جميع اللمول لنصوصها ، ومضى يقول إن غالبية الأعضاء يرون في لحنة الرقابة ضهانا ضروريا لتحقيق أهداف المعاهدة . ولم تعارض الحكومة المثانية إنشاء هذه اللجنة مع أن هذه الحكومة يهمها الأمر بدرجة أكبر وبصورة أخص من غيرها . بينا يرى الفريق الممارض أن لحنة الرقابة عديمة الجدوى ولم يثبت أحد من الأعضاء

أنها تنطوى على أضرار . وأهاب بزملاته ألا يغفلوا النص في صلب المعاهدة على هذا الفيان الذي هو أمر لا غناء عنه . ولكن سير جوليان بونسفوت أفصح عن مكنون نفسه ، فرد عليه قائلا : ٩ إن بلحنة الرقابة اللولية هي منظمة خطيرة تؤدى إلى تدخل مستمر في شئون شركة القناة ٤ .

#### مندوب تركيا يؤيد انشاء الرقابة الدولية:

وقد طلب كاميل بارير Camille Barrère رئيس اللجنة الفرعية الى حسنى باشا مندوب تركيا أن يدلى برأيه بعد أن استمع إلى هذه المناقشات الضافية فأعاد ما سبق أن أعلنه وهو أنه يويد إنشاء لجنة الرقابة على ضوء ما جاء به المشروع الفرنسى لأن معظم زملائه قد أيدوا إنشاءها . ثم انتقد المشروع البريطانى وقال إن تنفيذه يصادف عقبات خطيرة ، وأنه يفضل قيام لجنة فنية تقوم بأعمال الرقابة وتكون اختصاصاتها عددة تحديدا دقيقا . ويعلق الدكتور مصطفى الحفناوى على موقف مندوب تركيا من موضوع قيام لجنة الرقابة الدولية على قناة المسويس فيقول وومما يوسف له أن تركيا ، قد انساقت وراء ذلك التيار الاستمهارى الخبيث وقبات الاقتراح الفرنسى ، بغفلة وجهالة ، وحبذت فكرة قيام لجنة دولية » (١٠) .

## الاقتراح الهولندي :

وأعلن جانس Jansen مندوب هولندا أنه يؤيد آراء زملائه مندوبي الماني والنسا والمجر وفرنسا والروسيا وتركيا ، وأن إنشاء لجنة دائمة المراقبة أمر لا غناء عنه ، ثم قال إنه قبل أن يبدى رأيه في تشكيل لجنة الرقابة وفي تحديد اختصاصاتها ، يرى أنه من الفرورى أن تتضمن الماهدة مادة تضنى على لجنة الوقابة المقترحة سلطة أدبية تحتاج إليها لتأدية واجبها على الوجه الأكمل . واقترح إداج النص الآتى :

<sup>( )</sup> دكتور مسطق المقتاوي : قناة السويس رج ؟ . ص ٢٤١ .

. . و يتعهد الأطراف السامون ألمتعاقدون باعتبار كلُّ عَمَلَ متعمد يقضنك منه أعاقة المرور في الفناة وكل إخلال متعمد بنصوص المعاهدة الحالية ، اعتداء على القانون الدولي »

'Les Hautes Parties Contractantes s'engagent à considérer tout acte prémédité pour entraver le passage du Canal et toute infraction intentionnelle aux dispositions du présent Traité comme une offense au droit de gens".(1)

ولكن اللجنة رفضت إدراج هذا النص في مشروع الماهدة .

### مندوب المانيا يواصل تفنيد آراء الوفد البريطاني:

وقد اهم دى دير تهول . de Derenthall . بعنيد آار أى الله دهم الله بعنيد آار أى الله دهم إليه سير جوليان بونسفوت . Sir Julian Pauncefote . من جلم المتال حدوث خالفة في المستقبل الواقح الملاحة بمقولة أنه لم يقع من السفن إخلال المتال حدوث عنالفة في المستقبل الواقح الملاحة بمقولة أنه لم يقع من السفن وإذا لم تكل الوقت (١٨٨٠) فقال إله ليس هناك ما يمنع من وقوع إخلال بهذه اللواقع في المستقبل وإذا لم تكن المخلفة . وإن شركة القناة وحدها هي التي في استطاعها أن تلمع الحقائق من وقوع المخالفة . وتسامل مندوب ألمانيا هل الشركة مستعدة الآن تبعث بمكاتبات ضافية إلى جميع ممثل الدول المعتمدين في مصر لتخطوهم بأمر هذه الخالفة وملابعاتها . ثم أوضع أنه إذا وجلت هيئة رسمية لمنا الغرض على ما ما علم تكرن دائما على أهبة الإستعداد للاجتماع وإجراء التحقيقات واتحاذ القرارات وإحاطة حكومات الدول علما بما حدث .

إ وقد رد سير ريفرز ولسن المندوب الثانى في الوفد البريطانى على الشطر الأخير من أقوال مندؤب ألمانيا فقال إن من مصلحة شركة الفناة إلى حد بعيد أن تخطر حكومات المدول بالمسائل التي تهم هذه الدول . وقد سيق أن تبحث الشركة هذا الهج ، فيعش، برسائل إلى المدول بطريقة جاعية ، ومضى يقول إن تمناة المبديس

<sup>(</sup>١) ورد هذا النس في ص ١٩١ بن مضيعة بلسة النبعة الفرجة بتاريخ ١١، بن مايو ١٨٨٠ وَالْنَ سَبِئَتُ الْاِشَارُةِ الْنِيانُ

ستخضع بمقتضى المعاهدة لأحكام القانون الدولى : وإذا حدث إخلال بنصوص المعاهدة فان المسألة تكتسب أهمية كافية بحيث تقف الدول على هذه المسألة عن أى طريق من طرق النشر والإعلام أو عن أى طريق آخر ?

ولكن لم ترق هذه الإجابة مندوب ألمانيا ، فقال إن تنفيذ المعاهدة يتوقف على إخلاص شركة القناة وحسن نيتها ، فهي حرة في أن تحابي نفس الدولة التي ارتكبت سفيتها أو أسطولها الحربي المخالفة ، إذا كانت مصاحة الشركة تنطاب مثل هذه المحاباة . وتابع مندوب ألمانيا كلامه ،ؤيدًا قيام لجنة الرقابة الدولية نقال إن هضوى الوفد البريطاني يعتقدان أن هذه اللجنة عديمة الجدوى . وقد تتحقق ظنونهما ، ولكن هذا التحقق ليس أمرا أكيدا قاطعا ، إذ يوجد اختلاف في الرأي حول هذا الموضوع . وفي حالة الشك لا يكني أن تقصر الحاجة على عدم فائدة اللمجنة ، فهناك وجه آخر المعرضوع على جانب كبير من الأهمية ، هو إقامة الدليل على الأخطار التي تترتب على إنشاء بلحنة الرقابة الدولية . ما هي الحمج التي تساق في هذا الصدد ؟ وما هي المضار التي تنجم عن قيام لجنة الرقابة ؟ وقد تولى هو بتفسه الردعلي تساؤله قائلا إن العضوين البريطانيين قد لافنا بالصمت المطبق فلم يشر آحد منهما إلى مضار لجنة الرقابة الدولية . لقد قبل إنه أن يكون لدى اللجنة عمل تؤديه في وقت السلم ، وإذا تحقق هذا الحدس قانه يفخر بذلك . واكنه تساءل مرة أخرى مافا يحدث حين يداهم القناة خطر من الأخطار ؟ وأجاب قائلا إنه ستكون هناك لجنة الرقابة وستكون هذه اللجنة على أتم استعداد لمباشرة اختصاصاتها فورا وبدون إبطاء

وواصل مندوب ألمانيا حديثه فقال إن البارون دى هان de Haan مندوب النمسا والمجر قد أثار تقطة هامة في تاريخ قناة السويس . فقد قرر ، وكذلك قرر صور ريفرز ولسن ، أنه كان هناك دائما تدخل من جانب الدول في شئون شركة القناة ، وأن الشركة لم تقدم على أى عمل بدون ،وافقة الدول الكبرى . وتساحل لماذا غدت بعض المدول تعترض على إقرار هنا الموقف الذي لا يعتبر جديدا ؟

وحمل مندوب ألمانيا حملة قوية على المشروع البريطانى الثانى ، فقال إن هذا المشروع يجعل من شركة القناة دولة مستقلة تقريبا ، دولة تكون هى الحكم الوحيد في سرية المرور في قناة السويس ، لأن المشروع البريطانى يستبعد كل وسيلة من وسائل الرقابة على الشركة ، وإذا كان هذا الوضع قد ظل قائما منذ افتتاح القناة للملاحة البحرية الكبرى في سنة ١٨٦٩ إلى ذلك الوقت (١٨٨٥) فستكون هناك خطورة إذا تأيد هذا الوضع غير العادى بالنص عليه بطريقة ضمنية في انفاق دولى .

واسترسل مندوب ألمانيا فقال إن الدولة صاحبة الإقلم وإن من مصاحة بين الدولة (1)، وإن من مصاحة بين الدول أن تقبل قيام هذه اللجنة ، وأشار إلى تحوف سير ريفرز ولسن من أن اللجنة المقترحة سوف ينتبي بها الأمر إلى التدخل في شئون شركة القناة . وقد رد مندوب ألمانيا على هذا التخوف بقوله إنه من المؤكد أن الشركة لا تسمح بأى تدخل في شئونها الخاصة ، ولا يراد تحويل اللجنة المقترحة الحق في أن تتنخل بأية طريقة وعلى أية صورة في الإدارة المناخلية الشركة ، كما أن هذه النقطة لم تكن على بحث على الإطلاق بين أعضاء بلعنة باريس ، وطلب مندوب ألمانيا في ختام كلمته أن يوضح الوفد البريطاني الأضرار والصحاب التي يقول إنها تنجم عن إنشاء بلغة المرقابة المدولية .

#### المنافشة بين الوفد البريطاني وبين مندوب المانيا:

آوقد أحرج هذا الطلب العضوين البريطانيين أيما إحراج ، يدل على ذلك أن سير ريفرز ولسن حام فى إجابته حول الموضوع دون أن يتعرض لجوهره ، بينما طلب سير جوليان بونسفوت إمهاله إلى الجلسة التالية للرد جليه . قال سير ريفرز

<sup>(1)</sup> كان متدوب ألمانيا يقصد من صارة الدولة صاحبة الاظلم تركيا ، وهذا مثل آخر الحلط اللدى كان يقع فيه يعش أعضاء اللجنة فالبعض كان يقصد مصر بهاء العبارة ويصف تركيا بأنها الدولة صاحبة السيادة La Puissance Souveraine

ولسن إن عبء الإثبات يقع على الحانب الذي اقترح إنشاء لحنة الرقابة الدولية وذكر العبارة القانوئية الملاتينية Onus probandi (أ) ثم أخذ يتمسح بمنشور لورد جرانفل المؤرخ في ٣ من يتاير ١٨٨٣، فقال إن هذا المنشور لم ينص على إنشاء رقابة دولية على قناة النسويس ، ولا يجوز للأعضاء أن يتجاوزوا في مناقشاتهم نطاق الأسس التي تضمنها المنشور ، وعلى ذلك فلا محل لمنقشة موضوع الرقابة الدولية . وأضاف إلى ذلك أن مثل هذه المناقشة قد تجر الأعضاء إلى الخوض في مسائل سياسية وهو أمر يتعارض مع مهمة لجنة باريس .

وقد سارع دى ديرتهول de Derenthal مندوب ألمانيا إلى الرد على سير ريفرز ولسن فنى ما ذهب إليه هذا المندوب البريطاني، وقال إنه لم ينظل مى عاطره أن ينقل المناقشة إلى الحقل السياسي ، وإنه لم يتنجاوز حدود مهمته التي تفرض عليه تقرير حرية مروز السفن في القناة ثم إحاطة هذه الحرية بضانات كافية بجعلها بمناى عن كل محاولة للمساس بها ، وقال إنه على لهذا النس من تسلسل الآراء قد طلب إلى الوقد البريطاني أن يوضع الضعاب التي تنطوى على إنشاه الحقاقة ولكن سير ريفرز ولسن اعتبر أن إجابة هذا الطلب تودى إلى تشاه المناقشة إلى النطاق السياسي ويضني عليها طابعا سياسيا ، أما بخصوص عبم الإنبات المناقشة إلى النطاق السياسي ويضني عليها طابعا سياسيا ، أما بخصوص عبم الإنبات في بسط الأسانيد تأييلا لقيام الرقابة المنولية من تاحية ، ودحض الآراء التي تلرع بها الوفد البريطاني لمنع قيام الرقابة المنسودة من ناحية ثانية ، وحسب أعضاء تلرع بها الوفد البريطاني لمنع قيام الرقابة المتسودة من ناحية ثانية ، وحسب أعضاء من مرورة إنشاء رقابة دولية على قناة السويس إنما تقوم على أساس سليم مكين .

<sup>(</sup>١) تعبير لاتبي معناه عبء الاتبات ."

<sup>( ) )</sup> الكتاب الأورق مصروفه 19 السنة ١٨٨٥ الحر الطال وقم 10 عضروفم 1 باست

الدولية فقال إن أعضاء هذه اللجنةسوف بواجهون حالة أكيدة من التعطل والفراغ، إذ لن يكون لليهم ما يشغلهم من الناحية العملية ، وان يعدموا وسيلة لإيجاد عمل لم بدلا من أن يجلسوا وأيديهم على صدورهم : والاقتراح الفرنسي ينص على أن تتفق لحنة الرقابة مع شركة القناة من أجل تنفيذ لواثح الملاحة والشرطة . واكن إذا لم تكن هذه اللجنة مزودة بسلطات قانونية ، وليست النية متجهة إلى تخويلها مثل هذه السلطات ، فانه يصعب أن تصل اللجنة إلى اتفاق مع الشركة . وسيكون تلخل اللجنة مبعث صعوبات ومنازعات لا يكون من السهل تسويتها . وفضلا عن ذلك ، فانه ليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن توافق شركة القناة على أن تدخل في نحلاقات مع السلطة التي تقام بجانبها ، ومضى مندوب بريطانيا يقول إنه نما لا شك فيه أن الحكومة المصرية هي التي سوف تتحمل نفقات إنشاء لجنة الرقابة الدولية ، ومعنى هذا مزيد من الأعباء والالتزامات على الخزانة الصرية ، كا أن مركز اللجنة سيكون مصدرا الحيرة والارتباك والألم معا حين تواجه حالة من الحالات التي من أجلها يواد إنشاؤها . وضرَّب لذلك مثلا فقال إذا أخلت سَفينة حربية بأحكام المعاهدة فان بلحنة الرقابة الدولية ــ وهي مجردة من كل سلطة تنفيذية ـــ شأبها في ذلك شأن الشرطة المصرية سواء بسواء ــ ستكون عاجزة عن اتحاذ أي إجراء تنفيذي إزاء تلك السفينة الحربية ، ولن يكون أمام لجنة الرقابة طريق آخر تسلكه سوى تحويل هذا الحادث ــ وهو الإخلال بنصوص المعاهدة ــ إلى حادث دبلوماسي تقوم حكومات الدول الأوربية بتسويته، وأخيراً فان لجنة الرقابة سيكون لهُا طابع الدوام والاستمزار ، وهو أمر ليَّست له سابقة . واختُم سير نجوليَّان بونسفوت رده بالمطالبة باخالة موضوع الرقابة الدولية إلى اللجنة العامة ، واشتند في تبرير هذا الطلب إلى أن خلافا جوهريا في الرأى قد نشأ بين الأعضاء نخصوص لَهُذَا المُوضُوع ، وأن اللِجنة العامة قلِد قررت في أول جلسة عقدتها بتاريخ ٣٠٠ مَنْ مارس ١٨٨٥ بأنه يجوز للجنة الفرعية دعوة اللجئة العامة إلى الاجتماع إذ وقتم خلاف خطير في الرأى بين أعضاء تلك اللجنة حول مسائل تتصل بالمباديء(١) .

الله المناهر لمن القرار الذي المناقبة المناقبة علمية ، ٣ من مارس م ١٨٥. La Sous-Commission pourra provoquer la convocation de la Commission Plénière si des divergences graves sur des questions de principes se manifestent entre ses membres.

وتمشيا مع خطة التزم بها الوفد الإيطالى فى معظم المواقف داخل لجنة باريس انشم هذا الوفد إلى سير جوليان بونسفوت فى طلب إحالة الموضوع إلى اللجنة العامة بينها اعترض على هذه الإحالة مندوبو فرنسا والروسيا وألمانيا والنمسا والمجر<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ أن هذه هي المرة الثانية التي طالب فيها سير جوليان بونسفوت باحالة موضوع الرقابة الدولية إلى اللجنة الهامة . وكانت المرة الأولى بجلسة ٢ من مايو موضوع الرقابة الدولية إلى اللجنة الفرعية هذه الإحالة ، ودعم رفضه بأسانيد قوية . وقد رفض كاميل بارير في المرة الثانية أيضا إحالة الموضوع إلى اللجنة العامة، وقال إن هذه اللجنة قد عهدت إلى اللجنة الفرعية باعداد وصياغة مشروع كامل للمعاهدة المقترحة . وفيا يختص بموضوع الرقابة الدولية فان عليه كرئيس للجنة الفرعية أن يسجل النتائج التي أسفرت عنها هذه المناقشات المستفيضة ، وعلى ذلك فان محضر الجلسة سوف يجيء شاملا المشروعات الثلاثة التي وضعت لنظام الرقابة الدولية وهي المشروع الفرنسي والمشروع البريطاني والمشروع الإيطاني . وقائل إن على اللجنة الفرعية بعد ذلك أن تمضي قدما في دراسة بقية المواد الإيجاز مهمتها ، ثم تعرض على اللجنة العامة المشروع الكامل للمعاهدة اللدي ينتهي إليه بحثها مشفوعا بهذه المشروعات الثلاثة لنظام الرقابة الدولية .

وأعطيت الكلمة لمتروفو Efitrovo مندوب الروسيا فقال إنه يريد أن يدل بتوضيح دقيق لمدلول الكلمة التي ألقاها بخصوص موقف شركة القناة من الاقتراح الحاص بانشاء لجنة الرقابة اللولية . فقرر أنه لم يصل إلى مسلمعه أن شركة اللقتاة راغبة في إنشاء لجنة دائمة ، ولكنه في نفس الوقت لم يصل إلى علمه إطلاقا أن الشركة تعارض في إنشاء هذه الهيئة كا فهم ذلك عدد كبير من الأعضاء . وقال إنه كون هذا الرأى على أساس أقوال دى لسبس نفسه .

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ١٩ لسنة ١٨٨٥ ألجزء الأول.

وثيقة رقم ٩٠ من سير جوليان يونسقوت وسير ريفرز ولسن إلى لوود جرانفل وزير الحارجية البريطانية ومؤرخة في ١٤ من مايير ١٨٨٥

ومضى متدويه الزوسيا يقول إنه إذا حلث نزاع في الموقف الراهن وقتلد بين مستخدى شركة القناة وبين قائد سفينة حربية ، فليس ألمام الطرفين المتنازعين الالالتجاء إلى رجال الشرطة المحلية في منطقة القناة . وقرر أنه لم يقع نزاع من هلا القبيل إلى ذلك اليوم ، ولكن هناك مادة فرغت اللجنة الفرعية من إعلادها وصياغتها ، وهي المادة التي تقرر مسئولية اللولة عن الضرر أو العطب الذي يصيب القناة من جراء فعل يقع من سفينة حربية تابعة لها ، وقال إن هذه المادة تتميع بجالا واسعا لمناقشات ضافية من أجل تحديد المسئولية ، وتسامل مندوب الروسيا عن الهيئة أو الجمهة التي تقوم في أول الأمر بالتحقق من العطب الذي أصاب القناة ثم تحديد المسئولية ، وتسلم الذي أصاب القناة ثم تحديد المسئولية ، وتعدم الله أسابه ، ثم تحديد المسئولية عنه .

وضرب مندوب الروسيا مثلا لأعضاء اللجنة فقال قد ترفض سفينة - وهي على أهبة دخول القذاة لاجتيازها - أن تخفف حولتها ولا تلتى بالا التحلير مستخدى شركة القناة لمذه السفينة بضرورة تعديل تلك الحمولة . وتساءل هتروفو قائلا كيف يمكن تسوية هذا الغزاع إذا تمسك كل فريق برأيه ؟ وأجاب على تساؤله فقال إن مجرد وجود بلحنة الرقابة في حد فاته يكون سببا كافيا لمنع حدوث هذه الصعوبة وغيرها من الصعوبات التي يكون في حكم الاستحالة التنبؤ بها ، الأمر الذي يجعل إنشاء لجنة الرقابة الدولية ضرورة لا غناء عنها .

وقد لمس كاميل بارير رئيس اللجنة الفرجية إصرار الوفد البريطاني على موقفه من موضوع الرقابة الدولية على قناة السويس . وأدرك أنه لا طائل من المغى في مناقشة طالت واستغرقت من وقت اللجنة ثلاث جلسات (١) بحيث لم يبق في المناقشة زيادة لمستزيد . فأعلن أنه لن يرد على اعتراضات سير جوليان بونسفوت وحسبه أن يشير إلى ما قاله في خلال المناقشات . وعلى أثر ذلك قفل بلب المناقشة في موضوع الرقابة الدولية على قناة السويس .

م عادت اللجنة الفرعية في آخر جلسة عقدتها بتاريخ ١٩ من مايو ١٨٨٠ واثناء

ا (١) هي جلسات ۽ ١١ ، ١٧ نين مايو ١٨٨٥

تلاوة مشروع الماهدة الدرة الثانية فأبخلت تعديلاً على المشروع الفرنسي إذ أضافت عبارة في نهاية الفقرة الأخيرة منه تقرر أن وظيفة لجنة الرقابة الدولية لا تمس حقوق وامتيازات خديو مصر وكانت هذه الفقرة تنص على عدم المساس محقوق السيادة المقررة لسلطان تركيا على مصر

على هذه الضورة انتبت اللجنة الفرعية من منافشة أخطر مادة جاء بها المشروع الفرنسي . ونفرض هنا ترجمتنا للمشروعات الثلاثة الفرنسية والبريطانية والإيطالية التي أسفرت عنها مداولات اللجنة الفرعية . ثم تاخيصا لأسانيد الدول المؤيدة لإنشاء الرقابة المدارضتين لقيامها .

### المشروع الفرنسي الثالث :

وقد وافق عليه مندوبو جميع الدول ما عنا مندوبو انجلترا وإيطاليا .

[ وتجتم برياسة مندوب خاص عن تركيا لجنة ، كونة بن ممثلي الدول الموقعة على تصريح لندن المؤرخ في ١٩٨٧ من مارس ١٨٨٥ ، والمعتمدين في مصر ، وينضم اليهم مندوب عن الحكومة المصرية بصوت استشارى . ولكى تدبر مهمة حماية المقناة تتفق اللجنة مع شركة السويس لضان ، راجاة لوائح الملاحة والشرطة الممول بها . وتراقب ، في نطاق اختصاصاتها ، تطبيق نصوص المحاهدة الحالية ، وتحييط الدول علما بالإجراء تالتي تراها مناسبة لضان تنفيلها .

د ومن المفهوم أن وظيفة اللجنة الملكورة لا تمس إطلاقا حقوق السيادة التي لحضرة صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان ، أو حقوق وامتيازات حضرة صاحب السهو المخلفيوى » .

<sup>&</sup>quot;Une commission, composée des Représentants en Egypte des Puissances Signataires de la Déclaration de Londres du 17 Mars, 1885, et auxquels sera adjoint un Délégué du Gouvernement Egyptien avec voix consultative, siégera sous la présidence d'un Délégué spécial de la Turquie. Afin de pourvoir au service de la protection du Canal, elle s'entendra avec la Compaguie de Suez pour assurer l'observation des règlements de navigation et de police en vigueur; elle surveillera, dans la limite de ses attributions,

l'application des clauses du présent Traité et saisira les Puissances des mesures qu'elle jugera propres à en assurer l'exécution.

"Il est entendu que le fonctionnement de la dite Commission ne pourra porter aucune atteinte aux droits souverains de Sa Majesté Impériale le Sultan, ni aux droits et immunités de Son Altesse le Khédive."

### الشروع البريطاني الثاني:

و تتخذ الحكومة المصرية الإجراءاتالضروريةللعمل على احتراء نصوص المعاهدة الحالية. وفي حالة ما إذا كانت الحكومة المصرية لا تدبر الوسائل الكافية، فعليها أن تطلب المساعدةمن الباب العالى ومن الدول الموقعة على قصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥

ووعلى الدول أن تتشاور فيما بيها في الحال ، لتحدد باتفاق مشترك، الإجرابيات التي تتخذ لإجابة طلبها :

ويراقب ممثلوها المعتمدون في مصر تنفيد المعاهدة الحالية كي يخطروا حكوماتهم الخاصة بكل خطر يمكن مخطروا أن ينج عن انتهاك لهذه النصوص أو بكل خطر يمكن أن ينج عن انتهاك لهذه النصوص . »

"Le Gouvernement Egyptien prendra les mesures nécessaires pour faire respetter les dispositions du présent Traité. Dans le cas où le Gouvernement Egyptien ne disposerait pas de moyens suffisants, il devra réclamar l'assistance de la Sublime Porte et des Puissances Signataires de la Déclaration de Londres du 17 Mars, 1885.

'Les Puissances devront se concerter immédiatement pour arrêter d'un commun accord les mesures à prendes en vue de répondre à son appel.

"Leurs Représentants en Egypte veillerort à l'exécution du présent Traité, afin de saisir leurs Gouvernements respectifs de toute infraction ou de tout danger d'infraction à ces dispositions qui pourrait se produire".

### المشروع الايطالي الثاني:

ا و يواقب تنقيذ المعاهدة الخالية ممثلو الدول الموقعة غليها ، المعتملون في الحمر ، وينبيون دون إيطاء حكوماتهم الخاصة بكل مهم إلى كل نقض وإلى كل خطر نقض يمكن أن يقع لما مدلحة. و وإذا نشبت حرب أو هددت اضطرابات داخلية سلامة القناة يجتمع هؤلاء الممثلون فورا برياسة مندوب عن تركيا ويشترك معهم مندوب عن الحكومة المصرية ذو صوت استشارى كى يدبروا مهمة حماية القناة ، ولينفقوا مع شركة السويس لفهان مراعاة لوائح الملاحة والشرطة » .

"Les Représentants en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité veilleront à son exécution, et signaleront sans délai à leurs Gouvernements respectifs toute infraction et tout danger d'infraction qui pourraient se produire.

"Si une guerre éclate, ou si des troubles intérieurs menacent la sécurité du Canal, ces Représentants se réuniront aussitôt sous la présidence d'un Délégué spécial de la Turquie, et avec le concours d'un Délégué du Gouvernement Egyptien ayant voix consultative, afin de pourvoir au service de la protection du Canal, et de s'entendre avec la Compagnie de Suez pour assurer l'observation des règlements de navigation et de police". (1)

### اسانيد الؤيدين تقيام الرقابة الدولية على قناة السويس:

بقى علينا ــ بعد أن تبلورت مناقشات أعضاء اللجنة الفرعية ووضحت السات والمعالم الرئيسية للجنة الدولية التى حملت فرنسا لواء المبادرة لفرضها على القناة أله أن نلخص آراء المؤيدين ثم نتبعها بآراء الممارضين .

 ا -- إن هناك فرقا بين تنفيذ المعاهدة وبين مراقبة تنفيذها . فالتنفيذ تختص به الحكومة المصرية وشركة القناة، وأما مراقبة تنفيذ المعاهدة فتترك للدول الكيرى بالاتفاق مع تركيا بصفتها الدولة صاحبة السيادة على مصر .

 ٢ - إن نظام الامتيازات الأجنبية المتائم وقتئذ في مصر يقف عقبة أمام الحكومة المصرية في سبيل تنفيذ نصوص المعاهدة على السفن الأجنبية التي محمر في القناة .

<sup>( 1 )</sup> نقلنا النصوص الفرنسية جذه المشروعات الثلالة من مضايط جلسات لحنة پاريس الدولية انظر :

الكتاب الازرق وتم 1 1 لسنة 140 الجزء الثاني الحاص بالبرو توكّو ل ومضابط جلسات لجنة ياريس الدولية و ملسق المضيطة رقم 1 1 لحلسة 14 من مايير 1400 ص ص 19 4 — 477

٣ ــ إن مصر تعوزها القوات المسلحة التي تستطيع بها أن تحمل الدول
 على النزام أحكام المعاهدة ..

٤ \_ إن مصر وشركة القناة قد عجزتا عن المحافظة على حرية المرور في القناة أثناء العمليات الحربية التي قامت بها بريطانيا سنة ١٨٨٧ في قناة السويس لاحتلالها. ومن شأن قيام اللجنة المقترحة كفالة حرية مرور السفن في الفناة بصفة هائمة مستمرة ويحقق الغرض اللدى أشارت إليه مقدمة منشور لورد جرانفل من حيث كفالة هذه الحرية في جميع الأوقات ومنع سدها أو الإضرار بها بأعملل الحرب من ناحية وللحيلولة دون ما قد يجد من الأخطار من ناحية الذي ألنية .

هـ إن وجود القوات البريطانية على ضفاف القناة منذ سنة ١٨٨٢ أدى إلى قيام صعوبات تؤيد ضرورة إيجاد سلطة دولية دائمة لمراقبة تنفيذ المعاهدة ،
 وخاصة في وقت الحرب .

٢ - تتضمن المعاهدة نصوصا يتطلب الأمر الاطمئنان إلى سلامة تنفيدها واحترامها في وقت السلم وزمن الحرب على السواء ، مثل علم خضوع القناة للمشرة حتى الحصر وتحريم إقامة التحصينات العسكرية وتحديد المهلة التي ترابط فيها السفن المتحاربة في يور سعيد ومرفأ السويس وما إلى ذلك. أما إذا قنمت لجنة باريس باعلان المبادىء التي تكفل حرية المرور في القناة دون أن تقرر في المعاهدة ضهانات تطمئن بها إلى تنفيذ هذه المبادىء تنفيذا سليما فان عمل لجنة باريس يكون عديم الجلوى .

٧ ــ إن قناة السويس تتضاعف أهميتها يوما بعد يوم بسبب ازدياد حدة التنافس
 الاستعمارى بين الدول الأوربية.وهذا يجعل قيام لجنة دولية تراقب تنفيذ المعاهدة
 لفيهان حرية مرور السفن التجارية والحربية في وقت السلم وزمن الحرب أمرا
 لا مناض, منه .

 ٨ ــ قد تتعرض التجارة العالمية للاضطراب إذا انفردت مصر بتنفيذ المعاهدة دون تعين هيئة دولية تراقب هذا التنفيذ وتدع سلطة الحكومة المصرية وتعطيها ضهانا أمكهلاً، إذ سوف تجد تعليم الحكومة في اللجنة المقترحة عونا أدبياً لها في تنفيذ المعاهدة .

ه ــ قد تندلع في مصر ثورة أخرى على غرار الثورة العرابية ، وتكون تلك الثوراة الجديدة مصدر خطر داهم على حرية الملاحة في القناة ، في مثل هذه الحالة لا تؤخذ المبول على غرة إذا كانت لحنة الرقابة الدولية قائمة تباشر عملها ، وبذلك يمكن تجنب تبقيبات في الموقف في منطقة القناة .

١٠ إذا أقدمت مصر نفسها على الإخلال بنصوص الماهدة فايس هناك ضهان تتمتع به الدول لمنع مثل هذا الإخلال سوى اللجنة الدولية المقترحة ، فهى التي تستطيع أن تراقب ما قد يقام من تحصينات في منطقة القناة أو على ضفتها ، وتستطيع أن تراقب المواقع الحساسة التي تهدد حركة الملاحة ، كما تقوم عراقبة ترعة العلب حتى لا تتعرض للتعطيل .

. 1.1 — إن شركة قناة السويس هي شركة خاصة ، وأجل امتيازها محدود ، وقد تتعرض للحل قبل انتهاء هذا الأجل ، وإن تعديلات شتى قد تطرأ على نظامها الأسامى ، ولا يمكن إخضاع معاهدة دولية خطيرة للواقح شركة خاصة .

 ١٧ ــ يجب النظر إلى المستقبل البعيد ، ولا يجوز ترك مصير معاهدة دولية هامة لتقدير شركة خاصة .

١٣ ــ إذا كان النفوذ الشخصى لفرديناند دى لسيس كان كفيلا بتحب كل نزاع بين شركة القناة وبين سفينة تجارية أو سفينة حربية ، فايس معنى هذا أن تكون الضهانات التي تقررها المجاهدة متوقفة على النفوذ الشخصى لرجل واحد ، لأن الانسان إلى فناء أما القناة فهنى إلى بقاء .

١٤ ـــ إن لجنة الرقابة الدولية لا تتدخل في الشئون الحاصة المتعلقة بشركة
 القناة .

١٥ – إن قيام اللجنة أمر ضروري لمواجهة المشكلات اليومية واتخاذ حاول مال.

١٦ – إن مجموعة النول الأوربية الموقعة على المعاهنة أقدو على منع وقوع
 حركات عسكرية في برزخ السويس من خديو مصر أو دولة أخرى بمفرزدها.

19 - إن إنشاء لحنة الرقابة اللولية على قناة السويس ليس بدعة ، فهناك سابقة استبدت إليها فرنسا وأترابها ، هي : اللجنة الأوربية لهر الدانوب ، فقد رأت اللحل الأوربية إنشاء لجنة تشرف على تيسير وتنظيم الملاحة في هذا الهر ، وصهد إليها بتطهير قاعه من الموانق والطمي حتى البوابات الحديدية وقطهير مصابه من رمال البحر الأسود . ولم تكن عضوية هذه اللجنة مقضورة على الدول الواحة على ضفتيه بل اشتركت فيا الدول الكبرى مثل فرنسا وبويقائيا والمطاليا . ويمضى الأيام زيدت اختصاصات اللجنة ، وأصبحت تتمتع بنوع من السيادة على أجزاء من الهر وحول ها حتى فرض رسوم على السفن ه

وعلى الرغم من أن قناة السويس تفوق بمراحل عديدة نهر الدانوب من حيث الحدمات ألتى تؤديها للحضارة والاقتصاد العالمي فان فرسا لم ترض أن تذهب إلى هما الحد في تحويل لحنة قناة السويس اختصاصات وسلطات لجنة الدانوب ، مراعاة لحقوق السيادة التي يتمتع بها سلطان تركيا في مصر من ناحية ، ومراءاة للمركز القوى الذي تتمتع به شركة القناة من ناحية ثانية ، وعلى ذلك فالاختصاصات لجنة قناة السويس ستكون ضيئة إذا قيست باختصاصات لجنة الدانوب التي قشوف على المتنفيذ والمراقبة فقط د

١٨ – ليس المطلوب من الدولة صاحبة الإقليم أن تصدر فرمانا أو تقدم أموالا أو بمنج مساحات شاسعة من الأراضى ، ولكن المطلوب هو الإذن فقط فى قيام نوع من الرقابة الدولية على نقاة السويس .

١٩ - إلى اللجنة الدولية لا تنطوى على مساس مجقوق للسيادة المقرزة الساطات تركيا على مصر، ولا تسطيع أبة دولة منازعة الدولة العبانية في وياسة اللجنة ، إذ أن هذه الرياسة معقودة بصفة دائمة الباب العالى :-

إذا كائلت الحكومة البريطانية تعارض إنشاء اللجوة الدولية المقترحة المؤلف المقترحة المؤلف المقترحة المؤدة المؤركة في البياة والفوذ في التياة والفوذ المؤردة بناوة المؤركة في المؤلفة المؤردة المؤر

المزدوج يكفل لها هماية مصالحها . أما الدول الأخرى فانها لا تجد ضمانا لحماية مصالحها إلى درجة كافية ـ

٢٩ ــ إذا كانت تركيا ، وهي الدولة التي يهمها أكثر من سواها هذا الموضوع ، قد وافقت على إنشاء لجنة الرقابة الدولية ، فن باب أولى أن تمتنع الدول الأخرى عن اعتراضها على قيام هذه اللجنة .

 ٢٢ -- إن إنشاء بحنة الرقابة الدولية يؤدى إلى تُدعيم الطابع الدولى لقناة السويس تدعيا أبديا .

٢٣ ــ ليس مما يتفق مع كرامة أوربا أن تخضع مسلك قوادها وضباطها
 العسكريين البحريين لولاية موظف مصرى أياكانت درجة هذا الموظف 11.9

٢٤ – إن قيام لجنة الرقابة الدولية يضني ضهانات متبادلة لكل الدول ﴿

### أسائيد المارضين لقيام الرقابة العولية على القناة :

١ -- إن قيام لجفنة الرقابة الدولية يؤدى إلى إيجاد ثلاث سلطات في منطقة القناة، هي: الحكومة المصرية بصفتها حكومة الدولة صاحبة الإقليم، وشركة القناة يمقتضى عقود الامتياز الصادرة إليها ، ولحنة الرقابة الدولية بممتضى المعاهدة المقترحة , وسوف تتضارب اختصاصات هذه السلطات الثلاث .

٧ - ليس هناك أى تشابه بين نهر اللمانوب وبين قناة السويس . فالمانوب نهر دولى يجتاز أراضى دولة واحدة ... ودلى يجتاز أراضى عدة دول . أما قناة السويس فتختر ق أراضى دولة واحدة ... وتأسيسا على ذلك ليس هناك ما يبرر إنشاء نظام الكوندمنيوم Condominium أى الاشتراك في حكم القناة والأسباب التي حملت الدول على إنشاء لجنة الممانوب لا وجود لها في حالة قناة السويس .

٣ -- لا يمكن تشبيه قناة السويس بالمضايق الطبيعية ، لأن قناة السويس ممر
 صناعي شقته يد الإنسان بقدرته وطاقاته في ميدان الصناعة ، ومع ذلك قاذا كان

القانون الدولى قد اعترف بحرية المرور فى المضايق التى تصل بين بحرين مفتوحين لكل الشعوب ، فانه لم يخضع إطلاقا هذه المضايق لرقابة تباشرها لجان دولية تقيم فى أرض الدولة التى تمثلك هذه المضايق .

٤ ــ إن كلا من منشور لورد جرانفل المؤرخ في ٣ من يناير ١٨٨٣ وتصريح لندن المؤرخ في ١٨٨٣ ونايد ١٨٨٨ وتصريح لندن المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥ قد أغفل فكرة إنشاء اللجنة الدولية نما يقطع بأن هذه اللجنة الميونة وخوارثة على موضوع قناة السويس . لأن مثل هذه اللجنة ليست من المسائل الهينة التي قد يقال إن الدول قد أغفلت ذكرها سهوا أو تركت موضوعها لتناقشه لجنة باريس حسيا تسمح الظروف ، فمنقشات لجنة باريس محددة في نطاق معين لا تتعداه ، هوالمبادىء التي تضمنها منشور لورد جرانفل، وهوخلو من هذا المبدأ الحطير .

 ه - إن إنشاء لجنة الرقابة الدولية يتعارض مع البند السادس عن معشور لورد جراففل الذي يقضى على مصر بأن تتخذ جميع التدابير التي في سلطتها لتنفيذ المثبروط المفروضة على سفن المتحاربين أثناء مرورها في القذة.

٣ - إن شركة قناة السويس تحكمها حقود الالتزام والقوانين المصرية (المادة المسادسة عشرة من اتفاقية ٢٧ من فبراير ١٨٣٦) وهي تقوم بادارة الملاحة في قناة السويس منذ افتتاحها سنة ١٨٦٩. ولا يوجد أدفى فارق بينها وبين شركة تقوم بادارة السكك الحديدية في مصر . كما أنه ثم تنشأ منذ ذلك الوقت أية صعوبة عملية سواء مع السفن المتجارية أو مع الأساطيل الحربية . وإنشاء الهيئة المدولية المقرحة هو تدخل لا ميرر له في شئون شركة القناة :

٧ - على الرغم من أن شركة القناة مؤسسة بخاصة إلا أنها شركة لا نظير لها
 بين الشركات الأوربية من حيث مواردها ونفوذها ومنانة تنظيمها ومستوى
 مشخدميا ، ولميست هناك ضرورة تستدعى قرض رقابة على مثل هذه الشركة .

٨ – على الرغم من أن مصالح بريطانيا في القناة تفوق مصالح اللدول الأحرى

مجتمعة قان الجكومة البريطِانية لا تطالب بأية ضهانات إضافية أي الأنها البطفئنة إلى انتظام الملاحة في القناة ...

٩ ــ إن قيام اللجنة المقترحة أمر عديم الجدوى وينطوى على أضرار كثيرة .

١٠ ــ إذا نشبت حرب وجدث تهديد للقناة فان الدول تستطيع أن تشاور
 فيا بينها وتتخذ إجراءات دولية لحماية القناة بدلا من انتظار مداولات اللجنة
 المقرحة .

11 - جرى العرف في مصر كاثر من آثار قيام نظام الامتيازات الأجنبية فيها أن يقوم قناصل اللول بمراقبة تنفيذ المعاهدات وتأسيسا على ذلك فالمعاهدة المفترخة سيكون تنفيذها موضع مراقبة من القناصل ، وبذلك تنتفي الحاجة إلى تكوين لحنة من قناصل الدول يعهد إليها بمثل هذه المراقبة التي تدخل في صميم اختصاصالهم المنظلية ،

أو الله على كاهل الحكولية يضيف أعباء المالية على كاهل الحكومة المصرية ، الأنها هي التي تتخمل مرتبات ونفقات موظفى الأجهزة المختلفة التي تثنيم لجنة الرقابة الدولية .

#### \*\*\*

### اللجنة المامة تبحث مشروع الرقابة الدولية:

فرغت اللجنة الفرعية من أعمالها في ١٩ من مايو[[١٨٨٥ وأعدت مشروع الاتفاقية المقترحة مع التعديلات التي طلب الوفد البريطاني والوفد الايطالي إدخالها على بعض مواد الاتفاقية . وأحيل الموضوع برمته إلى اللجنة العامة للراسته وعقلت سلسلة من الاجتماعات لهذا الغرض بدأت في ٤ من يونيو إلى ١٣٨ يونيو ١٨٥٥ .

وفي جلسة ٨ من يونيو ١٨٨٥ عرض بيللو Billot وثيس اللجنة العامة المادة الخاصة بانشاء لجنة دولية لمراقبة تنفيذ المعاهدة مشفوعة بالمشروعات الثلاثة وهي المشروع المونسي والمشروع المرايطاتي والمشروع الإيطائي: إلىتفسر الزئيش من الوفدين البريطانى والإيطالى عما إذا كان كل منهما لا يزال متمسكا بمشروحه، فأجاب رئيس الوفد الإيطالى بأنه يتمسك مؤقتا بمشروعه ، غير أنه يستبعد فقط من الصياغة اللفظية فى المشروع الإيطالى كلمة تنشب 6clate.

### المشروع البريطاني الثالث :

أما سير جوليان بونسفوت Sir Julian Pauncefote المندوب الأول في الموقد البريطاني فقد صرح بأن حكومته لا تزال عند رأيها ، فهي لا توافق على مبدأ إنشاء لجنة دائمة تختص بمراقبة تنفيذ المعاهدة ، ولكن ليس لدى الحكومة البريطانية مانع من تخويل قناصل الدول في مصر سلطة مراقبة تنفيذ المعاهدة دون أن يخرج قناصل الدول عن اختصاصاتهم المعتادة ، وأنه في استطاعتهم أن يجتمعوا معا بناء على دعوة أحد منهم . وعلى ضوء هذه الاتجاهات قدم سير جوليان بونسفوت مشروعا جديدا للمادة ، نطلق عليه المشروع البريطاني الثالث ، هذا نصه :

« يراقب ممثلو الدول الموقعة على المعاهدة الحالية ، المعتمدون في مصر ، تنفيذها . وينهون دون تأخير حكوماتهم الخاصة بكل منهم إلى كل نقض لهذه النصوص أو إلى كل خطر يمكن أن ينجم عن انتهاك لهذه النصوص .

و ويجتمعون بناء على دعوة أحدهم لإجراء التحقيقات اللازمة في حالة الحرب أو الاضطرابات الداخلية أو الأحداث الآخرى التي تهدد سلامة القناة أو حرية المرور فيها . ويخطرون حكوماتهم الخاصة بكل منهم بالمقترحات التي يرونها مناسبة لشهان حماية القناة وحرية استخدامها a ··

"Les Représentants en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité veilleront à son exécution et signaleront sans délai à leurs Gouvernements respectifs toute infraction ou tout danger d'infraction à ces dispositions qui pourraient se produire.

'En cas de guerre, ou de troubles intérieurs, ou d'autres événements qui menaceraient la sécurité ou le libre passage du Canal, ils se réuniront sur la convocation de l'un d'entre eux pour procéder aux constatations

<sup>(</sup>۱) السكتاب الازرق مصر رقع ۹ إ. لسنة ۱۸۸۰ الجزء الثان . رتم ۱۹ بروتوكول وقم ۳ جلسة ۲ من يونيو ۱۸۸۰ ص ص ۲۶۷ – ۲۰۷۲ .

nécessaires. Ils saisiront leurs Gouvernements respectifs des propositions qui leur paraîtraient propres à assurer la protection et le libre usage du Canal''(1).

وقال سير جوليان بونسفوت معلقا على المشروع البريطانى الثالث إن هذا المشروع يذهب إلى مدى أبعد من المدى الذى بلغه المشروع البريطانى السابق . والفقرة الأولى منه مقتبسة من المشروع الإيطالى . أما الفقرة الثانية فتقرر أنه فى حالة وقوع حادث يهدد حرية المرور فى القناة فان ممثل الدول الموقعة على المعاهدة يقومون باجراء التحقيق ، وبعد أن يتم الاتفاق فيا بينهم يخطرون حكوماتهم بالمقترحات التي برونها مناسبة لكنهم لا يتخذون من تلقاء أنفسهم إجراءات المحافظة على سلامة القناة (٢) .

### ملاحظات على المشروع البريطاني الثالث :

والنظرة التحليلية للمشروع البريطانى الثالث تدل على أن الحكومة البريطانية 
قد أقرت بمبدأ مراقبة المدول لتنفيذ المعاهدة ، وأنها أخذت \_ على نحو من الأنحاء \_ 
بمبدأ تشكيل لحنة من عملى الدول الموقعة على المعاهدة لمراقبة تنفيذها ، وقبلت أن ينص 
صراحة على تمخويل كل ممثل من ممثل هذه الدول الحق في دعوة زملائه إلى الاجتاع 
في حالات معينة ، ولكنها أغفلت النص على رياسة تركيا للجنة الرقابة وعضوية 
مصر فيها . ويلاحظ أيضا أنها أدخلت هولندا وأسبانيا في عداد الدول التي تشترك 
في مراقبة تنفيذ المعاهدة إذ اشتملت الصياغة على عبارة « ممثلو الدول الموقعة 
على المعاهدة الحالية » بدلا من « ممثلو الدول الموقعة على تصريح لندن » وبذلك 
حسمت ظاهريا من ناحبتها هذا الموضوع داخل اللجنة العامة بعد أن طالت حوله 
المناقشة خلال عدة جلسات .

 <sup>(</sup>١) ورد هذا النص في ص ٢٥٣ من محضر جلبة اللجنة العامة بتاريخ ٨ من يونيو ١٨٨٥.
 الذي سبقت الاشارة اليه .

<sup>......</sup> Après s'être concertés, ces Agents (les Représentants dûment autorisés ( γ ) par le Traité) pourront faire à leurs Gouvernements respectifs telles propositions qui leur sembleront opportunes, mais sans prendre par eux-mêmes de mesures de préservations انظر : س عضر جلسة اللبخة اللمانة يتاريخ ۸ من يونيو ۱۸۵۰ و اللبي سبقت الإشارة الم

وطبقا للمشروع المبريطانى الثالث يجتمع ممثلو الدول في حالات أكثر شهو لا من الحالتين اللتين نص عليهما المشروع الإيطالى وهو الحرب والاضطرابات الداخلية في مصر ، إذ أضاف إلى هاتين الحالتين المحددين حالة عامة أشار إليها بهذه العبارة وأو الاحلاث الأخرى التي تهدد سلامة القناة أو حرية المرور فيها ». وقد حددت الحكومة البريطانية في مشروعها الجديد اختصاصات لحنة ممثل الدول على النحو الآتى :

(أولا): يعقد ممثلو اللمول اجتماعاتهم لإجراء التحقيقات في حالات أوسع نطاقا وأكثر شمولا .

(ثانيا): يخطرون حكوماتهم بالمقترحات المناسبة لفيهان حماية القناة وحرية استخدامها ،أما النص الذي ورد في صدر المادة والخاص بقيام ممثلي الدول بمراقبة تنفيذها فلم تأت فيه الحكومة البريطانية بجديد ، لأن هذا الحق كان قائما يمارسه قناصل الدول في ظل نظام الامتيازات الأجنبية الذي كان ساريا في مصر في ذلك الوقت .

ويلاحظ أن المشروع البريطانى الثالث جاء خلوا من بعض عبارات هامة ذات مللول سياسى وردت فى المشروع الفرنسى نذكر منها : مهمة حماية القناة ، الاتفاق مع شركة قناة السويس من أجل العمل على احترام اللوائح الموضوعة للملاحة والشرطة . وعلى الرغم من ذلك فان الحكومة البريطانية قد أقرت بالطابع الجماعى والطابع الإلزامى لهيئة المراقبة . وكان هذا هو التراجع الثالث للحكومة البريطانية وبذلك اقترب مشروعها الثالث إلى حد ما من المشروع الفرنسى .

### المندوب الايطالي يؤيد الشروع البريطاني الثالث :

وقد طلب بيللو Billot رئيس اللجنة العامة إلى الأعضاء إبناء رأيهم في المشروع البريطاني الثالث. فطلب رسان Ressman المتدوب الأول في الوفد الإيطالى الكلمة. فكان أول المؤيدين لهذا المشروع بل كان المؤيد الوحيد له. وقد استهل رسان كلمته بقوله إنه يحتفظ بابناء رأيه في الإبقاء على المشروع الإيطالي أو سحيه ريبًا يعرض على الحكومة الإيطالية المشروع البريطاني الجديد.

ثم صرح بأن الوفد: لإيطالى -- بدافع من روح التوفيق التى هى رائده -- لا يتردد فى قبول المشروع البريطانى فورا إذا وافقت اللجنة العامة عليه . والحق أن رسمان لم يكن صادقا فى هذا التصريح لأنه على موافقته على شرط : هو موافقة اللجنة العامة على المشروع البريطانى الجديد . ولم توافق اللجنة العامة على هذا المشروع وبالتالى لم يتحقق الشرط ولكنه -- كما سنرى بعد قليل -- تناسى الموافقة المشروطة وأعلن تأييده المشروع البريطانى الثالث ، فكانت إيطاليا هى المدولة الوحيدة التى وقفت إلى جانب بريطانيا فى موضوع الرقابة الدولية على قناة السويس. شاطرتها آراءها ، ونسقت معها سياستها .

اقترح رئيس اللجنة العامة تأجيل مناقشة المشروع البريطانى الثالث إلى جلسة تالية حتى يكون لدى الأعضاء متسع من الوقت لدراسته . وقد تريث بيللو فى عرض الموضوع على اللجنة العامة فلم يدرجه إلا فى جدول أعمال آخر جلسة عقدتها فى ١٣ من يونيو ١٨٨٥

وفى هذه الجلسة قدم الوفد البريطانى مشروعا كاملا لاتفاقية القتاة أطلق عليه والمشروع المضاده وقال عنه سير جوليان بونسفوت إن الحكومة البريطانية مستعدة للموافقة عليه وكنظام نهائى يستهدف ضهان حرية استخبام قناة السويس ١<sup>(١)</sup> وقد وضع على غرار المشروع الذى وضعته بلحنة باريس الدولية ولا يختلف عنه إلا في المواد التى ظلت مثار خلاف بين الوفد البريطاني وبين أغلبية أعضاء اللبحنة . وقد صيغت هذه المواد بما يتمشى مع وجهة النظر البريطانية . وكان من بينها المادة الحاصة بالرقابة الدولية ممثلة في لجنة عمثل الدول الموقعة على الاتفاقية والمعتمدين في مصر . وكانت صياغة هذه المادة على نسق المشروع البريطاني والمعتمدين في مصر . وكانت صياغة هذه المادة على نسق المشروع البريطاني المثالث . ثم فاجأ صير جوليان بونسفوت أعضاء اللجنة العامة بتقديم تحفظ بريطاني

Le Texte Complet du contre-projet de Traité, tel qu'il serait accepté par ( 1 ) le Gouvernement Britannique comme le régime définitif destiné à garantir le libre usage du Canal de Suez.

أنظر : الكتاب الأزرق مصررتم ١٩ لسنة ١٨٨٥ . الجئرء الثانى . رتم ٢٢ بروتوكول رتم ٢ مشيطة جلسة ١٣ من يونيو ١٨٨٠

مؤداه أن الاتفاقية المقترحة لتنظيم وضان حرية استخدام قناة السويس لا تعرقل حرية الحكومة البريطانية في العمل بمصر ما بقي الاحتلال البريطاني قائمًا بها . وسنتعرض لهذا التحفظ ومدلوله وتطبيقه عند بحث الفترة التي أعقبت التوقيع على اتفاقية الآستانة في ٢٩من أكتوبر ١٨٨٨ حتى عقد الوفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا في ٨ من أبريل ١٩٠٤

وفى تلك الجلسة أعلن رسمان سحب المشروع الإيطالى وشرح الأسباب التى حدت بالحكومة الإيطالية إلى سحب مشروعها ، فقال إن الفروق كانت شاسعة وعميقة بين المشروع البريطانى وبين المشروع الفرنسى فيا يختص بموضوع الرقابة الدولية على قناة السويس . وقد ظفر المشروع الفرنسى بموافقة الغالبية العظمى من أعضاء اللجنة الفرعية ، ولذلك قدم الوفد الإيطالى ، فسروعه مستهدفا التقريب بين المشروعين . ولكن حدث بعد ذلك أن قدم الوفد البريطانى مشروعه الثالث وهو مشروع جديد يتضمن الخطوط الرئيسية في المشروع الإيطالى . وبهذا تقاربت المشروعات الفرنسية والبريطانية والإيطالية وانتفت الحاجة إلى المشروع الإيطالى . وبأد تقلوم المشروع المشروع الإيطالى . وبأد تقلوم المشروع في وضعه البريطاني الثالث وأعلن تأييده له وعبر عن أمله في أن يظفر هذا المشروع في وضعه الجديد ، أو بعد إدخال بعض التعديلات عليه ، بموافقة الأعضاء وأن يؤدى بدوره إلى اتفاقى نهائى على النص الكامل لمشروع المعاهدة .

وقال بيلو رئيس اللجنة العامة إن على أعضاء اللجنة أن يفاضلوا بين المشروع الفرنسي الذي أقرته اللجنة الفرعية وبين المشروع البريطاني الثالث. وأضاف إلى الفرنسي الذي أقرته اللجنة الفرعية قد قتلوا موضوع الرقابة اللولية بمثا ومناقشة بجيث لم تبق زيادة لمستزيد . ثم طلب أخذ أصوات أعضاء اللجنة العامة ، فكانت النتيجة أن ظفر المشروع الفرنسي بموافقة وفود جميع الملول ما عدا الوفد الإيطاني اللدي صوت إلى جانب المشروع البريطاني . وهكذا ظل الوضع في اللجنة العامة .. إذاء مسألة الرقابة الدولية على قناة السويس - استمرارا للوضع الذي ظل ملحوظا وبارزا في اللجنة الفرعية من حيث انقسامها إلى كتلتين : في جانب تقف انجلترا وتؤيدها جميع اللول الأخرى الأعضاء في بلحنة باريس المدولة :

وبعد أن أعلنت النتيجة ألتي رئيس اللبجنة العامة كلمة قال فيها إنه يلاحظ بارتياح أنه قد ضاقت إلى حد بعيد الهوة التي ظهرت أول أورها عميقة سحيقة بين أعضاء اللبجنة عند ما شرعت اللبجنة الفرعية في مناقشة موضوع الرقابة اللولية . وقال إن المشروع البريطاني يقترب في نقطه الأساسية من المشروع الفرنسي الذي أقرته غالبية أعضاء اللبجنة العامة . وأحد يسرد المكاسب التي حققتها بلجنة باريس بخصوص موضوع الرقابة الدولية . فقال إن جميع الدول الممثلة في بلجنة باريس قد أخذت بمبدأ الرقابة الجماعية والإلزامية ، وإنها قد عهدت بها إلى ممثلي الدول المعتمدين في مصر . وأصبح الاختلاف محصورا في طريقة تنظيم الرقابة وهي نقطة ثافوية نسبيا .

ثم أشار بيللو ... في كياسة ولباقة الرجل الدبلوماسي ... إلى الأحداث التي كانت تمريها لندن في تلك الفترة ، فقال إن الوصول إلى اتفاق كامل علىموضوع الرقابة الدولية على قناة السويس أمر صعب المنال حيث يتعذر المضي في مناقشة هذا الموضوع بصورة مفيدة ومجدية في الظروف؛السائدة وقتئذ . ثم مضي يقول إنه على الرغم من أنه لا شأن للجنة باريس بتطورات السياسة الخارجية فانه يتعذر على أعضاء اللجنة تجاهل الأحداث الخطيرة التيكانت تواجهها الوزارةالبريطانية(١). وهذه الأحداث لا تسمح لمندوبي بريطانيا بمتابعة المناقشة من ناحية ، ودراسة التعديلات التي يمكن إدخالها على المشروع البريطاني من ناحية ثانية ، ولذلك فهو يخشى أن تطول مناقشة هذا الموضوع على غيرطائل . وقرر أن الطريقة المثلى هي الاكتفاء بالنتاثج التي وصلت إليها لجنة باريس والإبقاء عليها ، ثم تقوم هذه اللجنة بعرض المشروعين الفرنسي والبريطاني لهذه المادة ضمن مواد المعاهدة على الدول، وستحاط الحكومات علما بالاتفاق الذي وصلت إليه بخصوص المبدأ الأساسي ، ولهز يكون هناك أسهل من الاتفاق بالطريق الدبلوماسي على الوسائل التي تكفل التطبيق العملي لمبدأ الرقابة ، ثم اختتم كلمته قائلا إن لجنة باريس ترى أن مهمتها بخصوص موضوع الرقابة الدولية على قناة السويس قد أنجزت إلى حد كاف . ولن يصعب على أحد أن يدرك البواعث التي حملت اللجنة على عدم الوصول إلى اتفاق تلتني عنده جميع وجهات النظر .

<sup>(</sup>١) سقطت الوزارة البريطانية في يونيو ١٨٨٥ –وهي وزارة حزب الاحرار وكانت ثانى وزارة يولفها جلاستون

وأعطيت الكلمة بعد ذلك لكاميل بارير Camille Barrère المندوب النانى في الموفد الفرنسى ، فأيد وجهة نظر رئيس اللجنة العامة ، ثم طالب بادخال تعديل على صياغة المشروع الفرنسى الثالث الذى أقرته غالبية أعضاء اللجنة . وقال أنه يستهدف من تعديله تجنب كل سوء فهم قد يحدث مستقبلا بخصوص تطبيق لوائح الملاحة والشرطة المنصوص عليها في المادة التاسعة من المشروع النهائي للمعاهدة الذى وضعته اللجنة العامة. ويتلخص هذا التعديل في أن تستبدل بالعبارة: و وتنفق ( لجنة الرقابة الدولية ) مع شركة قناة السويس للعمل على احترام لوائح الملاحة والشرطة المعمول بها » .

عبارة جديدة هي :

وتنفق مع الجهات المختصة لضهان حرية استخدام القناة » .
 وقد أقرت اللجنة هذا التعديل .

#### ale ale ale

وإذا كات مناقشات اللبجنة الفرعية قد أسفرت عن وضع ثلاثة مشروعات للمادة موضوع الرقابة الدولية على قناة السويد. فقد استطاعت اللبجنة العامة أن تختزل هذه المشروعات إلى مشروعين : المشروع الفرنسي وقد أقرته الفالمية العظمي من الدول الأعضاء في لجنة باريس والمشروع البريطاني ولم تؤيده إلا إيطاليا بمفردها .

### الشروع الفرنسي الرابسع وقد اقسوته جمسيع الدول الأعفسياء ما عسدا و يطانيا وابطالية :

•	ď	مثلی(۱)	رنة من	لجنة مكو	ركيا	ص عن ت	خاه	مندوب	برياسة	ا تجتمع	
٠	٠	٠	٠	•	٠	•	٠	•	•	٠	
*	٠	٠	٠	•	٠		٠	•	•	•	

 <sup>(</sup>١) لم تكن أسبانيا وهولندا من بين الدول الموقمة على تصريح لندن المتروخ في ١١٧ من مارسه ١٨٨٥
 وكانت عضوية لجنة باريس الدولية مقصورة على الدول الموقمة على هلما التصريح. وقد حدث أن طالبت ==

المعتمدين في مصر، ينضم إليهم مندوب عن الحكومة المصرية ، يكون صوته استشاريا. ولكى تدبر مهمة حماية القناة تنفق اللجنة مع الجهات المختصة لضمان حرية استخلام الفناة ، وتراقب ، في نطاق اختصاصاتها ، تطبيق نصوص المعاهدة الحالية ، وتحيط الدول علما بالإجراعات التي تراها مناسبة لضمان تنفيذها .

 ومن المفهوم أن وظيفة اللجنة المذكورة لا تمس إطلاقا حقوق السيادة التي خضرة صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان : أو حقوق وامتيازات حضرة صاحب السمو الحديوى »

"Une Commission, composée des Représentants en Egypte de .

auxquels sera adjoint un Délégué du Gouvernement Egyptien avec voix consultative, siégera sous la présidence d'un Délégué spécial de la Turquie. Afin de pourvoir au service de la protection du Canal, elle s'entendra avec qui de droit pour en assurer le libre usage; elle surveillera, dans la limite de ses attributions, l'application des clauses du présent Traité et saisira les

"Il est entendu que le fonctionnement de la dite Commission ne pourra porter aucune atteinte aux droits souverains de Sa Majestè Impériale le Sultan, ni aux droits et immunités de Son Altesse le Khédive."

Puissances des mesures qu'elle jugera propres à en assurer l'exécution.

حدماتان الدولتان بالاثتر اك في لحنة باريس على أساس أن لكل مهما مستمير ادت شاسعة فيها وراء النسارو أمهما يستخدمات قناة السويس استخداما واسعا ويحق لهما أن يشتركا في تنظيم حرية سرور السفن في الفناة وأجيعا إلى طليهما . ولما تم يحيلهما في لحنة باريس الدولية طالبا باشر اكهما في لحنة الرقابة الدولية على قناة السويس. وقد تأرجمت السبحة في صيافة المادة الحاصة بهذه الرقابة قنارة تلك كر « براقب تنفية المماهدة الحالية بمثال الدول لماوضة على تصديق المحافظة الحالية المحافظة الرقابة الموافقة الموافقة المحافظة المحافظة المحافظة المحافظة . وقادة تلكر « يراقب تنفية منه المحافظة الحالية وكلاء الدول الموقفة علما . . . » ومؤدى هذه السولية وحافظة على الموقفة علما . . . » ومؤدى هذه السولية (دخال ماتين الدوليين فيه الدول لتقدير المحافظة المحافظة المحافظة على ترك تميين هذه الدول لتقدير المحافظة باريس . و المتحمى الأحداث باشراك أسهائيا وهولندا في لحمة الرقابة الدولية عن اختصاص لحنة باريس . و المتحمى الاستانة باشراك أسهائيا وهولندا في لحمة الرقابة الدولية .

ومما هو جدير بالذكر أنه حدثت حركة نزاحم بين الدول الأوربية لـ المتوسطة والصنيرة على الانتبراك فى عضوية لجنة باريس الدولية . نذكر مها حكومات السويد والنرويج والدائمرك وبلجيكا واليونان والبرتذال وقد رفضيت طلباتها جما .

### المشروع البريطاني الثالث وقد انضمت اليه إيطاليا :

ويراقب ممثلو الدول الموقعة على المعاهدة الحالية أن المتعدون في مصر ، تنفيذها . وينهون دون تأخير حكوماتهم الخاصة بكل منهم إلى كل نقض لهذه النصوص أو إلى كل خطر يمكن أن ينجم عن انتهاك لهذه النصوص .

ويجتمعون بناء على دعوة أحدهم لإجراء التحقيقات اللازمة فى حالة الحرب أو الاضطرابات الماخلية أو الأحداث الأخرى التى تهدد سلامة القناة أو حرية المرور فيها . ويخطرون حكوماتهم الخاصة بكل منهم بالمقترحات التى يرونها مناسبة لفهان حماية القناة وحرية استخدامها ع .

"Les Représentants en Egypte des Puissances Signataires du préseat Traité veilleront à son exécution et signaleront sans délai à leurs Gouvernements respectifs teute infraction ou tout danger d'infraction à ces dispositions qui pourraient se produire.

"En cas de guerre, ou de troubles intérieurs, ou d'autres événements qui menaceraient la sécurité ou le libre passage du Canal, ils se réuniront sur la convocation de l'un d'eux pour procéder aux constatations nécessaires. Ils saisiront leurs Gouvernements respectifs des propositions qui leur paraîtraient propres à assurer la protection et le libre usage du Canal" (1).

على هذه الصورة انتهت المرحلة الأولى لهاولة فرنسا والنول الست الضائعة ممها تدويل قناة السويس. وقد أسفرت هذه المرحلة عن إقرار الدول الأوربية مثلة في لجنة باريس الدولية – لمبلداً إنشاء رقابة دولية على القناة. بقيت بعد ذلك مرحلتان ، هما : مرحلة المباحثات التي دارت بين الحكومات الأوربية ، ومرحلة المعادات الاوربية ، ومنتعرض لهما في الجزء القادم مع عرض لنصوص مشروعات التدويل والرقابة الدولية وقد بلغ عددها زهاء عشرين مشروعاً.

 <sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق ( مصر ) رتم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء الثانى رتم ٢٢ بروتوكول وقم
 ٢ . جلسة ١٣ من يوليو ١٨٨٥ .

وانظر أيضاً في نفس المصدر :

ملحق البروتوكول رقم ٢ ص ص ٣٩٩ - ٣٠٠

### تصــــويب

مواپ	شرطأ	مطر ،	منفحة
وروسيا	وقرتسا	١٤	١٢
وقد	فقد	17	14
اِذ	إذا	*1	14
وزارات	وزارت	٣	١٤
shall	shali	١٨	\A
فرض	عرض	•	٧٤
تو فبر	أكتوبر	14	Yŧ
les	دعى	14	44
۳ من بنایر	۳۰ من يناير	٧.	44
des	CCS CCS	آخر سطر	44
حق الارتفاق	حق الانفاق	14	٤٧
مندوبو	مندوبوا	11	•Y
المصحارية	التعجارية	74	77

## دراسات مقارنة فى المعجم العربى (٣١–٣٠) للدكتور السيد يعقوب بكر

## ٣١ - إستار" (معرب)

فى الصحاح ( مادة ستر ) : « والإستار ، بكسر الهمزة ، فى العدد أربعة<sup>(1)</sup>. قال جو بر (۲<sup>)</sup> :

ُ تَوِنَ الفرزدقُ والبعيثُ وأسُّهُ وأبو الفرزدق ِ تُنبُّح ۚ لإستار ُ<sup>(٣)</sup>

ه نشرت الحلقة الأولى ( ۱ – ۳۰) من هذه الدراسات في العدد الثاني من الهلد الشريبة بالقاهرة ؛ فإليه الحلمة ( من ۳۶۲ – ۳۶۲ ) . وهذه الدراسات مهداة ، كا قلت ، إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ؛ فإليه الفضل الأول في حفزي إلى إهدادها . وفي آخر هذه الحلقة قائمة إذارات مختصرة إلى بعض المراجع ، تضاف إلى القائمة التي ذيلت بها الحلقة الأولى ( ص ۳۶۰ – ۳۶۲ ) . وقد اعتدات هنا مل كلتا القائمين .

<sup>(</sup>١) ويقال أكلت أستارا من خبز ، أى أربعة أدفقة » ( السان ) . « وهو فى كلام أهل التفسير و القراء أربعة نفر : عاصم و حزة و الكسائى و الأعش » ( ففاء الغليل ، ص ١٤) .

ريقول السيرافي ( المُسر ب الجواليق ، ط لينزج ، ص ١٢ = ط القاهرة ، ص ٢٢ – ٣٤ ) : و الإستار رابع أربعة ، ورابع القوم إستارهم ».

قالإستار في المبدد له مسنيان : الأربية ، والرابع . والمعني الأول هرائنالب ، والخاني مخرع مه . ( ٧ ) في النقائض ( صر ٨٦٣) ، والديوان ( ص ٢٠٨) ، وسميم مقاييس الله لاين فارس ( ج ٣ ، ص ١٣٣) ) ، وشفاء العليل (ص ١٤) .

 <sup>(</sup>٣) في النقائض (ص ٣٣٤) شاهد آخر لجرير:
 إن الله زدق السبك وأمه وأبا البييث الشر ما إستار

وهو أيضاً فى الديوان ( ص ٣١٧) ، والأمال لأبي طل القال (ط يولائ ١٣٧٤ هـ ، ٢٠٠ ص ٢٧٤ أسفل = طدار الكتب ١٩٢٦ م ، ج ٢ ، ص ٢٣١) ، وسمط اللائل (ج ٢ ، ص ٥٥٥) ، والأطاني (ط يولان ، ج ٧ ، ص ٣٩ = طدار الكتب ، ج ٨ ، ص ٥ ) . وفي الأطاني أيضاً (ط الساسي ، ج ١٩ ، ص ٣ ) : وقيل المنفضل الفين؛ الفرزدين ألفس أم جرير ؟ قال: الفرزدي ، =

وقال الأخطل :

لعمرك إننى وابنى جُعينل وأمنهما الإستار التم (١) وقال الكيت (٢):

أبلغ يزيد وإسماعيل مألسُكة ومنذرا وأباه شرًّ إستارِ (٢)

قال: قلت: ولم؟ ، قال: أأنه قال بيتاهجا فيه قبياتين وماح فيه قبيلتين فقال:

صبيت لسبل إذ تهاجى حيدها كا آل يربوع هجوا آل دادم نقيل له : قد قال جرير : ( البيت ) ، فقال : وأى شيءأهون من أن يقول إنسان فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنر الفاطة ؟ » .

والبيت أيضا في اللسان والتاج . ويرد ياختلاف في الشطر الثاني في المعرب الجواليش ( للوضع الملكور ) وأساس البلاغة الزنخسري (ط دار الكتب ١٩٢٧ ، ج ا ، ص ٤٢٧ ) : • وأبا الفرزدق شرعاً لمنظار و ؟ وقد أشار اللسان أيضا إلى هذه الرواية الثانية ه

(١) في الديوان (ص ٣٩٧) ، والأغاني (ط يولان ، ج ٧ ، ص ١٧٠ = ط دار الكتب ،
 ج ٨ ، ص ٣٨١) ، والأمال لأب على القال (الموضع المذكور) ، وسمج مقاييس اللغة (الموضع المذكور) ،

وفی کلتا انظیمین من الأمال (طبق بولاق ودار الکتب) برده جمیل » (مصفراً) ، ولکن کتب الفتال فی الأصل و جمال » (ککر الجم) ، وهو خطأ نقله عنه الدیوطی فی المزهر (ط بولاق ، کتب الفتال و با ۱۹۸۳ ه ، چه ۲ ، ص ۲۹۷ ) ، ولکن نبه علیه ابوعید البکتری (کتاب الفتیه علی أوهام أبی علی فی آمالیه » ط دار الکتب ۱۹۲۳ ، ص ۱۱۸) ، نفتال : « لیس فی الفتار البته » و ایما أواد أبو علی – ۱۹۷۳ ، ص ۱۹۸۸ کتب برعمر آ (یفعم خکس ) الفتالیین فقال : ابنا جمال » و انظر حمل اللا کل (ج ۲ ، ص ۸۵۳ مم الحامل الفتال » . و انظر حمل اللا کل (ج ۲ ، ص ۸۵۳ مم الحامل الفتال ) .

- ( ٢ ) ذكره أيضًا صاحب السان .
- (٣) ثمة شاهد آخر أورده الجواليق ( لملوقهم المذكور ) هو قول الأعشى :

توفى ليوم وفى ليلة تمانين نحسب إستارها

ويشرح الجواليق البيث بقوله : «توقى (مخم ففتح فشدة مع كسر ) يعى القارورة الكبيرة ، إذا شربوا بالصنير تمالين يكون بالكبير أربفة ، كل مشزين واحد » .

وفى الديوان ( ص ٢١٤ ) واللسان ومجسب ۽ مكان «تحسب ۽ ، ولكن فى (طبعة يولاق من) اللسان ضبطت «بحسب ۽ ، ولكن فى (طبعة يولاق من) اللسان ضبطت «بحسب » بضم فسكون فقتيم الرطق البناء اللسبودين ورفعت «إستارها » (على أنها غالب حقالي) ، وهو خطأ الان عالية القصيدة بقتيم المراد ، وواد و تتوفى مضمومة أيضا في عليمة اللسان ، وهو حسلة اللسبود بن اللمرد بدر الله بند الله بناله بند الله بند

والاستار أيضاً وزن أربعة مثاقيل ونصف<sup>(١)</sup> . والجمع الأسائير<sup>(١٧</sup>). (انتهى كلام الصحاح) .

ونى المعرب للجواليتي (الموضع المذكور): «قال أبو سعيد (السيراق): سعت العرب تقول للأربعة إستار؛ الآنه بالفارسية جيهار، فأعربوه فقالوا إستار.... وهذا الوزن الذي يقال له الإستار معربَ أيضاً، أصله جهار، فأعرب فقيل إستار...».

ويعلق ساخاو على ذلك بقوله ( ص ٦ - ٧ هن القسم الألماني من طبعته لمرب الجواليق) إنه يستحيل من الناحية الصوتية تفسير إستار على أنها معرب چَهار ، وإنما هي في الواقع من estêra ( إستيرا ) السريانية [ بامالة حركة التاء] التي ترجع إلى صححته ( ستاتير ) اليونانية ٣٦.

وستاتير اليونانية هذه اسم عملة يونانية قديمة متفاوتة القيمة كانت تتخذ من اللهب أو الفضة ؛ وقد اشتهر منها الستاتير الفضى ، وكانت قيمته أربعة دراهم drachms ( وكان المدرهم يساوى ما قيمته الآن ٩٤ من البنسات الإنجليزية ) .

<sup>(</sup>۱) فى مفاتيح الطوم الخوارترمى (ص ١٤ آخرصلير – ١٥) : «الاستار ربيم عشر منا » ، وفيه قبل ذلك ( ص ١٤ ) : « المنا رزن مائتين وسهة وخمسين درهما وسيع درهم ، وبالمثانيل مائة وتمانون مثقالا ، وبالأواق أربع وعشرون أوثية . . . . . . المثقال زنة درهم وثلاثة أسباع درهم » .

والحلاصة أن الاستار حباج من المناه عوالماً عليه من الدرام ﴿ يُومَ مَنَ الْأُوقِيةِ .

<sup>(</sup> ٢ ) « وقال أبو حاتم : يقال ثلاثة أساتر » ( السان ) .

<sup>(</sup>۲) يرى بروكلمان ( Syrinca ) بمبلة Δ. ، المجلد ۱۷ ( ۱۹۰۳ ) و لكن ( ۲۰۲۳ ) أن إستير ا السريائية لم تجيء من الصيغة البونائية الكلاميكية ( στατήρ و المنافقة πίστι من المبيغة البامية المامية المامية المامية المامية المامية دالك وخو برى أيضا أن السريائية أنت جاء لا طاء مقابل التاء البونائية على سيل المثابة بعد دالك وخو برى أيضا أن السريائية أنت جاء لا طاء مقابل التاء البونائية على سيل المثابة بعد مطبق ) قبل التاء ، فلم تأث بطاء كالموف متي مطبق ) قبل التاء ، فلم تأث بطاء كالموف متي مطبق . . .

وكان الإستار السريانى (۱) علة تساوى شاقلا يهودياً (۱) أو أربعة درام يونائية ، (ب) ووزناً يساوى نصف أوقية (۲) . وكان يساوى أربعاً من عملة أو وزن أقل قيمة اسمه بالسريائية قتقتة (زُوزا) ، وكان هلنا : (۱) عملة تساوى درهماً يونائياً أو إ شاقل يهودى ، (ب) ووزناً يساوى لل أوقية . انظر بين سميث (عود ۳۲۵) وملحقه ( ص ۱۳۰) وبروكلمان ( ص ۳۸ ب ) .

وفكرة الأربعة واضحة في الكلمتين اليونانية والسريانية من جهة **دلالت**هما هلي الدراهم الأربعة .

وقد انتقلت كلمة ستاتير أيضاً إلى النامود ( istera ) ؛ انظر ليلي(٢) ". (حا، ص ١٣٥ ب)، ودالمان (ص ٣٧ ب). وفي الأرامية الفلسطينية المسيحية ( عن اليونانية أيضاً 'astōr ( إسلير) ( إنجيل متى ١٧ : ٢٧) ؛ انظر شلتس F. Schulthess : Lexicon Syropalaestinum

وقد دخلت الكلمة اليونانية المعجم الأكدى أيضاً ، فني البابلية المتأخرة (لمشاتير أن) أى istatiru (Late Babylonian) (إسشاتير أن) أى الستاتير اليوناني . انظر قاموس شيكاغو الأشورى ، المجلد السابع (١٩٦٠)، ص ٢٠٤ ب ، وقاموس فون سودن ، ص ٣٨٩ ب .

والكلمة اليونانية هي أيضاً أصل إستار في الفارسية بمعنى أربعة إطلاقاً ، واسمالوزن يبلغ أربعة مثال أوستة دراهم ونصف درهم . والفارسية تسمى هذا الوزن أيضاً أستير . انظر فولرز (ج ١ ، ص ٩٣ و ٩٠) ، وستاينجاس (ص ٤٩ ب ) . فهنا تطابق في المعنى بين العربية والفارسية .

## ٣٧ - إِسْتُنْدَارْ (معرب)

فى تاريخ الطبرى ، القسم الأول ، ض ٢٦٣٨ (بين أحداث ٢١ هـ) : « وخرج عبد الله ( بن مسعود ) من نهاوند فيمن كان معه ... نحو جند قد الوجمع

له من أهل إصبهان عليهم الأستندار (<sup>1)</sup> ، وكان على مقدَّمته شَهَرْ بِسَراز جَاذَ وَيَهُ شيخ كبير فى جمع عظيم ، فالتبى المسلمون ومقدمة المشركين ... ... وانهزم أهل إصهان ... ... فسأل الأستندار الصلح ، فصالحهم ...».

الإستندار لقب فارسي "، معناه حاكم الإقليم nóma من أقاليم الولاية province من اقاليم الولاية nóma من العليمة كل يقول كريستنسن (L'Iran sous les Sassanides) A. Christensen الثانية ، كوينهاجن ١٩٤٤ ، ص ١٣٩ – ١٤٠ (١٤٠ ع فهو مركب من إستان (بكسر الهمزة) و إقليم ع (٣٠) ودار « مالك ، مسيَّد. ع أي سيَّدة ) في سيَّد الاقليم أو حاكمه.

(١) الهنزة قبل السين مضمومة في النص . ولكن انظر الحامش الثالث .

( ٧ ) انظر الله حجة العربية الكتاب بقلم يحيي الخشاب ( القاهرة ١٩٥٧ ) ، ص ١٢٨ – ١٢٩

(٣) احتفظ الجنرانيون العرب بالكلمة . فابن خرداذبه بجمل الأستان (بالفتح) مر ادنا لكورة ، وريقس الأستان إلى طساسيج ؟ فهو مثلا في حديثه من السواد ، ألى العراق ، يقول ( ص ه أسفل – ٨):

و فالسواد اثلثنا عشرة كورة ، كل كورة أستان ، وطساسيجه ( أي طساسيج السواد كله ) ستون طسوجا ؟ ورتر خة الأستان إسازة ، ورتر جة الطسوج ناسية : كورة أستان وشاذ قبروز ، وهي سلوان خسة طساسيج الغ » . وانظر أيضا المطبوع من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ( رهو مع كتاب ابن خرداذبه في مجلد واحد ، هو المجلد السادس من و المكتبة الجفرافية العربية » ) ، من ٣٥٥ . وانظر كذلك معجم اللهان لياقوت ( ج ١ ، من ٢٤١ و ٢٥٥) ، وعنده أيضا أن الاستان ( بالكسر ) والكورة عربه الاستان ( بالكسر ) والكورة عربة الدان ، وهو مجمع الاستان على استانات .

و يلاحظ أن المَنزة قبل الدين (في استان) مضمومة في نص الطبرى (انظر الهامش الألول) ، ممنوسة في نصى العبرى (انظر الهامش الألول) ، ممنوسة في نصى ابن خرداذبه وقدامة (والترجمة الفرنسية الملحقة بهما) ، مكسورة في نصى ياقوت . والكسر هر الصحيح ، إذا اعتبر نا مقياس السحة مطابقة الأصل الفارسي ؟ فالأصل الفارسي بالكسر . أما الشم في نص الطبرى فهو زيادة من الناشر ، تأثر فيها بالنظير السرياني ( وسيأتي ذكره ) ؟ النشر تماموس الطبرى ، مس CXII (أستندار) . والفتح زيادة من دي خويه ، ناشر بن خرداذبه الفرادة ، ولما تأثر في ذلك برأى ف . ملر Kleine Mittheitungen ) ؟ مجلة « وتدافه النامس ( ۱۸۹۱ ) ، ص ۲۰۹ ) في اشتقاق الكلمة ، وهو أنها من المحلمة ( بنافر الأول من الكلمة ، وهو أنها من الكلمة ، وهو أنها من الكلمة ، وهو أنها من الكلمة ، من المحلمة المنافرسية القديمة ؛ فاطرد الأول من الكلمة ، على المحلمة المنافرسية القديمة عليه (أست ) ، هو معده (أست ) عنى الرسالة أو الأمر الملكي ، فالاستندار إذن هو والمتسلم عبا في الفارسية القديمة عالمتدار إذن هو والمتسلم عبا في الفارسية القديمة عالمتدار إدن هو و المتسلم عبا في الفارسية القديمة عالمتدار إذن هو و المتسلم عبا في الفارسية القديمة عالمتدار إذن هو و المتسلم عبط الملك ي ، فالاستدار إذن هو و المتسلم عبط الملك ي ، فالاستدار إذن هو و المتسلم عبط الملك ي ، فالاستدار إذن هو و المتسلم المسلمة المتدار المتحد المستحد ( أست ) موضف كيور مؤود بسلطة الملقة لأغراض مينة .

وقد انتقد هورن ( س ٣٦٧ – ٣٦٨) رأى مار مستدا إلى أن كلمة الأنسا تطلق عقَّاه ( أشت ) . بالشن لا أنسين ، وأن معاماً هو وصليني ، رئيق » لا ورسول ، مبعوث » .

بانسان و السين ، وإن فضاف هو و فضيها ، وبين » د وحوف الحوف المواد و ماك ، سيد ، ، أى و الرأى السائد الآن ، كما قلنا ، أن الاستندار مركبة من إستان ؛ إقليم » ودار « ماك ، سيد » ، أى . • ومماكم الاقطيم » . ويقول كريستنسن : ديبدو أن هؤلاء الحكام ، وكانت لم كالمرازبة قوة عسكرية تحت تصرفهم . كانوا فى الأصل المديرين للأراضى الملكية<sup>(١)</sup> ، ولعلهم كانوا يواصلون أداء هذه الوظيفة ، حتى وإن كانوا فى بعض الأحيان الحكام العسكريين فى المناطق التى تفهم تلك الأراضى » .

#### \* \* \*

وقد انتقلت الكلمة الفارسية أيضاً إلى الأرامية اليهودية ( التي احتفظت بكسر الهمزة ) والسريانية ( التي قلبت الكسرة ضمة ) .

نفى الأرامية البودية (٢) istandara ( إسْتَمَنْدَارا ) أو istandara ( إسْطَتَنْدارا ) . ويورد لنا ليثى (٢) (حا ، ض ١٢٠ ب ) موضعين من التلمود ( جعلَّين ٨٠ ب وقد وشين ٧٧ ب ) يشير أولها إلى إستندار كتَشْكَر ، وثانهما إلى إستندار كتَشْكَر ، وكاتا المدينتين في أدنى دجلة (٢) .

وفى السريانية ustandara (أُستندارا) فى قصة الشهيد الفارسى جيورَّجيس (6)، حيث يقال إن أباه تُعينُ إستندارا فى مدينة نصيبين تمجيداً له وحماية للحدود (٥٠).

<sup>(</sup>١) هنا يلاحظ كريستنسن ( ص ١٣٩ ، هامش ١٠) أنه فى اللغة الأرسينية تذل كلمة ostanik ( أستنك ) على الجنود (أستن ) فى الأصل على أرض أو مدينة تنتمى إلى الملك ، و تدل كلمة ostanik ( أستنك ) على الجنود الذير يوضعون فى هذه الأوضر أو المدينة حاصة لها .

<sup>(</sup>٢) أنظر دالمان ، ص ٣٢ و ٢٩ .

 <sup>(</sup>٣) انظر نولدكه ٤ س ٤٤٨. وفي قاموس لينى كتبت المدينة الأولى عطأ بباء مكان الكاف الأولى
 (بشكر)

ركشكر وميشان هما كسكر وميسان عند الحفر افيين العرب ؛ انظر حسيم البلدان لياقوب ، ح ؛ ، ص ١٧٤ و ٢٧٤ .

<sup>(</sup>٤) انظر هوفان ، ص ٩٢ -- ٩٣ والهلمش رقم ٨٣٢ .

وانظر كذلك كريستشن ، الأصل الفرنسي ، ص ٤٨٩ ( الترجة العربية ، ص ٤٧١ ). . .

<sup>(</sup> ه ) ترد الكلمة السريانية أيضا ( في صيغة الجسم ) في ص ٧٧ ( س ١٤ ) من

Synodicon oriental ou Recueil de synodes nestoriens, publié, traduit et annoté par J. — R. Chatect; Panis 1902. (Notices et Extraits des Manuscrits de su Bibliothèque Nationale et autres Bibliothèques, Tome 37.)

### ٣٣ – أحد

الأسد هو الليث في لغتنا (العربية الشهالية) .

وهو فى العربية الجنوبية القديمة( مجازا ) المحارب أو الجندى ، كما فى النقوش السبئية التالية<sup>(١)</sup> : إراج

(۱) AY CIH (۱) من با کر در با با ازخنت | زخن | بموطنن | بقسح | اُسَدَن بر. ۵ من الجُرح الذي جُرَّحه في الموطن بغلظة(۲) المحاربين ۵ ب

(٢) ٣٣٤ : ٧ -- ٨ : ... وتقلمو<sup>(٣)</sup> | ثنى |مأتن | أسدم | بن | شعبن | حملن ... و وتقدم ماثنا محارب من قبيلة حملان » .

'(٣) To CIH (٣) : ٧٠٠ : ١٠٠٠ وتقدم | مأتن | أسلم | وهغرو | عدى| أرض | حمير م ... و وتقدم ماثنا محارب وأغاروا حتى أرض حمير ٣ .

وإنظر أيضاً س ٤ (١٥٠ أسلم) وس ٩ (١١٠ أسلم) . . .

(٤) ۳۹۳ CH : ۱۳ : ۱۰۰۰ وهرجو | عشری | وثلث | مأتم | أسلم ۱۰۰۰ وقتلوا للهائة وعشرين محارباً ۽ ۱۰۰۰

(٥) ٢٤ : ٢٥ – ٢٥ : ... وحمدم | بذت | خمر | جبدهن ] أبكرب | هرج | ثلثت | أسدم ... و وحمدا الأنه من على عبده أبي كرب بقتل ثلاثة محارين » .

<sup>(</sup>٢) تعل مادة قسح في العربية (الشالية) على منى الصلابة .

رُ ( ٣ ) هكذا قرأ أبور تمان عدد الكلية الناشعة في الأعلى ﴿ انظر الطَّلِينَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ ال

- (٦) جلازر ١٥٧١ : ٢ : ... أسد أملكن ... و جنود الملوك ( الجنود الملكيون ) ..
- (۷) جلازر ۱۰۰۰ A ( =RÉS ) س ۹ : ... وأسد إ عبدن٠٠٠ و جنود عبدان ع

وانظر أيضاً س ١٢

وهناك استمال ثان للأسد فى العربية الحنوبية القديمة متطور عن الاستمال الأول ، هو إطلاقه على الرجل عامة (خلاف المرأة) ، وذلك كما فى النقوش الآتية :

- (١) ٣: ٦٩ CIH (١) أسدن أ وأنثن ٢٠٠ وكل الرجال والنساء ( نقش سبقي ) .
- (٢) RES (٢) : ١٠٠ أسدن إ وأبيتن ٥٠٠ والرجال والبيوت يه ( تقش سبقي ) .
- (٣) se (٣) : ٥ -- ٦ : ٠٠٠ أسلم | وينتم ٠٠٠ و رجالاً ونساءً ع { نقش سبئى ) .
- (\$) جلازر ۱۳۹۱ ( = ۳۸۰٤ RES )، س ٤ : ٠٠٠ وأى | أى | أسلم ٠٠٠ ووأى رجل؛ (نقش قتبانى ).
- (ه) YAV RÉS (ه) به ۲۲۸۷ : ه : ۱۰۰ شلسن | أورخم | بعشرى | ومثة | أسدم... و في ثلاثة شهور وبمائة وعشرين رجلاً ؛ (تمَّ البناء) ( نقش حضری ) .

ومن معنى الرجل تطور استمال أسداسم موصول بمعنى مَنْ (للمفردوالجمع) وذلك كما فى النقوش السبثية A£ CIH : ٤ و YAV CIH ( ناى ٥٨ ) س ١ و ٤ ٤ ٢٧٧ RES : ٧ ؛ و النقوش المعنبة جلازر ٢٨٢ ( = ٣٠٠٦ RES ) س ١ و جلازر ٢٩٠١ ( = ٣٠١٣) س ١ و النقش القتبانى جلازر ٢٠١ ( = ٣٠١٣ RES ) س ٢ ( أسلم ) . انظر والنقش القتبانى جلازر ٢٠١ ( = ٣٠١٣ RES ) س ٣٣ ( أسلم ) . انظر ماريا هوفتر Altsudarabische Grammatik : Maria Hofter ) ماريا هوفتر المعنان المنازد المعنان المعنان

ه که و و بیستون Epigraphic South Arabic (۱۹۹۲) ، ص ۵۱ ه (۱۹۹۰) و رو دوکاناکس (۱۹۹۲) ، ورو دوکاناکس Epigraphic South Arabic Studien zur Lexikographie und Gram. des Altstidarab. : N. Rhodokanakis ۲۰۰۰ ( اثبنا ۱۹۱۷) ، ص ۱۹۰۰ ، ص

ففي العربية الجنوبية القديمة لم يرد الأسد بمنى الليث(كما في العربية الشهالية)، وإنما ورد بمعنى مجازى هو المحارب أو الجندى ، تطور بعد ذلك إلى معنى الرجل عامة ، ثم إلى معنى اسم الموصول ومنّ ، ومن الجدير بالملاحظة أن معنى المحارب خاص بالنقوش السبثية ، بينها نجد المعنيين الآخرين في السيئية وغيرها من اللهجات العربية الجنوبية القديمة .

واستمال الأسد بمنى المحارب في السيئة بنى طبعاً على أن المحارب كالأسد في شبعاعته وشدة فتكه . يقول إشعبا في وصف بحيش العدو الذي ميسلطه الرب على بنى إسرائيل ( • : ٢٩) : «له زئير كاللبؤة ، يزأر كالأشال ، ويتمول النهسة ) فلا منقذ ( له ) » . ويقول إدعا مشها إسرائيل بالفريسة ( ٢ : ١٥) : « وعبرت عليه الأشبال ، أطلقت موتها ، وجعلت أرضه خربة ، الحرقت مدنه فلا ساكن فها » .

ولا نجد الأمد بمعنى الليث فى الحيشية والعبرية والارامية ، وإن وجدنا فيها مادة أمد نفسها . فالليث فى الحيشية هو anbaga ( صَنْبَسَاً ) ، ونظيره فى العربية عَنْبُسَ وَصَنْابِسُ ، من عبس وجهه إذا كلح ، ويقال فى العربية أيضاً للأمد : العابس والعباس .

والليث في العبرية له عدة أسماء : ٢٦٠ (أري) أو aryō (أريي) و قاهما (سُيش ) (من مادة الليث <sup>(۲)</sup>) و قاهما (سُمَحَل) ( في النصوص

 <sup>(</sup>١) نهم الأحد ينهم (من باب جلس) صوت ؟ واللفظ العرب مطابق الفظ العبرى هنا تمام المطابقة.

الشعرية فقط) . ومادة اللفظ الأخير هي سحل ؛ يقال سحل البغل سحيلا وسُحالا نَهَتَى ، والسحيل والسُّحال الصوت يدور في صدر الحهار ؛ فهلا الاسم لوحظ فيه زئير الأسد .

والليث في الأرامية هو arya' (أرْيا) (في الأرامية اليهودية والسري*انية* وغيرهما) و هياal (ليبتا) (من مادة الليث) (في الأرامية اليهودية).

وهكذا نرى أن الحبشية والعبرية والأرامية لاتستعمل الأسد بمعنى الليث. ولكر مادة أسد تردفها كما قلنا ، فما دلالتها ؟ .

### (اولا) في الحبشية:

تتمثل مادة أسد في الفعل عَنْهَمَ (سُوطَ) المنطور صوتيًا عن أسد ، ومعناه و صبيًا ، أراق من أسد ، ومعناه و صبيً ، أراق من الماء ( الحروج ٣٠ : ١٨ ) ، اللم ( حرقيال ٢٤ : ٧)(١)، الزيت ( التكوين ٢٨ : ١٨ ) ، ( عجازًا ) الفضب ( حرقيال ٢٠ : ١٨ ) ، ( عادًا ) الغ . ( حرقيال ٢٠ : ١٨)

ويرد من هذا الفعل بعض أوزان الفعل المزيد وبعض الأسماء المشتقة ـ انظر دلمان ، العمودين ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

### ( ثانيا ) في الأرامية :

 نظير مادة أسد في الأرامية هو أشد (بشين مقابل السين حسب القاعدة الصوتية المعروفة) ، ومجده في الأرامية المصرية والأرامية اليهودية والسريائية :

حجقلبت اللام ثونًا قبل حرف الصفير (الشين) . ولكن الرأى السائد الآن أن الكلمة الأكدية ومؤثبًا zaštu من مشتمات الفعل الأكدى zaštu ( نيش) و ماش ، حوى ۽ . و مادة هذا الفعل هي نحش التى تجدها أيضا في العبرية والعربية : تحش في العبرية حب حشق في العربية و الثعبان ۽ ؛ اشتق هلما الامم من أشماء الثعبان ( الحنش) من فعل يعل على الحياة كما اشتقت الحية من حي يحيا .

<sup>(</sup>١) مقابل القمل المبرى شفك (سفك) .

 <sup>(</sup> ۲ ) الفعل العبرى هنا أيضا سفك : «فصيت (سفكت) غضبى عليم لأجل الدم الملى سفكو.
 مل الأرض . . . . . » . فالفعل سفك يستصل هنا مرة على ببيل المجاز وموة على سيل الحقيقة .

### 1 \_ الأرامية المصرية:

أجيقار ٨٩ : ودمه يأشد ويسره يأكل . . • ويسفك (الأسد المذكور فى السطر السابق) المسطر السابق) عدم الأيئل ، ذكر الأوعال ، المذكور فى السطر السابق) ويأكل لحمه » .

### ٢ ـ الإرامية اليهودية (١):

## (۱) في الترجوم<sup>(۲)</sup> :

يدل الفعل معهد (أشد) على معنى سفك (الذم): سفر اللاويين ١٠: ٤، المزمور ٢٠: ١٠٠ (و وسفكوا هما زكيا ٢٠: ١) ، حرقيال ١٠: ١٠ و ٣٠ : ١ (أنكلوس) ، التكوين ٩: ٣، المدد ٣٠ : ٣ (أنكلوس) ، التكوين ٩: ٣، المدد ٣٠ : ٣ (أنكلوس) ؛ وعلى معنى أراق (المله): الحروج ٤: ٩، وعلى معنى أراق (المله): الحروج ٤: ٩، وعلى معنى أرق (الرماد ): سغر اللاويين ٤: ١٠ ويستعمل على سبيل المخاذ في المزمور ٤٤: ٥: وأسكب نفسي على "...»، والمزمور ١٤٢: ٣ وأسكب

ويرد هذا الفعل في وزن افتعل بمعني سُفك (الدمُ): العدد ٣٥: ٣٣ (أتكلوص)، التكوين ٩: ٦: صمويل الأول ٢٦: ٢٠ ؛ وبمعني أريق (الماء): صمويل الثاني ١٤: ١٤. ويستعمل على سبيل الحباز في مراثي لدميا ٢: ١١: «... انسكبت على الأرض كبلني ٣ و ٢: ١٦ « ٠٠٠ إذ سُكبت (زُهت ) نفسهم ٥٠٠ ».

### (ب) في التلمود ;

ake d d°ma ( آشد دما ) و سافك دم ، قاتل » ( شبئات ١٥٦ ) .

<sup>. (</sup>١) انظر ليش (١) ، حـ ٢ ، ص ٧١ او (٢) ، حـ ٢ ، ص ١٧١ ب.

<sup>(</sup>٢) مقابل الفمل العبرى سقك فى كل المواضع تقريباً .

### ٣ - في السريانية (١):

يستعمل الفعل eaad و eaad و مشتقاته في السريانية على نحو ما رأيناه من استعالات في الأرامية اليهودية . مثال ذلك : « سقك » (الدم ) : التكوين ؟ : ٦ (مقابل سفك في العبرية ) ، رسالة بولسي الرسول إلى أهل روما ٣ : ١٥ ( وأرجلهم مريعة إلى سفك الدم ) ؛ وفي وزن افتعل « سُفك » (الدم ) : التكوين ٩ : ٣ (مقابل سفك في العبرية ) ، أريقت (الحمر ) : مني ٩ : ١٧ .

### ( ثالثا ) في المبرية :

لا نجد فى عبرية التوراة من هذه المادة سوى الاسم aiog الشد) و سَفَّحَ الجُمِل ، ومن الجَلِي أن مرجع هذه الدلالة وسفحان ، مياه الأمطّار والينابيع على جانب الجبل (7) .

ومن هذا كله يتبن أن مادة أسد في الحبشية والأرامية والعبرية تدل على معى صبّ أو أراق (حقيقة أو مجازآ) ، ومنه سفك الدم خاصة . وهذا المعنى لا نجده صراحة في العربية ، ولكنه سامى قديم لوجوده في الحبشية والأرامية والعبرية جميعاً . فلعل الأسد ( الليث ) في العربية سمى كذلك لأنه سفاك ( للدماء ) ، راجع نص أحيقار ٨٩ فيا مضى . ويؤيد هذا إلى حدما أن من أسماء الأسد « الهصور » ، وأن و الهرس » هو الأمد الشديد الكسر والأكل .

#### \*\*\*

قلنا إننا لا نجد معنى الصبّ والاراقة صراحة بين دلالات مادة أسد فى العربية . ولكن نولدكه ( ZDMG ) المجلد ٤٠ (١٨٨٦) ، ص ١٦٠ ، الهامش الرابع ) يربط بين أشد ( الأرامية ) التي تدل على ذلك المعنى وأسد العربية التي تدل في بعض أوزانها ( آسد ، أوسد ) على معنى الاثارة والتحريض hetzen ، ويرى

( ۲ ) مثل ذلك في العربية الصب ( محركة ) ما انحدر من الأرض .
 ( ۳ ) يستشهد نولدك على هذا المش يقول امرىء القيس يصف كلاب الصيد (كتاب المقد الثمن في

<sup>(</sup>١) انظر بروكلمان ، ص ٥٧ ؛ وبين سميث ، السوديق ؛ ٤٠٠ – ه ، ٤ ، وملحقه ، ص ٣٩ أ.

<sup>(</sup> ۳ ) استشهد دوده من هدا ندهی بخود اسریء امیس نصمت دودب اصید ( ۱۳ ب اسماد احین این دوآوین الشراء امالیفین ، شره W. Ahlwardt ، ۱ نه ، من ۱۳۹۰ ، ۲ ب ، من ۱۳۹۰ ) : .

مترثة زرقا كأن عيونها بن اللمر والايساد نوار عشرس (مترثة : مجومة – اللمر : الحض – العشرس : عشب أشهب الحضرة). و في رواية : من اللمر والايحاد (شرح ديوان امري، القيس لحسن السندوي ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ١٠١) . =

أن الأسد (الليث) كان معناه في الأصل والمتقضّ (darauf losstitizend ). وهذا رأى جائز نضيفه أى الذي يصبُّ نفسه ويلقى بها على الفريسة(!). وهذا رأى جائز نضيفه إلى رأينا السابق الذكر ، والقاريء أن يختار بينهما.

# ٣٤ - إِسطام (أوسِطام أوسطم (مربة)

في مسند ابن حنبل (حـ٣٠ ، ص ٣٣٠) : وجاء رجلان من الأنصار بختصان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث بينهما قد درست ليس بينهما بيسّنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم تختصمون إلى ، وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم ألحن بحجته (أو قد قال : لحجته ) من بعض ، فإنى أقشى بينكم على نحو ما أسمع ، فن قضيت له من حق أحيه شيئاً فلا بأخله ، فاتما أقطع له قطعة من النار يأتى بها إسطاما في عنقه يوم القيامة . فيكي الرجلان محمد من » .

ويُروى الحلايث على وجه آخر فى الفائق للزمخشرى والنهاية لابن الأثير . في الفائق ( - 1 ، ص ٢٩٤ أسفل ) : و من قضيت له شيئاً من حق أخيه فلا يأخذنه فإما أقطع له إسطاما من النار » . وفى النهاية ( - ٧ ، ص ١٦١ ) : و من قضيت إلى بشيء من حتى أخيه فلا يأخذنه ، فإما أقطع له سطاما من النار ( ويروى إسطاما من النار ) » .

 <sup>=</sup> رممي الاثارة ( في حالة التمدي ) أو الثورة ( في حالة الزوم ) نجده في :

<sup>(</sup>١) أمد (كفرح) : غضب وسفه (القاموس) .

 <sup>(</sup>۲) أمد (كفرب): أفسد بين القوم ( القاموس ) . قارن بذلك المضحف الثلاق دس .
 (۳) آمد الكلب و أوسده ( ذكرهما فولدكه) وأسده ( يتشديد السين ) أفراه ، واضوصه

<sup>( / )</sup> الله الخديد واوقعه ( د درس الوقه في والمعه ( بنصفيد الشين ) الوقات و والمعود \* ( البناء الحبيد في ) .

و بلق مادة أسد في المرتبية يغور أغلب حول الأحد ( الليث ) و معني الشجاعة والقوة المرتبط به . - ( ) انظر نولدك أبيضا في كتابه Netro Betrago zur activitischem Sprachwissenschaft

<sup>(</sup>متراسيورج ١٩١٠ ) ص ٩٩ .

ويشرح الزعشرى الاسطام والسطام بأنهما (الحديدة المفطوحة الطرف التي تُحرك بها النار ، أى قطعت له ما يشعل به النار على نفسه ويسعرها ؛ أو قطعت له نارآ مسعرة عروثة ، وتقديره : ذات إسطام ».

ويورد ابن الأثير قول الأزهرى عن الاسطام أو السطام : دما أدرى أعجمية هى أم أهجمية حربت ۽ ، ثم يقول : و ويقال لحد" السيف سطام وسطام(١) ومنه الحديث و العرب سطام الناس ۽ ، أى هم فى شوكتهم وحد تهم كالحد" من السيف ۽ .

...

السطام والسطم بمنى حد السيف، والسطام والاسطام بمعنى الحديدة التي عمرًك بها النار ، هذه الكلمات كلها معزب stāmā (إسطاما) أو estāmā (إسطاما) في السريانية (٢) ، وهو الفولاذ . والأصل الأول للكلمة يوناني هو στόμαμα ( سُتُومُوما) ، وهو الجديد إذا قُوتَى ليصير له طرف حاد (٢٠) . انظر نولدكه ( مُتومُوما ) ، وهو الجديد إذا قُوتَى ليصير له طرف حاد (٢٠) . انظر نولدكه

<sup>(</sup>١) فى الحديدة (حـ٣٠) ص ٢٨ ، أعل العدود الأولى) : والسلم والسطام.حد السيف وغير دنه ، بزيادة ووغيره » . وفى معجم مقاييس اللغة لابين فارس (حـ٣ ، من ٧١) : وويقال إن الأسطم والسطام لنصل السيف » ؛ و الصواب « الإسطام » مكان و الأسطر»

 <sup>(</sup>٢) تظيرها stanaa '(١٠) أي الأرامية البهودية وتقوية الحديد ليكون سلباء. انظر
 يش ، ح ١ ، ص ١٢٠ ب أعلى.

 <sup>(</sup>٣) يرج فرنكل (س ٢٤٠) السطام بمنى حد السيف إلى ما ذكرنا.
 نيونانى ، ولكه يفصل من ذك السطام بمنى الحديدة التي تحرك بها النار ، مم أن المدنين مرتبطان.

<sup>.</sup> ومن هذا القبيل أيضا إحطام المنجنين ، وهو كما يقول الحوارزمي (ص ٢٤٩) : و حديدة تكون فى طرف السهم حيث يعلق حجر المرص » . والسهم هنا من آلات المنجنين ، وهو كما يقول الحوارزمي أيضا ( الصفحة نفسها ) و عشبة طويلة مستوية كالجذع » .

# ٣٥ - أَسْطُرُ لاب (أو أصطُرُ لاب) (مرب)

يقول الخوارزمى (ص ٣٣٧ آخر سطر - ٣٣٣): و والأصط لاب (١) معناه مقياس النجوم ، وهو باليونانية أصطرلابون ، وأصطر هو النجم ولابون هو المرآة ، ومن ذلك قبل لعلم النجوم أصطر نوميا (١٦). وقد يهذى بعض المولمين بالاشتقاقات في هذا الاسم بلا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جم سكثر وهو الخطر (هو الخطر ١٩٠٠) ، وهو اسم يوناني اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف ،

قلت : أصاب الخوارزمي في تحديد الأصل اليوناني للأصطرلاب، فهو ( αστρολάβον ( أُسْتَرُ وُلابُون ) ( عدد astrolabium ) ، وهو

(١) الاصطرلاب آلة فلكية كانت تستممل قديما لقياس ارتفاع النجوم فوق الأفق. وق تهاية الارب لذيرين (السفر الأول ، ط دار الكتب ١٩٣٣ ، ص ١٥٣ – ١٥٤) شمر وثئر قيلا فيها ، فن ذلك قول أي طالب مبد السلام للأموق :

و ټوله :

وعالم بالنبيب من غير ما سمم ولا قلب ولا ناظر يقابل الشمس فيأت بما ضما من خبر حاضر كأنها ناجته لما يغا لينها بالفكر والماطر وألمت علم ما يحتوى عليه صدر الفاك الدائر

(۲) يقول الحوارزي في موضع آخر ( ۱۰۰ ) عن علم النجوم إله ويسمى بالعربية التنجيم وباليونانية أصطر نوميا ، وأصطر هو النجم ونوميا هو السام ε. وأصطر نوميا هو بالطبع ἀστρόνομία ( أسررنوميا ) ( ἀστρον ( أسرون ) و النجم ε + νόμος ( نوموس ) و قانون ، ناموس ه ) .

(٣) من أصحاب حذا الزيم القير وزايادي إذ يقول (مادة لوب): «واللاب . . . رجل سلم أسلمرا وبني عليها حسابا ، فقيل أسطر لاب ، ثم مزجا ونزعت الانسافة نقيل الاسطرلاب معرفة والاسطر لاب تقلم السين على الطاء ي . ولكن انظر تبقيب ساسب التاج . وفي شفاء الغليل ( ص ٣٩ ) : به تسمى الآلات التي يعرف بها الرقت أسطر لاب ، والطرجهارة وهي آلة مائية ، وينكام وهي دملية ؟ وكلها ألفاظ غير عربية ، ذكره في ثهاية الأرب » . قرت ( أُسْتَرُ وَن ) و نجم ع بـ λαβών ( لابُون ) اسم الفاعل من الفعل من الفعل المستقد ( لامبانُو ) و أخلت و (١٤) ، أى آخذ النجوم والمسلك بها . وانظر الأب أنستاس مارى الكرملي ، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٣٧-٣٧٠ .

وقد انتقلت الكلمة اليونانية أيضا إلى السريانية حيث تجد aarordlabon . ( استُطرُولَتَبُون ) الخ . انظر بروكلهان ( ص ١٣٤ و ١٤٦٩ ) وبين سميث ( العمود ٣٠٧ ) .

# ٣١ - أسطقس (مرب).

يقول الخوارزمى ( ص ١٣٧ ): «الأسطقس هو الشيء البسيط الذى منه يتركب القصر ، يتركب المركب ، كالحجارة والقراميد والجلوع التي منها يتركب المعدد . وكالحروف التي منها يتركب المحدد . وقل يسمى الأسطقس الركن ، والأسطقسات الأربعة هي النار والهواء والماء والأرض (٣٠) ، وتسمى العناصر (٣٠) .

الأسطقس معرب estōkesa (إسطُوخِسا )أو setōkesa (سطُوخِسا ) في السريانية والعُنْصُر » (ومنه والبيت » في القصيدة )(ع) . والأصل الأول

<sup>(</sup>١) نليست (لايون) هي المرآة ، كا يقول الخوارزين ، فللرآة في اليونانية «ἀτρπτρον (كاتوبترون).

<sup>(</sup> ۲ ) كا هي مند أنياذرةليس Empedocies . والمقصود بالارض هنا التراب .

<sup>(</sup>٣) يقول الخوارزي في موضع آخر (ص ٢٠٧ آخر سطر ٣٠٣) : «كتاب الأسطقسات هوكتاب أقليس (Bacild) في أسول هذه المسناعة ( الهندنة )».

والاسلقسات أيضا عنوان كتب أخرى في أسول المناسة النها أيقراط الحيوس Bippocrates . Thoudion وليون Leon و ويوديوس Thoudion .

<sup>( ؛ )</sup> من الأمثلة السزيائية التي يسوقها بين خميث ( النمود ٢٩٦ ) ما ترجع : ﴿ أَسَطَنَعَاتَ النَّالَةِ : ثقال الشعس والقعر » فبهما تكتمل الآيام والتجهور والسنون ﴿ ﴿ رَبَّ جِلُولُ ﴿ النمود ٢٧٤ ﴾ ترخا لعبارةً ﴿ أَسَطَنَعَاتَ النَّالَمُ ﴾ عند جاليتوس ﴾ .

يونانى هو ототанетом ( ستُونيخييُون ) « العنصر » مثل الصوت البسيط ( فى الكلام ) ، والحرف ( من حروف الأبجدية أو الكلمة ) ، والحزم ( من عناصر أجزاء الكلام ) ، والعنصر ( من العناصرالأولى للمادة ) ، والمعنصر ( من عناصر البرهان ) ، والوحدة unit ، والمبدأ الأولى أو الأساسى ، و ( جماً ) النجوم أو الكواكب .

# ٣٧ - أَسْطُمُ ( أُو أُصْطُمُ ) وأُسْطِمَةُ ( أُو أُصْطُمَةً ) ومُسْطِمةً ( أُو أُصْطُمَةً ) وسُطُمُ ( رَمِينِة )

فى الصحاح (مادة سطم): ويقال فلان فى أسطمة قومه أى فى وسطهم وأشرافهم . وقال (1): وصلت من حنظلة الأسطا، ويتروى بالصاد . وأسطمة الحسب وسطه ومجتمعه (٢) ، والأطسمة مثله على القلب . وقال : بالنيتها قد خرجت من فُستَّه : حتى بعود المُلكَّ فى السُطْمَسَّة (٢) ، أى فى أهله وحقة . والخمع الأساطم . وتمم تقول أساتم ، تعاقب بين الطاء والتاء فيه . والأسطم عنمم البحر في (3) .

<sup>(</sup>١) رؤبة، الديوان، س ١٨٣.

 <sup>(</sup> ۲ ) و الناس في أسطمة الأمر ع ( ابن فارس ، ح ۲ ، ص ۲۹ ) .

<sup>(</sup>٣) أورد اللسان البيت في مادة فم شاهدا على تشديد الميم في ثم ، ونسبه إلى محمد بن ذئريب العالق. الفقيمي ، ثم أتيمه بقول الفراء : و ولو قال (الراجز ) من قه بفتح الفاء لجاز ي

ولمل هذا البيت من أرجوزة العانى الى أنشدها في مجلس الخليفة هارون الرشيه يدعوه فيها إلى تولية ابنه القاسم ولاية العهد ، وذلك حيث يقول ( الأغانى ، ط بولاق ، ٦٧٠ ، ص ٨٠.) :

قل للامام المقتلى بأمه ما قام دون مدى ابن أمه وقد رضيناه فقر فسمه

قال صاحب الأعلق : « نتيم الرشيد ثم قال : وعمل أما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حي أقوم عل رجيل ، فقال له العبلق : ما أردت يأأمير للوسنين قيامك على رجليك ، إنما أردت قيام الغزم ، قال : فانا تُنه وليناه العهد . وأمر بالقام أن يحضر » .

<sup>(</sup>٤) في الجمهرة (م ٣ ، ص ٢٨ ا أمل): وأسطمة القوم مجتمعهم. وأسطمة البخرمعظم مائه ع.

ويُضاف إلى ذلك أصطمة فى قول المُبَرَّ مَان النحوى ( أبى بكر محمد بن على ابن إسماعيل العسكرى ) يفتخر بأن منبته فى صميم خوزستان :

من كان يأثرُ عن آبائه شَرَعًا فأصلنا أزَمَّ أصطمة أُخُوزِ<sup>(1)</sup>
ويذكر اللسان أيضاً (سطمة البحر والحسب) أى (وسطه ومجتمعه). وينقل عن ابن الأعراني أن (السُطُمُ الأصول).

#### -

الكلمة فى صيغها المختلفة معرب στόμα ( سُتُوما ) اليونانية (٢٠ و الفم ؛ مصب (النهر ) ؛ الشُّق فى الأرض أو الصخر ينبثق منه جلول ؛ المخرج أو المدخل عامة ؛ مقدَّم الذيء يـ (٢٠ .

# ٣٨ - إِسْفِنُطُ وأَفْسِنَتَيْنُ (معربان)

يقول ابن السكيت (تهذيب الألفاظ ، ص ٢١٥) عن الإسفنط : و إنما هو عصير عنب ٥٠٠ علي أطبخ ثم ينبجل فيه أفواه "ثم يُعتَّن ٤ ويقول ابن دريد (الجمهرة ، ٣٠٠ ، ص ٥٠١ ، ص ١٩١١) : والإسفنط ضرب من الحمر فيه أفويه ٤ .

قلت : أصاباً . فهو نوع من الخمر يلخل في تركيبه نبات الأفسلتين ،

<sup>(</sup>۱) أورد ياتوت البيت فى معجم البلدان (-۱، س ۲۳۳) بصد أزم (ومنزل بين سوق الأهوال ووامهرمز »). وميم للبرمان مضمومة فى ط ليزج علم من معجم البلدان ، ولكن يفتحها الفيروزابادى فى القاموس (مادة برم) حيث يقول : «ومبرمان لقب أبي بكر الأزى».

<sup>(</sup> ۲ ) فرنکل ، ص ۲۴۱ .

<sup>(</sup>٣) لا غناه فيا حادله أدى شير ( ص ٨٤ أمغل - ٨٥) من إرجاع الأسطم إلى أصول غارسية .

<sup>(</sup> ٤ ) أورد الجواليق في المعرب ( ط لينزج ، ص ١٣ ==ط القاهرة ، ص ١٨ ) قول ابن السكيت ها .

ويطابق أو يشـــابه الحمر المعروفة في أيامنا بالأبسنت Absinth(). فنبات الأنسنين هو المقصود بالأفواء أو الأفاويه(<sup>(۲)</sup>.

ونبات الأفسنتين اسمه العلمي Artemisia absinthium ، وهو ينتمي إلى الفصيلة المركبة Compositae ، وهو ينتمي إلى الفصيلة المركبة Compositae ، كا في معجم أسماء النبات (ص ٢٧ ، رقم ١). ويقول عنه ابن البيطار ( ١٠ ٢ ، ص ٤١ ) : وهو نبات مملس ويلحق بالشجر الصغير في قدر نباته . يقوم على ساق ، ويتفرع منه أغصان كثيرة ، وعلى الأغصان أوراق كثيرة متكاثفة بيض الألوان (٢) ، تشبه الأشتة (٤) في غييطها . وله زهر أقحواني صغير أبيض ، في وسطه صُمُرة ، تخلفه رموس صغار فها بزر دقيق ، وفي طعمه قبضي ومرارة (٥) و .

<sup>(</sup>۱) يقول ابن البيطار (۱۰ م ۱ ، ص ۲۶ أسفل) إن تبات الاقسنتين قد يممل مه شراب يسمى الافسنتين أيضا. وهو يورد (نفس الجزء ، ص ۲۶ أسفل – ٤٤) كلام ديسقوريدوس عن الطرق المنطقة التي يصنع بها شراب الانستين : و دلك أن من الناس من يأتى في ثمانية وأربعين قسطا من السمير (أي صمير العنب) رحلا من الانستين ، ويطبخونه حتى يبن سه الثلث ؛ وقوم يلقون عليه من السمير سبعن ( يسحمه لكلرك ( - ١ ، ص ١٠٤ ) إلى سنة ) قسطا ومن الاقسنتين نصف رطل، علم المناس من يأتى على ذلك المقدار من الشمير منا من الانستين يفحه فيه ثلاثة أشهر الخ ه .

<sup>(&#</sup>x27;Y) فى اللمان (مادة أصفط): وقال شمر: سألت ابن الأعرابي عنها (من الاسفتط) ، فقال :
الاسفنط اسم من أسماتها ( أسماء الحمر ) لا أدرى ساهو » . فهذا يدل على أن بعض علماء اللغة لم يكونوا
على يقين من كنهها . وطفاة تمدت تعريفاتها وتفاوتت قربا من الحقيقة أو بعدا عنها . فني اللمان (مادة
أسفط ) والقاموس (مادة سفط ) أنها المطيب من مصير الدنب . وقيل (كا في اللمان ، مادة أسفط )
هي خور غلوطة . وقال أبو حيينة (كا في اللمان ، مادئي أسفط وأصفط ) إنها أعلى الحمر وصفوتها .
وقال صاحب جهرة أشمار العرب ( بولاق ، ١٣٦١ ه ، ص ٥٧ ) : والاسفنط من الحمر ما لم يعصر وتراك يسيل سيلاج . وقيل ، فضلا من ذلك ، الاسفنط : الرساطون ؛ ولكن انظر كلامنا عن الرساطون (رقم ٥٠ ) ، الهامث الثاني .

<sup>(</sup>٣) يقول لكارك (٦٠٠ م م ١٠٥٥) إن اللون الأغبر لأوراق الانستين لوحظ في أعماء أخرى المللت عليه هي شيبة ، وشيبة العجوز ، ونقن الشيخ . ويفسيف لكارك أن أهل الجزائر يسعونه شجرة مرم .

<sup>( ؛ )</sup> انظر حديثنا عن الأشة ( رقم ١١ ) .

<sup>(</sup>٥) هذا وصف ابن سينا (- ١ ، من ٢٤٤) للانستين : ٥ حشيئة تشبه ورق السعر ، وفيه مرارة وتبنس وحرافة . . وهو من أصناف الشبح ، وللك يسميه بعض الحكاء الشبح الروم . وحسارته أفوى من ورقع .

هذه المرارة في نبات الأفسنتين جعلت الخمر المطيئية به مُرَّة المذاق ؛ وقد وُصِفت بذلك في التلمود كما سيلي .

وكلمة أفسنتين من أصل يونانى هو «фіччно» (أيْسَنَشْيُون) (۱° ) وترجع إليه أيضاً afaentin (أفْسنَسْيِن) فى السريانية (علماً عَلَىالنَبات) و afsintin (أفْسيَسْيِن) فى التلمود (") (علماً على الحمر المطيَّة بذلك النبات)".

وكلمة إسفنط هي أيضاً من تلك الكلمة اليونانية ، ولكن بتقديم السين على الفاء ؛ انظر ساخاو (في طبعته لمرب الجواليق ، ص ٧٥ن تعليقاته ) ، وفرنكل (ص ١٦٧ ) (٣) ، وجاير (ص ٨٥) . فلا علاقة للإسفنط بمادة سفط المربية ، كما ظن صاحب القاموس إذ قال و مُحيّب (بللك) لأن الدِّنان تسفيط أي تشربت أكثرها أو من السفيط الطيب النفس (٤) » ؛ انظر كتاب و نشوه اللغة العربية وتموها واكيالها » للأب أنستاس مارى الكرمل (القاهرة ١٩٣٨) ؛ ص ٣٨.

وقد أدرك الأصمى الأصل اليوتاني للإسفنط ، فقد قال (كا في الصحاح ، مادة سقط ؛ واللسان ، المواد سفط ( نقلا عن الجلوهرى ) وأسفط وأصفط ؛ والتاج ، مادتى سفط وصفط ) إنها رومية . وقال بذلك بعده ابن السكبت (تهديب الألفاظ ، ص ٢١٥ ) وابن دريد ( الموضم المذكور ) (٥) .

888

وانظر في الأنسئين أيضا بذكرة داود (ح۱ ، ص ۶۷) ، والنزوين (حجالب إلى الخارقات ،
 جوتنجن ۱۸۲۸ ، ص ۳۷۷ أسفل) ، ودائرة المعارف الاسلامية (مادة أنسئين ).

<sup>(</sup> ١ ) نس دارد الأنطاكي في تذكرته ( ح ١ ، ص ٤٧ ) عل أن الأنسنتين يونانية .

<sup>(</sup> ۲ ) ق باب عبودا زارا ( مبادة الأسنام ) ۲۰ ، حيث يقال إن هناك ثلاثة أنواع من الحمد ، المر منها هو الأفعنتين ( وجه ۱۳۵۳ ۱۹۳۹ ) . انظر ايش (۲) ، ۱۰ ، من ۱۲۰ ب . (۳ ) يلاحظ فرنكل أن التاء في الكلمة اليونانية صارت تاء في الكلمة السريانية ولفظ التامود جريا مل القاملة ، ولكن قلبت التاء اليونانية طاء في العربية على غير قياس مشابهة الهاء في صدر الكلمة اليونانية . ولكن النظر جابر ، من ۱۱۸ .

 <sup>(</sup>٤) يضيف صاحب الناج هنا : a لأنهم يقولون ما أسفط نفسه عنك أي ما أطيبها ، وهذا قول ابن الأعراب ، فهو منه عرب ، والقول ما قاله الأصبمي (كاسيجي،) من أنه روس a .

<sup>(</sup> ه ) فليس محيحا ما يزعمه الحوهري ( مادة سقط ) من أن الاسقط فارسي معرب .

الإسفنط والأفسنتين من أصل يونانى واحد ، كما رأينا . ولكن اختلافهما في ترتيب الحروف يدل على أنهما عُربا في زمنين مختلفين . والواقع أن الأفسنتين لفظ علمي ذكره ، كما رأيتا ، ابن سينا ( المتوفى عام ٤٢٨ هـ ) ثم ابن البيطار والقزويني وداود الأنطاكي ؛ فهو أحدث زمناً من الإسفنط التي ترد في شعر الأعشى ( وهو جاهلي أدرك الاسلام ) ، ثم في أشعار النابغة الجعدي وأبي صخر الملنل وعمر بن أبي ربيعة والبعيث (وأربعتهم أمويون ) :

١ ــ الأعشى : الديوان ١ : ١٥ و ١٧ : ٩ و ٥٧ : ٢٣ :

(١) ١: ١٥: وكأن الخمر العتيق من الإسفنط ممزوجة عام زُلال (١)
 (١) ١: ١٠:

وإسفنط عانة بعد الرقادي ساق الرُّصافُ إليا غدير (٢٦)

: YT : #Y (+) .

يُمَلُّ منه فُو قُتُتَيِّلُةَ بال إسفنط قد بات عليه وظلُ

<sup>(</sup>١) فى الشرح المطبوع فى هامش الديوان (س ه ) : و أبو هيئة : وكأن الحسر المدام من الاستط غروجة بماء القلال وبماء زلال ، جيما عه . ورواها بالذال ع . قلت : العسواس و بالذال ع ، غلت : العسواس و بالذال ع ، غلت : العسواس و بالذال ع ، غلم المسلح ( مادة سفط ) ، والمدرس أي الاستلا ( مادة سفط ) ، و المدرس قبوالتي ( الموضع المذكور ) عوالسان ( مادة أسفط ) ، والتاج ( مادة سفط ) . و من سود في المختصص لابن سيده ( ح ١٧ ، برلاق ١٣٧١ ه ، ص ١٩) : و وأسمازها ( أضاه الحسر ) كلها موضوع على التائيث . . . فأما قول الاصنى ( البيت ، ولكن أخطأ الناشر إذ رضم \* عزوجة » ) نقد يكون من باب من كعيل . قال أبو حاتم : وأب الأصمى إلا التأنيث ، يكون من تذكير الحسر ، وقد يكون من باب من كعيل . قال أبو حاتم : وأب الأصمى إلا التأنيث ، فأشدته هذا البيت نقال : إنما هو ( وكأن الحسر المدامة ملإسفتط ) نصفف نون و من ه ف الادراج ، قال : وتلك لنة مشهورة عينقون النون من و من ه إذا تلبها لإم الممرفة » . فهاه رواية أعرى البيت رواها الأصمير .

<sup>(</sup> ٧ ) في شرح الديوان ( س ١٨ ) : و والرصاف حجارة عنواضمة قريبة بضها من بعض » . تلف : الصواب : و متر اصفة » لا « متواضمة » . و حانة ، كا في صحيم البلدان لياقوت ( ٣٠ ، ص ١٠٥٠ ) . س ١٩٥٥ ) ، « يلد مشهور بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة ، و جاء في الشعر حافات كأن حمح ما حوله ، و تسجت العرب اليه الحدر » . و أورد ياقوت البيت بعد ذلك محوفا . و البيت ملكور أيضا مع بعض التغيو في اللمان ( مادة أسفط ) و التلج ( مادة مفط ) .

٢ - النابغة الحمدى: تهذيب الألفاظ لابن السكيت (ص ٢١٨): وقال النابغة الحمدى بصف دناً :

عُلَّتْ به قَرْقَفٌ سلافة إسسفنظ عُقارٌ قليلة النَّدَم

٣ - أبو صخر الهذل : أشعار الهذليين ما بق منها ، ٢٥٨ : ١١ (ص ٩٠) : بإسفنظ كَرَمْ ناطف زَرَجُونة بعمَوْن "قُمْرُ١٧)

ع ــ عربن أبي ربيعة: الديوان ( ط شفارتز P. Schwarz ، ليزج ١٩٠٧ ــ

۱۹۰۹) ۸۸۱: ۹ و۲۲۷: ۹:

:,4: IM (1) 10

كَانَ السفنطة شيبَتْ بذى شبَبَم من صَوْبِ أَزرقَ هبَّتْ ريحُه شَمَلا<sup>(٢)</sup> (ب) ٣٢٧ : ١: وكان الشَّهَدُ والإسسَفْطُ والماء الفضيضا

هـــ البعيث: معجم ما استعجم للبكرى ، ح ٢ ، ص ٩٧ وأسفل :
 سلافة إسفنط بماء عماية تضمنها من صاحتين وقيع (٣)

وفى الإسفنط لغات :

١ - إسفنند (بكسر الفاء أو فتحها): ذكرها الحواليقي في المعرب ( الموضع الملكور) ، والقاموس (مادة سفد)<sup>(2)</sup> ، ومعيار اللغة ( باب الدال. ، فصل الهمزة ) .

<sup>(</sup>١) الزرئبونة واحدة الزرجون ، وهو شجر الشب ؛ انظر حديثنا عنه ، رتم ١٠ . والقمرة بالضم لون إلى المضرة أو بياض فيه كدرة (القاموس) .

<sup>(</sup> ٢ ) لاحظ ، إنفتلة ي ، كأنها واحدة الاسفنط .

<sup>(</sup>٣) البكرى (الموضع الملدكور) : وقال أبو زيد الكلابي : صاحة هفستان عظيمتان لهما زيادات وأطراف كتيرة ، ومى من عماية تل مغرب الشمس بينهما فرسخ ، وأنشد لبميث : (البيت) ، يمني الحضيتين » . وعماية جبل بالبحرين تسخم (البكرى ، ح٣ ، ص ١٦٨) . والوقيع من الأرض : الطبط الذي لا ينشف الماء ولا ينبت (اللسان) . وقد أخطأ جابر (ص ٨٢) ، ص ١ - ٣) فهم الشطر . المان من البيت .

 <sup>(</sup>٤) أشاف مساحب التاج هنا : « و رؤ مم أرباب الإثبيقاق أن الدال بدل من الطاء في الاسقنط ع ..
 ويقول فرنكل ( ص ١٦٣ ) إن الطاء قلبت مالا مشاجة النون .

٧ - إصفنط ( بكسر الفاء أو فتحها ) : ذكرها القاموس ( مادة صفط ) ، والسان ( مادة أصفط ، عن الأصمعي ) ، والمعار ( باب الطاء ، فصل الهمزة ) . وانظر عبارة الأزهرى فيا يلي ( ٣ ح ) » ومن الحلي أن السين ( في إسفنط ) قلبت صادا هنا مشابهة للطاء ( المطبقة ) في الآخر .

#### ٣ \_ لغات شاذة :

( ا ) إصفَعَنله ( بكسر فسكون ففتح فكسر فسكون ) : ذكرها اللسان ( مادة أصفَعد ) ، ومعيار اللغة ( باب الدال ، فصل الهمزة ) ، واستشهد لها اللمان بقول أبي المتبع الثعلبي :

لَهُ لِمَا مَبْسِمٌ شَخْتُ كَأَنْ رُصَابِهِ بُعَيْدٌ كراها إصفعندٌ معمَّقُ

(شخت : دقيق ) ،

(ب) إصفَعيد (بكسر الهمزة وفتح الفاء وكسر العين): ذكرها القاموس (مادة صفحد)، ومعيار اللغة (مع إصفعند السابقة). ونسبها التاج إلى الأزهري.

(ج) إصفد ( بكسر الهمزة (١) وفتح الفاء ) : ذكرها اللسان ( مادة صفد) (٢) ، واستشهد بقول الشاعر يصف روضة :

وبدا لكوكها سَميط مثل ما كُبِسَ العبيرُ على المكلب الإصفيدِ . " ثُم أتبع ذلك يقول الأزهرى تعليقا على البيت : « إنما أراد الإصفيط ، (٣) .

(السعيظ : الربح الطبية من خمر وتحوها أو من كل شيء بـ الملاب. - عيطر ) ر

<sup>(</sup>١) في ط بولاق من السان بفتح الهبزة ، ولكن النياس يقتضي كسرها .

<sup>(</sup>٢) وذكرها التلج أيضاً (مادة صقمه) . . ٠ : ٠

<sup>(</sup>٣) الاسقنط بالصاد ، وهي لنة في إستثلغ كما مون. ﴿ ﴿ إِنَّ

(د) إصفَنَدُ (بكسر الفاء أو فتحها): ذكرها التبريزى في شرحه على شهديب الألفاَظُ لابن السكيت (ص ٦٢٨)، حيث يقول: « الإسفنط والإصفنا. ٧) قالوا هي أعلى الخمروأصفاها».

# ٣١ - أسكُداد (معرب)

فى مفاتيح العلوم للخوارزمى (ص ٣٤): «الأسكلار<sup>(٢)</sup> لفظة فارسية ... وهو مُدُّرَج يكتب فيه عدد الخرائط<sup>(٣)</sup> والكتب الواردة والنافذة وأسامي<sup>٣</sup> أرباسا ، ، أى أنه سجل يدو ن فيه عدد الطرود والرسائل القادمة والصادرة وأسماء أصحابها(٤٤).

والأسكدار أيضا ، كما يقول الخوارزمي في موضع آخر ( ص ٧٨ ، آخر مطر ) ، « مدرج يكتب فيه جوامع الكتب المنفذة الختشم » ، أي سجل تكتب فيه خلاصة لكل رسالة معدة الختم مجاتم الدولة تمهيدا لإصدارها(٥٠).

 <sup>(</sup>١) فاء الاسفنط والاسفند مكسورة في طبقة بيروت من تبذيب الألفاظ ؛ ولكن لما كانت فاء الاسفنط يجوز فيها; الكسر والفنح ، جاز ذلك أيضا في فاء الاسفند .

<sup>(</sup>٢) الكالمة مضبوطة فى ط أيدن من مفاتيح العلوم بفتح الهمزة ، ولكن يشير الناشر ( فان فلوتن ) إلى أن الهمزة مضمومة فى بعض المخطوطات . آما فى المعاجم الفارسية فالأسكدار يفتح الهمزة أو كسرها أو ضمها ؟ النظر فوارز ( ١٠ > ص ٩٩ ب) وشتاينجاس ( ص ٩٩ أ) .

 <sup>(</sup>٣) جمع خريطة ، وهي (كا في السان) همة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم تشرج
 (أي تشد) على ما فيها ، وسه خرائط كتب السلطان وهماله ».

ومن مواضع ورود الكلمة مروج الذهب (ط بولاق ، ح ۱ ، ص ۲۷ = ط باديس ، ح ۱ ، م و ۳۱۱ م ، حيث يقول للمحودى : « وذلك أن ملوك السين لها في سائر الطرق من أعمالها بعال البرية مصرحة . . . للأشيار والحرائما » ، أي لحمل الرسائل والعلود . وانظر ترجمة شيرنجر A. Sprenger . . الشيودى ، ح ۱ ( لتدل ۱۸٤۱ ) ، ص ۳۳۱ وهامشها .

 <sup>(</sup>٤) وكان المدن لحله البيانات يسمى الموقع . وفي هذا يقول الخوار زس ( من ٢٤) : ٥ الموقع الذي يوقع عل الأسكدار إذا مر به بوقت وروده وصدوره » .

<sup>(</sup>زه) وردت كلمة الأسكدار أيضا أبر الأطفير (طهولانه) مده ، ص ١٦ – طدار الكتب ، - ه ، ص ٢٨٧)، حيث يقول أبر الفرج : و (أخبر ف) عمى قالى . . . . محمث علويه يقول لاسحق ابن ابراهيم الموصل إن ابراهيم بن المهامن يعيبك بتركلك تحريك البناء. فقال أنه اسخو: أو ليك في

هذا معنى الأسكدار في العربية . أما الأسكدار في الفارسية ، أي في لغته الأصلية ، فهو رسول البريد يغشر جواده في كل محطة على سكة البريد (١) و والركلمة مركبة من أسلك ( بفتح الهمزة أو كسرها ) وحصان البريد ، ودار وصاحب ، مالك ، أي و صاحب حصان البريد ، بتقديم المضاف إليه على المضاف ؛ آنظر فولرز ، ح 1 ، ص ٩٩ ب فلا سحة لما يزعمه الخوارزمي ( ص ١٤ ) من أن الأسكدارتفسيره أز حكو داري، أي و من أين تُسُسِك ؟ ، فهذا تفسير عاميّ ( أز و من ، لج كو وأين ؟ ، لحداري و أنت تُسُسِك ، ) ، فهذا تفسير عاميّ Volksetymologie تنظير فيه إلى معني الكلمة في العربية بعد أن تنظورت دلالها و Volksetymologie

وقد انتقلت الكلمة الفارسية أيضاً إلى الأرامية اليهودية والسريانية . ففي الترجوم الأرامية تصفيل المنظمة الأرامية التيون مكان الممنزة (ترد في الترجوم الأورشليمي ) ؟ انظر ليفي(١) ، حا ، ص ١١٧ أسفل ؟ و ح ٢ ، ص ٢٠١ بأسفل - ١٢٧ ؟ وليفي(٢) ، حا ، ص ١٥٠ (مع ملاحظة فلايشر ، ص ٢٠٠ ) . وانظر أيضاً جاسترو (ص ٢٤ او ١٠٦١) ووالمان (ص ٢١ ب ، ص ٢٠٠ ) . وانظر أيضاً جاسترو (ص ٢١ او ١٠٦١)

وفی السریانیة zgaddā ( ایز ُجنداً ) ( رسول ۽ ، ومنه sigaddtila ( ایز ُجنداً ) ( رسول ۽ ، ومنه sigaddtila ( ایز ُجنداً و ) ، و بعثه ؛ رسالة ۽ . انظز پین سمیث ( عمود ۱۰۶ ) ، ویز وکلمان ( ۹ ب اُسفل ــ ۱۰ اُعلی ) د

والمنى أن عمل ابراهيم بن المهدى ناقص حلت بعضه (صبرا) ، كناهس الأسكدار باللسبة إلى الرسائل.

<sup>(</sup>١) في أول شارع عملة مصر بالاسكندرية فنعل متواشيع العمه والوكائدة أسكدار و.

# ١٠ - إِشْكِيمْ (إِسْكِيمْ) (سوب)

يقول المقريزي في الخطط (ط بولاق ؛ ج ۲ ، ص ۴۰ ه أسفل) : «أبومقار الأكبر : هو مقاريوس ، أخذ الرهبنة عن أنطونيوس (١) ، وهو أول من ليس عندهم القلنسوة والإشكم ، وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط ٤ .. وفي لغة النصارى المحدثين : الإسكيم ثوب الراهب .

الكلمة معرب eskēmā (إسكيا) في السريانية وشكل ، ، وثوب ، (ومنه ثوب السريانية وشكل ، ، وثوب ، (ومنه ثوب الراهب) . وقد اشتقت منه السريانية بعض المشتقات الاسمية ، ووزنين منالفل المزيد: فَعَلَّ (akkem [ سكتم] وشكل ، وتود إسكيا كذلك في الأرامية الفلسطينية المسيحية بمعني ثوب (الراهب) .

وفي الحبشية askēmā (أسكيا) «شكل»، «ثوب» (ولا سيا ثوب الراهب).

் والأصل في هذا كله يوناني : Ծաղμα (سخيا) اشكل ، مظهر ،

# ١٤ - أشنة (معرب)

الله في التاج : ﴿ قَالِ اللَّبِينُ : هُو شَيْءَ يَلْتَفَ عَلَىٰ شَجِرُ الْبِلُوطُ وَالْصَنُوبِزُ.كَأَنَّهُ مَهْسُودٍ مِنْ عَرِّقُ ( أَيْ جَلَرُ ) ، وهُو عَظِيرِ أَبِيضُ (٢) . قَالَ الْأَزْهُرَى : مَا أَرَاهُ عربيا ﴾ .

قلت : هو معرب أُشْنَه في القارسية ، وهو طحلب الشجر Muscus على الشبعة على الأصطلاح العلى Usnea barbata ويسمى في الاصطلاح العلمية arboreus=tree-moss

<sup>(1)</sup> هو القديس أنطونيوس الأكبر ، أبو الرهبة ، ولد في مصر حوالي ٢٥١ م وتوفي بها. مام ٢٥٣ .

 <sup>(</sup>٢) أبن سينا (١٠٠ ، ص ٣٤٩) : وتشور دقيقة لطيفة تلت على شجرة البلوط والصنور والجوار ، يولها والصة طبية ;

<sup>(</sup>۲) Umea مأخودة من أشنة ، كما لاحظ لكارك (ح۲ ، ص ۴۵۷ ، رقم ۱۳۷۷)." وانظر لوكونش ء ترقم ۲۹۷ (ص ۲۹۷ پ).

وَقَىٰ اليُونَانَيَة Bpáov (۱) . انظر لوفي ، صُ ٣٨٥ . وانظر كذلك معجم أساء النبات (ص ١٧١ ، وقم ١٠ ؛ وص ١٨٦ ، رقم ١٣) ، والشهابي (ص ٢٦ و ٣٩١ و ٣٦٣ ) .

وقول الليث «كأنه مقشور من عرق» قد يكون إشارة إلى أن الأشنة نبات خيطى يشبه شعيرات الحلم يقول داود الأنطاكي (ج١، ص ٤٣ أعلى): «وهو أجزاء شعرية تتخلق بأصول الأشجار ، وأجودها ما على الصنوبر فالحوز وكان أيض نقيا ».

ويفصّل أبن البيطار (ج ١ ، ص ٣١) الحديث عن مراتب جودة الأشنة ، فيقول (نقلا عن ديسقوريدوس) : « الجيد منها ماكان على الشربين وكانت جباية ، وبعدها ما يوجد على الجوز ، وأجود من هذه ماكانت أطيب رائحة وكانت بيضاء ، وماكان منها لونه إلى السواد ما هو فانه أردؤه » .

وتعرف الأشنة أيضا بشيبة العجوز ، كما يقول داود الأنطاكي وابن البيطار (نفي الموضعين المذكورين ) ؛ وهو اسم يشير إلى شكلها الخيطي ولونها الأبيض . وتسمى الأشنة أيضا مسواك القرود ، لأنها لا تصبغ الأفواه إذا استبك بها ٤. (ابن الميطار ، ج ٤ ، ص ١٥٧ أسقل) ؛ ويلاحظ هنا أيضا أن إمكان الاستياك بها راجم إلى أنها خيطية .

وأشنه الفارسية هي أيضا أصل قييمه (شَكَنْتُ) في السِريانية . انظر لين سميث (عمود ٤٣٤٠) ، وبروكلمان (ص ٧٨٩ ب) .

### - 17

فى القاموس : • أصلت الأرض تأصتُ إذا لم يكن فيها بقل ولا كالأ » ﴿ وزاد الناج : وقال ابن دريد ليس بثيت » (٣٠ . ولم ترد المادة فى الصبحاح أو اللسان ٣٠ .

<sup>- ( 4 )</sup> ان تذكرة داردا (رحم ؛ ، س ۴؛ أعلى ) : و باليونانية بريون ، .

<sup>(</sup>٢) لم أجد لهلم المادة تذكرنا في الجمهرة .

<sup>(</sup>٣) ولكن نقلها معيار اللغة عن القاموس

قلت: تدل مادة ى ص ت(۱) في عبرية التوراة على الإشعال والإحراق (۱) ؛ وهي مادة واسعة الاستمال ، تر د في وزن المجرد بمعني «أشعل » ومعني «أحرق » ، وفي وزن أفسل بمعني «أشعل » (كما في العبرية المتأخرة ، انظر الهامش الثاني ) ، وفي وزن انفعل بمعني «أشعل » (مبنيا للمجهول) ومعني ه أحرق ، خرب ب خرب ب (مبنيين للمجهول) . وهذا المعني الأخير (أحرق ، خرب ) قريب من معني أصب العربية السابق اللكر ، وقد ورد في سفر إزميا ٢ : ١٥ (أحرقت مُدُنُهُ فلا ساكن) و ٩ : ٩ (١٠ (لأنها [الجبال والمراعي] احترقت فلا إنسان عابر ، ولا يُسمع صوت الماشية ) .

فالمادة ي ص ت الواسعة الاستجال في العيرية تؤيد أصت العربية على ندرتها.

### ٤٣ — أطر

في عبرية المتوراة (القضاة ٣: ١٥ و ١٦: ٢٠) التوراة (القضاة ٣: ١٥ و ١٦: ١٠) المتورك المتورك الميد اليمني ١٤٠ أى و أعسر ٤ ( لا يعمل إلا بالشال) (١٤٠ و أعسر ٤ ( لا يعمل إلا بالشال) (١٤٠ و في العبرية المتأخرة ( إطِحّر ) (٥٠ و مشلول ٤ ، وقد يضاف إلى البدر مشلول

<sup>(</sup>١) وهي بالطبع قريبة من أست اشتقاقا .

 <sup>(</sup> ۲ ) رد رزن آنيل والمبنى المجهول منه من هذه المادة في العبرية المتأخرة بمنى و أشمل و (ميليا
 المملوم وميليا المجهول) .

<sup>(</sup>٣) ٩ : ١٠ في الترجة العربية المتداولة ألتوراة .

<sup>(</sup> ٤ ) هذا هوالتضير الدائد ، وهو مين على من كلمة (إطراق العبرية المتأخرة ( كما سيل ) ؟ انظر بده ADas Buch der Richter ، وهو مبني المعاشرة ( كما سيل ) ؟ انظرت بده كالمورج النح ١٨٩٧ ، س ١٨٩٩ . ويقترح جزئيوس – يول Bubl - Gossenius ( الطبقة ١٧١ ) أن يكون المنى هنا كمني قولنا في العربية أصد يد أي يعمل بيديه ؟ ولكن هذا التجسير لا تحتمله الكلمة العبرية ، ولا سيا أن العبرية تدك على منى الأعمر اليسر بعبارة أخرى هي maximis umasmit (ميين وحسيل) ، أي الذي يمكنه استهال يده اليمني ويده اليسري مما (مغر أغيار الخيام الأول ١٢ : ٢ ) . (وق العربية أيضًا الأضبط الذي يعمل يده وهي ضبطاء) .

<sup>(</sup>ه) (إطر) على وزن المثلثي (يكسر الغاء وتشديد الدين المكسورة) ، وأسله quitti (يفتح فكسر) ، ثم شددت الدين (الدلالة على قود السفة) وكسرت الغام ستايمة لكسرة الدين ولا تجد مثل التعلور إلا في العبرية انظر بارت Die Nominalbildung in den aem Spr. : J. Barth ، العلمة الثانية (ليزيج 1842) ، ص ٢٥٠٠ .

اليد ) أو إلى الرجلين (مشلول الرجلين) ﴿ انظر لَبْقُ (٢) ، حا ، ص ٢٠ ب ﴿

ومعنى الشلل الذي تدل عليه المادة في العبرية مرتبط بمعنى الشي والإحاطة الذي تدل عليه المادة في العربية<sup>(1)</sup>؛ في الشلل اعوجاج وتقييد

#### ٤٤ -- أَوْنَ

يقول ابن فارس ( ح 1 ، ص 1 1 – 10 ) : « وأما الهمزة والفاء في المشاعف فعنيان : أحدهما تكرُّه الشيء ، والآخر الوقت الحاضر ، قال ابن دريد : أفَّ يؤُفُّ أَمَا ، إذَا تأفَّف من كرب أو ضبح ، ورجل أفَّاف كثير التأفف ، قال يَّ الفرَّاء : أفَّ خفضا بغير نون وأفَّ خفضا مع النون ، . . والمعني الآخر قولم بَّ جاء على تثبَّة ذاك وأففه وأ فَّانه ، أي حيته ، قال : على إف هجران وساعة خلوة » .

قلت : الأصل في أف يؤف أفا ومثنقاته هو اسم الصوت أف (١٦) صيغ منه فعل كا صيغ من آح (١٦) قص صيغ من آح (حكاية صوت الساعل)(١٦) الفعل أخ بمني سعل ، وكا صيغ من آه وأمثالها التي تقال عند الشكاية أو المتوجع (١٤) الفعل المضعف أه والفعل الأجوف آه بمعنى توجع ، وكا صيغ من أها (حكاية صوت الضاحك)(٥٠) الفعل أهي (كرى) بمعنى قهقه في ضحكه .

<sup>(</sup>١) يقرل ابن فارس ( ١٠ ، س ٢١٣) : « الهنرة والطاه والراء أصل واحد ، وهو معلف الشيء هل الشيء أو إحاضت به . قال أهل اللغة : كل شيء أحاط بشيء فهو إطار ...ويقال أطرت الدود إلا عطائت ، فهو مأطور . ومت حديث النبي صل الله عليه وآله وسلم : ٥ حتى تأخذوا على يدى الطالم وتأطروه على الحق أطراع ، أي تصافوه . ويقال أطرت القرس إذا حطفها. . . .

 <sup>(</sup>٢) نظيره في الإنجليزية phow الدلالة على الفسجر أو الاشتراز = pub في الألمانية .

 <sup>(</sup>٣) آما آح ( «نفضا مع النون) أو آح ( بغضع الحاد) فيقال لمن يكره المئي، ( القاموس) .
 رفظيره بلكة (آخ) في مبرية التوراة ( منوقيال ٢ : ١١) برالعبرية المتباعرة ، و الهي (أخ) في السريلة : اسم صوت للأسف والتوجع .

<sup>( ؛ )</sup> نظيرُ ها في الحبشية ab ( أه ) وفي صرية التوراة hāh ( أماه ) وفي السريانية Öb ( أوه ).

<sup>( · )</sup> ق البنزيانية العلم ( أما ) أناس مبرت أنسترية .

أما. المغنى الآجر ، وهو الحين والأوان ، فهو مرتبط بمعنى الإحاطة والاكتناف المذى تدل عليه المادة في عبرية التوراة ؛ فالزمان يحيط بنا ويكتنفنا من كل جانب ..

يرد الفعل 'afaf ( أَفَتَف ) في عبرية البتوراة في المواضع الآتية :

(١) صمويل الثانى ٢٢ : ٥ ( = المزمور ١٨ : ٥ ): ١ اكتنفتني أمواج الموت عدد ي .

(٧) المزمور ٤٠ : ١٣ : ولأن شرورا لا تحصى قد أحاطت بي بربري .
 (٣) المزمور ١١٦ : ٣ : واكتنفتني حبال الموت بربري .

(٤) يونس ٢ : ٢ : ١ كتنفتني المياه حتى النفس و . ٢ : ١

وفى البابلية القديمة (نصوص مدينة مارى) برد نادرا apāpu (أيابٍ) بمنى اكتنف أيضا ، ولكن يظن فون سودن (ص ٥٧) أنه قد يكون دخيلا من الكنمانية .

# ٠٥٤ - أقنوم ( معرب )

يقول الخوارزي (ص ٣٣): ﴿ الْأَقِومِ الصَّفَةُ عَلَمُمْ (عَلَدُ النَّصَارِي) ؛ ويزَّعُونَ أَنَّ الأَّبُ والابن وروح القدس ثلاثة أقانمٍ للله ، تبارك وتعالى عما يصفون » .

وفي الصخاح (مادة قم) : (والأقانيم الأصول واحدها أقنوم ، وأحسيًا روميّة (١)

أصاب الحوهرى ، فالأصل يوناني : ٧٧٥١٧ (جُنُومِي) ( العقل ، الفكر ، ، ومنه بالمعنى نفسه ɡmōmē (جُنُومِي) في السريانية .

<sup>(</sup>١) منه قول الفيروز ابادى : هر والأقنوم بالفهم الأصل ، ج أقائيم ، رومية » . . ،

## ٤٤ -- ألت (ولت، ليت)

فى القاموس (مادة ألت): ﴿ أَلَتُهُ حَمَّـَهُ يَأْ لَتُهُ نَقْصُهُ } وَاللَّهُ إِيلانًا ﴾ (١) و (مادة ولت) ﴿ الوَّ لت النقصان ، ولته حقه يلته وأُولَته نقصه ﴾ و (مادة لميت ) وماألاته شيئا ما نقصه ﴾ (١)

ما أقرب هذه الدلالة المعنوية (نقصان الحق) لل الدلالة الحسية (الابتلاغ) التي تجدها في الأكدية لمادة عققه (ألاتُ )ومقلوبها الاتخاه (لآتُ ). قال تعالى: «إن الذين يأكلون أموال اليتاى ظلم سموسة (النساء ١٠)، «... وأكدمهم أموال النام بالباطل عدد، و(رقم ٨٤) .

# ٧٤ - ألخ (ولخ)

في القاموس : ايتلخ اللبن حَمُــُـْض (مادة أَلَخ )، والوليخة اللبن الحاثر (مادة ولغ ).

فألخ ووليخ تدلان هنا على معنى الفساد (فساد اللين ) ﴿

وتدل مادة الح (أى ألخ) في عبرية التوراة على معنى الفساد أيضًا ، ولكن المقصود هنا الفساد الحلقي ، وذلك في المواضع الآتية :

المزمور ١٤ : ٣ : الجنميع التعدوا معا ، فسدوا ، ليس (هناك) من يعمل بصالحا ، لا ولا والحد :

المزمور ٥٣ : ٤ : كلهم ارتدّوا معا، فسدوا ، الحّ (كمّا في الآية السابقة ) . أيوب ١٥ : ١٦ : فبالا حُـرَى المرء الذي يعبّ الظلم كالماء ، هو ممقوت فاسد .

<sup>. (</sup>١) مثل أكزمة إكراما .

#### ٤٨ – ألس (ولس)

في القاموس (مادة ألس): «الألس ...الخيانة والغش والكذب والسرقة ...
وهو لايدالس ولا يؤالس لا يخادع ولا يحون » و (مادة ولس) : «الوكس الخيانة
والخديمة ، وككتان الذب (١٠) ، وولس الحديث وأولس به ووالس به عرّض به
ولم يصرح ، والموالسة الخداع والمداهنة ، وتوالسوا تناصروا في خب وخديمة » .
ما أقرب هذه الدلالة المعنوية (الخيانة والغش ) إلى الدلالة الحسية (العض والمضغ (٢٠) التي نجدها لمادة ألس في الأرامية اليودية (٢٠) :

(١) alas (١٨٠٥) دعَضَّ (بابا قسًا ١٨٤ : ثور عضِّ يد غلام) .

( ب) alles'(۱۲۰ على وزن فعاّل ) « مَـَضَـنَعُ ّ ا<sup>(1)</sup> ( ِجطِّين ۱۷۰ : مضغه وبلمه ) .

بل إن هذا المعنى الحسى الذى نجده في التلمود قد بقى منه أثر فى العربية ، حيث يقال : وما ذقت عنده ألتُوسا ، أىشيئا من الطعام ، وكذا مألوسا » (التاج ، مستدركا على القاموس ) .

# ٤٩ - جَوادِشُ (أو جَوادِشْنُ) (مرب)

في النهاية لابن الأثير (- 1 ، ص ١٩٠ ): «أهدى رجل من العواق إلى ابن عمر رضى الله عنه جوارش (٥٠٠: هو نوع من الأدوية المركبة يقوسى المعدة ويهضم الطعام ، وليست اللفظة عربية » .

<sup>(</sup>١) لأنه عادع .

<sup>(</sup>٢) انظر حديثنا عن ألت (رقم ٢٤).

<sup>(</sup>٣) انظر ليثي (٢) ، ح ١ ، ص ١٨٩ ؛ ودالمان ، ص ٢٠ ب.

 <sup>(</sup>٤) لاحظ أن رزن قبل ( بتشديد العين ) يدل على منى المشنم ، وهو أشد من العيش اللهم يدله
 حليه المجرد .

<sup>(</sup>ه) فيد مصروف ، وكان يحيد صرفه ، لأنه ليس صينة منهي الجسوع ، وإنما هو مفره يمسع هل جوارثبات ، وإن كان هذا الجسم قابل الهورود ستيده في كلام اللهربي ( حسب إسدى النسخ ) ، كما يشير إليه دوري (١٠٠ ، س ١٨٩ ب) .

ونقل اللسان هذا الكلام في مادة جرشن ، مع وضع جوارشن<sup>۱۲۲</sup> (بنون في الآخر ) مكان جوارش (بدون نون ) .

وفى الصحاح (مادة هضم): «والهاضوم اللدى يقال له الجوارش لأنه يهضم الطعام ». وتوسع اللسان (مادة هضم) فقال: «والهضام والهضوم والهاضوم كل دواء هضم طعاما كالجوارشن ». فهناأيضا اختار اللسان الجوارشن ، وتابعه في ذلك صاحب التاج (مادة هضم).

ويروى ابن الفقيه في و عنصر كتاب البلدان ، (ليدن ١٨٨٥ ، الجزء الخامس من و المكتبة الجغرافية العربية » ، ص ١٣٨ ) فوائد أخرى تنسب إلى الجوارش ، وذلك حيث يقول : و فلنحل (ملك الروم) و دخلنا (عمارة ابن حزم ) معه ، فاذا مقدار ففيز من أرض فيه كبّر " ، فقال أنسرف هذا ، قلت لا ... ، فقال هذا نبت ، وهو جوارشن ، ويتفع من أصابه الخرق ويلخل في أدوية الجراحات ، فقلى فنه يعلم هذا أن عندنا لا يكون إلا في أخرب المواضع والمفاوز وأنه مباح لمن أراده » .

والجوارشنات التي نجدها في كلام القسطلاني عن السكرجة ( رقم 46) هي بالطبع جمع الجوارشن هذه . وقد اجتمع المفرد والجمع في كلام العليرى عن سبب وفاة الخليفة المنصور ، وذلك حيث يقول (القسم الثالث ، ص ١٣٨٧) : ه واختلف في سبب الوجع الذي كانت منه وفاته ، قذكر عن على بن محمد بن سليان النوفل عن أبيه أنه كان يقول : كان المنصور لا يستمرى على بن محمد بن سليان النوفل عن أبيه أنه كان يقول : كان المنصور لا يستمرى طعامه ، ويشكو خلك إلى المتطبين ، ويسألم أن يتحفوا له الجوارشنات (وفي نسخة : الجوارشات ) ، فكانوا يكرهون ذلك ، ويأمرونه أن يقل من الطعام ، ويخبرونه أن الجوارشتات تهضم في الحال وتحدث من العلة ما هو أشد منه عليه ، عمل عليه طيع طيع طيع طيع طيع ما يتحذل له عدد عايد من العلم من العادة ، فكان يتخذ له سفوظ جوارشنا يابسا فيه الأفاويه والأدوية الحارة ، فكان يأخذه فيهضم طفامه

 <sup>(</sup>١) كان يجب صرفه أيضا الأنه مفرد خده جوارشنات كا سيل . وقد ورد مصروفا على الصواب في قص قطيرى تورده قيا يعد (جوارشنا عابسا) .

فأجمله ، قال : فقال لى أبى : قال لى كثير من متطبى العراق : لا يموت والله أبو جعفو أبدا إلا بالبطن ، قال : قد يأخذ الجوارشن فيضم طعامه ويخلق من زئبر معدته في كل يوم شيئا وضح مصاربته فيموت سطته .

وجوارش معرب گوارش ( بضم أوله وكسر الراه ) الفارسية التي تدل على المعنى نفسه . وتورد المعاجم الفارسية أيضا گوارشت وگوارشن ( بضم أولهما وتسكين الشين ) ، والصيغة الثانية هي أصل جوارشن في العربية . انظر فولرز ( ح ۲ ، ص ۱۰٤٠) وشتاينجاس ( ص ۱۱۰ ب ) .

وفى السريانية ، عن الفارسية أيضا ، g^wāreānā ( جوارشنا ) ، بالمغنى نفسه . انظر بين سميث (العمود ٦٩٣) ، وبروكلمان (ص ١١٠ ب) . ويترجم بربهلول (العمود ٤٧٥ ، س ٢٥) الكلمة السريانية بجوارشنات العربية .

# ٥٠ - رَساطُونُ (أُو رَشاطُونُ ) ( معرب)

. في المعرب للجواليق (ط ليبزج ، ص ٧٠ آخر سطر – ٧١ ، ص ٢٠٠ حط القاهرة ، ص ١٥٧) : وقال الليث : الرساطون شراب يتخله أهل الشأم من الحمر والعسل .قال الأزهري (٢٠٠ : الرساطون بلسان الروم وليس بعربي » .

قلتُ : أصاب الأزهرى ، فالرساطون معرب ἀσατον (رهُوساتُون) من البونانية ( rosatum في اللاتينية ) د الحمر المصنوعة من الورد ، (۲٪ .

<sup>&#</sup>x27; ( ۱ ) أورد اللسان (مادة رسل ) عبارة الآزهرى مقصلة : والآزهرى : أهملها ابن المنظر ، قال : وأهل الشأم يسمون الحمر الرساطون وسائر العرب لا يعرفونه ، قال : وأواها رومية دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشأم ، ومنهم من يقلب السين شينا فيقولو رشاطون ۽ .

وانظر أيضا القاموس والتاج ( مادة رسل ) ، وشفاء النطيل ( س ١٠٧ ) . ( ٣ ) . ( ٣ ) في السكيت يقول ( ٣ ) فهي ليست الإسفنط ( وقم ٣٨ ) كا زعم ابن السكيت وأبو عيدة . فابن السكيت يقول ( تُبغين الألفاظ ، صن ٢٠٥٠) إذ و ويسمى أهل الشام الإسفنط الرساطون و . وق ديزان الأهمى ، الشرح المثبت بالهاس ، ص ٢٠٥ ، وأبو عيدة . . . والإسفنط الرساطون وهو شراب يفان بالشام ٢٠ .

انظر ساخاو (في طبعته للمعرب ، ض ١٣ من النص العربي ، الهامش الثالث ؛ وص ٣٤ من الملاحظات الألمانية ) ، وفرنكل ( ص ١٦٣ ) (١)

قال الوليد بن يزيد يهجو يزيد بن هشام ويعيره بشرب أمه (أم حكم) الشراب (الأغانى ، ط بولاق، حـ10 ، ص ٥١ ــط دار الكتب، حـ١٦ ، ص ٧٧٩) :

توردكتب اللغة المعانى التالية للزرجون <sup>(77)</sup> :

(١) الخمر ، عن الجوهري (مادة زرجن) ؛ ولكن يقول تثمر (كما في اللسان ، مادة زرجن) إن الزرجون ليس معروفا في أسماء الحمر .

(٢) الكرم ، أى العنب ، وقد أورد ابن دريد في الجنبهرة (ج٣، ص
 ٤١٧ ، العمود الثاني) هذا المعنى والمعنى الرابع فقط ..

<sup>(</sup>۱) ترد الكانة اليونانية أيضا جزءا ثانياً في öbpo-pócartov (هدو-روساطون) هماه الورد ، الملابسية ، ومنه في السريانية (بإسقاط برورة الأولى أو الثانية) hdrwstwn ( (هدو ساطون) أو drwswtwn (هدو سوطون) أو drwswtwn (أدورسوطون)؟ انظر بين سميث ، السودين ٣٧ و ٩٧٨ .

ولعل هذه الكلمة اليونانية المركبة هي أيضا الأصل في الكلمة الأرامية اليهودية ١٣٣٢٥٥٥٥ (الخليود الأورشيدي ١٩٣٢٥٥٥ (الخليود الأورشيدي ، باب شيميت ٧:٧٣ ب) الى يستحميها ليؤر (٢) ( - ١٠٥٠ ٧٤ بأسفل) إلى المحتلال المحتلال المحتلال المحتلال المحتلف المحتلف المحتلال المحتلف المح

ا : والغار لوف ، - ص ۱۳۲ . . . .

<sup>(</sup>٢] انفرد المطرزي في المغرب ( - ١ ، ص ٢٣٠ أسفل ) بجمع الزرجون على زراجين تال : و وهو شجر العلب ، وقبل تضيانه و ( أي المعيان الثالث والرابع فيها يل ) . وافغرد محمد الفاسي ، شيخ صاحب التاج ( مادة زرجين ) ،، يذكر الزرجون يضم فسكون لغة في الزرجون بالتحريك بممى الحمر ( المني الأول فيها يل ) .

 (٣) أشجار العنب، عن النَّضر بن تشميل (كما في المعرب للجواليق، ط ليبرج، ص ٧٤ هـ ط القاهرة ، ص ١٦٥ ) ، كل شجرة زَرَ تُجونة .

(٤) أغصان الكرم ، بلغة أهل الطائف وأهل الغور، عن الليث (كما في المعرب للجواليق) . وقال أبو حنيفة الزرجون القضيب يغرس من قضبان الكرم (اللسان) .

(٥) صبغ أحمر ، عن الحَرَّى (كما في الصحاح) .

\*\*\*

وفيها يلي ما وجدته من شواهد :

(١) قال أبو دَهبُل الجمحي :

وقباب قد أشرجت وبيوت أنطقت بالريحان وازرجون (١١)

(أشرجت : 'شدَّ شَرَجها أَى ُعراها ) :

(٢) قال دُكيْنُ بن رجاء أو منظور بن حبَّة (كما في اللسان) :

كأنًّ بالبرنأ المعلول ِ ماءً دوا لي زرجون ميل ِ٣٠

(البرنأ [ يفتح الياء أو ضمها ، فراء مفتوحة ، فنون مشددة مفتوحة ] : الحناء . المعلول : المضاعف : الدوالى : عنب أسود غير حالك : ميل : جمع ماثلة ، صقة للدوالى ) .

(٣) قال أبو صخر الهذلي :

بإسفنط كرم ناطف زرجونة بعكب سرى جادت به مُزَنَّ مُصَرُّ (٣)

<sup>(</sup>١) مكذا في المعرب الجواليق ، ولكن في الأغان (ط يولان ، حـ ٢ ، ص ١٦١ عحد دار الكتب ، حـ ٧ ، ص(١٢٨) وأسرجت ، كان و أشرجت ، و و نظمت ، مكان و نطقت ، ( أسرج السراج : أوقدم) .

<sup>(</sup>٢) ورد البيت في الجمهرة (اللوضع المذكور) غير متسويه .

<sup>(</sup>٣) أوردنا هذا البيت من قبل في حديثنا من إسفنط (رقم ٣٨).

(٤) وقال أبو صخر أيضا :

بماذية جادتٌ لها زرجونة " معتقة صبياءَ صاف ُ مُما ُمها (١) (الماذية من أساء الخمر ) :

(٥) قال الأخطل (الديوان ، ص ٣٧٤) :

من تَوْفَقَفِ الزَّرْجُونُ ثُفَّ ختامها فالدنُّ بين حتابج و قلال (القرقف من أساء الخمر . حنابج جمع حنبج بضم فسكون فضم : الضخم الممتلىء ، وقلال جمع قليل ، أى أن الدنان منها الكبير ومنها الصغير ) .

(٦) قال أبو نواس (كما في التاج ، مادة زرجن) :

اسقنی یا ابن آُذَیْن من شراب الزرجون (۲۳

(٧) قال الشاعر (عن الجواليقي واللسان) :

ُبدُّلُوا من مثابت الشبيع والإذْ خِرِ تيناً ويانع**اً ۞ ز**رجونا . . . .

( ٨ ) أنشد أبو حنيفة (كما في اللسان ) :

إليك أمير المومنين بعثتُها من الرمل تنوي منبتَ ازرجو ن (اللسان : و يعنى بمنبت الزرجون الشأم لأنها أكثر البلاد عنبا ، كل ذلك عن أنى حنيفة » ) ›

هذه الشواهد كلها تنصرف إلى معنى العنب أو أشجاره (أى المعنيين الثلنى والثالث) ، وإن كان بيت أنى نواس يمكن أن ينصرف أيضا إلى معنى الخمر (المعنى الأول) .

<sup>(</sup>١) أشمار الهذابين ما بن منها ، القصيدة ١٩٥٥ ، البيت ١٢ ، ص ٩١ . وقه هم الناشر ومنتقة صهباء بر على أنهما صفعان الررجونة، ولكنهما في الواقع! صفعان لماذية ، أن بحاذية منتقة صهباء صاف مذامها جادت لها زرجونة (أي شجرة طب) بالرحيق .

<sup>(</sup> ۲ ) فى ديوان أبى تواس ( ط القاهر ١٩٩٨ ) ، صر ٣٣٩ : هسلان بم مكان و شرام به ع ( ٣ ) ، و يانما به سلل مقدم على صاحبه ( نروجونها ) : كما لاحظ ساخلو ( فى عليته لمعرب الجواليين ، ص ٣٦ من تعليقاته ) .

على أنه اشتُن من الزرجون بمعنى الحمر و الْمُزَرَّج ، بمعنى المحمور في آقول الراجز (عن القاموس ، مادة زرج) :

تعرف الدار لأم الخزرج منها فَظَلَنْتَ اليوم كالمزرج <sup>(١)</sup>

\*\*\*

الزرجون (في المعاني السابقة ) فارسية معربة (٢٠٠ كا قال الأصمعي (الصحاح) والسيرافي (اللسان) والجواليقي وشمر (اللسان). والأصل زَرْ گُون ، أي لون اللهب (٢٠٠ ، كا نص الجواليقي (٤٠٤ )، والحفاجي (شفاء الغليل ، ص ١١٢) ، وصاحب التاج (مادة زرج ، نقلا عن الخفاجي). وفصل السيرافي فقال : وشبه لونها (أي لون الحمر) بلون الذهب ، لأن زر بالفارسية الذهب وجون (يقصد گون) اللون ، وهم مما يعكسون المضاف والمضاف إليه عن وضع العرب ،

ومعنى الكلمة فى الفارسية ( « ذهبى اللون » ) يفسر فى يسر معانى العنب والخمر والصبغ الأحمر . ومن معنى العنب جاء بالطبع معنى أشجار العنب ، ومعنى أغصانه .

وقد انتقلت الكلمة الفارسية إلى الأرامية اليهودية والعبرية المتأخرة أيضا ، فوجدنا في الأولى zargūn (زرْجون) وفي الثانية zargūn (زرْجونا) ، وهما بمعنى وغصن العنب ، انظر ليشي(٢) ، ج ١ ، ص ١٥٥ ا (٢)

<sup>(1)</sup> كان القياس أن يقال و المزرجن ع ، إن حروف الكلبة المربة إتمد أصولا كلها ، ولكن الراجز قوم زيادة النون فعالمها معاملة الزائد فعطفها ، ولا يكون ذلك دليلا على زيادتها ؛ انظر التاج (آخر مادة زرج) والمسان.

<sup>(</sup> ۲ ) لا سامية مشتركة كما ظن جويدى ؛ انظر فرنكل ، ص ۱۷۳

<sup>(</sup>٣) هذا هو المعنى الحرفي ، ولكنها في واقعًا الاستعال صفة معناها ﴿ ذَهْبِي اللَّونَ ﴾ . .

 <sup>(</sup>١٤) الكلمة مقبوطة نتبطا صميحا في ط ليزج ، ولكنها ضبطت خطأ في ط القاهرة بفتح الولم
 مع تشديدها.

<sup>. ( • )</sup> ١٦٢٩٤٦ أي زرجونة (بيناء التأنيث ) .

<sup>. . (</sup>٦٠) انظر ملاحظة فلايشر على ٱلكِلمَانة في معجم ليق ، ص ٢٥٥ . ولكن انظر جاسّرو ، ص ٢١٦ الله المالة إلى النظل . [11] المالة إلى الرابعة ) ؛ ودلمان ، ص ١٣٢ ب ، ص ٢ – ٤ من أسفل .

والظاهر أن الكلمة الفارسية دخلت السريانية آيضا ؛ انظر بروكلمان ، من ٢٠٩ ، مادة zargōxā (نرجوزا) التي يوى أنها محرقة من zargōxā ﴿ زرجونا ) ، والمعنى هذا «لون بين السواد والحمرة » .

#### 200

والمزرجون أخيرا المطر الصافى المستقم فى الصخرة (القاءوس) ، أو الماء الصافى يستقم فى الحبل (السان) . ويقوله صاحب السان ، وكذلك صلحب الله راهدة زرجن) ، إن الزرجون فى هذا المعنى عربى صحيح ، فهو غير الزرجون السالمف الذكر .

ولكن تشبيه الماء المستنقع الصافى بالخمر تشبيه قريب ؛ فلعل الزرجون بمعى الله المستنقع الصافى فرع من الزرجون بمعنى الخمر ، وبهذا تكون الكلمة فارسية معربة في كلنا الحالمين (\*\*) .

ويؤيد هذا أن معنى الماء المستنقع الصافى لا أصل له في مادة زرج العربية . مِل إن مادة زرج نفسها ليست وطيلة الموضع في العربية ؛ فالجلوهرى وابن قارس جملائها ؛ وهي تدور في الواقع على معنين :

(١) وزَرَجه بالرمح يزرُجه زرجا إذا زجَّه به ، وليس باللغة العالية إ .
 (الجمهرة ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، العمود الأول ، س ١١ – ١٢) .

(٢) الزَّرَّج جلبة الخيل وأصواتها (٣)، قال الأزهرى : ولا أعرفه . (اللسان).

ظائزرج في المعنى الأول لفة (غير عالمية) في الزج أى الطعن بالزُّج (وهو الحديدة في أسفل الرمع). أما المعنى الثانى الزرج فالأزهرى لا يعرفه، وهذا بما يضعفه.

<sup>. ( 1 )</sup> نطق فی هذا الرأی مع الأب أنستاس الكرسل فی مقاله و سمانی الجریال والزرجون و أصلهما e : بمسها المفرق ، الحيلة الثامين ( د ١٩٩٠ ) ، حمل ٢٠٥٠

 <sup>(</sup>٢) ينسب الديروز ابادي هذا المني في الزوج إلى بعض اللغات. وقد تابع في ذلك صاحب معيار
 المئنة .

فَالْمُلَاصَةَ أَنَّ الزَّرْجَوْنَ فَى مَعَالَيْهِ جَيْعًا قَارَمَى مَعْرَبُ ، وأَنْ مَاذَةَ زَرْجَ لَهُسَتَ ثَابَتَة فَى العَرِبَيَّة حَتَى يَنْسَبَ إِلَيْهِا الزَّرْجُونَ بَعْنَى المَّاءَ المُستَنَّعَ الصَافَى ، وهو مَعْنَى لا أُصَلِ له فَى مَادَةَ زَرْجَ عَلَى أَيَّةً حَالَ .

## ٥٧ - سَطُمَ

يقول ابن فارس (ح ٣ ، ص ٧١): « (سطم) السين والطاء والميم أصل صحيح بدل على أصل شيء ومجتمعه . يقولون الأسطم مجتمع البحر . ويقال هذه أسطمة الحسب، وهي واسطته ؛ والناس في أسطمة الأمر . ويقال إن الأسطم (الصواب : لإسطام) والسطام : نصل السيف ؛ وفي الحديث : « سطام الناس » أي حدهم » .

قلت : لم يوفق ابن فارس في تأصيل هذه المادة ؛ فالألفاظ التي استدل بها على المعنى الأصلى الذي ذكره ألفاظ معربة ، وقد بحثناها تفصيلا في موضعين آخرين (الرقمين ٣٤ و ٣٧) .

ونحن نرى أن الأصل في سَطَمَ الدلالةعلى الإغلاق. فني النسان ، عن ابن الأعربي ، سطمت لباب وسلمته إذا رددته ، فهو مسطوم ومسلوم ؛ ويقال لسناد القنينة السطام ؛ ويقال الدرّوَنْد (١) ( رتاج الباب ) السطام .

ولسطم نظائر في لغات سامية أخرى تشترك معها في معنى الإغلاق :

فني عبرية لتورة matam (ستتُم) وطمَّ » (عيون الماء ، كما في سفر الملوك لثنى ٣ ، ١٩ و ٢٩ ) الكلمات : الملوك لثنى ٣ ، ١٩ و ٢٥ ) ، وكثم » (الحلم : دنيال ٨ ، ٢٦ ؛ الكلمات : دنيال ١٩ : ٤ و ٩ ) . ويصاغ منه وزن انفعل وسُدَّ » (شقوق الجدار : نحميا ٤ : ١ ) ، ووزن فعل وطم » ( لآبر ، سفر التكوين ٢٦ : ١٥ و ١٨ ) .

<sup>(</sup>۱) مكذا ضبلت الكلمة في طبقة بولاق من اللسان . ولكن الراء ساكنة في الأصل الفارسي للكلمة ، وهو ددوله = دربته ( من در و باب ۽ + بته و رباط ، تبيه ۽ ، بتقديم المضاف إليه ) ؛ انظر شتاينجاس (ص ۱۵ ه ب) وفولرز ( الحجلة الأول ، ص ۸۷۳ ب و ۱۸۲۸) . وانظر دوزي ، ج ۱ ، من ۳۵ ب و ۲۵ ب أسفل .

والسد (والإغلاق) والكنان هي أيضا الأصل في aatam (سَتَم) في العسرية المتأخرة وهو actam) والعسرية المتأخرة وهاسعة واسعة التصرف والاستمال في هاتين اللغنين ، ولا سما في العبرية المتأخرة .

وفي الأرامية اليهودية أيضا ، ولكن قليلا ، aºṭam (سطم) (بالطاء). وختم ، أغلق بالخاتم » ، ومنه aiṭtumeta (سطورمتا) وخاتم » .

وفي السريانية sotam (سطم) اسداً ؛ قيدًا؛ ومنه sutma (سُطلما) ( قَيْد ، عُل ، إسار » .

وفى الحبشية نجد مادة سطم(بالطاء أيضا) واسعة الاستمال ؛ وهى تدلي على معنى خَمَـرَ أُو أَغْرَقَ ، وهو معنى قريب من معنى السد والإغلاق (١) .

#### \*\*\*

وفيما يلي جدول يوضح تلك النظائر :

العربية المعربية السريانية الحبشية الحبشية سطم ستم سطم سطم وسطم

# ٥٠ - ينفسير ويسمار ( معربان )

في المعرب للجواليتي (ط ليبزج ص ٨٣-ط القاهرة ص ١٨٥ - ١٨٦): والسفسير (٣) بالفارسية: السمسار (٣). قال أبو عبيد عن الأصمعي في قول الذبيغة (٤):

 <sup>(</sup>١) ولكن فرنكل (ص ٣٣١) ربط سلم الحبشية علم بمادة 請託 (شطف) السرية التي تدل مل معنى فيضان الماء.

<sup>(</sup>٢) الجمع سفاسير (غير مصروفة) وسفاسرة (مصروفة) .

<sup>(</sup>٣) هذا القول متسوب إلى أن عيد في الصحاح (مادة سفسر). وسترى نيا يلى أن الازهرى ، أسئد أن يم عدل الإنهرى ، أسئد أن عيد ، أشيد أن الله . وفي ثقاء الغليل (س ١٣٠) : همشير (ني النص المطبوع بمفسر بلون ياء ، وهو تحريف) بمني سمسار معربة » . وانظر فرلكل ، ص ١٨٦ .

<sup>(</sup>٤) يسف نالة . وإنظر شرحنا للبيت في صدر كلامنا جي نخسفسة (وتم ٥٦) .

وقارفت وهي لم تجوب وباع لها من الفصافص بالشَّمِّيُّ سفسيرُ قال : وباع لها « أي اشترى لها ، يعني السمسار » .

وسنرى عند كالامنا عن الفصفصة والنبي (الرقمين ٥٠ و ٢٠) أن ابني دريد فسر السفسير في هذا البيت بالخادم أو الفيد (١) أو الرسول. ومثله قول ابن السكيت (كما في الصحاح): والسفسير: الفيج والتابع ». وتمة تفسيرات أخرى للسفسير في هذا البيت. فني اللسان (مادة سفسر): وابن سيده: السفسير الذي يقوم على الزائقة، قال أوس بن حجر (٢) ( البيت) ، وقبل هو الذي يقوم على الإبل ويضلح شأنها ... قال الأزهرى: وهو معرب ، وقبل هو القيم بالأمر المصلح له ، وأنكر أن يكون بياع القت ".. قال ابن الأعرابي: السفسير القهرمان (١) في قول أوس »

ومرجع الخلاف في تفسير الكلمة أنها معربة . وينحسم هذا الخلاف بالرجوع إلى أصلها الفارسي وهو سيشار (4) أو سيفسار ، ومعناه( ١ )المتوسط بين البائع والمشترى ( ٢ ) والمرأة التي تتوسط لعقد الزيجات . ومامار المعنين واحد هو التوسط . انظر شتاينجاس ( ص ٢٥٢ ا و ١٦٥٥ ) وفولرز ( ج ٢ ، ص ٢٠٨ ب و ٣٠١ ب ) . والمعنى الأول بالطبع هو الذي تدل عليه سفسير المجربة في البيت .

فعنى السمسار الذى أورده أبو عبيد ونقله الجواليق هو الصحيح . أما المحلف الأخوى فهى مستنبطة من مجمل معنى البيث استنباطا . فالذى اشترى للناقة فصافص لتكون علما طيبا لها يمكن أن يكون خادم صاحب الناقة أو تابعه (الفهج) أو وكيله المدبر لأموره (القهرمان) ؛ وهذا المعنى الأخير كعنى «القم بالأمر المصلح له». والاستنباط بالغ الوضوح في معنى «الذى يقوم على الناقة» ومعنى

<sup>(</sup>١) أنظر كلامنا من النيج (رقم ٧٥) ..

<sup>(</sup>٢) في نسبة البيت علان .

 <sup>(</sup>٣) للقصود به هنا للمدر الأمور نياية عن سيده ، ومعنى القهرمان مندوب أيضا إلى ابن الأنبارى (المعرب الجوالين ، للموضع المذكور).

<sup>(</sup>٤) بكنر السينُ الأول لا فتنها كا في أهل شير (ص ٩١) .

والذي يقوم على الإبل ويصليح شأنها » ، وهما في الحقيقة معنى واحد ؛ فالشاهر يصف ثاقة ، وقد اشتري لها سفسير علفا طبيا ، فيمكن أن يكون هذا السفسير (في رأى أصحاب ذلك التفسير ) هو الذي يقوم على الناقة أو الإبل عامة ويتعهدها بالمتاية . ومعنى و بياع القت ، الذي أنكره الأزهري مستنبط هو أيضا من البيت ، ولكن على تقدير معنى البيع لا الشراء في قول الشاعر و وباع لها » ، فيكون المبنى و وباع لها بياع القت فصافص » .

489

وسيسار أو سفسار الفارسية هي أيضا أصلى :

(۱) safsār (سَفُسار) «السمسار» (المتوسط بين البائع والمشترى) في العبرية المتأخرة .

(ب) safaīrā (سَمُسْيِرا) والسمسار، في الأرامية اليهودية، ومنه safaīrūtā (سفسيروتا) والسمسرة».

(ج) safesir (سَفْسَارا) والسمسار؛ في السريانية ، ومنه الفعل safesir (مفسر) وجادل في الثمن ، ماكس » ، واسم المعنى safesir (سُفْسارا) والمجادلة في الثمن ، المكاس » . انظر بين سميث ، العمود ٢٧٠٧ ؛ وبروكلمان ، ص . ٤٩١ .

201

وكلمة السمسار (¹) (المتوسط بين الباثع والمشترى) ، التى جعلها أبو عبيد مرادفة للسفسير فى البيت المذكور ، معربة هى أيضا ، وأصلها هو أصل سفسير ( أى سيسار أو سفسار الفارسية )(²٬ ) . وقد ذكرها الجواليق فى المعرب

<sup>(</sup>١) الجمع مماسرة (منونة ) ، والمصدر السسرة .

<sup>(</sup>٢) من معانى السمسار في العربية أيضا و الساير بين المحين » (القاموس) ، كما في قول الأعشى (الديوان ، ١٤ : ١٢ ، ص ٢١٤) : وأصبحت ما أسطيع الكلام: صوى أن أراجع سمسارها . وهذا لمدني قريب من المدني الثاني الذي أوردناه الكلمة الفارسية ( المرأة التي تتوسط لمقد الزيجات ) .

(ط لييزج ص ٩٠ = ط القاهرة ص ٢٠١)، وإن لم بين الأصل الذي أخذت عند (١)؛ ولكن نص الليث على أنها فارسية معربة (السان، التاج).

وفي السريانية أيضاً samsara (سَمَسْارا) بناك المعنى . انظر بين سميث ، العمود ٢٦٦٣ ؛ وبروكلمان ، ص ٤٨١ ب .

وقد انقلت كلمة السمسار (المعرية) إلى طائفة من اللغات الأوربية مشـــل sensale في الإيطالية و censal في الفرنسية ؛ انظر لوكرتش (ص ١٤٦ ، رقم ١٨٣٦) ، وفلرز (ص ٦٤٣ ، رقم ١٨٧) ، وفرنكل (ص ١٨٦).

# ٤٥ – سُكُونَجة (أو أُسَكُرُجة) (معرب)

فى صحيح البخارى (أطعمة ٨ ، ط بولاق ١٣١٤ ه ، ج ٧ ، ص ٧٠) عن أنس بن مالك : ١ ما علمتُ النبى صلى الله عليه وسلم أكل على سكرجة قط ولأ تخبرُ له مُرقَّق قط ولا أكل على خوان ٤ . وفى رواية أخرى (أطعمة ٢٣ ، ص ٧٥) : ١ ما أكل النبى صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق ، (٢)

<sup>(</sup>١) انظر الشواهد التي أوردها الجواليق الكلمة ، ومنها قول الأعشى المذكور في الهامش السابق . وانظر أيضا الفائق الزمخترى (ج١ ، ص ٢٠٤) والنهاية لاين الأثير (ج٢ ، ص ١٨١) والمغرب المطرزى (ج١٠ ، ص ٢٢٤) .

<sup>(</sup>۲) ورد الحديث أيضا باختلافات يسيرة في سنن الترمذي وسن ابن ماجه و مسند ابن حنيل . في الترمذي (أطعمة ۲): و ما أكل النهي صلى الله عليه وسلم على خوان ولا سكر جة ولا خيز له مرقق » و في ابن ملجه (أطعمة ۲۰): و ما أكل النهي صلى الله عليه وسلم على خوان و لا في سكر جة و و في ابن حنيل (ج٣٣ ص ١٣٠): و ما أكل في الله صلى الله عليه وسلم على خوان و لا في سكر جة و لا غيز له مرقق » ؛ وقد ورد الحديث جذه الرواية الأخيرة في للمرب للجواليق (ط ليزج ، ص ٨٩ == ط القاهرة ، ص ١٩٧).

وروى الحديث فى النهاية لاين الأثير ( ج ٢ ، ص ١٧١ ) ( وفى السان والتاج ، فصل السين من باب الجيم ) : ولا آكل فى سكرجة » ، وهو تحريف .

وفى شرح القسطلانى على البخارى (الطبعة السادسة ، بولاق ١٣٠١ ١٣٠٥ ه ، ج ٨ ، ص ٢١٦) عن السكرجة (فى الراوية الأولى) : «يضم
السين المهملة والكاف والراء المشددة. بعدها جيم مفتوحة ، أو يفتح الراء ويه جيزم
التوريشتى (١٠) ، قيل : هى قصاح كبيرها يسع سب أواق كانت العجم تستعملها
في الكوامخ (٢٠) وما أشبهها وزاجوار شنات (٢١) على الموائد حول الأطعمة الهضم (٤١)،
والذي صلى الله عليه وسلم لم يأكل على هذه الصفة قط ١٠.

ويذكر الخوارزمى الأسكرجة (<sup>٥)</sup> فى حديثه عن أوزان الأطباء ومكاييلهم ، وذلك حيث يقول (ص ١٨٠) : ﴿ أَسكرجة صغيرة ثلاث أواق ، أسكرجة كبيرة تسم أواق ﴾ (٢).

<sup>( 1 )</sup> في التاج : «قال عياض في المشارق ، وتابعه ابن قرقول في المطالع ، هي بغم السين والكتاف والراء منظم السين والكتاف والراء مشابع ، كذا قيدنا . وقال ابن مكى : صوابه بفتح الراء » . فابن مكي والتوريشي يجزمان بفتح الراء . وكذلك: يفتحها ألجوالين في المعرب (الموضع المذكور) ، والخفاجي في شفاء الفليل ( ص ١١٦ أسفل ) . ولكن يضمها ابن الأثير في النهاية (الموضع المذكور) "، وصاحب اللسان ، والفيروزابادي كما سيل .

والكلمة من مستدركات الناج (فصل الجم من باب السين ) ، ولكن الفير وزابادى يذكرها هرضاً في موضمين : في فصل الفاء من باب الحاء حيث يقول : والفيخة السكرجة ۽ ، وفي فصل الثاء من باب الوار والياء حيث يقول : و الثقوة بالشم السكرجة ج ثقوات و ؛ والكلمة في كلا للموضمين مضبوطة بضم الراء المشددة .

وفي السكرجة لغة هي الأسكرجة يذكرها الجواليق (طليزج ، ص ٢٠ = طالقاهرة ، ص ٢٧) والحفاجي (ص ١٤). وكان بعض ألهل اللغة يقول إن السواب اللغة التي بالهنرة (المنرب الجواليق ، طليزج ، ص ٨٩ = طالقاهرة ، ص ١٩٧). والأسكرجة مضبوطة في نص الجواليق في كلتا الطبعين ) بغتج الراء المشددة .

والكان في السكرجة والأسكرجة مضمومة ، وفتحها خطأ كا يقول الحواليي في خطأ العوام ( ص ١٣٤ ) .

<sup>(</sup>٢) انظر حَديثنا عن الكامخ (رتم ٥٩).

<sup>(</sup>٣) انظر حديثنا عنها (رقم ٤٩) .

 <sup>(</sup>١) التشهى والهضم و (القسطلان ، ص ٢٢٧ ، بصدد الرواية الثانية للحديث في صحيح البخاري) .

 <sup>(</sup> ه ) الكلمة مضبوطة في ط ليدن من مفاتيح العلوم بضم الكاف وفتح الراء المشددة . انظر آخر
 الهامش الأول في هذه الصفحة .

<sup>(</sup>٦) قارن بذلك بها يقوله القسطلاني ، كما مر ، من أن السكرجة الكبيرة ست أواق .

والكلمة من أصل فارسى هو أسكره (بهمزة مضموهة فسين ساكنة فكاف مفتوحة فراء مفتوحة مشددة أو غير مشددة) أو سكره (بسين مضموهة فكاف ساكنة فراء مفتوحة مشددة فراء مفتوحة مأو بسين مضموهة فكاف مفتوحة ) أو سكرچة (يضم فسكون نفتح فقتح) أو سكوره (بضمة فضمة طويلة ففتحة) ، والمعنى وصحفة صغيرة من خزف ، انظر شتاينجاس (ص ١٩ او ١٨٨ ب و ١٩٨٩ ب) ، وفولرز (ج١ ، ص ص ١٩ ا ؛ و ج٢ ، ص ٣٠٩ ب و ١٩٨٣ ) ، وانظر كذلك أدى شير ، ص

وقد انتقلت الكلمة الفارسية بمعناها إلى السريانية أيضا ، حيث نجد 'gyqwrq' (سقرقا) . انظر بروكلمان ، ص ٤٩٦ ا أسفل(و و٧٥ (سيقورقا) أو 'gqq (سقرقا) . انظر بروكلمان ، ص ٤٩٦ ا أسفل(و و٧٥) ب ، س ١ – ٢ ) .

وانظر دى لاجاره( GA ، ص ٧٣ ، رقم ١٨٤ ) ، وهو يرجع الكلمة الفارسية إلى kkavarak في اللغة الأرميئية .

## ه ٥ - قانيذ (أو قانيد) (معرب)

سيأتى فى كلامنا عن القند ( رقم ٥٨ ) أن الفانيذ يتخذ منه . فما هو الفانيذ ؟ يقول الفيروزاپادى وابن منظور إنه «ضرب من الحلواء» .

ويقول الفيومي إن الفانيد (بالدال المهملة ) (۱۱) «نوع من الحلوى يعمل من المقند والبشا (۲۰) .

ولكن يذكر داود الأنطاكي (ج١، ص ١٧٨، مادة سكر) أن الفانيذ

<sup>(</sup>١) ذكر الزبياى الغائية (بالمبحة) ف فنذ ، كا ذكر الفائية (بالمبهلة) في فند مستدركا على القائلة والمبائة النق . القائلة المبلة النق . وسيأت أن الأصل الفارس بالمهملة أليق . وسيأت أن الأصل الفارس بالمهملة أو بالمهمنة .

 <sup>(</sup>۲) تذكرة داود (۱- ۱ ، س ۲۰۳) : « نشا معرب نشات الفارس ، ومو ما يستخرج من الحصلة إذا نقمت سي تلين ومرست سي تمالط الماء وبسفيت من مسئل وجففت ولو في الشمس » .

سكر مطبوخ ثلاث مرات دون أن يستقصى طبخه في المرة الثالثة<sup>(۱)</sup>. انظر شقار تز P. Schwarz في مقاله P. Schwarz انتظام Fànīḍ und Verwandtes ، بمجلة ZDMG ، الحبلد ۷۲ ( ۱۹۲۷ ) ، ص ۲۳۸ أسفل — ۲۳۹ و ۲۲۱ أعلى .

وقد لاحظ الفيومى أن الكلمة وأعجمية لفقد فاعيل من الكلام العربى ، ولهذا لم يذكرها أهل اللغة ع<sup>(٢٧)</sup> . وقال ابن منظور إن اللفظ وفارسى معرب ، . وحدد الفيروزابادى الأصل الفارسي بأنه پائيد (بالمهملة) .

والواقع أن المعاجم الفارسية تذكر پانيد (بالمهملة ) وپانيد (بالمعجمة ) ، وهو كما يقول فولرز (ج ١ ، ص ٣٣٤ ب ) : (١) السكرالأبيض (قند سفيد) أو السكر المصنى (شكر مصفا )؛ (٠٠) ورقة مصنوعة من السكر (شكر برگئ) ؛ (٣) قلم من الحلواء .

قالمعنى الأول للكلمة الفارسية قد يطابق وصف داود الأنطاكي الفاتية . والمعنيان الثانى والثالث ، أي سكر على هيئة ورقة شجر أو قلم ، لا يفترقان عن المخى الرابع ، أي نوع من الحلواء ، إلا كما يفترق الخاص عن العام (٣٠ ع

<sup>(</sup>١) هذا نصن ما يقرله عن أتسام السكر حسب درجات الطبخ ، نورده كاملا لأهميته : ووصنعته (أى صنعة السكر) أن يقشر (قسب السكر) ويلاس ويبهم بالات معرونة ويطبخ حتى يشغن ويسك فى نغار عظم كبير واسع عايل أعلاء يفسيق تدريحا حتى يدكون كفم المشارب ، ويترك فى هذا معطى بدجير القصب فى على يميل إلى الحرارة نحو أسبوع ، ويسمى هذا بالأحر ويدعى الآن بالهيرة ، ثم يكسر ويبلخ ثانياويكب فى أقاع دون الأول ويمس من الرأس الفسيق حتى يخرج ما فيه من الأوساخ عمل هو السلباني . . . . ثم يعليخ هذا ثالثا ، هان مكب فى قالب مستطيل ولم يستقص طبخة نهو الفائيذ ، وإن استقصى بأن جمل أقياها صنوبرية فهو المعروف بالأيلنج أو (أقياما) مستطيلة هلى السواء فهو القائم . وإن طبخ هذا رابعا وكب فى قدور الزجاج وقد شبكت بقش أو قصب فهو المنبات القرارى (بالزامى) نسبة إلى القزاز فى لفة القرارى (عكذا فى النص المطبوع ، ولكن لعل صوابه القزازي (بالزامى) نسبة إلى القزاز فى لفة بمدر هم الزباج ) ، وقد يقع هذا الطبخ الأخير بالشام فيكون جيدا جدا ، ويسمى الآن بالحموى ، فهله أشامه الكائمة منه عسب الطبخ فى نفعه ، وأما الطبر زد فهو فى المرتبة الثالثة بأن يطبخ بعشرة من الله الخوام من

<sup>(</sup> ٢ ) أقبلها الجوهري .

<sup>(</sup>٣) اللهم إلا إذا كان المتصود بالمن الثالث ذلك النوع من السكر الذي يسمى العلم ، والله ينتج بطيعة ثلاث موات على أن يستقصى طبيعة في المرة الثالثة ويجمل في أقماع مستطيلة على السواء . وأجم تص دارد الإنطاكي المنقول آنفا .

وقد مر أن المحاجم العربية تصف الفائيذ بأنه نوع من الحلوى .

والكلمة الفارسية هي أيضا أصل pāvī<u>d</u> (پانيذ) في السريانية ، وهو مركب من السكر واللوز يستعمل في عقاقير مختلفة لعلاج الشال وغيره . انظر ملحق پين سميث ، ص ٢٦٩ ا أعلى .

ويشير دوزى (ح ٢ ، ص ٢٨٤ ) إلى أن الفانيذ أصل elfañique في الأسبانية ، وهو عجين مصنوع بالسكر وزيت الأوز الحلو<sup>(1)</sup> .

# ٥١ \_ فِصْفِصةً ( معربة )

يقول ابن دريد في الجمهرة (ح 1 ، ص ١٥٥ ، العمود الأول ، س ١٠ ومابعدها) : « الفصفص فارسية معربة، وهي القتّ (٢) الرطب . قال الشاعر أوس بن حجر ، ويقاًل النابغة اللبياني :

وقارفتْ وهي لم تجربْ وباع لها , من الفصافص بالنُّدِّيُّ سفسيرُ

السفسير : الخادم والفيج (٣٠). وقارفت : قاربت أن تجرب . والنمى فلوس من رصاص كانت تستعمل في الحيرة أيام ملك بني المنذر ۽ (٤٠) !

ويقول ابن دريد في موضع آخر من الجمهرة (ح٣ ، ص ٥٠٠ ، العمود الأول ، س ٥ ) : « والفصاقص فارسية معربة ، وهي الرطبة ، اسفست » .

وفي المعرب للجواليثي (ط ليبزج ، ص ١٠٩ 🚃 ط القاهرة ، ص ٢٤٠):

<sup>(</sup>۱) alfenim (بالبرتغالية . انظر لوكرتش ، ص ٤٦ (رقم ٨٣٥) . وهو يقول أيضا إن للغانية أصل pénic و pénid . في الفرنسية .

<sup>(</sup>٢) القت جم هند سيويه واحدته قتة (اللسان).

<sup>(</sup>٣) انظر كلامنا عن السفسير والفيج في هذه الحلقة (الرقسين ٣٥ و ٥٧).

 <sup>(</sup> ٤ ) أى قاربت هذه الناقة أن يصيبها ألحرب ، و اشرى لها مفسير فصافه من بالفلوس لتكون علقا
 (طبیا ) لها . و انظر كلامنا عن النبي في هذه الحلقة ( واثم ، ٢٠) .

والفضافص : ألرطية . واحلتها فصفصة ، وقيل فصفص . فلرسية معربة .
 وأصلها بالفارسية اسبست » (١) .

وبجمل ما قاله ابن دريد والجواليق أن القضفص أو الفصفصة<sup>(٢)</sup>، أى الرطبة أو القت الرطب ، وجمعه فصافص ، معرب أضله بالفارسية اسفست أو اسبست .

وإيراد الأصل الفارسي مرة بالباء وأخرى بالفاء سببه أن هذا الأصل بالمهاد (الفارسية) التي يعبر عنها في العربية بالباء أو الفاء ؛ انظر صديقي، ص ٢٣ و ٧١ و ٧١ فني الفارسية الحديثة أسيست (بفتح فسكون فكسر فسكون) أو أسيست (بكسر فسكون فكسر فسكون) و وهو نبات اسمه العلمي Medicago sativa ؛ انظر شتاينجاس (ص 14 ب)

<sup>(</sup>١) يقول ابن البيطاد (ح٣ ، ص ١٦٣) ، تقلا هن أبي حنية : وفصفصة . . . هو زطب اللت ، ويسمى الرطبة ماداست رطبة ، فاذا جثت نهي القبت: وهي كلمة فارسية الأصل ثم عربت ، وهي بالفارسية اسفست » .

 <sup>(</sup>۲) نقل ابن منظور في مادة قتت النسفسة بالمين عن التهذيب للمؤرهري ، وقال في مادة فسم
 إن الفسفسة لغة في الفصفصية والنساد اعرب

والمصفصة ام آخر هو القضب (بفتح فسكون) ، وواُحدته فضية كما في السأن والتلج . وقد أثبته ابن البيطار كذلك (ح ٤ ، ص ٢٤ أعلى ) . ويقول ابن فارس (حه ، ، ص ١٠٠) إن الرطبة سميت القضب (<sup>2</sup>با تقضب ( أى تقطع ، على البناء للمجهول ) .

وثمة اسم خامس ذكره اين آلييهانر (ج ۲ ، ص ۱۲۲) تشاركها يه أنواع أخرى من النبات، هز و نو ثلاث ورقات بم . و من الجل أن هذا الانم ترجة τρίφυλλον (تريفولون) في اليونانية = trifolium في اللاينية ( tréfoli في الانجليزية و trèfol في الفرنسية).

وفوارز (ح ١ ، ص ٩٠ ب) . والأصل في الفهلوية أَسُهْسَت (بفتج فسكون ففتح فسكون) ؛ انظر هورن ، ص ١٩ (رقم ٧٩).

ويملل نولدكه (بمجلة ZDMG) ، المجلد ٣٧ (١٨٧٨) ، ص ٤٠٥) السبست هذه إلى أسّب «حصان» وأسّب «طعام»، أى «علف الخيل» ؛ فقد كان ذلك النبات علفا طبيا للخيل في فارس منذ القدم . وكانت لتربية الخيل أهمية بالفقة في إيران ، ولهذا كان يفرض خراج عظيم على الأرض التي يزرع فيها ذلك النبات؛ انظر نولد كه أيضا في كتابه: Geschichte der Persor und Arsber) ، ص ٤٥٥، الهامش الأول (١).

وقد انتقلت اسهست الفارسية أيضا إلى الأرامية اليهودية والسريانية ؛ انظير لوف ، ص مه أسفل – ٩٦ . فني الأرامية اليهودية aspasta (اأسئيستا) ؛ انظر ليثي (١) ، ح ١ ، ص ١٦٩ ، وليثي (٢) ، ح ١ ، ص ١٦٩ ، ودلمان ، ص ١٣١ . وفي السريانية caposta ( إسئيستا) و peaposta ( يسئيستا) ؛ انظر بين سميث (العمودين ٣٦٣ و ٣١٨٤) ، وبروكلمان (ص ٣٦ ب

وفى البابلية (المحدثة والمتأخرة) aspastu (أَسْيَسَتُ ) ، وهى فى رأى تسمرن (ص ٥٦ أسفل) إنما انتقلت إلى الأكلية من إحدى اللفات السامية المغربية ، ولكن يرى فون سودن (ص ٧٥ ا) أنها انتقلت من الإيرائية (عه-aspastua) مباشرة ، كما يرى أن aspastua «الذي يعلم الخيل ، فى البابلية المتأخرة من aspastua فى الإيرائية .

فاسْهِسْتَالفارسية هي أصل أَسْهَسْتًا في الأرامية اليهودية وإسهستافي السريانية (و appestu في المبريانية ) (و appestu في المبريانية ) ولكن مع قلب الهمزة في صدر الكلمة پاء على سبيل المشابهة للهاء في الوسط :

<sup>(</sup>۱) كتب نولدكه ملذا الهامش تعليقاً على قول الطبرى في تاريخه ( القسم الأول ، ص ٩٦١ -٩٦٢) : ووإن كسرى اعتاد رجالا من أهل الرأى والنصيحة . . . . . فاجتمت كلمتهم على يوضع الحراج على ما يسمم الناس والبائم ، وهو المنطة والشمير والأوز والكرم والرطاب والنطق والزيجون » . (الرطاب حم وطبة ، وهي القصافص كا بو ) .

ويسهستا السريانية هذه لها نظير يطابقها تماما في العربية هو فسيمسة التي ذكرها الأزهري . أما فصفصة فقد نشأت عن ضفسة بإطباق السينين صادا . وفصفصة ( يتاء التأنيث ) أقرب إلى الأصل الفارسي من فصفص ( بدون تاء ) ؛ ولكن الثاء في اسبست الفارسية ليست تاء التأنيث ، وإنما هي كما رأينا أصل من أصول الكلمة. والجمع فصافص ( ) والفعل فصفص دليلان على أن فصفصة عليت على ضفسة ؛ ولهذا قال ابن منظور إن الصاد أعرب .

## ٥٧ -- فَيَعِمُ (موب)

يقول ابن منظور: « والغيج رسول السلطان على رجله ، فارسي معرب ٢٠٠. وقيل: هو الذى يسمى بالكتب ٢٠٦، والجمع فيوج. وقول عدى (بن زيد): أم كيف خُرْتَ فيوجاً حولهم حرس " ومربضا بابه بالشَّك " صراًرُ (٤٠

<sup>(</sup>١) من شواهد الفصافص أيضا (غير البيت السالف الذكر) قول الأعشى (الليوان ، ١٩: ٣٤ ، ص ١١٠) :

أَمْ رَ أَنَ السَّرَ مِنْ أَصْبِحَ بَطَيُّهَا ۚ تَغْيَلا وَزَرَعَا بَايَتًا وَفَصَافِصًا

<sup>(</sup>في الشرح المثبت بهامش الديوان ... العرض (بكسر فسكون) واد باليماة . وفي السان والتاج (مادة فصص) 8 الأرض مي مكان والعرض . . وفي الفائق الزخشري (ج ٢ ، ص ١٣٨) والعرض ه كما في الديوان ، ولكن وصلته بمكان وعلمها بي .

و فى حديث الحسن ، كما فى الفائق النرتخصرى (الموضع المذكور) والنهاية لابن الأثثير (ج ٣ ، ص ٢٠٤) : « ليس فى الفصافص صفة » .

 <sup>(</sup>۲) أورده الجواليق في المرب (ط لينزج ، س ۱۱۱ == ط القاهرة ، ص ۲۲۳) ،
 والخاجي في شفاء العديل (ص ۱۹۸) . وانظر أدى ثير ، ص ۱۲۲ أسفل .

 <sup>(</sup>٣) فى النباية لابن الأثير (ج٣، ص ٢٢١): وهو المسرع فى مشيه اللدى محمل الأعجار من
 بك إلى بلد ».

ويثول الخوازرمي ( ص ٦٤ ، وهو يذكر الألفاظ التي تستمعل في ديوان البريد) : «السكة الهوضح اللدي يمكنه اللهيرج المرتبون من رباط أو تبه أو بيت أو نحو ذلك يم . ،

<sup>(</sup>٤) روى الشطر الثانى في التكلة العامان ( وهو مخطوط ، مه نسخة مصورة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ) رواية أخرى نفضلها على رواية السان هي : « ومترصا بابه بالسك مرارا » ( المترص : الحكم الشديد ، ويقصد به يناء السجن . والسك : تفهيب الباب بالحديد . وصراد : من صر ( الباب ) مثل فر يصر صرا وصريرا صوت ) .

. قيل : الفيوج الذين يدخلون السجن ويخرجون يحرسون ﴾ .

أورد ابن منظور هنا معتبين الفيج : (١) رسول السلطان على رجليه أو الذي يسعى بالكتب (٢) والحارس (في السجن)

والأصل الفارسي للكلمة ، وهو كيبك (كما في القاموس) ، له معنيان بماثلان : ( ١ ) الذي ينقل الأنتجار والرسائل ( ٢ ) والحارس . انظر شتاينجاس ، ص ٢٦٨ ب ؛ وفولرز ، ح ١ ، ص ٤٠٠ ب ؛ وهورن ، ص ٨٠ ( رقم ٣٥٩) .

وهذه الكلمة الفارسية هي أيضا أصل paiga (پيجا) في السريانية ، وهو الجندى من جنود الشرطة يسعى على رجليه . انظر دى لاجارد ، ص ٧٤ (رقم ١١٨ ) ؛ وهوقان ، ص ٦٦ (والهامش ٥٨٨) ، وص ١١٣ (والهامش ١٨٨ ) ؛ وبروكلمان ، ص ٤٦٨ (مع الهامش الثاني ) ؛ وبروكلمان ، ص ٤٣٨ ) وين سميث العمود ٢٠٩٩ ، وملحقه ص ٣٣٣ ب .

## . ٥٨ -- قَنْدُ وَقَنْدُهُ وَقِنْدُدُ وَقِنْدِيدُ ( معربة )

هذه أسماء متشابهة اللفظ متداخلة المعانى ، نصنفها حسب دلالاتها المذكورة في المعاجم ، ثم نبين وجه التعريب فيها :

 (١) القند والقندة (١) والقنديد : عسل قصب السكر إذا جمد (١) ، ومنه يتخذ الفانيذ(١٦) (المسان والتاج ، مادة قند) (٤) . وجمع القند قنود (المصباح) ه

 <sup>(</sup>١) قبل القنة القطمة من القنة (مبيار اللغة). وعلى هذا الغول لا تكون و الفندة و اسم مسئلا
 يغمه . راجع الهامش الرابع فيا يلى .

<sup>(</sup>٢) برى شفارز فى مقاله المذكور فى صدر كلامنا عن الفائية (رقم ٥٥) ، ص ٢٤٤ ، أن الفند لم يكن مجرد صل قسب السكر إذا حدكا تقول المعاجم العربية ، وإنما كان صورة أطيب من السكر العادى تفتج بطبخه مرتبي ، أى أنه مرادف السكر السليانى . راجع ما نقلناه عن داود الإنطاكي فى صدر كلامنا عن الفائية .

<sup>(</sup>٣) أنظر حديثنا عنه فيها مفيي ( رقم ٥٥ ) .

 <sup>( )</sup> أبن سيه (ج ه ، ص ٢٠) ، عن صاحب العين ، و واقتد و الفنديد عصارة قصب المكر
 إذا جد ، ومنه يتخذ الفائية ، و يلاحظ هنا سقوط الفندة .

 (٢) القندد والقنديد : حال الرجل حسنة كانت أو قبيحة . وعن ابن الأعرابي : القناديد الحالات ، الواحد منها قنديد . ومنه جاء بالأمر على قناديده ، أي طي وجهه (1) . ( اللسان والناج ) .

(٣) القنديد :

(١) الخمر : والقناديد الخمور ، عن ابن الأعرابي . وقال الأصمعي : هو مثل الإسفنط، وأنشد : كأنها في سياع الدن قنديد . وقال ابن جني : القنديد عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب ثم يُفتق<sup>(٢)</sup> (أى يخسر) . (اللسان والتاج) .

وقال ابن السكيت (تهذيب الألفاظ ، ص ٢١٥) : «والقنديد مثل الإسفنط والمزة ( بضم المبم وتشديد الزاى) في طعمها » .

ولكن قال الثماليي (فقه اللغة ، بيروت ١٨٨٥ ، ص ٢٧٦) : «القنديد من القند» . وقال الزمخشري (أساس البلاغة ، در لكتب المصرية ١٩٢٣ ، ج٢ ، ص ٢٧٨ ب) : «هو شرا ب يتخذه أهل لحيرة من لقند» .

(ب) العنبر ، عن كراع ؛ وبه فسر قول الأعشى :

ببابل لم تُعصر فسالت سُلافة " تحالط قنديدا ومسك مُختما (٢)

(ج ــ ه) الكافور والمسك وطيب يعمل بالزعفران (القاموس).

(و) الوَرْس (القاموس) أو الجيد منه خاصة ﴿ للسَّانُ وَالتَّاجِ ﴾ .

204

<sup>(</sup> ١ ) ويقال ما قنديده وقنده أي حاله ( معيار اللنة ) .

<sup>(</sup>٧) اين دريد (المسهرة ، ب ٣ ، ص ٣٧٧ ، عود ٧ ، ص ٣٠ س أسفل): و وتنديد حسير حتب يطبخ بأفراء (وبأفاريه أيضاً) وليس بالحسر بسياء . وق موضع آخر (ج ٣ ، ص ٢٠١ ، عود ١ ، س ١ – ٧ من أسفل) : ووقديد حسير السب يطبخ بأفاريه ، وربما سميت الحسر فتغيدا ء . وتوسع ابن سيد فقال (ج ١١ ، ص ٨١) : ووقيل القشيد شم اب يجيل فيه السل ، وقد يطبخ المسمير بعد الطبخ ، وتطرح طفاحت ، ويجيل في الأوجة فيضرد ، برربما طب فيكون خرا شديدا ۽ . (٣ ) الديوان ، القصيدة ٥٠ ، البيت الحاس ، ص ٢٠٠ . . ٨

قأما القند فهو فارسي معرب ، كما يقول ابن هريد (الجمدهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ ، عمود ٢) ، والجواليق (المعرب ، ليبزج ، ص ١١٩ ، القاهرة ، مم ٢٩١ ، والأصل الفارسي هوكند (بفتح فسكون) ، كما في التاج ، يرهو المسكود (١) . اتظر فولرز (ج ٢ ، ص ٩٩٤ ب) ، وأدى شير (ص ١٧٩) (٣) .

وهذا الأصل الفارسي يدل على أن القند (والفندة) آصل في الغلالة على هذا الهني من قنديد ، أي أن القنديد في هذا المعنى محسول على الفند .

#### \*\*\*

وأما القندد والقنديد بمنى حال الرجل حسنة كانت أو قبيحة فلم يقل أحد في أعد معرب condisio - حال ، في ألاتينية . والقندد أقرب إلى هذا الأصل اللاتيني من القنديد ، لأن المال الأولى في القندد مكسورة كسرة قصيرة كدال الكلمة اللاتينية ، بينها المنال الأولى في القندد مكسورة كسرة طويلة .

### \*\*\*

وينفرد القنديد بعد هذا بالدلالة على معان خاصة به .

وأول هذه المعانى نوع من الخبر ، قال الأصمعى إنه مثل الإسفنط ، وقال ابن السكيت إنه مثل الإسفنط والمزة ، ووصف ابن جنى وصمغا يقارب وصف ابن السكيت للإسفنط (رقم ٣٨) ، ولكن قال الثعالي والزمخشرى إنه مصنوع من القند (أى عسل قصب السكر إذا حمد) . وبين هذين القولين تناقض ؛ فالإسفنط كما رأينا خر مرة المذاق ، والمزة الخمر فيها حوضة (القاموس) ، ولكن القندا حلو المذاق ؛ ولكن قد تكون المرارة أو الحموضة من فعل أفاويه تضاف إلى القند .

<sup>(</sup>١) قال الدير وزايادي أيضا إنه معرب ، ولكنه لم رد . وفي المصباح : و ويقال هو معربه كل.
(٢) ولكن توهم بعضهم أن اللحند عربي . فاين فارس يقول (به ه ، عص ٢٩) : والقاف وللاندن والدال كلمان زعموا أنهما صميمتان . قالوا : القمد عربي ، يقولون سويق مشتود وحشد .
والكالمة الأخرى القندأرة قالوا هو المهيء الحلاجي .

يويد هذا أن qōndffon (قُونديطُون) في العبرية المتأخرة والأرامية المهاجرة والأرامية المهاجرة والأرامية الهودية ، توجع من الخمر والعسل والفلفل (١٠) انظر ليق (٢) ، ح ٤ ، ص ٢٦٦ ب . ونجد (قونديطون) في السريائية أيضا (پين سميث ، عمود ٢٥٤٤ ؛ وبروكلمان ، ص ٢٧٦ ا ) ، وهو كما يقول بربهاول (العمود ١٧٣٨ ، ص ٩ - ١٠) ونوع من الأشربة يتخذ من حسل وأقاويه ع .

وقونديطون في هذه اللغات الثلاث مأخوذة عن conditum اللاتينية ( коубтос اليونانية ) « خمر مطيبة ، خمر فيها أفاويه » . ويرى فرنكل ( ص ١٩٦٧) أن كلمة قنديد دخلت العربية من هذا الطربق، وعلى هذايكون الشبه اللفظى بين القنديد بمغني الحمر والقند بمعنى عسل قصب السكر شبها عارضا ، فلا علاقة بين الكلتين .

أما المعانى الأخرى القنديد (ب - و) فنشؤها فها أعتقد بيث الأعشى المذكور في (ب). فقد فسر بعضهم وقنديدا ، فيه بالعنبر (٢) ، لأن الشاعر عطف و مسكا ، عليه ، فظنوا أنه طيب كذلك . وهذا التعليل يمكن أن ينطبق أيضا على المعانى (ج - ه) ، لأنها جميعا طيوب . والممنى الأخير (و) أى الورس ، وهو صبغ أصفر معروف كما يقول ابن دريد (الجمهرة ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ عمود ا خر سطر - عمود ٢) ، نظر فيه إلى صفرة الخُمر ، أى كأنها لشدة صفرتها تخالط ورسا (٢) .

994

<sup>(</sup>١) يلاحظ فرنكل (ص ١٩٦٢) أن الدرب أيضا كانوا يرجون الحدر بالفلفل ، ويستعبد يقول امرى، المقيس في مملقته (البيت ٨٠ ، شرح القصائد العشر التجريزي ، إدارة الطباعة المابرية بالقاهرة ١٣٩٦ هـ، صريةه) : إ

كأن مكاكم الحواء غدية صبحن سلافا من رحيق مفلفل

 <sup>( )</sup> ولكن الشرح المثبت في هامش الديران ( ص ٢٠٠ ) ضر القنديد هنا بالحمر ، فقيه و القسيد
 مثل الإسفنط » , وهذا في رأن التفسير الصحيح .

<sup>(ُ</sup>مْ ) يقول فرنكل (سُ ١٩٢) إن نسبة هذا المني (الورس) الى النشيد خطأ . وقديما قال ابن سيه (ج ١١ ، ص ٨١) : ورتيل افتنديد البلد من الورس ، وليس معروف ،

والخلاصة :

ر (١) القند (والقندة) و صل قصب السكر إذا جمد ، معرب كَتُنْد وسكر ، في الفارسية . والقنديد في هذا المعنى محمول على القند ..

(٢) القندد والقنديد و الحال ، معرب conditio اللاتينية التي تدل على
 المعنى نقسه .

(٣) القنديد ( خر مطيبة ( معرب conditum اللاتينية التي تدل أيضا على هذا المعنى . وقد نشأت عن الكلمة اللاتينية أيضا قونديطون في العبرية المتأخرة والأرامية المهودية والسريانية .

وسائر المعاني المنسوية إلى القنديد ليست ثابتة ."

## ٥٩ - كأميخ (معرب)

يقول الجوهرى: [الكامخ (١): الذي يؤتدم به ، معرب ، (٢).

<sup>(1)</sup> فى التاج : «والكامخ كهاجر (أى بقتح المم) ، ويكسر أيضا كا فى المصباح ، واللتخ أثير وأكثر . . وجرى على قول المصباح الحريرى فى قوله : وأما الأديب فعتر له : من الأدب القرص والكامخ » ( القرص على وزن قفل كالقرصة على وزن بردة : الخيزة ) . وانظر آغر الحامثى النبائل . ويحسر الكامخ على كوامخ ( المصباح والمفرب) .

<sup>(</sup> ۲) نجد هذه الدراز بصمها فی آلدرب البحوالین (ط لیزج ، ص ۱۶۳ هـ ط القاهر ، می ۱۶۳ مر ۲۹۳). رق السان : و نوع من الأدم مدرب » . و توسع النبیوی فقال: و معرب » و هو مایز قدم به ، و خطه به ، يقال له المری ( يم مضمومة و راء مشددة محسورة و ياه مشددة ) ، و يقال هو الردی، منه » . و خطه قول المطرزی فی المغرب ( ج ۲ ، ص ۱ ۱۹۳) : و تعريب کامه ، و هو الردی، من المری » . و فی شفاه التعلیل السفاجي ( ص ۱۹۳ آخر سطر س ۱۹۹ ) » و همای ( السواب : مخلل » عفاه معجمة ) يشهي المعام من دقيق و ملح و لين ينشخه معجمة ) يشهي المعام من دقيق و ملح و لين ينشخه فی المعمس ميطرح عليه الأبازير » . ( الأبازير : التوابل ) .

وقد ورد المرى والكالمخ معا في بيت لأن الغوث أنشاء الجوهري ( مادة مرر ) :

وأم مثولى الباطبية ... وعُدما الله المتعلقة ... وعُدما المري. والكَامخ. ( أمرأة لباعبة بشم اللام وتشديد الياء المكسور ما قبلها : طويلة عظيمة الحسم ) . . .

<sup>:</sup> واللبيت بتقوله أيضاً في اللمواد والتباجي ، ويخونني اللبسان (( ط يوالان) مقدينوطاً إلهم بالكمر . (الظر الهامن السابق) .

قلت: أصله فارسى هو كامه (۱) ، كما يقول الخفاجى والمطردى (انظر الهامش السابق). ومدلول الكلمة القارسية هو ، كما يقول فولرز (ج ۲ ، ص ٧٨٣ ب) ، لبن يُخلى مع الشَّرْش oxygala ، وهو إدام مشهور يجبه أهل إصفهان ، (۲).

والكلمة الفارسية هي أيضا أصل kāmak (كامتخ) في عبرية المشنا وله وهو مرق قد يصنع من اللبن ويضاف إليه نبات الشبَّث. أنظر لبيق (٢) ، ج٢، ص ٤٤٤ (٢٠، ، وتعليق فلايشر عليه (ص ٤٥٢ ب) ، ولو ق في مقاله Lexikalische Miszellen ، بمجلة ZX ، الجد ٢٧ (١٩٠٩) ، ص ٨ - ٨١ . وفي السريانية ، عن الفارسية أيضا ، هما كامينان ، ص ٢٨ - ٢٥١ ، ص

ويرجح فرنكل ( ص ٢٨٨ ) انتقال الكلمة إلى العربية بوساطة الأرامية ، لا من القارسية مباشرة .

# ١٠ - أنبي ( معرب )

يقول ابن دريد في الجمهرة (ج # ، ص ٥٠٢ ، العمود الأول ، س ١٠٢ وما بعدها ) : دوالنمي بالرومية الفلس , قال الشاعر <sup>(13)</sup> أوس بن حجر ; وقارفت وهي لم تجرب وباع لها من الفصافص بالنمي سفسير ُ

قارفت : قاربت أن تجرب : وباع لها : اشترى لها . والفصافعي : واحقط فصفص ، وهو القت الرطب . والني : فلوس رصاص كانت تتخذ أيام ملك بني المنذر يتعاملون بها . والسفسير : الفيع أو الخاهم أو الرسوك ٤ (٥٠ .

<sup>(</sup>١) لا غرو إذن أن يبض الأعراب لإيهرف الكلمخ ،ه وغلن الكلمة من كهة البحر بدأحه إذا أعرب رتبة المجل إذا أعرب المن دريد في الجمهرة ( - 7 - ص ١٠٤٠ ، التسود الثانى) و أن أعرابيا قدم إليه خبر وكانخ فلم يعرب ، فقيل له هذا كالنخ ، فقال قد جلمت ولكن أيكم كخ يد ...

<sup>. (</sup>٣) انظر أيضًا ثنيانيجاديو ، صو ١٠٠٩ ب . (٣) يلاحظ لبش الة الكلفة لم يعرفها فها يبدر إلا مهود بابل (لا يهود فلسطين) ـ وماأقوب بابل إله فارس ، الموطن الأصل الكلمة .

<sup>. (</sup>بقر) يصف المقدّ (بالحبيرة ع: ٣٠ - ٣٠ - ٣٠ و سرر غ ١٤٠ غ، الهموج الثاق ؟ ... ( ه ) انظر كلامنا من السفمير والقصافس واللهجيزة واطبأ الحققة (الكليقام ١٩٥٦ - ١٩٥١).

. ويقول ابن دريد في الجمهرة أيضا (ج 1 ، ص ١٥٥ ، العمود الأول) : « والني فلوس من رصاص كانت تستعمل في الحيرة أيام ملك بني المنذر » ..

ويقول في موضع ثالث (ج ٣ ، ص ٣٧٤ ، العمود الثانى) : « والنمي ويقال النمي بالفيم والكسر فلوس (١) كانت تتخذ بالحيرة في أيام ملك بني نصر بن المنذر ٢. هذه مواضع ثلاثة النمي في الحمهرة ، وقد نقلها الجوائيق بجملة في المعرب (ط ليبزج ، ص ١٤٤ – ١٤٥ = ط القاهرة ، ص ٣٣٠) ؛ ومضمونها أن النمي فلوس من رصاص (٢) كانوا يتعاملون بها في الحيرة أيام ملك المناذرة ، وأنها في ومية الأصل (٢) .

قما هو هذا الأصل الرومي ؟ هو ، كما قال الأب أنستاس مارى الكرملي (النقود العربية وعلم النيات ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ١٦١) ، الكلمة الا تينية (سسسسه ، ويراد بها (١) القطعة من العملة إطلاقا ، (٢) وعملة فضية رومانية تسمى أيضا sestertius) ، وكانت حتى عهد الإمبراطور أرغسطس تساوى بنسين وم / بنس (بالعملة الإنجليرية) أو أربع سنتات و ، / سنت (بالعملة الأمريكية)، ثم قلت قيمتها بعد ذلك بنحوالشُّمْن ، (٣) و (مجازا) قطعة النقد الصغيرة ، والنمن البخ .

<sup>(</sup>١) نص الصحاح والقاموسُ و السانُ على ضم النونُ .

وواحدة النبى نمية (الصحاح والقاموس) ، والجمع نمامى (مثل كرامى) (القاموس) . ولى النهاية لابن الأثير (ج ؛ ، ص ١٧٨) : «وفى حديث ابن عبد العزيز أنه طلب من امرأته نمية (أو نمامى) ليشترى به عبدا فلم يجدها » .

<sup>(</sup> y ) قال أبر صيد : هو الدرهم الذي فيه رصاص أو تحاس ( الصحاح ) . وكذلك في القاموس : و الفلوس أو الدراهم التي فيها رصاص أو تحاس z .

 <sup>(</sup>٣) نسبها أيضا إلى أصل روى الحوهرى والفعرو زايادى وابن منظور والحفاجى ( ص ٣٢٦).
 رق مصبح مقاييس اللغة لابن فارس ( - ٥ ، م ، ص ٩٥٩) : « وقولم الفلس نمى ليس عربيا » .

وقد شمط الزيختري في الفائق (ج ۲ ، ص ۲۹۲ أسفل-۲۹۳) حين جمل النحى في هذا المعنى عربيا فقال «سمي يذك لأنه من جوهر الأرض، وهو الصفر أو النحاص أو الرصاص، يقال لجوهرالرجل بميه · وقيل لجوهر الرجل نميه لأنه يتم عليه في أفعاله ومخاتله . وروى بعضهم عن أنى زيد أنها كلمة رومية a .

صحيح أن النمى بمنى الجوهر عرق من مادة نم ، ومثله النمى في هما جا نمى، أى مامها أحده كأنهم ريدون ذر حركة تدل عليه ، و ( ابن فارس ، الموضع المذكور ) ؛ ولكن أبن النمى بمنى الفلوس من مادة نم؟ ويؤخط من كلام الرخشرى أن أبا زيد القرقى قال إن الكلمة وومية . وأبو زيد ( المتوفى عام ١٥٠٥) متخلم بقرن كالمل طل إن دوية ( المتوفى فام ١٣٧ه هـ ) .

## إشارات مختصرة إلى بعض المراجع

ابن سيده : المحممص ، ١٧ جزءاً ، القاهرة ١٣١٩ – ١٣٢١ هـ. الأخطل : الديوان ، للمره الأب أنطون صالحاني اليسومي ، يعروت ١٨٩١

ير بالرل: Bar Bahlûl, lexicon syriacum, ed. R. Duval ; Paris 1890---1901

ر. اوت تهذیب الألفاظ : لاین السکیت مع شرح التبریزی ، نشره لویس شیخو ، بعروت ۱۸۹۵

بانثر، : Babli and Yerushalmi, and the Midrashic Literature, New York-Berlin-London 1926,

Geyer (R.) Zwei Gedichte von al-A' $\sharp$ a, hrsg., übers. u. erläutert : باير von ... ; Wien, 1905.

جرير : الديوان ، ط عبد الله الصاوى ، القاهرة ١٩٣٤

الموارزي : انظر مفاتيح العلوم .

Dalman (G.), Aramäisch-Neuhebräisches Handwörterbuch; : outs Göttingen, 1931.

صط اللاكل : الوزير أبي عبيد البكوى الأونهي ، نشره عبد العزيز الميمني ، لحنة التأليف والدجمة والشير ، جزءان ، القاهرة ١٩٣٣

نارز : Vollers (K.), Beiträge zur Kenntniss der lebenden arabischen Sprache in Aegypten II ; ZDMG, vol. 50 (1896), p. 607—757.

فرن سردن: انظر قاموس فون سودن .

Soden (W. von), Akkadisches Handwörterbuch ; : قاموس فون سودن : Wiesbaden, 1959---.

Lokotsch (K), Etymologisches Wörterbuch der europäi. د اوکوئن : schen (germanishen, romanischen und slavischen) Wörter orientalischen Ursprungs ; Heidelberg, 1927.

Levy (J.), Chaldäisches Wörterbuch über die Targumim : (۱) الأول (۱) und einen grossen Teil des rabbinischen Schrifttums; 2 vols, Leipzig, 1867—1868.

لَىٰ ( ) , Neuhebräisches und chaldäisches Wörterbuch ( ) أَنْ ( ) ; iber die Talmudim und Midrashim ; 4 vols, Leipzig, 1876—1889.

مسند ابن حنبل : ط المطيعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٣ هـ ، سنة أجزاء .

المان لياتوت: طاقمتناك ، برأبر أبرتراء (ليربر G. van Vloten بناتي العلوم المنوارزي : طائل ناورزي المرازي المر

# نشأة النحو عند السريان وتاريخ نحاتهم الدتنورة زاكيه محمد رشدي

إن أصحاب لفة ما ، لا يحاولون التفكير فى وضع قواعد لضبطها ما دام لسانهم صحيحاً . ولا يفسد اللسان إلا إذا تأثر أهله برطانة أجنبية وتفرقت ذاكرتهم بين لفتين .

ظالسريان قد احتكوا باليونان منذ القدمواختلطوا بهم محكم الجوار حينا ومحكم خضوعهم لسلطان اليونان أحياناً . وكان لا بد لأشراف السريان من دراسة اللغة المونانية لبسهل عليهم التعامل مع اليونان من جهة ولأنها كانت لفة السادة الحاكي من جهة أخرى . ولهذا علم الإشراف أبناءهم اللسان اليوناني إلى جانب السرياني ، عبد ذلك واضحاً في كتابة ذلك المؤلف المجهول لتاريخ ربولا أسقف الرها (المعوف سنة ٣٥٤) • دو وحل 1/ وور حصورا ومت داراً أحو، دو حدام والمنازية ومتوالية المونانية إلى السريانية ووتارا عالم على السريانية الله المنازية الله الله المنازية المنازية الله الله المنازية المنازية المن

واتصل السريان بالفرس كذلك خلال هذه الحروب الطويلة التي وقعت بين اليونان والفرس والتي كانت بلادهم مسرحاً لأهوالها والتي كانت تنتهي بوقوع أجزاء من بلادهم في أيدى الفرس ورجوعهم إلى اليونان مرة أخرى كما اتصل المساطرة بالفرس حين تأم النزاع بين النصاري في أواخر القرن الخامس وترتب عليه انقسامهم إلى فرقتين . شرقيون وغريون ، ولجأ الشرقيون منهم هم زعيمهم نهطوريوس إلى بلاد القوس .

وأخيراً انصل المريان بالعرب عندما دخل العرب بلادم فاتحين في أو اخر القرن النباج وكد كالشلغة العربية على لفتها في أخذيت تجل علها كافة التخاطب ولويداً رؤيداً. أثرت كل هذه اللفات على ألسنة السريان فاضطر العلماء إلى وضع قواعد لضبط اللمة فلجأوا فى بادئ الأمر إلى النحو اليو نائي يقلدونه ويحاكونه . فلما دخل العرب بلادهم ووجدوا أن اللفة العربية أقرب إلى لفتهم من اليونانية قلدوا النحو العربى عند تأليفهم فى النحو .

ويعتبر يوسف الأهوازي أستاذ مدرسة نصيبين المتوفى سنة ٨٠٠ أقدم مؤلف عُرف عُرف النحو وإليه ينسب ابتداع النقط التعريفية التي تعرق بين الكلمات المتشامة خطا والمختلفة معنى ، والنساطرة ينسبون إليه ترجته لكتاب نحوى يونانى اسمه الصناعة التحوية لـ Dionyisios Thorax وهو من أهم الكتب اليونانية التي ترجت إلى السريانية . وقد نشر Merx النص السرياني مع ترجمة لانينية في grammaticae apud Syros, Leipzig, 1889.

وأقدم نحاة اليماقية في القرن السادس هو أخو ذمه (أخو أمه ) الذي كان أسقفا علي تكريت وعلى المشرق المتوفى سنة ٥٧٥ . وقد ضاع كتابه في النحو ولكن يمكن الحكم عليه من قطعة نقلها برزغي في كتابه ، يظهر منها بجلاء أنه كان يتنبح قواعد النحو اليوناني .

وفى القرن السابع يظهر بمن اشتفاوا بعل التحو Rabban Sabhroy الذي أسس مدرسة في Reit-Shehak بالقرب من نصيبين كان يديرها مع ابنيه Ramiso بالقرب من نصيبين كان يديرها مع ابنيه Gabriel الرهبان بدير مارمتي . وإليه ينسب ابتداع نقط الإعجام في السريانية ، والصوائد (الحركات) وينسب إليه أيضاً كتاب في التشكيل وبعض بحوث في الماسورة .

وفى أواخر القرن السابع واجداء القرن الثامين ألفت عدة مقالات في النحو وكذلك بعض أبيات منظومة في الحروف السريانية .

ومن بين الذين ألفوا فى النحو فى هذه الفترة يعقوب الرَّهَاوَئَى الذَّى وَلَمُا خُوالَى رسنة الله ١٩٨٨ وتوفى سنة ١٩٧٨ ويغدينى أوناه من وضع تجوا رثماملا وقواجد للفة السَّرُوانِيَّة يَعِمِل عِلمَا فى تُرَّاكِبِ الكلامَ تَحْتَ عَنُوانَ ﴿ يُكَوْتِونِ الْعَمْوِيلَا مَعْجَ لَمُوا رزكان مبنياً على النجو البوظي، وقد ظل كتابه مرجما زمنا طويلا في سوريا . وقد ضاع هذا الكتاب ولم يصل إلينا منه إلا مقطوعات في مكتبة Bodleienie في الكسفورد وفي المتحف البريطاني بلندن وقد نشر W. Wright المجموطة في لبندن تحت رقم ١٦٧٧ > ١٦٩٥ فهرسه من صفحة ١٦٧٨ – ١٦٧٨ ثم أعاد نشرها مع الأجزاء المحفوظة في أكسفورد تحت عنوان W. Wright, Fragments شرها مع الأجزاء المحفوظة في أكسفورد تحت عنوان of Syriac Grammar by Jacob of Edessa, London, 1871

كما نشرها Mex ف كتابه تاريخ الصناعة التحوية صγγ من المراجع السريانية. وقد اقتطف ابن العبرى في نحوه منه .

وأولى القطع التي نشرها Wright رسالة إلى بولس الأنطاكي يذكر فيها أنه يمكن وضع قواعد للاملاء السريائي بمماعدة صوائت إضافية تقوم مقام الجركات التقصة في الأبحدية واقترح لذلك سبعة حروف يونانية ولكن المؤلفين اليعاقبة الذين جادوا بعده لم يستعملوا إلا خسة منها وهي المعروفة في الحركات اليعقوبية حتى اليوم . أما النساطرة بطبتعملوا سبع حركات أدوها بواسطة نقط بسيطة لا تزيد على الثنين . ولكنها لم تظهر إلا في النصف الثاني من القرن التامن ، وكانت هذه الرسالة قد نشرت قبل ذلك نشرها Rhillips عمت عنوان:

A letter by mar Jacob; b. of Edessa on syriac orthography; also a tract by the same authar, and a discourse by Gregory bar Hebraeus on syriac accents new ed, in the original syriac from mss. in the Brit. Mus. with an engl. transl, and notes, London, 1869.

وقد ذكر عبد ينسوع في تأثمة النحويين الذين مأشوا في القرن الثامن يوختا للإثنارين الناسك العمودي من بلدة قرب حلب المتوفي سنة ٧٣٨ . وكان معاصراً ليعقوب الرهاوي وينسب اليه كتاب صغير في النحو ذكره الصنوباري. وقد زُوي ويوسنا يرزغي قطمة تمنة في كتابات

التامن كتاباً في النصو بقيت لنا أجزاء منه في المخطوطة رقم له في المكتب الهندي التامن كتاباً في التحت الهندي المندي المندن وقد نشركا Proceedings of the American Or. Society, المندن وقد نشركا May. 1891.

ومن مؤلمق القرن التاسع يشموع دناج المتوفى سنة ۱۸۲۳ وأبو زيد حنين ان اسحق المتوفى سنة ۱۸۲۳ وأبو زيد حنين ان اسحق المتوفى سنة ۱۸۷۳ ولا كتاب قسه لم يصلنا . ولكن الكتاب قسه لم يصلنا .

وكادت جميع المصادر تتفق على خلو القرن العاشر من التحاة لولا ما ذكر. عبد يشوع فى فهرسه من أن أندريه قد ألف كتاب الترقيم .

أما إلياس من شينايا المعروف بالصوباوى فكان من تحويي القرن الحادى عشر ولد في ١٠ / ٧ / ٩٥ وتوفى حوالى سنة ١٠٠٩ . ألف كتابا في النحو لدينا منه عدة مخطوطات محفوظة في مكاتب روما وفلورنسا والمدن وكبردج وبرلين . وكثيرة معلمة المحتاب من شهرة في سوريا وقد تشره و المحتاب من شهرة في سوريا Gotheil, Atreatise on Syriac Gramm, by Mar Bliss of Sob (h)as . 1887.

و عين إلياس الطيرهاني بطرقا للنساطرة سنة ١٠٧٨ و توفي سنة ١٠٤٨. و كارب أول من أدخل الطريقة العربية في النحو السرياني في كتابه . كوزو و طحلاً صحمه : سال ولكنه لم يستطم الملاءمة بينهما فاء كتابه مشوها غير واني . وله رسالة في اللهجات اقتطف منها برزغي في نحوه الكبير . Baethgen, Syrische Grammatik كتاب الطيرهاني . des Mar Elias von Tirham, Leipzig 1880.

ذاذا انتقلنا إلى القرنين التابى عشر والتالمت عشر لقينا أولا اثنين من النحاة عاشا في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وأدركما مطلع القرن الثالث عشر : ﴿

أبرنم : يوسف برملكين الذي كان في أولي حياته أسقفا في ماردين ثم أسقفا في نصيبين سنة ١٩٠٠ حينا تسمى بلسم يتسوع يقف وقد ألمف رسالة في التحو كانت تستعمل في ذلك العهد في الكتابة السريانية للإحظة الحركات والمفارج والترقيم وهو منظومة على وزن الاثني عشر مقطماً ، وكان سهل الاستعال لأن التلاميذ كانوا يستظهرونه وله نسخة خطية في الفاتيكان يرقم ١٩٩٤ وأخرى بالمتحف المديها في كتابه ترقم ٢٥٨٧ م وقد حلل يتعمل هذا الكتاب ونشر مقتطفات منه في كتابه تاريخ الصناعة التحوية ص ١٩١

وثانيهما وهو الأهم يوحنا بن زغي الراهب والطبيب النسطورى وله كتابان النحو . جمع فى كتابه الكبير مقتطفات من مؤلفات من سبقوه وشذرات من المنحق اليوناني مأخوذة من شروح سويروس سبقط وربّن دنما ، و كتابه المبغير منظوم على وزن المقاطع السبعة وهو مختصر جعله للطلاب المبتدئين . وقد قدر السريان هذين المؤلفين تقديرا عظها . . وقد حلل Merx هذين الكتابين في كتابه بالريخ الفيناعة النحوية ، ونشر الأب Martin جزءاً من الكتاب الكبير عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٢٥٨٧٩ . محطوطة القاتيكان رقم ٤٥٠٤ تمت عنوان Bar Zu'bi traité sur l'accentuation chez les Syriens orienteaux, Paris, 1877.

ثم جاء بعدهما يعقوب برشقاقو التكريتى الذى تسمى باسم ساوير البرطلي عندما أصبح أسقفا وهو تلميذ ابن زغبي درس عليه النحو فى أبرشية ببث كوكا فى حَذيَّب وتوفى سنة ١٧٤١ وانتقات مخطوطاته العديدة بعد وفاته إلى مكتبة حاكم الموصل ، وله رسالة هامة فى النحو ، نسج فى تأليفها على نظام يعقوب الرهاوى . وقد نشرها Merx فى كتابه تاريخ الصناعة النحوية عن مخطوطات أكسفورد رقم ١٩٩٠ مؤرخ بسنة ١٥٩٤ ، وجوتنجه رقم ١٨ ، وبرلين رقم ٣٣١ ولندن رقم Add . ۲۱٤٥٤ . القسم الأول قديم والثاني علقه يخطه البطريرك بيلاطس عن نسخة نحط ابن العبرى وقد نشر الأب Martin عدة قطع منه في المجلة الآسيوية عدد إبريل ـ مايو ١٨٧٧ ، وكذلك نشر يوليوس روسكا والحورى إسحق أرمله قطعا منه . وقد اعتمد في كتابه هذا المسمى الديالوج: المنثور والمنظوم، على مجموعة من كتب فلاسفة اليونان وأساتذة المدارس السريانية ، ولكنه لم يتبع مذهب أستاذه برزغبي ولم يشر إلى إسمه مطلقاً ، وقد وضعه على نظام الأسئلة والأجوبة . اقترحها عليه الراهب عيمي وهو أحسن مصنفاته . وضعه في ست مقالات ويشتمل على : النحو ، والفصاحة ، والبيان ، والشعر ، واللغة ، والمنطق ، والفلسفة . ويقع · في مجلدين وزهاء ثما نما نَه صفحة. وألحق المقالة الأولى بجزء نظم فيه النحو نظم محكما على:وزن الاثنى عشر مقطعا وجعل عنوانه ( المساوقة ) رد فيه على حنين بن إسجق ويشوع بَبُّ برملكون مطران نساطرة نصيبين ، وأثبت فيه ألفاظا أضاجها السريانية إمالا وحفظتها العربية . ولهذا الكتاب نسخ أخرى غير التي اعتمد عليها Mess عَمُوطُة فِي يُوسِمِلنَ رقم وه مه ويَشْتِيلَ عَلَىٰ الْفِصِئَاحِةِ وَالشَّمَرُ وَاللَّهُ ٤ عَلَىٰ

برمنجهام رقم ۳۷۱ ويشتمل على أربع مقالات من المجلد الأول، وفى دير الزعفران رقم ١٠٥٠ ويشتمل على المجلد الأول ، وفى القدس رقم ۲۲۳ ويشتمل على النحو المنظوم والحملد الثانى وفى أنطاكية وتشتمل على المجلدين وتاريخها ١٩١٠ ، وفى ديار بكر وتشتمل على المقالة الرابعة والمجلد الثانى .

ويعتبر القرن الثالث عشر آخر مراحلالتأليف في السريانية وكان عامراً بالكتب التي ألفت فيه ، فقد أنجب هذا القرن شيخ كتاب السريان وهو أبو الفرج جریجوریوس المعروف باین العبری ، ولد سنة ۱۲۲۹ وتوفی سنة ۱۲۸۹ وکتب فى جميع نواحى الأدب السرياني كتابات تشهد له بالذكاء النادر والمقدرة العظيمة . كتب في النحو كما كتب في غيره من الفنون ، وكتابته في النحو تدل على مقدرته على البسط والنقد كما هو شأنه في جميع كتبه ، وقد نهج على منوال العرب في كثير من الفطنة والذكاء نماغ يتهيأ لالياس الطيرهاني، وكتابه الكبير مدح إ و ظمل أى كتاب الأشعة أو كتاب اللمع هو أوفى مؤلف فى النحو نجد فيه شرحا لخصائص اللهجتين السريانيتين : الشرقية والغربية، وملاحظات لغوية عن الماسورة اليعقوبية والتسطورية ، وكذلك المحارج الدقيقة التي اجدعها النحويون للتمييز بين الصيغ للتمايهة في الأسماء والأفعال، وأدخل فيها طرةا من أبواب النحو العربي وقسمة أربعة أبواب : الاسم ، والفعل ، والحرف ، والمشترك ، وله عدد من المخطوطات أقدمها فى فلورنسا رقم ٢٠٨ مؤرخ يسنة ١٢٩٧ م . ودير الزعفوان ومؤرخ بسنة ۱۲۹۸ ، ولندن رقم Or. - ۲۳۳۳ وهو بخط الشاس نيسان النسطوري وتاريخه ١٣٣٣م ، ونيوجرسي بخط الراهب نجم وتاريخه ٢٧ إيار سنة ١٣٣٩ م، والقدس رقم ١٠٨٠ يتاريخ ٢٤٧٧ ، وأكسفورد رقم ١ وكان الفراغ منه سنة ١٤٩١ م وبوسطن ومؤرخ بسنة ١٥٤٨ ، وأنطاكية وخطها بديع ولكنها غير مؤرخة ويمكن إرجاعها إلى حوالى سنة ٥٥٥٠ ، ومخطوطة الفاتيكان السريانية رقم ١٣٢٪، ومخطوطة السمعانى رقم ٥٥٩ فى مكتبة الفاتيكان وتاريخها تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ يونائية ﴿ أَى ١٦٣٧ مَ ﴾ ومخطوطة بورجيا رقم ١٤٩ بمكتبة الفاتيكان مؤرخة بسنة ٢٠١٧ يونانية ( أي) ١٧٠ م) , وفي ملحق فهرس المخطوطات الشرقية بمكتبة الغاتيكان بجلة تجمت مخطَّوطاتِ الظَّدَاسَ السريانية مخطّوطة تحت رقم 70٪ ويشتمل القيم السادمن منها على جزء من كتاب النحو الكبير لابن العبرى وقد اتبع النص حتى بداية القصل الثاث من الكتاب الأول بترجمة كرشونية صفحة بصفحة وتنهى هذه المفطوطة عند الفصل الراج من الكتاب الثانى ومخطوطتين فى مكتبة كلية ترينيتى بدبلن (تاريخ الأولى ٢٤ كانون الأولى ١٢٩٨ م، وتاريخ النائية ٢٤ ديسمبر سنة ١٢٩٨ م، وتاريخ الثانية ٢٤ ديريران ١٨٩٨ م، ونانية حـ ٤ يونيو سنة ١٥٧٨ م).

وقد نشره الأب Martin هو وكتاب الجراماطيق المنظوم ـــ وسيأتى ذكره بعد ــ نشرها تحت عنوان :

Martin Ocuvres grammaticales d'Aboul Faradj dit Barhebracus, Paris, 1872.

Buch في الكبير الكبير Axel Mobers نشر Axel Mobers بنشر الكبير الكبير der Strahlen, die größere Grammatik der Barhebraus Ubersetzung nach einem kritisch Berichigen Texte mit text kritischen Appart und einem AnFang. Zur Terminologie, Leipzig, I. 1907 II. Band 1913.

ثم عاد سنة ۱۹۲۷ فنشر النص السرياني مع مقدمة وملاحظات تحت علوان Axel Moberg, Le Livre des splendeurs, la grande grammaire de Grégoire Barhebraeus, Lund, 1922.

ولابن العبرى كتاب صغير في النحو د كم حل و من هاكسف نظمه في الرجوزة على البحر السباعي علق عليه في الهو امش السريانية ما لم يتسع له النظم و ألحق به رائسالة عن الكامات المتشامة في الرسم مع الشرح . وقد نشره Bertheau, Gregorii Barhebraei qui est Abulfarag بغير الرسالة والشرح ، تحت عنوان grammatica linguae syriacae in metro Ephraemo.

ونشره الأب martin مع الرسالة الكبيرة كما ذكرنا .

وقد ترك ابن العبرى رسالة صغيرة فى النحو قبل أن ينتهى من تأليفها محت عوان حكم حا وحكيم و م كم كتاب الشرد .

وتعتبر نهاية القرن الثالث عشر نهاية للأدب السرياني عند المستشرقين ، ولكن هيت رسالة صغيرة في الروابط السريانية مشتقة من كتاب ديونسيوس الترقى Denys de Thatee لا يعرف مؤلفها وقد نشرها M. Jottheil في العدد الرابع من خطة M. Jottheil عن مخطوط في برلين عجوعة Sachau 306, I عن مخطوط في برلين عجوعة Sachau 306, I عن مخطوط في برلين عجوعة البريطاني بلندن ، ومن الصحب محديد تاريخ تأليفها ، ، ومع ذلك فانه يمكن إرجاع تاريخ مخطوط المتحف البريطاني إلى القرن التاسع أو العاشر .

وليس معنى اعتبار المستشرقين أن الأدب السرياني ينتهى مع القرن النالت عشر أن هذا الأدب قد توقف عن الصدور نهائياً ، ولكن الواقع أنه هزل وأن أنفاسه بقيت تتردد بين الحين والحين في صدور أصحابه ، في يسر حيناً وفي مشقة أحياناً وكان النحو من بين فنون هذا الأدب التي صدرت عن السريان في هذه الفترة فمن بين من كتبوا في النحو

نجد فى القرن الرابع عشر البطرق أغناطيوس بن دهيب المارديني مولداً ، الكورنق الطور عبديني أصلا ، ترهب وقرأ العلم فى دير مار حنانيا سنة ١٧٨٥ ثم نصب يطرقاً لماردين ١٢٥٣ ، وله كتيب فى النحو وضعه عام ١٣٠٤ بعللب يوسف الراهب الكلثي جعل عنوانه «كتاب المواد » فسر فيه حروف الأبجدية السريانية ، ونهذة فى الحروف الستةالتي يقع عليها الرسكاخ والقوشائ أى التنفيخية والإنفلاقية .

ومنهم الراهب دانيال المارديني ولد بماردين سنة ١٣٢٧ وترهب في دير الفطرة ، ودرس اللغة السريانية ثم رحل إلى مصر في طلب العلم عام ١٣٨٦ وتوفى عام ١٣٨٢ ويدكرون أنه وضع مختصراً لكتاب الأشعة لا تن العبرى ولكنه ضاع قبل أن يصل إلى أبدينا .

فلما كان القرن السادس عشر بنل الآباء المارونيون مجهوداً كبيراً فى إحياء هذه اللغة واشتغل جماعة منهم بوضع كتب فى النصو .

نجد منهم فى نهاية القرن الساديس عشر والقرن السابع عشر سوجيوس الرزى الذى درس فى مدرسة روماً ونسك فى حبس قزحياً سنة ١٩٩٦ وجعل أسقفا على دمشق سنة ١٦٠٠ وتوفى فى روماً سنة ١٦٣٨ ، وله كتاب فى النحو مشروح باللاتينية فى مكتبة الدنس برباريق بروماً تحته رقم و١٩٣٨.

وَمَهُم جِونَ حِيوس مِنْ عَهِمْ الْأَمْدِنَا فِي الْمَعِيقَ شَبَةً ١١٤٤ ، فريوسف إن صليب

الغاقورى المتوفى سنة ١٦٤٧ أو ١٦٤٨ ، وإسحق الشدراوى المتوفى سنة ١٦٦٣ ، وابراهيم الحاقلاتي المتوفى سنة ١٦٦٨ .

ومنهم فى القرن الثامن عشر إسحق عازار بطرق إنطاكية المتوفى سنة ١٧٧٤ ألف وهو مفريان المشرق قبل سنة ١٦٩٩ كتيباً فى الصرف السريانى والاشتقاق فى خسة عشر فصلا وله مخطوطات فى الموصل وبرمنجهام رقم ٢٣٨ وتاريخها سنة ١٧٢٢

ومنهم قورلس رزق الله ، ابن الخورى متى الموصلى ، أسقف الموصل المتوفى سنة ١٧٧٢ وله كتيب مختصر فى الصرف بقيت لنا منه ثلاث نسخ فى الموصل ، وباريس . وبرايس . ومنهم كذلك بطرس التولاوى المتوفى سنة ١٧٤٠ . ويوسف بن سمعان السمعانى المتوفى سنة ١٧٦٨ .

ومنهم أيضاً الخورى يعقوب القطربلي المتوفى سنة ١٧٨٣ ، وله كتاب في صرف اللغة السريانية ونجوها جعل عنوانه (زهرة المارف) قسمه إلى ٢٣ بابا في ١٧٣ فضلا تقع في ٣٧٨ بابا في ١٧٣ فضلا تقع في ٣٨٨ مؤرخة ونسخته بحطه محفوظة في ديار بكر وله نسخة في برمنجام رقم ١١٣ مؤرخة بسنة ١٧٧٥ ثم اختصره هو أو بعض هعاصريه ، وله عدد من الخطوطات في برليل رقم ١٧٧٥ ، وأنطاكية .

و تمن كتبوا فى الفرن الماضى وأدرك بعضهم القرن الحاضر جبراكيل القرداحى وله عدد من الكتب أولها الإحكام فى صرف السريانية وتحوها وشعرها طبع فى روما سنة ١٨٨٠ وثانيها المناهج فى النحو والمبانى عند السريان طبع فى روما سنة ١٩٠٣ . وثالثها إحكام الإحكام سنة ١٩٠٦ .

ومنهم إقليمس يوسف داود أسقف دهشق السرياني وله كتاب « اللمعة النشية في نحو اللغة السريانية » بالانتراك مع الرحماني (Aloysis Rahmani) أسقف خلف لحج بالمؤصل سنة ١٨٩٩

ومنهم القس جرجس الرزى الراهب الجلمي اللبنائي وله و الكتاني في صح الله: الآرامية السريانية الكلدانية بيرجيه فهاره شهرها، وطبيم في الديميت الممام ومنهم يعقوب أوجين منا وله كتاب « دليل الراغبين فى لغة الآراميين » طبع بالموصل سنة ١٩٠٠.

ومنهم فى القرن الحاضر يوسف دزيان وله « كتاب الإتقان فى صرف لغة السريان » ، والقس بطرس سابا السريانى العراقي وله مرشد الطلبة السريانيين إلى كتنا لهجتي الغربيين والشرقيين » .

وقد شارك المستشرقون في القرنين الماضى والحاضر بقسط كبير في إحياء الدراسات السامية ، ونال اللغة السريانية قسط كبير من عنايتهم فنشروا الكثير من تراثها القديم في الأدب والنحو ، وألفوا الأسفار الكبيرة في النحو السرياني ووجتجئ عناية عاصة إلى دراسة الأصوات في اللغة السريانيه. ومن مؤلفاتهم في النحو السرياني.

١ -- كتاب Merx فى تاريخ الصناعة النحوية عند السريان وهو كتاب مبسط تناول تاريخ نحاة السريان وتناول مؤلفاتهم بالعرض والتحليل ونشر فيه أجزاه كثيرة من كتب نحاه السريان الأقدمين .

A. Merx, Historia artis grammaticae apud syros, Leipzig, 1889 Abh. fur die Kunde des Morg. IX, 2

R, Duval, Traité de Grammaire Syriaque, Paris, 1881. - y وقد قسم إلى ثلاثة أبواب: الأول عن الكتابة والصوتيات والإملاء وفيه تسمة وعشرون فصلا ، والثاني عن أقسام الكلام وصيغ الكلمات أي المصرف وفيه ثمانية وعشرون فصلا والثالث عن النحو وفيه سبعة وعشرون فصلا وقد صدر الكتاب عبداول حرفية .

Th Nideköe, Kurzgefasste syrische Grammatik Leipzig, 1880. —  $\,\Psi\,$  2nd ed. 1898.

وقد قسم هذا الكتاب أيضاً إلى ثلاثة أبواب: الأول عن الإملاء والصوتيات، والثانى عن أقسام الكلام والصرف وتحدث فيه عن الضائر والأسماء واسم العدد والروابط والقعل ، والباب الثالث عن النحو تحدث فى القسم الأول منه عن المفرد (أى الكلمة المفردة) وتحدث فى القسم الثانى منه عن الجلة فتحدث أولا عن الجلة البسيطة ثم تحدث عن تركيب الجلة أو العبارة. وهو كتاب قيم ولذلك ترجم إلى الانجلائية ترجعة

J. A. Crichton, Compendious Syrfac Grammar, London, 1904,

Eberhard Nestle, Syrische Grammatik mit Literatur, Chrestomathic, —  $\xi$  und Glossar, Berlin, 2 Ausgabe, 1888.

Carl Brockelmann, Syrische Grammatik, mit Paradigmen, Literatur, — o
Chrestomathie und Glossar, Berlin, I Ausgabe, 1899.

II Ausgabe, 1905.

II Ausgabe, 1905. VI Ausgabe, 1951.

T. H. Robinson, Syriac Grammar Oxford 1915 حتاب صغير للمبتدئين \_ - كتاب صغير للمبتدئين

L. Palacios, Grammatica Syriaca ad usum scholasum juxta — y hodiernam rationem linguae tradendi concinnata, vol. I. Phonologia et Morphologia, Romae, 1931.

George Phillips, the Elements of Syriac grammar. - A

 ٩ -- المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية لمحمد عطية الابراشي . القاهرة ١٩٣٥ تم طيع هذه الحبلة بمطبعة جامعة القساهرة في يوم المعبوب الموافق ١٩٦٦ من فبراير سنة ١٩٦٦ مدير المطبعة على علام

away the hard fact that Christian Rome had fallen to the barbarians. Such a spirit must have weakened the will to resistance.

Another weakness of the later Epire was the corruption and extortion which pervaded all ranks of the administrative system. Provincial governorships were regularly sold and for very large sums; and the governors, who had often borrowed the money to buy their posts recouped themselves by various forms of extortion, and by taking bribes in the administration of justice. The lower officials exacted all manners of bakshish; even the tax collectors expected a bakshish for giving a receipt. Christianity, strange to say, contributed to this state of affairs. The church of course inculcated a very high standard of morality, but it was so high that the ordinary man in the course of business could hardly hope to avoid sin. This applied particularly to the government service. A civil servant might have to execute harsh and unjust judgements-and it was no excuse that he acted under his superiors' orders-and was exposed to temptations of extortion and corruption. A governor was subject to the same temptations. and was obliged to order executions-and it was doubted whether a Christian might kill in any circumstances. Christians were therefore discouraged from entering into the imperial service, and good Christians avoided it. It was lax Christians who served the government, they hoped to win salvation by being baptised on their death bed, or at any rate when they had retired and could devote themselves to good works; for baptism washed away all sins. Late baptism was common, indeed normal in the fourth century. Later, when baptism in infancy or youth became customary, there was still one chance, and one only, for salvation. A Christian could perform penance once in his life; and this he generally did late in life, often on his death bed. The public service thus tended to be managed by men who knew that they were undertaking a sinful life, and hoped to wipe out their accumulated sins by baptism or penance.

But if you ask me what was the main cause of the empire's fall I would answer that it was the Germans and Huns, the Persians and the Arabs.

of the decline which are, I think, untrue. It is often stated that the imperial government brought on its own fall by employing so many Germans in its armies and by appointing German generals to command its forces. But the German generals were without exception loyal and able servants of the empire, and there is no evidence that German troops, trained and disciplined by Roman officers, were ever untrustworthy. The policy of entisting Germans was a wise one, since the Germans were fine fighting material, and their recruitment eased the strain on the manpower of the empire. In the East moreover barbarian troops were little used after the accession of Anastasius in 491, and the armies which fought the Persians and Arabs in the sixth and seventh centuries were predominantly Roman citizens.

It has also been stated that discontented racial group were disloyal to the empire and assisted its enemies, that the Donatists supported the Vandals when they invaded Africa, and the Syrians and Egyptians sided with Arab invaders. For this again there is no evidence. All the evidence shows that the Copts regarded the Arab invasion as a calamity, a punishment sent by God upon the empire for the heresy of Heraclius and his persecution of the true believers.

The apathy of the provincials in face of the invasions is, however, notable, and must have contributed to the weakness of the defence. We very rarely hear of popular resistance movements: the population either fied in panic, or passively submitted. This is probably not to be attributed to discontent at Roman rule. It was rather that for very many centuries the civil population had been accustomed to being protected by a professional army, and, for reasons of internal security, had been forbidden to bear arms. The provincials expected the government to protect them, and it did not occur to them to take up arms themselves.

This general apathy was encouraged by Christianity. To a good Christian the things of this world did not matter. Life on earth was only a preparation for the world to come. The barbarian invasions were a tribulation sent by God to test the faith of the Christians and should be endured patiently, not resisted. This was the doctrine whereby Augustine in the «City of God» tried to explain

or more. Rents also supported the far more numerous middle class of decurions, who formed the municipal councils of the 2000 cities of the empire. It was rents of land also which supported the immense body of the clergy, from the great bishops whose stipends ran to 40 pounds of gold a year, to the 485 priests, deacons, subdeacons, readers, singers and doorkeepers who staffed the great Church of Constantinople.

The basic economic weakness of the later Roman empire was the vast number of economically idle mouths, senators, decurions, clergy, civil servants, citizens of Rome and Constantinople, and above all soldiers, who were supported by the peasantry, either by taxes or by rents.

The immediate cause of the fall of the Western Empire was the military defeat of the Roman armies by the invading German tribes. But for two centuries before the final collapse barbarian pressure had imposed on the empire the great economic burden of maintaining a huge army, and had thus been sapping the resources of the empire. The Western Empire fell first because it was strategically more exposed and the main force of the barbarian invasion was directed against the Rhine and Danube. At the same time the economic resources of the Western provinces were less developed, and they were less capable of sustaining a heavy load of taxation. The Eastern Empire, so long as peace was maintained with Persia, was strategically less exposed. Asia Minor, Syria and Egypt were secure, and it was only the Balkan provinces that were subjected to invasion. The Eastern provinces were moreover agriculturally richer and more populous, and could more readily support a high rate of taxation. In the sixth century the situation changed. The Persian kings became aggressive and a long series of Persian wars, extending through the reigns of Anastasius, Justin II, Tiberius, Constantine and Maurice placed a heavy strain on Roman armies in the East and on the finnances of the empire. Disaster followed under Phocas, and the victorious campaigns of Heraciius still funther strained the resources of the empire. It was an economically exhausted empire which faced the attacks of the Arabs.

I would not suggest that exonomic exhaustion was the sole or even the most important cause of the collapse of the empire. There are some alleged causes

It was probably the poverty of the peasantry that prevented the growth of the population. In bad years there were famines, and many peasants died of starvation. Even in good times they had not enough food to rear many children. The death-rate was high from malnutrition, and they had little resistance to disease.

The basic cause both of the desertion of marginal land and of the shortages of agricultural labour seems then to have been the very heavy taxation, levied upon the land. The principal cause for the heavy taxation was the huge military expenditure. In order to protect the frontiers against the increasing pressure of the barbarians, Diocletian had approximately doubled the size of the army. At the end of the fourth century 660,000 men had to be fed, clothed and provided with horses and arms from the product of the taxes.

This may not seem a large number for an empire which stretched from Hadrian's Wall in Britain to Assuan. But in estimating the economic strain one must remember how technologically primitive the Roman empire was. Agriculture was laborious and the crop yields low. Yarn was spun by hand, and textiles woven on hand looms, so that one garment meant many weeks or months of labour. Weapons were beaten out by smiths on forges. All these goods had moreover to be transported to the frontiers, and transport by pack donkey or by camel, or by heavy ox wagons, was slow and laborious. The number of man-hours required to feed, clothe and arm a soldier and to carry his food and clothes and arms to the frontier was very large.

The army was not the only charge on the taxes, it is true. By ancient custom 120, 000 citizens of Rome received a free ration of bread (and pork in season), and Constantine gave a similar privilege to 80,000 citizens of Constantinople. The administration of the empire was carried on by about 35,000 civil servants, whose salaries swelled the budget yet further.

All these were maintained from taxation, which fell almost exclusively on agriculture. The rents of land supported a wealthy aristocracy of senators, owners of yeast estates from which they drew rents of 1500 pounds of gold a year

irrigated, agricultural yield has been improved and industries established. Populations of this type mostly recover very quickly from such disasters as famines or plagues. The set-back is only temporary, and the high birth-rate soon brings the population up to its previous level.

The Roman empire suffered from a great plague in the reign of Marcus Aurelius in the latter part of the second century A. D. and this plague occurred periodically for several generations. There was no other great epidemic until the bubonic plague in Justinian's reign. Yet, so far as we can see, in the intervening three centuries the population remained static, if it did not decline.

The explanation seems to be the increasing burden of taxation on the peasant proprietors, and the constant growth of large estates, with the reduction of free peasants to rent-paying tenants. Under the republic and the principate the normal rate of taxation had been about 1/10 of the crop; by Justinian's day it was about 1/3. The high rate of taxation also continued to the decline of the free peasantry. Even in a bad year the taxes must be paid, and the peasant was forced to borrow, usually at high rates of interest, on the security of his land. Once in the money-lender's hands he found it difficult to recover, and in the end the mortzage was forcelosed or he sold his land.

In Egypt we can roughly measure the decline of the peasants and the growth of great estates. In the early fourth century the census register of Hermopolis indicates that in the territory of that city urban landlords owned about 65,000 arurae. The whole territory must have comprised about 400,000 arurae. This means that villagers, peasant proprieters, must have owned about five-sixths of the land, and landlords one sixth. In the sixth century the estates of one rich family, the Apions, in the territory of Oxyrhynchus comprised 112,000 arurae, out of a total 280,000 arurae. One family owned two fifths of the land, and besides the Apions there were many other wealthy landlords at Oxyrhynchus.

More and more free peasants thus tended to be tenants, and thus become yet peorer than before. As proprieters they paid a third of their produce in tax, as tenants they paid half in rent. desert paid the same as the best wheat lands in Bagradas valley. This being so it is not surprising that the figures for abandoned land in Proconsularis and Byzacena were so enormous.

A second noticeable common weakness was the constant shortage of labour, particularly in agriculture. Here we have no figures at all, but the other evidence is conclusive. When barbarian prisoners were captured, they were given or sold to landlords as agricultural labourers. When at a grave crisis the government ordered a levy of recruits from the lands of senators in Italy, the senate protested, and senators were as a favour allowed to pay 25 solidi per man (more than average price of an unskilled adult slave) rather than give up their tenants. Above all there is the long series of laws ranging from Diocletian to Justin II, tying agricultural tenants to their farms. These laws were welcomed by landlords who were thus able to retain their labour force. At the same time landlords were always willing, despite fines and penalties, to take on runaway tenants from other people's estates.

A labour shortage can arise from two causes, a shortage of the population or an increased demand for manpower. There was an increased demand for manpower when Diocletian doubled the size of the army, and the withdrawa, of 300, 000 men from agriculture must have made a considerable impact on the farming industry. But it argues some more deep-seated weakness that for three centuries the rural population did not adjust itself to the demands made upon it.

From such vital statistics as we possess for the Roman empire, its population was of the same pattern as that of Egypt in the late nineteenth century or India in the early twentieth, both like the empire predominantly peasant countriel with a low standard of living and little medical care. The death-rate was certainly by modern standards very high, and the birth-rate was probably also very high. Such populations tend to adjust themselves to the amount of food available to feed them. In Egypt the population was 6 3/4 millions in 1882, 9 3/4 millions in 1897, 12 3/4 millions in 1917, 14½ millions in 1927, and is now, I believe, almost 30 millions. The population has risen steadily as more land has been

is in part a true explanation, but we hear of landlords abandoning land with slave or free tenants still working it. The shortage of labour seems to have become really acute only after the great bubonic plague of Justinian's reign.

The explanation given by contemporaries was that landlords abandoned some of their land because the taxes upon it were so heavy that no margin of profit was left to them. This explanation is born out by some circumstantial evidence. In a papyrus of the middle of the fourth century A. D. we have the record of a trial. Two sisters had abandoned their land. The local officials had ordered the other villagers to cultivate this land and pay the tax due. To whom did the land and the responsibility for its taxes belong? The lawyer representing the two sisters explains the situation. Their father had cultivated the land himself and had regularly paid his taxes and lived comfortably. When he died his daughters, who had to let the land to tenants, found it did not pay them, and abandoned it. The few figures known for taxation make the claim plausible. Under Justinian the average tax on arable land was 31/2 artabas per arura. The average crop on good land was 10 artabas and in most cases the rent was half the crop. On good land in a good year the landlord made 11/3 artabas per arura, but if he could get only 3 artabas as rent-as was sometimes the case-he was out of pocket.

Deserted land was a landlord's problem. We very rarely hear of peasant proprietors abandoning their holdings, and then only for special reasons, because for instance, neighbouring villages had intercepted their water. It was also a problem of marginal land. Good land paid enough rent to enable the landlord to pay his taxes and make his profit. It was poor land which did not pay and was progressively abandoned as the rate of taxation rose. Much depended to on the accuracy of assessment. In Syria land was very elaborately classified—first class olives, second class olives, vineyards, first, second and third class arable, pasture—and the tax was thus carefully adjusted to the yield of the land. In Egypt a less elaborate assessment was necessary, as all flooded fand was equally fertile, and there were three rates for olives, vines and arable. But in Africa the unit of assessment was the centuria, a measurement of area, and no account was taken of land use on quality, the most marginal land on the fringes of the

to new owners, who were granted immunity from taxes for a few years and lower taxes for a further period. Landowners who had some good land and some deserted land were obliged to pay the taxes on the deserted land from the profits of the good. Deserted lands were compulsorily assigned to neighbouring land-lords, who were made responsible for their taxes. Only in the last resort did the government write off deserted land and abandon its claim for tax.

We possess a few figures which illustrate the scale of the problem. Under Valens (364-379) we learn that of the civic lands of the province of Asia 6736½ iuga were in good condition and 703, about 10% deserted, in bad condition and sterile. In 451 in the Syrian city of Cyrrhus of 15,000 iuga 2,500 iuga, one sixth, were deserted. In the provinces of Proconsularis and Byzacena (the modern Tunisia) the situation was in 422 more alarming. In the former province 5700 centuria of imperial land were deserted and 9002 in good condition, in the latter 7615 were deserted and 7460 in good condition. That is a third of the land had been abandoned in Proconsularis and half in Byzacena.

Various explanations have been offered for this phenomenon. Some have suggested climatic change, for which there is no evidence. Others have argued for the exhaustion of the soil by over-cropping. This no doubt accounts for some cases, and was countered by the government's policy of granting remission of tax to new owners who would rehabilitate the land. But it cannot have been a general phenomenon, since most of the land continued to bear good crops and to provide high rents to its owners. Others again have suggested that the loss was due to denudation. The Mediterranean countries have suffered greatly from this cause since the classical age, and the process was no doubt already under way under the Roman empire. The ancients cut timber recklessly on the mountains, never replanted, and by allowing goats to graze checked natural new growth. The result has been that the soil has been washed from the uplands and perennial streams have become seasonal torrents. But the evidence of the early Arab geographers suggests that when the Arabs invaded Syria and Palestine and North Africa, for many generations later, regions now desert were still flourishing agricultural land. The harm seems to have been done in the Middle Ages. Others again have seen the cause in the shortage of agricultural labour. This To-day we live in an economic age, and we seek for economic explanations. I am not convinced that economic decline is the whole, or even the most important cause of the empire's fall, but let us examine the facts, so far as we can recover them.

First let me say that the decline of trade and industry, if there was such a decline (and this is difficult to prove), played no important role in the empire's fall. Throughout its history the empire was primarily an agricultural economy. and industry and trade contributed little to its wealth. The vast majority of the population were peasants, who tilled the soil to produce the food, the flax and the wool needed to feed and clothe the people of the empire. The peasants grew their own food, and bought their clothes from the village weaver, their tools from the village smith, their pots and pans from the village potter.. Large scale industry and trade dealt only in high grade products of a luxury nature, consumed by the tiny minority of the urban upper and middle classes. The main tax of the empire was the land tax, assessed on agricultural land, on farm animals and on the rural population. From what few figures we possess the land tax seems to have produced about twenty times as much revenue as the tax on craftsmen and merchants. Nearly all private wealth was derived from land. A man might make money by trade though he made much more in the law, in the professions, and above all in the government service-but everyone invested his wealth in land. The richest men in the empire, the senators of Rome, enjoyed incomes of 1500 or even 4000 pounds of gold, derived from their landed estates. The great merchants of Alexandria had a capital of 50 or 100 pounds of gold,

Agriculture was then what mattered, and there is strong evidenc of a continuous decline in agriculture from the late third century to the late sixth-During all this time some landowners were leaving some part of their estates uncultivated, and the amount of abandoned land seems steadily to have increased. The government was deeply interested in the problem because of its fiscal repercussions, as cultivated land paid tax, but it was difficult to collect taxes from deserted land. In a long series of laws we can trace the efforts of the imperial government either to bring deserted land under cultivation again or at least to make some one pay the taxes time upon it. Abandoned land was given or sold

## THOUGHTS ON THE DECLINE OF THE ROMAN EMPIRE

Бу

### A. H. M. JONES

Professor of Ancient History at the University of Cambridge and Visiting Professor at the University of Cairo

Dec. 1964-Jan. 1965

Every age has its own explanation of the decline and fall of the Roman Empire. Contemporaries were profoundly religious, and their explanation was religious. When Rome was sacked in 410 by Alaric the pagans argued that old gods, whose worship Theodosius I had prohibited less than twenty years before, were angered against the empire: they had raised Rome to greatness, when the Romans abandoned their worship, they caused the barbarians to prevail. The argument was convincing and the Christians found some difficulty in rebutting it. Orosius argued that while they still worshipped the old gods, the Romans had suffered as serious disasters and that the barbarians would soon abandon their hostility and serve the empire. Salvian declared that God was punishing the Romans for their sins, their oppression of the poor, their lax sexual moralityand their devotion to the games and the theatre, while he favoured the barbarians of whom Salvian drew an idvllic picture. John, bishop of Nikiou, explained that God had sent the Arabs against the empire and allowed them to conquer Egypt, because the wicked emperors Justinian and Heraclius had persecuted the Orthodox (by whom he meant the Copts).

In the age of reason Gibbon declared that despotism had destroyed the old Roman virtues, that Christianity had sapped the morale of the people, that thousands of able bodied men had become priests and monks and hermits, and that sectatian controversies had divided the empire against itself. to the accumulation of sand deposits, bahadas are hardly noticeable at the scarp piedmonts, whereas concealed pediments are frequent. The latters appear at the base of all the high cliffs, the messa and the cuestas which constitute a considerable percentage of the lanscape. Pedimented plains of erosional origin are also found at the feet of all desert buttes and the scarp faces bounding drainage lines(particularly those of the Ouenat mass, the Mediterranean littoral and the Nile Valley in the east). Slope topography represents, therefore, an element of great significance in the evolution of landscape in the Western Desert. It should be also borne in mind that the pedimented lanscapes of Egypt belong to the late Cainoxoic cycles of erosion O.

(g) Studies on hillslope geomorphology in Egypt are, nevertheless, still in a pristine stage. Apart from Awad's study of Central Sinai (1951) (2) and Shata's of Lower Nubia (1962) (3), concerning the analysis of hillslope morphology and its role in the evolution of landscapei, nothing has been submitted in this connection. Awad's work has shedded light on the existence of two almost parallel pediments in Central Sinai: one coinciding with the cuesta of Gebel Egma (Eocene) and the other with that of Gebel El-Tih (Cretaceous). Shata's study of Lower Nubia-on the other hand-has outlined in details the formation of the «Lower Nubia Plains». These plains are essentially built of sandstones and prossed by a number of dry streams and shallow depressions. The plains are towered by the Lower Nubia Plateau of upper cretaceous lime which is-in a waysimilar to those found in the Hamada desert. He attributed the formation of the plains to the recession of the lime scarp westwardly and the expansion of pediments at its base. He also ascribed the parallel retreat of the mountain face to lateral erosion and not to rill erosion as should have been expected under such arid conditions as those of Lower Nubia,

It is hoped, therefore, that Egyptian Geomorphologists may encounter in the future the study of hillslopes in a thorough and detailed way based on accurate field descriptions. The object of the above work, however, does not exceed difinitions in order to draw the attention to an interesting and important topic of geomorphology.

<sup>1.</sup> KING, L. C., : Op. Cit., p. 144.

<sup>2</sup> AWAD, H.: «La Montagne du Sinal Central, Etude Morphologique». Le Caire 1951.

SHATA, A., : «Remarks on the Geomorphology, Pedology and ground water potentialities of the Lower Nubla Area ». Bull., Soc. Géogr. d'Egypte, Tome 35, 1962, pp. 273—300.

base of extensive pediment. This gives them the appearance of nubbins similar to the inselbergs of Passarge. In the western desert on the other hand, the expansion of pediplains has given rise to some scattered knolls (particularly in its southernmost parts along the Egyptian-Sudanese borders) which represent all that remained from the original mountain mass. The massif of Ouenat (1907 metres high) and its satellites Gebel Arkenou and Gebel Kissou (1) in the extreme southwestern corner of Egypt, represent residual hills of granite analogous to monadnocks on a peneplained surface.

- (d) The stripping of sedimentary rocks in the western desert of Egypt, has exposed the Nubia sandstone formations in scattered localities known as the oasis depressions. Such hollows are usually bounded with steep scarps which are perciptable from all directions. The 3000 square killometres of the Kharga depression for instance, are locked in between high walls ranging in altitude between 350 metres to 400 metres above the depression floor. Presumably all the slopes of the bounding cliffs are composed of the above mentioned four elements, and one could postulate—in this connection that the expansion of all the oasis depressions may be attributed to scarp retreat by gully-head erosion and mass-wasting. Such processes must have been enhanced during the Pleistosene Pluviation.
- (e) The region lying to the east and south of the Qena Bendbetween the Red Sea Mountains and the Nile valley-is considerably dissected and broken into masses of limestone hills. All the underlying cretaceous shales and chalky limestones (of the middle cretaceous) are heavily sculptured into steep, gully-scarred cliffs capped by the harder limestones of the Eccene, wherever the caps have been worn away the underlying cretaceous formations are eroded into peaks that resemble the Matterhorns. Such a region has a typical badland topography with a drainage pattern suggesting topographic maturity but its relatively high relief denotes youth. Miniature slopes are eroded here and are noticeable in its ridges, ledges and all its other erosional remnants. Such slopes, however, are analogous with the standard four-element slope.
- (f) The western desert of Egypt stands out as a vivid example of a region that has witnessed the full development of a pedimentation cycle. Its rocky platforms and desert peneplains are the outcome of such a cycle that has culminated into its final degradation. Owing

AWAD, H.: « Le Gilf el-Kebir et l'Ouenat ». Bull. Soc. Géogr. d'Egypte Tome 22, pp. 137—150.

lies in conjunction with the pediment, the property of parallel retreat may be inhibited.

As the process of parallel retreat progresses the mountain fronts and scarp faces are cut back by erosion leaving pediments to expand from below upwards and not in the reverse direction. This gives rise to a < peneplaned > landscape of worn out mountains with pediments nearly surrounding all their gently sloping remnants. The outer edges of the pediments merge into the alluvial plains of the < bahadas > 11. The degradational surface produced in the senile stage is often termed a pediplain. Pediplanation inculdes all the processes by which pediplains are formed.

#### V

The general analysis of hills lopes in Egypt reveals the following features :  $% \frac{1}{2} \left( \frac{1}{2} - \frac{1}{2} \right) = \frac{1}{2} \left( \frac{1}{2} - \frac{1}{$ 

- (a) Hillslope topography is widespread over most of the surface of Egypt except in areas covered with extensive sand sheets where deflation by winds may carry land waste to higher levels. Thus we may eliminate about 40 % of the total area of the western desert, as unsuitable for hillslope development. Such vast area includes the « great sand sea » which covers some 240,000 square kilometres in the westernmost region lying between the Siwa depression in the north and the north western part of the Farafra depression in th south. Areas of self dunes should also be discarded. Elsewhere, the downwards flow of land waste is prominent through the agencies of running water and mass-wasting.
- (b) Minor modifications of the morphology of a standard hillslope are caused in Egypt under differences of relief, lithology and climate.
- (c) The landscapic features of the eastern desert differ greatly from those of the western desert. This is ascribed to the fact that the eastern desert with its initial higher relief, its wetter climatic conditions and its external drainage is still-generally speaking in the youth stage, whereas the western desert has a lower relief with a series of desert peneplanes denoting senility. Thus « inselberglandschaft » tends to develop in the eastern desert where the sometimes serrated summits of schists, and granitic peaks, rise abruptly from a

<sup>1.</sup> THORNBURY, W. C. : Op. Oit., p. 292.

In areas of low relief such as those bording the Nile Delta below the Moqattam strike escarpment (1) in the east, and Abu Rawash hill in the west, both the scarp and the debris zone disappear leaving a smooth coalescence of convex crest with concave pediment. Presumably the slope of the oolithic limestone hills brodering the Mediterranean littoral to the west of Alexandria, have a similar constitution.

As regards the effects of lithology on the formation of fourelements slopes, it is now firmly established that strong bedrock tends to provide a fully developed slope with its four elements complete, whilst in less resistant rocks, the crest meets the pediment and the two middle zones disappear. But nevertheless, in areas composed of granite summits such as those of the Red Sea backbone of the Eastern desert, the debris zone disappears owing to the fact that granites yield little waste. Here, the main hillslopes have reduced summit areas with a minimum of convexity, and rocky scarp faces that rise abruptly from extensive pediments.

The influence of climate on hillslope morphology is subordinate and local. Wherever precipitation decreases, the sheetfloods which contribute to the formation of pediments, are replaced by rill channels. Lateral erosion, to which the formation of pediments is also attributed, ceases to play any rôle in regions of extreme aridity. This process however has pronounced effects in semi-arid and humid landcapes (2)

### IV

Cyclic developments in hillslopes are significant. All scarped slopes characteristically retreat across a landscape. This reduces their crestal areas and widens their pediments below. Hillslope resession, however, is greatly aided by high relief, resistant formations, horizontal structure of sedimentary rocks and the tectonic origin of the scarp. The evolution of any hillslope is always dependent on the presence or absence of a scarp. This means that in the smooth convexo-concaved profiles of decadent hillslopes in which the crest

SANDFORD, K. S. and ARKELL, W. J. : «Paleolithic man and the Nile Valley in Lower Egypt». Chicago, 1934, p. 4.

AWAD, H.: «Le Pediment, un probléme de morphologie aride» Bull. Soc. Géogr. d'Egypte, Tome 28, 1955, pp. 7—9.

By the tectonic origin of the scarp is meant whether it is of fault or monochinal origin.

- (c) The debris slope; appears below « the scarp » and consists of talus and detrital materials which have fallen or slipped off from the « crest» or the « scarp », and rested on the lower part of the scarp face. As the land-waste which is produced from the upper part of the slope is washed downwards, its velocity is checked and the energy of the running water becomes devoted only to transportion. The lower scarp face is occasionally burried if the detrital materials accumulate in a rapid rate.
- (d) The Pediment, is that flat eroded terrain lying at the foot fo a slope. The amount of water discharging across it, attains its maximum; since all the rainfall of the upper parts of the slope, plus precipitation upon the pediment itself tend to flow over its surface. This is the reason for discarding the erroneous view attributing the formation of pediments to aggradation. It is now frimly established that the lowermost part of a slope or piedmont, consists of two parts, an upper part of degradational origin called a « pediment » and a lower one of aggradational origin called a « bahada » (1). Mature pediments have concave profiles with gradients ranging between? 1/2 1

A number of theories have been postulated to account for the formation of pediments e.g., the sheetflood theory, the lateral planation theory and the composite theory (2). Most of these theories ascertain the fact that pediments are best exemplified on hard rock in semi-arid environments where there is a maximum of land waste flow across the land. Nevertheless, pediments are fundamental elements of hillslopes and appear in all epigene landscapes, without being restricted to semi-arid environments. Thus the four basic elements of hillslope are invariabley formed in a natural way under the normal flow of waters, in all regions of sufficcient relief and under all climates.

#### ш

Hillslope topography is, however, geverned by certain relief geological and climatic control. The four-element hillslope is, therefore, not necessarily formed complete and intact, in all parsts of the globe.

THORNBURY, W. C.: Op. cit., pp. 284.

<sup>2.</sup> THORNBURY, W. C. : Op. cit., p. 286-290.

during their short-lived existence. They cause excessive slopewash, gullying and scouring across the landscape (1) and with marked concentration in the sloping marginal ribbons of its landforms.

Thus we may stress from the outset the fact that the natural flow of meteoric waters across any landscape, irrespective of its climatic characteristics-results into considerable developments in its hillslopes owing to the downward movement of land waste under the forces of gravity. Therefore, the morphological elements of any given slope in any climatic region, are almost identical, since the formation of slopes is solely ascribed to the action of flowing water and mass-movement under gravity.

#### ш

Since there occurs at the foot of almost every elevated surface a sloping apron, it is imperative to analyse the composition of such a slope. The normal hillside slope is known to be composed of four morphologic elements as follows:

- (a) The crest; or the summit area of a hill or an escarpment where there exists a zone of weathering due to water infiltration, but no erosion takes place. The profile of the crest is usually convex as a result of soil creep and the slope gradually becomes larger and increases in size. «King» and «Fair» (1944), «Fair» (1947) (2) and «King» (1962) ( 2 in discussing slope development termed the hilltop «the zone of convex or waxing slope». Granitic summits, however, have a minimal convexity and a high proportion of runoff.
- (b) The scarp; is the exposed outcrop of bare bedrock usually found on the upper part of the hillside below the summit. The formation of this free face of denuded rock is ascribed to rill-crosion and sheet-floods which intensifies the erosive power as distance from the water-parting near the summit increases. This leads to a remarkable steepening of the slope profile at its middle zone which becomes the steepest and most actively eroded part of the slope. The denuded scarp soon shifts and recedes backwards as the processes of erosion progress.

<sup>1.</sup> WORCESTER, P. G. : «A Textbook of Geomorphology». London, p. 232.

<sup>2</sup> THORNBURY, W. D. : «Principles of Geomorphology». New York, 1954, p. 290.

<sup>3.</sup> KING, L. C. ; «The morphology of the Earth». New York, 1962, pp. 142-143,

Excarpments of denudational origin are also vividly illustrated in the easterm desert which occupies some 20 % of the total area of Egypt. Their presence is remarkable along the eastern side of the Nile valley and also along the sides of all the dry wadis debouching into it from the east. The southern horst of Sinai, its sedimentary plateaux of the north and all its mesas and cuestas are aproned with slope developments.

To any geomerphologist seeking to analyse the cyclic evolution of landscapes, the study of slopes is undoubtedly the departing step. The analysis of slopes has been the subject of much research particularly by American geomorphologists (1). But we are still far from possessing any conclusive ideas on the formation of slope profiles despite the lengthly period throughout which this problem has been tackled (2). The object of this paper, therefore, is to throw more light on the subject as far as definitions are concerned and to call for the contribution of serious students of geomorphology in Egypt to one of the most difficult but important branches of geomorphology.

T

Epigene landcapes are universally moulded by the agencies of running water, wind, ice and mass-wasting, operating upon earth materials in strict accordance with physical laws. The response of such agencies to gravitation is manifested in the fact that almost everywhere and under different climatic influences, landforms are sculptured by the flow of debris laden water or by slipping, sliding or creeping of weathered materials (mass-wasting or the gravitational transfer of materials). We should, however, discard from this axiom, glaciated surfaces and desert « ergs » where glaciers and winds occasionally carry land waste to higher levels. Water flow and mass-wasting both represent, therefore, the two most active processes of erosion under the control of gravity. Their part in wearing down the land is expressed in the fact that the flow of land-waste is either thownward or lateral.

In a terrain such as that of Egypt where desert conditions prevail ower 97% of its total area, the role of water-flow and masswasting should not be overlooked. Ephemeral desert torrents-frequently of the cloud burst type, do a tremendous amount of work

MONKHOUSE, F. J. and WILKINSON, H. R. «MAPS and DIAGRAMS Their Compilation and Construction». London 1952, p. 78.

<sup>2</sup> SPARKS, B. W. : «Geomorphology». London, 1961, p. 55.

# THE SIGNIFICANCE OF HILLSLOPE TOPOGRAPHY IN THE U. A. R.

by

M. S. ABOU EL-EZZ (Ph.D.)

In the U.A.R., desert landcapes supervene over approximately 97% of its total area. Within the remaining meager percentage-which comprises the Nile flood-plain and its Delta, about 95 % of the country's 26 million (1) people find sedentary livelihood. Despite the fact that both the desert and the Nile lands of Egypt differ considerabley. as rar as their landscapic features are concerned, yet a very general homology exists between them. This is manifested in the dominance of hillslope topography in both. Almost everywhere in Egypt, the occurrence of steep slopes and rock faces is prominent. All along its course of 1530 kilometres in Egypt, the Nille valley is hemmed in between high cliffs of varying formation, ranging from the Nubia sandstones in the south-into which the valley is cut in a gorge-like way, for some 300 kilometres-to the hard limestone plateaux which bound it for more than 700 kilometres in the west, and for approximately 500kilometres in the east. The western desert of Egypt-which covers two thirds of its total area is composed of successive desert peneplanes (2) which are bound by excavated hollows and depressions. The margines of the southenmost surface (the Gilf el-Kebir) slope eastwards to lower Nubia and northwards to the Kharga-Dakhla-Abou Minqar depression. The fringes of the vast limestone plateau also slope precipiteously towards the Nile valley in the east, the Kharga-Dakhla depression in the south and the huge Qattara-Siwa hollow in Slopes are also well-formed and pronounced along the peidmonts of the mesas and cuestas that constitute a considerable percentage of the surface of the western desert.

According to the last 1960 census, the total population of Egypt numbered 26,069,000.

<sup>2.</sup> SAID, R. : «Geology of Egypt ». 1962, p. 12

## CONTENTS

#### OF THE EUROPEAN SECTION

A. S. ABOU EL-EZZ			PA	IG.
The Significance of Hillslope Topographie in the	U. A.	R		1
A. H. M. JANES				
Thoughts on the Decline of the Roman Empire				9

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year; in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Librarian, Glza. Communications regarding contributions should be addressed to the Editor of the Bulletin Prof. M. H. El-Bakry, Faculty of Arts, Glza, U.A.R.

Back numbers of this Bulletin are available at 30 P. T. for each Part

## BULLETIN

0 F

## THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXIII—PART I

## BULLETIN

OP

## THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXIII. PARF I





الليف التالي المستون من التوم الماتية





المجلد الشالث والعشرون ـــ الجزء الثاني ديسمبر سنة ١٩٦١

> مطبحة جامعة القاهرة 1977

تصدر هذه المجلة مرتين كل سسنة ، في مايو وديسسمبر ، وتطلب من مكتبة جامعة القساهرة بالجيزة ، وتوجه الكاتبات الخامسة بالناحية العلمية الى المشرف على تحريرها الاستاذ الدكتور محمد حدى البكرى الاسستاذ بكلية الاداب بجامعة القساهرة ، وثمن الجزء الواحسد من أى مجلد ثلاثون قرشسا مصربا

# فهرس القسم العربى

صفحة	
	تكتل الدول لتدويل قناة السويس تكاية في بريطانيا للدكتور عبد المزيز
1	محمله الشناوى
٤٩	المسلمون في فرنسا وايطائيا للدكتور ابراهيم على طرخان
181	الإضافة في اللفات السامية للدكتورة زاكية محمد رشدى
	مجرى جديد للنيل في العطمور مشروع مقترح للتخزين السنوى المادل
109	للدكتور صــــلاح الدين على الشــامى
	حيازة الأرض في تنجانيقا دراسة تطورية - للدكتور محمــد مبد الفني
111	ســعودی ، ، ، ، ، ،
	بعض الجوانب الجغرافية لحضارات امريكا الوسسطى الدكتور يوسف
240	عبد المجيد فايد
	2 m - 2 m - 2 m - 11 2 M - 12 2 M - 2 M - 2 M

## تكتل الدول لتدويل قناة السويس

## نكاية في بريطانيا

**(Y)** 

#### للدكتور عبد العزيز محمد الشيناوي

بعد أن أنهت لحنة باريس الدولية أعمالها في ١٣ من يونيو ١٨٨٥ مر •شروع إنشاء الرقابة الدولية على قناة السويس في المراحل الآتية :

- (١) مرحلة المفاوضات الثناثية بين باريس ولندن 🤉
- (٢) اللجنة المعولية في اتفاقية الجلاء عن مِصر المبرمة في ٢٢ من مايو ١٨٨٧
  - (٣).االجنة الدولية في المشروع التركي .
  - (٤) اللجنة الدولية في المشروع البريطاني الموجز (المشروع الرابع).
  - (٥) اللجنة الدولية في المشروع البريطاني المفصل (المشروع الخامس).
    - ( ٦ ) مطالبة السلطان عبد الحميد بتعديل مشروع اللجنة الدولية .
      - (٧) اللبجنة الدولية في اتفاقية الآستانة ٢٩ من أكتوبر ١٨٨٨
        - ( ٨ ) اللجنة الدولية في ظل التحفظ البريطاني .
        - (٩) اللجنة الدولية في الوفاق الودى ٨ من أبريل ١٩٠٤
      - وسنمر مرورا سريعا على كل مرحلة من هذه المراحل التسع.

### مرحلة الفاوضات الثنائية بين باريس ولندن:

فشلت لحنة بأريس الدولية بعد الجلسات العاصفة والمناقشات الضافية في الوصول إلى رأى موحد تتلاقى عنده وجهات نظر فرنسا والدول السنت الضالعة معها (١) من ناحية ، وانجلترا وإيطاليا من ناحية أخرى ، في موضوع إنشاء الرقابة الدولية على قناة السويس وبعض موضوعات أخرى (٢) . وقد جمعت اللجنة المواد التي بحثها ونسقتها في صورة مشروع اتفاقية دولية لعرضه على حكومات الدول الأعضاء في اللجنة، وقرنت هذه المواد بالتغديلات التي طالب بها الوفدان البريطاني والايطاني على الموضوعات التي ظلت مثار خلاف ، وقامت الحكومة الفرنسية بارسال وثائق أعمال اللجنة إلى حكومات الدول التي اشتركت فيها تمهيدا الوصول إلى اتفاق بشأن الموضوعات المتبقية ومن ثم تبرم المعاهدة المنشودة .

خيم على الموقف ركود امتد بضعة أشهر، ثم حاولت الحكومة الفرنسية تحريك المسألة؛ فقامت في ١٧ من نوفير ١٨٨٥ باتصالات دبلوماسية مع حكومات الدول الأوربية التي كانت ممثلة في لجنة باريس تستطلع رأيها في الخطوات التالية للوصول إلى وضع نظام يستهدف تقرير حرية المرور في قناة السويس على ضوء ما أسفرت عنه مناقشات لجنة باريس ٢٦٠ وقد استقر رأى تلك الحكومات على أن تقوم المحكومتان الفرنسية والبريطانية بمحادثات ثنائية لتسوية المسأئل المختلف عليها في مشروع الاتفاق المنشود، فان

<sup>(</sup>١)كانت هذه اللنول هي المانيا ، والنمسا والمجر ، والروسيا ، وتركيا ، وأسبانيا ، وهولندا

<sup>(</sup> ٢ ) كانت هذه المرضوعات على وجه التحديد : القيود المفروضة على السفن الحربية التابعة المتحاربين أثناء عيورها القناة ، وتحريم نزول أو شمن القوات والذعائر داخل القناة وموانى مدخلها ، تنفيذ المحاهدة رلن يكون هذا الحق ؟ الدفاع عن مصر ولمن يكون هذا الحق ؟

<sup>(</sup>٣) أرسلت الحكومة الفرنسية رسالة فى صورة غشورم dépêche—circalaire إلى ممثلها ِ الدېلوساسيين بتاريخ ١٧ من توفيع ١٨٨٥ . أنظر

الوثائق الديلوماسية الفولسية Documents Diplomatiques Prançais الجزء السادس من المجموعة الأولى ملسوطة الوثيقة رقم ١٢٨

وانظر أيضاً الوثيقة رتم ١٤٤ في نقص المصدر . وهذه الوثيقة عبارة عن برتية موسلة من دى فريسينيه de Couscel وزير خارجية فرنمه إلى دى كورسيل de Couscel السفير الفرنسي في براين يتأديخ ١٧ من ديسمبر ١٨٨ .

حكومات الدول الأعضاء فى لجنة باريس سوف توافق عليه بدون تعديل أوبعد إدخال تعديل طفيف للغاية (١) ..

#### الشروع الفرنسي الخامس:

وبدأت الاتصالات الدبلوماسية بطيئة متناقلة متمثرة بين باريس ولندن، وفي ٢٥من مارس١٨٨٦ أرسلت الحكومة الفرنسيةمشروعا اليوضوعات المختلف عليها وأخطت تعديلا على المادة التي أقرتها لجنة باريس الدولية والخاصة بانشاء الرقابة الدولية على قناة السويس وكانت الصياغة الجديدة على النجو الآئي :

ويعهد بمراقبة تنفيذ المعاهدة الحالية إلى ممثلي الدول الموقعة عليها ، المعتمدين في مصر . ويجتمعون في كل جالة تهدد أمن القناة أو حرية المرور بها ، بناء على دعوة أحدهم ، وتحت رياسة عميدهم ، لاجراء التحقيقات اللازمة ، ويخطرون الحكومة المصرية بالاقتراحات التي يرونها مناسبة لضيان حماية القناة وحرية استخدامها .

وعلى أية حال يجتمعون مرة في السنة للتحقق من سلامة تنفيذ المعاهدة ، .

"Les Représentants en Égypte des Puissances Signataires du présent Traité seront chargés de veiller à son exécution. En toute circonstance qui menacerait la sécurité ou le libre passage du Canal, ils se réuniront sur la convocation de l'un d'éux et sous la présidence de leur doyen pour procéder aux contestations nécessaires. Ils saisiront le Gouvernement Egyptien des propositions qui leur paraîtraient propres à assurer la protection et le libre usage du Canal.

En tout état de causé, ils se réuniront une fois par an pour constater la bonne exécution du Traité<sup>10</sup> (<sup>1</sup>)

<sup>( )</sup> الوثائق الديلوماسية الفرنسية Doc. Dipl. Fr. إلحزء السادس من المجموعة الأرلى .

وَلْيَقَةُ رَمِّ ١٥٨ عبارة عن رسالة مؤرخة في ٤ من يناير ١٨٨٦ ومرسلة من ياريس وموجهة من دى فريسينيه de Freycinet . وزير سارجية فرنسا إلى وادنجتون السفير الفرنسي فيانشان. ووثيقة رتم ١٥٣ عبارة عن رسالة مؤرخة في ٢٦ من ديسمبر ١٨٨٥ ومرسلة من يرلين وموجهة من دى كروسيل de Couteol السفير الفرنسية المؤرخة في الله عن فريسيا مؤرخة الموجهة المؤرخة مؤرخة المنابعة المؤرخة المؤرخة المؤرخة المؤرخة من المراس ١٨٨٦ مرفق الوثيقة رتم ٨ من ليون Rosebery من مارس ١٨٨٦ مرفق الوثيقة رتم ٨ من ليون Projet Trampactional .

ويلاحظ على هذا المشروع الفرنسي الخامس أن حكومة باريس قد حرصت على تدعيم الرقابة الدولية على قتاة السويس فابتدعت ، بجانب الاجتماعات الطارئة ، نوعا جديدا من الاجتماعات هو الاجتماعات الدورية التي يعقدها ممثلو الدول ، وقد كل عام بحجة التحقق من سلامة تنفيذ أحكام الماهدة تنفيذ عابدا سايا . واكن رأت الحكومة البريطانية أن الاجتماع السنوى أمر لاتدعو إليه الضرورة على الاطلاق ، لأنه يضي على قناصل الدول مركز منظمة أو هيئة جماعية ،ستديمة تختص بشبون القتاة ، وهذا ما تعارض فيه الحكومة البريطانية أشد المعارضة (١٠) ، كما أن مثل هذا الاجتماع يتنافى مع روح منشور لورد جرانفل (٢) .

بن وقد أجابت الحكومة الفرنسية في مذكرتها المؤرخة في ٨ من يونيو ١٨٨٦ بأن الفرض من الاجتماع السنوى هو الابقاء على الرقابة الدولية بصفة دائمة ، لأنه قد تسير حركة الملاحة في القناة بصورة طبيعية منتظمة سنوات طوالا دون أن يقع أي إخلال بنصوص المعاهدة مما لا يستدعي عقد اجتماعات طارئة للجنة . ولكن الاجتماع السنوى ينطوى على إشعار الجميع بأن هناك رقابة قائمة ساهرة على تنفيذ المعاهدة تنفيذا عايدا ، ويكون جدول الأعمال في الاجتماع السنوى مقصورا في معظم السنين على التحقق من عدم وقوع مخالفات أو حوادث أعاقت حرية قناصل الدول بواجبهم نحو مراقبة تنفيذ المعاهدة ، ولا يجعلهذه المراقبة أمرا خياليا . وخرجت الحكومة الفرنسية من سرد هذه الحبيج إلى القول بأن الفقرة .

Observations on the "Project Transactionnel" in the paper communicated confidentially to His Excellency M. de Preycinet.

<sup>(</sup>۲) الكتاب الأزرق مصر رقم ۱ استة ۱۹۸۸ مرفق الوثيقة رقم ۱۹ من لورد اديزل Earl of Iddealeigh وزير الخانية إلى لورد ليوثر (Lyons وزير الخانية إلى لورد ليوثر (Lyons السفير الريطاني في باريس نباريخ ۲۵ من أكتوبر ۱۸۸۸ ومرفق الوثيقة بمنوان (Memorandum on the Points dealt with in M. de Prévisients Communication to Lord

المستحدثة في المشروع الفرنسي إنما هي نص طبيعي يتمشى مع الروح العامة المعاهدة<sup>(1)</sup>. وانتهى هذا الجدل بموافقة الحكومة البريطانية على فكرة الاجتماع السنوى للجنة القناصل وتحديد الهدف منه .

أما بالنسبة للاجتماعات الطارئة فيلاحظ أن الحكومة الفرنسية قد تحلت عن رأيها الذي أعلنته على لسان كاميل بارير Camille Barrère وثيس لجنة باريس الفرعية في جلسة ٢ من مايو ١٨٨٥ بأن رياسة لجنة باريس الدولية تكون معقودة بصفة باثمة لمندوب تركيا، لأنها عادت في المشروع الفرندي الحامس فأسندت رياسة هذه اللجنة إلى عميد السلك القنصلي في مصر . وقد أخلت الحكومة المريطانية بهذا الرأى استناعا إلى أن هذه مسألة معترف بها في القانون الدولى الهام ٢٠٠٠. كما أغفل المشروع الفرنسي الخامس عضوية الحكومة المصرية في لحنة ممثل الدول.

وأغفل أيضا النص الذى ورد فى المشروع الفرنسى الرابع خاصا بأن لجنة ممثلي الدول لا تمس حقوق السيادة المقررة لسلطان تركيا أو حقوق وامتيازات خديوى مصر .

وهناك ملاحظتان أخريان على هذا المشروع . وتتلخص الملاحظة الأولى في أن المشروع الفرنسي قد ذكر الحالات التي يعقد فيها ممثلو الدول اجتماعات طارثة وذلك بصفةعامة دون أن محدد هذه الحالات؛ إذ قال وويجتمعون في كل حالة تهدد أمن القناة أو حرية المرور فيها » ، بينا ذكر المشروع البريطاني ألمثاث حالتين على وجه التحديد هما حالة الحرب وحالة الاضطرابات الماخلة، ثم أردف ماتين الحالتين بعبارة عامة هي «أو الأحداث الآخرى التي تهدد سلامة القناة أوحرية المرور فيها». واعتبرت الصياغة التي وردت في المشروع البريطاني تزودا يعيب المرور فيها». واعتبرت الصياغة التي وردت في المشروع البريطاني تزودا يعيب

<sup>(</sup>۱) الكتاب الأزرق مصر رقم ۲ لسنة ۱۸۸۸ مرفق الوثيقة دثم ۱۴ من ليونز VF بالسفير البريطانى فى باريس إلى روزبرى 'Rosebery وزير الحارسية البريطانية يتاريخ ۹. من يونيو ۱۸۸۳ م ومرفق الوثيقة تحت عنوان :

Réponse aux Observations presentées par le Gouvernement Anglais sur le Projet Transactionnel relatif au Canal de Suez.

<sup>(</sup> ٢ ) الكتاب الأزرق مصر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ مرفق الوثيقة رقم ١٢ سالفة ألذكر .

النص القانونى . أما الملاحظة الثانية فتنحصر في اختلاف لفظى إذ بينا يقول المشروع البريطانى ويراقب تنفيذ المعاهدة الحالية ممثلو الدول الموقعة عليها . . . . . ويقول المشروع الفرنسى ويعهد بمراقبة تنفيذ المعاهدة الحالية إلى ممثلي الدول الموقعة عليها . . . . وقد وافقت الحكومة البريطانية فورا وبدون مناقشة على هذين التعديلين (٢٠) .

ولكن طال الجدل بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية حول تحديد الجهة التي تتصل بها لجنة القناصل عند حدوث خطريهدد سلامة القناة أوحرية المروربها. وقد نص المشروع الفرنسي الخامس على أن تتصل لجنة القناصل بالحكومة المصرية رأسا، وتقدم لهذه الحكومة الاقراحات التي تراها لجنة القناصل مناسبة لضهان حماية الفتاة وحرية لمرور السفن بها ، واعترضت الحكومة البريطانية على أساس أن إعطاء اللجنة حق الاتصال المباشر بالحكومة المصرية وسئ توجيه مقترحات لهذه الحكومة المصرية يؤديان في شهاية الأمر إلى تدخل القناصل تدخلا فعليا في شئون الحكومة المصرية وهنا ما لا تنصح به الحكومة البريطانية (؟) . واقترحت أن تتصل اللجنة بحكومات الدول الموقعة على تصريح لندن المشترك المؤرخ في ١٧ من مارس ١٨٨٥

وقد أجابت الحكومة الفرنسية على هذا الاعتراض بقولها إن الحكومة المصرية هي المكلفة بتنفيذ المعاهدة، فن الطبيعي أن تقدم اللجنة إليها بالطريق المباشر الاقتراحات التي تكون ضرورية لكفالة حرية المرور في القناة. واتصال اللجنة بالحكومة المصرية أفضل كثيرا لهذه الأخيرة من اتصال الحكومات الاجنبية بها ، لأنه إذا اتصل قاصل الدول بحكوماتهم ، فان هذه الحكومات ستتصل بدورها بالحكومة المصرية لتخطرها بالملاحظات أو الاقتراحات التي تتراءى لها ، وبدلا من تجنب التدخل في شئون الحكومة المصرية ؟ فان هذا التدخل سيتم بضغط أقوى وبصورة أشد من اتصال القناصل بها وبدون أن يكون تدخل الدول ضروريا أو مناسبا ، ومضت المحكومة المغرسية تقول في مذكرتها إنه إذا دعت الظروف إلى تدخل الدول

<sup>(</sup>١٠) الصدر السابق .

<sup>﴿ ﴿ ﴾</sup> الكتاب الأزرق مصر رقم ﴿ لسنة ١٨٨٨ مرَفِق الوَلْيَقَةُ رَقَمْ ١٣ ﴿

تتيجة إهمال الحكومة المصرية في حماية حرية المرورفي القناة ، أو نتيجة سوء نية مبيتة لديها للاضرار بالقناة ، فإن قناصل الدول يحتفظون بحق إبلاغ حكوماتهم بأى شيء يحتص بأمن القناة ، وهذه الدول تكون على الدوام في مركز يسمع لها باتخاذ التعابير التي تراها مناسبة ، ولكن يجب أن تكون القاعدة العامة هي الاكتفاء بتحذير خليوى مصر ، ورغبة في احترام استقلاله الشرعي ، يجب أن يكون هذا التحذير من جانب قناصل الدول المتمدين لديه ، بدلا من أن توجه الدول إلى هذا التحذير ، لأن في الأسلوب الأخير مساسا بالاستقلال الداخل الذي يشمع به الخديوى (1) .

واعترضت الحكومة البريطانية كذلك على إعطاء قناصل الدول الحق في تقديم مقترحات تختص بالقناة إلى الحديوى ، وخشيت أن يساء تفسير هذا الحق أو تتوسع بعض الدول في تفسيره توسعا يعصف باستقلال مصر ، فينقلب حق تقديم الاقتراحات إلى حق تقديم المشورة إلى الخديوى في أى وقت (؟).

وردت الحكومة الفرنسية على هذا الاعتراض بأنها تحدوها الرغبة في التفاهم مع الحكومة البريطانية ، وقالت إنه في ضوء هذه الفكرة التي ترجو أن تقدرها الحكومة البريطانية ترغب فرنسا في استبعاد كل فكرة توسى بضغط القناصل على الحكومة المصرية وبتدخلهم في القرارات التي تتخذها هذه الحكومة ، ولللك اقترحت أن يوضع نص في الماهدة يجعل مهمة بلحنة القناصل مقصورة على إبلاغ الحكومة المصرية بالأخطار التي تهدد سلامة القناة وحرية المرور بها (٣٠) ، وفي

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ مرفق الوثيقة رقم ١٣`

<sup>(</sup> ٢ ) الكتاب الأزرق مصر رقم أ لسنة ١٨٨٨ مرفق ألوثيقة رقم ١٩

<sup>(</sup>٧) كان عا حاد في مذكرة الحكومة الفرنسية ما يل:

Quant aux objections que le Cabinet de Londres persiste à formuler contre la réunion annuelle et à terme fixe des Consulle, il semble qu'elles doiveat disparatire si une nouvelle rédaction précise le caractère de la mission du Corps Consulaire, de façon à exclure toute idée de pression sur les décisions du Gouvernement Khédivial, et affirms simplement le devoir des Représentants des Puissances de signaler à Son Altesse les dénigers qui menaceraient le libre passage ou la securité du Canal.

المظر الكتاب الأزرق مصر رقم 1 لسنة ١٨٨٨ مرفق الوثيقة رقم ٢٢ ساففة الذكر .

ضوء هذا الرأى اقترحت الحكومة الفرنسية الصياغة التالية لموضوع الرقابة الدولية على قناة السويس .

848

#### الشروع الفرنسي السادس:

لا يعهد بمراقبة تنفيذ المعاهدة الحالية إلى بمثل الدول الموقعة عليها ، المعتمدين في مصر ، في كل حالة تهدد أمن القناة أو حرية المرور بها. وهم يجتمعون بناء على دعوة أحدهم ، وتحت رياسة عميدهم ، لاجراء التحقيقات اللازمة .

ويحيطون الحكومة المصرية علما بالخطر الذي يتبينونه لتتخذ هذه الحكومة
 الاجراءات المناسبة لفهان حاية القناة وحرية استخدامها

و وعلى أية حال يجتمعون مرة في السنة التحقق من سلامة تنفيذ المعاهدة » ..

"Les Représentants en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité seront chargés de veiller à son exécution en toute circonstance qui menacerait la sécurité ou le libre passage du Canal.

Ils se réuniront sur la convocation de l'un d'oux et sous la présidence de leur Doyen pour procéder aux constatations nécessaires.

Ils signaleront au Gouvernement Egyptien le danger qu'ils auront reconnu, afin que celui-ci prenne les mesures propres à assurer la protection et le libre usage du Canal.

En tout état de cause, ils se réuniront une fois par an pour constater la bonne exécution du Traité".

ورقد أقرت الجكومة الهريطانية وجهة النظر الفرنسية هذه يصفة مبدئية .

#### اللجنة الدولية في اتفاقية الجلاء عن مصر المبرمة في 27 من مايو 1880 :

كانت الحكومة البريطانية على عهد وزارة لورد سالزبورى Salisbury الأولى (١) التى تألفت في يونيو ١٨٨٨ قد اتخذت خطوة عملية لارضاء السلطان

<sup>(</sup>۱) ألف سالزبورى الوزارة ثلاث عراك - الأولى فييونيو ( ۲۸۸ وستمطت في فيراير ۲۸۸۰ ثم الفر وزارته الثانية في أصطن ۱۸۸۸ و استقالت في أخسط ۱۸۸۰ و آلف فِرَارته الثالثة في يوليو ۱۸۹۵ و بقيت في الحكم في ۲۰۹۱.

والنفاهم معه على حل المسألة المصرية . فأوقدت إلى الآستانة سير هنرى درمند ولف Sir Henry Drummond Wolf يحمل لقب ه مبعوث فوق العادة ووزير مغوض لدى حضرة صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان في مهمة خاصة تتعلق بالشئون المصرية به (۱) وقد بلغ الآستانة في ۲۲ من أغسطس ۱۸۸۵ وبدأ اتصالاته بالسلطان ورجالات الباب العالى، وأسفرت هذه الاتصالات عن عقد اتفاقين: كان الأول اتفاقا مبدئيا بتاريخ ٢٤من أكتوبر ١٨٨٥ وقع عليه محمد سعيد باشا وزير الخارجية العثمانية وسير هنرى درمند ولف نيابة عن ملكة بريطانيا . ولا يتصل وضوعه اتصالا مباشرا بهذا البحث (۳). أما الاتفاق الثاني فقد عقد في ۲۷ من ما يو وسود يشمل أربع مسائل رئيسية هي حسب ترتيب ورودها في الاتفاق :

(أولا) تقرير وتنظيم حرية المرور في قناة السويس لجميع السفن التجارية والحربية في وقت السلم وزمن الحرب بدون تمييز بين جنسياتها وذلك في مقابل دفع الرسوم وتنفيذ اللوائح .

(ثانياً ) تحديد سنة ١٨٩٠ موعدًا لجلاء القوات البريطانية عن مصرب

(ثالثا) بعد انتهاء الاحتلالالبريطانى تصبح مصربلدا محايدا ، وتدعى الدول للتوقيع على اتفاق تتعهد فيه بعدم انتهاك الأراضى المصرية وتضمن حيدة البلاد . (رابعا ) للحكومتين المهانية والبريطانية الحق في إرسال قواتهما إلى مصر في أربع حالات هى : تعرض مصر لعدوان خارجى ، أو إذا تعرض الأمن والنظام العام فيها للاضطراب ، أو إذا رفضت الحكومة المصرية القيام بواجاتها غيو المال العلق ، أو إذا أخلت يتعهداتها اللولية . ويكون الهدف من إرسال

Envoy extraordinary and Minister Plenipotentiary to His Imperial Majesty (۱) the Sultan, on a special mission having reference to the affairs of Egypt.

انظر القرار الصادر من وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ۷ من أضطن ۱۸۸۰ إلى مير هنرى

الكتاب الأزرق مصر وقم ١ لسنة ١٨٦٦ من من ١ ٣٠٠

<sup>﴿</sup>٢﴾ أَنْظَرَ التَصَنُّونَينَ الرَّفَسِيَّةِ الْمُدَا الْاتْقَاقُ فَي

الكتاب الأزرق مبسر رتم ﴿ أَلَسَةُ ١٨٨٦ . مرفق الوثيقة رقم ١٠

تلك القوات هو القضاء على ذلك الخطر ، وتنسحب القوات جميعها من مصر حالما تزول الأسباب التي أدت إلى تدخلها .

وقد ألحقت بهذا الاتفاق لائحة Règlement تشرح التدابير التي تتخذ إذا 
تعطلت الملاحة في قناة السويس؛ وهي تتضمن ثلاثة بنود. كما ألحقت بالاتفاق سنة المدحق 
إثنان منها في صورة بروتوكول (١) . وقد أفرد هذا الاتفاق المادة الثالثة لموضوع 
قناة السويس وهي من أطول مواد الاتفاق . ونكتني بأن نذكر هنا الفقرة الأولى 
منها ثم الفقرة الخاصة الخاصة بمشروع الرقابة الدولية على القناة . أما بقية الفقرات 
فتتناول المبادىء التي وافق عليها الوفد البريطاني في جلسات لجنة باريس الدولية 
وهي خارجة عن نطاق البحث الحالى .

نصت الفقرة الأولى من المادة الثالثة على أن « تدعو الحكومة الامبراطورية العثمانية الدول الموقعة على معاهدة برئين الموافقة على عقد اتفاق يستهدف ضهان حرية الملاحة في قناة السويس بطريقة أفضل » . أما الفقرة الخامسة فجاءت صياغتها على النحو التائى :

وكما ينص أيضا في الاتفاق على أن يقوم الوكلاء الدبلوماسيون في هصر ، الممثلون للدول الموقعة ، بمراقبة تنفيذ الاتفاق في كل مرة ينتج عنها حالة من شأنها تهديد سلامة القناة أو حرية المرور فيها . وأن يجتمع هؤلاء الوكلاء ، عند ما يدءو هم أحد منهم ، برياسة مندوب خاص يعينه لهذا الغرض الباب العالى أو الخديوى ، لكى يتحققوا ويثثبتوا من حالات الخطر . ويخطرون الحكومة المصرية كى تتخذ التنابير لملئاسية لشهان حماية القناة وحرية المرور فيها . وأنهم على أية حال يجتمعون مرة في السنة للثبيت من أن الاتفاق قد نفذ تنفيذا سلها » .

<sup>(</sup>١) فشرت الحكومة البريطانية النص الفرنبى لاتفاقية الجلاء وقد اعتبرت الحكومتان البريطانية والسؤانية أنه الصيغة المصدة التي برسح اليها عند الحاجة . انظر

الكتاب الازرق مصر رقم ٧ لسنة ١٨٨٧ وثيقة رقم ٨٨ `

Sir H, Drummond Wolf to the Marquis of Salisbury. Pera, May 24, 1887. Inclosure in No. 88. Convention between Great Britain and Turkey respecting Egypt. Signed at Constantinople May 22, 1878.

Il y sera énoncé également que les Agents Diplomatiques des Puissances Signataires en Egypte surveilleront l'exécution de la Convention toutes les fois qu'il se produirait des circonstances de nature à menacer la sûreté ou la liberté du passage par le Canal, que ces Agents se réuniront lorsqu'ils seront convoqués par l'un d'entre eux sous la présidence du Commissaire spécial nommé à cet effet par la Sublime Porte ou par le Khédive, afin de vérifier et de constater les cas de danger, et en informeront le Gouvernement Egyptien pour qu'il puisse aviser aux moyens propres à assurer la protection et le libre passage du Canal; qu'en tout cas ils se réuniront une fois par an en vue de constater que la Convention a été dûment observée". (1)

ويلاحظ أن الحكومة البريطانية قد أخذت في اتفاقية الجلاء عن مصر بمبدأ المحكومة البريطانية مسلكها ، فهي وإن كانت توجد اعبارات أملت على الحكومة البريطانية مسلكها ، فهي وإن كانت قد وقفت ، وقف المعارضة المتيفة إزاء مشروع الرقابة الدولية ؛ إلا أن تكتل سبع دول ضدها في اجتاعات بلخته باريس جعلها تتزحزح عن ، وقفها وتأخذ بشطر من جوانب هذه الرقابة على النحو اللدي ورد في المشروع البريطاني الثالث ثم في المشروع الفرنسي السادس . وقد المحكومة الرأى بينها وبين الحكومة المثانية في اتفاقية الجلاء عن ، مصر على أن تقوم الحكومة اللانية بتوجيه المدورة إلى المدول التي اشتركت في ، وثمر برلين سنة ١٨٧٨ بعنية عقد مؤتمر برلين سنة مرور السفن في قناة السويس . وأدرجت في اتفاقية الجلاء أسس هلما التنظيم . وخشيت المحكومة البريطانية أن ترفض المدول تلبية المدورة لحضور المؤتمر إذا أغفلت اتفاقية الجلاء موضوع الرقابة المدولية على قناة السويس عند ذكر الآسس المقترحة المعاهدة المرتجاة ، وتكون الحكومة البريطانية في هذه الجال قد نسفت الطرق المؤدية إلى المؤتمر المزمع عقده . يضاف إلى هذه الاعتبارات اعتبار هام آخر هو أن الحكومة البريطانية كانت معترمة التمسك بالتحفظ البريطانية وهو يبيع له التحل من أحكام المعاهدة كالها أو بعضها .

أما من الناحية الموضوعية فان الحكومة البريطانية لم تأت بجديد ولم تتزحز ع في اتفاقية الجلاء ، قيد أتملة عن المدى اللك وصلت إليه في وضوع الرقابة

<sup>(</sup>١) ورد هذا النس في مرفق الوثيقة رقم ٨٨ في المسدر السابق .

الدولية على القناة : فبدراسة نصوص هذه الاتفاقية يتضح أن الحكومة العُهانية والبريطانية قد وافقتا على النقاط الثلاث الآتية :

(أولا) : قيام ممثلي الدول الموقعة على المعاهدة المنشودة والمعتمدين في مصر بمراقبة تنفيذ المعاهدة في كل حالة تهدد سلامة القناة أو حرية مرور السفن فيها ,

(ثانيا): اجتماعات طارئة يعقدها هولاء المثكون، بناء على دعوة أحدهم، وبرياسة مندوب خاص يعينه السلطان أوالخديوى للتحقق من حالة الخطر، وإبلاغهم الحكومة المصرية هذا الأمر حتى تتخذ التدابير المناسبة لضمان حماية القناة وحرية المرور فيها .

(ثالثاً) : اجتماعات دورية سنوية يعقدها الممثلون للدول الأطراف في المعاهدة.

وهذه هي نفس النقاط التي تقاربت حولها الحكومتان الفرنسية والبريطانية في المشروع الفرنسي السادس أثناء الاتصالات الدبلوماسية بينهما على النحو الذي أوضحناه من قبل ولم تختلف عنها إلا في نقطة واحدة : فبينا أسندت اتفاقية الحلاء رياسة لحنة ممثلي اللول إلى مندوب خاص يعينه لحلنا الغرض الباب العالى أو الحديوى ، عهد المشروع الفرنسي السادس برياسة اللجنة إلى عميد السلك الفناسلي في مصر .

ومن المعلوم أن اتفافية الحلاءعن مصرفقلت قوتها القانونية واعتبرت كأن لم تكن الأن سلطان الدولة الميانية امتناع من التصديق عليها وكانت المادة السابعة من هذه الاتفاقية قد نصت على وجوب التصديق عليها في الآستانة في خلال شهر ابتداء من تاريخ التوقيع عليها ، وتم التوقيع عليها في ٢٧ من مايو ١٨٨٧ . ولكن حلث أن ضغطت الحكومتان الفرنسية والروسية على المنطان ضغطا لا هوادة فيه حلى أن ضغطت الحكومتان الفرنسية والروسية على المنطان ضغطا لا هوادة فيه في الاتفاقية من حيث الساح لها ياعادة احتلال مصر ، وأعلنت هاتان الحكومتان أن اتفاقية الحلاء لم تضمن أية من الركا أن اتفاقية الحلاء لم تضمن أية من وهو انجلترا ، وأنه إذا صادق المسلطان على الإتفاقية في صالع الحليف الأقوى وهو انجلترا ، وأنه إذا صادق المسلطان على الإتفاقية في صالع الحليف الأقوى وهو انجلترا ، وأنه إذا صادق المسلطان على الإتفاقية

فلن تكون الدولة العمانية دولة محايدة في نظر الدول، وسيكون رد الفعل هو احتلال فرنسا لسوريا واحتلال الروسيا لأرمينيا . وأذاعت وكالة هافاس Havas الفرنسية للأنباء عدة برقيات، يقول سير هنرى درمندولف إن الصدر الأحظم قلا أطلعه عليا، وكانت تجمع على أن حشوداً عسكرية روسية قتتجمع على طول الحدود التركية من ناحية أرمينيا .

64.6

### اللجنة الدولية في المشروع التركي:

وإذا كانت اتفاقية الحلاء عن مصر المبرمة في ٢٧ من مايو ١٨٨٧ قد سقطت سقوطا القائيا وانتفت عنها صفة النفاذ بامتناع ساطان تركيا عن التصديق عليها ، فان لورد سالزبورى Salisbury كان قد عرض على الدوق وادنجتون Waddington السفير الفرنسي في لندن ، في أثناء مقابلة تمت بينهما في ١١ من مايو ١٨٨٧ – أى قبل توقيع اتفاقية الحلاء بأحد عشر يوما – مشروع اتفاق قال عنه الوزير خدته أن سلطان تركيا يعترم تفديمه إلى الدول الموقعة على معاهدة براين سنة ١٨٨٨ وأطلق عليه الوزير ومشروع اتفاق يضمن حرية الملاحة في قناة السويسي (١) وتطلق عليه الوثائق الرسمية للحكومة البريطانية ومشروع اتفاق يقترحه السلطان على الدول الأطراف في معاهدة براين لضمان حرية الملاحة في قناة السويسي (٢٠).

ونورد هنا الفقرة الخاصة بانشاء الرقابة الدولية على قناة السويس.

ويقوم بمراقبة تنفيذه (الاتفاق) ممثلو المدول الموقعة عليه ، المعتمدون في مصر ،
 بالاشتراك مع ممثل الحكومة المصرية ، كلما طرأت ظروف قد تهدد سلامة القناة

Project for a Convention for securing the Free Navigation of the Suez Canal. ( )

A Project for a Convention to be proposed by the Sultan to the Powers parties to the Treaty of Berlin, for souring the Free Navigation of the Suez Canal.

أو حرية المرور فيها . ويجتمعون ، حين يدعوهم رئيسهم ، كى يحققوا ويثبتوا الظروف الخطيرة ، ويخطرون بها الحكومة المصرية كى تتخذ الاجراءات المناسبة لفهان حماية القناة وحرية المرور فيها. وعلى أية حال يجتمعون مرة فى العام ليسجلوا أن الاتفاق قد روحى بدقة » .

The Representatives in Egypt of the Signatory Powers, together with a Representative of the Egyptian Government, watch over its execution whenever circumstances shall arise which may threaten the safety or freedom of passage of the Canal; they shall assemble when convened by their President, in order to verify and record the circumstances of danger, and shall inform the Egyptian Government thereof, in order that it may take proper measures to insure the protection and free passage of the Canal; they shall in 220 case assemble once a -year, in order to record that the Convention has been duly observed(1).

ولا يحرج المشروع في مجموعه عن المبادىء التي وردت في اتفاقية الحلاء عن مصر إلا في نقطتين : إن اتفاقية الجلاء قررت إسناد رياسة لجنة الرقابة اللولية الى مندوب خاص يعينه لهذا الغرض السلطان أو الخديوى ، بيها نص المشروع التركى على أن تكون رياسة اللجنة إلى به رئيسهم » والمعنى الذي يتبادر الى الذهن من هذه اللفظة هو رئيس ممثل الدول الموقعة على الماهدة والمعتمدين في مصر : أما المنقطة الثانية فهي أن اتفاقية الجلاء قد نصت على أن الدحوة إلى الاجتماع توجه من أى من ممثل الدول في مصر و وأن يجتمع هولاء الوكلاء عندما يدعوهم أحد منهم » أما المشروع التركى فقد نص على أن تكون الدعوة الى اجتماع ممثل الدول موجهة من رئيسهم .

ويلاحظ أن الصياغة في المشروع التركي تعوزها الدقة في التعبير ، ونذكر على سبيل المثال استخدام كلمة « رئيس » فاتها لفظة عامة ليس فيها تحديد لصفة الرئيس وهل هو عميد السلك القتصلي في مصر أو أحد غيره مما يفتح مجالا للاجتهاد في التفسير والتأويل — وكان يجب على واضعى الصياغة استخدام كلمة عميد

اً ( 1 ) ألمادرالنابق".

doyen منعا لكل التباس : وأخيرا وردت فى اتفاقية الجلاء عبارة والوكلاء الدبلوماسيون فى مصر للدول الموقعة على الاتفاق» بينيا وردت فى المشروع التركى عبارة «ممثلو الدول الموقعة على الاتفاق المعتمدون فى مصر».

ويهمنا أن نذكر أنه اتضح من سياق الحديث الذى دار بين وزير الخارجية البريطانية وبين السفير الفرنسي في لندن أثناء مقابلة ١١ من مايو ١٨٨٧ والتي أشرنا إليها أن الحكومة البريطانية تقر هذا المشروع التركي جملة وتفصيلا ، وقد تولى الوزير شرح ما استثلق فهمه على السفير الفرنسي من بعض نقاط المشروع ويخاصة ما يتصل بحق مصر في الدفاع عن قناة السويس .

#### \*\*\*

#### اللجنة العولية في المشروع البريطاني الموجز ( المشروع الرابع ) :

استؤنفت الاتصالات الدبلوماسية بين باريس ولندن لنسوية بعض مسائل خارجية في محاولة لتنقية الجو السياسي بين الدولتين . وكان من بين تتاثيج هذه ! الاتصالات مشروع وضعته حكومة لندن لاتفاقية قناة السويس وعرضته في ٢٣ من سبتمبر ١٨٨٧ على حكومة باريس وطلبت الوقوف على رأيها فيه ١٠٠٠ .

ونحن نطلق عليه المشروع الموجز تمييزا له عن المشروعات الأخرى التي وضمت لاتفاقية القناة ، فهو يتكون من مقلمة وست مواد وأوضحت المقلمة الهدف من الاتفاقية فقالت إن حكومات الدولالموقعة عليها ترغب في أن تستكمل بصك اتفاقي Acte Conventionnel النظام الذي خضعت له الملاحة في قناة السويس بمقتضى فرمان السلطان الذي صدق على الامتيازات التي منحها خديوى مصر . وانطوت المادة الأولى على كسب كبير لمصر فقد جاءت صياغتها بالصورة الآتية ويعلن حضرة صاحب الجلالة الامبراطورية السلطان وحضرة صاحب السمو الخديوى أن قناة السويس البحرية تكون على الدوام حرق ومفتوحة سواء في وقت الحرب أو في وقت السلم لكل سفية تجارية أو حربية

<sup>(1)</sup> الكتاب الأزرق مصر رتم ا لسنة ١٨٥٨ وثيقة رتم ٣٦ مؤرخة في ٣٢ من سجنبر ١٨٨٧ من سحنبر ورزير الهارجية التبريطائية إلى اجرئون الموزير الهارجية التبريطائية إلى اجرئون الموزير الهارجية التبريطائية إلى اجرئون الموزير في السفارة البريطانية بياريس.

دون تمييز لجنسيتها بشرط دفع الرسوم وتنفيذ اللواقع المقررة ، وكان في هذه الصياغة تدعيم للحقيقة الماثلة وهي أن قناة السويس جزء من الاقليم المصرى ، وأنها مصرية ، وأن أصحابها هم اللمين يطنون حرية الملاحة في القناة . وفي هذا أيضا إضعاف لأبواق الاستعار التي كانت تعلو أحيانا وتخفت حينا زاعمة أن قناة السويس هي قناة دولية . ولذلك سرعان ما استقر الرأى بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية على أن تستبدلا بتلك الصيغة صيغة أخرى مجاها تقرر حرية الملاحة في القناة دون أبني إشارة إلى سلطان تركيا أو خديوى مصر .

وقد تعرضت المادة الثالثة من المشروع الموجز لموضوع الرقابة الدولية على القناة فجاءت صياغة هذه المادة على النحو الآتى :

ويعهد إلى ممثل الدول الموقعة على المعاهدة الحالية ، المعتمدين في مصر ، مراقبة تنفيذها . ويجتمعون في كل ظرف يهدد سلامة القناة أو حرية المرور فيها ، بناء على دعوة أحدهم ، وبرياسة عميدهم ، لاجراء التحقيقات اللازمة . ويحيطون المحكومة الحديدية علما بالخطر المدى يتبينونه كي تتخذ هذه الحكومة الاجراءات المناسبة لفيان حاية الفناة وحرية استخدامها .

 ويطلبون بوجه خاص إلغاء كل عمل أو تفريق كل حشد على أيتر ضفة من ضفتى القناة يمكن أن يكون الغرض منه أو يؤدى إلى المساس بجرية الملاحة وسلامتها التامة 0.

"Los Représentants en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité seront chargés de veiller à son exécution. En toute circonstance qui menacerait la sécurité ou le libre passage du Canal, ils se réuniront sur la convocation d'un d'entre eux, et sous la présidence de leur Doyen, pour procéder aux constatations nécessaires. Ils feront connaître au Gouvernement Khédivial le danger qu'ils auront reconnu, afin que celui-ci prenne les mesures propres à assurer la protection et le libre usage du Canal.

Ils réclameront notamment la suppression de tout ouvrage on la dispersion de tout rassemblement qui, sur l'une ou l'autre rive du Canal, pourrait avoir pour but ou pour effet de porter atteinte, à la liberté et à l'entière sécurité de la navigation" (1).

وبمقارنة هذا المشروع الجديد قد أغفل إغفالا تاما النص الحابق وهو المشروع المتركى، نجد أن المشروع الجديد قد أغفل إغفالا تاما النص الحالا بتهاعات الدورية التي يعقدها ممثلو الدول مرة كل عام التثبت من أن اتفاقية القندة قد نفلت تنفيلا سليا على مدار السنة المنصرمة ، كما أغفل هذا المشروع اشتراك الحكومة المصرية في عضوية لجنة ممثلي الدول ، ونص على أنه يكني أن يوجه أحد ممثلي الدول على عبد السلك القنصلي في مصر . ويلاحظ أخيرا أن المشروع البريطاني الموجز المعدد المساك القنصلي في مصر . ويلاحظ أخيرا أن المشروع البريطاني الموجز اختصاصات قناصل الدول في مصر هو مطالبة الحكومة المصرية بالغاء كل عمل اختصاصات قناصل الدول في مصر هو مطالبة الحكومة المصرية بالغاء كل عمل المساس بحرية الملاحة في القناة أو سلامها التامة . وكان إدراج هذا النص استجابة لم طبقة المدنسة التي تولت صياغته عند ما احتدم النزاع بينها وبين الحكومة البريطانية خيال سنة ١٨٨٧ حول موضوع حق السلطان والخديو في الاستمانة بقوات دولة حليفة في الدفاع عن قناة السويس (٢٠).

<sup>(</sup>١) تجد النص الرسمى لحلة الاتفاق الموجز فى الكتاب الأزرق مصر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ موفق الوثيقة ٣٦ طردخة فى ٢٣ من سبت. ١٨٨٧ . ويقرر لورد صائر بورى Salipbury رزير الخارجية البريطانية إنه سلم حلة الاتفاق إلى Count d'Anbigny القائم بأعمال السفارة الفرنسية فى لندن أثناء غياب Waddington السفير الفرنسي إذ كانت الحكومة الفرنسية قد استحته إلى ياريس لاجراء مشاورات معه مخصوص المسائل للمائة بين البلدين .

<sup>(</sup> ٢ ) أرادت الحكومة البريطانية أن تفرض نفسها حليقة لمصر تشترك تواتها المسلحة في الدفاع عن قتاة السويس ومن بافي أجزاء مصر . وكان الوضع المسكوى والسياسي الفائم في مصر وتفاالك بوجود قوات الاحتلال بها بمصل اشتراكها في الدفاع حقيقة وأقفة، ولكنها أرادت بطريقة مستمرة أن تمارس هذا الحقق رميا وطبقا لمماهفة دولية . أما فرنسا التي كانت تريد حرمان بريطانيا في استخلال فقد صلولت أن تحد من حرية بريطانيا في الصل في مصر وأن تقمع قيودا على تحركات تواتها السكرية في مصر فقالية عن الاقلم على الاقلم المحمدين بن بريطانيا في المسكرية في مصر فقاليت بأن يباشر ملطان تركيا وخدير مصر حق الدفاع عن الاقلم المصري بقواتها المسكرية في مصر فطالبت بأن يباشر ملطان تركيا وخدير مصر حق الدفاع عن الاقلم المسمري بقرانها المسكرية في مصر قبالا المسكرية في مصر في الدفاع عن الاقلم.

#### اللجئة الدولية في الشروع البريطاني الفصل ( الشروع الخامس ) :

## رفضت الحكومة الفرنسية المشروع البريطانى الموجز معتذرة بأنها لاتستطيع

اقترح هذه العبارة فى لجنة باريس الدولية الفرعية — حى لا تسطيع بريطانيا من الناسية القانونية أن تستخدم قرائها فى الدفاع عن مصر بحبة أنها قرات دولة حليفة . وجزعت بريطانيا لهذا الشرط وقالت بعنو قيدا على حرية الحكومة المصرية فى اتخاذ حلفاء لها وطالبت بحدث عبارة « يقوائهما الحاصة » وأجابت الحكومة الفرنسية بأن عقد معاهدة جماعية تضمن شروطا معينة تكفل سلامة قناة السويس وتنظم حرية مرور الدفن الحرية والتجارية فأوقات السلم والحرب بدون تحييز بين جنسياتها إنما هو تقييد وحد وانتقاص من حقوق السيادة التي تدسع بها الحكومة النهائية والحكومة المصرية الذن المعاهدة تقيد حريبهما فى التصرف فى منطقة القناة وتلزمهما باتباع الشروط المتصوص علها فها .

وخطت الحكومة الفرنسية عطوة في سبيل تقريب وجهات النظر فقالت إذاكانت الحكومة البريطانية ثرغب في أن تترك السلطان والحديو مطلق الحرية في مقد محالفات عسكرية مع دولة أو دول أجنيية من أجل الدفاع عن مصر فان الحكومة الفرنسية تقر هذا الرأى ولكن فيها هو خارج عن منطقة القناة بمنى أن يكون المسلطان والحديق التحالف مع أية دولة وطلب الاستعانة بقوات حليفة سواء لإخاد ثروة داخلية في مصر أو لدفاع عن جميع أجزاء الاقليم للمسرى فيها هو خارج عن منطقة القناة . أما شرط القوات الحاصة فلا يسرى إلا على منطقة اقتناة ، وإذا هجزت الحكومة المصرية عسكريا عن النهوض بواجب الدفاع عن منطقة القناة فانه يتمين عليها أن تلبأ إلى الحكومة الميانية التي تتشاور مع الدول الموقعة على تصريح لندن المترج في ١٧ من مارس ١٨٨٥ التخذ بانفاق مشرك الاجراءات اللازمة لتلبية طلب الحكومة المصرية وبالخال تألف المعربة

وهكذا أرزت الحكومة الفرنسية مبدأ سياسيا وعسكريا خطيرا إزاء تناة السويس وأرادت من جميع الدول على السواء أن تلزم به حتى تقطع السبيل أمام بريطانيا فقالت إن تدخل الدول الموقعة على المعاهدة المنافعة عن حرية الشناة وأسها يجب أن يكون تدخلا جاهيا، وإن استاعها عن التدخل يجب أن يكون استاعا عن فالعمل الجماعية وقد إلى المنافعة المنافعة من الدولة بمفردها ، حتى وتو كانت عذه الدولة تعمل بالم السلطان أو الخدير وباذنها وبموافقهما وبصفها حليفة لهل ، لأن هذه الدولة الحليفة ستغرد عن سائر الدول الموقعة على المعاهدة بميزة عسكرية . وتأسيسا على هذا المبدأ السياسي والسمكري قالت المكومة الفرنسية إنها لا تقر الرأى القائل بأن الباب العالى والحدير يحتاجان إلى مساعدة حلفاء مصوصيين الدفاع عن المنافعة بدون استثناء المفاعدة بدون استثناء المفاعدة بدون استثناء المفاعدة بدون استثناء وليس هناك محل الحيز دولة عن سائر الدول . وخلصت الحكومة الفرنسية من ذلك إلى مطالمة المحكومة الدولتية من ناهية المخلومة الدولتية من ناهية الدكومة المرتسية من ناهية المحكومة الموتية من ناهية المحكومة الموتية من المعالمة من ناحية الركا سددت من ناهية البحر

وإذا كانت الحكومة البريطانية قد أعدت برأى الحكومة الفرنسية في منح السلطان والحديد من الاستعانة بقوات دولة ثالثة في الدفاع عن منطقة الفناة فائها اعترضت اعتراضا قويا على الرأى الذي ندمت إليه الحكومة الفرنسية فيا يختص بتحديد منطقة الفناة من فاخية البر . أرادت الحكومة الفرنسية أن تشمل منطقة القناة ، ورأت الحكومة البريطانية أن تشمل عسد منطقة القناة ، ورأت الحكومة البريطانية أن هذا توسم عسد

لأصبحت هذه الشقة من الأرض ومفتوحة لجميع الدول في كل الأوقات، أسوة بما هو مقرر بالنسبة للفتاة البحرية فهيء حرة ومفتوحة دائمًا، صواءً في وقت الحرب أوفي وقت السلم ، لكل سفينة تجادية أر حربية دون تمييز لحنسيتها ۽ وينج عن ذلك أن تصبح هذه المنطقة أرضا مثاعا لا اقلمها محايدا ، وتكون كل دولة حرة في أن تضم على هذه المنطقة وفي أي وقت قوات عسكرية بالعدد الذي يحلو لها ، أو تمر بها قوات عسكرية ، أو تَنزَل السفن فيها قوات عسكرية . ومن ناحية أخرى إذا طبق على هذا الشريط الارضى نظام الحيدة بالمني المتمارف عليه بالنسبة للاقلم الارضى فلن يسمح لأية دولة بالمرور بقواتها ني أي وقت في هذه الاراضي . ويترتب على ذلك وضع شاذ لأن سلطان تركيا لن يستطيع أن يعجلها حتى و لو طلب إليه الخديو ذلك , أما إذا نشبت ثورة في مصر فان هذه المنطقة ستصبح تحت رحمة قيادة الثورة . ثم قالت الحكومة البريطانية إن هذه الارض جزء من الامير اطورية المثَّانية ، وقفل هذه الارض ني وجه السلطان ، ومنعه من مباشرة أي حق من حقوق السيادة عليها لهو أمر غريب ليس له سوابق ني القانون الدول . و أعربت الحكومة العريطانية من اعتقادها أن سلطان تركيا لن يقبل مثل هذا الاقتراح ، ثم مضت تقول إن منشور لورد جرانفل وتصريح لندن يشير ان إلى القناة عل أنها المجرى المائي فقط . ولذلك قررت يصريح العبارة أنه عند تحديد منطقة القناة من ناحية البر ، يجب استبعاد كل محلولة ديلرماسية تستهدف إدخال الاراضي الواقمة على ضفتي القناة ضمن منطقة الفناة وبالتالي يجب تجنب تطبيق نظام الحيدة على هذه الاراضى ، وتجنب ألوان من الشارذ وعام النظام في هذه المنطقة ، لأنه يصعب إنشاء بجرى مائى مفتوح دائمًا لحميع الدول بين شقى أرض مفلقتين دائمًا فى وجه جميع الدول حيَّى فى وجه حاكم الاقليم والقائم على حراسة النظام في هذه الارض. وانتهت الحكومة البريطانية إلى تأكيد رأيها وهو أن تحديد منطقة القناة من ناحية البر بجب أن يكون مقصورًا على الحبرى الماثي للقتاة ، وأن تطبق على هذا المجرى الماثي خطة الدفاع التي اقترحتها فرنسا . .

وأبدت المكومة الفرنسية ارتياحها لموقف المكومة البريطانية وقالت إنها لا تنسبك بتحديد منطقة التناة من ناحية البر بعد أن تخلف المكومة البريطانية عن رأيها الذى كان يجيز السلطان والمخدير الاستعانة بقوات دولة ثالثة أن الدفاع عن القناة ، وكشفت عن الباعث على مطالبها بتحديد منطقة القناة برياً فقالت إنه الرغبة في منع السلطان والحديو من الاستعانة بعولة حليفة في الدفاع عن القناة ، ثم صرحت بأنه لم يدو في علدها على الإطلاق أن تصبح ضفتا القناة أرضا مشاعا مفتوحة الجديع ، ولكن الأمر الذي يجمها قبل كن عديد السلطان أو الحديو أو أية دولة من الاراضي الواقعة على ضفتي القناة ميدافا لعمليات عسكرية تسلل الملاحة وتجمل الضمانات التي وضعت لهرية مرور السفن أمرا خياليا ، واقترحت الحكومة الفرنسية أن يدرج نص في المعاهنة يحمل الضيانات التي تكفل حرية الملاحة ذات أثر فعال ، وذلك بدلا من تحديد منطقة على ضفتي القناة تميد عدة كيفرمترات . وكان علما النص المقترة والصياغة .

أنظر الكتاب الأزرق مصنر رتم ؛ لسنة ١٨٨٨ الوثائق الآتية ومرفقاتها ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩٠٠ ٢٤ ، ٢٥ ، ٧٨ ، ٢٠ - ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٠ المشروع الذى صاغته لجنة باريس الدولية (٢٠وفى الواقع لقد ساء الحكومة الفرنسية أن حكومة الفرنسية أن حكومة الفرنسية على مختلف المنوية التي يعقدها ممثلو الموقعة على الاتفاقية والمعتمدون في مصر، ولهذا جاء المشروع البريطاني الموجز حكا رأينا حنوا من النص على هذا الذوع من الاجتماعات .

وفي ذلك الوقت وقع حادث كانت نتيجته الماشرة تقارب الحكومتين : فقد زار باريس في أكتوبر ۱۸۸۷ لورد سالزبورى Salisbury رئيس الوزارة البريطانية ووزير الخارجية ، ووجد ظورانس Flourens وزير خارجية فرسا البريطانية ووزير الخارجية ، ووجد ظورانس Flourens وزير خارجية فرسا في هذه الزيارة فرصة سائحة، فقام بمحادثات مباشرة معه بخصوص مسألة القناة وبعض مسائل أخرى . وأسفرت هذه المخادثات عن اتفاق الحكومتين على مشروع جديد للاتفاقة سويت فيه المسائل التي كانت لا تزال ، وضع خلاف بينهما (٢٠) وتم الاتفاق على أن تقوم وزارة الخارجية البريطانية بتقديم هذا المشروع إلى المكومة الفرنسية ثم تتولى الأخيرة تبليغه بصفة رسمية إلى حكومات الدول التي كانت تمثلة في لجنة باريس الدولية للموافقة عليه . وقد أوفي لورد سالزبورى بوعده، فأرسل مشروع المعاهدة في صياعتها الجديدة إلى باريس في ٢١ من أكتوبر والمدهدة والمدينة المسرية .

وهذا المشروع أكثر تفصيلا وأهمية من المشروع الموجز ، فهو يقع في ست عشرة مادة ، عدا المقدمة ، ويمتاز بتنسيق الموضوعات وإفراد مادة مستقلة لكل موضوع تقريبا . أما أهميته فترجع إلى أنه أول مشروع لاتفاقية القناة تلتني عنده الحكومتان الفرنسية والبريطانية بفد أن امتد الحلاف بينهما عدة سنوات بخصوص

 <sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ وثيقة رقم ٢٧ من لورد سالزبوري Salisbury
 رؤير الخارجية البريطانية إلى أجرتون Egecton الوزير بالسفارة البريطانية في باديس ومؤدخة ف٢١
 من سبتسبر ١٨٨٧

Doc. Dipl. Fr. الوثائق الدبلوماسية الفرنسية (٢٠)

الجزء السادس من الحبوعة الأولى . وثيقة رتم، ٦٣٩ وهي برقية أرسلها فلورانس Floureas وزير الحارجية الفرنسية إلى عثل فرنسا الديلوماسيين في الآستانة وسان يطرسبرج وفينا وساديد ولاهلى وسؤرَّعة في ٣٠ من أكتوبر ١٨٨٧

مسألة القناة ، كما أنه كان أول مشروع للاتفاقية تتلقاه بصفة رسمية الحكومات الأوربية التي كانت ممثلة في لجنة باريس الدولية للسوافقة عليه ، وترجم أهميته أيضا إلى أنه غدا الاساس الذي صيغت على نسقه الاتفاقية الهائية لتنظيم حرية الملاحة في قناة السويس والتي وقع عليها مندوبو الدول في الآستانة في ٢٩ من أكتوبر ١٨٨٨

وقد أفرد هذا المشروع المادة الثامنة منه لموضوع الرقابة الدولية على القناة وقد جاءت صياغة هذه المادة على النحو الآتي :

ه يعهد إلى ممثل الدول الموقعة على المعاهدة الحالية ، المعتمدين في مصر ، عراقبة تنفيذها . ويجتمعون في كل ظرف يهدد سلامة الفتاة أو حرية المرور فيها ، يناء على دعوة ثلاثة من بينهم ، وبرياسة عميدهم ، لاجراء التحقيقات اللازمة . ويحيطون الحكومة الخديوية علما بالخطر الذي يتينونه كي تتخذ هذه الحكومة الاجراءات المناسبة لضهان حاية القناة وحرية استخدامها .

وعلى أية حال يجتمعون مرة في السنة للتحقق من سلامة تنفيذ المعاهدة .

 ويطلبون بوجه خاص إلغاء كل عمل أو تفريق كل حشد على أية ضفة من ضفتى الفناة يمكن أن يكون الغرض منه أو يؤدى إلى المساس بحربة الملاحة وسلامتها النامة »

Les Représentants en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité seront chargés de veiller à son exécution. En toute circonstance qui menacerait la sécurité ou le libre passage du Canal, ils se réuniront sur la convocation de trois d'entre eux, et sous la présidence de leur Doyen, pour procéder aux constatations nécessaires. Ils feront connaître au Gouvernement Khédivial le danger qu'ils auront reconnu afin que celui-ci prenne les mesures proprès à assurer la protection et le libre usage du Canal.

"En tout état de cause ils se réuniront une fois par an pour constater la bonne exécution du Traité.

"Ils réclameront notamment la suppression de tout ouvrage ou la dispersion de tout rassemblement qui, sur l'une cu l'autre rive du Canal,

pourrait avoir pour but ou pour effet de porter atteinte à la liberté et à l'entière sécurité de la navigation" (1).

والدراسة المقارنة بين هذا المشروع البريطاني المفصل وبين المشروع البريطاني الموجز توضع أن هناك اختلافين بينهما . فان المشروع المفصل قد جاء بتعديل جديد يضاف لأول مرة إلى كافة مثه وعات الرقابة الدولية التي مرت بنا . وينحصر هذا التعديل في أن الدعوة إلى عقد الاجتماعات الطارئة بجب أن توجه من ثلاثة من ممثل الدول الموقعة على المعاهدة والمعتمدين في مصر بدلًا من ممثل دولة واحدة . وقد أدخل هذا التعديل بناء على طلب الحكومة البريطانية نظرا لموقف الريبة والحذر الذي اتخذته هذه الحكومة من موضوع الرقابة الدولية، فأرادت أن تضع قيودا على هذه الاجتماعات الطارئة وتقلل من فرص اجتماعاتها ما استطاعت إلىذاك سبيلا . وقد سجلت الحكومة البريطانية في المذكرة التفسيرية التي أرفقتها بالمشروع أن أي قرار تصدره لجنة ممثلي الدول لن تكون له قيمة على الاطلاق إلا إذا وافق عليه أعضاء اللجنة بالاجماع . أما الاختلاف الثاني فيتمثل في أن المشروع البريطاني المفصل قد أعاد الاجتماعات الدورية السنوية لممثلي الدول، وكان المشروع الموجز قد أغفل هذا النوع من الاجتماعات . وقالت الحكومة البريطانية في مذكرتها إنه إذا كانت الحكومة الفرنسة تعلق أهمية كبيرة على الاجتماعات الدورية ذان الحكومة البربطانية لن تقف في وجه هذه الرغبة، فهذه الاجتماعات وإن كانت غير ضرورية فانها عدعة الضرر (٢).

وتشممنت المذكرة الثانية مسألتين هامتين هما المطالبة بضرورة موافقة السلطان والحكومات الأوربية على هذا المشروع حتى يكتسب الصفة القانونية وتكون له

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مهمر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ وثيقة رقم ٢٩ من لورد سالزبورى وزير الخارجية البريطانية إلى إجرتون Egerton الوزير بالسفارة البريطانية فى باريس ومؤرخة فى ٢١ من أكتوبر ١٨٨٧ . وافظر مرفق هذه الوثيقة بمنوان Draft of Suez Canal Convention.

 <sup>(</sup>۲) الكتاب الأزرق مصر رثم ۱ لمنة ۱۸۸۸ وثيقة رثم ۳۹ من سائز بورى وزير الخارجية البريطانية إلى إجرتون Egenton الوزير بالسفارة البريطانية في باريس ومؤرخة في ۲۱ من أكتوبر ۱۸۸۷

قوة ثافلة في محيط السياسة الدولية ، ثم تذكير الحكومة الفرنسية بالتحفظ البريطانى ومؤداه أن مشروع الانفاقية لا يحد من حرية الحكومة البريطانية في المعمل بمصر ما بني الاحتلال البريطاني قائما (1).

444

# مطالبة السلطان عبد الحميد بتمديل مشروع اللجنة الدولية :

امتنع السلطان عبد الحميد عن الموافقة على مشروع الاتفاقية وهو المشروع البريطانى المفصل – وطالب بادخال تعديلات شتى عليه ، كان من أهمها تعديلات البريطانى المفصل – وطالب بادخال تعديلات شتى عليه ، كان من أهمها تعديلات الرئيسيان تمسك بهما تمسكا شديدا ، ودارت معركة دبلوماسية خاضتها الحكومات الثلاث العيائية والفرنسية والبريطانية . ثم حاوات الحكومة الايطائية أن تقحم نفسها في موضوع هذه التعديلات ، ولكنها ما لبثت أن انسجب بعد أن وقف سالزبورى Saliabury رئيس الوزارة البريطانية ووزير الخارجية من الحكومة الايطائية موقفا حازما . أما التعديلان الرئيسيان الالمان طالب بهما السلطان عبد الحميد فكان أحدهما حسكريا يتلخص في اعفاء الدولة العيانية من القيود المسكرية الخاصة بجوية الملاحة في قناة السويس والواردة في مشروع الاتفاقية ، عندما يكون الأمر متعلقا بقيام قوائها المساحة بالمدفاع عن الحجاز واليمن وهما من الممتلكات العيانية في ذلك الوقت . وقد وضعت القيود العسكرية أصلا في مشروع الاتفاقية تلتزم بها الدول المتحاربة ضماناً لحرية الملاحة في قناة السويس .

أما التعديل الآخر فكان سياسيا خاصا بالرقابة الدولية على القناة ، إذ طالب بأن تمثل الحكومتان العثمانية والمصرية في لجنة ممثلي الدول ، وأن تكون للحكومة المثمانية رياسة هذه اللجنة . وهذا هو نص التعديل الذي طالب بادخاله على الفقرة الأولى من المادة الثامنة موضوع الرقابة الدولية .

ويعهد إلى وكلاء الدول الموقعة على المعاهدة الحالية، المتمدين في مصر ،
 بمراقبة تنفيذها ، بالاتفاق مع قوميسير تعينه الحكومة الامبراطورية العثمانية ،

 <sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ وثيقة رقم ٣٥ من مالزبوري إلى اجرئون ومؤوخة ق ٢١ من أكتوبر ١٨٨٧

والمندوب الذي تعينه الخديوية (١) بصفته مساعدا لهذا القوميسير. وهم يجتمعون في كل حالة تهدد أمن القناة أو حرية المرور فيها ، بناء على دعوة ثلاثة من بينهم ، وبرياسة القوميسير العنماني لاجراء التحقيقات اللازهة. ويحيطون الحكومة الجديوية علما بالخطر الذي تبينوته كي تتخذ هذه الحكومة الاجراءات المناسبة لضيان حماية الفناة وحرية استخدامها ».

"Les Agents en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité seront chargés de veiller à son exécution de concert avec un Commissaire nommé par le Gouvernement Impérial Ottomant et le Délégué qui sera désigné par le Khédiviat en qualité d'adjoint de ce Commissaire. En toute circonstance qui menacerait la sécurité ou le libre passage du Canal, ils se réuniront sur la convocation de trois d'entre eux et sous la présidence du Commissaire Ottoman, pour procéder aux constatations nécessaires. Ils feront connaître au Gouvernement Khédivial le danger qu'ils auraient reconnu afin que celui-ci prenne les mesures propres à assurer la protection et le libre usage du Canal." (<sup>§</sup>).

وقد أخلت الحكومتان الفرنسية والبريطانية بالتعديل الفظى فوافقتا على أن تستبدل بكلمة و ممثل Représentants الفظة و وكلاء Agents ولكنهما رفضتا أول الأمر رفضا باتا التعديل المرضوعي بشقيه : تمثيل الحكومتين العمانية والمصرية في لجنة وكلاء الدول، ورياسة هذه اللجنة لقوه يسير عماني تعينه الحكومة الممانية لهذا الغرض .

وقدمت الحكومة البريطانية مذكرة وثرخة في ٢٣ من يناير ١٨٨٨ إلى الحكومة الفرنسية أوضحت فيها وجهة نظرها<sup>(٢٢)</sup> فقالت إن رياسة قوويسير تركمي

<sup>(1)</sup> أي الولاية المثمانية التي يحكمها خديو. ويقصد بها مصر ،

 <sup>(</sup>۲) الكتاب الأزرق مصر رتم ۲ لسنة ۱۸۸۹ . وثيقة رتم ۱۰ من مير هوايت Sir W. White
 السفير البريطان في الاستانة إلى سالزبوري و زير شمارجية بريطانيا ومؤرشة في ۱۱ من قبر اير ۱۸۸۸ .
 وانظر أيضا مرفق هذه الوثيقة .

 <sup>(</sup>٣) الكتاب الازرق مصر رقم ٧ لسنة ١٨٨٩ وثيقة رقم ٦ من ليتون Eytton السلمير
 البريطان في بازيس إلى سالزبورى وغورخة في ٢٣ من يتاير ١٨٨٣ ومرفق بالوثيقة مذكرة الحكونة البريطانية.

للبجنة القناصل يجعل اجتماعات هذه اللجنة تفقد الطابع الذى حرص مشروع الانفاقية على إعطائه لها ويتنانى مع روح المادة الثامنة ويتعارض مع أهدافها ، فالاجتماعات القنصلية أمر عادى فى مصر ، ولكن النص على أن تكون اجتماعات الجنة القناصل برياسة قوميسير تركى لهو أمر شاذ ، وقد يؤدى فى ظروف معينة إلى ارتباكات، لأنه يتطلب تعيين موظف تركى يقيم بصفة دائمة فى مصر كى يكون مستعما لوياسة أى اجتماع طارىء تدعو الحاجة إليه . كا قررت الحكومة البريطانية فى هذه المذكرة أن السلطان والحديو هما الملافعان الهليعيان عن القناة .

The Sultan and the Khedive are the natural defenders of the Canal.

وأما مهمة القناصل في اللجنة فتتحصر في إبلاغ الحكومة المصرية بأن خطرا قريبا يتهدد القناة .

وفي حديث دار في ٧٧ من فبراير ١٨٨٨ بين لورد سالزبورى رئيس الوزارة البريطانية ووزير الحارجية وبين رسم باشا السفير التركي في لندن، صرح سالزبورى بقوله إن رياسة تركيا للجنة القناصل تتطلب تعيين موظف تركي يقم بصفة دائمة في مصر ، وهو وضع يتنافي مع الاستقلال الناخل الذي تتمتع به الحكومة المصرية طبقاً للفرمانات السلطانية الصادرة في هذا الشأن (11).

ولكن الحكومة العيانية تمسكت برأيها ، وأدركت الحكومة الفرنسية أن الأخذ بالتعديل العياني يرضى كبرياء السلطان، لأن في هذا التعديل تدعيا لمظهر من مظاهر السيادة العيانية على مصر، والتي يحرص عليه السلطان حرصاً بالغا. وكانت الحكومة الفرنسية من ناحية أخرى شديلة الرغبة في تجنب كل ما من شأنه تأخير تسوية مشكلة القناة ، فقامت بدور الوسيط بين لندن والآستانة وبذلت مساعيه الحميدة ses bons offices لدى الحكومة البريطانية كي تخطو خطوة في سبيل الأخذ بوجهة النظر العيانية .

<sup>( ) )</sup> للمبدر السابق . وثبتة رتم ۱۵ من سالزبوري Sallisbury إلى هوآيت Sir W. White السفير البريطان في الآستانة ومتروخة في ۲۷ من فبر ابر ۱۸۸۸

وأدركت وزارة الخارجية البريطانية أن فلورانس Flourens وزير خارجمة فرنسا راغب في إيجاد نص في صياغة هذه المادة يعترف بمركز السلطان بصفته صاحب السيادة على مصر ، وذلك في سبيل التقريب بين لندن والآستانة،وون ثم عكف الخبراء البريطانيون في وزارة الخارجية على صياغة نص يحقق هذا الهدف . وأرسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة سرية مؤرخة في ٢٩ من فبراير ١٨٨٨ ، قالت فيها إن المادة الثامنة من مشروع الاتفاقية تفرق بين نوعين من اجتماعات لجنة القناصل : فهناك الاجتماعات الطارئة التي تعقد في حالة ظهور أو توقع خطر يهدد أمن القناة أو حربة الملاحة فيها ، وهناك الاجتماعات الدورية التي تعقد مرة كل سنة للتحقق من سلامة تنفيذ المعاهدة , واقترحت الحكومة البريطانية أن تعقد الاجتهاعات الأخيرة برياسة مندوب خاص تعينه الحكومة العثمانية لهذا الغرض ، ويحضر هذه الانجتماعات أيضا مندوب مصرى ويرأس الاجتماع إذا لم ترسل الحكومة العبَّانية مندوبا عنها . أما الاجتماعات الطارثة فقد أصرت الحكومة البريطانية على أن تكون برياسة عميد السلك القنصلي في مصر، وأن تكون مقصورة على قناصل الدول ، وقررت أن حضور موظف تركي أو مصرى مثل هذه الاجتماعات الطارثة أمر غير منطقي ويثير الارتباكات ، لأن الهدف من هذا النوع من الاجتماعات هو مناقشة التبليغات التي تقدم إلى الحكومة المصرية عن الخطر الذي يتوقعه القناصل.

وارتاحت وزارة الخارجية الفرنسية لهذا الحل الوسط اعتقادا منها أنه سيلقى قبولا لدى الحكومة العيانية ، واقترحت بأن تتولى تقديمه ، باسم الحكومتين الفرنسية والبريطانية إلى الباب العالى ، وأدخلت على النص الوارد في مشروع الاتفاقية تعديلا يتمشى مع المرأى الذى انتهت إليه الحكومة البريطانية، فتكون رياسة الاجتماعات الدورية التي تعقدها لجنة القناصل لمندوب عياني تعنيه الحكومة المهانية لهذا الغرض، وأن يشترك في هذه الاجتماعات الدورية مندوب عن الحكومة المصرية ويرأس الاجتماع في حالة غياب المندوب العياني.

وقدمت الحكومة الفرنسية لهذا الرأى في مذكرتها إلى الباب العالى(١) بقولما إن الحكومتين الفرنسية والبريطانية تقران أن رياسة مندوب عثانى للجنة القناصل أمر قانونى استنادا إلى أن الدولة المثانية هي صاحبة السيادة على مصر ، وأن هاتين الحكومتين لا يدور بخلدهما مناقشة شرعية هذه الرياسة ، ولكن يلاحظ من تاحية أخرى أنه ليس للسلطان قنصل في مصر ، وإذا ظهر خطر مفاجىء بهدد أمن القناة أو حرية الملاحة فيها ، كان لزاما على قناصل الدول أن يعقدوا اجتماعا عاجلا ، ولن يكون في مقدورهم تأجيل عقد مثل هذا الاجتماع الطارىء رثيها يحضر مندوب عثماني لرأس الاجتماع ، وخلصت من ذلك إلى قولها إن رياسة عميد السلك القنصلي للجتماعات الطارئة أمر تمليه الضرورة العملية العاجلة .

غير أن الحكومة الميانية لم تأخل بهذا الرأى وطالبت بأن تكون لها أيضا رياسة الاجتماعات الطارئة ، فتخضع هذه الاجتماعات لنفس النظام الذى تقرر للاجتماعات المسورية السنوية التي تعقدها لجنة القناصل ، وفي حالة غيابه للمندوب المعين من قبل خديو مصر. واستندت في تبرير هذا الطلب إلىأن نصوص المادتين التاسعة والمعاشرة من مشروع الاتفاقية قد خولت للحكومة الميانية بسمة حكومة المعاشرة من مشروع الاتفاقية قد خولت للحكومة الميانية بسمة حكومة المتابير اللازمة التي تحمل على الحترام تنفيذ المعاهدة وفي اتخاذ التنابير الفرورية للدفاع عن مصر وعن سلامة القناة ، وتأسيسا على هذا الحق المقرر يجب أن تكون الحكومة الميانية على علم مباشر وصريع بعلبيمة الظروف الطارئة حتى تستطيع اتخاذ التدابير الضرورية المياشية كل حادث ، الأمر الذي لا يتوفر إلا إذا كانت الحكومة الميانية ممثلة المواجهة كل حادث ، الأمر الذي لا يتوفر إلا إذا كانت الحكومة الميانية ممثلة المواجهة كل حادث ، الأمر الذي لا يتوفر إلا إذا كانت الحكومة الميانية ممثلة

<sup>(&#</sup>x27;۱') الكتاب الأزرق مصر رقم ۲ لسنة ۱۸۸۹ وثيقة رقم ۲۰ مذكرة من وادنجون Waddington السفيد الفرقية مشروع السفيد الفرتية و الدفيقة مشروع السفيد الفرتية و ۱۸۸۸ . ومرفق جله الوثيقة مشروع برتية يرسلها فلورانس Flourens وزير خارجية فرنسا إلى موتقبلو Montobello السفير الفرنسي أه الأستانة

في الاجتماعات الطارثة ، فهذه الاجتماعات تفوق في أهميتها وخطرها الاجتماع*ات* الدورية العادية <sup>(1)</sup> .

على هذا المنوال أخذت باريس ولندن والآستانة تتناول المذكرات فيا بينها ، وتعذر التقريب بين وجهات النظر المختلفة ، وظل الموقف على ها هو عليه : فالمولة المثمانية تطلب إعفاءها من القيود الخاصة بحرية مرور السفن في القناة في حالة قيام قوائها المسلحة بالدفاع عن الحيجاز واليمن ، وتطلب أيضا أن تكون لها رياسة الاجتماعات الطارثة التي تعقدها لجنة القناصل (۱۲). أما الحكومة البريطانية ، ومعها الحكومة الفرنسية ، فترفضان منح مزيد من الاستثناعات العسكرية للحكومة المثمانية برياسة الاجتماعات. المدورية، وأن تترك رياسة الاجتماعات العارثة لعميد السلك القنصلي في مصر .

وأدركت الحكومة الفرنسية أن لندن لن تتزحزح قيد أنملة عن وقفها ، وأن السلطان عبد الحميد متسك تمسكا شديدا بالمطلب الأول. وشعرت أن إصراره على المطلب الثانى سوف يخبو وشيكا (77) فر أت أن تقوم بمحاولة أخيرة في الآستانة وفي لندن لا تفاذ الموقف والخروج بمشروع الاتفاقية من هذا المأزق الذي انحدر اليه . وقامت فكرتها على أساس أن يتنازل كل فريق عن أحد المطلبين في مقابل الأخذ بالمطلب الآخو : فتوافق الحكومتان الفرنسية والبريطانية على النص العسكرى الذي يطالب به الحكومتان المؤنسية والمريطانية على اللكن تطالب به الحكومتان الفرنسية والمريطانية المساسى الذي تطالب به الحكومتان الفرنسية والبريطانية المساسى اللذي تطالب به الحكومتان الفرنسية والبريطانية لعميد السلك القنصلي في مصر.

<sup>(1)</sup> الكتاب الأزرق مصر رقم ٣ لسنة ١٨٨٩ . مذكرة تدنيا الحكومة المثانية إلى مونتبللو Montebello السفير الفرنسي في الآستانة في ١٤ من أبريل ١٨٨٨ ووافي بنسخة مها زميله السفير البريطاني في الآستانة هوايت Sir W. White الذي أرسلها إلى مالزبوري وزير الخارجية للبريطانية في ١٤ من أبريل ١٨٨٨ أنظر الوثيقة ٣١ ومرفق الوثيقة .

 <sup>(</sup>٢) الكتاب الأزرق مصر رقم ٢ لسنة ١٨٨٩ وثيقة رقم ٣٧ من ليتون Lytton السفير
 أبريطان في باريس إلى سالابورى رزير الحارجية البريطانية ومؤرخة في ١٩ أبريل ١٨٨٨

 <sup>(</sup>٣) الكتاب الأزرق مصر رقم ٣ لسنة ١٨٨٩ وثيقة رقم ٣٣ من سائز يورى وزير الخارجية البريطائية إلى لينون Lytton السفير البريطانى في ياريس ومؤرخة في ٢٤ إبريل ١٨٨٨

ومهدت الحكومة الفرنسية لفكرتها باتصالات دبلوماسية في الآستانة وفي لندن .

فنى الآستانة صرح مونتبلو Montebello السفير الفرنسى بها السلطان بأن الاعتراض على التعديلين العيانيين إنما يثبثن من الحكومة البريطانية (١) وأنه ليست لدى الحكومة الفرنسية بارقة أمل في أن تتحول الحكومة البريطانية عن موقفها فتقبل وجهة النظر الميانية (٢) كما أن الحكومة الفرنسية لا ترغب في أن تذهب إلى أبعد من المدى المدى المدى وصلت إليه في ضغطها على الحكومة البريطانية خشية أن يؤدى أى ضغط جديد إلى القضاء على مشروع الاتفاقية كلية (٣).

وفى لندن أوضح وادنجتون Waddington السفير الفرنسى بها , لوزير الخارجية البريطانية ، سالزبورى ، أن السلطان عبد الحديد هو صاحب الفكرة فى المطالبة باستثناء القوات العبانية المساحة من القيود العسكرية الواردة فى مشروع الاتفاقية وذلك فى حالة قيامها بالدفاع عن الحجاز والبمن ، فهو الذى أوحى ببذه الفكرة لرجال حكومته ، وهو يعتبر أن رفض بريطانيا وفرنسا فلنا المطلب أمر يمس مركزه وكرامته فى الصميم ، ولذلك فهو – فى رأى الحكومة القرنسية ، لن يتنازل عن هذا المطلب . وأضاف السفير إلى ذلك قوله إنه ليس للتعديل المثماني نتيجة عملية كبيرة بالنسبة الهرنسا ولابالنسبة لانجابرا (1) ثم أشار تلميحا إلى أن الحكومة الفرنسية لا ترى مانعا من الموافقة على التعديل العباني العباني المالهان (0) .

 <sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ٧ لسنة ١٨٨٩ .وثيقة رقم ٣٤ من سالزبورى وزير الخارجية البريطانية إلى سير هوايت Sir 'W. White السفير البريطانى فى الآستانة بتاريخ ٢ من مايو ١٨٨٨

Doc. Dipl. Fr. الوثائق الدبلوماسية الفرنسية (γ)

الجزء السابع من الحبموعة الأولى وثيقة رقم ١٠٨ (٣) الكتاب الازرق مصر رقم ٢ لسنة ١٨٨٩ وثيقة رقم ٣٤ سالفة الذكر .

<sup>(</sup> ۳ ) الافتاب الازرق مصر رم ۲ است ۱۸۸۹ ونیفه رم ۳۶ ساله ۱۱۰ د ( ۶ ) الوثائق الدېلوماسية الفرنسية د Doc. Dipl. Fr.

الجزء السايم من المجموعة الأولى وثيقة رقم ١٠٨

 <sup>(</sup> ه ) الكتاب الآزرق مصر رقم ٧ لسنة ١٨٨٩ وثيقة رقم ٣٣ من سالزبورى وذير الخارجية البريانية للمراجعة على المعادل المعادل المعادل المعادل في باريس ، يتاريخ ٢٤ أبريل ١٨٨٨

وقد أجاب سالزبورى Salisbury أن الحكومة البريطانية تحدوها الرغبة في أن تسير على وفاق مع الحكومة الفرنسية لتسوية مسألة قناة السويس ، وأنه مادامت الحكومة الفرنسية توافق على التعديل العسكرى، فان الحكومة البريطانية تساير فرنسا في هذا الاتجاه لتحقيق رغبة السلطان (۱۱) ، ولكنها لاتقر بأية حال من الأحوال التعديل السياسي الخاص برياسة تركيا للاجتماعات الطارئة التي تعقدها لجنة القناصل. وقال إن قبول هذا التعديل السياسي يؤدى إلى نكسة سياسية بالنسبة لمصر ، لأنه يعجد من جديد قبضة تركيا على هذه الولاية ، فان وجود متدوب دائم لليولة العثمانية في مصر يتطور سريعا إلى قيام ساعلة سياسية جديدة في مصر (۲۷).

انتهت مساعى الحكومة الفرنسية بأن وافقت الحكومة العبانية في ٨ من مايو المهم من مايو المهم المهم

و وتعقد هذه الاجتماعات الأخيرة برياسة مندوب خاص تعينه لهذا الغرض الحكومة الامبراطورية العثمانية . ويجوز لمندوب خديوى أن يشترك أيضا في الاجتماع وبرأسه في حالة غياب المندوب العثماني » .

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق رقم ٧ نسنة ١٨٨٩ . وثيقة رقم ٣٣ سالفة الذكر .

<sup>«</sup> Nous ne pouvons accepter la présence permanente d'un commissaire etteman (γ) en Egypte, qui deviendrait bientôt une 'puissance. Ce serait un retour en arrière, une nous le pouvons pas y consentir, ni vous non plus ».

الوثائق الديلوماسية الفرنسية .Doc. Dipl. Fr

ألجزء السابع من المجموعة الأولى وثيقة رقم ١٠٨

<sup>(</sup> ٣ ) الوثائق الدبلوماسية الفرنسية .Doc. Dipl. Fr

الجزء السابع أمن المجموعة الأولى . برقية مؤرضة في ٨ من مايو ١٨٨٨ من مونقبالو Montebello السفير الغيرنسي في الآستانة إلى فلورانس Flourens وزير خارجية فرنسا . والبرقية مذكورة في الملسوظة رقم ١ من ص ١٢٩

«Ces dernières réunions auront lieu sous la présidence d'un commissaire spécial nommé à cet effet par le Gouvernement Impérial Ottoman, Un Commissaire Khédiivial pourra également prendre part à la réunion et la présider en cas d'absence du Commissaire Ottoman» (1).

وقد أدرج هذا التعديل في فقرة مزيلة أضيفت إلى المادة الثامنة ووضعت قبل الفقرة الأخيرة بها . وكان هذا هو آخر تعديل أدخل على الصياغة القانونية للمادة موضوع الرقابة المدولية ويصل بنا إلى اتفاقية الآستانة التي وقعها مندوبو تسع دول في ٢٩ من أكتوبر ١٨٨٨ لتنظيم حرية الملاحة في قناة السويس .

## اللجئة الدولية في اتفاقية الاستانة البرمة في ٢٩ من اكتوبر ١٨٨٨ :

اجتمع في الآستانة في ٢٩ من أكتوبر ١٨٨٨ مندوبو الدول التسع (٢) التي اشتركت في لحنة باريس الدولية ، ووقعوا انفاقية القناة. وتم تبادل وثاثق التصديق على الاتفاقية في نفس العاصمة في ٢٨ من ديسمبر ١٨٨٨ . وقد أعلن رؤساء الدول الأطراف في الاتفاقية أنهم رغبوا وفي أنيقرروا، بصكاتفاقي، نظاما نهائيا يضمن ، في كل وقت وبلحميع الدول ، حرية استخدام قناة السويس البحرية ، ويكمل أيضا النظام الذي خضمت له الملاحة بمقضى فرمان حضرة صاحب الجلالة السلطان ، المؤرخ في ٢٧ من فبراير ١٨٦٦ (٢ من ذي القعدة ١٩٨٧) (٢٠) السمو الخليو » .

وقد تعرضت هذه الاتفاقية في المادة الثامنة منها لموضوع الرقابة اللمولية على قناة السويس على النحو الآتى :

<sup>(</sup>١) الوثائق الدبلوماسية الفرنسية . Doc. Dipl. Fr.

الحزء السابع من المجموعة الأولى . وثيقة رتم ١١٧٧ من مونتبالو السفير الفرنسي في الآستانة إلى فلورانس وزيرخارجية فرنسا ومؤرخة في ١٧ من مابو ١٨٨٨

 <sup>(</sup>۲) كانت هذه الدولر هي فرنسا ، وألمانيا ، وانتما والمجر ، وأسبانيا ، وبريطانيا ، وايطاليا ، وهولتنا ، والروسيا ، وتركيا .

<sup>(</sup> ٣ ) من الغريب أن يرد خطأ مادى فى هذه المناهدة الدولة الجداعة الهامة التي وضها مندبو قسع دول و لا يتنبه أسد منهم إلى هذا الحلطأ . أن ٣٧من غيرابر ١٨٦٦ هو تاريخ النماة بين الحكومة المصرية وشركة القناة . ثم صلح فى تاريخ لاسق هو ١٩ مارس ١٨٦٦ ( ٣ من فني القطعة ١٣٨٣ ) قرمان من مسلطان الدولة المثانية بالتصديق على مشروع قناة .السويس .

ويعهد إلى وكلاء الدول الموقعة على المعاهدة الحالية المعتمدين في مصر بمراقية تنفيذها . ويجتمعون في كل ظرف يهدد سلامة القناة أو حربة المرور فيها ، بناء على دعوة ثلاثة من بينهم ، وبرياسة العميد ، لاجراء التحقيقات اللازمة . ويجيطون الحكومة الخديوية علما بالخطر الذي تبينونه كي تتخذ هذه الحكومة الاجراءات المناسبة لفيهان حاية القناة وحرية استخدامها .

د وعلى أية حال يجتمعون مرة في السنة التحقق من سلامة تنفيذ المعاهدة . وتعقد هذه الاجتماعات الأخيرة برياسة متدوب خاص تعينه لهذا الغرض الحكومة الامبراطورية العثمانية . ويجوز لمندوب خديوى أن يشترك أيضا في الاجتماع ويرأسه في حالة غياب المتلوب العماني .

ويطلبون بوجه خاص إلغاء كل عمل أو تفريق كل حشد على أية ضفة من ضفتى القناة يمكن أن يكون الفرض منه أو يؤدې إلى المساس بحرية الملاحة وسلامتها التامة ».

«Les Agents en Egypte des Puissances Signataires du présent Traité seront chargés de veiller à son exécution. En toute circonstance qui menacerait la sécurité ou le libre passage du canal, ils se réuniront, sur la convocation de trois d'entre eux, et sous la présidence du Doyen, pour procéder aux constatations nécessaires. Ils feront connaître au Gouvernement Khédivial le danger qu'ils auraient reconnu afin que celui-ci prenne les mesures propres à assurer la protection et le libe usage du Canal.

«En tout état de cause, ils se réuniront une fois par an pour constater la bonne exécution du Traité. Ces dernières réunions auront lieu sous la présidencel d'un Commissaire spécial nommé à cet effet par le Gouvernement Impérial Ottoman. Un Commissaire Khédivial pourra également prendre part à la réunion et la présider en cas d'absence du Commissaire Ottoman.

«Ils réclameront notamment la suppression de tout ouvrage ou la dispersion de tout rassemblement qui, sur l'une ou l'autre rive du Canal, pourrait avoir but ou pour effet de porter atteinte à la liberté et à l'entière sécurité de la navigations.

وهكذا تقلص مشروع تدويل قناة السويس إلى الصورة التي اتنهت إليها المربطانية الآستانة بسبب المعارضة العنيقة المتصلة التي حمات لواها الحكومة البريطانية حتى استطاعت أن تسلب من لجنة الرقابة الدولية أهم احتصاصاتها التي جاء بها المشروع الفرنسي الأول. عهدت المادة الثامنة من اتفاقية الآستانة إلى مندوق الدول الموقعة عليها والمعتمدين في مصر بمراقبة تنفيذها ، ورسمت لم الأسلوب المدى يباشرون به مهمتهم ، وانحصر في نوعين من الاجتماعات يعقدونها : اجتماعات طارئة نصت عليها الفقرة الأولى من تلك المادة فهي تعقد في كل حالة تهدد سلامة القناة أو حرية مرور السفن فيها ، فيجتمع وكلاء الدول ، بناء على دعوة ثلاثة من بينهم ، وبرياسة عميدهم ، لاجراء التحقيقات اللازمة . ثم يبلغون الحكومة المصرية بالخطر الذي رأوه كي تتخذ هذه الحكومة الاجراءات التي تراها هي مناسبة لدفع الخطر حتى تتحقق سلامة القناة وحرية مرور السفن فيها .

والأحداث التي تتطلب عقد الاجتاعات الطارئة هي أحداث عديدة متنوعة نذكر منها على ضوء ما جاء في مناقشات لجنة باريس الدولية وفي المذكرات للنكو منها التي تبودلت بين باريس ولندن بعض حالات على سبيل المثال لا الحصر: نشوب ثورة داخلية عارمة في مصر ، ونشوب حرب يحتمل أن محتد عملياتها إلى مقربة من القناة ، وقيام سفن حربية بمباشرة حق الحصر ، أو إصرار هذه السفن على المرابطة داخل مياه القناة بما فيها بحيرة التمساح والبحيرات المرة ، وقيام دولة أو أكثر من دولة بمباشرة أي حق حربي أو أي عمل عدائي داخل الفناة ومواني منحليا وكذلك داخل مسافة ثلاثة أميال بحرية من هذه المواني . فكل هذه الأحداث تندرج تحت حالة وكل ظرف يهدد سلامة القناة أو حرية المرور فيها ه.

اجتهاعات دورية سنوية : نصت الفقرة الثانية من المادة الثامنة على أن يجتمع وكلاء اللموقعة على اتفاقية الآستانة ، والمعتمدون في مصر ، مرة كل عام المتحقق منأن أحكام الاتفاقية قد نفلت تنفيذا سليا خلاليالسنة السابقة على الاجتماع ، وأن يجتمعوا برياسة مندوب خاص تعينه الحكومة العثماتية علما الغرض ، وقرو

النص أنه يجوز أن يشتركفي هذه الاجتماعات مندوب يمثل الحكومة المصرية ، ويرأس هذه الاجتماعات في حالة غياب المندوب الشماني .

وأضيف في نهاية المادة الثامنة واجب آخر إلى واجبات وكلاء الدول الموقعة من على الاتفاقية ، هو أن يطلبوا إزالة كل عمل أو تفريق كل حشد على أية ضفة من ضفتي الفناة يمكن أن يكون الغرض منه أو يؤدى إلى المساس مجرية الملاحة وسلامتها النامة . ومن هذه الأعمال الحشود العسكرية في المنطقة المتأخة لمجرى القناة على ضفتيها، وإقامة تحصينات دائمة أو مؤقتة، وبناء ثكنات عسكرية ونقط مراقبة(١) وغيرها من الأعمال ذات الصبغة الحربية التي يقصد بها تهديد مباشر أو تعطيل لمرور السفن في الفناة والمساس بسلامتها أو تؤدى لذلك بطبيعتها دون قصد (٢).

ولم يذكر النص صراحة أن الحالات الأخيرة تبحث في الاجتماعات الطارئة أو في الاجتماعات الطارئة أو في الاجتماعات الدورية السنوية . ولكن الوضع المكانى لهذه الفقرة بعد ذكر الاجتماعات المدورية السنوية مباشرة يشتم منه أن هذه الحالات تبحث في الاجتماعات السنوية . ولكن إذا كانت هذه الأعمال جسيمة وخطيرة فانها تبحث في اجتماعات طارئة تمشيا مع روح الاتفاقية .

### ملاحظات عامة على تدويل القناة:

يدراسة الوثائق الخاصة بموضوع تدويل القناة منذ أن عرضته الحكومة الفرنسية في جلسة افتتاح لجنة باريس الدولية في ٣١١ من مارمن ١٨٨٥ حتى عقد اتفاقية الآستانة في ٢٩ من أكتوبر ١٨٨٨ نحرج بعدة ملاحظات منها ما هو خاص

<sup>(</sup>١) قروت المادة العاشرة من الاتفاقية استثناء تركيا، ومصر من أحكام المواد ٤ ، ٥ ، ٥ ، ٨ ، ٨ محاس المواد ٤ ، ٥ ، ٥ ، ٨ ، ٨ حين يكون الأمر متبلقا بالدفاع عن مصر واقرار النظام العام جا أو حين يكون الأمر متبلقا بالدفاع عن وعلكات تركيا الواقعة على الشاطئء الشرق الميمر الأحمر ( الحياز واليمن ) .

ار ، ( ٢ ) وكنوز عبد الله وشوان مرجع سيق ذكره تس ١٧٩٠

بالاجتماعات الطارثة ومنها ما هو خاص بالاجتماعات الدورية ولنبدأ بالاجتماع*ات* الأولى فنسجل ما يأتى :

 ا بنجحت الحكومة البريطانية في أن تكون الدعوة لعقد الإجتماعات الطارئة موجهة من ثلاثة أعضاء من وكلاء الدول الموقعة على الاتفاقية والمعتمدين في مصر .
 وفي هذا تقليل لفرص اجتماعاتها ، وقيد استهدفت منه هذه الحكومة ألا تكون الرقابة الدولية فعالة .

٢ -- اشترطت الحكومة البريطانية صدور قرارات لجنة وكلاء الدول بالإجماع (١) ومعنى هذا أن معارضة مندوب هذه الحكومة في اللجنة يكون كفيلا باسقاط أي قرار أو رأى يصدر عن اللجنة .

" — إن النتيجة التي تسفر عنها هذه الاجتاعات هي بجرد إبلاغ الحكومة المصرية بالخطر الذي رآه المجتمعون كي تتخذ من ناحيتها الاجراءات المناسبة لحماية القناة وحرية مرور السفن فيها . وحرمت على المجتمعين توجيه هذا الرأي إلى شركة القناة أو إلى أية جهة أخرى مباشرة . وإن كان هذا التحريم لا يمنع أن يتصل كل منهم بحكومته بصفته المنفردة وببلغها بما وقع . وأهم من هذا كله أن الحكومة المصرية غير ملزمة بتنفيذ قرار وكلاء الدول وما يرسمونه لها باعتبار أن رأيهم مجرد رأى استشارى فليس في الاتفاقية أي نص يحمل الحكومة المصرية من قريب أومن بعيد على التقيد بقرارات لجنة الرقابة الدولية . فلها أن تنفذ الاجراءات التي تراها مناسبة سواء كان ما تتخذه موافقا لرأى وكلاء الدول أو مخالفا له".

٤ ـــ إذا كانت الحكومة البريطانية قد دافعت عن حقوق الحكومة المصرية في قناة السويس واستطاعت أن تؤكد وتقرر هذه الحقوق في اتفاقية الآستانة فيا يختص بحق مصر في اللفاع عن أراضيها بما فيها القناة وحقها في تنفيذ الاتفاقية وغير ذلك من مسائلهامة بل حيوية ، قان هذا اللفاع لم يكن بريتا لأن كل كسب

 <sup>(</sup>١) انظر المذكرة التضميرية الى وضعها وزارة الخارجية البريطانية رأونقتها بمشروع الاتفاقية .
 الكحاب الأزرق مصر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ وثيقة رقم ٢٩ وطورعة ق ٢١ من أكتوبر ١٨٨٧

أ تصيبه الحكومة المصرية في الاتفاقية يعود بطويق مباشر إلى الحكومة البربطانية لأن الاحتلال البريطاني بأجهزته المختلفة كان قد سيطر على الحكومة المصرية سطرة فعلمة عكمة .

• سنجحت الحكومة البريطانية في إقصاء تركيا عن رياسة الاجتماعات الطارئة لأن تقرير رياستها لهذا النوع من الاجتماعات يتطلب تعيين مندوب تركى يقيم بصفة عائمة في مصر حتى يستطيع أن يرأس أى اجتماع طارىء . وكان وجوده اللاثم في مصر يتمارض مع الأوضاع السياسية التى استقر عليها نظام الحكم ،نذ تسوية ١٨٤٠ ثم ما طرأ عليه من تغيير بقيام الاحتلال البريطانى الذى جعل من الخديو توفيق والحكومة المصرية أواة طيعة لينة يسخرها الاحتلال لخده المصالح البريطانية . وكانت الحكومة البريطانية لا تطبق وجود نفوذ سياسى آخر بجانيا في مصر سواء كان هذا النفوذ عمانيا أو فرنسيا أو دوليا جاعيا ، حلى الرغم من أن مصر ظلت ، من الناحية النظرية في القانون الدولى العام ، ولاية عمانية الأولى إلى أن دخلت تركيا الحرب المالية الأولى إلى أن دخلت تركيا الحرب إلى جانب المائيا وحلفائها في ٥ من نوفم عاماء فاعلنت بريطانيا حايتها على مصر وانتقلت ، ص ديسمير وبذلك زالت ، من الناحية الفعلية ، سيادة المحية وكيا على مصر وانتقلت ، ص من مركز الدولة التابعة وتركيا على مصر وانتقلت ، ص دركر الدولة التابعة وتلا على مصر وانتقلت ، ص دركر الدولة التابعة وتلا وطفائها في مرد المناه (١٠) .

٣ - إذا كانت رياسة الاجتهاعات الطارئة قد تقررت لعميد السلك القنصلي في مصر فن المفهوم ضمنا أن يكون هذا العميد من تمثلي الدول الموقعة على الاتفاقية، وألا فيرأس الاجتهاعات أقدمهم في المنصب أو أكبرهم في السن أو أرقاهم في المدوجة تيما العرف السائد.

40-40-1

وإذا انتقلنامنالاجتماعات الطارثة للى الاجتماعات الدورية السنوية فنلاحظ ما يأتى: ١ - كانت الحكومة الفرنسية هي التي اقترحت عقد هذا النوع من الاجتماعات

<sup>(</sup> ١ ) دكتور على صادق أبو هيڤ القانون اللوال الغام , مرجع سبق ذكره ص ص ٣٩١ – ١٣٩

بمقولة أن حركة الملاحة في القناة قد تسير سيراً عاديا علة سنوات متصلة وتكون فيها أحكام الاتفاقية موضع الاحترام من الدول والسفن التي تجتاز القناة بما لا يتطلب عقد اجتماعات طار ثقلوكلاء الدول، وبمضى الوقت تصبح الرقابة الدولية نسيا . ولكن في اجتماع وكلاء الدول مرة في كل عام ما يشعر الجميع أن هناك رقابة قائمة ومستمرة على تنفيذ الاتفاقية . والواقع أن السبب الذي حمل الحكومة القرنسية على المطالبة بعقد هلما النوع من الاجتماعات هو تمسكها بسياسة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه به بعد أن انكش مشروع الرقابة الدولية إلى صورة شكلية أكثر منها فعلية، لأنه إذا كانت الحكومة البريطانية قد أخذت بالمشروع الفرنسي الأول الذي عرض على لحنة باريس الدولية لانتفت الحاجة إلى عقد اجتماعات دوربة مرة كل سنة ، لأن هلما المشروع أضني على لجنة الرقابة طابع الاستمرار والدوام تعويض جزئي عن تحديد اجتماعات الدورية بمثابة تعويض جزئي عن تحديد اجتماعات واختصاصات لجنة الرقابة الدولية الدولية .

٢ -- على الرغم من وضوح الغرض الذى من أجله يعقد وكلاء الدول اجتماعات دورية مرة في كل عام ، إلا أن النص القانوني لم يحدد الوسائل التي يتحقق بها وكلاء الدول من سلامة تنفيذ الاتفاقية ، فتركت لهم الحرية في ذلك، فيجوز لهم أن يطلبوا من الحكومة المصرية أو من شركة القناة أو من جهة أخرى موافاتهم ببيانات يخصوص الملابسات التي تم فيها مرور سفن معينة في تلك السنة . وكل هذا اجتهاد في تفسير النص لأنه ليس هناك ما يحتم عليهم أسلوب معين في تقصى الحقائق .

٣ ــ إذا تحقق وكلاء الدولمن وقوع مخالفات في تنفيذ أحكام الاتفاقية، ذان الجهة التي يقدمون إليها اقتراحاتهم هي الحكومة المصرية وحدها قياسا على الحالة التي وردت في الفقرة الأولى . وللحكومة المصرية أن تأخذ بوجهة نظرهم ولها ألا تأخذ بها .

٤ -- قررت الاتفاقية أن اشتراك مصر في الاجتماعات الدورية أمر جوازى
 وليس أمرا وجوبيا، إلا أن النصاعلى أن يتولى مندوب الحكومة المصرية رياسة
 الاجتماعات الدورية في حالة غياب المندوب العمانى ما يجعل تصينه أمرا تتطلبه روح

الاتفاقية وذلك لمواجهة أى احتمال قد يمنع المندوب العثمانى من الوصول إلى مصر فى الوقت المناسب ليرأس الاجتماع الدورى .

\*\*\*

# اللجنة الدولية في ظل التحفظ البريطاني :

حين أتمت اللجنة الفرعية — المنبثقة من بلنة باريس الدولية — وضع مشروع اتفاقية القناة في 14 من مايو 1400 أحال رئيسها كاميل بارير وصع مشروع المشروع إلى اللجنة العامة مشفوعا بتقرير ضاف استعرض يف أعمال اللجنة والاهداف التي توختها وخلص من ذلك إلى قوله إن اللجنة الفرعية قامت بمهمتها دون أن تدخل في اعتبارها وإلى أي مدى تتمشى المعاهدة التي أعدتها مع الحالة المؤقتة والاستثنائية التي توجد بها مصر حاليا الان الموامنة بين مقتضيات لها الاحتلال البريطاني القائم في مصر وقتذاك . وقال إن الموامنة بين مقتضيات هذه الحالة وبين النصوص التي وردت في مشروع الاتفاقية أمر خارج عن اختصاص اللجنة . ومنى هذا أن اللجنة الفرعية وضعت نصب عينها إعداد مشروع ينظم ويضمن حرية استخدام القراعة بيامتراها شريانا بحريا مشروع ينظم ويضمن حرية استخدام القرائة بصفة دائمة باعتبارها شريانا بحريا يهم العالم أجمع دون عبرة بمصالح الاحتلال البريطاني في مصر .

كانت هذه العبارة مثار اهتهام عميق في دوائر الحكومة البريطانية، إذ خشيت أن تكون الاتفاقية مبعث خطر يهدد المصالح البريطانية في همر . فأرسلت إلى عضوى الوفد البريطاني في بلحنة باريس رسالة مؤرخة في ٦ من يونيو ١٨٥٥ جاء فيها و يجب أن يكون مفهوما بصفة تامة أن المشروع المقترح يعد في نظر حكومة حضرة صاحبة الجلالة بيانا للاجراعات التي تقبلها الدول فيا بينها لتنظيم مركز المقانة بصفة دائمة . ولكن لا تعتبر هذه الاجراعات واجبة التطبيق بشكل يقيد حقوق القوات البريطانية التي تحتل مصر أو يعرقل حريتها في العمل الذي لا مناص منه لتؤدى بصورة فعالة المهمة التي أخذتها على عاتقها ، وذلك في الظروف المؤقتة والخاصة القائمة الآن » .

<sup>( 1 )</sup> الكتاب الأزرق مصر رقم 19 لسنة ۱۸۸۰ . المزء الثانى ، يروتوكول رقم ۲ . مضيطة جلسة ٤ ش يونيو ١٨٨٥ . ملحق البروتوكول رقم ۲ ص ص مع ٢٣٤ ــ ٣٣٧

وتمشيا مع تعليات حكومة لندن قدم سيرجوليان بونسفوت المندوب الأول في الوفد البريطانى التصريح الآتى أمام لجنة باريس وهي مجتمعة بكاءل هيئتها في جلسة ١٣٣ من يونيو ١٨٨٥

وتسهيلا لدراسة نتائج أعمال لجنة باريس الدولية فانه من المفيد أن يضع
 المندوبان البريطانيان أمام اللجنة نصاكاء المشروع المعاهدة على النحو الذي
 يقبلانه .

و وله لما يتشرف (سيرجوليان بونسفوت) بتقديم هذا النص كي يدرج في البروتوكول، وهو يرغب في نفس الوقت أن يوجه انتياه زولائه إلى الحقيقة التي أشار البها مستر كاميل بارير قبيل نهاية تقريره وهي أن اللجنة الفرعية قد تجنبت أن تدرس إلى أي مدى تعمشي المعاهدة التي كانت تعدها مع الحالة المؤقتة والاستثنائية الحالية في مصر. وعلى ذلك فان المندويين البريطانيين وهما يقدمان هنا النص الحاص بالمعاهدة وكنظام نهائي يستهدف ضهان حرية استخدام القناة ويعتبران أن من واجبهما تقديم تحفظ عام على تطبيق نصوصها بحيث لا يتعارض (التطبيق لنصوص المعاهدة) مع هذا الموقف أو يقيد حرية حكومتهما في العمل أثناء احتلال مصر بقوات حضرة صاحبة الجلالة البريطانية و (؟)

ولم يسع بيللو Billot رئيس اللجنة العامة إلا أن يسجل هذا التحفظ في مضبطة جلسة ١٣٣ من يونيو ١٨٨٥ واختتمت اللجنة أعمالها ، وقامت الحكومة الفرنسية بارسال نسخ من وثائق أعمال اللجنة إلى حكومات الدول الأعضاء في لجنة باريس الدولية . وكان من بين صور هذه الوثائق التحفظ البريطاني وهكذا علمت به بصفة رسمية الدول الأعضاء في لجنة باريس الدولية . وفي نهاية الاتصالات الدبلوماسية التي تحت بين باريس ولندن منذ سنة ١٨٨٦ حدث تقارب بين وجهات النظر الفرنسية والبريطانية حول النقاط التي كانت موضح خلاف

British Government's Reserve as regards the application of the provisions of (1) the Draft Treaty. Declaration made by the First Delegate of England at the meeting of the Suez Canal International Commission of Paris, held or the 13th of June, 1885.

أنظر الكتاب الأزرق مصر رثم ١٩ لسنة ١٨٨٥ مرفق الوثيقة رقم ١١٠ ص ص ٦٣ – ٦٧

ينهما في مشروع اتفاقية القناة . واستقر رأى الحكومتين على المشروع البريطانية المفصل وهو المشروع الخامس فأرسله لورد سالزبورى رئيس الوزارة البريطانية ووزير الخارجية إلى اجرتون Egerton الوزير في السفارة البريطانية بباريس وأرفق بمشروع الاتفاقية مذكرة مؤرخة في ٢١ من اكتوبر ١٨٨٧ جاء فيها أنه يجدد التحفظ الذي أبلاه سير جوليان بونسفوت في ختام جلسات لجنة باريس اللولية دون أن يثار عليه اعتراض من أى جانب، وطلب وزير الخارجية البريطانية من اجرتون أن يقدم نسخة من هذه المذكرة مع مشروع الاتفاقية إلى فلورانس Flourens وزير الخارجية الفرنسية (١) وتم الاتفاق بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية على أن تقوم الحكومة الأولى بابلاغ مشروع الاتفاقية إلى على الاتفاقية (٢) . وقامت وزارة الخارجية البريطانية من ناحيتها بتأييد مشروع الاتفاقية لك على الاتفاقية لدى نفس تلك الحكومات (٣) وطلبت إليها الموافقة عليه كما أبلغتها في الاتفاقية لك) .

وعلى هذا النحو لازم التحفظ البريطانى اتفاقية الآستانة سنة ١٨٨٨ فى مراحل تحضيرها إلى أن تم التوقيع عليها وأصبح ملحقا بها بعد أن قبلته الدول الأطراف في الاتفاقية .

\* \* \*

كان معنى التحفظ البريطانى أن اتفاقية الآستانة قائمة ونافذة قانونا ويجب على بريطانيا كغيرها من الدول احترام أحكامها ، ولكن أجبر لبريطانيا ، بمقتضى تحفظها ، أن تتحلل من كل أو من بعض نصوص الاتفاقية إذا كان تطبيق هذه

<sup>(</sup>١) الكتاب الأزرق مصر رقم ١ لسنة ١٨٨٨ وثيقة رقم ٣٨

<sup>(</sup> ٢ ) المسادر السابق الوثائق رقم ع ع ، ٥٤ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ١٥ ، ٢٥

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق الوثائق رقم ٢٥، ١٠، ٢١، ٣٢، ١٥، ١٠، ٧٧، ٧٨، ٨١ م

 <sup>(</sup>٤) المصدر السابق وثيقة رقم ٩٥ عبارة عن منشور صادر من وزارة الحارجية البريطانية ومؤرخ
 ف ٤ من نوفعر ١٨٨٧ بعنوان :

The Marquis of Salisbury to Her Majesty's Representatives at Berlin, Vienne, Madrid, Rome, the Hague, St. Petersburgh, Constantinople and Cairo.

النصوص يعطل حريتها في العمل إبان الاحتلال البريطاني لمصر . ولهذا فسر بعض فقهاء القانون الدولى العام أن بريطانيا اعتزمت أن توقف ارتباطها باتفاقية الآستانة لحين انتهاء الاحتلال البريطاني لمصر (١٦) وفي الواقع ظل التحفظ البريطاني ساريا بعد عقد اتفاقية الآستانة إلى أن تم التتازل عنه تنازلا جزئيا في سنة ١٩٠٤ لظروف طرأت على العلاقات الدولية . وسنقصر بحثنا في هذه المرحلة من البحث على المترة الواقعة بين سنة ١٩٠٨ وبين سنة ١٩٠٤

لقد احترمت حرية مرور السفن الحربية والتجارية في القناة في وقت السلم وزمن الحرب الأمريكية الأسبانية التي قامت إبان هذه الفترة . ولكن لم توضع موضع التنفيذ المادة الثامنة التي تجعل للدول الأطراف في المعاهدة نصيبا في الإسراف على تطبيق نصوص اتفاقية الآستانة . وقد عملت بريطانيا منذ البلاية على وقف قيام الرقابة الدولية على القناة وهي الرقابة التي كان على وكلاء الدول مباشرتها سواء في الاجتماعات الطارئة أو الاجتماعات الدورية السنوية . ولنستعرض في شيء من الإيجاز الموقف وتطوراته في منطقة القناة إبان الحرب التي اندلعت في ابريل ١٨٩٨ بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين أسبانيا . وكانت هذه الحرب هي أول عمك لنظام الرقابة الدولية على قناة السويس .

وكان على وكلاء الدول الموقعة على اتفاقية الآستانة المتمدين في مصر أن يعقدوا اجتماعا طارئا تطبيقا للفقرة الأولى من المادة الثامنة التي قررت أنهم و يجتمعون في كل ظرف يهدد سلامة القناة أو حرية المرور فيها و وقد جدد جملا الظرف على ضوء مناقشات لجنة باريس المدولية وفي المذكرات المدبلوماسية التي تبودلت بين باريس ولندن ... بقيام حرب أو نشوب ثورة داخلية في مصر ، ولكن لم يعقد وكلاء المدول اجتماعا ما على الرغم من أن حادثا هاما وقع في بورسعيد، وسنذكره في موضعه، وكان يمكن أن يتطور تطورا خطيرا يهدد سلامة القناة أوحرية مرور السفن فيها . كان تصرف بريطانيا إبان هذه الحرب تصرفا إنفراديا واستندت المنفن فيها . كان تصرف بريطانيا إبان هذه الحرب تصرفا إنفراديا واستندت الحسريان المتحفظ البريطاني من ناحية، وإلى أنها محملك السلمة الفعلية بحكم الاحتلال

Pietre Biard : Le Canal Interocéanique et son régime juridique. Paris, 1902 ( \ \ \) p. 112.

من ناحية ثانية ، واتخذت من الحكومة المصرية أداة طيعة لينة تحركها أنى شاعت وكيفما شاعت .

أما بالنسبة لأسانيا فقد كان الموقف مختلف كل الاختلاف ، إذ وصلت في ٢٧ من يونيو ١٨٩٨ وحدات من الأسطول الحربي الأسباني إلى ميناء بور سعيد ، ومجرد وهي تعتزم اجتياز قناة السويس والتوجه إلى ساحة المعركة في الفيلبين ، وبمجرد وصول الأسطول أخطر قائده الحكومة المصرية برغبته في التزود بالفحر حتى يستطيع مواصلة سفره ، ويلاحظ أن أسبانيا من الدول الأطراف في اتفاقية ١٨٨٨ وقد سوفت الحكومة المصرية في الرد على قائد الأسطول الأسباني حتى تستشير لود كرومر المعتمد البريطاني ، الذي اتصل بوزارة الخارجية البريطانية وكانت الوزارة القارجية في الحكم في مصر وقتلك هي وزارة مصطفى فهمي باشا، وكان وزارة المقارجية في بعض منائع باشا . وكان أعضاء هذه الوزارة من صنائع الاستعمار وأعوانه وغلا حكمها خضوعا وولاء وتسليا في حقوق البلاد ومرافقها للاحتلال البريطاني الذي استراح لحكمها ،وللنك كانت أطول الوزارات عمرا إذ استمرت قابعة في كراسي الحكم ثلاثة عشر عاما (نوفير ١٨٩٥ سنوفير ١٨٩٨ سنوني المقور المقور المورار ١٨٩٨ سنوفير ١٨٩٨ سنوني المورار المورار

وجاء رد وزارة الخارجية البريطانية ، وعلى ضوئه أجابت الحكومة المصرية بأنه لا يجوز للأسطول الأسبانى أن يتمون بالفحم إلا الحد الضرورى جملا طبقا للمادة الرابعة من اتفاقية الآستانة ، وأضافت الحكومة المصرية إلى ذلك ، نتيجة للتفسير الذى قدمه الخبراء البريطانيون في وزارة الخارجية البريطانية ، بأن المقصود بعبارة الحد الضرورى جملا هو الكمية التي تكني للوصول إلى أقرب ميناء يمكن الأصطول دخوله (١١) سواء كان هذا الميناء واقعا في اتجاه سير الدفينة أو في الاتجاه

(١) لم يأت هذا التضير عفوا بل استفاه الجراء البريطانيون من مناشفات لجنة باريس اللعولية إذ يرد في الافتراح الفرنسى الذي قدمه كاميل باربر رئيس اللجنة الفرعية بجلسة ٢٤ من أبريل ١٨٨٥ السبارة الإتية في المادة الحاصة بالفيود المفروضة على السفن الحربية التابعة للمول المتحاربة أثناء عبورها الثناة : و ولا يجوز السفن الحربية التابعة للمتحاربين أن تتزود أر تتمون داخل القناة إلا المحد الضرورى الموصول إلى أقرب ميناء » .

«Les Bâtiments de guerre des belligérants ne pourront s'y ravitailler ou s'y approvisionner que dans la limite nécessaire pour gagner le port le plus voisin».

ثم عادت اللهجة الفرعية فيجلسة ١٩ من مايره ١٨٥ ، أثناء التلارة الثانية لمشروع المعاهدة الذي فرغت من إهداده، فأدخلت على هذه العبارة تعديلا حدد المناطق الريحرم فيها على السفن الحربية الثابعة المتحاربين أن تدرود أن تتعون إلا بحد معين فأصبح هذا التحديد يشمل داخل القناة وموانى مدخليها بعد أن كان مقصورا على داخل القناة نقط . كا استبعد التعديل عبارة والوصول إلى أثرب سياء و وأصبحت صياغة هذه العبارة على النحو الآتى:

« و لا يجوز السفن الحربية التابعة المتحاربين أن تنزود أو تتمون داخل الثناة وموانى مدخلها الا قلمه الله و ربيح جدا ي

«Les bâtiments de guerre des belligérants ne pourront, dans le Canal et ses ports d'accès, se ravitailler ni s'approvisionner que dans la mesure strictement nécessaire».

ولما عرض هذا المعرضوع على المبينة العامة بجلسة ٤ من يوتيو ١٨٥٥ أثار آصر Asser مندوب هوائدًا العبارة المستبعدة وهي و الوصول إلى أقرب ميناه ي وقال إنه كان قد ناتشها أمام اللبينة الفرعية بجلسة ١٩ من مايو ١٨٨٥ على أماس أن عبارة وإلا للعمد الفرورى الوصول إلى أقرب سيناه يم يعوزها التصديد اللغيق الواضع ، وإنه طلب وقتل أن تضاف البها عبارة تقيد أن أقرب ميناه هو الميناه الملاى تستطيع الدفن الحربية أن تصل إليه وتستطيع أن تأخذ منه احتياجاتها .

Qui leur soit accessible et où ils puissent pourvoir à leurs besoins,

وقال إن سير جوليان بونسفوت المنظرب الأول في الوقد البريطاني تدأثر، على هذا الرأى . ولكن اللجنة الفرعية رأت يومثة الاكتفاء بالنص الوارد في شروعها واستيمنت عبارة ، قوصول إلى أفرب سيناء ۽ ثم مضى منفوب هوليدا يقول إنه لا يزال عند رأيه في وجوب وضع قص يحدد مدلول عبارة و الحد الضروري جدا ، لأن هذا التحديد ينطوي عليمزايا لا يستهان چاء ولكه استدرك فقال إن معظم == المضاد . وكان معنى هذا التفسير أن كمية الفحم التى يسمع للأسطول الأسبانى بالحصول عليها هم الكمية التي تمكنه من الوصول إلى بلاده حيث وانى الشواطىء الأسبانية، وبهذا يضطر الأسطول الأسبانى إلى العودة إلى أسبانيا . وفضلا عن ذلك فقد واجه هذا الأسطول صعوبة أخرى في تزويده بالفحم من بور سعيد، إذ عمل نائب القنصل الأمريكي في هذا الميناء على اختفاء الفحم كلية من بور سعيد نتيجة تنابير معينة اتخذها في السوق . ولم تتخذ الحكومة المصرية اجراءات جدية من جانبها لمنع مثل هذا الأمر . وقد اتني الموقف بحصول الأسطول الأسباني على كيات من الوقود السائل جاءت به إليه سفن أسبانية أخرى ولحقت به في مكان خارج المياه الاقليمين حتى صدرت إليه الأوامر من حكومته مياه البحر الأحمر في طريقه إلى الفليين حتى صدرت إليه الأوامر من حكومته بالعودة إلى أسبانيا (1) فاستدار الأسطول وقفل راجعا إلى الأوامر من حكومته بالعودة إلى أسبانيا (1) فاستدار الأسطول وقفل راجعا إلى بلاده .

يهمنا هنا أن نذكر حادثا وقع في بور سعيد خلال هذه الفترة وكان يمكن أن يتطور فيهدد سلامة القناة وحرية المرور فيها وكان يتطلب عقد اجتماع طارىء لوكلاء الدول الموقعة على اتفاقية الآستانة إعمالا لنص الفقرة الأولى من المادة الأامنة. وكان يهم الحكومة الأسبانية بوجه خاص عقد مثل هذا الاجتماع، لأن الحادث يمسها من ناحية ولأنها من الدول الموقعة على الاتفاقية من ناحية ثانية. فقد وقع عصيان بين بحارة الأسطول الأسباني أثناء رسوه في بور سعيد، وأصدرت المحكومة المصرية أوامرها إلى السلطات القائمة في هذا الميناء بأن تعارض في إعادتهم إلى سغنهم رغم إرادتهم (۲). ولكن لم يعقد وكلاء الدول اجتماعا طارئا إبان هذه

<sup>—</sup> زمادته أعضاء المدينة رون أن الصياغة التي أقرتها المبدئة الفرعية تفسرطبقا الرأى الذى عرضه عليهم، ولذك فانه لا يرى ما يدعو إلى تقدم تعديل يحدد مدلول هذه العبارة . وأقر سير جوليان بونسفوت رأبه .
انظر بخصوص هذا المرضوح :

الكتاب الأزرق مصر رقم ١٩ لسنة ١٨٨٥ الجزء التاني .

رقم ۷ المضيطة رقم ٦ جلسة ٢٤ من ابريل ١٨٨٥ ص ص ١٢١ – ١٢٣ ، ١٣٣ ورقم ١٧ المضيطة رقم ١٦ جلسة ١٩ من مايير ١٨٨٥ ملحق المضيطة رقم ١٦

<sup>:</sup>ورقم ١٨ ألبروتوكول رتم ٢ جلمة ٤ من يونيو ١٨٨٥ ص ص ٢٣١ – ٢٣٢

<sup>(</sup>١) دكتور عبد الله رشوان مرجع سبق ذكره ص ص ١٨٢ – ١٨٩

Camand M.L. : Etude sur le régime juridique du Canal de Suez. Grenoble, ( γ ) 1899, p. 218.

الجرب الامريكية الأسبانية . وانتهت الحرب دون أن تنفذ الرقابة الدولية على قناة السويس . وظلت هذه الرقابة حبرا على ورق إلى أن بت فيها بصورة أخرى فى الوفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا .

#### \*\*\*

### اللجنة الدولية في الوفاق الودي:

دارت مفاوضات سياسية منذ صيف ١٩٠٣ بين باريس ولندن السوية المشكلات السياسية المعلقة بينهما، وما كان أكثرها، سواء في أفريقيا أو في آسيا أو أمريكا الشهالية (نيوفوندلاند) أوالإقيانوسية، وقد أسفرت هذه المفاوضات عن صدور التصريح الإنجليزى الفرنسي في ٨ من أبريل ١٩٠٤ وهو ما يطلق عليه الوفاق الودى Eatente Cordiale. وكان من بين المسائل التي تناولتها المفاوضات مسألة قناة السويس والنقاط المتصلة بها مثل اتفاقية الآستانة ١٨٨٨ والتحفظ البريطاني على هذه الانفاقية .

طلبت فرنسا أن تتنازل بريطانيا عن هذا التحفظ حتى تطبق أحكام اتفاقية الآستانة بصفة تامة دون أن يعطلها نحفظ أو ظرف من الظروف. وقد أبدت الحكومة البريطانية استعدادها للتنازل عن هذا التحفظ في مقابل توقيف الاجتماعات الدورية التي يعقدها وكلاء الدول مرة كل عام للتحقق من سلامة تنفيذ اتفاقية الآستانة خلال السنة السابقة على الاجتماع. وقالت أنها لا تسلم على أي نحو منالاتحاء بوجود مندوب تعينا لحكومة العثمانية لرياسة هذه الاجتماعات، وخشيت أن يكون وجود مثل هذا المندوب سببا في خلق مثا كل لها في مصر (٣). وقد قبلت الحكومة الفرنسية هذا الشرط رغية منها في رفع هذا التحفظ الذي يتيح لبريطانيا عديد الفرض للتحلل من أحكام اتفاقية سنة ١٨٨٨

وتأسيسا على هذا الاتفاق تعرضت المادة السادسة من الوفاق الودى إلى •سألة الرقابة الدولية على قناة السويس على النجو الآتى :

ه ضهانا لحرية المرور في قناة السويس تعلن حكومة حضرة صَاحَبُ الحِلالة البريطانية قبولها لنصوص الماهدة المتقدة في ٢٩ من أكتوبر ١٨٨٨ ووضّعها

Newton, F.C., Lord Lansdowne. A Biography London. 1929. pp. 278-294 ( ) Hallberg Charles, The Seez Canal. Its History and Diplomatic Importance. ( Y ) New York, 1931, p. 306.

موضع التنفيذ . ولما كان في هذا ما يضمن حرية المرور في القناة ، لهذا يظل موقوفا تنفيذ الجملة الأخيرة من الفقرة الأولى وكذلك الفقرة الثانية من المادة الثامنة من هذه المعاهدة».

«Afin d'assurer le libre passage du Canal de Suez, le Gouvernement de S.M. Britannique déclare adhérer aux stipulations du traité conclu le29 octobre 1888 et à leur mise en vigueur. Le libre passage du Canal étant ainsi garanti, l'exécution de la dernière phrase du paragraphelet celle du paragraphe 2 de l'article 8 de ce traité restreront suspendues» (1).

وقد ترتب على إبرام الوفاق الودى نتيجتان : كانت الأولى عامة تتصلُّ باتفاقية الآستانة ككل . إذ تضمن الوفاق تنازل بريطانيا عنتحفظها السابق وقبولها الالترام بنصوص اتفاقية سنة ١٨٨٨ والعمل بها حتى ولوكان في تطبيق نصوصها ما يتعارض مع مقتضيات احتلالها لمصر: وبذلك أزال الوفاق الودى العقبات القانونية التي كانت تعوق التطبيق الفعلىلنصوص اتفاقية الآستانة ؛ وأصبحت مبادئها الأساسية دون غيرها المرجع القانوني المذي يحكم مركز قناة السويس (٢) أما النتيجة الثانية فكانت خاصة تتصل بتحديد وضع الرقابة الدولية على القناة . وقد ازدادت هذه الرقابة وهنا على وهن فاصبحت مقصورة على نوع واحد من الاجتماعات هو الاجتماعات الطارئة التي يعقدها وكلاء الدول الموقعة على الانفاقية والمعتمدون في مصر ، بناء على دعوة ثلاثة من بينهم ، وبرياسة عميدهم ، كلما تعرضت القناة للخطر . كما أصبح نافذًا الحق المقرر لهم ، بمقتضى الفقرة الأخيرة من المادة الثامنة ، وهو مطالبة الحكومة المصرية بازالة كل عمل وتفريق كل حشد على أي جانب من جانبي القناة ويؤدي إلى تهديد سلامتها . وقد أصبحت هذه المطالبة لا تتم إلافي الاجتماعات الطارئة ، وهكذا تضاءلت الرقابة الدولية التي أرادتها فمرنسا وبعض الدول الكيرى أداة دولية رهيبة ذات وجود دائم على أرض مصرية، وتتمتع بأجهزة عسكرية وسياسية وإدارية، وتمارس اختصاصات متشعبة خطيرة، كي تعصف بالنفوذ البريطاني المتفوق الانفرادي في منطقة القناة. ولكن

Pierre Albin : Les Grands Traités Politiques. Recueil des Principaux Textes ( ۱ )

Diplomatiques de 1815 à 1914. Paris. Troisième édition, 1923, p. 328.

۱۸۸ – ۱۸۹ مرکزر مد الله رشران ، برجع سبق ذکره ، ض ص ۱۸۹

كانتهذه الرقابة اعتداء صارخا على حقوق مصر بصفتها صاحبة القثاة والدولة التي تمر في أرضها القناة مصرية .

لقد انكشت الرقابة الدولية بسبب المارضة البريطانية إلى صورة هزيلة شكلية تمثلت في حق يباشره وكلاء الدول الموقعة على اتفاقية سنة ١٨٨٨، هو عقد الاجتاءات الطارثة . ومع ذلك فاذا كان هذا الحق الذى يمثل الرقابة الدولية على قتاة السويس قد أصبح نافذا من الناحية القانونية النظرية بمقتضى الوفاق الودى، فقد ظل هذا الحق ، من الناحية العملية ، مجرد نص قانونى ميت لم يقدر له قعل أن يوضع موضع التنفيذ الفعلى ، سواء على عهد الاحتلال ، أو الحماية ، أو الحماية ، أو الحماية ، أو الامتقلال الشكلي الذى منتحته مصر بصلور تصريح ٢٨ من فبراير ١٩٣٧.

# المسلمون في فرنسا وإيطاليا `

#### للدكتور ابراهيم على طرخان

أسستاذ تاريخ العصور الوسطى المسساعد بكلية الاداب جامعة القساهرة بالخرطوم

### عالم البحر الأبيض المتوسط حتى مطلع الفتوح الاسلامية

تحديده والمناصر السائدة فيه . الأحوال العامة للدول صاحبة السيادة : الامبراطورية الميزنطية واحوالها الاقتصادية والحربية والدينية المائيا وتوزع السيادة فيها بين اكثر من سلطة اسبانيا والمجتمع القوطى المائية والمتسامها بين الجرمان والرومان الولمان الفرنجة وعناصر الضعف فيها القلات السلطة الي حجاب القصر .

## كيف بسبط المسلمون تفوذهم في فرتسا ؟ "

تفكير موسى بن نصير في عبور البرانس ــ السمح وفتح سبتمانيا اوجوستا عام ٧٢١ م \_ عنبسة يقترب من باريس ــ الفافقى ووادى الجاربون وبلاط الشهداء ٧٣٢ م ــ البرو قنسيون يساعدون المسلمين تفير الأحوال في الشرق بقيام المباسيين وفي الفرب بقيام الكارولنجيين ــ ابو جمغر المنصور ويبين القصير ــ شارئان وأحادمه الامبراطورية وكارثة رونســـ شال ٧٧٨ م ــ أفنيـــة رولاند ــ صـــقر قــريش والكارولنجيون ــ قصـــة الحماية الـرمزية على القـدس ــ قلمة أو اكسينيتوم وامتداد الفزوات الابالمية الى ساقوى ــ التحكم في ممرات الألب وغزو ســوسرا حتى أعالى الرابن ــ مجاهد المـامرى والغزوات الابخيرة .

#### النفوذ الاسسلامي في ايطاليا

صقلیة نقطة وثوب علی ایطالیا به ملاءمة الاحوال به ساب مهاجمة الشواطیء الایطالیة به امارة برندیزی الاسلامیت (۸۲۸ ۱۰۰۰ م ۱۰ مقلوبة و هزیمة الاسطول البیزنطی ۸۴۸ م طارانت ۸۶۰ م مارة باره الاسلامیة (۸۶۱ ۱۸۶۱ ۱۸۶۱ بالفرج بن سلام مفرو روما بالبوبة تدفع جزیة للمسلمین ۸۷۱ م مامارة جارلیانو الاسلامیة (۸۱۱ م ۱۸۰۱ م سفره البالیا به ساطیء دالماشیا با اتکونا کوماتشیو بالتوغل فی پیدمونت من فراکسینیتوم ومعاقل الالب الاسلامیة مونغرات و آستی واکی حصون المرب علی نهر الیو مجاهد المامری وغزو لونی وییزا ۱۰۱۵ م

#### امتداد الفزو الاسلامي الى سويسرا وأعالى الراين

القاعدة فراكسينيتوم - تحكم المسلمين في ممرات الالب - اجتياح منطقتي ثاليه أو (قو) المسويسريتين ٩٣٦م شرقي سويسرا - وصول المسلمين الي بحيرة كونستانس ومقاطمة سانت جالسن في أعالي الراين ٩٣٩م - حول اقامة المسلمين في سويسرا .

#### خسساتهة

لم لم يبق المسلمون حيث سادوا في اوربا الجنوبية ؟ التغير الهام الذي طرا على اوربا منذ مطالع القرن الماشر الميلادي ـ انتماش القوى الروحية \_ الحركات الديرية الجديدة واهدافها \_ المسكيات القومية المجديدة \_ شدة الضغط المسيحى على مسلمى اسببانيا . الجبهة الاسلامية : الانقسام السياسي والديني \_ العصبية وكثرة الفتن والتمزق السياسي والديني للمسكر والتمزق السياسي والإجتماعي - دخول المفامرين المسيحيين في المسكر الاسلامي ـ كيف انتهت السيادة الاسلامية في كل من فرتسا والطالبا

# عالم البحر الابيض التوسط حتى مطلع الفتوح الاسلامية

المقصود بعالم البحر الأبيض ، هو تلك الأقاليم والبلاد التي تحف بشواطئه من شي الجهات ، فضلا عن جزره المنتشرة فيه . ويقتسم السيادة في هذا العالم ، ثلاثة عناصر أساسية : العنصر الاغربتي أو اليوناني أو الروى ، وتمثله الإمبراطورية البيزنطية . والعنصر الثانف ، فهو جديد ، طرأ على أوربا ، وظل يقرع أبوابها منذ القرن أما العنصر الثالث ، فهو جديد ، طرأ على أوربا ، وظل يقرع أبوابها منذ القرن المالث الميلادي ، وإن كانت له مقلمات قبل التاريخ الميلادي (١٦) ؛ هذا هو العنصر الجرماني أو التيوتوني ، وهو الذي قدر له أن يشكل تاريخ أوربا الحديثة ، فقد الجرماني أو التيوتوني ، وهو الذي قدر له أن يشكل تاريخ أوربا الحديثة ، فقد طوى أغلب السيادات القائمة في هذه البقمة ،ن العالم ، وبه زالت فكرة الدولة العامة ذات السيادة العالمية ، وهي السيادة التي حققها الرومان في عالم البحر الأبيض لبضحة ون .

أما الدولة البيزنطية أو دولة الروم ، كما عرفها العرب ؛ فهى تسيط على أغاب أسواطيء البحر الأبيض وجزره ، وعاصمتها بيزنطه Byzantium أو القسطنطينة أو روما الجديدة . وتشمل أملاكها الممتدة على سواحل البحر السالية : شبه بجزيرة البلقان والجزر الملحقة بها ، وآسيا الصغرى ؛ ومن الشرق تتبعها سوريا وفلسطين ؛ ومن الجنوب مصر وهمالى أفريقية ، وكانت أفريقية حديثة العهد بالعودة إلى حظيرة بيزنطه ، بعد زوال دولة الوندال منها ( ٣٣٥ م ) (٢٠) ؛ كذلك امتد سلطان بيرنطه السياسي إلى وسط إيطاليا وجنوبها ، وبعض بلاد محدودة ، ولفترة قصيرة ، على الساحل الجنوبي الشرق الأسبانيا القوطية (٢٠) .

<sup>(</sup>١) لتحركات هذا الدمسر حتى مطلع القرن الأول الميلادي ، أنظر :

Bury, J. A History of the Roman Emqire, pp. 100—101, 166—75; Eary, M., A History of Rome to the Reign of Constantine, pp. 297, 379, 495, 614; Reid, J. S., The Municipalities of the Roman Empire, pp. 193—95; Rosotviseff, M., The Social & Economical History of the Roman Empire, Vol. I, pp. 41, 222—23; Salmon, E. T., A History of the Roman Empire, pp. 111—12, 192, 238—45, 374, 277; Syme, R., The Northern Frenties under Augustus (in Camb. Anc. History, Vol. I) pp. 358—373, 660; Thomson, J. Q., History of Ancient Geography, pp. 238—40.

و ۱۲۷ - ۱۹۷ ع و ما بها من مراجع . ص ۱۳۷ - ۱۹۷ ع و ما بها من مراجع .

<sup>(</sup> ٣ ) انظر طرخان: دولة القوط الغربيين ص ١٠٢ – ١٠٥ £ . Bayet ( H. G. ), pp. 626 – 28. أ

وتلخص أحوال الإمبراطورية البيزنطية العامة ، في أنها تمتعت خلال القرن السادس الميلادى ، وهو القرن السابق للفتوح الإسلامية الكبرى ، بالقوة والقدرة الاقتصادية ، فقد ازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة في ولاياتها الكبرى بصفة خاصة ، وهي آسيا الصغرى وسوريا ومصر ؛ ولكل من هذه الولايات قاعدة علية الشهرة ، هي القسطنطينة وإنطاكية والإسكندية . قامت هذه القواعده اكز صناعية كبرى لعالم البحر الأبيض كله ، وصدرت إليه منتجاتها من المنسوجات والبردى والزجاج والأواني المعدنية ، كذلك كانت تصدر ما يرد إليها برا وبحراً من بلاد الصين وبجزر الهند الشرقية ، فقد كانت مصر نهاية طريق البحر الأهر وسوريا نهاية طريق الخليج العربي وكذلك الطرق البرية المخترقة لبلاد فارس ، ومندك كانت القسطنطينة نهاية طريق أرمينية والبحر الأسود المندلات القسطنطينة نهاية طريق أرمينية والبحر الأسود الأسود المندلات القسطنطينة نهاية طريق أرمينية والبحر الأسود الأسود المناسود المناسود . .

ولم تغفل بيزنطة عنايتها بالقوات البحرية ، ولا سيا في القرن الذهبي المشهور بل إن هذه العناية هي التي شكلت نظا مهامنذ عهد الإمبراطوريوستانيوسJustanius (ت ٥٦٥ م) ، وعهود من بجاء بعدهم (٢٦) . واتجهت همة الأباطرة البيزنطيين إلى احتلال الثغور البحرية والسواحل وتجنب التوغل في الأراضي المناخلية ، ومن ثم قلت حاجتهم إلى الجيوش البرية الضخمة (٢٥) .

ومما صاحد على تفوق بيزنطة البحرى ، في تلك الفترة ، أنه لم يكن لها منافس ، وهمى في ذلك تشبه تفوق بريطانيا البحرى في مطلع العصور الحديثة ، فكان لبيزنطه في العصور الوسطى : سبته Ceuta وسردانية وقورشيقة وصقلية وكريت وقبرص ومدينة الإسكندرية ، فضلا عن جنوه ورافتا ونابلي في إيطاليا ، ثم المددنيل والقرم . ولم تقتصر بيزنطه على البحر الأبيض ، بل تجاوزته إلى غيره من البحار والأقطار ، وكان هذا التجاوز هو سر المنافسة الحادة بين الروم والفرس (12) .

 <sup>(</sup>١) أرشيال : القرى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط – ترجمة أحمد عيمي وتقديم
 رمراجعة محمد شفيق غربال ل – ص ١٦

γνι--γιν : يبنر (Baynes) : الإسبر المورية البيز نطية -رَّحة مؤنس رزبيله - « (γ ) انظر : يبنر (Baynes) : (γ ) Foord, E., The Byzantire Empire, pp. 203 -- 1z; Diehl, Ch., V Marçals, G., Le Monde Orientale De 395 à 1081 (H. G.), T. DT, p. 508; Lindsay, J., Byzantimm into Euroge) pp. 395 -- 405,

Runciman, S., Byzantine Civilisation pp. 149 — 153. مورية أخد ميسي (٣) ارشيبالد : ترجمة أخد ميسي الم

<sup>(</sup>٤) أرشياك ص ١٨ – ١٩

غير أن ييزنطه ، قد شقيت بالخلافات الدينية شقاء كبيراً ، والحتى أن الصراع الملهمي هو المشكلة المزمنة التي لازمت الإمبراطورية البيزنطية طوال تاريخها ، حتى آخر لحظة من حياماً ، في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي (١١) . وكان لهذا أثره البالغ في فشلها في حماية أقاليها السورية والمصرية والأفريقية ، عندما غزتها الجيوش الإسلامية ، زمن الإمبراطور هرقل . والمجيب أن هذا الفشل وقع بعد انتصار هرقل نفسه على الفرس وردهم إلى بلادهم ، وذلك في حرب ، اعتبرت في نظر بعض الكتاب مثلا مبكراً للحروب الصليبية ، وكانت ضد عباد النار (١٠) .

ويعلق أرشيبالد لويس ( A. Lewis )، علم انتصار العرب هذا على الروم بقوله (٢٠) .

« لقد نقض انتصار العرب على بيرنطة ، انتصار الإسكندر على دارا (١٤) .
وانتصار روما على هانيبال (٥) ، وانتصار أورليانوس على زنوبيا (١٦) » . ومعنى ذلك , وجوان كفة الشرق على العرب .

 <sup>(</sup>١) انظر غشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى - ترجمة زيادة والباز - ص ٥٩٤ - ٧٥٤
 (٢) أنظر : بينز ص ٥٥ - ٢٢٧ ؛ أومان : الامبر اطورية البيز نطية - ترجمة بدر - ص ١٠٠-

Diehl V Marçais, Gp. Cit., pp. 2I — 36; § 1 YY Lindsay, Op. Cit., pp. 171 — 220; Gréglire, H., The Byzantine Church (In Byzantium into Europe, Ed. by Baynes & Moss), pp. 86—135; Milman, H. H., History of are Latin Christianity, Vol. II, qp. 339—377.

<sup>(</sup> ۲ ) القوى البحرية ص ۲۰ أ

<sup>(</sup> ه ) توفي هانيبال ملك الفينيقيين عام ٤٠١ ق . م ٥

<sup>(</sup> γ ) زنوبیا العربیت المتنظرسة الجملیة ، ملکة تنصر أمر بالدبرا Palmyra می دوجة أذیة الذی منحه الرومان لقب : دوق الشرق (Dux Orientis) وقد خلفت زوجها علی العرش نیایة من اینها عام ۲۷۷ م ، وذلك مل أثر مقتل الزوج بایجاه من روما . واسم زنوبیا بالآرامیة و بات زبایی » وبالعربیة و الزباه » وكذاك و زینب » ؛ ویسمی آینها الذی حكت بات « وجب اللات » أو مید اللات » . عرفت علمه الملكة بالقوة والطموح ، ونجمت فی توسیع حدود بملكتها ، فانترعت مصر الرومانیة لفترة قصیرة ، كا استولت عل جزء كیر من آسیا الصغری ، وأزالت سیادة الرومان ﷺ

والمعروف أن الإمبراطورية البيزنطية ، هي الدولة الأولى التي ا<u>صطنمت</u> بالفتوح الإسلامية في حوض البحر الأبيض .

\* \* \*

أما أحوال إيطاليا في تلك الفترة ، والعرب يسمونها ٥ البر الطويل » ، فقد كانت فريسة الإنقسامات الداخلية ، بعد أن انتهى أمر الامبراطورية الرومانية في الغرب منذ عام ٤٧٦ م ، على يد إدواكرOdovacar زعيم المعاهدينFooderati في الجيش الروماني(۱) .

اقتسم الحكم في إيطاليا ، أكثر من سلطة واحدة ، فأشر ف البيز نطيون على أرخونية رافنا ، وحدودها من نهر البو وشرق جبال الإبنين حتى مدينة أنكونا على الساحل الغربي البحر الإدرياتي ، وذاك بعد أن أزالوا دولة القوطالشرقيين عام ٥٠٥ م ، زمن الإمبراطور يوستانيوس (٢٠) . وكذلك حكمت بيز نطة الجزء الجنوبي من إيطاليا وجزيرة صقلية ؛ ودخل الغزاة الجدلي من اللومبارديين الجرمان ، عقب وفاقة الإمبراطور يوستانيوس عام ٥٦٥ م ، وأسسوا لهم علكة في المنطقة التي عرفت باسمهم في شمال إيطاليا عام ٥٦٨ م ، بزعامة ملكهم البوين Alboin ؛ واشهر المومبارد بالتخريب والتدمير ، فعاثوا في شبه الجزيرة الإيطالية فساداً ونهياً وتحريباً، والمومبارد بالتخريب والتدمير ، فعاثوا في شبه الجزيرة الإيطالية فساداً ونهياً وتحريباً وم تسلم روما من نهبهم ، وامتد سلطانهم إلى اللموقيين الكبيرتين في جنوبي إيطاليا ، وظلت عملكة وهما : سبوليتو Spoletum (٣) ، وظلت عملكة العرمبارد والتان الفرنجة يناصرون

<sup>=</sup> عنها وطردت الحاليات الرومانية عام 770 م ؛ ثم نودى بابنها السنير ملكا على مصر ، وأصدرت علمة بعون رأس الامبر اطور أورليانوس Aurelianus ؛ ظم يسم الامبر اطور الروماني إلا علم بنها ، ودخل تنسر قاريع عام 770 م وهربت زنوييا ، لكنها وقست أسيرة ، عاربتها ، فيهات النافي - بدا ص A = A = A ، نقيات بسلاسل ذهية . (انظر فيلوب حتى: تاريخ العرب العرف شروك نافي - بدا ص A = A ) . (1) أنظر : نهاية الامبر المولية الرومانية في الغرب المولد ( علمة كلية كلية الآداب بجامعة القاهرة - ) النظر : نهاية الامبر - 10 مسابعة جامعة القاهرة - ( - 10 ديمار من - 10 العلمة - 10 رومانية وي العلمة المتعادمة التعامة ( - 10 العلمة المنافقة المتعادمة التعادمة المتعادمة المتعادمة المتعادمة المتعادم المتعادم المتعادم المتعادم العلمة المتعادم المتعادم

<sup>(</sup> ۲ ) انظر : Deanealy, M., A History of Early Mediaeval الباز العربي : الدولة Europe, pp. 33 — 53. ٦٥ — ٦٣

Hunt, History of Italy, pp. 7 - 9 فشر ص ٥١ فشر ص ٥١ ا

Deanesly, op. Cit., pp. 245 — 59; Pirerre, H., A History of Europe pp. 39 — 45; Hodgkin, T. Italy F. Her Invaders Voi. V. qq. 151 sqq, Vol. VI, pp. 62 — 3, 83 — 89, Sipmondi, T. C. L., Hist. of are Italian Depublish, 667 — 11.

البابوية . ونظراً للتخريب الذي استهدفت له إيطاليا ، من جراء حروب يوستانيوس لاستعادة إيطاليا من القوط الشرقيين ، ثم ما تلا ذلك من تخريب اللومبارد ، وكانوا أشد فتكا من أصلافهم القوط ، يعيب بعض الكتاب على مشروع حركة الاسترداد، التي قام بها يوستانيوس ، ثما أدى إلى تعريض إيطاليا والإيطاليين إلى اللمار والكوارث المتلاحقة ؛ يقول فشر معقباً ، على ما يراه من خطأ يوستانيوس فى إذالة دولة القوط الشرقيين التى احترمت التقاليد الرومانية :

واللواقع ، إن المملكة التى وقفت من الروح والتقاليد الرومانية هذا الموقف الحميد ، استأهلت لأن تصبح زعيمة بانقاذ إيطاليا من ساسلة الحروب الطويلة والفتن الداخلية التى تعرضت لها بلادها المنكودة طوال تاريخها منذ القرن السادس الميلادى ، إذ كان في استطاعة القوطيين ، أن يجعلوا من أنفسهم وصفاتهم الحربية والسياسية ، حمى لشبه الجزيرة ، بعد أن ذهبت تلك الصفات عن أهملها الأصليين منذ قرون ، ومن هنا تتضع جسامة الفلعة التي اتهت بالقضاء على القوط الشرقيين فلو أنهم ظلوا وشأنهم لما حدثت تلك الغزوات والفتوحات الإمباردية في شهالى إيطاليا ، ولما قامت الدولة البابوية في روما ، ولما أحييت الإمبراطورية الرومانية في الغرب<sup>(1)</sup> ، بل ربما تحققت الوحدة السياسية الإيطالية على أيديهم في القرن الثامن الميلادى «<sup>(7)</sup> .

ولا شك أن السلطة الثالثة ، التي اقتسمت الحكم في إيطاليا ، هي البابوية ، فان من أهم نتائيج سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب ، وقيام ذلك العمراع الديني الذي وقع في الإمبراطورية البيزنطية ، تحت اسم الحركة اللا إيقونية ، وهي حركة تحطيم الصور المقدسة أو الإيقونات (٢٠٠٠) ، وكانت حركة بدعية في نظر الكنيسة الغربية ، كل ذلك أدى إلى بروز سلطة البابا السياسية ، فقد تطلع إليه الإيطاليون ، وقد خلا أمامهم أهم شخصية رومانية باقية في شبه الجذيرة ، ومن ثم انتقل مركز

Bryce, J., The Holy Roman Empire, pp. 36 — 44; Pirerre, op. Cit., , pp. 80 — 93; Chew, H., & Latham, L. C. A History of Euroge, pp. 164 — 65.

<sup>(</sup>٢) قشر ص ٥٠ - ١٥

<sup>(</sup> ٣ ) أنظر : المؤلف : الحركة اللاإيقونية في الدولة البيز نطية ص ٢١ -- ٢٧ ، أونظر : James, R. A, History of the Iconoclastic Controversz, pp. 1 -- 38.

الأهمية والتوجيه من قصور الأباطرة السياسيين إلى أروقة اللاتران Lateranus أى إلى كنيسة روماً (١) .

آوفيا يتعلق بأسبانيا ، فصاحب الأمر فيها ،هم القوط الغربيون البرابرة الجرمان؛ ولقد ترك القوط أسبانيا ، في مطلع القرن الثامن الميلادى ، كما دخلوها أول مرة ، في مطلع القرن الخامس ، مشهداً من مشاهد البؤس والفاقة ، دخلوها ، وهي مقسمة ضياعاً Latifundia بين أقلية من السادة الرومان ، تتمتع بكل الامتيازات وسط محيط من العبيد الأذلاء ؛ ولابد لمثل هذا المجتمع المنهار ، من أن يسقط عند أول عزو ، هكذا كان الحال عند نهاية حكم القوط ، فقد تركوها على هذا النحو أو ما يقرف منه (٢) .

قام المجتمع القوطى على نظام الطبقات ، فاستولى النبلاء فيه ورجال الدين على غيو ثاثى الأراضى الخصبة ، مع الإعقاء من الضرائب (٢) ؛ ولهم جميع السلطات المدنية والعسكرية والروحية ، إذ كان رجال الدين يشاركون في حكم البلاد . أما المدنية والعسكرية والروحية ، إذ كان رجال الدين يشاركون في حكم البلاد . أما نهم الحكام ؛ ثم طبقة العبيد ، وهذه مرتبطة بالأرض ، تنتقل معها من مالك إلى أشهم الحكام ؛ ثم طبقة العبيد ، وهذه مرتبطة بالأرض ، تنتقل معها من مالك إلى بعض الصناعات ، إلا أنهم جميعاً قد حرموا من شتى الحقوق : وبجانب هذهالطبقات توجد جالية كبيرة لليهود ، وتتحكم هذه الجالية في مرافق البلاد الاقتصادية ، شامهم في كل مكان . وقد أحس ملوك القوط بوطأتهم ، فناصبوهم العداء وتواصوا بالتنكيل بهم واستثمال شأفتهم ، وصدرت عدة قوانين ضدهم ، من ذلك ما أصدرد الملك القوطى شنشادس (Sisenand) (ت 737 م ) من قوانين تقضى بطردهم الملك القوطى شنشادس (Sisenand)

Finlay, G., History of the Byzactine Empire, pp. 243—44; Painter, S., (1)

A History of the Middle Ages, pp. 104—120; Hunt, op. Cit., pq. 16—18;
Lovtchenko, M. V., Bayzance, Des Origines A 1453 (Trad. de Pierre Mabile),
pp. 135—141; Lindsay, op. Cit., pp. 221 sqq.; Foord, op. cit., pp. 180—202;
Vassilier, A. A., Historz of the Byzantine Empire, pp. 136—39, 373—394; Bailly,
A., Byzance, pq. 166—175, C. Med, H., Vol. III, p. 148; Vol. V, p. 167;
Bradley, H., The Goths, p. 248; Oman, ch., The Dark Ages, pp. 131—134 (Y)
Dozz, R., Les Musulmans d-Espagne, T. II, pp. 4—13.

 <sup>(</sup>٣) العبادى: المجمل في تاريخ الإنداس من ٤٤ -- ه ٤٤ دولة القرط الغربيين المؤلف من ه ٧٥ - (٣) العبادى: أشوم المسالك من ٤٣٩ - 9 Scott, S. P., History of the Moorish Empire
 (٣٤٩ - التورنسي : أشوم المسالك من ٤٣٩ - (٣٤٩ - ١٤٨

من المناصب العامة ، وتلك التي أصدرها الملك إرفع Brvig (ت ٦٨٧ م) : وهي أشد قسوة من السابقة<sup>(١)</sup> .

نظر اليهود لأحوال أشقائهم عبر الزقاق ، في شمال افريقية ، حيث ينعمون بالتسامح في ظل السيادة الإسلامية الجديدة ، فاتصلوا بهم ودبروا مؤامرة للقضاء على حكم القوط ؛ حقيقة اكتشفها ألملك أيقه Bisca (ت ٢٠١١م) وأجبر اليهود على المسيحية ، إلا أنهم لم يكفوا عن الكيد والتدبير ضد حكم القوط ، وها يفسر ترحيب اليهود بالمسلمين عندما دخلوا أسبانيا ، وهم في ذلك يشهون أقباط مصر في العصر البيز نطى عندما رحبوا بالفتح العربي الإسلامين.

ومن عناصر ضعف المجتمع القوطى كذلك ، الصراع المستمر على العرش ، إذكانت الملكية القوطية قائمة على الانتخاب ، ليظل العرش حقاً مشاعاً بين القادرين على اغتصابه ، وهذا بجانب حقد الرعايا من الرومان الأسبان ، لاختلافهم فى المذهب الديني ، ولم تفلح سياسة القوط الدينية عندما تخولوا إلى الكاثوليكية أواخر القرن السادس الميلادى ، ليوافقوا رعاياهم فى المذهب ، فقد جاء هذا التحول متأخرً (77) ، كذا لم تفلح تشريعاتهم القانونية للمزج بين القوانين الجرمانية والقوانين الرمانية والقوانين الرمانية والقوانين الرمانية والقوانين الرمانية والقوانين المرمانية والقوانين الرمانية عنه الشخصية عن التشريعات الحرمانية (6).

ظلت الكراهة قائمة بين الرعايا والحكام ، كما ظلت موامرات الصراع حول العرش ، وآخرها مؤامرة لوذريق Rudericus التي انتهت بطرد غيطشه SWetza التي انتهت بطرد غيطشه SWetza وتولى لوذريق العرش ( ٧١٠ – ٧١١ م ) ، فاستعانت الأسرة الطريدة وأقصارها بالمسلمين عبر الزقاق ، وما كاد عام ٩٧ه – ٧١١م يطلع ، حتى تعرضت دولة القوط الغربيين ، لأخطر ما تعرضت له في حياتها ؛ ومهما قبل في عوامل ضعفها ،

Scott, op. cit., : واجع دولة القرط النريين المؤلف س ١٦٨ - ١٦٧ وانظر : (١) pp. 172 - 73, 178 - 184, 192; Leclercq, H., L'Bapagne Chrétienne, pp. 342 - 4. Leclercq, oq. Cit., qq. 306 - 333, 362; Deanesiz, oq. Cit., pp. 104, 106; (٢) Doxy, op. Cit., pp. 25 - 7; Pircane, op. Cit., P. 155; Lévi-Provençal. Histoire de l'Espagne Musulmane, T. I., pp. 1 - 7; Lavisse, op. Cit., p. 240; Oman, op. Cit., pp. 233 - 4; Diebl, ch., L'Afrique Byzantine, p. 589. Lavisse, op. Cit., p. 249; Bradley, op. Cit., pp. 331 - 2, Leclercq, op. (٢)

De Marlès, M.,; Histoire de إلى الفريدين المؤلف من ١٤٨ – ١٤٣ ) دولة الفرط الغربيين المؤلف من ( إ ) la Domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal, pp. 58 – 60; Scott. op. Cit., p. 184.

<sup>(</sup>أه) ساه القلقشندي وغطمه ، (راجع صبح الأعشى جه ص ٢٣٨ - ٢٤١).

وفى غاليا Gallia (٢) ، انقسمت السلطة بين ثلاث دول جرمانية ناشئة أولاها : دولة القوط الغربيين فى منطقة الحدود بين غالة وأسبانيا ، وهى المنطقة المعروفة باسم سبتمانيا Septemania ، أو منطقة المدن السبعة(٢) ، وذلك بعد أن طردهم الفرنجة من اكويتانيا<sup>(٤)</sup> .

والدولة الثانية ، هي دولة البرجنديين في حوض الرون ومنطقة سافوى ، أقام البرجنديون دولتهم في جنوبي غاله منذ أواخر القرن الخامس الميلادى ، وذلك بعد أن قضي الهون Etuns على دولتهم الأولى في قرمز Worms ومايتز Speyor يوميل البرجندين المشهور في نهاية ذلك القرن هو جندوباد Gundobad ، ومن أميرات البيت البرجندي الأربومي المذهب ، كلوتيلدا الكثر وليكية ، وهي التي تزوجت من كلوفس Clovis ملك الفرنجة ، وكان لها أثرها الكبير في اعتناق زوجها ورعاياه المسيحية على المذهب الكاثوليكي ، وطفا نائجه البعيدة في مستقبل الفرنجة (°) .

والدولة الثالثة التي سادت في غاله ، هي دولة الفرنجة Franks ، أعظم ممالك الحرمان على الإطلاق . ومؤسس هذه الدولة كلوفس Clovis م )

<sup>(</sup>١) راجع دولة القوط الغربيين المؤلف ص ١٢٠ – ١٢١ ؟ العبادي ص ٤٦ ؟

Lévi — Provençal, op. Cit., pd. 1-7; Scott, op. Cit., pp. 217-219; -Lot, F., Les Invasions Germaniques, p. 187.

Hubert, H., The Greatness & Decline of انظر ، انظر ، انظر ) عن غالة قبل الفتح الحرماني ، انظر ، (γ)

Civilisation, p. 90  $\Lambda \xi - \Lambda \gamma$  راجع ما سبق وانظر دولة القوط الفريين المؤلف من  $(\Upsilon)$  Eyre, (Ed.) European

<sup>(</sup>٤) دولة القوط النربيين ص ٩٨

Cartellieri. O., The Count of Burgundy (Studies in History of Civilisation) (a) pq. 24, 164—180; Berthelot, M. A., (H. G. T. I. ), pp. 97—103, 121, 122; Halphen, L. (C. Med. H., Vol. III.), pp. 134—36; Deaneslz, op. Cit., p. 30; Lavesse, E., Histoire de France, T., I, pp. 43—66.

وتعرف باسم الدولة الميروفنجية ، أو الميرونجانية ، ، فيا عبر النونسي<sup>(١)</sup> ، نسبة إلى ميروفتش Merovech جد كلوفس<sup>(٢)</sup> .

ومن أهم أسباب قوة هذه الدولة ، وبقائها في عمر الزمن ، أكثر من غيرها ، أثها خالفت من عداها من سائر الجرمان ، مثل القوط والوندال والسويف (الجلالقة) واللومبارد وغيرهم ، إذا اعتنقت المسبحية على الملذهب الكاثوليكي ، فوافقت سيدلك مذهب الرعايا الرومان الغالمين ، كما رضيت عنها البابوية وظفرت بتأييدها ، حتى لقب كلوفس بملك الرومان Rex Ramanorum (۲) .

اعتمدت مملكة الفرنجة على رجال الدين ، ومن أهم أركان سياستها ، التبشير بالمسيحية في الأقاليم الوثنية البربرية مثل بلاد السكسون والألمان وغيرهم ، وتضمن البسيحية نقل المدنية الرومانية والقانون الروماني إلى تلك الأصقاع (٤) . وتحمس الفرنجة لحماية العقيدة المسيحية الكاثوليكية ، مما كان له أثره في النضال الإسلامي المسيحي ، وليس من باب الصدفة أن فرنسا ، دون غيرها من سائر الدول الحرمانية ، هي التي ساهمت بالنصيب الأكبر في الحروب الصليبية التاريخية فيا بعد، وأن لغنها وتقاليدها هي التي سادت في الإمارات اللاتينية بالشرق (٥٠).

كانت مملكة الفرنجة Regnum Franconumموحدة زمن كلوفسوخلفائه المباشرين وتعزى هذه الوحدة إلى شخصية كلوفس ومقدرته ، وإلى حروبه الظافرة التى حطم بها قادة الحرمان الآخرين ، كما أزال فى عام ٤٨٦ م البقية الباقية من حكم اللاتين

<sup>(</sup>١) أقوم المالك ص ١١٣

Funk — Breutano, The National History of France, pp. 210 Sqq.; (Y) Sergeant, L., The Franks, pq. 80 — 98, Dill, S. Aoman Society in Gaul in the Merovingian Age, pp. 1 — 39.

Berthelot (H. G., ; T. I), pp. 121—22 إلى الشريع ا

<sup>(</sup> ٤ ) فشر ص ٣٥ – ٣٦

فى غاليا ، وهي مملكة سياجريوس Syagrius وعاصمتها سواسون Soissons(١)..

وعندما استقرت حدود مملكة الفرنجة عند جبال البرانس ، واستقر الاومبارد في حوض نهر البو Po شال إيطاليا ، عندئذ تحولت الروح الحربية الجرمانية إلى صراع داخلي ؛ فلم يكن الفرنجة أو غيرهم من الجرمان ، خبرة أو رصيد سياسي سابق ، لسياسة الرعايا ، ورغم أنهم أبقوا على بعض النظم الرومانية ، إلا أنهم لم يفهموا قيمة الحكومة المركزية ولم يعقلوها ، كما عقلها العرب مثلا ، في فارس وغيرها من البلاد التي فتحوها ، وكان ذلك الفهم يتطلب الإبقاء على النظم القائمة النابة (٢)

ونتيجة لذلك ، سار الفرنجة على قاعدة خطيرة ، لازمتهم طوال تاريخهم ، وكانت أهم معاول ضعفها وتمزيقها ، تلك هي ، تقسيم الملك كالإرث بين الأبناء ، ويشبه هذا ما وجد عند السلاجقة والدول الإسلامية التي انسلخت عنها مثل الدولة النورية والدولة الصلاحية في بعض مراحلهما .

جهل الفرنجة فكرة الدولة State ، وقيمة التجانس بين عناصر السكان ، أو قيمة الحدود الاستراتيجية لأملاكهم ، أو حتى الإمكانيات الإقتصادية التي ينبغى أن تتوفر ؛ لم يكن أمامهم سوى اعتبار واحد ، هو تقسيم الإرث القائم ، الثابت والمنقول ، بين المستحقين من أبناء البيت الميروفنجي (٣)

وأول تقسيم مشهور فى تاريخ الفرنجة ، ما وقع عام ٥١١ م عقب وفاة كلوفس فقد قسمت المملكة بين أبناء كاوفس الأربعة ، فنشأ من ذلك أربع ممالك متنافسة<sup>(ع)</sup> على أن التقسيم لم يقتصر على الأقالم ، بل شمل كذلك تقسيم المدينة الواحدة بين أكثر من واحد ، مثل ميناء مرسيليا ومدينة باريس نفسها ، فنى عام ٥٦٧ م ، قسمت

Lavisse, op. Cit., pp. 94 — 5, 100 — 103; Deanesly, pp. 58 — 60; Funk- ( \ )

Brentaro, Histoire de France, pp. 200 — 207.

Deanesiz, p. 261; Dill, S., Op. Cit., pq. 77 — 105-

Deanesly, q. 262. (7)

Berthelot, op. Cit., q. 124; Funk-Breatado, op. Cit., p. 235; Lavisse, op. ( t ) Cit., pp. 104 -- 120

باريس بين ثلاثة إخوة ، حتى أن الحصة التى لم تقع فيها الأسقفية ، أنام فيها صاحبها أسقفية خاصة به ، إمعانا فى المحلية<sup>(١)</sup> .

والملاحظ على الفترة منذ ٥٦١ م صومى سنة وفاة لوثر الأول بن كاوفس، الم الاية شارلمان بن بيبين القصير عام ٧٦٨ م، وتقدر بأكثر من قرنين، أنها فترة مضطربة ، اشتد فيها الصراع ، ليس فقط بين الممالك الفرنجية التي قامت نتيجة التقسيات المتكررة ، ولكن كذاك بين ملوك الفرنجية الميروفنجيين وبين حجاب قصورهم ، مما أدى إلى تدهور التقاليد اللاتينية في بلاد الغال ، ولا سيا في الجنوب ، كان حكم الميروفنجيين خلال تلك الفترة حكماً إسمياً ، فقد انتقلت السلطة الفعلية تدريجياً إلى حجاب القصر ، وبرزت سلطة حجاب قصر مملكة استراسيا Austrasia الفرنجة ، وهي الجزء الشرق من فرنسا(٢٢) ؛ وهؤلاء الحجاب من سلالة أرنولف Armulf أسقف مينزيماها ، أمثال بيبين Popin الأول واللافي وشارل مارتل ؛ ومن هذه الأسرة قامت أسرة الكارولنجيين Carolingians التي وشارل مارتل ؛ ومن هذه الأسرة قامت أسرة الكارولنجيين هي منتصف القرن الثامن الميلادي(٢٠).

وزاد من مركز حجاب قصر استراسيا ، أنهم هم الذين انبروا لحماية فرنسا سيا من الخطر الخارجي ، ولا سيا خطر الفريزين Frisii المقيمين على ساحل بحر الشهال حتى نهر الفيزر ، هزمهم بيبين الثانى ( ت ٧٦٥ م ) ، واستعاد المدن التي استولوا عليها ، كما هزم الألمان Alemans والبافاويين ، فهدت بجهوده لسيادة خلفائه من بعده ، وصار بين أولئك الحجاب تولية الملوك الميروفنجيين وعزلم (٤٠٠).

Deanesly, P. 267; Gregcry Tours, op. Cit., pp. 45 — 80 (1)

<sup>(</sup> ٢ ) قشر ص ٧٤ . . .

<sup>(</sup>٣) موطن الكارولنجين الأسبل هو بلحيكا الحالية تقريبا ، وبرز في هذه الاسرة شخصيتان هما يبين صاحب بلدة لاندن Landen بمقاطمة برابانت Brabant الحالية ، ودوق أدنولف الذي سار أسقت متر فيا بعد ، وصار يبين حاجبا لقصر استراسيا عام ٢٩٣ م ، وزوج البته لابن أرفولف ؛ وكان من نتائج هذه المساهرة يبين الثاني الذي تولى رئامة البلاط في استراسيا عام ١٨١٧ م ، ثم في نستريا Noustria — وهي الجؤء النرق من فرنسا عام ١٨٧٧ م . (راجع فشر ص ٧٥ — ٧٧).

Lavisse, Op. Cit., pp. 257—261; Deancely, p. 276 Funk — Brontano, op. ( ‡ )
Cit., pp. 280—90. Firenne, A History of Europe, pp. 72—79; Sergeant, op. Cit., pp., 194—206).

ومن أبرز خلفاء بيبن الثانى حفيده شارل مارتل ( ٧٩١-٧٤١ م ) الذى اشتهر بالشجاعة والكفاءة ، قام بالغزو المنظم فى كل صيف ، وحطم الأعداءالمحيطين بدولة الفرنجة المبروفنجيين ، ونجح فى جميع حروبه ، وأخضع دوقية ألمانيا ، بعد أن شن عليها أكثر من حملة ظافرة ، فى أعوام ٧٧٠ ، ٧٢٢ / ٧٧٤ دارب الفريزيين كا أخضع بافاريا بعد حملتين ناجحتين فى ٧٧٥ ، ٧٧٨ ، وكذلك حارب الفريزيين عام ٧٣٣ ، وكذلك حارب الفريزيين عام ٧٣٣ ، وكذلك حارب الفريزيين في المسلمين فى وقعة بلاط الشهداء ، كما سنرى فيا بعد ، ويقال إنه لقب بالمطرقة Martel لأنه دحر أعداء الفرنجة ، أو لشدة ما أنزل بالكنيسة الكاثوليكية فى غاليا من صارم الضربات التى اضطر إليها لفساد رجلل الدين فى عصره (٢٠) .

وكانت دوقية اكويتانيا ، في خالة ، شبه مستقلة ، ويحكمها دوق فرنجى معاصر لشارل مارتل ، هو الدوق أو Budes ، وكان يتحين الفرصة لتوسيع دوقيته على حساب الميروفنجيين الضمفاء ، لولا حماية حجاب قصورهم ، فحاربه شارل مارتل وهزمه عام ٧٣١ م ، لكنه لم يخضع لنفوذه ؛ غير أن تعرض دوقية أكويتانيا ، يحكم موقعها ، لحركات المسلمين ، حمل اللوق على التحالف مع شارل مارتل ، ومن ثم امتد نفوذ شارل مارتل على كل فرنسا تقريباً .

وفى زمن شارل مارتل حاجب قصر الميروننجيين ، ولينه بيبين القصير حاجب القصر ، ثم ملك الفرنجة ، وحفيده شارلمان ، كان الصراع قد اشتد بين الفرنجة والمسلمين .

A 4 4

هكذا كان الوضع الجغرافي والسياسي والإجماعي للدول السائدة في حوض البحر الأبيض ، حتى اصطدامها بالفتوح الاسلامية ، وسوف ينصب البحث على

Deanesly, pp. 276 - 85; Lavisse, qp. 257 - 261 (1)

<sup>(</sup>۲) ام یکن شارل مارتل هو الذی ظفر و خده بهذا اللتب من زعماء الفرنجة ، فهناك من ظفر به غیره ، مثل جیوفری بن فواك بیزا كونت آنجو الاتطاعی ، فقد اشتهر باسم جیوفری مارتل Geoffrey Martel و یا کونتی آنجو Anjou فی الفترة بین ۱۰۹۰ و ۱۰۹۰ ، زمن سیادة آل كا دی (انظر ما یال ، و رافطر : فشر ص ۷۱ ، (Deanealy, p. 285; Brooke, pp 108 — 109)

علاج امتداد النفوذ الإسلامى فى فرنسا وإيطاليا فقط ، مع الإشارة إلى الغزو الإسلامى فى سويسرا حتى أعلى الراين ، فقد كان تحكم المسلمين فى جنوبى.فرنسا وفى منطقة الحدود بين فرنسا وإيطاليا وفى مجرات الألب ، مدعاة إلى تطلعهم إلى ما وراء الآلب ، إذ أن طموحهم لم يقف عند حد .

## - 4 -

## كيف بسط المسلمون نفوذهم في فرنسا:

لفدكان من أهم أحداث عهد الإمارة الإسلامية في أسبانيا ( ٩٥-١٣٨ ه / : ٧١٣-١٩٥٩ م ) ، محاولة العرب فتح فرنسا . وفكر موسى بن نصير فعلا في عبور جبال البرت أو البرتات(٢) ، وبسط سيادة المسلمين على 3 الأرض الكبيرة ، ، وهي فرنسا ، ثم الاتجاه شرقاً وإخضاع روما أو القسطنطينة(٢) .

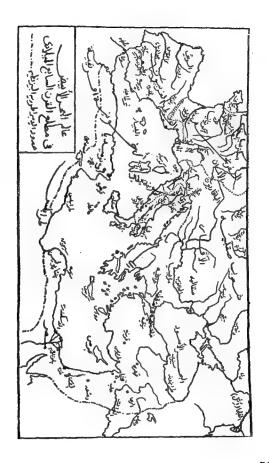
خشى الخليفة الوليد بن عبد الملك ( ٨٦-٩٦ ه / ٧٠٥-٧١٥ م ) من أن يغتر وسى بنصره ، فيغرر بالمسلمين فى أرض واسعة وطريق وعر ، فاستدعاه هو ومولاه طارق بن زياد<sup>٣٦)</sup> . عاد موسى إلى المشرق ، بعد أن استخلف ابنــه عبد العزيز على الأندلس ( ٩٩ ه / ٧١٣ م ) .

اتخذ عبد العزيز بن موسى مدينة إشبيلية Sevilla قاعدة للإمارة ، وتابع الفتوح فى شبه الجزيرة ، وافتتح الجزء الجنوبي الشرقى من أسبانيا ؛ غير أن عهده

 <sup>(</sup>١) عبرت المراجع المرية من جبال البرانس Pyrenees باسم جبال البرت أو البرتات
 (انظر تقوع البلدان ص ١٩٦٩).

آ ( ۲ ) نفح الطيب ج ۱ س ۱ ۱ ۱ اين الأثير ج ه ص ۱ ۱ ۱ البادي ص ٥٣ ا امدرستم : المدرس م ١٤٥ ا امدرستم : المدرسة بالدر م با ١٤٥ من ( Coman ) أرم ان ( ۲۹۵ - ۲۹۲ من من ۱٤٥ - ۲۹۵ الروم با المدرسة بالمدرسة بالمدرسة ( Vassilier, op. Cit., p. 235 ; C. Med. M., Vol. IV, p. 3 ; Runciman, S., Byzantino Civilisation, pp. 292 — 93.

 <sup>(</sup>٣) اخبار مجموعة ص ١٩، ٢٩ - ٣٠ ؛ نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٤ ؛ ابن عذارى : البيان
 ج ٢ ص ٢٩ - ٢١ ؛ ابن القوطية ص ٣٠ ، ٣١٣ - ٢١٧ ؛ العبادى ص ٣٠ ؛
 De Mariès, qp. 110 -- 111 ; Scott, I, pp. 54 -- 6



لم يطل ، وانتهى بالقتل ، لما تذكره المراجع من قصة زواجه من أيله Egilone لم يطل ، وانتهى بالقتل ، لما تذكره المراجع من قصة خوات عنده حتى طلبت منه أموراً عالمة لملاسلام كالسجود له وانخاذ تاج من ذهب . ثار عليه المسلمون وقتلوه عام ٧٧ ه / ٧١٦ م ، حين دخل عليه زياد بن علره البلوى ، وهو في مسجد اشبيلية وعلاه بالسيف قائلا : قد حقت عليك ياابن الفاعلة : ويقال ، إن الخليفة سايان بر عبد الملك ( ٩٦ ــ ٩٩ هـ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١٦ ــ ٩٩ هـ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١٦ ــ ٩٩ مـ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١١ عــ ٩١ مـ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١٩ ــ ٩٩ مـ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١٩ مــ ٧١٩ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١١ عــ ٩١ مـ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١١ عــ ٩١ مــ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في قتلد (١٩ عــ ٩١ مــ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في هنايا و المرابقة و ١١ مــ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في هنايا و المرابقة و ١٩ مــ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في هنايا و المرابقة و ١١ مــ / ٧١٧ م ) ، هو الذي بعث في هنايا و المرابقة و ١١ مــ / ٧١٠ م ) ، هو الذي بعث في هنايا و المرابقة و ١١ مـــ / ١١ مــ / ١١ مـــ / ١١ مــ / ١١ مـــ / ١١ مــ / ١١ مـــ / ١١ مــ / ١١ مـــ / ١١ مــ /

ظلت فكرة عبور البرانس إلى الأرض الكبيرة ، تراود قادة المسلمين فى أسبانيا ، حتى كانت ولاية السمح بن مالك الخولانى عام ١٠٠ هـ/ ٧١٩ م من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ – ٧٢٧م ) .

والسمحهن أفاضل عربأفريقية ، ومنخيرة الولاة الذين تولوا أمرالأندلس (٢) وبولايته ، عاد الحماس إلى الحند الإسلامي ، وكان قد فتر على أثر استدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وما لحق بهما فى دار الخلافة(٢)

ثم إن السمح هو الذى نقل عاصمة الإمارة الإسلامية فى أسبانيا إلى قرطبة ، بعد أن كانت فى طليطلة ــ عاصمة القوط السابقة ــ ثم فى إشبيلية ، زمن عبد العزيز ابن موسى ؛ واستمرت قوطبة عاصمة الأندلس حتى نهاية الدولة الأموية بالأندلس وتقع هذه المدينة ، على الضفة الشهائية لئهر الوادى الكبير Guadalquivit .

حقق السمح الفكرة التي دارت برأس موسى بن نصير من قبل ؛ وقام على رأس بجيشه في عام ٧٧١ م ، وفتح إقليم سنهانيا .Septemania ، وهي منطقة ساحلية تمتد من البرانس غربا إلى مصب نهر الرون شرقاً ، وقد عرفت بهذا الإسم Narbonne على سبع مدن أو سبعة أقاليم أو أقسام إدارية ، وهي : أربونة المتعالمات

<sup>(</sup>۱) ابن علماری ج ۲ ص ۳۰ – ۲۳ ؛ نفح الطیب ج ۱ ص ۲۹۳ ؛ ابن الأثیر ج ٥ ص ۸ – ۹ ؛ أخبار مجموعة ص ۲۰ – ۲۱ : ابن عبد الحكم ص ۲۸۰ – ۲۸۱ ؛ ابن الفوطية ص ۳۷ – ۸ ۱۲۳ – ۱۸۲ ؛ مؤنس : فمبر الأفدلس ص ۱۲۹ – ۱۲۳ Lévi-Provençal, Op. Cit., pp. 33 – 4

و ٢ ) ابن الأثير جه ص ٢ ٢ ؛ 31 Lévi-Provençal, Op. Cit., pp. 30 - 31 المبادى ص ٥٣

<sup>(</sup>٣) ابن القوطية ص ٣٦ – ١٠١ ؟ العبادي ص ٤٠

<sup>(</sup>٤) انظر الروش المطار ص ١٥٢ – ١٠٨

ونيم Nimes وآجد Adge وبيزني Beziers ولوديف Lodeve وقرقشونه Carcasenne وماجلون Maguelone . والمعروف أن هذه المنطقة تسمى كذلك جوئيا Gothia ، نسبة إلى القوط ، إذ كانت من بقايا مملكة القوط الغربيين في منطقة الحدود بين فرنسا وأسبانيا ، ويتحكم فيها يومثذ جماعة من نبلاء القوط ، يعد زوال دولتهم في أسبانيا ، والعاصمة أربونة (٣٠) .

استولى السمح على هذه العاصمة ، بعد حصار دام شهراً ، وذلك عام ٢٧١) وغم المسلمون كثيراً من الأموال والتحف ؛ ويرجع أغلب هذه الكنوز والتحف إلى رجال الدين الذين هربوا من أسبانيا عقب الفتح الإسلاى لها ، فقد حملوها معهم وأودعوها المؤسسات الدينية في تلك المدينة وغيرها (٣) . وساعد على سقوط أربونة في يد المسلمين ، أنها مفتوحة من البحر ، فسهل وصول المدد الإسلاى إلى القوة الحساصرة .

اتخذ الفاتح أربونة ، قاعدة للعمليات الحربية فى فرنسا ، فدعم حصونها وشعنها بالمقاتلة ، ولا يزال إلى اليوم ، شارع بهذه المدينة يعرف باسم شارع السمح (L'Rue de zama) ؛ كذلك أقام السمح الحاميات فى المدن المجاورة(°).

تثبع السمح مجرى الجارون واتجه غرباً ، وفتسح جميع ما صادفه من المسدن والحصون مثل بيزيى Bezies وماجلون Maguelonne وهما من مدن سبتهانيا ، وعرفت هذه المدينة الأخيرة باسم و ثغر المسلمين Port-Sarrasin ( ثم فتح قرقشونة Carcasonne وسار حتى وصل إلى طولوشه Toulouse عاصمة أكويتانيا ؛ غير أن طولوشه تاومت الحصار الذي ضربه السمح حولها ، كما نصب حولها

<sup>(</sup>١) فجر الأنداس ص ٢٤٩

<sup>(</sup> ٢ ) الروض المطار ص ١١ – ١٢ ؟ تقوم البلدان ص ١٤٧

Scott, I, p. 276 ( 7 )

Pirerre, P. 165 Lare-Poole, Op. Cit. p. 28 ؛ ١١٣ – ١١٠ س ١٠٠ ألمرب و الاسلام س

Deanesly, p. 286 ( "\ )

المنجنيقات (1) ؛ وظلت تقاوم حتى وصل الدوق أود Budes الفرنجي حاكم أكويتانيا (17) ، وهو على رأس جيش ضخم ، وكان السمح قلد أخذ يشد من أزر رجاله ، ويقرأ قوله تعالى 1 إن ينصركم الله ، فلا غالب لكم ... 1 .

وقعت معركة عنيفة ، أصيب فيها السمح بطعنة قضت عليه ، أواخر عام ١٠٧ م (٢) ، فقت ذلك في عضد الجند ، وحينئذ ارتدوا عن طولوشه . وكان رجال الدين المسيحيون ، قد أثاروا حماس وواطنيهم ضد المسلمين ، ويقال إنهم حجبوا مواطنيهم بالتعاويد والأحجبة التي باركها البابا ، وليس صحيحاً ماذكره بعض المسيحيين من أن أحداً منهم لم يقتل ممن يجمل تلك الأحجبة (٤) .

جاءت وقعة طولوشه ، أول نكسة للعرب فى أوربا ، فعادت فلول الجيش الإسلامي بقيادة عبد الرحمن الفافقي الأزدى إلى قاعدة أربونه . وكأن استيلاء المسلمين على طولوشه يمكنهم من التحكم فى وادى نهر الجارون وفى الحدود الشهالية لمقاطعة غشقونيا Gascony<sup>(0)</sup>.

. . . .

<sup>(</sup>١) المنجنيق كلمة فارسة معناها أنا ما أجودف ، واستعملت للدلالة على آلة برص بها الحجارة .
والحمع منجنيقات ومجانق ومجانيق (القاموس المحيط ؛ طوبيا العنيدى الحلبي : كتاب تفسير الإلغاظ الدخيلة في اللغة الدرية ص ٧١) .

Scott, I, p. 277 ( t )

Deancely, p. 286 ( a )

خلف السمح على إمارة أسبانيا عنبسة بن شحيم الكلبي ، من قبل يزيد بن أبي مسلم عامل أفريقية ، عام ١٠٣ه / ٢٧١ م ، وواصل أمر الغزو في جنوبي فرنسا غير أنه لم يسر في الإنجاه الذي سلكه السمح ، بل سار على الساحل حتى وصل إلى نمر ردونة Rhodonus (الرون) ، وأعاد الاستيلاء على بعض البلاد التي تبرمت بالسيادة الإسلامية عقب مقتل السمح عند طولوشة ، فصالح أهل قرقشونة على نصف أعمالها ، وعلى جميع من بها من أسرى المسلمين ، كما تعهد أهلها بدفع الجزية والإلتزام بأحكام أهل اللمة ، من محاربة من حاربه المسلمون ومسللة من سالموه . واجتاح أخذ عنبسة بعض الرهائن وأرسلها إلى برشلونة (٢٠) Clermont ) ، واجتاح العرب بعد ذلك مقاطعات نيم وبي Puy وكايرمونت Clermont ) .

ولما اقتربوا من دير موناسيتي Monastiers في منطقة فالى Vally ، جمع رئيس الرهبان ، وهو القديس سافر Chaffre ، رهبانه ، وأدرهم بالفرار بنفائسهم إلى الغابات المجاورة ، وظل هو بالدير ، على أمل التأثير في الغزاة المسلمين ، أو لعل يكون في تضميته بنفسه خلاصاً لرعيته ، حتى يسكن الغضب الإلهي الذي حل بسبب أخطاء البشرية ؛ فلما وصل العرب إلى الدير ، لم يجدوا به سوى هسلا القديس ، فضربوه وتركوه ، فات بعد قليل ، ويحتفل بعيد هذا القديس في ١٩ الكوبر من كل عام (٢).

استمر عنبسة فى زحمه الظافر ، وأغار على منطقة دوفيني Dauphinéوعاصمتها جرنوبل Grenoble ، كذلك أغار على برجنديا . وعلق بعض المعاصرين ، على

<sup>(</sup> ١ ) نفح الطيب ( الطبعة الحديدة ) ج ١ ص ٢١٩ . . . ٢١٠ ؛ ابن الأثير ج ه ص ٤ ه ) Lévi-Provencal. T. I. pp. 58 — 59

<sup>(</sup> ٢ ) خلات الحروب السليبية مدينة كلير مونت منذ أواخر القرن الخادى عشر فيها بعد ، حين عقد البابا إربان الثان فيها الهميم المستور عام ١٠٩٥ م ، وهو المجمع الذي فقررت فيه الدعوة إلى الحروب السابلة أي مقارمة القوط الغربيين عام ٤٧٤ م برعامة أستمفها المؤرخ السليبية ؟ كما خلفها من تبل استبسالها في مقارمة القوط الغربيين عام ٤٧٤ م برعامة أستمفها المؤرخ ميدونيوس أبوليناويوس Stovens: Sid. Appollinarms, (انظر: , Stoomius Appollinarius ميدونيوس أبوليناويوس 164 : 164 ; Lavisse et Ramkauc, T. I, p. 108

<sup>(</sup>٣) أرسلان : غزوات العرب ص ٧٦ - ١٤٥ - 127 - 130

هذه الغزوة الكاسحة ، بأن الله قذف فى قلوب الكفار الرعب ، فلم يتصد أحد منهم للمسلمين ، إلا لطلب الأمان<sup>(1)</sup> .

اجتاح العرب بعد ذلك مدينة أوزه Uzes ومدينة فين Vienne و نواحى فالنس حتى وصلوا إلى مدينة ليون Lyon ، ويسميا العرب و حصن لودون (٢٠٠) . كذلك زحفوا على مدينتى ماسون Macon وشالون والونون (٢٠٠) ، ثم أخضموا مدينة بون Bon ، وتقع على بعد عولات بعر الساؤون الشرق من ديجون ، ووصلوا في تقدمهم إلى مدينة أوتان Autun في أعلى نهر الرون ، وغنموا الكثير من كنوز الكنائس والأديرة ، وبعثوا بسراياهم إلى جهات اللوار ونيفير Nevers ثم إلى كونتية برجنديا ، وهي التي الشهرت فيا بعد باسم فرانش كونتية برجنديا ، ولا تزال إلى اليوم التر عربية وأسهاء إسلامية بهذه المنطقة (١٠٠)

لم يجد المسلمون مقاومة إلا فى مدينة سانس Sens ، الواقعة على بعد نحو الاثنين كيلو متراً جنوبى باريس ؛ ومدينة سانس ، عاصمة إقليم يوند Yonnd ؛ وفيا تصدى إيبون Bbbon أسقف المدينة ، للزحف الإسلامى وكان قد استمد له من قبل ، وحصن المدينة وحشد مواطنيه ، فهبوا معه لحماية مدينتهم ، ونجحوا فى وقف الزحف العربي (٢) .

ويبدو أن عنبسة بن سحيم الكلي ، أدرك ، بعد هذا التقدم الظافر ، أسحّى اقدّ ب من باريس ، أنه توغل فى قاب فرنسا أكثر ثما ينبغى ، فخشى ألا يستطيع تأمين خطوط عودته ؛ ثم إنه سمع فى ذلك الوقت بانبعاث العصبية فى أسبانيا ، ووقوع

<sup>(</sup>١٠) أرسلان : غزوات السرب ص ٧٧ (عن رينو Reinaud ).

<sup>.</sup> Lévi-Provencal, T. I, p 54 ( Y )

<sup>(</sup>٣) فجر الأندلس ص ٢٤٧

<sup>.</sup> Brooke, p. 95 ( £ )

<sup>(</sup>ه) أرسلان ص ٧٩

<sup>(</sup> ٩ ) قجر الأندلس ص ٢٤٧ ؛ أرسلان ص ٧٩ – ٨٠ "

خلاف بين العرب والبربر ، وربما لو لم تجتمع هذه الأحوال ، في ذلك الوقت ، لما انصرف عن فتوحه في غالة ، بعد أن واتاه مثل هذا التوفيق(١) .

عاد عنبسة ، لكنه لم يكن حذراً فى طريق عودته ، حيث داهمته جموع كبيرة من الفرنجة ، والتحج معها فى وقعة أصيب فيها بجراح بالغة ، توفى على أثرها فى شعبان ۱۰۷ هـ / ديسمبر ۲۷۵ه<sup>(۲)</sup> ؛ ومن ثم عادت فلول الجيش الإسلامى بقيادة علوه بن عبد الله الفهرى ، إلى أربونة (۲۰).

وقد خلف عذرة الفهرى ، عنبسة فى ولاية الأندلس ، وأهل الأندلس هم الذين قدموه عليهم ، حتى جاء الوالى المعين من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ( ١٠٥ – ١٢٥ ه / ٧٤٧ – ٧٤٧ م ) ؛ وظل عدرة فى ولاية الأندلس سنتين وثلاثة أشهر ( شوال ١٠٧ ه – ربيع أول ١١٠ ه فبراير – مارس ٧٧٦ – يونيه يوليه ٧٧٨ م<sup>(٤)</sup>.

واصل علىرة جهاد سلفه فى بلاد غالة ، وبعد أن جاءته الأمداد من الأنداس اقتحم سيّانية مرة أخرى ، ودخل حوض الرون وغزا الألبيين Les Albegeois نسبة لمدينة البي لطله Albi في نهر الجارون – إقليم رويرج Le Rouergue وسيمّقردان كذلك احتل حصر روكبريف Roqueprive فى مقاطعة رودس Rhodés . وفي هذه المنطقة ، انضم إليه عدد كبير من أهلها ، وزحفوا معه ، فاتسع مجال الغزو والهجوم (٥٠) .

<sup>(</sup>١) قبر الأندلس ص ٢٤٧ - ٢٤٨

<sup>(</sup>٢) ابن الأثير ج ه ص ٤٥٤ ابن عذارى ج ٢ ص ٣٦ ؛ فجر الأندلس ص ٢٥٤.

<sup>(</sup>٣) أشارت المراجع الأجنية إلى منرة .هذا باسم Hidyar أو Hidyar – راجع : De Mariès, pp. 127 – 30 P في فقح الطبيب ج ١ ص ١٩٠ ؟ ابن عذارى ج ٢ ص ٣٧ ؟ المبادى ص ٥٥ ؛ فجر الأندلس ص ٢٥٤ ؟ المسلمون في حوض البحر الأبيض س ٢٧ ؟ الدرب والاسلام ص ١١٧ – ١٢٠ ـ ١٢٠

<sup>(</sup>أ) كان الوالى الذى عين على الأندلس من قبل الحليفة هشام هو يحى بن سلمة الكله ( انظر ابن عذارى ج ۲ س ۳۷ ؛ أعمال الأعلام ص ۲ ؛ الدرب والاحلام ص ۱۲۱ ) .

 <sup>(</sup>٥) أرسلان ص ٧٣ – ٧٧ (عن ريتو) ؛ فجر الأندلس ص ٧٥٧ – ٨٥٨ ؛ العرب والاسلام
 ص ١٢٠ – ١٢١

وقد بالغ رينو Reinan في وصف تحريب العرب واعتناءاتهم على الكنائس والأديرة ؛ والثابت المعروف ، أن هدف المسلمين لم يكن لحرق الكنائس والأديرة ، لأنه بمقارنة المسلمين بالشعوب التي سادت غالة في تلك الحقبة ، من فرنجة وقوط غربيين وشرقيين وبرجنديين ، يتبين أن المسلمين كأنوا أعظمهم حضارة وأبعدهم عن النهب والتخريب ؛ هلما وقد أشارت النصوص التي وردت بالمراجع اللاتينية ، إلى أن الذين خربوا هذه الأماكن وغيرها ، هم الوند Vandes والوندال Wandes وغيرهم ، فجاء مؤرخو الكنيسة ، وقالوا أن المراد بهذه والوندال خم المسلمون ، وتابعهم زينو وغيره ، من المؤرخين المحدثين ، نما يدل على الألفاظ هم المسلمون ، وتابعهم زينو وغيره ، من المؤرخين المحدثين ، نما يدل على التعسف وعلم الدقة ، ولا سيا وأن هذه التسميت بعينها أطلقت بعد ذلك على المجريين انذين خربوا هذه النواحي زمن شارل مارتل وبيين وشارلمان ؛ ولو أن رينو عاد بعد ذلك وتشكك في أن المسلمين هم الذين قاموا بهذا التخريب (۱) . رينو عاد بعد ذلك وتشكك في أن المسلمين هم الذين قاموا بهذا التخريب (۱) . بهل إن الفرنجة أنفسهم ، بقيادة عاهلهم الأكبر وهو قارله (شارل مارتل ورارد) . شهوا الكنائس ، واستولوا على كنوزها وخوبوها فيا بعد وقعة تور (۲) .

Lecointe, p. Annales Ecolesiastica Fraccorum, IV, pp. 728 sqq., : من هذه المراجع (١) 795, sqq.; Mabillen, Annales Benedictine, II, p. 88; Mabillen, Acta Sanctorum (۲۰۹ – ۲۰۸ من فجر الأندائس ص ۲۰۸ , Po Benedicitini, II, pp. 52, sqq.

<sup>(</sup> ٢ ) العرب والاسلام ص ١٣٣ - ١٣٤ ؛ Scott, I, p, 311 ؛ ١٣٤ ؛ انظر ما يلي .

<sup>(</sup>٣) تولى أمر الأندلس بعد عذرة في الفترة ما بين وفاته ١١٠ هـ ٧٧٨ م إلى ولاية الغاني عام ١١٢ هـ ٧٧٨ م إلى ولاية الغاني عام ١١٢ هـ ٧٣٠ م ، خسة ولاة م : يحمى بن سلمة الكلبي ثم حذيفة بن الأحوص القيمي ثم عثان ابن أبي اسمة المندس ، ثم الحبيم بن عبيد الله الأخجى ، الذي ولى لملة ثمرين فقط خلال عام ١١١ ه ( ابن عذارى ج ٣ ص ٣٠ س ٣٠ ١٣٠ ؟ ابن القوطية ص ٣٩ ، ١٣٩ ؟ أعمال الأعلم ص ٣ ؟ نفح الطيب ج ١ ص ١٠٩ ) \*

عرف عبد الرحمن الغافق بالشجاعة وقوة الشكيمة وحسن القيادة ، وربما كان أقدر قائد عسكرى عرفته الأندلس فى عصر الولاة ؛ غير أن الظروف لم تنكافأ مع عبقريته الحربية ، وكانت وقعة طولوشة قد تركت أثرا شديدا فى نفسه ، فعلمته الحذر والحيطة ، كما أشعلت الحماس فى قلبه الثأر لما أصاب المسلمين من هزيمة (1).

استعد استعدادا كبيرا لغزو فرنسا ، وأعلن الدعوة للجهاد الاسلامي في سبيل الله ، كذلك أعلن هذه الدعوة في أفريقية ، فتدفق عليه المتطوعون من كل ناحية ، حتى تجمع لديه عدد ضمخم من القوات (٢٦) ؛ وبدأ تحركه بعبور جبال البرت أوائل سنة ١١٤ هـ ٧٣٢ م .

وفى الأرض الكبيرة ، استعد أود Eudes وق اكوتيانيا ، القاء المسلمين ، وكان هذا البوق ، خلال العشر سنوات السابقة ، قد دأب على حلية دوقيته بشى الوسائل ، منها إثارة الخلاف بين العرب والبربر في أسبانيا ، ومنها عقد زيجة سياسية مع الزعيم البربرى عيّان بن أبي نسعة Neza — ويسميه الفرنجة تسمية عرفة ، هي مونوزه Munuza ، وهو الذي ولى الأندلس لفترة قصيرة تقدر بنحو خسة شهور أو ستة ، خلال عام ١١٥ ه ؛ على أن ابن أبي نسعة مشهور بالشجاعة والنجادة ، ولكن أصحابه حقلوا عليه ، فسعوا إلى الخليفة هشام ابن عبد الملك ، فعزله ، عن ولاية الأندلس ، وجعله حاكما لمنطقة البرانس ، ومن عبد عرف باسم و أمير الثغر ، ، والمقصود بالثغر ، مدينة الباب ، الواقعة في أحد مرات جبال البرانس ، ويظن أنها مدينة ني سردا Puy Cerda أم مدينة سردا Puy Cerda أو Certiania عرف إقلم ووسيون Rousillon قوب ي سرده ، وهي تابعة لأسبانيا ، وفي شهالها يوجد حصن يظن أنه كان مقرآ لأمير الباب من قبل المسلمين (٤).

<sup>(</sup>١) العبادي ص ٥٦ ؛ فجر الأندلس ص ٢٦١ ؛ 6 - ٢٦٣ ع Scott, I, pp, 392

 <sup>(</sup>٢) قبل أن التوات التي تجمعت الفافق ، بلغت ما بين ٧٠ إلى مائة ألف مقاتل (فجر الأندلس
 ص ٣٢٣)

<sup>(</sup>٣) أرسلان ص ٨٦ ؛ السرب والاسلام ص ١٢٧ ؛ Deanesly, P. 286

Dozy, I, pp, 256 — 7; Deanesly. p, 286 ب ٨٨ ب أرسلان ص ٨٨ الله الم

كان ابن أبي نسعة ، قد أسر ابنة الدوق أود في إحدى عزواته ، واسمها نيمرانس Numerance أو منين Minine أو لامبيجي Eampégie وتوجها وهادن الدوق وأمنه من غارات المسلمين ، ويقال أنه كان لا يفارقها ولا يرى الدنيا إلا بها ، وذلك لفرط جالها(١) ، وتشبه هذه الزيجة ، زيجة عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة لوذريق(٢) ، على أنه يغلب على رواية زواج ابن أبي نسعة ، وما اتصل بها من أخبار ، أنها موضوعة(٢)

ولذلك عندما صدرت أوامر عبد الرحمن الغاقتي لأمير الثغر ، بمحاربة الدوق ، حاول ابن أبي نسعة ، أن يوجل الحرب للصلة المقولة بينه وبين الدوق ، وقد عرف الغاقتي بهذه الصلة ، وأقهمه أن العهد الذي عقده معه بدون علمه لا يلزمه ، وعليه أن يتحرك للجهاد دون مراجعة .

لم يسع ابن أبى نسعة إلا أن نبه صهره للخطر الذى يوشك أن يداهم ، وأظهر عصيانه ، وحينتك أرسل الغافق جيشا بقيادة ابن زيان ، للقبض على أمير الثغر ، الذى هرب مع أنصاره وزوجته إلى الجبال ، تتبعه الجيش وقبض عليه وقتله واحتر رأسه وأرسله إلى عبد الرحمن (٤) ، وكذلك أرسل اليه زوجة القتيل ؛ ويقال أن عبد الرحمن الغافقي ، صاح عندما رآما ، وقد هاله جملها : ووالله ما كنت أظن أن عبد الرحمن الغافقي ، صاح عندما رآما ، وقد هاله جملها : ووالله ما كنت أظن حيد عروجها (٥) .

كان القضاء على ابن أبى نسعة وثورته فى عام ٧٣١ م(٢) . ولذلك تحرك الغافقي ، إلى فرنسا ، وعبر جبال البرت أوائل صيف عام ٧٣٢ م ، وكان عبوره

<sup>(</sup>١) أرسلان صن ٨٨

<sup>(</sup>٢) راجع نما سبق .

<sup>(</sup> ٣ ) العرب و الاسلام ص ه ١٧ ، ١٢٧ ، ١٢٥ -- 161 العرب و الاسلام ص

Deanesly, p, 286 ( t )

<sup>(</sup> ه ) أُرسلان س ٨٨ - ٨٩ ؛ قبر الألدلس س ٢٨ ، ١٠٦ ، ٢٠١ - ٢٠٢

Deanesly, p, 286; De Marlès, pp, 130 - 136 ( 7)

عن طريق ممرات رونسفال (۱) ، واتجه شرقا في جنوبي غاله ، ليضلل الفرنجة عن وجهته الحقيقية وهي دوقية أقطانيا (اكوتيانيا) وأخضع في طريقه مدينة آرل Arelatum التي كانت قد خرجت عن طاعة المسلمين وتوقفت عن دفع الجزية (۱۲) ؛ وبعد أن تم له ذلك وأدن ظهره ، اتجه نحو الغرب لمداهمة اكوتيانيا ، واجتاح عي طريقه غسقونيا Gascony ، والتقي بالدوق عند التقاء نهر الجارون بغير دور دوني Dordogne ، وانتصر على الفريجة انتصاراً كبيراً ، بلغ القتلى من الفريجة عدداً لا يحصي (۲) ، حتى قال المؤرخ إيزيدور الباحي Isidoro Pacense

تقهقر الدوق أود عن عاصمته بردال Bordeaux ، ومضى الغاقتى في طريقه ، متنبعا مجرى نهر الجارون ، واكتسع في طريقه جميع ما صادفه من عقاب ، حتى استولى على بردال بعد مقاومة قصيره (٥٠) ، و دخلها وغنم منها (١٠) ثم اندفع المسلمون ثهالا في السهل المتسع الذي يحده ثهالا نهر الاوار وجنوبا نهر الجارون ، ووصلو إلى مدينة بواتييه Poitiers ، وغنموا كنوز كنيسة القديس هليرى St. Hilary ، واستعدوا للتوجه إلى كنيسة القديس مارتن St. Martin في الدوقية بعد بردال (٨٠).

ولما بنا عجز الدوق أود واضحاً ، استصرخ بقارله (شارل مارتل) Charles Martel حاجب القصر للملوك الفرنجة من الميروفنجيين ، وكان قارله ابن يبيين هرستال Popin of Heristal ، صاحب الأمر والنهى في دولة

<sup>(</sup>١) انظر مايل.

<sup>(</sup> Y ) قبعر الأندلس من ٢٦٥ ؛ 17 Albert, pp, 8 -- 17

Scott, I, p, 297 (Y)

Scott. I, p, 297 ( a )

Lévi-Prov,, ; De Marlès, p, 139 T, I, pp, 60 — 61 ﴿ ٢٦٦ س ما الأندلس س ٢٦٦)

Deaneslz, p. 286 ( v )

<sup>(</sup> ٨ ) فجر الأندلس ص ٢٦٦

الفرتجة ، وقد ضعف أواخر الميروفنجين في ذلك الوقت ، بل إن ضعفهم بدأ منذ وفاة الملك داجوبرت الأول Dagobert I وفاة الملك داجوبرت الأول Dagobert I ، من حتى اشتهر الملوك الذين خلفوه ، باسم الملوك الضعفاء Rois Fainéants ، أما ملك الفرنجة المعاصر في ذلك الوقت ، فهو تيرى الرابع Thierry IV ، ۷۲۷ – ۷۲۷ م) ولكنه ليس له من الأمر شيء دال .

لبى قارله ، حاجب القصر ، النداء ، وكان من قبل لا يلتفت جديا لحركات المرب في جنوبي فرنسا ، نظرا للخلاف الذي صبق بينه وبين دوق اكويتانيا ، بسبب مطامع قارله في الدوقية . وقد أورد المقرى نصا ، لتعليل تردد شارل ، قبل هذا التاريخ ، قال :

اجتمعت «الفرنجة إلى ملكها الأعظم قارله ، وهذه سمة لملكهم ، فقالت له : ما هذا الخزى الباقى فى الأعقاب كنا نسمع بالعرب ، ونخافهم من مطلع الشمس ، حتى أتوا من مغربها ، واستولوا على بلاد الأندلس ، وعظيم ما فيها من العدة والعدد ، يجمعهم القليل وقلة عدتهم ، وكونهم لا دروع لهم » .

## فأجابهم بما معناه :

د الرأى عندى ألا تعترضوهم في خرجتهم هذه ، فانهم كالسيل ، مجمل ما يصادفه ، وهم في إقبال أمرهم ، ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد، وقلوب تغنى عن حصانة الدووع ، ولكن أمهلوهم حتى تمتلىء أيديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا في الرئاسة ، ويستعين بعضهم على بعض ، فحيئنذ تتمكنون منهم بأيسر أمر . . . ».

قال المقرى: 1 فكان والله كذلك ، بالفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين (٢)

Mott & Dee, Middle; Scott, I, pp, 299 -303 Ages, pp, 28 -32; Hod5kin. (1) T<sub>1</sub>, Op, Cct<sub>1</sub>, pp, 49 -50

<sup>(</sup>٢) المقصود بالبلدين ، الدرب القدماء اللين جاءوا من المدينة بصفة عاصة ومن الحجائز عامة ، وأسهموا في الفتح الأول ، واستقروا في المناطق الحصبة الجنوبية من أسبانيا ، لأجم السابقون في الفتح والاستقرار ؛ وعرفوا بالبلدين ، تميزا لهم عن الهجرات التي طرأت على الأندلس بعد ذلك ( العبادى ص ١٥٨ ؛ فجر الأندلس ص ٢٥٦) .

والبربر والعرب ، والمضرية واليمنة ، وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الأعداء ۽ (١) .

أما الآن ، فقد أهرك شارل مارتل ، أن الفرصة مواتية ، وأن خطر المسلمين أصبح مباشراً على مملكة انفرنجة ، بعد أن تقدموا هذا التقدم في شمالي فرنسا ، واجتاحوا معظم أكوبتانيا ؛ أهرك صاحب القصر كذلك ، أن العرب سوف لا يقفون عند حد إخضاع دوقية أكوبتانيا ؛ لذلك استجاب إلى نداء الدوق أود ، وأتبى حروبه ضد الفريزيين Frisii والسكسون والبافاريين .

كان الحيش الإسلامي يختلف عن جيش شارل من حيث السلاح والزى والعتاد الحربي ، عند ما التقى الفريقان<sup>(٢)</sup> . كان هذا اللقاء في المعركة المشهورة بين مدينتي تور وبواتييه ، وهذا المرقع على بعد نحو سبعين كيلو متراً جنوبي نهر السين . وكان عبد الرحن الفافقي قد حاصر تور واستولى عليها و دخلها عنوة على مشهد من جيش أعدائه (٣) .

دارت رحى المعركة ، واستمرت ثلاثة أيام أو سبعة ؛ ورغم تفوق جيش الفرنجة من حيث العدد ، إلا أن الروح المعنوية في الجيش الإسلامي تفوق نظيرتها عند الفرنجة . أحسن العرب البلاء في القتال ، لولا وقوع أمر أدى إلى هزيمتهم ، ذلك أن المدوق أود ، عرف نقطة ضعف في الجيش الإسلامي ، وعمل على استغلالها وهي شدة حرص العرب على الغنائم التي ظفروا بها ، وحملوها معهم ووضعوها وراء خطوط القتال (2) أراد المدوق أن يشغل المسلمين بغنائمهم ، وكانوا مثقلين بنائمهم ، وكانوا مثقلين بهنائمهم ، وكانوا مثقلين مؤخرة الميش العربي حيث توجد الغنائم .

<sup>(</sup>١) نفح الطيب ج١ ص ١٢٩

<sup>(</sup> ۲ ) العبادي ص ۵۷ – ۵۸ ؛ أنظر تاكيوس والشموب الحرمانية ( ٪ خة المؤلف ) ص ۵۰ – ۳۰ ۲۰ – ۲۱

De Marlès, pp, 140 — 142 ؛ ٩٠ س (٣)

Scott, I, pp, 304 — 205 ( i )

لقد كان ما أراد الدوق وتوقعه ، فقد اختل نظام الجيش الإسلامى بتراجع فريق منه لإنقاذ الغنائم ، بينها بقى الآخرون يقاتلون - حقيقة ، فكر الغافقى فى أمر الغنائم من قبل أن يقوم الدوق بحيلته ، وفى أول المعركة ، وأوشك أن يأمر الجيش بتركها ، لكنه خشى بطش الجيش ؛ وتقاعده وغضبه ، فأذن له فى حفظها وهو كاره .

فلما رأى عبد الرحمن وقوع الحلل بسبب حركة الدوق أود ، حول أن يصلح الأمر ، فتعرض للقتال أكثر مما يجب وقتل فى المعركة ، وذلك فى رمضان ١١٤ هـ أكتوبر ٧٣٧ م(١) .

هذه هي وقعة « بلاط الشهداء » ، وسميت كذاك لكثرة من استشهد فيها من المسلمين ، ومكانها هو المعروف اليوم باسم : Moussais-la-Bataille ؛ ومالمعروف اليوم باسم : قصر أو حصن حوله والمقصود بلفظة « بلاط » ، في مصطلح مسلمي الأندلس : قصر أو حصن حوله حلالتي تابعة له ، وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية بلاتيوم Palatum ؛ وعلى هذا ، فبلاط الشهداء معناها : قصر الشهداء ، مما يفهم منه أن مكان الموقعة كان إلى جوار قصر ، أو حصن كبير (٧) .

وقد بالغ المسيحيون في تقدير عدد القالى من المسلمين ، حتى أوصلهم فشر Fisher (٢)، مثلا ، إلى ٣٧٥ ألف ، نقلا عن بولص الشماس : Paul the Deacon بيلغ وهذا بطبيعة الحال ، غير معقول ، لاستحالة تجييش بجيش في ذلك الزمن يبلغ هذا العدد أو يقاربه ، على كثرة الحروب القائمة آنذاك ، فضلا عن صعوبة التموين والمواصلات .

بر من ٥٩ ، نامح الطبت بـ ١ ص ٧٩ ، الطبقة المالينة) ؛ أرسلان من ١٩ . (١) العبادى من ٥٩ ، نامح الطبية بـ ١ ص ٧٩ . (الطبقة المالينة) ؛ أرسلان من ٧٩ . (١٩ - ١٢٨ من ١٩٨٨ . ١٩ - ١٩٨ من ١٩٨٩ . (١٩ - ١٩٨ من ١٩٠٩ . المرب و الاسلام من ١٩٠٩ . (١٩ - ١٩٨ من ١٩٠٩ . (١٩ - ١٩٨ من ١٩٠٩ . ١٩٨ من ١٩٠٩ . (١٩ - ١٩٨ من ١٩٠٩ . ١٩٨ من ١٩٠٩ . (١٩٨ من ١٩٠٩ . ١٩٨ من ١٩

<sup>(</sup>٢) فجر الأندلس ص ٢٧١

<sup>(</sup>٣) فشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى - ترجعة زيادة والباز – ص ٩٧

على أن وقعة بلاط الشهداء ، فاصلة في التاريخ العام ، من وجهة النظر الأوربية ، فقد ترتب عليها ، تغيير مجرى التاريخ في غربى أوربا ، إلى حد كبير ؛ وقد عرض أكثر من مؤرخ لهذه الموقعة ، فقال جيبون ، إنه لو انتصر العرب في تور أو بواتيه ، لتلى القرآن وفسر في أكسفورد وكبردج . أما فشر ، فقد عقد مقارنة بين انتصار الفرنجة على العرب في وقعة بلاط الشهداء ، وبين انتصار البيز نظين على المسلمين عام ٧١٧-٧١٨ م أمام القسطنطينية ، وذكر أنه لو دخل العرب القسطنطينية ، لوجدوا بين مسيحي شرقي أوربا ، والما تهذب مسيحيتهم بعد ، مجالا للدعوة الإسلامية ، وذلك قياساً على نجاح العماليين في القرن الخامس عشر ؛ ولللك يسهل تخيل نجاح المسلمين للديني قبل التمانيين فيسبعة قرون ، حين كانت الشعوب البلقانية والروسية لا تفقه من المسيحية إلا نذراً يسيراً ، ولا تدرى من المسلمون ، فقد لقى المسلمون قوة مسيحية منظمة ، وقائمة على شيء كثير من المسلمون ، فقد لقى المسلمون قوة مسيحية منظمة ، وقائمة على شيء كثير من لظل بينهم وبين فتح فرنسا وتحويلها إلى الإسلام عقبات (١) .

على أن هذه الصدمة ، لم تحل دون إعادة الكرة على فرنسا ، إذ أن الهزيمة وحدها ، لم تكن لتوقف العرب عند هذا الحد ، بل كانت لهم بعد ، كرات أعقبها النصر والفتح ، ولكن أهمية وقعة تور، ترجع إلى أن العرب ارتدوا عن فرنسا ، ولم يحاولوا إخضاعها إخضاعاً تاماً ، فضلا عن أن الأحداث في هذا الجزء الغربي من العالم الإسلامي ، تتبع إلى حد كبير ، تلك التي تقع في مركز الخلافة في مشرقه (٢٢).

أسرع والى أفريقية ، عبيدة بن عبد الرحمن ، وأرسل مدداً بقيادة عبد الملك ابن قطن الفهرى ، خلفاً لعبد الرحمن الفافقى ، ثم بعث بخبر الفاجعة إلى الخليفة . هشام بن عبد الملك الأموى ، وما قام به ، فأقره الخليفة ، وأصدر أوامره بغزو . فرنسا وأخذها بالسيوف ، من كل جانب .

<sup>(</sup>١) فشم : تاريخ أوربا في العصور الوسطى -- ترجمة زيادة والباز -- ص ٦٦ – ٦٧ ؛

Scott, I, pp, 323 agp' ۲۰ المبادی ص ۲۰ المبادی ص

توجه عبد الملك ، أول الأمر ، إلى شهالى الأندلس ، حيث هاجم قطالونيا وقاعلتها برشلونه ، كما هاجم أرغون Aragon ونبره ( نافار ) Navarre ثم عبر البرنات ( البرناس ) ، واتجه إلى لانجلوك Aragon ـ وهذه المنطقة عبارة عن كونتية تولوز ومارك جوثيا أوسبهانيه ... ، وحصن المعاقل الإسلامية بها ، وكانت سنهانية في ذلك الوقت في فوضى واضطراب بسبب الحروب المتوالية ، وزدت الفوضى على أثر هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء . فقد حاول بعض رعمائها انتهاز الفرصة ، واقتسام البلاد فها بينة وبين أنصاره ، بعد أن كان أمر اللوق أود ، قد تلاشى ، غير أن هذه الحركة أدت إلى صراع بين أولئك الزعماء ، فارتمى بعضهم في أحضان المسلمين خشية أن يقعوا تحت سلطة قارله أو سلطة الدوق أود (١٠)

والواقع أن أهالى جنوبى فرنسا ، رغم انتصارات قارله على المسلمين ، كانوا يكر هون الفرنجة ، لأنهم برابرة فى نظرهم ، بينا هم قد تشبعوا بالحضارة الرومانية ، وهناك خلاف جوهرى بين جنوب فرنسا وشالها ، فيينا تسود الصبغة الجرمانية البرية شهالى فرنسا ، كانت الحضارة اللاتينية والصبغة الرومانية هى السمة البارزة فى مجنوب فرنسا<sup>77)</sup>؛ وهذا يفسر السر فى عدم ولاء إقليم بروفانس والبروفنساليين للفرنجة الجرمان ؛ وفضلا عن ذلك ، فإن قارله ، عندما استرجع أملاك الكتائس والأديرة التى كانت بحوزة المسلمين ، لم يردها على أهلها ، بل وزعها على رجاله وأخر من ذلك ، لم تسلم كنوز الكنائس من نهب قارله وجنوده (٢٠) ؛ مما أغضب التساوسة وعامة الناس على السواه (٢٠).

وهذا يفسر تحالف مورون Mauront ، الذى اتخذ لقب 1 دوق مرسيليا » ، مع المسلمين ، وكذلك أسقف أوكسير Auxerre وغيرهما ؛ وكمان دوق مرسيليا يتحكم في أغلب إقليم بروفانس<sup>(ه)</sup>.

Langlois, ( H. G, T. I ), pp,486 — 7 إن ٢٧٧ — ٢٧٦ من الأندلس ص ٢٠٦١ ( ١ )

Deanesly, p' 286 ( Y )

Scott, I, P' 311 ( 7 )

<sup>(</sup> ٤ ) قير الأندلس ص ٢٧٧

Deanesly, p' 286 ( • )

اتفق دوق مرسيليا مع يوسف بن عبد الرحن الفهرى والى أربونه (١٠) ، وزحفا معاً ، ورحفا معاً ، ورحفا معاً ، وحفا معاً ، وعبرا نهر دودنه (الرون ) ، واستوليا على أرل Arelatum عام ٧٩٥ ، (٢٠) ، مان ثم حاصرت الجيوش المتحالفة مدينة فرتا Fretta ، وهي المعروفة حالياً باسم سان رجي st. Remi ، ثم تقدمت هذه الجيوش واستولت على أفنيون Avenionum وهي التي يسميها المعرب وصخرة أبنيون (٢٠) ، ولم تزل تعرف باسمها إلى اليوم (Avignon) (٤٠).

وصل المسلمون إلى بهر ديرانس Durance، أحد فروع الرون ، وهو الذى تقع عليه مدينة أفنيون ، عند نقطة التقائه بالرون ، وظل المسلمون يتحكمون فى بروفانس أربع سنوات ، لم يجرؤخلالها أحد على منازعتهم السلطة فيهي<sup>(ه)</sup>.

أما قارله ، فقد زحف عام ٧٣٣ م واستولى على مدينة لودون (ليون Lyons) (١٦) وكان المسلمون قد تخلوا عنها بعد وقعة بلاط الشهداء ، كما تخلوا عن برجنديا . وي عام ٧٣٥ م ، توفى الدوق أود ، ووافق قارله على أن يخلفه ابنه هينود Ktunaud في منصب الدوقية ، بشرط أداء رسوم الولاء والتبعية لشارل ، فأقسم هينود يمين الولاء ، وذلك على النحو الإقطاعي ، إذ صار هينود فصلا أو تابعاً «ينود يمين الولاء ، وذلك على النحو الإقطاعية ، لم يكن قد نضج بعد (٧٠)

اطمأن عبد الملك بن قطن الفهرى إلى نجاح قائده يوسف الفهرى ، فانصرف إلى تدعيم سلطان المسلمين في إمارات حيال البرانس ، لكنه هزم ، فولى الخليفة مكانه ، حقبة بن الحجاج السلولى ، عام ١١٦ هـ٧٣٤م ؛ والساولى ، كما وصفه

<sup>(</sup>۱) صار یوسف بن عبد الرحن الفهری والیا علی الأندلس فیا بعد (۱۲۹ – ۱۳۷ هـ ۹۲۰ – ۷۶۰ - ۷۰۰ م ۲۰۰ م ۲۰۰ و نیم ر ۷۰۱ ) ؛ وفی عهده کثرت الفش والاضطرابات ( أنظر ابن عذاری ج ۲ ص ۰۵ – ۲ ۰ ، نیم ر ۱۳۵ ؛ نیم ر ۱۳۷ م ۲۰۰ و نیم ر

Pirenne, Moh' & Charl', p' 156 ( Y )

Scott, I, o' 309 ؛ ۱۱۹ س ا ا أرشيالة س

Pirenne, Op', Cit', p' 156 ( t )

<sup>( . )</sup> فجر الأندلس من ٢٧٨ ؛ السلمون في حوض اليحر الأبيض من ٦٨

Scott, I, p' 309 ( \ )

<sup>&</sup>quot;Hodgkin, T., Op' Cit', Vol, VII, pp' 55 - 8; Deanesly, p' 286 ( v )

ابن عذارى : « صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو وشدة ، وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه دين الإسلام ، ويقبح له عبادة الأصنام ، فيذكر أنه أسلم على يديه ألف رجل (١٠) » .

لم بجد عقبة بن الحميجاج السلولى في تصرفات سلقه عبد الملك بن قطن الفهرى . 
ما يؤخذ به ، فعهد اليه بقيادة الخيالة ، وأرسله إلى الثغر ، وأخذ بعد العدة لعبور 
البرانس (٢٦ . واشتعل حماس الجند المسلمين الثأر لوقمة بلاط الشهداء ، وحصنوا 
ما بأيديهم من مدن غالة في لانجدوك Languedo ، حتى ضفاف الرون ، وشحنوها 
بالمقاتلة ، ثم اجتاحوا منطقة دوفيني Dauphin6 شهالى بروفانس وخربوا مدينة سان 
بول تروا ساتو St. Paul-Trois-Chateaux واستولوا عليها ، كما استولوا على مدينة 
دونزير Donzère ، وتابعوا زحفهم نحو الشهال ، واستولوا على فالانس Valence 
على نهر الرون ، واستعادوا ليون وبرجندين .

استعد شارل مارتل لاسترداد ليون وبروفانس وأفنيون ، وتعتبر الأخيرة . مفتاح وادى الرون ؛ كذلك اعتزم الاستيلاء على مرسيليا . وكان شارل مارتل مدفوعا بعامل اقتصادى ، يجانب العامل السياسى والحربي ، في نضاله مع المسلمين ، إذكان تحكيم المسلمين في فرنسا الجنوبية ، يؤدى إلى عرقلة التجارة وضيق اقتصادى شديد بالنسبة لبلاد غربي أوربا (٤٠) .

تقدم شارل مع ابنه هلدبراند Hildebrand عام ۷۳۷ م ، وحاصر أفنيون حتى اقتحمها بعد أن استات المسلمون فى وقايتها ، ثم زحف لحصار أربونه ، معقل العرب فى جنوبى فرنسا ، وأميرها يومثذ الهيثم Athima ، لكنه عجز عن فتحها ، إذ أسرع عقبة السلولى وأرسل جيشا عن طريق البحر ، نجاة

<sup>(</sup>١) البيان ج ٢ ص ١١

<sup>(</sup>٢) ابن عبد الحكم ص ٢٩٢ ؛ أرسلان ص ٩١ – ٩٣

 <sup>(</sup>٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٠ (العلمة الحديثة) ؛ فجر الإندلس ٢٨٠ - ٢٨١ ؛ أرسادن ص ١٠٤ و ٤١٠ (١٩٥٤ Lévi-Provengal, I,p 63)

Deancsly, p' 287 ( į )

لأربونة ، فقد كانت المواصلات البحرية هي الوسيلة الأمينة بين مسلمي الأندلس وجنوبي فرنسا ، نظرا لخطورة الطرق البرية عبر البرانس . غير أنه بوصول هذه النجلة ، باغتها شارل قبل أن تنهيأ للقتال وقضى عليها ، بحيث لم ينج منها إلا القليل الدى فر لاجتا إلى أربونة ، أو عاد إلى البحر . صمدت حامية أربونة للحصار حتى اضطر شارل إلى الرحيل عنها ، لتجدد ثورات العزيزين والسكسون .

وقبل أن يرحل شارل ، خرب القلاع فى نيم Nimes وآجد Aged وبيزفي Pozies وماجلون Magallona ؛ والأخيرة هي التي اشتهرت باسم لا ثغر المسلمين لا ، ) إذكانت مرسى أمينا للسفن الاسلامية القادمة من أسبانيا وأفريقية ، ولذا جاء تحريب قارله لها، لحرمان المسلمين من الامفادات التي تصل عن طريقها (11).

وخلال تلك الفترة ( ٧٣٧ – ٧٣٩ م ) ثار مورون دوق مرسيليا مرتين ضد الفرنجة ( ٧٣٨ ، ٧٣٩ م ) وجدد حلفه مع المسلمين الذين ساعدوه ، فاضطر شارل مارتلي إلى طلب المساعدة من لبتراند Läutprand ملك اللومبارد ؛ ولما تجددت الثورات المحلية في جنوبي فرنسا عام ١٨٤١ م ، تولى هلدبراند وأخوه بيبين Pepin المدى اشتهر بالقصير ــ قمعها ، وذلك قبيل وفاة شارل مارتل بشهور . ( توفى شارل عام ٧٤١ م ) (٧٤ .

وبينها تلك الأحداث نجرى في حوض البحر الأبيض الغربي ، كانت الدعوة العباسية تثير القلاقل في المشرق الاسلامي ، وشغلت بها الخلافة الأموية في أواخر عهدها ؛ فلم تتمكن من بذل العناية الواجبة بهذا القسم البعيد من العالم الاسلامي في الغرب؛ حتى كان أمره موكولا لأمراء أفريقية والأندلس وما لدبهممن إمكانيات علية ؛ وإذا أضفنا إلى ذلك ثورة الخوارج في أفريقية ، التي سببت الكثير من المتاعب للخلافة الأموية ، بعد عام ١٧٤٠م ، ثم ثورة البربر ضد العرب في أسبانيا ، وفيام بعض القبائل العربية بالفتن في أسبانيا عام ونكرارها عام ٧٤٠م ، وقيام بعض القبائل العربية بالفتن في أسبانيا عام

Op" Cit', Vol' VII, pp' 62 sqq'

Scott, I, p' 311 Deanealy, فر الأندلس س ۲۸۱ أرشيالد س ۲۸۱ أرشيالد س ۲۸۱ (۱) و 287; Pirenne, op' Cit'. pp' 156—7 Pirenne, Op' Cit'. p' 157; Scott, I, p' 311 Deanealy, p' 287; Hodgkin, T', ( ۲ )

٧٤٥ ، ٧٤٦ م ؟ كل ذلك يفسر ما تتابع من بعض الهزائم فى فرنسا ، ثما أثر على الروح المعنوية بين مسلمي أسبانيا ؟ ومن ناحية أخرى ، ثبه العالم الغوبي إلى ما يكتنفه من خطر المسلمين .

جاء خنام هذه الحوادث فى قيام الخلافة العباسية عام ١٣٢ هـ ٧٥٠ م ، وانتقال العاصمة الاسلامية ، أو مركز الدولة الاسلامية من دمشق إلى بغداد ، وذلك كله ، قد أدى إلى انقسام العالم الاسلامي (٤٠) .

وبالمثل ، حدث تغيير في الدالم الغربي ، فقد زالت الدولة الميروفيجية ، وقامت المدولة الكارولنجية (٢) ؛ إذ حدث بعد وفاة شارك مارتل في أكتوبر من عام ١٤٧ م ، أن قسم النفوذ والسلطان في مملكة الفرنجة بين أبناء شارك الثلاثة وهم : كارلومان Carloman وبيين القصير ، حتى انفرد بالسلطة عام ٧٤٧ م، حريفو Grifo . وساعدت الظروف بيين القصير ، حتى انفرد بالسلطة عام ٧٤٧ م، مع وجود ملك ميرفنجي ضعيف ، هو شلدريك الثالث الله كالا ميين الثالث – انتها حكم الميروفنجين ، وقامت أسرة جديدة هي الأسرة الكارولنجية ، بفضل دهاء بيين القصير وقوته وتأييد البابوية له .

أرسل بيبين القصير في عام ٧٥٠ م ، بعثة إلى البابا ذكويا Zakhariaa ، مكونة من برخارد Burchard أسقف فوزبرج Wilrzburg وفولراد Pulrad مقدم دير سانت دنيس ؛ ومهمة هذه البعثة : استعناء البابا في أيهما وأحق بحمل صوبخان الملك ، شلدريك الذي يملك ولا يحكم ، أم بيبين الذي يحكم ولا يملك .

أجاب البابا : باسم بطرس الحوارى ، إن بيبين هو الملك ! (\*) ومن ثم تم

<sup>(</sup>۱) ابن الأثير جه ه س ١٤٣ وما يعدها ؛ الفخرى فى الآداب السلطانية س ١٢٣ - ١٢٤ ؛ الطبرى ج 4 س ١٧٣ وما يعدها ؛ العبادى س ٢٠ – ٢١ ؛ 24 Connesty, p² 204

<sup>(</sup>٢) أنظر ما سيتي

Funk-Beentano, p' 291 ; Pireane, Meh'& Chan', ρ' 175 ; Lavisec, t, γρ' 270 — ( γ )
279 : Deanesy, p' 291, λγ – λ ۱ ص ۱ ق ب ب القادم المراج ا

تتویجه ملکا علی الفرنجة نی کتدراثیة سواسون Soissons علی ید المبشر الانجلیزی بونیفاس Boniface ، وذلك فی خریف عام ۷۵۱ م (۱۳۳ ه) ؛ ثم أعاد البابا تتویجه بنفسه بعد ذلك بثلاثة أعوام ، كما توج معه ولدیه : شارل (شارلمانن) ، وكارلومان ، ومنحه لقب تشریفیا هو « بطریق الرومان» .

بهذا تدعم مركز القصير ، وصار باستطاعته أن يتلمخل في شئون ايطانيا ، وأن يقارن بالحكام الأقوياء المعاصرين في إيطاليا والقسطنطية وأسبانيا الاسلامية ، وحتى بغداد ، بل إن بيبين صار أقوى ملك في غربي أوربا في ذلك الوقت ، ويتمتع بتأييد البابوية ورجال الدين ، وكانت البابوية في حاجة إلى مساعدة الفرنجة العاجلة ضد اللومبارد في إيطاليا (٧٠).

الخلاصة : أن الوضع السياسي في منتصف القرن الثامن الميلادي وخلال النصف الأولى من القرن الثاني الهجرى ، قد تبلور في وجود ثلاث قوى عالمية هما : الامبراطورية الاسلامية (الأمويون ثم العباسيون) ، والامبراطورية البيزنطية ثم دولة الفرنجة الكارولنجيين .

وخلال تلك الأحوال المضطربة فى العالم الاسلامى ، مشرقه ومغربه ، قام المسيحيون فى مدن سبتهانية ، بمساعدة الجيش الفرنجى ، تحت قيادة قوطى يسمى أنسمندس Ansemundus ، وطردوا العرب من سبتهانيا عام ٧٥٧م ، واستعاد الفرنجة أغلب مدتها مثل نع وآنجد ويبزيى وماجلون (٢).

أما أربونة ، وهي آخر حصن للمسلمين ، فقد حاصرها الفرنجة ، وطال حصارها لمناعتها ، ومصادفة وقوع مجاعة في ذلك الوقت في جنوبي فرنسا ، أدت إلى تعطيل حركات الجيوش المحاصرة ، ولذلك بقيت أربونة ممتنعة على أعدائها ،

pp' 217 sqq'

ولا سيا وأن بيبين ملك الفرنجة ، شغل فى إخماد بعض الثورات التى قامت فى ملاده (۱).

هذا ، وقد شغلت أسبانيا فى ذلك الوقت بدخول عبد الرحمن المناخل الأموى ، وتأسيس الدولة الأموية فيها . غير أنه ، بعد أن استقب الأمر لعبد الرحمن الأموى عام ١٤٠ هـ ٧٥٨ م (٢٦) ، التفت إلى مدينة أربونة ، وأرسل لها امدادا بقيادة الأمير سليان الأموى ، ويرجح أن اسم هذا الأمير هو : أبو سليان حبيب بن عبد الملك بن عمر ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان (٢٦) ؛ ولكن عصابات المسيحية المنشرة فى حبال البرانس ، قضت على هذا المدد (٤٤) .

ولما طال حصار أربونة ، تأمرالسكان المسيحيون بها ضد المسلمين ، وعولوا على خياتهم والايقاع بهم ، فاتفقوا سرا مع بيين القصير ، على تسليم المدينة اليه ، يشرط أن يتركهم أحرارا فى مدينتهم مستقبلا ؛ وقاموا على الحامية الاسلامية فى أربونة وذبحوها ، واقتحموا أبواب المدينة وفتحوها بليوش الفرتجة ، فلنخلتها فى عام ٢٥٩ م ؛ وبذلك قضى على الحكومة الاسلامية فى أربونة ، بعد أن ظلت بها نحو أربعين سنة ( ٢٧١ ـ ٢٥٩ م ) (٥٠ .

كان فتح الفرنجة لسبقانيا ، قد أقلق دوق إكويتانيا ، إذ أضحى بيبين فى وضع يمكنه من فرض حكمه المباشر على الدوقية ، التي طالما طمع فيها الفرنجة ؛ وتلرح

<sup>(</sup>۲) انظر المقریزی : المقنی ج ؛ ورقة ۱۳ - ۵۵ ؛ أعمال الأعلام ص ۷ - ۹ ؛ أعبار مجموعة ص ۶۱ - ۵۹ ؛ این طاری ج ۲ ص ۲۰ - ۷۰ ؛ تفح العلیب ج ۱ ص ۱۵۴ - ۱۵۵ ؛ این القوطیة ص ۵۶ وما بمدها .

<sup>(</sup>٣) فجر الأندلس ص ٢٩٠ حاشية ١

Lano-Poole, pp' 60 — 68 Lévi-Prov', I, pp' 12 — 14, ; ۲۹، ص م الأقدلس ص ( ٤ ) 95 — 103; Scott, I, pp' 391 — 7;

<sup>(</sup>ه) فجر الأندلس ص ۲۹۰ - ۲۹۱ ؟ أرسلان ص ۱۱۲ – ۱۱۳ (عن رينو) ؛ أرشيباله ص ۱۱۹

بيبين لذلك ، بأن الدوق كان يظاهر جريفو Grifo ، منافس بيبين وأخاه غير الشرعي ، فضلا عن أن الدوق صادر أملاك الكنائس الفرنجية في دوقيته (١).

ولذا تفرغ بيين للوقية اكوتيانيا فى الفترة ما بين ٧٦٠ ، ٧٦٣ م ، وأرسل لها الجيوش لغزوها فى كل سنة ، واتخذ من قلعة بورج : Bourges قاعدة لفاراته عليها . وأخيرا اندفع الفرنجة فى عام ٧٦٧ م إلى وادى الجارون وأخضعوا الدوقية ، ودبر بيين مقتل الدوق فى عام ٧٦٨ م ؛ وهى السنة التى مات فيها بيين نفسه ؛ وبهذا الفتح ، قويت مملكة الفرنجة ، حتى اعتبرت أن جيال البرانس هى الحد الطبيعي لبلادها (٧٠ . وكانه لهذا منزاه بالنسبة للمسلمين .

أما موقف المسلمين ، بعد سقوط مبتمانيا ، فكان ضعيفا ، إذ دأب الفرنجة على إثارة الفتن بين :عماء المسلمين الطاعين ، وتشبعيع الطامعين منهم على الاستقلال بالولاية التى يحكمها ،كا اتصلوا بالمسيحيين فى أسبانيا ، فى قطالونيا وأرغون (٢٧ ونافار ، وشبعوهم على توحيد صفوفهم ضد المسلمين ؛ وكانت الأحوال ،لائمة ، بسبب موقف الخلافة العباسية من الأمويين الذين اغتصبوا الحكم فى أسبانيا .

كان الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي ( ١٣٦ – ١٥٥ هـ ٧٥٤ – ٧٥٥م ) ، قد فشل في هزيمة عبد الرحمن الداخل — صقر قريش - حين أرسل البه أسطولا بقيادة العلاء بن مغيث الميحصبي عام ١٤٦ هـ ٧٦٣م . ونزلت القوات العباسية بناجه Boja ) ، والتقت بحيش عبد الرحمن الداخل قرب أشبيلية ، حيث انتصر عبد الرحمن وقتل العلاء وكثير من جيشه ، وبعث عبد الرحمن ببعض رؤوس القتلي إلى القيروان ومكة ، حيث ألقيت فيهما سرا ، وعلق بطاقة بأسماء كبار القتلي في

Deanesly, p' 294 ( )

Ibid p' 295 ( Y )

 <sup>(</sup>٣) أراغون Aragon هي غير أرجونة ، Arajona كاعناهما العرب ، فالأولى إقليم ، وهي المملكة المسيحية الممرونة في أسبانيا الإسلامية ، و الأخرى مثية بالأندلس ( أنظر الروض المطار ص ١٦ ) .
 (٤) تقع هذه المدينة جنوبي البرتغال ، وكانت تسمى زمن الثرومان باسم : Pax Julia ( الروض

المطار ص ٣٦ - ٢٧) ء

آذان الرؤوس التي ألقيت ، فلما رآها المنصور في مكة ، وكان يحج في تلك السنة ، ارتاع وعلق بقوله : ما هذا إلا شيطان ، والحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر (٢٠)

لللك بات كل من العباسيين فى بغلاد ، والأمويين فى قرطبة ، يتربصون الدوائر ، كل بصاحبه ، ولم ير أيهما بأسا أو حرجا فى التحدلف مع أعداء الدين ضد بعضهما البعض ؛ ومن ثم قامت علاقات بين بلاطى قرطبة وبيز نطة من ناحية ، وبين بلاطى بغداد والفرنجة من ناحية أخرى . وجاءت بعثة فرنجية من قبل بيبين القصير إلى بغداد عام ١٤٨٨ هـ ٧٦٥ م ، حيث مكث أعضاؤها ثلاث سنوات ، عادوا بعدها محملين بالحلمايا ، ومعهم رسل الخليفة المنصور ، وكذنت عودة البعثة الفرنجية ، بصحبة رسل الخليفة العباسى عن طريق مرسيليا ثم ، تز Matz باللورين ، حيث قضى أعضاء السفارة الاسلامية الشتاء ، وبالغ بيبين فى إكرامهم ، وأنو هم حيث قضى أعضاء السفارة الاسلامية الشتاء ، وبالغ بيبين فى إكرامهم ، وأنو هم حيث قضى أعضاء السفارة الاسلامية الشتاء ، وبالغ بيبين فى إكرامهم ، وأنو هم حيث مسلول Sela على ضفاف اللوار ، ثم عادوا عن طريق مرسيليا (١٢) .

ولما مات بيبين فجأة فى عام ٧٦٨ م ، على أثر مرض لم يمهله طويلا ، لم تكن هناك فرصة للصراع بين ولديه : شارلمان Charlemagre وكارلومان Carloman والثانى فنحرم الاثنان لفترة من الزمن ، كل فى عاصمته ، الأول فى نويون Noyon والثانى فى سواسون Soissons وكان شارلمان ، وهو الأكبر ، يتحكم فى قسمه فى الملك الهامة مثل إكس Aix ، التى لم تكن كبيرة فى ذلك الوقت ، ونويون وروان Rouen وتور يمن Tours . ومن ملك أخيه الهامة : سواسون وريمز Rheims وتريس وأورليان ٣٠٠ .

ثم شاءت الأقدار ، أن يموت كارلومان عام ٧٧١ م ، فضم شارلمان أملاكه ، وظلت دولة الفرنجة موحدة غير مقسمة نحو ثلاثة وأربعين عاما ؛ وهكلنا خلا الجو لما سوف يقوم شارلمان ، وقد برهن على أنه جدير بما اتفق له من حظ (٤٠) .

<sup>( )</sup> ابن خلدون ج ؛ ص ۱۲۰-۱۲۶ نفع الطيب ج ۱ ص ۱۵۰ ؛ أهمال الأهادم ص ۹ أخيار کيمومة ص ۱۱۸ ؛ ابن عذاری ج ۲ ص ۷۷-۱۷ ؛ ابن الفرطية ص ۱۵-۸۰ 9 و 9 (۵۰۸ می ۲۹۰ به به کیمومة س ۱۱۸ ) و ۲۹۰ به ۲۹۰ ( ۲ ) أرسلان ص ۱۱۸ - ۱۱۹ ؛ ديفيز Davis : شارلمان - ترجمة الباز – ص ۲۹۰ ؛ Pirenne, ; Deanesty, p. 294 ; Moh. & Charlemagne, p. 160

Deanesly pp. 322 - 23; Savisse, I, pp. 280 - 81 Funk-Brentano, p. 302 ( ")

Mott & Deo, pp. 33 — 38 H.G.T.I, إِنْ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاللَّهِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَّا اللَّهُ عَلَّا عَلَّا عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَّا اللَّهُ عَلَّا عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلْكُوا عَلَّا عَلَيْهِ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَيْهِ عَلْمَا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَى عَلَّا عَلَّا عَلَيْهِ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَاكًا عَلَى عَلَّا عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَّا عَلَّا عَلَيْكُمْ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَاكًا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَّا عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَى عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَاكُمْ عَلَيْكُمْ عَلَّا عَلَاكُمْ عَلَاكُمُ عَلَيْكُمْ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَى عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَاكُمُ عَلًا عَلَّا عَلَاكُمُ عَلَّا عَلَّا عَلَّا

وكانت علاقة شارلمان بالعباسيين ، استمرارا للود الذي قام بين أبيه بيبين القصير وبين الخلافة العباسية من قبل ؛ عاصر شارلمان ستة من خلفاء بني العباس هم : المنصور (۱۳۳ – ۱۹۸ هـ ۵۷۲ – ۷۷۰ م والمهدی ۱۹۸ – ۱۹۸ هـ ۷۷۰ – ۷۸۰ م ) والرشيد (۱۹۳ – ۷۸۰ هـ ۱۹۳ هـ – ۱۷۸ م ) والرشيد (۱۹۳ – ۱۹۸ هـ – ۱۸۸ هـ – ۱۸۸ م ) واخيرا : أوائل عهد الخليفة عبد الله المأمون (۱۹۸ – ۲۱۸ هـ – ۲۱۸ م ) .

وفى زمن شارلمان ، قل خطر المسلمين على فرنسا ، منذ جلائهم عن سبتمانيا ، ومنذ إخضاع الفرنجة لدوقية أكويتانيا <sup>.</sup> وهذا فضلا عن عنصر الضعف العام فى الجهة الاسلامية الكبرى ، وهو الانقسام القائم بين شطرى العالم الاسلامى فى المشرق والمغرب .

ومع هذا ، ظل الطريق مفتوحا أمام التقدم الاسلامى نحو فرنسا ، وذلك من حصره سرقسطة الواقعة على نهر إبره Bioro ، وكذلك من المعاقل الاسلامية فى برشلونة ووشقة Huesca ؛ ولم تكن مملكة أشتوريا المسيحية الصغيرة ، الموالية للفرنجة ، قادرة على إشغال القوات الاسلامية الزاحقة .

رغب شارلمان ، أن يكون البادى ، مطمئنا إلى قوته ، وإلى الأحوال المناسبة للقيام بهذه الخطوة ؛ مصم على التلخل فى أسبانيا الاسلامية ، بلافع الحماس الدينى ، لحماية المسيحيين بها ، وبدافع الحلم الامبراطورى الذى يداعبه ، لتكوين امبراطورية واسعة تعيد للأذهان ذكرى الامبراطورية الرومانية القديمة عظمة واتساعا (1)

تذرع ملك الفرنجة بحق العباسيين في أسبانيا ، وتشجع بالعلاقات الودية التي ربطت أسرته بالخلافة العباسية (٢) وجاءته الفرصة حين هرب بعض الموتورين

Léui-Provençal, I, pp. 118 — 120 ; Scott, I, p. 405 ( \ )

De Marlès, pp. 233 -- 235 ; Lavisse, I, pp. 303 -- 304 Deanesly, pp. 350 -- 1 ( v )

مِن (صقر قريش » (<sup>11)</sup> ، والذين ، كما يصفهم المرحوم الأستاذ العبادى : وصغرت نفومهم ، فأصبحوا لا يهمهم إلا تحقيق مصلحتهم الشخصية » (<sup>72</sup>. اتصل هؤلاء بالمنصور على أن يكونوا هم واسطة الاتصال بينه وبين شارلمان ، لتدبير غزو الأندلس<sup>(7)</sup> .

هرب المتآمرون بزعامة سليان بن يقظان بن العربي . أمير برشلونة . في عام ۱۲۱ هـ ۷۷۷ م ، ومعه أبو ثور صاحب وشقه (۱۲ م ۷۷۷ م ) وتوجهوا إلى مدينة بادربورن Paderborn في سكسونيا ، حيث كان شارلمان يحتفل بانتصاره على السكسون (۵۰) . رحب بهم ملك الفرنجة المتصر ، واتفقوا معه على أن يسلموا له بعض المدن في شهالى أسبانيا . يقول ابن الأثير :

« واستدعى سليان قارله ملك الافرنج ، ووعده بتسلم البلد، (٦) . وتوجد صورة لاجتماع بادربورن ، نقلها صاحب الحلل السندسية (٧) .

<sup>(</sup>۱) المنصور هو الذي ندت بهذا القب ، فقه ورد ، أن أبا جسفر المنصور ، قال يوما لبمض المبلوك وسكن 
بيلسائه : أعبر وفى من صقر قريش من الملوك ؟ قالوا : ذلك أمير المؤرية ؟ قال : لا ؟ قالوا : 
قديد المرابة ، قال : ما قالم شيئا : قالوا : فدي اأمير المؤمنين ؟ قال : صقر قريش عبد الرحمن 
ابن ممارية ، الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا أصحيا، منظرها بنفسه ، فصر الأمسار ، 
وجند الاجتاد ، ودون الدورين ، ونال ملكا يعد اقطاعه ، بجسن تدييره وفقة شكيته ، إن معلوية 
بنس بمركب حله عمر وعال عليه ، وذلا له صعبه ، وحيد الملك بيمة أبرم عقدها ، وأمير المؤرسين ، 
يطلب عبر ته واجهاع شيئته ، وعيد الرحن منظره بنصب لعزمه ، وطد الحلاق 
يا أخير المؤمنين ، وأضال الأعلام ص ٩ – ١ ؛ ابن علماري ح ٢ ص ٨٨ – ٨٩ ؟ انظر كذلك 
إلى أمير المؤمنين و (أحمال الأعلام ص ٩ – ١ ؛ ابن علماري ح ٢ ص ٨٨ – ٨٩ ؟ انظر كذلك 
38, 382 , إمهار )

<sup>(</sup>٢) العبادى : تاريخ الأندلس ص ٨١

Scott, I, p., 403 ( y )

<sup>(</sup>٤) ديفيز (ترجمة الباز) ص ٢٩٦

Scott, I, p. 304; Dozy, I, p.377 ( a )

<sup>(</sup> ۲ ) تاریخ الکامل ج ۲ ص ۲۲ – ۲۳

Sorgeant, L., op. Cit. 230 ۱۳۴ س ۲ ج الطال الستامية ج ۲ س ۱۳۴ (۷)

ولكى يجعل المتآمرون لعملهم صفة شرعية ، انفقوا مع شارلمان على أن يدخل الأثدلمس بوصفه حليفا لبنى العباس . والمعروف عن ابن العربي هذا ، أنه حالف من قبل ، بيبين القصير ، ويتشجيعه ووعوده ، ثار ضد عبد الرحمن الداخل ، لكى يستقل ببرشلونة ، ونجح نجاحا ،ؤقتا حين تمكن ابن العربي من الاستيلاء على سرقسطه (۱) .

ويضاف إلى حزب المتآمرين كذلك ، أبو الأسود بن يوسف الفهرى ، فقد خرج على عبد الرحمن ولكنه فشل فى ثورته ، حين تمكن صقر قريش من القبض عليه وسبجنه ، غير أن أبا الأسود فر من سيجنه ، بعد أن تظاهر بالعمى ، وكان عبد الرحمن الداخل ، قد قضى على أبيه يوسف الفهرى والى الأندلس من قبل ٤٠٥.

وأيا كانت البواعث التي حملت المتآمرين على الاتصال بشارلمان ، فان الدعوة جاءته فى الوقت المناسب ، إذ انتهى من إخضاع السكسون فى شهالى ألمانيا ، ولم يبق أمامه إلا أن يتوجه لتحقيق أحلامه الامبراطورية (٣).

اقتضت الخطة التي دبوها شارلمان مع المتآمرين : أن يعبر عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، المعروف بالصقلبي (٤) ، والى أفريقية ، بجيشه لينزل فى مقاطعة تدمير (مرسيه) ؛ ويقوم سليان بن يقظان أمير برشلونة ، بتمهيد الطريق أمام جيوش الفرنجة القادمة إلى سرقسطه .

حشد شارلمان جيشا جرارا فى ربيع عام ٧٧٨ م ، جمعه من البافاريينواالومبارد والاستراسيين والبرجنديين وأهل سبتهانيا ؛ وسارت المؤامرة فى طريق تنفيذها ،

<sup>(</sup>١) أخيار مجموعة ص ١١٠ - ١١٧ ؛ ابن القوطية س ٥٥ - ٥٦ ؛ ابن عاذارى ج ٢ س ٤٨٤ أبن الأثير ج ٢ س ٢٧ - ٢٣ ؛ العبادى س ٨١ ؛ أرسلان : غزوات العرب س ١١٦ - ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ؛ الحال السناسية ج ٢ س ١٣١ - ١٣٢ ؛ 122 - 121 - ١٢١ ٢ ١ لوند

<sup>(</sup> ۲ ) این عذاری ج ۲ ص ۹۷ - ۵۰ - ۷۷ - ۵۷

Dozy, I, P. 376; Deanesly, P. 351 ( v )

 <sup>(</sup>٤) سمى بالسقلين ، الآنه يشبه السقالية من حيث الشكل ، وصفه ابن علمارى وابن الآثير .
 كان طويلة أشقر أذرق أسر – أى تليل الشمر – ( البيان ج ٢ ص ٨٣ ، تاريخ الكامل ج ٦ ص ٢١).

غير أن تحديد الوقت فى ذلك الزمان ، لم يكن من الدقة ، بحيث توجه الضربة فى وقنها المقدور ، ويرجع ذلك إلى صعوبة المواصلات ، وبطء الاتصال . عاد ابن حبيب إلى الأندلس بالجيش الذى جمع من أفريقية ، ونزل فى تلمير ، فنهض اليه عبد الرحمن الداخل وأباده ، ولم يستطع ابن العربي أن ينجده ، معتذرا بأنه لا يستطيع أن يبرح مكانه ، حتى قصل جيوش شارلمان ؛ وبعد أن فرخ عبد الرحمن من القضاء على جيش ابن حبيب ، توجه فى الحال إلى سايان وقضى عليه كذلك (1) .

قسم شاراً ان جيشه إلى قسمين : جنوبي وشهالي ؛ فأما الجنوبي ، فقد أخذ طريقه عن سبتانيا وتوجه رأسا إلى برشلونه ، وأما القسم الشهالي ، ويقوده شارالمان بنفسه ، فلدخل عن طريق ممرات جبال البرانس الوعرة (٢٦) ؛ ويحتمل أنه دخل عن طريق ممر رونسفال Roncevalles. ولما لم تجد جيوش الفرنجة العون المفروض، تقدم شارلمان إلى مملكة نافار المسيحية ، وعاصمتها بنبلونة مثلك المناطق الثائية غير أن هذه المملكة ، وغيرها من القبائل المسيحية المنتشرة في تلك المناطق الثائية من شهالي أسبانيا ، لم تقدم المساعدة المتظرة الشارلمان ، ونفرت من أن يحكمها الفرنجة (٤٤) ؛ ولذلك اضطر شارلمان إلى حصار العاصمة بنبلونة ، ولم يفتحها إلا بعد قتال شديد (٥٠) . ولما توجه إلى سرقسطة ، التقي بالقسم الجنوبي من سرقسطة يسم وكانت مفاجأة غير منتظرة المبيد الفرنجة ، حين وجد المتحكم في سرقسطة ليسي من أعوانه ، بل أن صاحب الأمر فيها هو الحسين بن يحيى الألصاري ، ورغم أنه من الحوارج على عبد الرحمن الأموى إلا أنه اعتصم داخل المدينة ودافع عنها دفاع من الأبطال .

Lane-Poole, ; Berthelot, pq. 310 - 11 ; p. 33 ؛ ٨٧ س (١) العبادي ص (١)

Surgeant, L., op, cit., ; Lévi Provençal, I, pp, 123 -- 124 pp. 230 -- 1 ( y )

<sup>(</sup> ٣ ) تبعد مدينة بنيلونه عن سرقسطة بنحو ١٢٥ ميلا ، وأطلها كا يصفهم الحبيرى : وجماعة تسوس ، وأكثرهم متكلمون بالبشقية لا يفهمون » ( الروض المطار س ٥٥ – ٥٠ ) .

<sup>(</sup>٤) غزوات العرب ص ١٣١ ؛ الحلل السناسية ج ٢ ص ١٣١ – ١٣٢

<sup>(</sup>ه) المراجع السابقة.

يقول دوزى Dozy : عندما وصل شارلمان يجهشه ، لم يستطع ابن العربي أن يتغلب على نفور المسلمين من قبول ملك فرنسا يدخل مدينتهم ، وكافع الحسين ابن يحى الأنصارى ، كفاح المستميت . ولما شعر ابن العربي أنه لم يستطع أن يوفى بوعده لملك الفرتجة ، توجه اليه وارتجى في أحضانه ، حتى لا يظن أنه خدعه (١٠).

وهكذا امتنعت سرقسطة على شارلمان، وقد ضرب عليها الحصار، وضعت عبد الرحمن لنجلتها ، ولما يشس شارلمان من وعود العباسيين ، ترك سرقسطة وسار نحو الحنوب واستولى على وشقه Huesca وصاحبها أبو ثور ، عضو المؤامرة ، ثم استولى على برشلونة وجبرونا (٢٧).

والواقع ، أن هدف المتآمرين ، لم يخرج عن مطامع شخصية ، أقصاها مساعدة شارلمان لهم على الاستقلال بالامارات التي يتطلعون اليها ، كما أن خيانة سليان ابن العربي ، بصفة خاصة ، ترجع إلى أنه كان يصارع منافساً له على زعامة الحزب المناصر للعباسيين ، ولم تؤد الحيانة بجملتها إلى شيء ٣٦ ، بل بددت حلم شارلمان .

فى ذلك الوقت ، جاءت الأنباء إلى شارلمان ، بتجدد ثورات السكسون ، فقد اتهز هؤلاء الجرمان ، فرصة انشغال سيد الفرنجة فى المشروع الأسبافى ، وثاروا بقيادة زعيمهم الوطنى فيتكيند Wittekind واستولوا على مدينة دتز Deuts المقابلة لمدينة كولونيا على نهر الراين (٤٠). ومن أجل هذه التعلورات ، اضطر شارلمان إلى الانسحاب من أسبانيا ، بعد أن تحقق فشل مشروعه . ولما أدرك عجزه حتى عن الاحتفاظ بمدينة بنبلونة كنقطة ارتكاز له فيا وراء البرانس ، دمر أسوارها فى طريق عودته (٥٠) .

Lévi-Provançal, Les Musulmans de l'Espagne, I, p. 379 ( )

Lévi-Prov., op. Cit., pp. 118 — 129 ; Deanesly, p, 352 ؛ ۱۸۶ ص ( ۲ ) De Marlès, p' 175 ; Scott, I, pp' 406 — 7 ; ۱۹۵ – ۱۹۶ الروض المطال س ا

Scott, I, p\* 407 ( \* )

Dozy, I, p' 379 ( ( )

Deanesly, p' 351; Scott, I, p' 406 ( o )

أثار عمله هذا ، قبائل البشكنس Basques في نافار ؛ ولما كانت هذه القبائل المسيحية عاجزة عن مناجزة المك الفرنجة في حرب صريحة مكشوفة ، ولا سيا وأن شارلمان يمتلك فرقة فرسان قوية ، رخم أن الخيل البشقية ، كا يصفها الحميرى ، وأصلب الدواب حافرا الخشونة بلادهم » (١) ، لذلك ترقبوا مروره داخل مجرات البرانس الضيقة ، عندما عاد يجر أذيال الخيبة ، عن الطربق الشهالي إلى أقطانيا (اكوتيانيا) .

لم تكن هذه القبائل المتفرقة فى تلك المناطق الوعرة، تطمع فى شىء أكثر من المغانم والمؤن التى يحملها جيش شارلمان العابر، ولم تكن مدفوعة بروح وطنى أو نحوه(٢٠).

وقف البسقاويون في صياصي الجبال ، في كمين قرب بمر رونسفال أو وادي رونسفال أو وادي (رونسفال Palley of Roncevalles) وكان صقر قريش قد أمدهم بالسلاح وبعض الرجال، وقدر بعض مؤرخي اللاتين أن المسلمين المذين اشتركوا في هذه الوقعة ببلغون نحو ثلاثين ألف مقاتل (؟ أنتظرت هذه القوات المتحالفة ، حتى مرت مقدمة جيش شارلمان ، وكان هذا الممر ضيقا مظلما لتكاثف الغابات فيه وسط الجبال ؛ ويقود المؤخرة ثلاثة من أعظم قادة الفرنجة هم: السنجال اجنهارد Brittany (\*) وآنسام Parittang (\*)

<sup>(</sup>١) الروض المطار ص ٥٥ ~ ٣٥

Dazy, I, p' 380 ؟ ٨٢ -- ٨١ ص ٢٥) العبادي ص

<sup>(</sup>٣) يرجح أن عدد المسلمين كان كبيرا ، لاحمال أن المسلمين الذين أشركوا مع البسقاويين في مهاجمة جيش الفرنجة ، لم يقتصروا على العد الرسمي الذي قلمه صقر قريش ، فهناك المتطوعون المجاهلون ، ثم أن أغنية رولاند ، وغم صبيتها الأدبية ، أشارت كثيرا إلى المسلمين المفاتلين (أنظر مايل). ( 4 ) السنجال ترجمة المكلمة الفرنسية Someschal وأصلها اللاتين Somescalins ، ومناها النائب

ز » ) استجان ترجمه المكلمة الفرنسية المستحددة والطبه العربيي المستحددة . أو الكافل أو الكفيل ( أنظر المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٩٨٥ حاشية ٥ ) .

<sup>(</sup>ه) مقاطمة بريتانى أو مارك بريتانى March of Brittany ، في شهال غربي فرنسا ، أنشأه الفرنجة بمتناجئة من ما وقع فى بيز فطة خين المستشيخ منا وقع فى بيز فطة خين المستشيخ منا وقع فى بيز فطة خين المستشيخ مناطق مسكرية ادارية على الحدود . ويضم بند بريتانى كونتتى : نانت Namea في ورن Rennes ، وصحانا هذا البند من الكلت Celts القداء ، ويعرفون كلك باسم البريطانين . وقد ظلوا عمائهم وكر لصبح الفريان عن المكلت مناجم وكر لصبح المنازع و للماكن المستشيخ المنازع و للماكن المستشيخ المنازع و المنازع و المنازع المنازع و المنازع و المنازع المنازع و المنازع المنازع و المنازع و المنازع المنازع و المنازع و

انقض المسلمون والبسقاويون على المؤخرة ، وأبادوها عن آخرها ، بعد أن أبدت شجاعة فائقة واستهاتة فى القتال ، وتقدر هذه المؤخرة بنحو نصف جيش شارلمان . حاقت هذه الكارثة بجيش شارلمان فى يوم ١٥ أغسطس من سنة ٧٧٨م(١٠).

ولم يعلم شارلمان بها إلا مؤخرا ، إذكانت المسافة بين مقدمة الجيش ومؤخرته نحو ثمانية أميال ، ومن بين القللي الفارس رولاند ، المحبب إلى سيده ، فلما علم بمصرحه ، حزن عليه أشد الحزن(٣) .

لم تذكر الحوليات الملكية Royal Avvais شيئا عن هذه الفاجعة ، وتغاضت عن تسجيلها أو تسجيل ما وقع فيها ، غير أن جميع المعاصرين ، يعرفون أساء اللهتلى ، كا يقول بعض كتاب القرن للتاسع الميلادى . وكل ما ورد فى الحوليات المملكية عن حوادث عام ۷۷۸ م عبارة مقتضبة هى :

« في هذه السنة ، توجه السيد شارل إلى أسبانيا ، حيث لتي مأساة كبرى «٢٦) .

وأهمية هذه الوقعة من الناحية الحربية والسياسية ، بعيدة المدى ، فقد كانت مأساة حربية من غير شك ؛ ومن الناحية السياسية ، قضت على حلم شارلمان في إذالة السيادة الاسلامية عن أسبانيا ، وتكوين امبراطورية على النسق الروماني ، هميد ذكرى تلك الامبراطورية العتيدة .

أما الأهمية الأدبية ، فقد طفت على ما عداها ، إذ ارتبطت هذه الوقعة بشخصية أقدر أبطال شارناان ، وهوكونت رولاند ، الذى دافع ببطولة ، حتى مات وهو يرجد اسم مليكه ، بعبارات أخاذة .

فقد كتبت ملحمة أو أغنية ، فى القرن الحادى عشر الميلادى ، عرفت باسم وأغنية رولاند، أو أنشودة رولاند Song of Roland وهما من نوع ملاحم البطولة

<sup>(</sup> ۲ ) الميادي ص ۲.۸ ؛ Lévi-Provençal, pp° 124 -- 25

Deanesly, p. 352 (Y)

أو أغانى البطولة Chaneors de Geste التى تدور حول كبار الأعمال المرتبطة بالشخصيات البارزة ، لتصبح أناشيد وأزاهير يتغنى بها الناس على مر الأجيال .: كتب هذه الملحمة الشاعر النورمانى تيرولد Turold ، ويعدها الفرنسيون أول أنشودة حماسية فى الأدب الفرنسي ؛ ولها أكثر من ترجمة باللغات المختلفة(") ر

ورغم أن أصول حوادث الملحمة ، ترجم إلى نهاية القرن الثامن الميلادى ، فانها وصفت المجتمع الفرنسي والتفكير الفرنسي فى العصر الاقطاعي ، الذي بدأ ينضج فى القرن الحادى عشر الميلادى . من ذلك قولى الشاعر ، على لسان تيربين Turpein رئيس الأساقفة الذي اشترك فى الوقعة :

د ف حولیات الفرنجة ، سجل :

ه ما أروع الولاء لمليكنا ١٥٠١ .

ومما جاء على لسان رئيس الأساقفة كذلك ، مشير إلى المسلمين الذين اشتركوا

فى المعركة ، مخاطبا قومه ، ليشد من عزائمهم :

و المعركة الوشيكة الوقوع ، أنتم لها .

و انكم ترون المسلمين بأعينكم 🛚 .

« صلوا وتضرعوا لنيل المغفرة » .

١ من أجل طهارة أرواحكم ، سوف أتضرع . . . البخ

وأشارت الملحمة إلى رولاند :

« إن كونت رولاند يتبختر في الميدان » .

ه مسكا بدندال (۳) .

و لقد أوقع بالمسلمين أفدح الخسائر

ه تراهم واحدًا فوق واحد ، صرعى كالأكوام . . . . البغ .

<sup>(1)</sup> من ذلك ترجمة مكوت مانكريث Scott Mancrieff التي ظهرت في لتلث عام 1970م

<sup>(</sup> What Vesselage he had, Our Emperor." ( ۲ ) سم أن شار لمان لم يكني المبراطور ا زمن الموقعة.

وأخيرا تصور الأغنية كيف اتهت حياة هذا البطل ، وقد اضطجع إلى جذع شجرة الصنوبر ورفع يديه إلى السياء ، فأرسل الله الملائكة والقديسين ، فحملوا روحه إلى الجنة . ثم يقابل شارلمان بعد ذلك ، كما تصور الملحمة ، أود Aude أرملة رولاند ، فيعزيها ، ويعدها بترويجها من ابنه لويس ، فتأبى الحياة بدون رولاند ، وتسقط ميتة على قدى شارلمان ، فيستبد به الحزن ، وتمتلىء عيناه يالمدموع ، ويعبث بلحيته الناصعة البياض ، فتتساقط منها شعرات .

أما حقيقة الوقائع التاريخية ، وما دار فيها من قتال ، فلم تشر الأغنية إلى ذلك 
بدقة ، بل طفت عليها الصبغة الأدبية الأسطورية ، ومن ثم امتلأت بالخطأ التاريخي ، 
فثلا ، ذكرت الملحمة أن شارلمان مكث في أسبانيا سبع سنوات ، وأنه أخضع 
جميع شبه جزيرة أيبريا ما عنا سرقسطة ، وهكذا . والخليفة العباسي المعاصر لهذه 
الوقعة هو المهدى بن المنصور ( ١٥٨ – ١٦٩ ه – ٧٧٥ – ٧٨٥ م )(١) وأبو 
هارون الرشيد .

### W 100 10

ترك شارلمان فكرة محاربة المسلمين ، دون تقرير حاسم أو نتيجة والتفت إلى أطراف مملكته الشرقية ، حيث طالمت حروبه وتكررت حملاته مع السكسون (٢٠) ، كما التفت إلى تقوية سلطانه على أكويتانيا ، لحمايتها من تجدد غارات المسلمين عليها ، وقد أضحت هذه الغارات محتملة بعد فشله الذريع في حملة أسبانيا ؛ عين شارلمان

<sup>(</sup>۱) عن حملة شارلمان ضه مسلمي أسبانيا ، و أغنية رولاند انظر :

Stephensen, C., Mediaeval History, pp. 273—278; Evans, J., Life in Mediae7al France, pp. 38, 50; Basset, R., Les Documents Arabes sur l'Expédition de Charlemagne en Espagne (La Revue Historique, T. LXXXIV, 1904, pp. 286—295); Barrau —Dihigo Deux Traditions Musulmanes sur l'Expédition de Charlemagne en Espagne (Paris, 1925), qp. 168—179; Calmette, J., Charlemagne, sa vie et son Œuvre (Paris, 1945); Helphen, L., Charlemagne et L'Empire Carolingien (Paris 1947), pp. 87—88; Berthelot, M. A., (in H. G. T. I), pq. 310—11; Lévi-Provençel, Histoire de l'Espagne Musulmane, T. I, pp. 118—128; Bédier, J., Legendes Epiques: Recherches sur la Formation des Chançons de geste (Paris, 1903), pp. 150—180; Lambert, E., Roncevaux et ses monuments, (Dans La Romania, Janvier, 1935). Roncevaux, (Dans Bulletin : التراف العالم Historique, T. XXXVII, 1935), pp. 417—436; Boissonnade, P., Du nouveau sur la Chançon de Roland (Parie, 1923), pp. 112—152; . والمرافقة على المرافقة ا

Funk- ; Berthelot, p. 315 ; Lavisse, I, pp. 285 - 90 ( v )

ابنه لويس ملكا على أكويتانيا ، وعمره يومثل سنة واحدة ، وهو من مواليد أكويتانيا ، أنجبته أمه خلال اشتباك أبيه فى أسبانيا ؛ ونظرا لصغر سنه ، عين له أبوه وصيين هما : أرنو لد Arnold وميجناريوس Meginarlus (۱).

أما المسلمون في ذلك الوقت ، فقد قويت روحهم المعنوبة ، وقاءوا بغارة سريعة خاطفة على أكويتانيا عام ٧٨٥ م (٢) ، وسار عبد الرحمن نحو سرقسطة ، وقبل وصوله اليها ، كان ابن العربي قد قتل على يد الحسين بن يحيى الأنصارى ، اللهى اعتقد أن ابن العربي مذبلب في دينه ، بعد أن رافق شارلمان في المسحابه ثم عاد . وأعلن الحسين خضوعه وطاعته وولاءه لصقر قريش ، ولكنه حين خرج عليه بعد ذلك ، قتل (٢) .

ومع رجحان كفة عبد الرحمن الداخل وانتصاره وتوفيقاته ، رأى أن من حسن السياسة أن يقيم علاقات ودية مع شارلمان ، بعد أن عجم عوده وعرف قوته وإمكانياته ، فدعاه إلى عقد معاهدة عدم اعتداء ، حتى يأمن من كل منهما جانب صاحبه ، وزاد عبد الرحمن في تودده ، فطلب المصاهرة مع سيد الفرنجة تدعيا للروابط ؛ فلم يسع شارلمان ، وكان حصيفا ، إلا أن يستجيب إلى السلم مع صقر قريش ، ولا سيا وقد أحرك استحالة تحقيق حلمه الامبراطورى في أسبأنيا ، محت المعاهدة والمسالمة ، ولكن المصاهرة لم تم (2) .

يقول المعرى ، مشيراً إلى هذه العلاقة الودية الجديدة : ووخاطب عبد الرحمى قارله ، وكان من طغاة الافرنج ، بعد أن تمرس به ، فأصابه صلب المكسر تام الرجولية ، فال معه إلى المداورة ، ودعاه إلى المصاهرة والسلم ، فأجابه للسلم ولم تتم المصاهرة (٥)

Deanesly, pp. 352 - 3; Dozz, I, pp. 380 - 381 ( )

Ibid ( y )

<sup>(</sup> ٣ ) ابن عذاری ج ۲ ص ۱ ؛ ؛ ۸ ؛ بر عذاری ج ۲ ص

Pirenne, Moh. & Charl. p. 160 في ١٨٣ س (٤)

<sup>(</sup> ہ ) نفح الطيب ج ١ س ١٥٥

توفى عبد الرحمن الداخل فى ربيع الآخر ١٧٧ هـ اكتوبر ٥٨٨ م (١) و وخلفه ابنه هشام (١٧٧ – ١٨٠ هـ ١٨٨ – ٧٩٦ م) ، وكان هشام بمارده Mérida يقوم بأمرها قبل أن يخلف أباه ، وقد اختار له أبوه هذا العمل لكى يتمرس فى ميادين القتال والجهاد ، وأن يكون أبنا مستعدا لمواجهة المخاطر ، ونجح هشام خلال ولايته لهذه المناطق الشهالية ، فى تقليم أظفار الامارات المسيحية : جليقية Galice وليون وناظر ، إذ كان كثير الغزو لها (٢٠).

وتصفه المراجع بأنه شاب كفؤ متحمس للدين (٢) ، و و بمنزلة عمر ابن عبد العزيز من قومه بالأندلس ع (٤) ؛ أراد أن يشغل الأمة عن الفتن الماخلية ، وذلك بالجهاد ، وهذا في نظره أجمع شيء للكلمة ، وهدفه كذلك استرجاع ما ضاع من البلاد على يد شارلمان وأبيه من قبل ، ولا سيا وأن الفرنجة احتلوا في الفترة ما بين ٧٩٠ ، ٧٩٥ م ، كثيرا من الأراضي الأسبانية الشهالية ، حتى وصلوا إلى نحو ٣٠٠ ميل في الأراضي الأسبانية (٥) ؛ و شبعه على الجهاد وصرف الأمة إليه ، أن الفالة في عهده كثرت ، بأن المسلمين لا يقدرون إلا على قتال بعضهم بعضا ، بل أقد بعض الفقهاء بأنه لا يحب دفع الخراج لأمراء لا يعرفون إلا أن يقاتلوا أمة محمد (ص) وحدها ؛ وضربوا الأمثال في خدمة الاسلام بخلفاء بغداد الذين عمد (ص) وحدها ؛ وضربوا الأمثال في خدمة الاسلام بخلفاء بغداد الذين

<sup>(</sup>۱) عن مقدرة عبد الرحمن الداخل وصفاته وعلمه وشمره وعدله وحروبه وانتصاراته ؛ انظر : أهمال الأعلام س ۱۰ – ۱۱ ؟ ابن عذاری ج ۲ ص ۸۲ – ۹۰ ؛ ابن الأثیر ج ۹ ص به ۶ ؛

Dozy, I, pp. 297 sqq. Lane-Poole, p. 66

 <sup>(</sup>٢) أفح الطيب ج ١ ص ١٥٧ ؟ أشيار مجموعة ص ١٢٠ – ١٢٤ ؟ الروض المطار ص
 ١٧٠ - ١٧٧ ) العبادى ص ١٧٧

Desnesly, p. 353 ( r )

<sup>(</sup> ٤ ) من دلائل حزه وديته وعقله وحاله ، أنه لما بنى الفتطرة النظمى بقرطبة ، وأنفق فيها أموالا . طائلة ، علق الناس : إنما بناها لتصيفه و نزهته : فلما بلغه ذلك ، أشم ألا يجوز عليها إلا لغزو ق سيل الله أو مصلحة .

<sup>(</sup>أعمال الأعلام ص ١٢ ؛ ابن عذارى ج ٢ ص ٩٨ – ٩٩ ؛ نفح الطيب ج ١ ص ١٥٧ – ١٥٨ ).

<sup>(</sup> ه Deanesiz, p. 353 ( ه ) انظر مايلي.

<sup>(</sup> ۲ ) العبادي ص ۸۷ – ۸۸

أعلن هشام بن عبد الرحمن الجهاد ، وأمر الناس كافة أن ينفروا اليه ، وأن تمكون وجهتهم جبال البرانس ، ومن لم يقدر على الجهاد بنفسه ، وجب عليه الجهاد بماله ، وقرىء منشور الأمير على منابر الجوامع ، فنفر الناس من كل فج ، وتجمع تحت إمرته نحو مائة ألف مقائل .

قسم القوة إلى قسمين : قسم بقيادته شخصيا ، توجه به إلى جليقية لمحاربة ثوارها ، وهزمهم وشتتهم (۱) . أما القسم الثانى من الجيش ، فوجههه بقيادة وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث إلى قطالونيا ، ومنها استمد لاجتياح فرنسا . وكان شارلمان فى ذلك الوقت مشفولا على ضفاف المانوب فى حربه ضد الآفار . Avars ، كما أن معظم جيش أكوتيانيا ، كان مشغولا مع ابنه لويس فى إيطاليا .

دخل عبد الملك فرنسا عام ۱۹۷۷ هـ ۲۹۷۰ م، ووصل إلى أربونة ، فأحرق ضواحيها وغنم منها ، وسار إلى قرقشونه ، فانبرى إليه وليام دوق طولوشه (تولوز) وكان وليام ينوب عن لويس ملك أكويتانيا في رعاية مملكته ، استنفر وليام المسيحيين ، فاستجاب له أمراء البلاد ، وأقبلوا عليه من كل جانب ، والتقوا بالمسلمين في منطقة فيلديني Villedaigne ، فيا بين قرقشونة وأربونة ، وذلك على ضفاف نهر أنبيو Onbieux ، وكانت معركة حامية ، انتصر فيها المسلمون وأصيب الفرنجة بخسائر كبرى ؛ ولكن وليام دوق تولوز ، أبدى شجاعة وكفاءة وفعاء ألى مصاف الأبطال ، بل جملته في مرتبة رولاند ، حتى صار موضوعا لأساطير المصور الوسطي (٢٠٠٠). ويقال أن عبد الملك أوغل في أرض الفرنجة حتى وطيء أرض برطانية أوبريتاني Brittany وهزم الفرنجة (٢٠).

اكتنى المسلمون بما أصابوا من مغانم ؛ ومن هذه المغانم ، ما أوقف على مسبجد

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ج ٦ ص ٤٤ ؛ السادى ص ٨٨

 <sup>(</sup> ۲ ) نفح الطيب ج ١ ص ١٥٨ ؛ أين القوطية ص ١٥ ؛ أين الأثير ج ٢ ص ١٨ ؛ أين مذاري
 ج ٢ ص ٥٥ ؛ أعمال الأعلام ص ١١ -- ١٢ ؛ 2.9 \$.

<sup>(</sup>٣) نفح الطيب ج ١ ص ١٥٨

قرطبة العظيم (١) ؛ وانتقم الفرنجة ، وعبروا البرانس فى غارة سريعة عام ٧٩٦ م ، وغنموا وعادوا(٣) .

\*\*\*

وبعد وفاة هشام عام ١٨٠ هـ ٧٩٦ م ، تولى ابنه الحكم ( ١٨٠ - ٢٠٦ ه - ٧٩٦ م ) ؛ ووقعت انقسامات في أول عهده بين مسلمي الأندلس ، ونازعه عماه عبد الله وسليان ، فضلا عن حكام المدن الشهالية ؛ وأرسل بعض زعماء المسلمين الناقمين على الحكم ، إلى شار لمان ، وكذلك إلى ابنه نويس ، يطلبون منهما المساعدة والتعضيد ؛ وحدثت مفاوضات بين حزب الناقمين وبين الفرنجة في إكس لاشابل Herista عام عام طام عام الحسال ۱۸۱ هـ ۷۹۷ م ۹۳ .

وكذلك أار بهلول بن مروان المعروف بأى الحجاج ، فى وشقة ، واستولى على سرقسطة ، وبعث رسولا من قبله إلى طولوشة ، عاصمة أكويتانيا ، يطلب التحالف مع لويس بن شارلمان ، ضد خصومه من المسلمين فى أسبانيا ، وقدم عليه عبد الله عم الحكم ، وكان متوجها إلى الفرنجة <sup>63</sup> . وبعد ذلك بسنتين ، أى فى عام ١٨٣ هـ ٧٩٩ م ، أعلن حاكم وشقة وضع المدينة تحت سيادة شارلمان ، غير أن الوعود الأخرى الغامضة التى بلطا الناقمون على السيادة الأموية فى الأندلس، من ناحية الولاء والعون لملك الفرنجة لم يش فها شارلمان (°)

<sup>(</sup>۱) يقال أن خمس الغنائم ، وهو حق الأمير أو حق الدولة ، بلغ نحو ه ؛ ألف مقال ذهب ، أكل به هشام مسجد قرطبة ، وكان أبوه قد بدأه من قبل ولكن لم يتمه ، علما بأن صقر قريش بني هذا الحاسم فإ من غنائم الحروب والجهاد ، ولذا زادت حرمة جامع قرطبة في نظر المسلمين، وتذكر المراجع أن عبد أن الداخل وضع أساس، هذا المسجد على تراب جليه من جليقيه ومن جنوبي فرنسا ، وقد حلى الأمرى المسجدون هذا التراب على ظهورهم (نفح الطيب ج ١ ص ١٥٨ ، ٢١٣ وما يلها ؟ ابن القوطية من ١٥ ؟ غزوات العرب ص ١٢٧ - ١٢٨ ؟ الروش المطار ... ١٢٨ الروش المطار

Deanesly, p. 353 (γ)

Ibid ( T)

<sup>(</sup> ٤ ) ابن الأثير ج ٦ ص ٧٥ ؛ ابن عذاري ج ٢ ص ١٠٣

Deanesly, p. 553 ( a )

وبدا لشار لمان مصداق حدسه ، عندما جاءت جيوش الفرنجة وحاصرت مدينة برشلونة ، منتهزة فرصة انشغال الحكم بقتال عميه (١٠) ؛ فقد امتنع بالمدينة حاكمها زاتون Zaton ، كما تسميه المراجع الأجنبية ، ولعل اسمه سعدون ؛ وقام حاكم برشلونة بما ينبغى عليه من الدفاع الصادق . ولما كان شار لمان ، مغولا فى خلك الوقت ، وهو عام ١٨٤ هـ - ١٨٠ م ، بتتويجه امبراطورا فى روما (٢٠) ، تولى ابنه لويس ، ووليام كونت تولوز ، أمر حصار برشلونة ، بمساعدة مسيحيى أسبانيا .

قسم الفرنجة قواتهم إلى ثلاثة أقسام ، أحدها لحصار المدينة والثانى المرابطة أفي المناطق التي تتدفق منها النجدات الاسلامية من قرطبة ، والثالث بقيادة لويس أبن شارلمان ، ويعتصم بأعلى جبال البرانس لشدة الهجمات الخاطفة على المسلمين . لذلك تحمل أمير برشلونة وحده عبء الدفاع عنها ، ولم تتمكن الامدادات الاسلامية من الوصول اليه ، أو كما يقول ابن الأثير و وتأخرت عساكر المسلمين عنها (٢٠٠٠) ؛ وكان أذفونس II Alfonso ملك جليقية بساعد الفرنجة (٤٠٠٠).

ولم تستطع حامية برشلونة وحدها حماية المدينة ، فسقطت فى يد الفرنجة عام ١٨٥ هـ - ٨٠١ م ، ودخلتها جيوشهم عنوة ، وغنموا منها الكثير من الأسلحة ولا سيا الدروع والخوذ والخيول ، وأرسل لويس جزعا من الغنائم إلى أبيه شارلمان(٥٠).

<sup>(</sup>١) أبن عذاري ج ٢ ص ١٠٥ ؛ أعمال الأعلام ص ١٥ ؛ ابن الأثير ج ٢ ص ٣٠٠

Fichtenau, H., The Carlingian; Bryce, pp. 44 — 50 Empire. pp. 47 — انظر ( ۲ ) ;78; Sismandi, Op. Cit., p. 12

<sup>(</sup>٣) تاريخ الكامل جـ ٦ ص ٥٣ - ١٥

<sup>( )</sup> كان الفرنسر الناق قد استجد بشارلمان أكثر من مرة شد مسلمي أسانيا ، وفي البعة الخارجي التي المسلمين أوسلها إلى من بينها بعض الأسرى التي أرسلها إلى ملك الفرنجية ، وهو في هرستال عام ٢٩٩٨ م ، بعث معها هدايا ، من بينها بعض الأسلمين وكية من الأسلمية وعد من البنال ، وكان غنمها من المسلمين في لشبونة ( ٥ ) فتح الطبيب ج ١ ص ١٩٠ و إين الأثير ج ٢ ص ١٣٠ و ٤ أخيار مجموعة على ١٢٤ وما بعلما ؛ إين مذارى ج ٢ ص ١٩٠ و و و و ١٢٤ أخيار مجموعة ١٢٢ وما بعلما ؛ إين مذارى ج ٢ ص ١٩٠ و و و و او المسلمين كلي المسلمين كلي المسلمين المسلمين كلي ا

والمعروف أن برشلونة ظلت بيد المسلمين ما يقرب من قرن ، وذلك متذ فتحها الأول عام ٩٥ هـ ٧١٣ م ، زمن موسى ين نصير ، وسموها برشنونة Barshinon ولكن غلب عليا اسم برسلونة ( بالسين ) ، ومنذ استيلام الغرنجة عليها عام ١٨٥ هـ ١٨٠ م ، ظلت تحت حكمهم ، حتى استقل بها أمراؤها عام ٨٨٨ م ، عندما ضعفت سلالة شارلمان ، وانفلت زمام السلطة من أيديهم(١٠).

وباستيلاء الفرنجة على برشلونة ، عاصمة إقليم قطالونيا ، زادت مساحة والمارك الأسباني » أو البند الأسباني ، panish March أو Lines Hispanicus إلى النصف . وكان الفرنجة ، عندما اتسعت أملاكهم تدريجيا ، فيا وراء البرانس ، في أسبانيا ، كونوا منها بندا أو مقاطعة سموها المارك الأسباني ، بحسب تنظياتهم ، وأقاموا فيها الحصون وشحنوها بالحاميات ، ووضعوها تحت إشراف اثنين من الأكناد Counts ، هما : بوريل Borrel وروستنج Rostaing . واستمان لويس اين شارلمان بالمسيحين اللاجئين ، وبعض المسلمين الفارين والخارجين على سلطان الدولة الاسلامية بالأندلس ، وكون منهم فرقة متجولة لحراسة هذه المنطقة .

وعند نهاية حكم شارلمان ، ضم المــــارك الأسبانى إلى مملكة أكويتانيا ، كذا ضم مارك تولوز . وصار المارك الأسبانى يعرف باسم مديرية قطالونيا Caialonia وأضحى نواة حية نمت حولها قوة المقاومة المسيحية فى أسبانيا (<sup>17)</sup> .

ونظرا لوجود قاعدة للفرنجة فى أسبانيا ، تكررت غزواتهم خلال الفترة ما بين ٨٠٩ ، ٨١٣ م ، وضموا إلى هذه القاعدة كذلك مملكة نافار المسيحية انتقاما من موقفها السابق من حملة شارلمان وكارثة رونسةال عام ٧٧٨ م٣٠) .

<sup>(</sup>١) الحلل السناسية ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧

<sup>(</sup> ٢ ) حقيقة احتل المسلمون برشاونة بعد ذلك أكثر من مرة ، لكن سيادتهم عليها لم تثبت ، فقد أهيد مام المسلمين عليها عام ٢٤٢ هـ ٨٥٦ م ، ثم خرجت ؛ وأهادها المنصور بن أبي عامر هام ٣٧٥ هـ ١٩٥٠ م ، كنها فقلت بعد عامين حين استولى عليها كونت بوريل ، وفي عام ١١٣٧ م الفصت إلى مملكة أرعونة . (افظر الحلل السناسية ج ٢ ص ٢٤١ ١١٤ – 181 – 180 المفاد ص ٤٢ عـ ٢ كال Dennesty, p. 354 ؛

وهكذا كان موقف الفرنجة من المسلمين في الأندلس ؛ ومسلموا الأندلس هم اللمين تولوا عبء الفتوح الاسلامية في فرنسا منذ مطلع القرن الثامن الميلادى ، وكان من نتاثج الصلام بين المسلمين والفرنجة في فرنسا ، ذلك التقارب الودى الذي نشأ بين بني العباس والفرنجة الكارولنجيين من جهة ، وبين بني أمية والبيزنطيين من جهة أخوى ، كرد على تلك العلاقات العباسية الكارولنجية (١) .

وقد بالغت المراجع الفرنجية ، حتى زعت لشارلمان حماية على الأراض المقدسة ، منحها إياه الرشيد بن المهدى . والذى لا شك فيه أن وداً قام بين العباسيين والكارولنجيين ، إذ اقتضت مصالح العباسيين مسالمة الفرنجة على بعدهم ، ولكن لقربهم من أسبانيا التى اقتطعها الأمويون من جسم الامبراطورية العباسية ، وكذلك بسبب العداء التقليدى بين البيزنطيين والمسلمين ، ورغبة الخليفة العباسى فى تقوية جبته ضدهم ، وذلك بمحالفة الفرنجة ، منافسى البيزنطيين والمدين يخالفونهم فى المدهب الدينى ، فضلا عن حقد بيزنطة على الفرنجة حين توج سيدهم شارلمان امبراطورا على الرومان فى الغرب ، مما ينقض ادعاءات أباطرة بيزنطة فى أنهم ورثة القياصرة الرومان .

أما مصالح الفرنجة في محالفة بني العباس في المشرق ، ضد بني أمية في المغرب فتلخص أولا في العداء المشترك ضد بني أمية في الأندلس ثم في محاولة تحقيق الحلم الامهر اطورى لشارلمان بمد نفوذه على أسبانيا ، وإزالة النفوذ الاسلامي عن جنوبي فرنسا ، ووجد الفريعة في أنه يعمل حليفا للعباسيين ؟ ثم إذا كان هذا التدخل قد فشل عام ۷۷۸ م ، وانتهى بكارثة رونسفال (۳) فانه يريد أن ينتقم لما أصابه ، ثم هو بعد حليف للكنيسة والبابوية ، والفرنجة ، يمتبرون أنفسهم دائما خطام المقيدة المحاثوليكية ، سواء أكانوا تحت حكومة الميروفنجيين أم حكومة الكارولنجيين ، فهم يريدون تقوية الجبهة المسيحية في أسبانيا ، وتسهيل طريق الحج إلى الأراضي المقدسة في المشرق ، وهي الأماكن الواقعة تحت نفوذ الدولة العباسية .

<sup>(</sup>١) راجع ما سبق .

<sup>(</sup>۲) راجع ما سبق .

هذا وتريد البابوية ، حليفة الفرنجة ، والمرتمية فى أحضانهم ، منذ داهمها خطر الله وبدات الله وبدات ، ألمومبارد خلال القرن السادس الميلادى ، ثم خطر المسلمين فى إيطاليا فيا بعد<sup>(۱)</sup> ، وتقاعد بيزنطة عن حمايتها ، تريد أن تقوى صلتها ببطارقة المشرق فى الاسكندرية وانطاكية ، لكى يقفوا بجانبا فى صراعها مع بطريق انقسطنطية على الزعامة الروحية فى العالم المسيحى ، ومن ثم شجعت الفرنجة فى جميع مشروعاتهم .

لهذه الأهداف مجتمعة ، تبودلت السفارات بين بلاط العباسيين وبلاط الفرنجة ، منذ زمن أبي جعفر المنصور وبيبين القصير ، واستأنفها شارلمان ، فأرسل بعثة إلى الرشيد عام ٧٩٧ م ، أي بعد كارثة رونسفال بتسع سنوات ، لعقد حلف مع العباسيين ضد الأمويين بالأندلس وضد البيز نطبين كذلك ، وأن يتضمن الحلف تسهيل طرق الحجيج أمام مسيحي الغرب ، ومن أجل هذا الهدف الهام في نظر شارلمان أمر البعثة بزيارة القدس في طريقها إلى بغداد ، ودراسة أحوال المسيحيين به . رحب الرشيد بهذه البعثة ووعد بتنفيذ مطالب شارلمان ؛ ورد على إمبراطور الشية الفرنجة ببعثين ، إحداهما في عام ١٠٨ م ، أي بعد تتوبيج شارلمان إمبراطورا بسنة ، والأخرى عام ١٨٠ م ، قبل وفاته بأربع سنوات .

ونتيجة لحسن التفاهم ، شجع الخليفة هرون الرشيد ، امبر الحور الفرنجة على تقديم بعض هدايا للقدس وإقامة بعض المؤسسات الخيرية فيه ، فأقام شارلمان بالقدس مكتبة ومستشنى . وأوقف عليهما الأوقاف ، وشعر المسيحيون الأرثوذكس بالقدس بقوة شارلمان وأهمية الاعتماد عليه ، دون بيز نطة ، فبداوا إليه بر وز تشريعية ، تقديرا منهم له ، رغم أنه كالوليكي .

ومن هنا جاءت المبالغات الأسطورية فى الغرب ، فرعمت أن الرشيد ، نع شارلمان حتى حاية الأراضى المقدسة ، وأنه شارلمان حتى إلى الأراضى المقدسة ، وأنه عقتضى هذا الحتى ، يعتبر أول صايبى . وأرجم بعض الكتاب المحدثين ، يعض أصول حرب القرم ، التى نشبت فى القرن التاسع حشر الميلادى ، إلى ذلك الغزاع الله ي شجر بين رهبان الكنيستين الأر ثوذكسية والكاثوليكية، فى أيهم أحق بحراسة

<sup>(</sup>١) انظر ماييل.

الأماكن المقدسة المسيحية بالقدس ، وهذا النزاع ، استمدت أصوله من هذه الحماية الأسطورية التي أذاعها الفرنجة ؛ وإلى هذه الأسطورة التاريخية ، استند الفرنجة المتأخرون فى ادعاء حقوق تاريخية لهم على الشام .

تلك هي خلاصة ما ورد بصدد الحماية الفرنجية على الأماكن المقلسة ، ولا شك ، أن اجنبارد Bginherd فيا أورده بصدد هذه الحماية ، في كتابه وسيرة شارلمان ، Vita Caroli ، لم يرد إلا إحاطة سيده بهائة من العظمة والحلال ، كما أن ما كتبه القديس جال si. Gall حول هذا الموضوع ، أسطورى لا يعتمد عليه ، فضلا عن عدم دقة الحوليات الملكية في تسجيل الحوادث، ثم أن الرشيد كان في ذلك الوقت منتصرا على البيز نطيين ، ولا يوجد دليل على أن مسيحيى الشام والجزيرة كانوا خطرا على سلامة الدولة الاسلامية في ذلك الوقت ؛ هذا وقد ترك العباسيون فكرة استرجاع الأندلس ، منذ عهد المنصور ، الذي أدرك استحالة هذا الأمر .

ومن ثم فنظرية الحماية على الأراضى المقدسة ، وهم أسطورى ، تناقله الكذاب جيلا بعد جيل ، حتى غلما كالحقيقة التاريخية ؛ غير أن أسطورية هذه الحماية ، لا تنفى وجود علاقات ودية بين بنى العباس والفرنجة ، كما لا تنفى قيام شارلمان بالأعمال الخيرية التى قام بها ؛ أو تنفى تطلم مسيحي القدس إليه ، أما مسألة إهداء مفاتيح قبر المسيح من قبل بطريق القدس إلى شارلمان ، فلا أهمية سياسية لها ، وهي لا تعدو أن تكون روز تشريف وتبريك (1) .

 <sup>(</sup>١) راجع في موضوع الحماية الفرنجية على الأماكن المقدسة وما تفرع عنها والعلاقات العباسية
 الكاورانجية:

الدكتور عبد الدزير الدورى : العمر العباسى الأول ص ١٤٩ – ١٥٦ ، فقد أورد مناتشة علمية. دقيقة في هذه المسألة , وقد اعتمدت عليه في كثير نما أوضعته -

الدكتور حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض (المجلة التاريخية م ؛ سنة ١٩٥١ ص ١٥٠ – ١٦٤ ، اعتمد على ماكتبه الدوري .

ديفيز : شار لمان - ترجة الباز - ألملاحق ص ٢٠١ - ٣٠٤

فشر : تاريخ أوربا فى العمر الحديث – ترجة هاشم والضبع – ص ٢١٧ – ٢٢٧

أما عن علاقة الأمويين في الأندلس ، بالبيز نطيين ، كرد على العلاقات العباسية الفرنجية ، فقد وضحت زمن عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالأوسط (٢٠٦ – ١٣٨ هـ - ١٨٨ م ) ، أى بعد وفاة شارلمان وتبودلت السفارات بينه وين الامبراطور يثوفلس Theophilus ( ١٨٩ – ١٨٩ م ) ، وهو المعروف في الكتب العربية باسم توفيل أو توفلس ، وكذلك تحددت الاتصالات زمن عبد الرحمن الناصر الأموى (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ ١١٣ م ) والامبراطور قسطنطين السابع الملقب بالأرجواني Porpbyrogenitus ( ١٩٩ – ١٩٩ م ) (١٠ .

### 400

لم تمل هذه العلاقات دون تجدد غارات العرب على فرنسا ، كما لم يمل دون ذلك طرد المسلمين من سبتمانيا وأربونة منذ عام ٢٥٩ م ، واستيلاء الفرنجة على برشلونة الأسبانية الاسلامية عام ٨٠١ م تكررت غزوات المسلمين في جنوبي فرنسا وهاجموا مرسيليا أكثر من مرة : في عام ٨٣٨ ، ٨٤٢ م ، ٨٤٢ م ، وامتدت ووصلوا في غزواتهم إلى مصب الرون قرب آرل ، وغنموا وعادوا (٢٠) ، وامتدت غزواتهم على طول ساحل فرنسا الجنوبية شرقا حتى وصلوا إلى الجنوه الإيطالية .

وحدث خلال الصراع الداخلي في فرنسا ، زمن شارل الأصلع ( ت ١٨٧٧م ) ، أن استعان بعض خصومه بالمسلمين ، فأمدوهم بجنود أجبرت الأصلع على طلب

أرسلان: غزوات العرب س ۱۳۲ – ۱۳۳

Runciman, S, A History of the Crusades, Vol. I, pp. 28 — 29; Charlemagne & Palestine (In English Historical Rexiew, Vol. I pp. 606 sqq.; Firenne, H., Mohammad & Charlemagne, pp. 160 — 167; Deanesly, Op. Cit., p. 332; Joranson, The Alleged Frankish Protectorate in Priest ne (In A. H. R., 1927), pp. 241 — 6; Eginhard, Vie de Charlemagne (ed. Halphen, Paris, 1947); Buskler, F. W.. Harun T'Rashid & Charles the Great, pp. 4 — 20.

<sup>(</sup>۱) راج أعبار هذه السفارات في المراجع الآتية : نفح الطيب ج ۱ ص ۱۹۲ ، ۱۷۰ ، ۹۸۰ ، ۱۷۰ ، ۱۹۰ ، ۱۷۰ ، ۱۹

<sup>(</sup>٢) للسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١٢٩

الصلح (۱) ؛ كما أن الاضطرابات التي ملأت أسبانيا الاسلامية في ذلك الوقت ، وهو النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي<sup>(۲)</sup> ، لم تمنع المسلمين من محاولة الاستقرار في فرنسا ، فنزلوا في عام ٣٨٣ه -- ٨٦٩ م في مكان يقال له كامراج. Camargne بمنطقة بروفانس ، وعملوا على تثبيت أقدامهم في تلك المنطقة (۲)

كانت الأحوال في إمبراطورية الكارولنجيين ملائمة كل الملاءمة لاستقرار المسلمين في جنوبي فرنسا ، فقد حدث بعد وفاة شارل الأصلع بسنتين ، أن قام بوزو Boso دوق بروفانس ، وأعلن نفسه ملكا مستقلا في أكويتانيا بمساعدة رجال الدين والنبلاء المحلمين . كان ذلك في أكتوبر AV۹ م. وشملت مملكة بوزو حوض الرون من آرل إلى لبون Lyons . كملك ثار هيو Hugh أحد مقلمي الأديرة . ورغم أن شارل السمين إمبراطور الفرنجة وحفيد شارلمان ، ممكن من محمورا في منطقة ضيقة تحيط بمدينة فين Vienne ، إلا أن لويس بن بوزو محمورا في منطقة ضيقة تحيط بمدينة فين Vienne ، في استعادة أملاك أبيه وإعلان نجي بعد وفاة شارل السمين في ۱۳ يناير A۸۸ م ، في استعادة أملاك أبيه وإعلان وفاة السمين واضطراب الأحوال وأعلن نفسه ملكا على فرنسا الغربية ، وأخل لقب ملك فرنسا الغربية ، وأخل لتب ملك فرنسا الغربية ، وأخل لتب ملك فرنسا الغربية ، وأنحل الشهر بمجاعته في الدفاع عن باريس أمام غزو النورمان لها ، فكافأه شارل السمين بجعله دوقا لباريس وما حولها(٩٠٠)

<sup>(</sup>١) أرسلان ص ١٥٥ - ١٥٨ (عن دون بوكى Don Bouquet الراهب المؤرخ المتوفي هام ١٧٠٤ م) .

 <sup>(</sup>۲) راجع : العبادى ص ۱۱۷ - ۱۲۲ ؛ أعال الأعلام ص ۲۰ – ۲۸ ؛ نفح الطب ج ۱
 ص ۱۲۳ - ۲۰۱۵ ؛ أشبار بجمدومة ص ۱۱۵ ، ۱۰۷ – ۱۰۵ ، ۱۷۱ – ۱۷۳ - ۱۷۳ – ۱۷۳ – ۱۷۳
 (۲) المسلمون في حوض البحر الأييض ص ۱۲۹ - ۱۳۰ ؛ أوسلان ص ۱۰۵ – ۱۰۹

Deanesly, pp. 460 — 461 (1)

<sup>( )</sup> أو د هو ابن روبرت القرى Robert the Strong بدآل كابي Copets الذين انتر عوا العرش من الكارولنجيين فيها بعد ، وأسسوا أمرة مالكة فى فرفسا ( انظر ما يل ) وانظر : . . . . . . . . . . . . . . . . . The Feudal Wonardz in France & England, pp. 7 agg. 3 Deanealy, pp. 463 ... 64; Brooke, A History of Europe, p. 3)

خلال هذه الأحداث والاضطرابات الناجمة عن التورات الداخلية ، والغزو النورمانى ، أخذ المسلمون يستقرون فى بعض جهات بروفانس ويتخذونها قاعدة لهم من جديد ، وذلك بعد أن فقدوا مراكزهم الأولى فى إقايم سبتمانيا . وفى الفترة بين عامى ٨٩٤ ، ٨٩٥ مدخل غزاة جدد من المسلمين ، جاءوا من أسبانيا الاسلامية وتوغلوا فى المنطقة الجليلية المليئة بالغابات ، المطلة على خليج سان ترويى st. Tropez جنوبى فرنسا ، وظلوا فى تقدمهم حتى وصلوا إلى قمة جبل يشرف على جزء كبير جنوبى فرنسا ، وظلوا فى تقدمهم حتى وصلوا إلى قمة جبل يشرف على جزء كبير من بروفانس ؛ وقد نسب هذا الجبل اليهم فيا بعد ، فعرف باسم جبل المسلمين Chaines des Madre .

أدرك المسلمون أهمية هذه المنطقة الحصينة ، فالبحر ، فتوح أما ، هم الاددادات الخارجية ، كما أن المبر من الداخل مهيأ الغارات الداخلية ، و بجانبهم الغابات الكثيفة للالتجاء إليها عند الحلجة . أخذوا يقيدون المعاقل فى هذه المنطقة ، وتوالت عليهم الامدادات من أسبانيا و ثهائى أفريقية ، وأهم الحصون التى بناها العرب حصن فراكسينيتوم Fraxinetum ، وموضعه الحالى هو المكان المعروف بامم لاجارد فريني Hyèro و مرجع بين هيير علير Hyèro وفريجوس (1) وبقاد المروف بام

أما تسميته بهذا الاسم ، فاختلفت حوله الأقوال ، ويحتمل أنه كانت توجد قرية رومانية قديمة بهذا الاسم ، في هذا المكان ، احتلها العرب وأزالوها ، واختاروا قمة الجبل لانشاء هذا الحصن ، وأطلقوا عليه اسم القرية (٢٠) ، وربماكان أصل التسمية مشتقا من شجر البلوط Fraxinus الذي يكثر في هذه المنطقة ، والمعنى المجازى لهذا الاسم : حربة أو رمح ذو عمود أو مقبض مصنوع من خشب المبلوط ، وقد يرجح هذا التفسير الأخير بدليل أن هذه التسمية أطلقت على مواضع Savoy في هذه المنطقة وما يتأخها ، في دوفيني Dauphiné وسافوي وبيدمونت .

<sup>. (</sup>١) المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١٣٠ ؛ غزرات العرب ص ١٦٠ - ٢٨١ ؛ Pireme, Moh. & Charl., pp. 156, 249 ؛ كليليا (Clelia) علمه السامري ص ١٦٤ – ١٨٥ ؛ وكان العرب ص ١٦٠ – ١٦٦ (٢) غزرات العرب ص ١٦٧ – ١٦٦

وقد أورد المؤرخ بيرين Pireane نصا مؤداه ، أنه فى أغسطس من عام ١٩٥٨ م ، أو حوالى عام ١٩٨٨ م ، استقر بعض مسلمى أسبانيا فى منطقة بروفانس وأسسوا حصبنا قويا فى فراكسنييتوم (۱۱) .

أضحت فراكسنييتوم عاصمة الممتلكات الاسلامية في هذه المنطقة ، وكانت مشمولة برعاية خلفاء قرطبة . والملاحظ أن الخليفة الأموى المعاصر لتأسيس القاعدة : هو الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ( ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ ٨٨٨ - ٩١٢ م ) . وقد تمكن المسلمون ، بفضل مناعة هذا المعقل ، أن يتحكموا في بروفانس ودوفيني ، ومنه بعنوا بغاراتهم على البلاد المجاورة ، فترغلوا في منطقة مرسيليا ، وصعدوا على نهر الرون ، ونشروا الفرع والرعب في مقاطعتي فالنتان. مسيليا ، وصعدوا على نهر الرون ، ونشروا الفرع والرعب في مقاطعتي فالنتان.

وامتد سلطان المسلمين إلى مدينة نيقة Nice ، وتتبع مملكة آرل ، وسكنها 
Canton dés Sarrazins كثير من المسلمين ، وكان لهم بها حى خاص نسب إليهم 
Cathon dés Sarrazins ، وليس من المعروف 
كذلك احتل المسلمون مدينة جرنوبل Grenoble ، وليس من المعروف 
بدقة ، تاريخ دخولهم فيها ، وقد عثر على كنابة متقوشة على حجر ، تدل على وجود 
المسلمين فيها ، ويرجع تاريخ هذه الكتابة إلى عام ٩٥٤ م (٣) ؛ أى زمن عبد الرحمن 
الناصر الأموى في الأندلس (ت ٣٥٠ هـ ٩٦١ م) .

امتدت غزوات المسلمين إلى سافوى Savoy وهناك أسياء عربية كثيرة ، عثر عليها فى سافوى ، مما يدل على إقامة المسلمين يهذا الاقليم ، من ذلك وادى السرازين أى وادى المسلمين كالافاد في Vallée des Sarrasins قرب موذان 41)

ولا شك أن تحكم العرب في قلعة فرا كسينيتوم بجنوبي فرنسا ، كان عاملا أساسيا في استمرار الغزو الاسلامي لهذا الاقلم وما وراء الألب (٥٠ ، ولذلك نجد أنه بعد

Piretre, op. Cit., p. 249 : وراجع (١) أنظر الخريطة ، وراجع

<sup>(</sup>٢) مؤنس: المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١٣٠ ؛ أرسلان : فزوات العرب ص ١٧٠

<sup>(</sup>٣) غزوات العرب ص ١٧٤

<sup>(</sup> t ) غزوات العرب ص ١٧٥ – ١٧٦ ·

<sup>(</sup>ه) أنظر ما يلي.

سقوط هذا الحصن الاسلامي حوالى ٩٧٥ م ، قلت حركات العرب في تلك المناطق وربما انقطعت .

ومع ذلك حاول المسلمون استثناف الغزو والفتح فى جنوبى فرنسا ، فى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى ، غير أن غزوات هذه الفترة لم تأتخذ صفة الدوام ، لتغير الأحوال فى أوربا المسيحية وفى أسبانيا الاسلامية بصفة خاصة (١) .

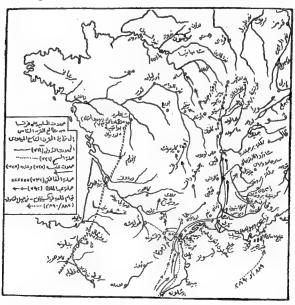
وقعت هذه الغزوات الأخيرة زمن سيادة آل كاني Capets بفرنسا (۲) ، ويزعامة مجاهد مسلم مغاهر هو أبو الحسين مجاهد بن عبد الله العامرى الصقلبى المسيحى الأصل (ت ٤٣٦ هـ ١٠٤٥ م) ؛ وقد أشارت اليه الكتب الأجنبية الماصرة باسم Miyet أو Musectus . وكان مجرد ذكر اسمه يلتى الرعب فى قلوب المسيحيين . اتخذ مجاهد من قاعدته دانية Denia بشرقى الأندلس ، مركزا للوثوب على جزر حوض البحر الأبيض الغربي ، وسواحل فرنسا الجنوبية وسواحل إيطاليا (٣) .

<sup>(</sup>١) أنظر ما يلق.

<sup>(</sup> ٢ ) جد آل كاني الأعل هو روبرت القوى R. the Strong وقد برزت شجاعة روبرت وابنة أودو Odo فى رد غارات النورمان عن باريس ، على وقد برزت شجاعة روبرت وابنة أودو Odo فى رد غارات النورمان عن باريس ، على المواذ فو أنها الأصلى وشارل السين ، وكان ذلك فى خواتيم القرن التاسم الميلادي. ومن هذه الأسرة من أخذ لقب ملك، مع وجود الملك الكارولنجي، حي إذا كانت نهاية عهد لويس الماس الكارولنجي المتوفى عام ١٩٨٧ م ، اجتمع صادة فرنسا الأطاعيون مع رجال المدين ، وناسبت إلى هيو هذا ، وبدأ بهذا تاريخ الملكية الإفساعية فى فرنسا ، جدينة هي أمرة آل كاني ، ونسبت إلى هيو هذا ، وبدأ بهذا تاريخ الملكية الإفساعية فى فرنسا ، واستمرت نحو ثلاثة قرون . (راجع : Dutaillis, P., The Feudal Monarchy in France واحسرت نحو ثلاثة قرون . (راجع : Bagiand, pp. 7 — 11; Brooke, Z. N., A History of Burope (911 — 1198) , pp. 3, 101 — 182; Messon, G., Mediaeral France, pp. 1 — 21)

<sup>(</sup>٣) كان مجاهد الدامرى من موالى المنصور بن أبي عامر، وبرلاء حكم مدينة دانية ، فاستقل بها بعد وقاة ابن أبي عامر ووسم ملكه ونفوذه في البحر ، وقصة حياته وازدهار بلاطه من أساطير البطولة والعظمة ( راجع : اين خللون ج ٤ ص ١٩٥٠ ؟ الروض المطار ص ٢٥١ ؟ الروض المطار ص ٢٥١ ؟ اين الخطيب س ٢٥١ س ٣٠٠ ؟ عميم الأدياء ج١٧ س ٨٠ ؟ المسلمون في حوض المبحر الأييش من ٢١١ ؟ فزوات المرب من ٢٠٠٣ ؟ كيليا من ٢١١ - ٢١٤) :

وخلال النصف الأول من القرن الحادى عشر ، تعرضت سواحل فرنسا لفزوات المسلمين ، فغزيت عين الطيب عام ١٠٠٣ م ، وفى عام ١٠١٩ م ، هاجم المسلمون مدينة أربونة Narbonye ، ولكنهم ردوا عنها ؛ كذلك هاجم المسلمون جزر لاران Larins أمام سواحل فرنسا الجنوبية ونزل بها فريق منهم عام ١٠٤٧م. وكلها غزوات سريعة، هدفها الحصول على المغنم إذ تعلوت الاقامة والاستقرار؛ وعشر في مدينة مارتيج Martigues عند مصب الرون، وفي جزر هير Hyères على بعض الأوراق المالة على إقامة المسلمين فترة من الزمن في هذه المجاول المحاول على العض الأوراق المالة على إقامة المسلمين فترة من الزمن في هذه المجاول المحاول على بعض الأوراق المالة على إقامة المسلمين فترة من الزمن في هذه المجاول المحاول على بعض الأوراق المالة على إقامة المسلمين فترة من الزمن في هذه المجاول المحاول المحاول



(١) غزوات العرب س ٢٠١ – ٢٠٢

## النفوذ الاسلامي في ايطاليا

أما شبه الجزيرة الايطالية ، وهى «البر الطويل» ، كما يسميها العرب ، فلم تكن بنجوة من تطلع المسلمين إليها ، يحكم موقعها وسط البحر الأبيض ، وإحاطة النفوذ الاسلامي بها من أكثر من جهة ، وساعدت أحوال الانقسام السائدة في إيطاليا ، على سرعة انتصارات العرب فها .

واشتد الغزو الاسلامي لايطاليا ، خلال عمليات الفتح الاسلامي في جزيرة صقلية ، فقد اتخذ المسلمون من صقلية ، نقطة وثوب على إيطاليا ، كما اتخذوا من الأندلس نقطة وثوب على فرنسا . ولم تستطع بيزنطة ، السيد النظري لايطاليا ، أن تعمل شيئا ، بسبب انشغالها في ميادين أخرى(١) ، وعدم رضا البابوية عنها ، مما دفع الأخيرة إلى التطلع إلى الفرنجة ، الخاسا لحمايتهم ، ضد اللومبارد أولا ، وضد المسلمين من بعدهم .

كان معظم إيطاليا الجنوبية في ذلك الوقت ، وهو القرن الثالث الهجرى والتاسع الميلادى ، خاضعاً لأمراء بنفتتم Beneventum من اللومبارد ، كما كانت هناك جمهوريات إيطالية صغيرة في : نابلي Naples وجراتيا Gacta وسورنتو Salernum وأمالني Amalf وسالرنو Salernum وكابوا Capua وهذه كلها تتطلع إلى الامبراطورية البيزنطية وتتبعها إسميا ، ويسودها النظام الاقطاعي .

<sup>(</sup>١) شغلت الامبراطورية اليونطية ، منذ مطلع القرن الثامن الميلادى ، في صراح دين داخل ، بحب حركة تحطيم الصور المقدمة أو فيها عرف باسم الحركة اللوايقونية Iconoclactic Movement ؛ كنا شغلت بالصراح حول الدرش ، وهو السراح الذي أدى إلى انتقال الحكم من الأسرة الايسورية (٧١٧ - ٨٦٠ م) إلى الأسرة المقدونية (٨٦٧ – ٨١٥ م) ؛ يضاف إلى ذلك ضغط الخلافة السياسية على أطرافها الشرقية ، وازدياد خطر الميلفان في المبلقان (راجم :

Lindsay, Op. Cit., pp. 406—117; Bayet (H. G. T. I.), pp. 626—628, 649—51; Levtchenko, pp. 135—141; Vassilies, pp. 360—94; Dickls Marcais Le Monde Orientale (H. G. T. III), pp. 249—58, 450—59; Tames, E., op. cit. pp. 17—38; Milmen, H. H., History of the Latin Christianity, Vol. II, pp. 33—377.

الباز : الدولة البيزنطية ص ٢٠٠ - ٢٠١ )

وقد حاولت هذه الجمهوريات الوقوف ضد أطماع أمراء بنفتتم والحيلولة دون توسفهر(۱) .

ولما كانت هذه الحمهوريات الإيطالية ، تفتقر إلى مساعدة المسيحيين . وتحفي من كثرة الحروب ، ودومها منافسة أمراء بنفتم ، فقد اضطرت إلى محالفة المسلمين في صقلية ، وهكذا تحالفت نابلي مع مسلمي صقلية في عام ٨٣٠ م أو ٨٣٥ م . ودام هذا التحالف نحو خسين سنة ، رغم احتجاج المسيحيين (٢) . والواقع أن جمهورية نابلي ، كانت قد سئمت من الخضوع لامارة بنفتم والاتاوة التي كانت تدفعها لم . لم يتوان المسلمون في تقديم العون اللازم الحمهورية نابلي ، حين حاصرتها جيوش بنفتم بقيادة سيكار دوس Sicardus اللومباردي ، وتجحت القوات الاسلامية التي أرسلها أبو الأغلب ابراهم بن عبد الله ( ٢٢٠ / ٣٣٠ هـ ٥٣٠ ـ ٥٠٥ م ) وإلى صقلية ، وطردت المحاصرين . وخلال هذه العمليات ، كان المسلمون يوسعون سلطانهم في صقلية (٢٢ )

ومع أن استنجاد مسيحي إيطاليا بالمسلمين ، كان سابقة خطيرة ، إلا أنها تكررت ، فقد بحأت اليها مدن أخرى من الجنوب الايطالى ، ولا سيا خلال الحرب التي اندلعت بين بنفتتم وسالرنو<sup>(2)</sup> ؛ بل حدث خلال الصراع الذى وقع عام ٨٣٩ م بين الأمراء اللومبارد أنفسهم فى بنفتم ، أن استمان المتنافسون بالمسلمين ، فاستمان فريق منهم بالأغالبة فى أفريقية وفى صقلية ، واستمان الفريق الآخر بمسلمى كريت أو مسلمى أسبانيا . وكان من تتيجة هذا الصراع الداخلى ، أن ممكن المسلمون من اجتياح جنوبي إيطاليا بسرعة ، وامتداد مجال غزواتهم إلى جميع شواطىء إيطاليا المطلة على البحر الادرياقي والبحر التيراني .

وسوف أعرض للمناطق التي انبسطت عليها السيادة الاسلامية ، بحسب تاريخ قيام هذه السيادة ، ولو أن الترتيب التاريخي غير مضطرد في بعض الأحيان ،

<sup>(</sup>١) كرد مل: الخسارة الإسلامية ج ١ ص ١٠٥ ؛ Hunt, p. 13 إ كرد مل:

Scott, II, p. 25 ( Y )

<sup>(</sup> ع ) Scott, II, pp. 26 -- 27, 51 ( ب ) انظر الباز : الدرلة البيز نطية ص ٢٠٠-١٠٠١

Hunt, P .31 ( t )

بسبب أن الغزو الاسلامى ، كان يقع فى أكثر من جهة فى وقت واحد ، فضلا عن ` تكور الغزوات ، ولذلك سوف يكون هذا الترتيب التاريخي بالنسبة للغزو الأولى .

فني عام ۱۸۱۲ ، هاجم المسلمون لامبدوزا Lampedouza وبوتزا Potza وإيشيا على انشواطيء الايطالية ، كما هزموا أمالني (۱) . وفي عام ۲۷۲ه / ۸۳۲ م احتل المسلمون برنديزى Brundisium ، وفشل أميرها في طردهم ، فأحرقوها وعادوا إلى صقلية ، ثم تكرر الغزو حتى استولوا عليها عام ۲۲۴ه / ۸۳۸ م . وكان عرب كريت ، بمساعدة عرب صقلية ، هم الذين أنموا الفتح ، واستمرت سيادة المسلمين على برنديزى إلى عام ۵۷۰ م ، أى نحو ثلاثير سنة واستمرت سيادة المسلمين على برنديزى إلى عام ۵۷۰ م ، أى نحو ثلاثير سنة (۵۲۸ م )(۲۷).

أما شبه جزيرة كالابريا Calabria ، وهى التى أطلق المسلمون عليها اسم قلوريه أو « يلاد قلفرية » ، فقد هاجمها المسلمون ، وخربوا مدينة كابو Capua ، وذلك فى غزوة سريعة <sup>(۳۲</sup> ؛ وقد أشار ابن الأثير إلى الغزوة الكبرى لاقليم قلوريه ، ضمن حوادث ۲۷۵ هـ ( ۸۳۹ م ) ، فقال :

و وسار أسطول المسلمين إلى قلوريه ، ففتحها ، ولقوا أسطول صاحب القسطنطينة ، فهزموه بعد قتال ، فعاد الأسطول إلى القسطنطينة مهزوما ، فكان فتحا عظيا (٤٤) ي . على أن غزوات المسلمين على قلوريه لم تنقطع حتى سنة ٨٨٨م ، التي انتصر فيها المسلمون على الأسطول البيزنطى ، بعد وفاة الامبراطور باسل الأول المقدوني عام ٨٨٦م (٥٠).

ونجح المسلمون فى احتلال طارانت Tarentum عام ٨٤٠ م ، وهى قاعدة بحربة هامة على مدخل الادرياتى ؛ وعرب كريت ، هم الذين تولوا حكمها

<sup>(</sup>١) مؤنس : المسلمون في حوش البحر الأبيض ص ١١٢

<sup>(</sup>٢) أرشبياله ص ٢١٥ ؟ كرد على ج ١ ص ٢٧٦ ؛ المسلمون في حوض البخر الأبيض ص ١١٢

<sup>(</sup>٣) صبح الأعثى جـ ه ص ١١٠ ؟ المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٢

<sup>( ۽ )</sup> تاريخ الکامل ج ٢ ص ١٨٢

<sup>(</sup> ه ) أرشيبالد ص ٢٢٠ – ٢٢١

: يعد ذلك ، حوالى سنة ٨٤٢ م أو ٨٤٣ م ؛ وامند حكم المسلمين فى طارانت نحو أربعين سنة (١٠) .

خشى البنادقة على تجارتهم من السيادة الاسلامية على جنوبي ايطائيا ، فأرسلوا السطولا من ستين سفينة ، وكان الامبراطور البيزنطى ثيوفلس Theophilus ، مرح ٨٢٩ - ٨٤٨ م) قد أغراهم بالمسلمين ، غير أن أسطول البنادقة ، لتي هزيمة منكرة أمام الأسطول الاسلامي في مياه طارانت قرب كرتونا Cortona ، حيث تحميل الأسطول البندق (٣٠ .

أما سقوط باره Bari فى يد المسلمين ، فكان خلال الهمراع بين أمراء بنفنتم واستعانة المتنافسين بالمسلمين ، ولذا تمكن المسلمون من بسط سلطانهم على باره عام ٨٤١م ، حيث تكونت إمارة إسلامية ، استمرت نمحو ثلاثين سنة (٨٤١هـــ ٨٧١ م ) ، كما نجيح المسلمون فى احتلال بنفتتم نفسها لمدة خمس سنوات (٨٤٢ ـ

وبارى ، ميناء هامة على ملخل البحر الادرياتى ، فهى تتحكم كغيرها من الموانى الجنوبية فى البحر الادرياتى ، ولذلك اتخذها المسلمون قاعدة التوسع فيا حولها . واشتهر من قادة المسلمين فى بارى المفرّج بن سلام ، الذى يقال ، إنه فتح أربعة وعشرين حصنا ، زمن خلافة المتوكل على الله العبامى ( ٢٣٧ – ٢٤٧ هـ – ٢٤٧ مرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة ، إلا بأن يعقد له الامام – أى خليفة بغداد حالى ناحيته وبوليه إياها ، ليخرج من حد المتغلبين ابن سلام فى باره مسجلا جامعا ؛ وامتد نفوذه على أشهر بلاد أبوليا هالملله ابن سلام فى باره مسجلا جامعا ؛ وامتد نفوذه على أشهر بلاد أبوليا هالملله ولكنه قتل على يد أحد منافسيه ، وخلفه شخص يسمى سوران ، بعث إلى الخليفة

C. Med. H. IV, pp. 149-50 ؛ ١١٢ السلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٢ ؛ 30-149

<sup>(</sup>۲) أرشيباله ص ۲۱۵ ؛ كرد على ص ۲۷۹

<sup>(</sup>٣) المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٢ ؛ كرد على ج ١ ص ٢٧١

<sup>( ؛ )</sup> البلاذري ق ١ ص ٢٧٧

المتوكل على الله ، ليعقد له على ولاية بارة ، إلا أنه مات قبل أن يبرح رسوله <sup>.</sup> إلى الشرق <sup>(١)</sup> .

ويبدو أن المفرج بن سلام وسوران من أهل كريت ، ولا صلة لهما بالأغالبة ، وأيهما عملاً إلى جار الخلافة العباسية فى بغناد، يراجعانها مباشرة، لتصح ولايتهما (٢٠) واشتهر حاكم باره المسلم بالتسامح، حتى أنه كان يشجع المسيحيين ويساعدهم على الرحلة إلى فلسطين لأداء الحجج ، وذلك بتسير حصولهم على السفن وتسهيل مرورهم على البلاد التي يجتازونها ، ولا سيا مصر (٣٠) .

كذلك لم تسلم روما من الغزو الاسلامى ، خلال عمليات الفتح لجزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا ، فتعرضت في عام ٨٠٩ م لغزوة ، ويقال إن هذه الغزوة وقعت في يوم السبت في عيد الفصح في ذلك العام ، ولكن المسلمين لم يسيئوا إلى البابا ليو الثالث لكبر سنه (٤٤) ؛ وتكرر الغزو عام ٨٤٢ م ، وفي هذه الغزوة هاجم المسلمون الأراضي البابوية وهزموا حاميات كيفيتا فكيا منونا أوستيا Civita Viccia مياء مدينة روما ، ووصلوا حتى ضواحي روما ، ونوفا أوستيا Nova Ostia أسالي المرجيوس الثاني المحتوجة في المحتوجة المحت

غير أن حلف كامبنيا ، الذى كان معاديا للمسلمين فى عام ٨٤٦ م ، صار حليفا لهم فى عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م حين عاد المسلمون لغزو روما ، وكانت القوات الاسلامية المحاصرة من الأندلس وأفريقية ؛ وفى هذه الغزوة خرج البابا حنا الثلمن

<sup>(</sup>١) ألبلاذري ق ١ ص ٢٧٧ ؛ صبح الأعشى جه ص ٤١٠ ؛ أرشيبالد ص ٢١٥

<sup>(</sup>٢) كرد على ج ١ ص ٢٧٧

۲۷۵ س ارشیبالد ص ۲۷۵ Deansoly, p. 375 ( ٤ )

<sup>(</sup>ه) کرد علی ج ۱ مین ۲۷۸

John VIII وفاوض المسلمين في أمر رفع الحصار المضروب على روما نظير دفع جزية سنوية قدرها مائة ألف مثقال من اللحب : وذلك بعد أن أعيت الجمهود البابا في إثارة الامبراطور شارل الأصلع الفرنجي ( ٥٥٥ – ٨٧٧ م ) ، رخم أن البابا كان قد توجه امبراطورا في روما في يوم عيد الميلاد سنة ٨٧٥ م ، بعد وفاة لويس الثانى . ولكن شارل الأصلع لم يكن بمثل روح سلفه ، وتقاعد عن إنقاذ البابوية ، كما أن بيزنطة كانت حانقة على البابوية لاتجاهها إلى الفرنجة ، وبذلك أضحت السدة البابوية Holy See خاضعة المسلمين (١) .

وتكرر الغزو الاسلامى لايطاليا ، كلما اشتد التنافس بين الأمراء المحليين فى شبه الجزيرة ، واجتاح المسلمون شواطىء ايطاليا ومدن كامبنيا ، وهاجموا مالرنو وتابلى وجايتا وكابوا ومونت كاسينو واحتلوا منطقة ميزنيوم Misenium تحت أسوار نابلى . وأشهر الغزوات التى اجتاحت هذه المناطق ، كانت فى سنوات :

وعند مصب نهر جارليانو Garigliano ، أسس المسلمون إمارة اسلامية عام ۸۸۲ م أو ۸۸۳ م ، وصارت هذه الامارة مركز تهديد مستمر الولايات البابوية ، وعمرت نحو أربعين سنة (۸۸۲ – ۹۱۵ م) (۳).

وفى مطلع القرن العاشر الميلادى ، نجع المسلمون فى الاستيلاء على مدينة ربو Reggio فى قلورية ، بقيادة أنى العباس سنة ٩٠١ م ، وبنى أبو العباس فى ربو مسجدا كبيرا ، واشترط على أهلها ألا يتعرضوا للمسلمين فى عمارة ،سجدم ، أو فى الاختلاف اليه لتأدية فروض اللمين، وحرم علىالمسيحيين دخول المسجد ، وكذلك أعلن أن من دخله من المسلمين كان آمنا ، وأنه إذا خرب النصارى فيه حجرا هدمت كنائسهم كلها بصقلية . وقد راعى سكان ربو هذه الشروط ، غير

Hunt, p. 14 

 14 

 174 

 14 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

 174 

Deansely, p. 450 ، Scott. II, p. 35 ؛ ١١٣ س البحر الأبيض عن البحر الأبيض البحر الأبيض البحر الأبيض البحر الأبيض البحر الأبيض البحر الأبيض البحر المرابع المرا

Aunt, p. 13 ، Scott, II, p.35 ۲٧٨ - ٢٧٧ س ٢ ٢٩ کرد على ج ١ ص ٢٧٨

أن المسجد لم يستمر عامرا أكثر من أربع سنوات ، إذ كان البابا حنا الثامن قد استنفر البيازنة لتحرير مدينة ربو من المسلمين<sup>(۱)</sup> .

\*\*\*

على أن غزوات المسلمين لم تقتصر على جنوبي ايطاليا ووسطها ، فقد امتدت إلى شهالى إيطاليا كذلك ، لكن يلاحظ أن هذه الغزوات في تلك الأصقاع ، لم تؤد إلى شهالى إيشاء إمارات اسلامية في الأرض الايطالية ، كما هو الشأن في الجنوب ، ومع ذلك فقد كانت غزوات ملحة ؛ وأول غزوة في شهالى ايطاليا ، كانت عام ٧٣٥ م ، على أثر وقعة بلاط الشهداء في فرنسا ( ٧٣٧ م ) ، وفها توجه عقبه بن الحجاج السلولى على رأس جيش ودخل بيدمونت وغنم منها ، ولكنها كانت غزوة سريعة (٢٠) م فترت حركات المسلمين في شهالى إيطاليا ، مدة من الزمن .

وفى عام ٨٣٤ م ، غزا المسلمون ثغر جنوه ، وتكرر الغزو فى العام التالى ، وغنم منها المسلمون وعادوا . ولكن سواحل البحر الادرياتى الشهالية ، استهدفت لأكثر من غزوة منذ عام ٨٤٠ م ٣٠ فقد حدث على أثر اشتراك البنادقة فى العمل على طرد المسلمين عقب استيلائهم على طارانت فى ذلك العام ، أن توجهت الأساطيل الاسلامية إلى ساحل دالماشيا وتهبت مدينة أوزيرو Osero فى جزيرة خرسو Cherso التابعة للبنادقة ، وأسر المسلمون عددا من سفن البنادقة كا أسرواكثيرا من أهل مدينة أنكونا Ancona ، ولم تسلم البندقية نفسها من الخزو(٤٠).

وعند مصب نهر البو Po ، يقع ثغر كاماتشيو Camaochio وهذا بدوره تعرض لاجتياح المسلمين عام AVo م ، ثم غزيت البندقية ، وتوخل المسلمين في الداخل حتى وصلوا إلى حدود استريا Istria ، ثما كان له أثره في تعطيل تجارة إيطاليا البحرية (°).

<sup>(</sup> ۱ ) کلیلیا ص ۲۰۰ ؛ کرد علی ج ۱ ص ۲۷۸ ؛ ۲۷۸ می ۲۰۰ نام ۲۰۰

<sup>(</sup>٢) فجر الأندلس ص ٢٨١

<sup>(</sup>٣) المسلمون في حوض البحر الأييض ص ١١٣ ؛ كرد على ج ١ ص ٣٧٧

<sup>. (</sup> و ) أرشيباله ص م ٢١٩ - ٢١٩ : كرد على ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ م ٢٠٥

<sup>(</sup> ه ) المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١٦٦ ؛ كليليا ص ١٩٨ – ١٩٩

على أنه منذ أن استقر المسلمون فى قلعة فراكسينيتوم حوالى عام ١٩٥ م جنوبى فرنسا ، لم تنقطع الغارات الاسلامية عن شهالى إيطاليا . وما حوله من الجهات فتحكم المسلمون فى ممرات جبال الألب ، وعبروا ممر جبل سنى Mont Cenis لله م فهرب رهبان دير نوفاليز Novalese — على حلود بيدمونت \_ إلى تورين . واستطاع بعض أهالى نلك المناطق أن يقبضوا على فريق من غزاة العرب ويعتقلونهم فى مدينة تورين Turin ، لكن هلمالفريق تمكن من الإفلات وأحرقوا الدير الذي اعتقلوا فيه ، وكادوا يحرقون بعض الأجزاء من مدينة تورين (١٠) .

لم يستطع العابرون والسفار أن يجتازوا مضايق الألب ، إلا إذاكانوا مساحين أو أخذوا إذنا من العرب المتحكمين فى جميع ممرات الألب ، أو دفعوا رسما نظير مرورهم .

وكثرت غاراتهم فى ثبالى إيطاليا وهاجموا مدينة مونتفراتMontferrat ومدينتى آستى Asti وآكى Acqui و الأخيرة مشهورة بحماماتها المعدنية ، ووصلوا إلى حدود ليجوريا Liguria و دخلوا جنوه وغنموا (٣).

Prascenedellum وللعرب حصون في منطقة بيدمونت ، منها حصن فرسكنديلوم Praxinetum قرب كازل Casal على نهر البو ، ويسمى كذلك حصن فراكسينتوم ويقال أن مكانه الآن مدينة فنسترال Penestralle?

### \*\*\*

وجاء دور مدينة لونى Inni على ساحل إيطاليا الشهالى الغزبى ، فى مطلح القرن الحادى عشر الميلادى ، وذلك على يد مجاهد العامرى ، أمير دانيه Denia ، وموقع هذه هام كركز تجارى وصتاعى ، وقد اشتهرت بصناعة الرخام ، ولها علاقات تجارية نشطة مع روما والجزر التسكانية وجزيرة قورسيقة . ولذلك بعد أن فرغ مجاهد من غزو جزيرة سردانية في عام ١٠١٥ م ، اتجه إلى لونى واستولى

<sup>(</sup>۱) غزوات ألعرب ص ۱۹۷

 <sup>(</sup>۲) غزوات الدرب ص ۱۷۰ – ۱۷۱ ( من ليتوبرانه Liutprand المؤرخ الإلماق المتوفى
 سنة ۹۷۰م) ؛ المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ۱۳۰

 <sup>(</sup>٣) أنوات الدرب ص ١٧٥ (عن مؤرخ دير نوفاليز ، وهو مؤرخ مناصر لكه مثاله
 ومتعمب) .

عليها ، واتخذ منها قاعدة لأعماله الحربية في إيطاليا ، ويعتبر هنجوم مجاهد على لونى ، آخر هنجوم إسلامي على هذه المنطقة . إذكان رد الفعل عميقا عند المسيحيين(١) ر

ولما كانت حراسة مدينة بيزا Pisa ضعيفة فى ذلك الوقت ، نظرا لأن قوات البيازنة كانت قد توجهت نحو المغنوب بدعوة من البابا حنا الثامن عشر ، لتخليص مدينة ريو Reggio من قبضة المسلمين ، فى ذلك الوقت ، هاجمها مجاهد العامرى واحتل حيا من أحيائها وأحرقه ، لكنه عجز عن احتلال المدينة كلها ، ويقال إن فشله فى الاستيلاء على مدينة بيزا وإخضاعها ، يرجع إلى شجاعة امرأة مواطنة ، إذ سمحت أصواتا غربية فى جنع الليل ، حين اقتح مجاهد نهر الأرنو Arno بسفنه ، فهبت المرأة ، وتوجهت إلى حاكم المدينة وأفضت اليه بالخير ، فنهض على الفور ، واسم هذه المرأة كيوسكا جيز، وندى واستغفر قومه ودفعوا العلو المهاجم ، واسم هذه المرأة كيوسكا جيز، وندى (Chuisica Gisemondi)

## - £ -

# امتداد الفزو الاسلامي الى سويسرا وأعالى الراين

القاعدة فراكسينيتوم – تحكم المسلمين في ممرات الألب – اجتياح منطقتي فاليه وفات (أوفو) السويسريتين ( ٩٣٦ م ) – شرقى سويسرا – وصول المسلمين لي مجيرة كونستانس ومقاطعة سانت جالن في أعالى الراين ( ٩٣٩ م ) – حول إقامة المسلمين في سويسرا .

استطاع المسلمون ، وهم فى قلعتهم الحصينة فى فراكسينيتوم بجنوبى فرنسا ، أن يشنوا غلواتهم على ما حولها من البلاد والأقاليم، وذلك منذ حوالى عام ١٩٩٠م ، وقلك منذ حوالى عام ١٩٩٠م ، وقد سهل عليهم أن يتحكموا فى ممرات جبال الألب فى مطلع القرن العاشر الميلادى ، بل واتتهم الظروف التى جعلت من سيطرتهم على منطقة الألب ، سيطرة قانونية

<sup>(</sup>١) المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٦ ؟ كليليا ص ١٩٨ – ١٩٩

<sup>(</sup> ۲ ) كىيليا س ۲۰۰

أو شرعية ، اعترف بها أولو الأمر انوطنيون المعاصرون فى جُنوبى فرنسا وشهالى إيطاليا .

فقد حدث أن صراعا شب بين هيو Hugh ( ت ٩٤٨ م )كونت بروفانس ، على أثر انتقال تاج مملكة لومبارديا إليه ، عام ٩٢٦ م (١١) ، وبين البريك Albericus ابن زوجته مارو نزيا Marozia ، حول النفوذ في إيطاليا ، على أن البريك ،



Brooke, op. cit., p 34 (1)

استطاع أن يكون السيد الآمر اثناهي فى روما والبابوية ، وأن يتحكم فى المدينة الخالدة نحو اثنتين وعشرين سنة ، أكثر من هذا ، تمكن من أن يعين ابنه بابا ، وهو الذى عرف باسم البابا حنا الثانى عشر ( ٩٥٥ - ٩٦٤ م ) (١) .

وخلال صراع هيو في ايطاليا ، اشتدت غزوات المسلمين في منطقة بروفانس ، وممكنوا آنك عن بسط نفوذهم على منطقة جبال الآلب وممراتها ، فاستصرخ به رعاياه ، مما اضطره إلى الاستعانة بالامبر اطورية البيز نطية ، وهذه أنجدته بأسطول مسلح بالنار الاغريقية ، وبينا هو يضيق الخناق على حصن فراكسيثيتوم الاسلامي، قام منافس خطير له، يطمع في عرش مملكتة لومبارديا ، وهو برنجر الأول Borengerl ، وبحاً إلى الامبر اطور أوتو Otto عام ١٩٤٧ م ، ولكى يقطع هيو الطريق على منافسه ، اعترف بسيادة العرب على منطقة الألب وبامتلاكهم لما برعد معهم معاهدة ، طلب إليهم فيها ، كما يقول المؤرخ الألماني ليبر الله لما المعرب على عودة منافسه ، وقد وفي المعرب بهذا الشرط، فلم يستطع برنجر العودة إلى إيطانيا إلا عن طريق التيرول (٧٠) .

وبذلك أضحى المسلمون سادة فى منطقة جبال الألب ، وفى الحدود بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا، وصاروا يتقاضون رسوما علىالقوافل المارة عبر ممرات الألب، إسواء أكانت هذه القوافل للتجارة أم للحج إلى روما .

ومن هذه المعابر ، هاجم المسلمون سويسرا، ولاسيا عن طريق ثمر سان بر ناود St. Bernard ، وهو الذي يفصل بين وادى أو مقاطعة فاليه St. Bernard السويسرية وبين شمالى ايطاليا . واجتاحوا منطقة فاليه ، وكذلك منطقة جريزون Grisons ؟ والملاحظ أن رجال الدين الذين جفلوا أمام المسلمين في بروفانس ، كانوا قد بحأوا إلى فاليه ، ومعهم ما استطاعوا حمله من كنوز وأموال وتحف ، فكان ذلك من بين أسباب عبور المسلمون إلى سويسرا ؛ وقد وصل المسلمون إلى شواطىء بحيرة جنيف Geneva حوالى عام ٩٣٦ م ، ومن المحتمل أن هذا

Ibid, p. 35 ( 1 )

<sup>(</sup> ٢ ) غزوات العرب من ١٧٤ (رينو ) ، ه ه ٢ (كلر ) ؟ Brooke, p. 35

التاريخ لا مجدد أول دخول العرب فى سويسرا ، والغالب أنهم دخلوها منذ مطالع القرن العاشر الميلادى<sup>(١)</sup> .

واشتدت وطأة الغزوات الاسلامية في المنطقة الفسيحة بين بحيرة كونستانس Constance في الشيالى انشرق من سويسرا ، وبين مدينة كور Chur في شرقى سويسرا ؛ وفي حوليات المؤرخ فلدور Flodoard عن حوادث عام ٢٩٣٩ م : وأن العرب شنوا الغارة على سويسرا الألمانية ، وأنهم قتلوا كثيرا من الحجاج الماثدين من روما ٢٠٠٥ و والواقع أن قسها كبيرا من سويسرا الألمانية ، وهو الواقع بين ملمينة كور وبين أعلى الراين ، كان ميلانا لنشاط العرب ؛ وقد عثر في سجلات ديركور على كتابة تدل على أن الامبراطور أوتو الكبير (١٩٣٦ - ٩٧٣ م) عوض فالتو على كتابة تدل على أن الامبراطور أوتو الكبير (١٩٣٦ - ٩٧٣ م) عوض فالتو المسلمين . وكان هرمان المسلمين أمير سويسرة الألمانية ، قد التمس من الامبراطور هذا العوض لديركور ، في أخيلس الذي عقده أوتو في مدينة من الامبراطور هذا العوض لديركور ، في أخيلس الذي عقده أوتو في مدينة كدلنبرج Quedlinburg في أبريل من عام ٩٤٠ م ٢٠٠٥ .

وحوالى عام ٩٣٩ م ، أوغل العرب في منطقة فات Waadt (وهي نفسها فو Vand ) وقاعدتها لوزان Iusanne الواقعة على الشاطىء الشهالى الشرقى لمحيرة جنيف . كذلك وصلوا إلى منطقة أفانشي Avanchez ومنطقة نيوشاتل Appenzell وإلى مجيرة كونستانس ، وسانت جالن St. Gallen وأبنزيل Sargans وسارجان Sargans وتوجنبرج Togenburg ، وكل هذه المناطق في أعالى الرابر (٤٤).

وتبعا لرواية الراهب المؤرخ اكهارت Bokehard مقدم ديرسانت

<sup>(</sup>١) غزوات العرب ص ٢٥١ (كلر).

<sup>(</sup> ۲ ) غزوات المر ب ص ۲۰۱ (کلر )

<sup>(</sup> ٣ ) غزو ات المرب ص ٢٥٢ ، ٢٥٥ – ٢٥٦ (كار) .

<sup>(</sup>٤) المسلمون في حوض ألبحر الأبيض ص ١٣٠ – ١٣١ ؟ غزوات العرب ص ٢٥٥ – ٢٥٦ (كلر) .

جالن (1) ، وكان قد هرب أمام حركات المسلمين ، أن المسلمين رغبوا في الاستقرار في المناطق التي وصلوا اليها ، وأنهم تزوجوا من الوطنيات ، وأخلوا يزرعون الأرض ويستغلونها ، وأن الحكام الوطنيين في تلك البلاد لم يسعهم إلا التسليم بمقامهم ، وربما استعانوا بالمسلمين في منافساتهم المداخلية ، ولكن ليس من المحقق ، إن كان هذا قد تم في إقليم فاليه السويسرى أم في إقليم سافوى ؛ كذلك ليس من المحقق كم بتي المسلمون في سويسرا ؟ فان السجلات والكتابات التي عثر عليها في الأديرة السويسرية ، مثل ديركور وديرسانت جالن ودير فافرس المالمين في أغاء سويسرا المختلفة (٢) .

من ذلك كتابة وجدت على حجر فى كنيسة القديس بطرس موننجو:

St. Pierre-Montjoux فى فاليه ، وفى منطقة لوزان مكان يعرف باسم برج
الهرب Ia Tour des Sarrazins ، وهناك حائط ينسب إلى المسلمين فى مدينة
ففلسبرج Viffiaburg ، وفى منطقة ديفل Develier يوجد كهف منسوب للمسلمين،
وعلى أحد صخوره رقم ٢٣ بالحروف العربية ، كذلك فى المقاطعات المجاورة
لبازل بقايا أسهاء عربية تحف بالطرق الرومانية القديمة ، وهى التى كان يسلكها
العرب فى غزواتهم ؛ وتوجد فى بازل أسرة تعرف باسم أسرة السرازين ولها فرع
فى جنيف وهكلا . . . (٣) .

ومن المحتمل أن المسلمين غادروا سويسرا خلال النصف الأخير من القرن العاشر الميلادى ، إذ كانت أعدادهم قليلة ، وغزواتهم لم تخرج عن كونها مغامرات فردية أو جماعية محدودة ، فضلا عن أن رجال الدين قد انبروا في شتى المبقاع لاثارة الحماس ضد المسلمين ومطاردتهم ، من ذلك ، مثلا ، ما ذكره المؤرخ

<sup>(</sup>١) تقع مدينة سانت جالن جنوب بحيرة كونستانس . وقدكتب هذا المقدم تاريخا لدير سانت جالن.

<sup>(</sup> ۲ ) عن تاریخ سویسر المؤلفه مولر Müller : ج ۱ ص ۲۰۱

<sup>(</sup>غزوات العرب ص ٢٦٧ - ٢٦٣ - كلر).

<sup>(</sup>٣) عن المؤرخ الأب سير اسى Serasset فى كتابه عن أبرشية بازل : جـ ٢ س ١٤٩ (غزوات العرب ص ٢٥٧ ، ٢٦٧ – كار ) .

الراهب إكهارت ، عن جهود سلفه فالتو Walto فى رئاسة دير سانت جالن ، أن ذلك السلف قد استنفر الناس حوالى عام ٩٥٤م ضد المسلمين . فهاجوهم وتمكنوا من قتل كثير منهم ، كما نجح فالتو وقومه فى أسر عدد كبير من المسلمين ، على حين نجح فريق من المسلمين فى الافلات من أيديهم . وتقول الرواية ، إن الفريق الذى وقع أسيرا ، سيق إلى دير سانت جالن مكبلا بالأغلال ، حيث رفض أن يتناول الطعام وآثر الموت جوعا (١٠) .

والراجح ، أنه بعد سقوط قلعة فراكسينيتوم الاسلامية حوالى عام **٩٧٥ ،** م لم تعد للمسلمين صولة فى سويسرا أو فى مناطق الآلب ، إذكانت هذه القلعة تعتبر عاصمة للممتلكات الاسلامية الأخيرة فى فرنسا وشهالى إيطاليا وسويسرا، وهى مشمولة برعاية خليفة قرطبة <sup>(٢)</sup>.

## خسالمة

# لم لم يبق المسلمون حيث سادوا في أوربا الجنوبية ؟

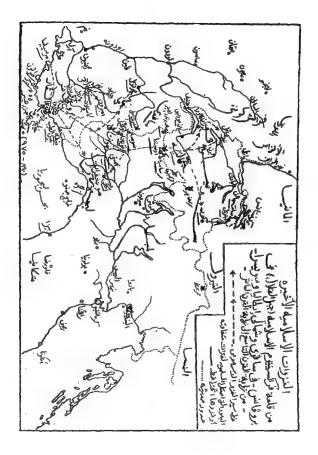
التغير العام الذى طرأ على أوربا منذ مطالع القرن العاشر الميلادى ــ انتعاش القوى الروحية والحركات الديرية الجديدة وأهدافها ــ الملكيات القومية الجديدة - شدة الضغط المسيحى على مسلمى أسبانيا . الجمهة الاسلامية : الانقسام الدينى والسياسي ــ العصمية وكثرة الفتن والتمزق السياسي والاجتماعي ــ دخول المفامرين المسكر الاسلامي - كيف انتهت السيادة الاسلامية في كل من فرنسا وإبطاليا وسويسرا ؟

### 991

هكذا امتد النفوذ الاسلامي في أوربا الجنوبية والوسطى ، وكانت منطقة أعلى الواين ، عند مشارف سويسرا الشهالية ، أقصى ما وصل إليه المسلمون في قلب

 <sup>(</sup>١) غزوات المرب ص ١٧٧ (رينو) ٢٥١ ~ ٢٥١ (عن كلر Keller وإكهادت
 (Bickenhard).

<sup>(</sup> ۲ ) غزوات المرب ص ۱۹۵ (عن دينو) .



أوربا ، غير أن حركة المدهده ، أعقبها حركة جزر ، وكما كانت حركة المدغير متكافئة فى جميع الجمهات ، كذلك جاءت حركة الجزر ، فلم تتم فى وقت واحد ، بل على فترات مختلفة وأزمنة متفاوتة ، وربما عادت السيادة الاسلامية إلى حيث كانت ، ولكن إلى أمد غير طويل .

فلقد تغيرت أحوال العالم الأوربي ، منذ مطالع القرن العاشر الميلادي ، وخلال القرن الحادي عشر وما يليه ، ومنشأ هذا التغير ، هو ذلك الحماس الديني الذي ميز القرن الحادي عشر في التاريخ الأوربي العام ، بصفة خاصة ، ويرجع الفضل في هذا الحماس ، إلى تلك الحركات الديرية الجديدة المتطورة ، وهدفها ، تقوية الجانب الروحي من الحياة الانسانية ، وعلاج الضعف الذي ألم بالمجتمع الاقطاعي الأوربي تذاك ، ثم تدعيم المعسكر المسيحي ضد أعدائه .

وأهم هذه الحركات: الحركة الكلونية ، نسبة إلى دير مدينة كلونى وأهم هذه الحركة الكلونية ، نسبة إلى دير مدينة كلونى وهو العام الله في ورجنديا بفرنسا ، بل لقد عمد بعض الكتاب إلى اعتبار عام ٢٠١١ م ، وهو العام الله أنشىء فيه دير كلونى (١) ، بداية التحول العام في أوربا . وتبع الحركة الكلونية ، حركات ديرية أخرى لتحقيق نفس الأهداف ، مثل الحركة الكارثوذية Cartusia وسيستر وهي المعروفة حاليا باسم شارترو Chartreux في والحركة المبيستر شيانية Cisteraia في فرنسا كذلك (٣) ، والحركة المبريمونستر اتية Cremontrace ، نسبة إلى مدينة بريمونتر به Premontrace ، أبرشية لاؤن Laco (١٠)

<sup>(</sup>١) أسس ديركلونى وليام التق William the Pious دوق أكوتيانيا عام ٩١٠ أو ٩٩١١ .

<sup>(</sup> ۲ ) مؤسس الحركة الكارثوذية هو برونو الكولونى Bruno of Cologne عام ۱۰۸٤م ، وكان كاهنا لمدينة ريمس Rheims

<sup>(</sup> ٣ ) مؤسس السسترشيانية روبرت Robert رئيس دير موليم Molesme عام ١٠٩٨ م .

<sup>(</sup>٤) القديس نوربير Norbert هو الذي أسن الحركة البريمونستراثية عام ١١٢٠ م .

<sup>(</sup> Chew a Latham, Op. cit., pp. 113-120) ، Brooke, Op. cit., pp. 373-378 راجع ).

وليس من باب الصدفة ، أن خواتيم القرن الحادي عشر الميلادي ، هي بداية الحروب الصليبية المعروفة في التاريخ ، وإن كانت فكرة الحروب الدينية ليست جديدة على ذلك القرن ، فالعامل الديني كان بارزا في جميع الحروب التي خاضها المسلمون ضد العالم المسيحي في تلك القرون ؛ كما أنه ليس من باب الصدفة ، أن القرن الثاني عشر ، في التاريخ الأوربي ، هو قرن اليقظة والبعث العلمي في العصور الوسطى ، وكان الأثر الاسلامي أهم عوامله وعناصره .

وبالإضافة إلى عامل الحماس الديني الذى شمل أوربا ، هناك الملكيات الجديدة النامية ، وهي التي قامت على أنقاض الامبر اطورية الكارولنجية ، وأخذت تقوى على حساب النظم الاقطاعية القائمة ، فني ألمانيا قامت أسرة السكسون Saxons على حساب النظم الاقطاعية القائمة ، فني ألمانيا قامت أسرة السكسون Sations ، نحالا الفترة من ١١٢٥ / ١١٧٥ م . ثم أعقبتهما أسرة السليين Welf وهوهنشتوفن Hohenstaufen منذ عام ١١٧٥ م (٢٠) وفي فرنسا قامت أسرة هيوكاني Hohenstaufen منذ عام ١٩٨٧ م (٢٠) وظهر تى جنوبي إيطاليا النورمان Normans بيوشهم الجرارة الفتية ، وطهرات من المجبوشهم الجرارة الفتية ، منا القرن الناسع الميلادي ٢٠٠٥ ، لكنهم تحولوا من مجرد الهب والغزولي الاستقرار وتأسيس ملك ، ومجموا في ذلك خلال القرن الحادى عشر الميلادي ٤٠٠٠ .

كذلك جاءت شدة وطأة الفيغط المسيحى على مسلمى أسبانيا ، من العوامل الكبرى التى أسهمت فى إزالة النفوذ العربي الاسلامى من أوربا ، وكانت هذه الشدة ، دليلا على انتغير العام الذى شمل أوربا، كما كانت من آثاره ، واقترنت حركة الاسترداد المسيحى Christian Reconquesta بالعامل الديني (٥٠) ، كذلك ساهمت عوامل أخرى جغرافية وقومية .

Bryce, Op. cit., pp. 19 sqq., 119—131 Chew and Latham, Op. cit., وأحم (١) pp. 146 sqq., 156 sq., 156 sq.,

<sup>(</sup>٢) راجع ما سبق.

<sup>(</sup>٣) أنظر : ابن عذارى : البيان ج ٢ ص ١٣٠ ~ ١٣٢ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٠

<sup>(</sup> ه ) انظر : ليني بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس – ترجة سالم – ص ١٧٠ – ١٧٠

أما الجبه الاسلامية المقابلة للعالم الأوربي المهاصر وقتلك ، فقد وضعت فيها عناصر الضعف والتفكك ، وأول هذه العناصر ، وجود ثلاث خلافات إسلامية ، تقتسم العالم الاسلامي ، وبعادى بعضها بعضا ، وهي : الخلافة العباسية في بغلاد ، وخلافة بني أمية بالأندلس ، وخلافة الفاطميين في المغرب ثم في مصر وما حولها ، وفضلا عن هذا الانقسام السيامي ، هناك الانقسام الديني بين السنة والشيعة ، مما أدى إلى تمزيق وحدة العالم الاسلامي وإضعاف جبهته أمام العالم الأوربي المسيحي ، على أدى إلى تمزيق وحدة هدفه . ولم يكتف بالعمل على إذا لة النفوذ الاسلامي في أوربا ، بل أوغل في الشرق الأوسط، بقلب العالم الاسلامي ، فكانت الدويلات الصليبية الذي أقامها بالشام أواخر الفرن الحادي عشر الميلادي .

هذا من تاحية الشكل العام لاطار العالم الاسلامي ، أما الناحية الماخلية ، فلم تكن خبرا من صفة هذا الشكل ، وهذه هي العنصر الثاني من عناصر الضعف والفرقة ، وأبرز جوانها انتقال العصبية مع الفانحين المسلمين إلى أوربا ، وأخطرها ما وقع بين عرب الحبجاز وعرب الشام ، ثم الصراع الرهيب بين العرب والهربر (١٠) وضح هذا في أسبانيا الاسلامية ، وهي المركز الاسلامي الرسمي الذي غلتي الفتوح في فرنسا وما والاها ، حتى أن الامبراطور أوتو الكبير ( ٩٣٦ – ٩٧٣ م) لم يجد أمامه غير عبد الرحن الناصر الأموى في قرطبة ( ت ٣٥٠ ه – ٩٧١ م) كييت لم يعد ألم عبد الرحن الناصر الأمامي الرسمي الم ٢٥٠ ه ولا شك أن تميد الرحن الناصر الحامي الرسمي الم ٢٥٠ ولا شك أن فيمف السلطة المركزية الرسمية ، يضعف من قبضة تمثليا على فتوحهم بالأطراف والجهات النائية . وقد بلغ هذا الضعف أقصاه ، في عصر ملوك الطوائف ، وهو العصر الذي استمر نحو قرنين ، منذ زوال خلاقة قرطبة عام ١٩٧١ ه ٢٠٥ م و٢٠٠ .

<sup>(</sup>۱) انظر: الاستقصا - ۲ ص ۵۱ ؛ ابن عذاری : البیان ، - ۲ ص ۱۸۳ – ۱۸۴ ، ۴۲۰۰ أعال الأعلام ص ۲۷ – ۲۷ و البادن من ۱۱۱ – ۱۱۲ ، ۱۲۰ – ۱۲۱

<sup>(</sup>۲) انظر : غزوات آلدرب ص ۲۳ ، ۱۷۷ – ۱۸۲ (ویش ص ۱۸۷) .

<sup>(</sup>٣) راجع لحذا الديه: نقح الليب ج ١ ص ٢٠٤ ؛ أعمال الأعلىم ص ١٤٤ رما يعدها ؛ صبح الأعنى ج ٥ ص ٢٤٨ - ٢٢٠ ؛ العبادي ص ١٥٥ - ٢١٧ ؟ كليا ص ٥١ - ٥٥ ؛ لين برونشاك ترجمة سالم-ص ٢١٨ رما يعدها ؛ ولنفس المؤلف: 24-22 L'Espagoc Musulmane, pp 24-26 زامباور ج ١ ص ٢٦ - ٤٩٣ - ٩٢ ، ٩٣ . Doxy, op. cit. T. H, pp.175-89

وخلال ذلك ، كثرت الفتن والثورات اللاخلية ، حتى صار « بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاورهم من الأعلاء » كنا يقول المقرى<sup>(١)</sup> . وحسبنا ، ما أجمله ابن الخطيب فى تفسير كثرة الفتن وعنفها فى الأندلس ، طوال عهد بنى ألمية . قال :

والسبب في كثرة الثوار بالأندلس بومئذ ثلاثة وجوه :

الأول : منعة البلاد وحصانة المعاقل ، وبأس أهلها بمقاربتهم عدو الدين ، ؟ فهـ شوكة وحد بخلاف سواهم .

والثانى: علو الهمم وشموخ الأنوف ، وقلة الاحتيال لثقل الطاعة ، إذكان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرافا ، يأنف بعضهم •ن الإذعان البعض .

والثالث : الاستناد ، عند الضيقة والاضطرار ، إلى الجبل الأشم والمعقل الأعظم من ملك النصارى الحريص على ضرب المسلمين بعضهم ببعض الاعظم

ومن عوامل الضعف ، استمانة المسلمين بالمغامرين من أعداء الدين في حروبهم ضد بعضهم البعض وفي جهادهم للأعداء ، وهؤلاء مهما أدوا من خدمات للمعسكر الاسلامي ، فإن ولاءهم غير باق ، بل هو مرتبط بقدر ما يتقاضونه من أجور ويقدر ما يتقاضونه من أجور ويقدر ما يتقاضونه من المحدام المسلمين في الأندلس لمفامر أسباني مسيحي لا مبدأ له ولا عهد ، هو ردريجودياز Rodrigo في الأندلس لمفامر أسباني مسيحي لا مبدأ له ولا عهد ، هو ردريجودياز Diaz المقبر باسم السيد القمينطور : Cid Campeador ومعني هذا اللقب باسم وصاحب هذا اللقب باسم وصاحب هذا اللقب باسم والمدينة والمحربة باسم وردد في المراجع المدينة باسم : الكنيطور أو الكبيطور (٣) .

<sup>(</sup>١) نفح العليب ج ١ ص ١٢٨ – ١٢٩ ؛ انظر كذلك :

Lévi-Provençal, Op. cit., pp. 18 — 22. 
۲۵ مال الأعلام، ۲۵ هـ ۲۵ مال الأعلام، ۲۵ هـ ۲۵ مال الأعلام، ۲۵ مال ۲۵ ما

<sup>(</sup>٣) البيان ج ٢ ص ٢١٥ ؛ أعمال الأعلام ص ٣٥ – ٣٦

اختلطت سيرة هذا الهذامر بالأساطير ، وليس هذا محل التفصيل لسيرته ، وتكنى الاشارة إلى أنه تنقل بين الجبتين الاسلامية والمسيحية في أسبانيا ، وقوى شأنه حتى صارت أغلب الدويلات الاسلامية المتهالكة في أسبانيا تدفع له الجزية نظير هابته لما، وهو الذي حول مسجد بلنسيه الجامع الى كتدرائية، وتوفى عام ١٠٩٩ م (١٠٥ وولا العام الذي استولى اللاتين فيه على بيت المقدس .

تلك هي خلاصة العوامل الكبرى في ضعف الجيهة الاسلامية ؛ أما كيف انتهت السيادة الاسلامية والنفوذ الاسلامي في كل من فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، فالمعروف أن قلعة فراكسينيترم في جبل القلال ، كما ورد في قلةمن المراجع العربية والفارسية (٢٠) كانت القاعدة الاسلامية الباقية في بروفانس إلى قرب نهاية القرن العاشر الميلادي ، وبواسطة هذه القاعدة ، تحكم المسلمون في بروفانس وفي منطقة الألب وشهالي إيطاليا وبعض بلاد سويسرا ، ولذلك أضحت فراكسينيتوم عاصمة الممتلكات الاسلامية في تلك البقاع م

وقد حاول المسيحيون اقتلاع المسلمين من هذه المناطق ، وأخذ كفاحهم صورة الجهاد الدينى والوطنى ؛ وتعرض المسلمون لهذه الحرب فى جميع البلاد التى يقيمون بها فى أوربا ، فى أوقات متقاربة وسريعة .

ترعم حركة الكفاح المسيحي كونراد الثالث Conrad III أمير برجنديا وسويسرا وفرانش كونتي Franche-Comté ، والأخيرة هي التي كانت معروفة باسم دوقية برجنديا – غير مملكة برجنديا (٣) ؛ ويقال أن كونراد أوقع بين المجريين الذين اجتاحوا الآلزاس عام ٩٥٧ م ، وبين المسلمين في بروفانس ،

<sup>(</sup>۱) انظر تفاصيل سيرة السيد القميمطور في: ليفي بروفسال - ترجة سائم - ص ١٩٠٤ السيدان المسلمين السيد القميمطور وعلاقاته بالمسلمين السيد القميميلور وعلاقاته بالمسلمين ( المجلة التاريخية مايو ١٩٥٠ م عددا ص ١٩٧ ) ؛ كليليا ص ١٩٥ ؛ الروض الممطار - Brooke, op. cit., pp. 221-2; Lane - Poole, op. cit., p. 177; C. Med. في ١٩٠٥ الله Vol. IV, p. 400.

<sup>(</sup> ۲ ) انظر ما يل .

Brooke, p. 335 ( ")

ثم أهوى على الفريقين خلال المعركة وأفنى معظمهم . ويحتمال أن هذه المعركة وقعت فى سافوى(11 . بر

وحوالى عام ٩٦٠ م ، تمكن المسيحيون من طرد العرب من جبل سان برنارد ، نسبة إلى القديس برنارد دمنتون Dementhone الذى اشترك في القدال (٢٠) . وبعد ذلك بنحو اثنى عشرة سنة ، وقع حادث أمر القديس مايول Mayeul مقدم دير كلوني (٢٠) ، وقافلته خلال عودته من روما ، على يد المسلمين المتحكين . في المتطقة الواقعة بين مدينتي جاب Gap واميرون Embrun في أعالى نهر دنرانس وكان المسلمين ثلاثة أبراج محصنة في أميرون ؛ ، جاء هذا الحادث مثيرا المسيحيين ، وكان له دوى عظم في جميع الأقطار المسيحية ، نظرا لمكانة هذا القديس (٤٠) ، فقام النبيل بيبون Bebon من قرية نوبي Nogers قرب مدينة سنترون ، ونبي حصنا بالقرب من حصن المسلمين القائم في جبل بنواحي سسترون ، وبني حصنا بالقرب من حصن المسلمين القائم في جبل بترا إمبيا عالمهم ، وأخذوا يرقبون حركات المسلمين للانقضاض عليم ، وأخيرا استطاع بيبون ومن معه اقتحام حصن المسلمين نقيجة خيانة حارس الباب ، وإن فعل ذلك انتقاما لعرضه ، ونجح المسيحيون في إبادة من بالحصن ؛ ومن أجل هلا العمل ، سجلت الكتيسة الفربية بيبون ضمن علاد القديسين (٩٠) .

وفى نفس الوقت ثار أهالى مدينة جاب Gap عاصمة الألب العليا ، وكان المسلمين يحتلونها منذ مدة طويلة ، وانقضوا على المسلمين بزعامة وليام

<sup>(</sup>١) غزوات العرب ص ١٧٥ – ١٧٦ (عن رينو ومجموعة دون بوكيه Don Boquet الراهب البندكي والمؤرخ ، المتموق سنة ١٧٥، م) .

<sup>(</sup>٢) غزوات العرب ص ١٨٢ (ديتو).

Brooke, P. 116 ( ٣ ) عن رينو ولادوسيت Ladoucete عن رينو ولادوسيت

<sup>. (</sup>٤) غزوات العرب ص ١٨٦ - ١٨٧ ( رينو) .

 <sup>(</sup>ه) غزرات العرب س ۱۸۷ – ۱۸۸ (عن رين وعن مجموعة الراهب ابيسوعي بالاند.
 به مجموعة تاريخ القديسين أو مجموعة البالندين:
 « نسبة اليه ،
 ولكنه مات دون إكالها وأكلها غيره).

كونت بروفانس ، وكانت هذه المدينة تتبع بروفانس<sup>(۱)</sup> . وفى منطقة الألب السفلى ، طرد العرب من مدينة ربيز Riez ، وتقع ثهالى نهر قردون Verdon أحد فروع ديرانس المتفرع عن الرون ، ويحتفل أهل هذه المدينة فى كل سنة بعيد خلاصهم من المسلمين ، وهو اليوم اللدي يصادف عيد العنصرة<sup>(۱)</sup> .

أما قلمة فراكسينيتوم نفسها ، فجاءت نهايتها ، بعد محاولات ملحة متكررة من جانب مسيحي بروفانس ، وكان وليام كونت بروفانس صاحب القدح المعلى في أغلب هذه المحاولات ، استنفر وليام أهالى كونيتته لقتاله المسلمين ، فهوا معه، وتوجه نحو فراكسينيتوم وأخلوا يسدون المسالك على المسلمين ، فقزل العرب اليهم ودارت معركة عنيفة في نواحى بلدة دراجنجمان Dragengman في مكان يقال له تور تور Tourtour ، حيث يوجد إلى الآن برج ، أقيم منذ ذلك اليوم تخليدا للانتصار في تلك المعركة التي انتهت بهزيمة المسلمين ؛ اضطر المسلمون إلى الالتجاء إلى القابات المجاورة ، وقتل أكثرهم وأسر الكثير ؛ وأشيرا سقط حصن فراكسينيوم في عام ١٩٧٥ م ٩٧٩ م

وهكذا سقطت القلمة الاسلامية العتيدة ، وهي التي بقيت بيد المسلمين نحو المحدم معاما ( ١٩٨٩ – ٩٧٥ م) ، وامتنعت على أعدائها ، بفضل موقعها ومناعتها الطبيعية ، إذ كانت تقوم ، فيا أسمته القلة من المراجع العربية والفارسية ، وجيل القلال ، قال الأصطخرى : و وأما جبل القلال ، فانه كان جبلا فيه مياه خرارة ، فوقع اليه قوم من المسلمين فعمروه ، وصاروا في وجوه الافرنجة ، لا يقلر عليهم لامتناع مواضعهم ، ومقداره في الطول يومان ( و قال أبن حوقل : و وبلجل المقلال ، الذي بنواحي إفرنجة ، بأيدى المسلمين ، عمارة وحرث ومياه وأرض ، تقوت من بالحاليهم ، فلما وقع عايه المسلمون ، عمروه وصاروا في وجوه الافرنجة،

<sup>(</sup>١) غزوات المرب ص ١٨٦ -- ١٨٧ (دينو).

<sup>(</sup>٢) فزوات الهرب ص ١٩٢ (رينو) .

<sup>(</sup>٣) غزوات العرب ص ١٨٨ -- ١٩١ (عن دينو) .

 <sup>(</sup> ل ) المسائك و الممائك - تحقيق جابر الحيني ومراجعة شفيق غربال - ص ٥١ ؟ وفي طبعة دى تويه
 M. J. De Gogie

والوصول اليهم ممتنع : لأنهم يسكنون فى وجه الجبل ، فلا طريق انيهم ، ولا متسلق عليهم ، إلا من جهة ، ه<sub>م</sub> منها آمنون ، ومقداره فى الطول نحو يومين ١٠٠٤ .

وبزوال هذه القلعة ، زالت جميع أملاك المسلمين في جميع المناطق التي كانوا يقيمون فيها ، كما زال نفوذهم في «الأرض الكبيرة» وفي منطقة الألب وفي سويسرا فيا وراء الألب .

استولى المسيحيون على الأراضى التى كانت بيد المسلمين ، ووزع كونت وليم الكنوز والمغانم التى كانت تملأ الحصن ، بين قومه ، والملاحظ أن رجال الدين ظفروا بأغلب الأراضى والكنوز ، لما قاموا به ، على اختلاف طبقاتهم ، فى هذه الحروب ، مثل أساقفة مدينتى فريجوس Fréjus ونيقة Nice . ومن الذين أصابوا الثروة نتيجة هذه الحروب ، رجل من أهل جنوة ، كافح مع البروفنساليين ، فنح ضياعا واسعة عند شواطىء خليجسان تروف St. Tropey الذي تطل عليه قلعة فراكسينيتوم ، كا ظفر مسيحى آخر بالسيادة على مدينة كاستلان المعاصرين المستشرق رينو (في القرناالتاسع وربما كانت أصول ثروة آل كاستلان المعاصرين المستشرق رينو (في القرناالتاسع عشر) ، راجعة إلى هذه الحروب (ث. أما أراضى مدينة طولون Toulon ، عشر) ، راجعة إلى هذه الحروب (ث. أما أراضى مدينة طولون مقام

<sup>(</sup>١) كتاب صورة الأرض - القدم الأول ، نشر J. H. Kramers ص ٢٠٥ وكذلك الحتاب صورة الأرض - القدم البلك نافر المسلم المبلك الم

<sup>(</sup>٢) غزوات العرب ص ١٩١ -- ١٩٢ (رينو).

العرب بها ، ولكن كونت وليام : أرضى الجميع ، وهذا ما خلد اسمه فى التاريخ الفرنسى ، حتى لقب بأبي الوطن<sup>(١)</sup> .

على أن سقوط حصن فراكسينيتوم فى عام ٩٧٥ م ، لم يعن قطع دابر العرب دفعة واحدة ، وإن عنى زوال أملاكهم وتفوذهم وأهميتهم فى تلك البلاد ؛ وإنما بقيت شراذم عربية متناثرة فى جبال الألب ، وهذه استسلمت أو استرقت أو أجبرت على اعتناق المسيحية وذابت فى الوطنين ؛ ويقال إن هذه الشراذم بقيت واضحة إلى ما بعد عام ٩٨٠ م ، بل إلى ما بعد عام ١٠٠٠ م ، ولكنها على أية حمل ، لم تكن ذات خطر أو أهمية (٣).

ولا شك أن هناك كثيرا من البقايا المادية التي تركها العرب في إقليم بروفانس ، ومنها بقايا آبار وكهوف وأحجار منحوتة ، وبقايا مبانى ، ومن العجيب أنه لم يع على كتابة عربية في بقايا حصن فراكسينيتوم ، وربما كانت موجودة وذهبت مع ما تصدح منه، كذلك وجدت بقايا الحصون العربية المتناثرة فوق قنن الجبالى ، ووبقايا الأبراج والمراقب والأربطة ، على طول ساحل بروفانس بين فرنسا وإيطاليا ، وكانت تشعل عليها أو منها النيران ليلا التخاطب أو طلب الاملادات أو للانلار يحرب ، ومن هذه الأبراج ما يرجع إلى أوائل القرن الثامن الميلادي .

ولا تزال العرب فى بروفانس هم الذين استشمروا أشجر البلوط (Fraxini) ، ولا تزال توجد غابة تنسب اليهم ، كما أنهم استخرجوا القطران (القار) من أشجار الصنوبر والأرز وقلفطوا به المراكب ، حتى أن أهل بروفانس يعبرون عنه باسمه العربي دون تحريف Quitra على خلاف بقية أهل فرنسا ، الذين يسمونه (C) ، وإن كان يبدو في هذا اللفظ الأخير كذلك الأصل العربي .

<sup>(</sup>١) غزوات العرب ص ١٩٢ (دينو).

<sup>(</sup> ۲ ) غزوات المرب ص ۱۸۸ ، ۱۹۲ ( دينو ودليين Delbone ) :

<sup>(</sup>٣) غزوات العرب ص ٢٣٧ – ٢٣٩ (عن رينو وعن دنيس Denys في كتابه عن مقاطعة الغاو ٣٠٤ في كتابه عن مقاطعة

أما فى « البر الطويل » ، وهو إيطاليا ، فقد تضافرت قوات الامبراطورية البيزنطية والجمهوريات الايطالية التجارية ، مثل البندقية وبيزا وجنوه ، وكذلك الامبراطورية الغربية والبابوية ، تضافرت هذه القوات جميعها ، على طرد المسلمين عن إيطاليا . ولذلك تم إجلاء المسلمين عن بنفنتم عام ١٨٤٧ م ، بعد أن مكتوا بها نحو خمس سنوات وعن برفديزى عام ١٨٧٠ م بعد نحو ثلاثين سنة من مقامهم فيها ، وعن بارى فى العام التالى ، بعد مايقرب من ثلاثين سنة من سيادتهم عليها ، وجاء نزوحهم عن طارانت عام ١٨٨٧ م بعد نحو أربعين سنة من حكمهم فيها ، ثم ربي عام ١٩٥٥ م بعد أن امتد سلطانهم فيها نحو أربعين سنة من حكمهم فيها ، ثم بعد أن امتد سلطانهم فيها نحو أربعين سنة الله وعن جاليانو عام ١٩٥٥ م ، بعد أن امتد سلطانهم فيها نحو أربعين سنة أن

وفى بقية أجزاء إيطاليا الأخرى ، كان احتلال المسلمين لها وقتا ، إذ كان المسلمين لها وقتا ، إذ كان المحمد إلى الفتو والسيع منه إلى الفتح والاستقرار ، مثل توفا أوستيا Nova Ostia وروما وكيفيتا فكيا Cherso وأكوزيرو Osero بجزيرة خرسو Cherso وجنوا على ساحل دالماشيا ، وأنكوتا Ancona وكا ما تشيو Cammachio وجنوا ولونى الم المناسبة ، والأخيرة كان مجاهد اللمانى انمامرى قد غزاها عام ١٠١٥م، والخنيرة كان مجاهد اللمانى انمامرى قد غزاها عام ١٠١٥م، والخريرة كان مجاهد اللمانى انمامرى عشر ، حالت دون استقراره فيها ؛ وبرزت جهود البابا بندتو الثامن المخادى عشر ، حالت دون استقراره فيها ؛ وبرزت جهود البابا بندتو الثامن المخالية في الحرب ، فقد أعد حملة تحملت خزانة البابوية نفقاتها ، كما ألف البابا المنعلية في الحرب ، فقد أعد حملة تحملت خزانة البابوية نفقاتها ، كما ألف البابا بين بيزا وجنوا المتنافستين ، فاشتركتا معا في هذا الكفاح ، ونجحت القوات المتحالفة

<sup>(</sup>۱) راج ما سبق وانظر : البلاذری س ۲۷۷ ، این الاثیر نج ؛ ص ۳۳۳ ، ج ۳ س ۱۹۲۹ صبح الاعثی جه ه س ۴۱ ؛ او بودن س ۴۳۰ ؛ أرشیبالد س ۴۱۵ ، ۲۱۸ – ۲۱۸ – ۳۷۵ ؛ کرد عل ج ۱ س ۲۷۲ – ۲۷۸ ؛ المسلمون فی حوض البحر الایبفس س ۱۱۲ – ۱۱۳ ؛ کلمیلیا ص ۱۹۸ – ۱۹۹ ؛

Hunt, O.J. Cit., pp. 13—14 Deanesly, Op. cit., pp. 375, 450, 456 Scott, Op. Cit., II, pp. 25—27, 36, 51; C. Med. H., Vol. IV, pp. 141, 149—50.

في طرد مجاهد عن لوني في معركة بحرية فاصلة عام ١٠١٦ م(١) .

لقد كان للسيادة العربية الاسلامية في العلم الأوربي ، أثر كبير ، في نظم الحكم وطرق الزراعة وأحوال المجتمع والحضارة الغربية عامة ، غير أن هذا الأثر لم يتأت فقط عن مقام المسلمين بهذه البقاع التي عالجها هذا البحث ، وإنما جاء كذلك عن مقامهم الطويل في غير هذه البقاع من أوربا مثل الأندلس وجزيرة صقلية ، فضلا عن العلاقات العامة المتنوعة ، التي قامت بين العالم الاسلامي والعلم الغربي ، وهذا وذاك له مبحث آخر .

<sup>(</sup>١) راجع ما سهق، و انظر : طولس : المسلمون في حوض البحر الأبيض من ١٦٣ ؛ أرشيبالد ص ٢٣٤ ؛ كليل من ١٩٩ - ٢٠٠٠

Hunt, op. cit., p. 14; Scott, II, p. 35; C. Med. H., Vol. III, pp. 149 - 50.

### مراجع البحث

(ب) المراجع العربية .
 (ب) المراجع التي تناولت غزوات العرب الأخيرة في بروفانس
 (ج) كلمة في المراجع التي تناولت غزوات العرب الأخيرة في بروفانس
 ومنطقة الإلب وما والإها

(1)

إن الأثير (على بن أحد بن أبي الكرم ت ١٣٥ ه – ١٢٣٨ م).
 الكامل في التاريخ (مصر ١٢٧٤ ه).

٢ - ابن الحليب ( لسان الدين بن الحطيب السلماني ) .

كتاب أهمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من طوك الاسلام ( أثنه فى اللبترة بين ٧٧٤ ، ٧٧٠ هـ ١٣٦٧ – ١٣٦٤ م ) .

حققه ونشره ۱. لين پروفنسال – بيروت ۱۹۵۲

٣ - ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلمى
 الأغبيل الأصل القرطبي مولدا . وقد نسب إلى جدته القوطية وهي ، إينة «وبه» wambe
 أبن غيطته Wetiya ملك أسبانها القوطي) .

تاريخ انتتاح الأندلس ( نشره و ترجه إلى الأسبانية د . ج . ريبر Don Julian Ribera مدرية ۱۹۲۶ ) . مدرية ۱۹۷۹ ) .

عابن حوقل (أبو ألقاسم بن حوقل النصيبي) .
 كتاب صورة الأرض .

نشره ج . ه . كرامرز J. H Kramers لين ١٩٣٨م) .

ابن حیان ( أبو مروان حیان بن خلف ت ۳۰۰ هـ ۹۱۲ م ) .
 کتاب المقتب فی تاریخ رجال الأندلس .

( نشره الأب ملشور Melchor باريس ١٩٣٧ ).

٦ - أبن خلدون (عبد الرحن بن محمد ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م).
 تاريخه ( مصر ١٤٠٤ ه) .

٧ - أبن طباطبا (محمد بن على المعروف بابن الطقطق) .

الفخرى في الآداب السلطائية والدول الاسلامية (إمصر ١٣١٩ ﻫ) .

٨ [-أبن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم ت ٢١٤ هـ - ٢٢٩ م).
 تحوح عصر والمنزب (تحقيق عبد المنم عامر - مصر ١٩٦١).

```
ه ـ ان مداري (أبو المباس بن عداري الم اكثير).
                               البيان المفرب في أخبار المفرب (بدوت ١٩٥٠).
           . ١ - أبو الفداء ( السلطان الملك المزيد عماد الدبن أسهاعيل الأيوبي صاحب حماه ت هـ
تقوم البلدان ( نشره م . رينو M. Reinaud ، ج . دوسلين Le Bon Mat
                                     . (١٨٤٠ كيا Guckin De Slane
     ١١ - ( أخبار مجموعة ) في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمم الله والحروب الواقعة بها بيئهم .

 ب ١ ( مجريط ١٨٦٧ م ( وقد ترجيه الطزء إلى الأسبانية :

            ( Don Emilio Lafuente Y Alcantara اللون أميليو لافونت )
                                                      ١٢ - أرسلان (الأمير شكيب).
```

(أً ) تاريخ غزوات العرب (مصر ١٣٥٧ هـ) .

(ب) الحلل السناسية في الأخيار والآثار الأتدلسية ( فاسي ١٩٣٦ م ) .

. (Archifald L. Lewis ) ارشيالد (Archifald L. Lewis

القوى البحرية و التجارة في حوض البحر التوسط . ترحة أحد محمد عيسي ومراجعة محمد شفيق غربال – مصر ١٩٦٠ ) \* •

١٤ ــ الأصطخري (أبو أسعق ابراهيم بن محمد الفارس الأصطخري المعروف بالكرجي – توفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى).

السائك والمالك .

( تحقيق الدكتور محمد جار الحبين و فراجعة محمد شفيق غربال - مصر ١٣٨١ هـ- ١٩٦١ م)

ه ١ - البلاذري ( أحمد بن يحي بن جابر ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) ٠ فتوم البلدان (مصر ١٣١٩ هـ).

١٦ - التونسي ( السيد خبر ألدين ) .

كتاب أقوم المساك في معرفة أحوال الممالك ( توفي ١٢٨٤ هـ) ٠

١٧ - الحميري ( أبو غيد الله محمد بن عيد الله بن عبد المتم - جم كتابه عام ٨٦٦ هـ - ١٤٦٢ م) و سقة جزيرة الأندلس و متعفية من :

كتاب الروض المطار في خبر الأمصار (نشر وتحقيق لين يروفلسال – مصر ١٩٣٧ م) .

١٨ ﴿ الدوري ( الدكتور عبد العزيز ) . ٤

العصر العباسي الأول ( دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالم) • (متشورات دار المملمين العالية – بغداد ١٣٩٣ هـ - ١٩٤٥ م) . "

> ۱۹ – الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير ت ۴۱۰ هـ ۹۲۲ م) . تاريخ الأم والملوك (مصر ١٣٥٧ هـ ١٩٣٩ م).

> > ، ٢ - العبادي ( المرحوم الأستاذ عبد ألحميد ) . العمل في تاريخ الأندلس.

144

```
    ٢١ - العربي ( الدكتور الدي الباز ) .
    الدولة اليزنطية ( مصر ١٩٦٠ ) .
    ٢٧ - العدير (طوييا العوسى الحلبي ) .
    ٢٧ - العدير ( طوييا العوسى الحلبي ) .
    ٢٣ - القلقشادى ( أبو الدباس أحمد بن على ت ٢١٨ هـ ١٤٤٨ م ) .
    ٣٣ - القلقشادى ( أجد بن على سناعة الأفشا ( نشر دار الكتب المصرية ) .
    ٢٣ - المقرى ( أحمد بن على التلسان ت ٢٤٠١ هـ - ١٦٣٧ م) .
    تفع الطب من خمس الأقدلس الرطب ( مصر ٢٩٠٧ ) .
    ٢٥ - المقرري ( تم الدين أحمد بن على ر من ٢٥ م ١٤٤١ م) .
```

٢٥ - المقريزي (تن الدين احمد بن حل ت ٥٨٥ هـ - ١٤٤١ م).
 ١ - السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق ونشر الدكتور زيادة بدأه من عام ١٩٣٦ م).

٢ - المقفى ( مخطوط في أديمة أجزاء بدار الكتب المعرية رقم ٢٧٧٥ تاريخ ).

٢٦ – الناصرى (أبو العباس أحد بن خالد الناصرى).
 كتاب الاستقما ألخبار دول المغرب الأقمى (الدار البيضاء ١٩٥٥ م).

۷۷ – أومان (Oman) .

۱۷ - ۱۹۵۳ ولفقستان) . الامبر اطورية البرزنطية (ترجة الدكتور طه بدر – مصر ۱۹۵۳ م ) .

. (B. Barker) بارکر – ۲۸

ألحروب العمليية (ترجمة الله كتور السيد الباز العربني - مصر ١٩٩٠).

. (N. Bavens) in - YA

الامر اطورية البرنطية ( ترجة الدكتور مؤنس رزميله -- مصر ١٩٥٠ ) .

۲۰ - ستى (نيلي) .

تاریخ العرب ("رجة محمد مبروك نافع ) .

. (H. W. Davis) ديفيز - ٣١

شارلمان (ترجمة الدكتور العربيني -- مصر ١٩٥٩) .

٣٢ - رسم ( الد كتور أسد ) .

الروم (في سياستهم وسنشارتهم ودينهم وثقافتهم وصلائهم مع العرب – بيروت ١٩٥٥ م).

۳۳ - زامباور (Zambaur) .

معجم الأنساب والأمرات الحاكة في التلايخ الاسلامي (ترجة الدكتور زكي عميد حسن والدكتور حسن محبود والدكتورة سية كاشف وآخرين -- (مصر ١٩٥١م).

٣٤ - قروح (عمو) .

ألعرب والاسلام فى الحرض الفرني من البحر المتوسط . ( من فتح المغرب والأندلس إلى آخر عصر الولاة – بيروت ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م ) .

```
٣٥ – طرخان ( الدكتور ابراهيم على ) .
                             ١ – الحركة اللاإيقونية في الدولة البيزنطية (مصر ١٩٥٦) .
                                          ٢ – دولة القوط الغربيين ( مصر ١٩٤٨ ) .
                                   ٣ – تاكيتوس والشعوب الجرمانية (مصر ١٩٥٩).
٤ – نهاية الامبر اطورية الرومانية في الغرب ( مجلة كلية الآداب سجامة القاهرة – العدد التذكاري
                                                     م ۲۰ - مصر ۱۹۹۲) .
           ه – شمالي أفريقية والدندال ( الحلة التاريخية – الغدد التذكاري م ١١ – ١٩٦٣ ) .
                                                            . (H. Fisher) ئے - ٣٦
                                               تاريخ أوربا في العصور الوسطى).
                         ( تُرَجَّة الذكتور زيادة والذكتور العربي سـ مصر ١٩٥٠ ) .
٣٧ – كتاب مفاخر البربر ( لمؤلف مجهول الاسم ألفه عام ٧١٧ هـ – نثيره وصححه ليثي بروقفسال --
                                                الرباط ١٣٥٣ ٥- ١٩٣٤ع) .
                                                                . (عمد) . ٣٨ - كرد على (عمد)
                                      الاسلام والحضارة العربية (مصر ١٩٥٠ م) .
                                             . (Clelia sarnelli Cerque) كليليا - ٣٩
                                                                   مجاهد العامري
 (قائد الأسطول العربي في غربي البحر المترسط في القرن الحاس الهجري) – مصر 1971
                                                        ، (G. Le Bon) الربون – إ
                  حضارة العرب (ترحة عادل زعيتر - مصر ١٣٩٧ هـ ١٩٤٨م).
                                          . (E. Levi-provençal) ليثر روفنسال الـ (E. Levi-provençal)
  الاسلام في المغرب والأندلس ( ترجة الدكتور سالم وزميله - مجموعة الألف كتاب رقم ٨٩ ) .
                                                         ٢٤ - مؤنس ( الدكتور حسن ) .
١ – السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين ( المجلة التاريخية المصرية- مايو ١٩٥٠ م ٣ ص٣٧-٢٨).
٢ - المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصابية ( المجلة التاريخية المصرية -
                                                 "٢- ١٩٠١ م ص ٥٥ - ١٦٩) .
                                              ع - قبير الأندلس (مصر ١٩٥٩ م).
               ٢٤ – ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومي ت ٢٧٦ هـ ٢٧٩ م) .
                                     ١ -- معجم البلدان ( مصر ١٣٢٣ هـ- ١٩٠٦ م ) .
        ٢ – مراصد الاطلاع على أسياء الأمكنة والبقاع ( وهو عبارة عن تلخيص لمعج البلدان ).
                                                        , ٤٤ - نصبح ( الدكتور اراهم ) .
                                         تاريخ مصر في عصر البطلة (مصر ١٩٤٦م).
```

#### 1-ALBERT DE CICOURT.

Histoire des Mores Mudeiares et Des Morisques ou des Arabe: D'Espagne (T. I-Paris, 1864).

- 2-Bailly, A.,
  - 1-Bayzance (Paris, 1939).
  - 2-Les Grands Capétiens (1180--1328).

(Paris-1952).

- 3-Baynes, N.H., and Moss, H. st. L. B., (Edit.). Byzantiu,n (Oxf., 1948).
- 4-Boissonnade, P.

Du Nouveau sur La Chanson de Roland (Paris, 1933).

5-Bradley, H.,

The Goths, from the Earliest Times to the End of the Gothic Dominion in Spain (Lond., 1887).

6-Brooke, Z. N.,

A History of Europe (911-1198) (Lond., 1928).

7-Bryce, J. V., The Holy Roman Empire (Lone., 1950)

8.—BURY. J.

History of the Later Roman Empire. (Lond., 1931).

9-Calmette. J.,

Les Derniers Étapes du Moyen Age.

10—Français.

(Cam. Med. H. Vols. III-IV-V.

11-Cartellieri, O.,

The Count of Burgundy (Etudies in History of Civilization) (Lond., 1929).

12---Cary, M.,

A History of Rome Down to the Reign of Canstantine (Lond., 1954).

13-Chew, H., M., and Latham, L. C.,

(Lond., 1936). Europe in the Middle ages (814-1494)

14-Davis, R. H. C.,

A History of Medieval Europe (Lond., 1958).

15-Deanesly, M.,

A History of Early Mediaeval Europe (476-911) (Lond., 1956).

16-De Marlès, M.,

Histoire de la Damination Des Arabes et Des Maures En Espagne et Bo Portugal (Paris, 1825).

17-Diehle, C., and Marçais, G.,

Le Monde Orientale De 395 à 1081 (H. G. T. III) (Paris, 1944).

18-Dill, S.,

Roman Society in the Last Century of the Western Empire. (Lond.. 1925),

19-Dozy, R.,

Histoire Des Musulmans D'Espagne (Leiden, 1932).

20-Dutaillis, P.,

The Feudal Monarcly in France and England (Lond., 1949).

21-Evans, J.,

Life in Mediaeval France (Oxf., 1925).

22-Eyre, E., (Ed.)

European Civilization, Its Origins and Development (Oxf., 1935).

23—Fichtenau, H.,

The Carolingian Empire (Oxf., 1951).

24-Finlay, G.,

History of the Byzantine Empire (Edinb., 1856).

25-Foord, E.,

The Byzantine Empire (Lond., 1911).

26-Freeman, E.A.,

Western Europe in the Eighth Century and Onward (Lond., 1904).

27-Funk-Brentano, Fr.,

The National History of France (The Earliest Times) (Lond., 1927).

28-Gibbon, E.,

Decline and Fall of the Roman Empire (Lond., 1893).

29-Goubert, P.,

Byzance avant L'Islam (Paris., 1951).

30-Grégoire, H.,

The Byzantine Church (In Byzantium, Ed., by Baynes and Moss).

31-Gregory of Tours,

The History of The Franks (Translated by O. M. Delton) 2 Vols. (Lond., 1927).

32-Grousset, R.,

L'Empire Du Levant (Paris, 1949).

33-Hallam, H.,

View of the State of Europe During the Middle Ages (Lond. 1914).

34-Halphen., L.,

1—Charlemage et L'Empire Carolingien (Paris, 1947). 2—Les Barbares (Paris, 1948).

35-Hodgkin, T.,

Italy and Her Invaders (Oxf., 1892).

36-Hubert, H.,

The Greatness and Decline of Celts. (Lond., 1934).

37-Hunt, W.,

History of Italy (Lond., 1878).

38-Ives, G. B.,

History of the Byzantine Empire (New York, 1954).

39-Lane-Poole, S.,

The Moors in Spain (Lond., 1887).

40-Lavisse, B.,

Histoire de France (Depuis les Origines Jusqu'à la Revolution) T. I. (Paris 1903)

41-Lavisse, E., and Rambaloud, A. (Ed.).

Histoire Générale Du IV Siècle à No. Jours.

T. Première «Les Origines», (395-1095) (Paris, 1922).

42-Leclercq, D. H.,

L'Espagne Chrétienne (Paris, 1906).

43-Lévi-Provençal, E.,

1-L'Espagne Musulmane au Xeme siècle (Paris, 1932).

2-Histoire De L'Espagne Musulmane 3 Tomes (Paris, 1950-1953).

44-Levtchenkio, M. V., Byzance Des Origines à 1453 (Paris, 1949).

45-Lindsay, J.,

Byzantium into Europe (Lond., 1952).

46-Lot., F.,

Les Invasions Germaniques (Paris, 1935).

47-Martin, E. J.,

A History of the Iconoclastic controversy (London).

48-Masson, G.,

Mediaeval France (London).

49-Milman, H. H., History of the Latin christianity (Lond., 1872).

50-Mott, G. F., and Dec. H. M., Middle Ages (New York, 1952).

51-Oman, Ch., The Dark Ages (476--918) (Lond., 1949).

.52-Ostrogorsky, G.,

History of the Byzantine State (Translated, by J. Hussey) (Oxf., 1956).

53-Painter, S.,

A History of the Middle Ages (New York, 1954).

54-Pirenne, H.,

1-A History of Europe (Lond., 1948),

2-Mohammad and Charlemagns

'55-Poupardin, (Lond., 1954).

Le Royaume de Bourgogro (1888-1038). (Paris, 1907).

56-Reid, J. S.,

The Municipalities of the Roman Empire (Cambr., 1918),

:57-Risler, J. C.,

La Civilisation Arabe (Paris, 1955).

58-Rostovtseff, M.,

The Social and Economic History of the Roman Empire,

Vol. I (Lond., 1951).

59-Runciman, S.,

1-Byzantine Civilization (Lond., 1948).

2-History of the Crusades

3-vols., (Cambr., 1954),

60-Salmon, E. J.,

A History of the Roman. Empire (Lond., 1950).

-61-Scott, S. P.,

History of the Moorish Empire in Europe. 3 vols. (Lond., 1904).

62-Seignobos, C.,

L'Europe Féodale (H. G. T. II) (Paris, 1925).

63-Sergeant, L.,

The Franks (Lond., 1898).

64 Sismondi, J. C. L.,

History of the Italian Republics in the Middle Ages (Translated by W. Boulting).

65-Stephenson, C.,

Mediaeval History (Washington, 1943).

66-Stevens, C. E.,

Sidonius Appollinarius and His Age (Oxf., 1933).

67—Syme, R.,

68-Thonson, J. O.,

History of the ancient Geography (Camb., 1948). The Northern Frantiers Under Augustus (C. Anc. H. Vol. I).

69-Vassiliev, A.A.,

History of the Byzantine Empire (Madison, 1952).

70-Villari, P.,

The Barbarian Invasions of Italy (Translated by L. Villari) Vol. I.
(Lond., 1902).

#### (5)

من الملاحظ خلو المراجع العربية المتعاولة كلها تقريبا ، من الاشارة إلى غزوات العرب الأخيرة . في بروفانس ومنطقة الألب وما والاها ، سوى ما ذكره الأصطفرى وابن حوفل وياقوت ، ولذك ، خان أهم ما يرجع اليه ، حق الآجنية ولا سها ما كتبه الفرنسيون والإبطاليون والألمان ؛ ومن السجب حقا ، أن كتاب العرب في أسانيا الاسلامية ، لم يتناولوا النشاط الاسلامية ما يتناولوا النشاط الاسلامي في تلك المناط عند المسلمين في بروفانس حلى منال الينا ، أو نقدت خلال حركة الاسترداد المسيحى التي اشتمل أواها في أسانيا الاسلامية .

ولقد بذل المرحوم المحقق شكيب أرسلان جهدا مشكورا حين تعرض لهذا الموضوع ، وبذل أقصى ما يستطيح العالم المحقق الوطني أن يبذل في سبيل الوصول إلى الحقيقة ، إذ قام عالم يتم به إلا القلائل يوم سافر وشهد ما استطاع أن يشهدم من الآكار العربية في الأرض الأوربية ، وسأل وناتش واستقصى ؟ فأدى بذلك عدمة علمية باقية التاريخ العربي الإسلامى في العصور الوسطى .

ترجم شكيب أرسلان بحثين كبيرين هامين ظهراً في هذا الموضوع في القرن التاسع عشر :

الأول : البستثيرق الفرنس المحقق م . رينو (١٧٩٥ - ١٨٦٧ م ) ، وهو من مواليد عصر المئورة الفرنسية والعمر البونارق ، ومات تبيل الحرب السيميئية التي أذلت فيها فرنيسا ، كما عاصر حقو قناة السويس وحرب القرم وحركة البعث الايطال وعظمة الاتحاد الألمانى زمن بسيارك ، أي أنه عاش في عصر الحوادث الكبرى فى التاريخ العالمي . وقد نشر كتابه عام ١٨٣٦ م . وعنوانه بالكامل :

M. Reinaud : Invasions Des Sarrazins En France et de France en Savoie, en Piement et dans La Suise — Pendant les Huitième, neuvième et dixième Siécles de notre ere, D'Aprés les Auteurs Chrétien: et Mahometans,

وثقع ترجمة هذا الكتاب فيها أصدره شكيب أرسلان تحت عنوان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وابطاليا وجزائر البحر المتوسط ، من ص ١٦ – ٢٤٣ . وقد علق عليه ، وكان أمينا في إلغرجة والتعليق . و ذكر رينو في كتابه أن النين من الكتاب سيقاه في التعرض لحلا الموضوع ، هما :

1--M.B. ... N. C. F., Précis Histarique des guerres des Sarrazins dans les Gaulés (Paris, 1810).

2-Desmichels, M., L'Histoire Générale du Moyen age, T, II(Paris,1831)

وعا يدل على أمانة رينو العلمية ، أنه يستر ف بمبالغات الرهبان المؤرخين الماصرين لتلك الحوادث ؛ فهو يقول إنه ينتل ما سجلوء على علائه ، وإن لم يبرئه هذا من التحسب الذي وضح في بعض صفحات كتابه .

الثانى : للمستشرق الألماني فردنا ندكلر ، نشره في زيورخ عام ٢ ١٨٥ م . وعنوانه :

Dr. Ferdinand Keller : Der Einfall der :

Sarazenenen in Die Schweiz eim die Mirte des X Yahremdents.

ومعناه : ﴿ هَارَةُ الدَّرِبِ عَلَى سُولِيمِ ۚ فَى أُواسِطُ القَرْنُ العَاشِرِ ﴾ . وتقع ثرجة هذا الكتاب ، فى كتاب شكيب أرسلان ، من ص ٢٤٤ - ٢٧٥ ؛ وقد نقل كلر ، كما فعل سابقة ربيّو ، من الرجان المؤرخين ، كما فعل سابقة ربيّو ، وناقش بعض آرائه . وكان شكيب أرسلان قد ترجم هذا الكتاب ونشر مم هذا الكتاب ونشر مم هذا الكتاب ونشر مم هذا الكتاب ونشر مم هذا كتاب ، ولم يختصر علم ١٩٦١ م ؛ ثم أماد نقله بكالمه ، في كتاب ، ولم يختصر عنه إلا أرتم في هذا هذا إلى ترجم كتاب ربير .

وورد فى كتابى رينو وكار عند كبير من المراجع المعاصرة وغيرها ، من التي تعرضت للشاط المسلمين فى تلك البقاع ، وأنقل هنا بعضا منها :

فمن كتبوا عن تاريخ بروفانس ، وفصلوا في أحداث الغزو الإسلامي في الكتب التي أصدوها : Papon, Bouche .

- ومن برجنديا : Van Gingins

- رمن نم Menard : Nimes

- وعن مينر Hainut بحوعن مينر - وعن منطقة الألب العلما : Ladoucete

- ومن لانجاء ك Dan Vaissette

- وعن مقاطعة الفار Denys : Le Var
- كذلك أشارت ، إلى هذه الغزوات ، مجموعة مؤرخي فرنسا :

Recueil des Histrioens de France

- وكتاب غالة الميحية Gallia Christiana
- ــ ومن المؤرخين الايطاليين ، فيها أصدروه من كتب وبحوث :

Bonino-Debene-Dellachiesa-Durandi-Monbrizio-Sigeberto.

- رنى مجموعة التاريخ الحرمان : Manumenta Germanica Historica
  - وماكتبه Hubi في القاموس التاريخي السويسري :

Dictionnaire Histori que et Biographique de la Suise.

- وفي كتاب تاريخ دير سانت جالن الذي أصدره الراهب المؤرخ : Eckehard
- ـــ وكتاب مقاطعة سانت جائن لمؤلفه : Von arx
- رماكتيه المؤوخ الألماني : Luitprand المشترق عام ٩٧٠ م ، ونقله العام الأثرى الايطال. لودنيكو انطونيو مورانوري Muratori المترق عام ١٨٥٠ م ، وذلك في المجموعة التي نسبت اليه .
  - وكذلك ما كتبه المؤرخ الألمان شبر يخر Sprecher
  - ومن كتب التراج : : Gerhardi : Vita S. Oudabrici
- ومجموعة حياة القديمين المنسوية لمصنفها الراهب اليسوعي بالاند Baland ، وقد مات دون أن يكلها وأكلها غره وعنوائها : Recueil Des Balandistes
  - وجيمومة الراهب البندكي المؤرخ مارتن المشهور باسم درن يوكي : Don Boquet
     وهو من مواليد مديئة اميان Amniens بفرنسا ، وتوقى عام ١٧٥٤ م

# الإضافة في اللغبات السامية

## للدكتورة زاكية محمد رشدي

الاضافة صيغة وجلت في اللغة السامية الأصلية ، ولها نظير في اللغات المختلية الأوربية . وصيغة الاضافة هي ضم كلمة إلى أخرى التمبير عن صلة وثيقة بينهما . وتقوم قوة هذه العلاقة ومعناها بين اللغظتين على ما بينهما من رباط . وعلى وجود النبر حيث يكون أشد في الكلمة التابعة أى في المضاف إليه مثل . ميد الأرض . فالكلمة الثانية هي التابعة والنبر عليها أقوى منه على الكلمة الأولى .

# اعراب الضاف والضاف اليه :

عند إضافة اسم إلى آخر فى العربية يحذف من المضاف نون التثنية أو نون الجمع أو التنوين فيقال هذان غلاما زيد ، وهؤلاء بنوه ، وهذا صاحبه .

أما في العبرية والسريانية فلا نجد التنوين أصلا لأنهما قد أسقطا علامات الاعراب من نهاية الكلمات في مرحلة قديمة من مراحل تطور كل منهما .كما أنه لم يبق فيهما مثنى ولذلك ستتحدث عن نون الجمع في هاتين اللغتين .

فنى السريانية كما في العربية تحذف نون الجمع عند الاضافة في مثل الحائد و ١١) بمنى فع الفاكهة أمالغ و ١١) بمنى فع الفاكهة أمالغج من الفاكهة . فالجمع أصله وأقى (فيرين) بثبوت النون التي حذف عند الإضافة .

ولما كانت علامة الجمع في العبرية هي الميم فقد أسقطت كذلك عند الاضافة كنون الجمع في العربية والسريانية فكلمة (1913 (باليم) أي أبناء تصبح عند الاضافة قِدْلِدْ (بني )(١) مثل قِدْلِ اللهِ قِلَاللهِ اللهِ اللهِ مَنْشَقْمِ ) ( ملوك ثانى ٢ره) أي بنو الأنبياء .

وكا أن اللغة العربية تحلف النون والتنوين من المضاف فهي كذلك تجر المضاف إليه يبين الصلة بينه وبين المضاف ، كذلك المشخدمت اللغة الحبشية الفتحة كعلامة للاعراب ولكنها أدخلتها على المضاف وليس على المضاف إليه مثل : ﴿ عَلَيْ الْحَمْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ الل

وقد يكون المضاف إسما جامدا أو إسما مشتقا كاسم فاعل أو إسم مفعول أو صفة مشبهة . ومن أمثلة الاسم الجامد في العربية : هذا غلام الرجل . وقد يكون الاسم. المشتق إسم فاعل مثل : هذا هو قائل الرجل ، أو إسم مفعول مثل هو مروع القلب. أو صفة مثل هذا حسن الوجه وقليل الحيل وعظم الأمل .

وتشارك السريانية العربية في ذلك فقد يأتى المضاف إسها جامدا مثل عند شف (ملخ بابل) (أفراها ط 37 عرد (أى ملك بابل وقد يأتى مشتقا كاسم فاعلى مثل كوزند مكتمته و (قاربي شهاهيون) (القعمة السريانية ج ١٣٦٠ ١٣٦ أى قارتو أسحائهم و أو إسم مفعول مثل معجد كذلا (شميط لبا) [متى ١٩٥١] أى ممزق الفؤاد ، أو صفة مثل شهرا و ريقير ث دميا ) [متى ١٩٥٣] أى باهظة الحرن و

ونجد العبرية كللك تضيف الجامد والمشتق فن أمثلة الجامد هاتم المرابع (كتونث يوسف) [ تكوين ٣٩ - ٣١] أى قسيص يوسف وقد يكون المشتق إسم فاعل مثل ﴿ المِرْاءُ ١٩٤٨ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

 <sup>(</sup>١) بنى: تشير الكسرتان تحت الحرف إلى الإمالة حيث لا توجد علامة لما فى اللغة الربية فاذلا
 أتبحها بياء كانت امالة طويلة وإلا فهى تصيرة

Dillmann. Grammatik der Athiapischen sprache, Leipzig, 1899, P. 289, (7)

[مزامير ٢ - ٨] أى فاعلى الأثم ، أو مصدر مثل فينهنيهم بهيدانبت (منتقث المؤيم ) [ مزامير ٢ - ٢ ] أى من صرخة البائسين ، أو صفة مثل العالم مقاه مثل المنافر .

#### حالة الضاف :

ولكن بعض اللغات لم تكثف باضافة الاسم النكرة بل أرادت أيضًا أن تضيف الاسم المعرفة فاستخدمت لللك طرقا مختلفة .

فالعربية مثلا جعلت المضاف الجامد نكرة ولكنها ألجازت تعريف المضاف المشتق أى أدخلت الألف واللام عليه إذا كان مثنى أو جع مذكر سالم مثل هلمان المضاربا زيد وهؤلاء الضاربو زيد . أما إذا كان المضاف مفردا أو جع تكسير نقد اشترطت العربية لتعريفه (أى دخول الألف واللام عليه) شرطين :

(أولا): أن تنخل الألف واللام على المضاف إليه أيضًا كقواك الضارب الرجل ، والجعد الشعر ، والحس الوجه .

(ثانيا ) : أن تدخل الألف واللام على ما أضيف إليه المضاف إليه مثل السارق خزانة البنك ، والضارب رأس الجانى .

فاذا امتنع الشرطان السابقان امتنع تعويف المضاف فلا نقول الجمعد شعر ولا الضارب رأس جان . هذا في العربية أما في السريانية فقديما عم السريان استمال أداة التعريف حتى أصبح المعرف أو غير المذكر هو الأصل في الأسماء السريانية ، ولما كانت الاضافة في اللغات السامية لم تجز استمال أداة التعريف في المضاف لهذا لم يستطع السريان استغلال تلك الاضافة الموروثة فابتدعوا صيغة جديدة التوصل إلى إضافة الاسم المعرفة فريطواالاسمين المعرفين بالدال فقالوا كمثل في المدرقة الاسمين المعرفين المعرفين المعرفين المعرفين بالمال فقالوا وكما تربط اللهة الانجليرية المعرفين بلفظة وبتاء وفقول الملك بتاع بابل وكما تربط اللغة الانجليرية المعرفين بلفظة «متاع» في مثل The King of Babel وبذلك نرى أنهم في السريانية جاموا بالمداف والمضاف إليه المعرف أصلا.

وإلى جانب هذه الطريقة استخدم السريان طريقة أخرى لإضافة الاسم المعرفة وهي زيادة ضمير على المضاف من جنس المضاف إليه ومن نوعه ويعود عليه مع الربط بينهما بالدال فيقال مدند (اردا (ملحاه درعا) [مي ٥ - ١٣] أي ملح الأرض وإن كان ذلك مكروها في العربية.

وقد شاركت العبرية العربية والسريانية فى التعبير عن الاضافة بالصيفة الأصلية أى أن يكون المضاف غير معرف فيقال ﴿ إِنَّ اللَّهُ الْعَلَى حَارِسُ ﴾ . [عدد ٥ – ١٧] أى فى إناء خزف .

وكذلك شاركتها في التعبير عن الاضافة بمضاف معرفة ولكنها للتوصل إلى هذا أقحمت بعض الأدوات والحروف بين المضاف المعرف والمضاف إليه كالقحام المم الموصول واللام فقالت تعالم المخلال (هصون بأشر لآقيا) [تكوين ٢٩ – ٩] أى ضأن أبيها وأصلها قبل التعريف عنام بهجال (صون آثيها) وكاقحام اللام بمفردها مثل التقانات في المحموفيم لشاعول) [صحوثيل أول ١٤ – ١٦] أى مراقبو شاعول و

أما الحبشية فليس فيها أداة التعريف ولهذا لم تستخدم المضاف المعرفة . ولكنها شاركت السريانية والعربية في إدخال ضمير الموصول على المضاف إليه دون ما تعريف للمضاف . وهي لم تستعمل ضمير الموصول القديم (يا) الموجود الآن في اللغة الأمهرية ، وإنما استعملت الضمير (ز) فقالت : ሕክሊል: المستحدث ويقابل (ورق) أي إكليل فضة . ويقابل (ه) (ز) الحبشية (ذو) الطائية في العربية ، والمال ( \*) في السريانية .

واللغة الحبشية شاركت السريانية كللك في الحلاة الثالثة للاضافة وهي إلحاق ضمير في المضاف من جنس المضاف إليه ومن نوعه ويعود عليه ، ويتبع ذلك الضمير الدال في السريانية - كما ذكرت من قبل -- واللام في الحبشية فيقال : عمد السريانية السريانية شما الولد كما يقال في السريانية شمانية (المداء درعا) [متى ٥ - ١٣] ملحها الأرض أى ملح الأرض .

# صيغ الإضافة :

الإضافة في اللغات السامية لها صيغتان :

# الصيفة الأولى:

وهي أن يكون الاسم المضاف متصلا اتصالا مباشرا بالمضاف إليه أى لا يفصل بينهما فاصل :

## الصيفة الثانية:

أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه فأصل .

فالصيغة الأولى موجودة في جميع اللغات السامية فنقول في التعربية كتاب الولد ، وفي السريانية حدٌخت ( ملخ بابل ) [ أفراهاط ٤٦٨ – ١٨ ] أي ملك بابل وفي العبرية إلا ١٣٦٣ ( عم أدناى ) [ صعوثيل الثاني ١ – ١٢ ]

أى شعب الرب، وفى الحبشية : ﴿ وَهِي الْجَهِيمِ عَلَيْهِ الْجَهِمِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الساء .

أما الصيغة الثانية فتختلف من لغة لأخرى . فنى العربية يجوز الفصل بين المضاف المصدر أو اسم الفاعل وبين المضاف إليه بما نصبه المضاف من مفعول به أو ظرف أو شبهة . فثال ما فصل فيه بينهما بمفعول المضاف قوله تعالى (وكذلك وزن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ) في قراءة ابن عامر بنصب أولاد وجر الشركاء ففصل بمفعول المضاف إليه إذ أصلها قتل شركائهم أولادهم . ومثال ما فصل فيه بين المضاف والمضاف إليه بظرف نصبه المضاف الذي هو مصدر ، ما حكى عن بعض ما يوثق بعربيته بظرف نصبه المضاف الذي هو مصدر ، ما حكى عن بعض ما يوثق بعربيته الملائق وها أن بين المشاف الله عمول المنفاف الذي هو (ترك ) وبين المضاف إليه وهو نفسك . ومثال ما فصل فيه بينهما بمفعول المضاف الذي هو اسم فاعل قراءة بعض السلف (فلا تحسين الله مخلف وعلم رسله ) بنصب وعد وجر رسل . ومثال الفصل بشبه الظرف قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أي الدرداء (هل أنتم تاركو لي صاحي ) .

كذلك يجوز فى العربية الفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبى من المضاف ، وبنعت المضاف ، وبالنداء . فثال الأجنبي قول أبي حية النميرى يصف رسم الديلو .

كما خط الكتاب بكفيوما يهودى يقارب أو يزيد

ففصل بالظرف يوما بين كف ويهودى وهو أجنبى من كف لأنه معمول لخط ومثال النعت قول معاوية بن أبي سفيان .

نجوت وقد بل المرادى سيفه من ابن أبى شيخالأباطح طالب الأصل من ابن أبى طالب شيخ الأباطح . وكذلك قول الفرزدق :

ولئن حلفت على يديك لأحلفن بيمين أصدق من بمينك مقسم الأصل بيمين مقسم أصدق من يمينك .

ومثال النداء ما قاله بجير بن زهير بن أبي سلمي .

وفاق كعب بجير منقذ لك من تعجيل تهلكة والخلد في سقر

نفصل فيه بين المضاف والمضاف إليه بالنداء وهو كعب إذ هو يقصد وفاق يجير باكعب منقذ لك .

وفي السريانية يجب أن يقع المضاف قبل المضاف إليه مباشرة ، ولا يجوز الفصل بينهما إلا بكلمات قصيرة مثل أدوات التمليح حدر (جير) ، إلى (دين) ، ... (من) ، اللغ وكلمك هذا (وا) وأمثالها مثل حدة به حدا (بني دين بلها) [القصة السريانية ج ٣٩ – ١٦] أى أبناء بلهة حد السريانية ج ٣٩ – ١٦] أى أبناء بلهة حد المساحد (الاهكا جير شميا) [يوليانوس المرتد ] ٥٤ – ٨٨ أى إله الساء . تمكن المرتد ا

ومع ذلك فان الفصل بين المضاف والمضاف إليه جائز إذا استخدمت المعالم [، ولا يكون ذلك إذا لحتى المضاف تابع فحسب مثل شائله شكر مهيلا (حوشاتاه حليا دحطيفا) [ المضافة المحافظيفة ؛ بل قد تعترض كلمات إضافية أيضا مثل مشابقة إحد واقبلا (وحفرا وا تو قد دبيلا) (كاوحة Selecta) أى وكان أيضا رفيق الحزن .

كذلك في اللغة المبرية لايفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا بحرف أو بكلمة قصيرة مثال ذلك [معاولات المخالات ( هصوفيم الشاءول ) [صموئيل أول 18 – 19] أى المراقبون لشاءول . فغضل بين المضاف والمضاف إليه بحرف اللام ، ومثل المخالات المخالات المخالات المخالف الله بحرف أى المضأن التي لأبيها . ففصل فيه بين المضاف والمضاف إليه بكلمة قصيرة هي المضاف (أشر)وتاتها اللام ،

وفى الحيشية يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بضمير الموصول كا فى مثل : ATUA: MEA: / (إجرق زبيت) أى رب البيت، كما يجوز الفصل بينهما بالصفة مع اسم الموصول مثل : Ana.A: OB.E: MOCE (أكليل عبى زورق) أى إكليل كبير من ذهب . وكذلك يجوز أن يفصل بينهما بضمير يتبعه اللام مثل : Anamyse: (زيناهو الإسكندر) قصته الإسكندر أى قصة الإسكندر ،

# تكرار التراكيب الاضافية:

اشتركت جميع اللغات السامية في تكرار التراكيب الإضافية في جلة واحدة مثال ذلك في العربية حقاب قاتل النفس التي حرمها الله هم القتل ومثاله في السريانية ، رثب شدك وردة نفس ( زفن شولام مدفرانو بمون دفني شيم ) [ أفراهاط ۸۸ - ۱۲] أى زمن نهاية حكم أبناء سام ، ومثاله في المعرية المحالية في المعرية المحالية في العربية المحالية في المحالية في العربية المحالية في المحالية المحالية المحالية المحالية مثل المحالية المحالية المحالية مثل المحالية ا

ولكنا مع ذلك نجد أنه في العبرية لا يمكن لإسمين أو أكثر أن يتصلا بمضاف إليه واحد مثل جيد آباد اجداه إزاري داويد أبنوثاف ) [ ملوك أول٨-٢٨] وليس لنا أن إنقولية إجرد الجيداء آباد ( بني أبنوث داويد ) أي أبناء وبنات داودكا هو الحال في العربية .

وفى حالة عطف اسم على المضاف إليه يجب تكرار المضاف مثل إلا المجارة ا

### اهم الراجع

Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitis-\_ ; chen Sprachen, Berlin, 1908.

Dillmann, Grammatik der Athiopischen Sprache, Leipzig, 1899 ...

Gesenius, Hebräische Grammatik, Leipzig, 1899. ... y

Nöldeke, Syriac Grammar, translated from German by, Crichton,  $-\frac{1}{2}$  London, 1904.

ه ... أبو القامم محمود بن عمر الزنخشري – المفصل -- القاهرة – مكتبة الحانجي -- ١٣٢٣ هـ .

ب – إحمال الدين أبي تحمد عبد أنه بن يوسف بن حشام الأنصارى – أوضح المسالك إلى الغبة بن مالك –
 القاهرة – دار الكتب العربية ١٣٣٤ ه.

γ — عبد بن مالك الطائي — شرح بن عقيل مل من ألفية ابن مالك — القاهرة — مطبعة السمادة — ١٣٤١ م .

# مجرى جديد للنيـــــــل فى العطمور مشروع مقترح التخزين السنوى الممادل

## للدكتور صلاح الدين على الشيامي

استلذ الجفرافيا المساعد بكلية ألاداب ـ جامعة القاهرة فرع الخرطوم

سواء كانت مصر ووادى النيل الأدنى هبة النيل ، أو كانت هبة فيضان النهر الرتيب من روافده الحبشية العظمى ــ الأزرق والسوباط والعطبرة ــ فان الحياة المستقرة واستمرارها المتكامل ، والحضارة الأصيلة ونبعها الطيب ، تعتمد اعتماها تاما على مياه النيل . وليس ثمة شك في أن فضل اننيل وفضل جريانه المستمر الرئيب، وإيراده شبه المنتظم، على كل المستقرين على ضفافه، والساكنين في أرض واديه الخصب عظم وكبير'. وأى فضلأعظم أو أكبر من أن ينساب ماء النهر ، فيصبح شريان الحياة كلها في قلب الصحراء الحارة الفقيرة التي يعبرها من الجنوب إلى الشهالي . وهكذا كان النيل وما زال ، المورد العذب للماء الذي يعول الحياة ، ويمنح عشرات الملايين من البشر ، كل مقومات الرزق والعيش الطيب. وقد كان للنيل فوق ذلك كله ، فضل عظيم على العالم وسكانه ، الذين يسيرون على طريق الحضارة ويمارسون نموها المتوالى'. وكان ذلك الفضل حقيقة قائمة ، من اليوم الذي تلتى الانسان فيه ــ منذ بضعة آلاف من السنين ــ على ضفاف النهر ، وفي أحضان واديه الخصب وأرضه الطيبة ، أول درس من دروس الاستقرار المطمئن . وقد تمخض هذا الاستقرار منذ ذلك الحين عن أصول الحضارة والمدنية ، وأعمى مقوماتها الأصيلة . وهكله انبثق على ضفاف النيل ، وعند مجراه الأدنى ، الشعاع الذي ملاً الدنيا نورا ، ووضع البشرية كلها على طريق الحضارة والمدنية(١) . ونحن الذين نعيش على ضفاف النيل العظيم في كل من مصر والسودان ،

<sup>( 1 )</sup> مهما أمحلفت الآراموتئاحرت المدارس الفكرية بشأن الحضارة البشرية ونشأتها الاصيلة ، فان وادى النيل الأدنى فى كل رلى و لدى كل مدرسة من المدارس ، كان من أتهم الأوطان ، الني نشأت فيها الحضارة فى فجرها البديد .

ونرتوى بمائه العذب ، ندرك أهمية النهر العظمى ، بقدر ما ندرك قيمة الجريان شبه المنظم فيه .

والمفهوم أن ذلك الادراك قد اقتضى من الانسان على ضفاف النيل الأدنى مصر ، إشفاقا ولهفة وحرصا ، على مراقبة الجريان المائى فى النهر ، فى المواسم المتباينة . وكان من الطبيعى أن يؤدى الاشفاق واللهفة والمراقبة ، إلى بذل وتحقيق المتباينة . وكان من الطبيعى أن يؤدى الاشفاق واللهفة والمراقبة ، إلى بذل وتحقيق الجريان المائى فيه . ويمكن أن نذكر أن الانسان المصرى قد قام بكل ما من شأنه أن يروض الجريان المائى فى النيل ، وأن يهذب المجرى ، بالطريقة أو الطرق التي يستجيب بها العمل العظيم لاحتياجات رى الأرض المنزرعة ، أو التي تلبي وتغي يعتابعة الخطط الرامية إلى تنمية قطاع الزراعة ، ولعل من الضرورى أن نشير فى يعنابعة المعلمة الرامية إلى استئناس النهر وضبط الجريان وتسوية الايراد السنوى فيه ، قد استفرق عملا جباراً وجهلا عظيا ، يرتكز إلى خبرات ضخمة وعميقة ، اكتسبها الانسان المصرى بالملاحظة والتجربة ، فى أثناء يضعة الاف من السنين (١٠) .

ونحن نكتني في هذا المجال بأن نشير — في إيجاز شديد — إلى سمات الأعمال العظيمة التي استهدفت ضبط النيل ، واستغرقت الجهد والمال ، في أثناء المائة سنة الأخيرة ، من حوالى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى إلى الآن . وقد حققت هذه الأعمال الإنشائية العظيمة ضبط النيل ، في أثناء تلك الفترة على ثلاث مراحل ، على وجه التحديد . ويمكن القول أن هذه المراحل — في جمتها — كانت أساسية ومتوالية ، بقدر ما كانت متناسقة ومتكاملة ، في مجالى ضبط الجريان المائى في النهر ، وقد اشتمات هذه المراحل الثلاث على مشروحات هنده بلايراد السنوى فيه . وقد اشتمات هذه المراحل اللغيجاز من وجهة النظر الفتية البحتة ، ويمكن للباحث أن يعرض هذه المراحل ، وطبيعة العمل الانشاق فيها ، عرضا موجزاً ، على انحو التالى (٧٠):

<sup>(</sup>١) راجع ما ورد بشأن هذه الجمهود والأعمال في الكتب الآتية :

Hurst, H.E.: The Nile Basin. vol I p.p. 3-7; The Nile. p.p. 33-38

 <sup>(</sup>٢) ضبط النيل والتوسع الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة (مجلة كلية الآداب ، الهجلد ٢١ الجد ٢١ الجد الثاني . من صفحة ١٠٠ إلى صفحة ١٠٠ ) .

أولا: مرحلة إنشاء القناطر على مجرى النيل انرئيسي وفروعه في مصر الدنيا ، وذلك بقصد الاستفادة من عملية الموازنة على جسم كل قنطرة من هذه القناطر ، في مجال توزيع الماء وتنظيم المناوبات على الأرض المروية . والمفهوم أن جسم القنطرة كبناء ضخم في عرض النهر من جانبه الأيمن إلى جانبه الأيسر ، يؤدى إلى رفع منسوب الماء في الأمام ، في موسم انخفاض المناسيب ، إلى الحد أو المنسوب ، المنى يكفل أو يحقق تغذية أقمام ترع التوزيع الكبرى ، التي تسهم في رى المساحات الكبيرة من الأرض المنزرعة ، ريا مستمراً أو دائمًا . ولعل من الواضح أن عمل الانسان في هذه المرحلة المبكرة الأولى قد اقتصر على التأثير على مناسيب الماء في مواضع معينة فقط ، هذا ودون أن تكون له القدرة على التحكم في الإراد المائي ، أوتسويته وتعديل مواجد وصول الماء إلى الأرض المنزرعة .

ثانيا : مرحلة تسوية الايراد المائي السنوى النهر من موسم إلى موسم آخو ، أو من الفترة التي يحقق الفيضان فيها الجريان على ماسيب عالية ، إلى الفترة التي تتدهور المناسيب فيها بشكل ملحوظ . وقد استهدفت هذه المرحلة ، التي مارس الانسان المصرى فيها التخزين السنوى ، بناء السلود الفيخمة ، التي تعترض مجرى البهر وواديه من الجانب الأيسر إلى الجانب الأين، في مواقع متفرقة . وكانت هذه السلود – سد أسوان وسد سنار وسد جبل الأولياء – تمثل أعمالا إنشائية ضخمة عظيمة ، من وجهة النظر الهندسية . وكان من شأن تشغيلها وفق الخطة الموضوعة ، تحقيق رصيد كبير من الماء ، الذي يصير حجيزه وتحزيته ، في حوض التخزين أمام جسم كل سد من هذه السلود . والمفهوم أن هذا الرصيد المختزن من الماء ، كان يضمنها أسلوب تشغيل السد ، المى يضاف بحساب معين دقيق ، وفق الخطة التي يتضمنها أسلوب تشغيل السد ، المى الايراد المائي الطبيعي المنخفض ، في أثناء الفترة الحرجة ، من شهر فبزاير المي شهر يونيو من كل عام . ويعني بلك أن الانسان المصرى في هذه المرحلة ، باتت له القدرة الحقيقية على التحكم في حجم كبير من الجريان المائي في النهر ، وتسوية الإيراد العلبيعي من موسم إلى موسم آخر بشكل ملموظ .

ثالثا : مرحلة تسوية الايراد المائى السنوى للنهر على مستوى عدد كبير من السنين من أجل تحقيق الرصيد الضخم من الماء ، في حوض من أحواض التخزين المعظيمة الحجم. وتتمثل هذه المرحلة التي يمارس فيها الانسان المصرى نظرية التخزين المستمر Over Year Stotage وتنفيذ سد أسوان العالى في الوقت الحاضر و ويعتبر هذا الأسلوب من أساليب التخزين المبنية على نظرية خاصة ، وسيلة من الوسائل المثلى في بجال ضبط النهر (۱) . ويمكن القول أنها تمنح الانسان القدرة الكاملة على التحكم في كل الجريان المائي في النيل ، في موسم من المواسم ، وخاصة في شهور الفيضان ، الذي ترتفع فيه المناسيب ارتفاعا هائلا ، وتنساب معظم مياهه لمي البحر . ويعني ذلك أن التخزين وفق هذه النظرية من شأنه أن يقلل حجم الفاقد من إيراد النهر من ناحية ، كما يؤدى من ناحية أخرى إلى زيادة كبيرة في حجم حصة الماء ، فرص مسر السنوية من إيراد النيل الطبيعي ، وتكفل هذه الزيادة في حصة الماء ، فرص التوسع الأفقى والرأسي في مساحات الأرض المنزرعة في مصر ، يقدر ما تكفل رصيدا كبيرا مطمئنا ، يسد العجز ويلبي الحاجة ، في بعض السنين التي يتعرض ورسيدا كبيرا الطبيعي فيها للتدهور أو النقص الخطير . ويعني ذلك أنه بقدر ما يتي مصر باحتهالات التعليمة شر الفياضانات العالية الخطير ، ويعني ذلك أنه بقدر ما يقي مصر باحتهالات التعدور في مناسيب الجويان ، أو إن شتت قل الذبذبة المنوقعة في الايراد المائي السنوى ، في سنة من السنين الشاذة (٢٧).

وإذا كانت هذه المراحل المتوالية من حيث انتنفيذ ، والمتكاملة من حيث التشغيل ، قد حققت لمصر فرص التوسع في مساحات الأرض المنزرعة أفقيا ورأسيا ، فان الذي يهم الباحث بعدثذ هو متابعة البحث والدراسة بشأن المستقبل ، بعد الانتهاء من إقامة أو إنشاء سد أسوان العالى ، وتشفيله تشغيلا كاملا في حوالي سنة ١٩٧٠ د ويعنى ذلك أن هذه المرحلة الأخيرة لا تكاد تمثل خاتمة المطاف ، في مجال إحكام

<sup>(</sup>١) راجع أسلوب التخزين المستمر في كتابنا (مياه النيل) من صفحة ٩٢ إلى صفحة ٩٥

<sup>(</sup> ۲ ) يخضع الابراد الستوى للنيل لذبابة كبيرة غير متخلهة . وهو بقدر ما يسجل الزيادة في بعض السنين ، يتدهور في بعض السنين الآخرى تدهوراً خطيرا . وتشير بيانات الرصد إلى أن متوسط إبراه النيل بلغ في الفترة من سنة ١٨٦١ إلى سنة ١٨٦٨ ، حوالي ١٠٣ مليارا من الأمتار المكمية في السنة . وأنه بلغ في الفترة من سنة ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٣٦ ، حوالي ٨٣ مليارا من الأمتار المكمية في السنة . هذا وقد سجلت سنة ١٩٦٩ إبرادا شعيما ، بلغ حوالي ٥٠ مليارا من الأمتار المكمية فقط . وهذا الابراد يقل- بطيعة الحال عن صبح الاحتياجات المائية التي تفي عاجة المساحات المروية في كل من مصر والسودان ، بقدر كبير يبلغ حوالي ١٩ مليارا من الأمتار المكمية ، مقدرة عند أسوان .

السيطرة على ماء النيل وضبط جريانه . ذلك أنها فى حقيقة الأمر بجرد مرحلة من المراحل الهامة على الطريق الطويل ، الذى يستهدف المزيد من السيطرة والضبط ، بقدر ما يستهدف المزيد من الماء .

ويمكن القول أن هناك أكثر من ضرورة ملحة تقتضى الاستمرار في مجالات المدراسة والبحث الرامية إلى ضبط النهر ، ومتابعة العمل أو الأعمال الانشائية ، التي تحقق مزيدا من التحكم في الايراد المائي بصفة عامة . ويمكن الباحث من خلال الفهم العام لهذه المقتضيات الهامة من وجهة النظر الغائمة في كل من مصر والسودان ، ال يلقي الأضواء على أمرين هامين . والمفهوم أن كل أمرمنهذين الأمرين ، يرتبط بالفترة التي تأتى مباشرة بعد انتهاء مرحلة التوسع الأفقى وارأسي في الأرض المنزوعة في مصر ، لكي تصبح – في جملتها –حوالي ثمانية ملايين من الأفذئة . وغن تؤكد – على كل حال – أن الانقلاب الزراعي الذي انطلقت أول مرحلة فيه في حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، لن يكون تشغيل السد العالى بكامل طاقاته ، نهاية يصل بها الانقلاب أو الثورة إلى القمة ، التي يتوقف عندها التوسع الزراعي في يعرف بالانتهامين الأفقي و لرأسي (1).

ويتعلق الأمر الأول بضرورة متابعة العمل فى مجالات زيادة حجم الايراد المائى الطبيعى للنيل بصفة عامة ، والمفهوم أن هذا الايراد السنوى ضئيل وقليل ، بالنسبة لايراد بعض الأنبار الأخرى العظمى ، كنهر الكنفو أو نهر الأمزون . بل هو من ناصية أخرى ، إيراد يتعرض - كما قلنا - لذبذبة كبيرة ، بالزيادة أو بالنقصان من سنة إلى سنة أخرى. وقد تكون الذبذبة فى بعض السنوات الشاذة رهيبة ، وغاية فى الحطورة . وتشير السجلات إلى أن الايراد المائى العلميعى سجل فى بعض السنوات تدهورا خطيرا وانخفاضا فى المناسيب ، بشكل غيف يهدد الحياة تهديلا مباشرا ، فى صميم لقمة العيش ومورد الرزق ، والمعروف أن من أهم الدوافع الى أدت إلى تشكيل الهيئة الفنية العلما لمياه النيل ، من فنين من كل من مصر والسودان ، وفقا لاتفاقية سنة ١٩٥٩ بين الدوليق النيل ، عن فنين من كل من مصر والسودان ، وفقا النيل لاتفاقية سنة ١٩٥٩ بين الدوليق النيل المياه النيل المياه الم

 <sup>(</sup>١) تبلغ مساحة المحاصيل التي يتضمها التوسع الرأسى في الحطة حوال ١٥ مليونا من الأفشائة
 (راجع ضبط النيل والتوسع الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة صفحة ٢٠٣) .

<sup>(</sup> ۲ ) راجع نصوص آتفاقية مياه النيل بين مصر والسودان المعقود في ٨ نوفعبر سنة ١٩٥٩ .

وضبط النهر ، هو متابعة العمل والبحث والدراسة وتنفيذ المشروعات ، في مجال إحكام السيطرة على الجريان المائى من أجل زيادة حجم الايراد المائى الطبيعى بصفة عامة . ويمكن القول أن تحقيق هذه الأهداف يكون رهنا باقتراح وتصميم وتنفيذ وتشغيل بعض المشروعات الهندسية ، في أجزاء متفرقة من حجرى النيل ، أو من الروافد النهرية النيلية .

وتتمثل هذه المشروعات في جلتها في الأطراف الجنوبية من حوض النبل ، جنوب خط عرض ٩ شهالا . ويكون ذلك على اعتبار أن سد أسوان العالى من شأنه أن يتحكم في إيراد الاحباس والروافد الحبشية ، ممثلة في الأزرق والسوباط والمطبرة ويمكن القول أن المشروعات المقترحة جنوب خط العرض ٩ شهالا ، تستهدف نقيجتين هامتين على وجه العموم .

۱ — تتمثل التنيجة الأولى فى الرغبة الماحة فى تقليل حجج الفاقد من مناطق الفقدان العظمى ، فى حوض بحر الجبل والسوباط الأدفى . وتعتبر المشروحات المقترحة فى هذا الحجال وسيلة مثلى من وسائل زيادة حجم الايراد النيلي الطبيعي من الأحباس الاستوائية فى قلب أفريقية . وليس ثمة شك فى أن حجم الفاقد فى هذه المنطقة من مناطق الفقدان(۱) كبير بشكل يؤكد احتمالات الزيادة فى الايراد الطبيعي السنوى .

٢ – وتتمثل النتيجة الثانية في إقامة أو إنشاء المزيد من اسدود والأعمال الانشائية في مواقع منتخبة ، على المجارى النيلية في هضبة البحيرات ، بقصد تسوية

 <sup>(</sup>١) يقسم الفنيون حوض النيل من حيث طبيعة الجريان وصفة الفائض Rum oft والايراد
 إلى ثلاث مناطق متباينة على النحو التالى :

١ – مناطق الكسب وهي التي تحقق فائضا و إيرادا يضاف إلى الجريان في النهر .

٢ – مناطق الفقدان وهي التي يتحقق فيها خسارة لبعض من الاير اد بالتبخر أو التسرب أو النتم .

٣ - مناطق التعادل وهي التي لا يحقق المطر عليها فائضا ، ولا يمكن أن يكون ثمة كسب أو خسارة.
 هذا وتعتبر منطقة السعود في حوض بحر الحيل من أعظم مناطق الفقدان في حوض النيل . (راجع كتاب سياء النيل صفحة ٣٣) .

الإيراد المائى اللمائم من الأحباس الاستوائية ، على مستوى عدد كبير من السنوات<sup>(1)</sup>. وتكاد تعبر هذه النقيجة من ناحية أخرى عن معنى من معانى العمل ، من أجل إحكام السيطرة ، وزيادة حجم الايراد الطبيعى .

ولما كانت الدراسات الدقيقة والمأحث الفنية لحساب الفاقد من إيراد النيل من الروافد والأحباس الاستوائية ، قد أثبتت ضياع حوالى ١٥٠/ من هذا الايراد فيا بين منجلا وملكال ، في المستنفعات ، التي تبلغ مساحتها قدرا يتراوح بين ٨٣٠٥كيلو متر مربع في حالة المناسيب المنخفضة ، وحوالى ٢٢٠٠٠كيلو متر مربع في حالة ارتفاع المناسيب ، في بحر الجبل بمعدل ٥٠ سنتيمترا فقط ٧٦ ، فان التخزين في هضبة البحيرات يكون عديم القيمة ، لو لم يتم شق قناة جونجيلى ، التي تكفل تصريف كل الايراد ، وتعمل على نخفيض حجم الفاقد الكبير في منطقة المستنفعات ، والمدود ٧٦ . ويعنى ذلك أنه من الفروري أن يسبق العمل في منطقة المستنفعات ، عمل آخر من شأنه ضبط أو تسوية الايراد الطبيعي من الأحباس الاستوائية .

ومهما يكن من أمر ذلك كله ، فان مصر فى حاجة مستمرة إلى مزيد من الماء ، من أجل زيادة مساحات الأرض المنزرعة بالشكل الذي يتناسق مع زيادةعدد السكان. وتفهم طبيعة هذه الحاجة المستمرة على ضوء العلم بأن تشغيل سد أسوان العالى بكامل طاقاته لا يكاد يوفر أكثر من ٧٠ مليارا من الأمتار المكتبة سنويا . وعلى الرغم من علمنا بأن هذه الحصة تكاد تزيد عن حصتها فى الوقت الحاضر — قبل

<sup>(</sup>١) نشير إلى مدأوين Owen على فم النهر المتعنق من بحيرة فكتوريا ، والذي ممار تشهيه في سبة ٥٠٥٠ . كما تشير إلى مد البرت المقترح التخزين المستمر . ( راجع مياه النيل من صفحة ١٤٦ إلى صفحة ١٥٦ ) .

<sup>(</sup>۲) يتراوح هذا الفاقد سنويا بين ٢ مليارات من الأعتار المكتبة كعد أدنى ، و ١٨٥ مليارا من الأمتار لملكتبة كعد أعلى . هذا بالإضافة إلى فقدان كل كية الميلر السنوى ، على حوض بحر الجبل ، والتي نقدو بحوال ٩ مليارات من الأمتار المكتبة . ويعن ذلك أن حجم الفاقد الحقيق السنوى يتراوح بين حوال ١٥ مليارا لاكثر السنوات شحا ، وحوال ٢٧ مليارا لاكثر السنوات علمرا وايرادها من الاحباس الاصوائية . ( راجم ضبط النيل والترسع الزراعي صفحة ٢٠٥ و ٢٠٥ ) .

<sup>(</sup> ٣ ) قدرت بلخه شروعات الرى الكبرى لسنة ١٩٤٩ الفاقه في حوض مجر الغزال مجوال ١٦ مليارا من الامتار المكمية سنويا .

<sup>(</sup>راج تقرير اللجنة صفحة ١٧).

تشغيل السد العالى ... ، بحوالى ٧٥ مليارا من الأمتار المكعبة سنويا ، إلا أنها لا تكاد تع بكل الاحتياجات المطلوبة ، لمتابعة التوسع الزراعى المرتقب . هذا والمفهوم أن الحصة المتوقعة والبالغ قدرها فيه و مليارا من الأمتار المكعبة في السنة ، سوف تحقق رى وزراعة حوالى ثمانية ملايين من الأفنان المكعبة في السنة ، سوف الأرض .. في واقع الأمر ... كثيرا عن الرقم الذي يمثل أو يعبر عن الحد الأعلى لاحتيالات التوسع الزراعي على مياه المنيل . ويعني ذلك أن الحاجة الملحة لمتابعة التوسع الأقتى في كل المساحات القابلة الزراعة في حدود وادى النيل ، والوصول بالوقعة المنزرعة إلى حوالى ١٠ ملايين من الأقدنة ... حسيا ورد في تقديرات بلنة المقترحة ، التي من شأنها زيادة الايراد العلبيعي السنوى لمياه النيل بصفة عامة ، وبالتالى زيادة حصة مصرمن هذا الايراد بالمعلل ، المتفرعليه مع حكومة جمهورية السودان في اتفاقية سنة ١٩٥٩، المعلوب على كل حال ... هو الوصول بحصة مصر من إيراد النيل ، إلى حوالى ٩١ مليارا من الأمنار المكعبة سنويا(٣) .

 <sup>(</sup>١) قدر استمال التوسع في تقرير ضبط النيل لسنة ١٩٢٠ بحوالى ١٩٢٠ مليونا من الأفدنة ،
 أما تقدير لجنة خبراء مشروعات النيل لسنة ١٩٤٩ ، فقد بين استمالات التوسع في الأرض على النحو.
 التالى :

<sup>( 1 )</sup> مساحات الأرض الداخلة فى الزمام بعد استبعاد المنافع العمومية . ٧٫٤٨ مليونا من الأقدنة.

<sup>(</sup> ب ) مساحات الأرض التي تقتطع من البحير ات الملحة ٠,٢٧ مليونا من الأفدنة .

<sup>(</sup>ج) مساحات الأرض القابلة الزرامة وتحتاج لرفع الماء إلى حوالى ١٠ متر ١٥٥٦ مليونة: من الأندنة .

<sup>(</sup>د) مساحات الأرض الفابلة للزراعة مع رفع الماء ليل حوالى ٢٠ مترا . ٢٩٥، مليونا من الأقلفة. جملة المساحة القابلة الزراعة ويمكن عارسة التوسع الافتى فيها ١٩٥٨ مليونا من الأقلفة (راجع تقرير لجنة خبراء شروعات النيل الصادر فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٩ . صفحة ١٨).

 <sup>(</sup>۲) تنص الاتفاقیة بین مصر والسودان على أن أی زیادة فی حجم الایراد الطبیعیالسنوی بعد
 تشفیل السه المالی ، یجب آن تقسم مناصفة بین کل منهما .

<sup>(</sup>٣) ورد فى الملحق رقم ٢ فى تقرير لجنة خبراء مشروعات الرى الكبرى لسنة ١٩٤٩ ، أن الخاجات المائية لمصر ، من أجل التوسم الزراعى فى حوالى ٥٥٨ مليارا من الأندنة ، تبلغ ٢٨٥٩ مليارا من الأمتار المكمية ، وأن الحاجات المطلوبة لزراعة حوالى ٩٩٥٩ مليارا فى السنة .

ويجب أن ندرك عن اقتناع حقيق أن تحقيق هذه الحصة ضرورة ملحة ، بقدر ما هى ملزمة ، ويدعو إليها إصرار مصر الكامل على متابعة النوسع الزراعي في الانجاهين الأقمق والرأسي . والمفهوم أن ذلك النوسع يجب أن يكون بالقدر الذي يلبي احتياجات النمو السكاني الكبير ، والذي يحقق الموازنة المطلوبة في هذا القطاع من قطاعات الانتاج الأساسية ، لرفع مستوى المعيشة بصفة عامة ، أو لحجرد الاحتفاظ به عند حد معين على أقل تقدير .

أما الأمر الثاني فيتعلق بطبيعة الحجز على جسم سد أسوان العالى ، وانتخزين فى حوض التخزين العظيم الحجم ، واحتمالات الاطاء فى هذا الحوض ، نتيجة للتحكم الكامل في الحجم الكلي اللجريان في النهر من مياه الفيضان . والمفهوم أن حساب السعة في هذا الحوض ، الذي يعرف باسم بحيزة ناصر ، قد وضع في اعتباره هذا الأمر بشكل ملحوظ . وقد قدرت هذه السعة التي يصطلح الفنيون على تسميتها باسم سعة التخزين الميت Dead Storage ، بحوالى ٣٠ مليارا من الأمتار المكعبة . ويمكن القول أن هذه السعة تتحقق على منسوب ١٤٧ مترا ، فوق مستوى سطح البحر أمام جسم السد العالى . وتؤكد الدراسات والمباحث الفنية المبنية على دراسة حجم الحمولة العالقة بمياه النيل، في كل من موسمي الفيضان وارتفاع المناسيب ، والغيضان وانخفاض المناسيب ، أن هذا التقدير سليم ومقبول إلى حد كبير . وقد قلدرت نسبة المواد العالقة بحوالي ٤٠٠ جزء فى المليون ، فى موسم انخفاض المناسيب ، وأنها تتزايد فى موسم الفيضان إلى حوالي ٤٠٠٠ جزء في المليون . ويشير هرست إلى أن حجم الحمولة العالقة . التي تمر بموقع حلفًا في أثناء السنة تبلغ حوالي ١١٠ مليونًا منْ الأطنان ، منها ٤٠ مليونا من السلت، و٣٠ مليونا من الرمل الناعم، و ٣٠ مليونا من الطفل(١٠. وتعادل هذه الملايين من الأطنان حوالى ٦٠ مليونا من الأمتار المكعبة ، في السنة ـ وتكاد تؤكد الدراسة أن إرساب هذه الملايين من الأمتار المكعبة من المواد العالمة ، سوف يؤثر على حوض التخزين ، أمام جسم السد العالى من سنة إلى سنة أخرى . ومع ذلك فإن الارساب المتوالى لن يؤثر على السعة الأساسية للتخزين الحي ،

Hurst, H.E; The Nile P. 276. (1)

Live Storage فيها بين منسوب ١٤٧ ومنسوب ١٧٥ مترا فوق مستوى سطح البحر ، إلابعد حوالى ٥٠٠ سنة على وجه التقريب (١).

وليس ثمة شك في أن تشغيل سد أسوان انعالى تشغيلا كاملا بعد سنوات قليلة ، من أجل تحقيق الحصة السنوية من الماء لرى الأرض المنزرعة في مصر ، والتوسع في مساحات جديدة ، تقدر بحوالى ٢٥/ من المساحة المنزرعة في موسم ١٩٦٢ من المساحة المنزرعة في موسم سوف يغطى تكاليف الانشاء والتشغيل والصيانة مثات المرات (٢). ومع ذلك فان أي عمل أو اقتراح من شأنه أن يقلل من حجم الارساب والاطاء في قاع حوض التخزين في بحيرة ناصر ، وأن يطيل عمر هذا الحوض العظيم ، جدير بأن يحظى بالاهمام والعاينة والدراسة الفنية المقيقة .

والموضوع الذي نراه جديرا بالمناقشة والمدراسة ، في مجال التفكير الرامي الميحث عن احتمال زيادة الإيراد المائي الطبيعي ، وزيادة حصة مصر السنوية بعضة خاصة ، وفي مجال البحث بشأن العمل الفني ، من أجل زيادة طول عمر حوض التخزين في بحيرة ناصر ، أمام جسم سد أسوان العالى، هوه شروع مجرى جديد مقترح النيل في صحراء العطمور . والمقروض أن يكون هذا المجرى الجديد المقترح ، متابة فرع النيل يناظر النيل النوبي ويمر على محور عام من الجنوب إلى الشال مخترة الرض صحراء العطمور . ويكون هذا التفرع من النيل النوبي المرئيسي عند الموقع الملائم خلف أو أمام أبو حمد ، ويصير استخدامه لتمرير بعض المياه الجارية . كما يمكن استخدام حوض هذه الدراع المقترحة كحوض للتخزين السنوى العادى والتخزين المعادل . ولعل من الفرورى أن يشير الباحث إلى أن التخزين المحادل . ولعل من الفرورى أن يشير الباحث المه الأمهار ، وأنه يتم وفق نظرية خاصة من نظريات التخزين المحتلفة . ويمكن المبشرة هذا النظ من أنماط التخزين ، بعد ممارسة التخزين المستمر في الموقع مباشرة هذا النظ من أنماط التخزين ، بعد ممارسة التخزين المستمر في الموقع

<sup>(</sup>١) ضبط النيل والتوسع الزراعي في الجمهورية العربية المتحدة صفحة ١٩٨,١٩٧ .

<sup>(</sup> ۲ ) الشاى : مياه النيل صفحة ١٨٢,١٨١

<sup>(</sup> ٣ ) الشامى : مياء النيل صفحة ه٩٦٫٥ .

الملائم على النهر . ويقتضى العمل وفق نظرية التخزين المعادل خصم جزء من الحصة ، التي تصرف من الماء الرصيد في حوض التخزين المستمر ، بحيث تكون معادلة المهاء الذي يتحقق كزيادة طارتةعن الايراد الطبيعيمن رافد من الروافد النهرية (١٠). ويضمن هذا النمط من أنماط التخزين كميات إضافية من الماء ، التي يترود بها النهر في بعض سنوات الشح وانخفاض مناسيب الجريان المائي عن المعدل .

ونود بهذه المناسبة أن نشير إلى أن فكرة هذا المشروع المقترح قديمة وترجم إلى حوالى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى . وقد انبثقت هذه الفكرة ، التي تبلورت في تفكير دكتور أباتا باشا (٢٦) بعد رحلة سعيد المشهورة إلى السودان ، ومروره في طريق العطمور الصحراوى . وكان ذلك التفكير المتغجر (٢٦) في وقت مبكر استجابة طبيعية للحاجة الملحة ، الرامية إلى خلق الطريق المائى الصالح شك في عبال الاتصال والربط بين كل من مصر والسودان . وليس ثمة شك في أن عرض هذا المشروع والتفكير المبكر فيه ، كان في الوقت الذي اتجه المبدث فيه صوب وسيلة من وسائل النقل ، التي تستجيب للرغبة في الاتصال المباشر بين وادى النيل الدي والأوسط ، وتحققه من أجل أهداف إدارية واقتصادية خلك أن الجنادل في مجرى النيل النوبي ومدافع الماء Rapids ، كانت تفف شاغة في سبيل الملاحة المنتظمة وتنظيم الخلمات الملاحية في النهر ، كما كانت الصحراء الفقيرة التي تنتشر على جانبي الهر ، وتكاد تطبق على واديه الضيق ،

<sup>(</sup>١) يسبح الار اد الطبيعى في مثل هذه الحالة ؛ عبارة عن الحصة من الحاء الى تتطلق من حوض التخزين ، الذي يصل وفق نظرية التخزين المستمر ، مخصوط سنها كل ايراد الصافى ، زائد عن معالى الابراد الطبيعى من بعض روافد النبر .

<sup>(</sup> ٢ ) كان أباتا باشا رئيسا المبحمية الجغرافية المصرية ( الحديرية ) في أواخر القرن التاسع عشر . ( ٣ ) يذكر أباتا باشا أنه عرض فكرة هذا الاقتراح لأول مرة في مقالة منشورة سنة ١٨٥٨ في مجلة تصدر في باريس تحت اسم L'Afrique Central . ويشير إلى أن عضوين من أعضاء الجمعية الجغرافية و المصرية قد عرضا نفس الفكرة في الجمعية الجغرافية في جلسة ١٨٥ يناير ١٨٩٣ ، وفي جلسة ٢٥ مادس من نفس السنة . وقد نشرت الفكرة أيضا في مجلة الجمعية الجغرافية الفيقاه المتحالية للمحالية المحالية المحالية المحالية المحالية للمحالية للمحالية المحالية المحالية المحالية المحالية المحالية ١٨٥ . أما التحريج المحالية المخرافية قند كان في جلسة ١٩٩٩ . وليسمبر سنة ١٨٩١ .

تجعل حركة المرور من الشهال إلى الجنوب بطيئة، بقدر ما هى صعبة ومعرضة المخطر . وجدير بالذكر أن نشير إلى أن هذه الفكرة التى يتضمنها المشروع المقترح ، كانت موضع مناقشة ودراسة فى الجمعية الجغرافية المصرية ، فى حوالى العشر سنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر . وهكذا حظى هذا التفكير بعناية موضوعية كبيرة ، وقد أصدرت يشأن الفكرة توصيات عامة من وجهة النظر الجغرافية على الأقل فى أواخر ذلك القرن الماضى ، ولعل من الضرورى أن نشيد فى هذا الحجال بهذه الروح العلمية الخلاقة ، التى تعبر عن استجابة الجغرافيين لمثل هذه الأمور ، والمرضوعات التى تتعلق بالنيل والدراسات النبلية .

ويهمنا في هذا المجال أن نسجل الجهد الذي بذله أباتا باشا ، وسعيه المطلق من أجل عرض الفكرة عرضا فنيا ، يلتي الأضواء بالقدر الذي يعبر عنها ، ويضعها في الاطار الموضوعي السلم . ويبدو أنه كان حريصا على جمع المعلومات والدراسة في الحقل ، وسلامة التقدير في تصوير الفكرة . وقد عاون أباتا باشا صديق له من الخبرات الفنية ، القدر الذي حقق عرضا فنيا موجزا بهدا المشروع المقترح .

# العرض الفنى لمشروع قناة عباس الثاني :

نود أن نسجل في مجال الحديث عن هذا العرض الفني الذي قدم في ٣٠ أبريل سنة ١٩٠٠ ، بقصد التعريف ببعض تفاصيله الدقيقة ، وإلقاء الأضواء على ما يتضمنه من أثمال فنية ، انه مفيد من وجهة النظر الموضوعية . ولعل من الجائر أن نتكر أن ثمة اختلافات جوهرية ، يمكن أن يسجلها الباحث في مجال التمييز ، بين تخطيط القناة الصناعية المقترح، وبين الذراع في مشروع أباتا باشا المقترح ، الذي صدرت بشأنه توصيات ودراسة شاملة من الجمعية الجغرافية . ومع ذلك فان القناة الصناعية أو المجرى الجديد المقترح يمثل في التخطيطين ، ذراعا تضرب في قلب الصحراء شرق الديل النوبي شهال خط العرض ٩١٩ شهالا . وتستهدف في قلب الصحراء شرق الديل النوبي شهال خط العرض ٩١٩ شهالا . وتستهدف في المجاراء في الحاليمية في اتجاه

Expose Technique du Projet du Canal Ábbas II, Ægyptiaca, 1909.( ) pp. 318—327.

الشال ، من أبو حمد إلى المحرقة ، على فم خور أو وادى علاقى ، الذى ينساب وتنساب روافده على أرض صمحراء العطمور شرق سكة حديد حكومة السودان . ويعنى ذلك أن الفكرة فى المشروع المقترح تستهدف خلق فرع النيل بطويقة معينة ، لا يلبث أن يعود فيتصل بمجرى النيل النوبى مرة أخرى ، ويصب فيه وكأنه رافد من روافد النهر (۱) .

ويجب علينا بهذه المناسبة أن نشير - في إيجاز شديد - إلى بعض الصفات العلبيعية والملامح الأساسية ، التي تصور المنطقة التي يقترح أباتا باشا خاق المجرى أو الدراع الجديدة فيها . ويكون ذلك العرض على اعتبار أنها الرسيلة المثلى ، للتعرف على كل المقومات البيئية للأرض التي يتضمنها المشرع المقترح . وتعرف هذه المنطقة التي تمتد شهال خط عرض أبو حمد باسم صحراء المطمور . وتشمل هذه المصحراء كل مساحة الأرض التي تمتد أو تنتشر في شهال السودان شرق النيل النوبي ، الذي ينحرف ويدور بشادة ويغير اتجاهه العام عند موقع أبو حد إلى الجنوب الغربي . ويعني ذلك أن النيل النوبي يدور في شبه قوس عظيم الامتلاد ،

هكذا يكون حد صحراء العطمور غاية في الوضوح من ناحية الغرب، وهو يقترب كثيرا من مجرى النيل النوبي ، ولا يكاد يتخلي سوى عن وادضيق ، قد يختنق في بعض المواقع بشكل ملحوظ ، يحيث تبدو أرض الوادى على شكل جيوب سهلية ضيقة محدودة . أما حد الصحراء من ناحية الشرق ، فلا يكاد يكون من السهل التعرف عليه ، وبيان امتلاده الواضح . ذلك أن هذه الصحراء حـ في حد ألخ فاتم المتادا طبيعيا لاقليم المعتباى ، الذى يشمل كل الأرض المضرسة الخشنة ، التي تنحدر على الجوانب الغربية لمنحدرات تلال البحر الأحر مباشرة ، إفيا بين خطى العرض 19 و ٢٧° شهالا على وجه التقريب . وصحراء العطمور حـ على

<sup>(</sup>١) انصب تفكير أباتا باشا أول الأمر على قيمة هذه الذراع المقرّحة ، في مجال النقل وخدمة الملاحة النهرية بين مصر والسودان . وبيدوأنه فكر بعد ذلك في الجوانب الأخرى ، المتطقة بتنظيم الجمريان لمائى والتخزين ، والوقاية من الفيضانات العالية .

كل حال - فسيحة مترامية الأطراف عظيمة المساحة ، وينتظم امتداد أرضها شهالا ، عبر الحد السياسي والادارى ، الذي يفصل بين الأرض المصرية والأرض السودانية. ويكاد ينحدر سطح هذه الصحراء بشكل رتيب ، صوب الغرب والشهال الغربي، في اتجاه عام نحو مجرى النيل النوبي .

ويمكن القول أن الأخوار والوديان الجافة ، التى تنتشر على سطح هذه الصحراء عمل أهم المعلم الطبوغرافية على وجه العموم . وتشترك هذه الوديان الجافة ، التى تتفاوت أعماق مجاريها واتساعها اشتراكا مباشرا فى تشكيل وإبراز الصورة النهائية لهذا السطح . ويلاحظ الباحث أن تكوينات السطح ، تتراوح بين الرمال الخشنة والناعمة ، وبين المتنتات الصلبة اللقيقة ، التى تبدو عارية تحت تأثير وفعل الرياح شبه المنتظمة . ويز داد انتشار هذه المفتنات الصلبة الدقيقة ، التى تصل أحجام معظمها إلى حجم لا يقل – فى الغالب – عن حجم قبضة البد ، فى اتجاه الشرق الصاعد صوب العتباى ، والمنحدرات الصاعدة إلى تلال البحر الأحر . ويعلو هذا السطح الرتيب بعض الكتل الجلية المرتفعة الكبيرة ، التى تمثل تلالا أو جبالا «نفردة ، التى يؤدى وجودها وانتشارها غير المتنظم إلى فقلان السطح بعضا من صفاته الأصلية . وهذه الكتل الجلية - فى جلها – من تكوينات قديمة صلبة قوية . وتبدو الموائية فى تكوينات هذا السطح . ويعنى ذلك أنها تمثل كتلا جبلية متحفلفة ، تنتشر في غير انتظام ، وتتفاوت ارتفاعاتها عن مستوى السطح ، من حبل إلى حبل ، في غير انتظام ، وتتفاوت ارتفاعاتها عن مستوى السطح ، من حبل إلى حبل ، في غير انتظام ، وتتفاوت ارتفاعاتها عن مستوى السطح ، من حبل إلى حبل ،

ويلاحظ الباحث أن عدد هذه الكتل الجلبلة يتزايد بشكل ملحوظ ، في اتجاه الشرق الصاحد إلى جبال البحر الأحمر ، وخط تقسيم المياه بين سحوض النيل وحوض المجر الأحمر . ويمكن القول أن هذه الكتل الجلبلية المنفردة لا تكاد ــ فوق ذلك كله ــ تغير الصفات العامة للسطح شبه المنتظم الرتيب العظيم الامتداد ، والتي تبرز ملائحه الأساسية الاعتوار والوديان الجافة . وتحتل هذه الرديان الجافة والاعتوار

<sup>(</sup>١) راجع الحريفة بمقياس ٢ : ١٠٠٠،٠٠٠ -لوحة وادى حلفا- نشر وزارة الحربية الريطانية في سنة ١٩٦١ -

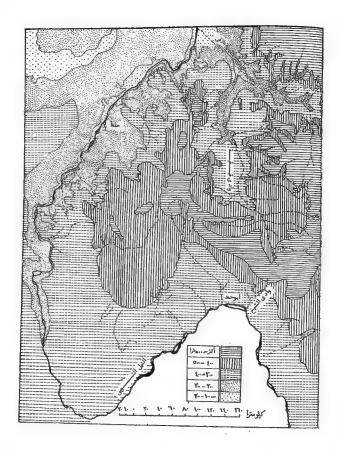
قيمان أحواض عظيمة المساحة فى أرض العطمور . وتفصل بين هذه الأحواض أرض متوسطة الارتفاع ، لا يكاد يتجاوز ارتفاعها فى المتوسط عن بضعة عشرات من الأمتار عن منسوب السطح بصفة عامة . ويعنى ذلك أن هذه الأحواض ضمطة إلى حدما ، وأن خطوط تقسيم المياه بينها غير مرتفعة ، وقد تبدو فى بعض الأحيان غير واضحة تماما.

ويهمنا فى مجال الحديث عن هذا القطاع من الأرض الصحراوية من حيث شكل السطح ، أن نشير إلى خورين أو واديين من الأودية الجافة . ولا يكون ذكر هذان الواديان الجافان ، والاهمام بهما على اعتبار أنهما أعظم الأودية الجافة فى المنطقة ، من حيث طول المجرى أو من حيث مساحة الحوض فحسب ، بل على أساس أنهما يسهمان – بشكل ملحوظ – فى تشكيل صورة السطح ، وإعطائها تفاصيل كثيرة تبرز ملامجها الرئيسية ، وهذان الواديان الجافان اللذان يتشران على السطح ، فى صحراء العطمور هما خور علاقى وخور قبقية . والمفهوم أن خور علاقى ينساب على جوانب المنحدرات الغربية للمرتفعات ، التي تحدد معالم خط تقسيم المياه بين النيل والبحر الأحمر . ويمكن القول أن وادى علاقى يتحلى على السطح الرئيب ، لاقليم العتباى والعطمور فى اتجاه الغرب بصفة عامة إلى مجرى النيل النوبى . ويشق الجزء الأدنى من مجرى هذا الحور لنفسه طريقا واضحا وعيقا ، فى الحلفة الشرقية للأرض المرتفعة المشرفة على وادى النيل النوبى ، لكى يصل بانحدار ها المهرد . )

أما خور قبقبة فانه يتصل أو يقترن بالحبرى الأدنى لخور علاقى ، وذلك قبيل أن يشق لنفسه هذا الطريق الممهد المباشر به المشار إليه بالمنحوت فى الحافة المنحدرة إلى وادى النيل النوبى . ويعنى ذلك أن خور قبقبة يبدو فى الصورة على شكل رافد عظيم من روافد خور علاقى . وعلى الرغم من اعتبارنا مجرى خور قبقبة بمثابة الرافد لمجرى خور علاقى ، إلا أننا نلاحظ أنها عند ما يلتمهان أو يقترنان ، يتخذ الهجرى الأدنى خلف موقع الاقتران ، الاتجاه العام نحو الشهال والشمال الغربى . ويعنى ذلك أن الهجرى فى هذا الجنوء الأدنى يغير اتجاهه تغيرا أساسيا ، بالنسبة للاتجاه العام نجرى خور علاقى ، ويعنى ذلك أيضا أن المجرى خور علاقى ، ويعنى ذلك أيضا أن المجرى خور علاقى ، ويعنى ذلك أيضا أن المجرى

الأدنى فى هذا الوضع يكون له نفس الآنجاه العام الذى يجرى فيه وادى قبقبة .
ويبدو فى الصورة وكأنه استمرار للجريان فى هذا الخور الأخير . ويمكن القول
أن هذا التغيير الذى يتمخضُ عن هذا المظهر ، كان نتيجة مباشرة لتأثر الجريان
فى المجرى الأدنى لوادى علاقى ، بالجريان فى وادى قبقبة بشكل ملحوظ .

ومها يكن من أمر اتجاه كل وادى من هذين الواديين ، وصفة المجرى الأدنى الذي تظهر جسوره عالية ، فان الذي يهمنا فعلا هو إلقاء الأضواء على خور قبقبة ، الذي يتضمنه البحث في المشروع المقترح . ويحتل وادى قبقبة حوضا عظيم المساحة ، يشمل الجانب الأعظم من مساحة صحراء العطمور . وهو — على كل حال ـــ وادى طويل ومجراه وأضح عميق إلى حد ما ، وينحدر في الاتجاه العام من الجنوب إلى الشهال . وتتصل بهذا المجرى الرئيسي للخور ، مجموعة كبيرة من الروافد الجانبية ، التي تنتشر على محاور من الشرق إلى الغرب ، أو من الغرب إلى الشرق ، وتنساب اليه من على الجانبين الشرق والغربي . ويضرب خور قبقبة بأحباسه العليا في الأطراف الجنوبية ، من صحراء العطمور شمال شرق أبو حمد لا ويعنى ذلك أن المجارى العليا للأِحباس تبدأ على لسان المرتفعات ، الذي يمتد على عور شرق - غربي ، ثم يدور صوب الشال الغربي والشيال ، شمال موقع أبو حمد مباشرة . ويلاحظ الباحث أن الخط الحديدي لسكك حكومة السودان ، اللَّى يمر من أبوحمد إلى حلفا ، يكاد يجوى على مقربة من خط تقسيم المياه ، الذي يحدد امتداد حوض وادى قبقبة من ناحية الغرب . ويوصف هذا الحد الغربي للحوض بأنه غير واضح تماما في امتداده العام ، كما أنه غير مستمر في الاتجاه العام من الجنوب إلى الشال . أما خط تقسيم المياه الذي يجدد امتداد الحوض من ناحية الشرق ، فانه يبدو أكثر استمراراً ووضوحا ، بقدر ما هو أكثر ارتفاعا وتضرسا . ويكاد ينبع هذا الحد الشرقى للحوض الأرض المرتفعة ، التي يصل منسوبها ـــ فى المتوسطَّيِّ إلى أكثر من ٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر . هذا ويمتد الحد الجنوبي - كما قلنا - مع لسان المرتفعات ، التي تمتد على المحور العام من الشرق إلى الغرب . وتقسم هذه الأرض المرتفعة التي يصل منسوبها إلى حوالى ٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر المياه ، بين النيل النوبي عند أبو حمد ، وبين حوض وادى قبقبة . وتنساب على الجوانب والمنحدرات انشهالية لهذه المرتفعات المسايل



الجبلية والروافد ، التي تتجه بصفة عامة إلى المجرى الرئيسي لوادى قبقبة ، كما تنساب المسايل والروافد القصيرة على الجوانب والمتحدرات الجنوبية ، في الاتجاه العما إلى وادى التيل النوبي قرب موقع أبوحمد . وبمكن القول أن هذه الأودية الجافة ، التي تنساب على هذين الجانبين ، قد مزقت هذا اللسان من المرتفعات ، وشقت لنفسها مجار واضحة عميقة إلى حدما . ومع ذلك فان القوام الصلب الصخور القديمة النارية والمتحولة ، التي يتكون منها اللسان المرتفع ، كانت له القدرة على مقاومة المتعربة الماثية وفعل الجريان المائي والتجوية في بطون وجوانب هذه الأودية الجلفة . ولذلك يلاحظ الباحث أنها لم تستسلم للتعربة ، إلا في بعض المواضع فقط ، الجافة . ولذلك يلاحظ من من عصور المطر الغزيرفي كل عصر من عصور المطر المنافئة واضح المعالم . ويبدو أن وتعميق وتحديد الملامح الأساسية للوديان ومجاريها الواضحة ، على أرض محمواء العطمور . ويجب أن نتصور أن كية المطر في الوضحة ، على أرض محمواء العطمور . ويجب أن نتصور أن كية المطر في الوقت الحاضر أقل من أن تتمخض عن نتيجة واحدة من هذه النتائج ، التي تتمثل في التفاصيل الدقيقة لشكل السطح . نتيجة واحدة من هذه النتائج ، التي تتمثل في التفاصيل الدقيقة لشكل السطح .

وبعد ، تلك صورة سريعة صادقة أوضحت معالم شكل السطح في صحراء العطمور . وقد ألقينا الأضواء على الأودية الجافة ، التي قلنا أنها تمثل علامة كبرى في عهال تشكيل الخطوط الأساسية للسطح ، وبيان صورتها التضاريسية ابعامة . وتعتبر صحراء العطمور — من وجهة النظر المناخية — امتمادا طبيعيا للصحراء الأفريقية الكبرى ، التي تنتشر في الأرض الأفريقية من ساحل الأطلقطي إلى ساحل البحر الأحر ، بين خطى العرض ٥١٨ و ٣٠٠ شالا على وجه التقريب . ويعني البحر الأحر ، بكل ما يتميز به من ساح وملامح مناخية خاصة ، تعتبر عن الجفاف ألما أنها تمثل قطاعا من هذه الصحراء الحارة ، التي يتحقق فيها المناخ الصحراوى الحرارة من وانخفاض في درجة الرطوبة النسبية إلى أقصى حد ، بقدر ما تعبر عن الجرارة الشديدة ، والتباين الكبيريين متوسطات النهايات المظمى ومتوسطات النهايات الصيف والشتاء . الصحرادة في شهور الصيف والشتاء . للحرارة في شهور الصيف الحارة .

أما فيا يتعلق بالمطر ، فيمكن القول أن كمية المطر السنوى هزيلة المعاية ، ولاتكاد تتجاوز في المتوسط حوالي ومالميمترا في السنة . هذا بالاضافة إلى لارتفاع الكبير في انسبة المثوية لاحتمالات اللبلبة السنوية ، بالزيادة أو بالمقصان . وتبلغ النسبة المثوية لاحتما لات اللبلبة في المتوسط حوالي من ٤٠ / إلى ٥٠ / . وتسقط معظم كمية المطر على شكل رخات مفاجئة وغير منتظمة ، أو وتوقعة في يوم واحد ، أو في أثناء بضعة أيام متفرقة من أيام الصيف الحار . ويعبر ذلك من ناحية أخرى عن تدهور حقيق في القيمة المعلية لهذه الكمية السنوية المزيلة من المطر السنوى . ويفهم ذلك على اعتبار أنها تسقط في الوقت الذي ترتفع فيه معدلات انتبخر إلى أقصى حد ، تسجله هذه المعدلات في تلك الصحراء .

وتتمخض هذه الصفات المناخية عن صورة الصحراء وهي عارية تماما ومكشوفة ، في معظيم شهور السنة . ولايكاد يتوفر في الصورة إلا بعض العشب الهزيل القصير ، الذي ينمو سريعا في أعقاب كل رخة من رخات المطر المفاجئة . ويعقب النمو والازدهار السريع ، التدهور والذبول السريع أيضا ، والاحتراق تحت تأثير حرارة الشمس القاسية . وتشير تقارير الرحالة والمغامرين والعاملين في خدمة تجارة القوافل الذين عبروا هذه الصحراء كما تبين سجلات الأرصاد الجوية ، أن هذه الصحراء الفقيرة العارية تمثل قطاعا من الأرض الصحراوية ، التي تسجل فيها نهايات عظمي للحرارة تبلغ حد الخطر على حياة الانسان . وعلى الرغم من ذلك كله فانها كانت دائمًا من بين المسالك الرئيسية ، التي تعبرها الطرق والدروب الصخراوية على المحور من الشهال إلى الجنوب ، وعمر بها قواقل التجارة بين مصر والسودان. بل لعلها شاهدت من جانب آخر تدفق السيل الكبير من القبائل العربية ، التي نزحت إلى الأرض السودانية ، وحظيت بتشاط غير عادى في بعض الأحيان ، في مجال البحث عن المعادن وتعدين الذهب على وجه الخصوص . أما الآن فهي غاية في الفقر ، ولايكاد يسكنها سوى بعض الأعداد الضئيلة من البجاة ، من قبيلتي العبابدة والبشارين(1) ، الذين يقتنون قطعانا من الابل ، ويتنقلون في بعض •ن أطرافها وراء العشب الهزيل والماء القليل .

 <sup>(</sup>١) يلجأ الرعاة إلى يطون الأودية الجافة ، التي تحتلى بيمض المطر أكثر من مساحات السطح المكشوف ، ويزدهر فيها بعض العشب القصير وأشجار الفصيلة السنطية الغرصة .

فى هذا الاقليم الصخراوى الحار الجاف العظيم المساحة والامتداد ، والذى تعتضنه ثنية النيل النوبى السفلى ، فيا بين أبو حمد والحرقة ، يتصور أباتا باشا الذراع التي اقترحها ، وفكر فى تحقيق جريان الماء فيها منذ حوالى أكثر من مائة سنة . ونود أن نشير إلى أنهذه الذراع المقترحة كمجرى جديد للنيل فى العطمور ، تمتدعلى محور جنوبى – شهالى فى مسافة تبلغ حوالى ٥٠٥ كيلو متر ، هى المسافة بين أبو حمد والمحرقة على هذا المحور . والمفهوم أن تحقيق هذا المجرى يجنب الجريان المأتى فى الاتجاه الطبيعى للنيل النوبى ، المرور بثلاثة جنادل ، هى الجندل الرابع والثالث والثانى وحوالى أربع عشرة مدفعا ، فيا بين أبو حمد والمحرقة التى تبلغ المسافة فيا بينهما حوالى و ١٢٠٠ كيلومتر تقريبا .

ويذكر التقرير الذي يتضمن عرض المشروع المقترح أن ثمة اقتراح كان يدعو إلى حفر قناة صناعية على طول المحور المشار إليه في أرض العطمور . ويشير البحث إلى أن الانحدار في هذه القناة الصناعية ، التي يصورها المشروع المقترح ، سوف يكون ٣٠٠٠ من المتر في كل كيلومتر . أو ما يعادل حوالى ١ . ٣٠٠٠ فيا بين أبو حد والمحرقة . والملاحظ أن هذا الانحدار المترقع شديد بطبيعة الحال ، خصوصا إذا ما علمنا أن هذا التقدير مبنى على اعتبار أن الفرق بين منسوب أبو خد (١) ومنسوب المحرقة يبلغ ١٧٠ مترا ، أي بما يقل عن الواقع على الطبيعة بحوالى ٢٠ مترا ، وهكذا يفضل أباتا باشا على ضوء ذلك دكله ، عدم الأخذ بفكرة شق القناة الصناعية ، في كل هذه المسافة الطويلة . ويبدو أنه كان مدركا حقيقة الصعوبات ، التي يتطابها في وحفر مثل هذه القناة من ناحية ، كما أنه كان يدرك من ناحية أخرى علم ملاسمة الانحدارات فيها الملاحة بصفة متنظمة وقاطعة . ويعني ذلك إنه كان يعارض عفم تكاليف باهظة الغاية ، في بجال محاولة مكتوب لها الفيفل وعدم تحقيق الهدف من الحفر والتشغيل (٢٠) . وقد اقترح من جانبه وبصفته أول من فكر في هذا الموضوع مشروعا آخر ، يتمثل في خلق الحموى الجديد بطريقة مناسبة من حيث الموضوع مشروعا آخر ، يتمثل في خلق الحموى الجديد بطريقة مناسبة من حيث

<sup>(</sup>١) يبلغ منسوب أبو حمد حوالى ٣١٥ مترًا فوق مستوى مطح البحر .

<sup>(</sup> ٢ ) يسرَّ ص أباتا على أساس أن تكاليف ثنى القناة الصناعية ، فيها بين أبو حمد والمحرفة باهغلة .
ويذكر أن حاجة الملاحة وتنظيم الحمدة العربية ، تتطلب إنشاء غربين هويسا على الأقل . ويعنى ذلك 
زيادة ضخة فى تكاليف الإنشاء ، بقدر ما يعنى التأخير الشديد ، وصعوبة التشفيل بالمرونة المطلوبة .

تكاليف الانشاء . ومن حيث طبيعة الحاجة إلى الأعمال الهندسية وانهنية ، ومن حيث إحتمالات الوفاء بالأهداف وانتناثج .

ونذكر في مجال الحديث عن التقرير المنشور عن خطة خلق هذا المجرى المقترح ، إنه يضع الخطوط العريضة المشروع ، الذي يتطلب مزيدا من الدراسة والبحث في الحقل . وقد وضع التقرير عن المشروع المقترح في الاعتبار ، عدما من الافتراضات التي تنبثق من واقع عدد من الحقائق الجغرافية والطبوغرافية والمجووبية . وتتضمن هذه الحقائق كل ما من شأنه أن يعبر عن صفات الأرض ، من حيث شكل السطح وطبيعة الانحدارات . ومن حيث صورة المعالم الطبوغرافية البارزة في صحراء العطمور ، التي يقترح مرور اللواع المقترحة بها . ويمكن الباحث على ضوء من دراسة الحرائط بمقياس ١ : ٠٠٠ و ١٠٠٠ و وعلى ضوء المن دراسة الحرائط بمقياس ١ : ٠٠٠ و ١٠٠٠ وعلى ضوء التضميلات التنفيذ العظمور المقاتورة منا الافتراضات وأن يلتي التفصيلات القيامة وأو هو ١٠٠ شهالا ، أن يصور هذه الافتراضات وأن يلتي مزيلا من الضوء على ما تعبر عنه ، أو ما تنضمنه من معاني هامة و وجهة النظر الفينة .

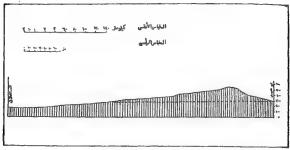
ويصور الافتراض الأول الشكل العام للقطاع الأقتى ، على الخط الذي يفترض مرور الذراع المآتية فيه ، على المحور الشهالي -- الجنوبي ، فيا بين أبو حمد والمحرقة (٢٠٠٠). ويمثل جذا القطاع الأفتى في شكله العام ، شكل القوس المحنب إلى أعلى . ويظهر من هذا الشكل أنه ليس من الممكن أن تكون ثمة فرصة ، للجريان المائى فيا بين هذين الموقعين ، على أساس الجاذبية وانحدار السطح . ويفهم ذلك على ضوء العلم بأن القطاع -- المشار اليه في الرسم الكروكي المرفق -- يقيم الحلم ، الذي يمر بلسان المرتفعات التي تقسم الماء بين الوديان القصيرة الجافة ، التي تفساب إلى وادي

<sup>(</sup>٢) راجع الحريطة بهذا المقياس التي نشرتها مصلحة السياحة المصرية .

<sup>(</sup>٣) قرية الهرقة تقع على مدافة بضمة كيلومترات جنوب في وادى العلاق محصورة بين موقع قرية على قرقة على موقع قرية على قرية على قرية على قرية على المادى موقع المادى موقع على المادى موقع المادى موقع المؤلف ال

النيل النوبي ، وبين الأحباس العليا الوديان التى تنساب إلى وادى قبقبة والمفهوم أن هذه المرتفعات ترتفع فى المتوسط إلى حوالى ٥٠٠ متر عن مستوى سطح البحر و وليس تمة شك فى أن هذه الصورة هى التى أوحت بشق القناة الصناعية ، فى تلك المرتفعات ، إلى المناسيب التى يتحقق معها الجويان المأتى بالجاذبية ، ودون أن يتأثر بالشكل المحلب للقطاع المذكور . ويذكر التقرير فى هذا الحجال أن جريان المياه بعد الحفر ، المدى يحقق الانحدار فى اللواع المقترحة ، قد يكون سريعا وجياشا ، بعد الحفر ، المدى يحقق الانحدار فى اللواع المقترحة ، قد يكون سريعا وجياشا ، ومع ذلك فانه لن يصادف عقبات ، يصعب أو يتعذر التغلب عليها من وجهة النظر المخدسية . ويعنى ذلك إنه لا يتوقع أن تكون ثمة مواقع يحتمل عندها ظهور الجنادل والشلالات ، فى طريق الجريان المائى ، على نفس القط المذى يتمثل فى مجرى النيل والشلالات ،

ويشير التقرير في الافتراض الثاني إلى أنه من المتوقع أن توجد فيما بين المرتفعات المتناثرة على سطح صحراء العطمور ، والتي تبدو ـ كما قلنا ــ على شكل كتل جبلية منفردة متخلفة ، الثغرات وبطيرن الأودية الجافة ، التي يكون لها نفس المستويات العامة للانحدارات التي يفترض مرور الجريان المائي علمها في هذه الذراع المقترحة . وهو يصور جريان الماء في هذه اللبراع المقترحة ، على أساس عمل أو شتى قطع فى لسان المرتفعات . والمفروض أن تم فى هذا اقطع الصناعي القناة التي تحمل المياه من النيل ، من أمام أبو حمد . وهذا القطع ــ على كل حال ــ يعتبر أهم وأخطر عمل من وجهة النظر الفنية ، على اعتبار أن هذا العمل من شأنه أن يحقق الأنحدارات ، التي تسمح للجريان المائي صوب الشهال بتأثير الجاذبية . والمفهوم أن فم القناة في القطع ، التي تمثل بداية للذراع المقترحة سوف تتبع مجرى وادى صغير ، يعرف باسم وادى الشيخ . ويقتضي العمل الفني تعميق المجرى الطبيعي لهذا الوادى ، بالشكل الذي يني بمرور المياه ، في عكس الاتجاه العام لانحداره الطبيعي في الوقت الحاضر . ويعني ذلك زيادة مكعبات الحفر ، من أجل زيادة العمق كلما تقدم العمل نحو الشهال والشهال الشرقى . ومن الطبيعي أن يستمر الحفر في الآنجاه المنتخب ، لمرور القطع في لسان المرتفعات ، حتى يصل إلى الجزء الأعلى لرافد من روافد وادى قبقبة"، المعروف باسم وادى شيكار . ويذكر التقرير الفنى بهذه المناسبة أنه لا بد ن بحث على الطبيعة في صحراء العطمور، وخاصة على لسان المرتفعات ، من أجل انتخاب المونيم المئاسبة الطريق الملائم أرور القطع والقناة المشار إليها ، وتحقيق الجريان المائى المقترح . وليس ثمة شك في أن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق بدون خلق القطع المكشوف العميق ، في هذه المرتفعات فها بين الأحباس العليا لوادى الشيخ ، والأحباس العاليا لوادى شيكار . إو يلكر التقرير أن عمق هذا القطع في بناية المراع في وادى الشيخ يقتضي أن يكون عمر القناة أو المجرى ١١ مترا . وقد بني ذلك التقدير على اعتبار أن يبط القاع عمر القناة أو المجرى ١١ مترا . وقد بني ذلك التقدير على اعتبار أن يبط القاع



قطاع طولى على امتداد الفراع المقترحة في صحراء العطمور

مترا واحلا فقط عن أقل منسوب للجريان في النيل عند أبو حمد ، مضافا إليه تمانية أمتار هي عبارة عن الفرق بين منسوب النهر في قصل انخفاض المناسيب ومنسوب النهر في قصل انخفاض المناسيب ومنسوب النهر في قصل الفيضان ، ويضاف إلى الارتفاع أيضا متران آخران ليكون ارتفاعها بمثابة جسر على الجانبين ، يكفل الاحتفاظ بالجريان المائى في المجرى المقترح . ويرى التفرير أن عرض القطع يمكن أن يتراوح بين ٣ أو ٤ أمتار ، وذلك على اعتبار أن النحت الذي يحققه الجريان المائى سوف يؤدى بالضرورة إلى توسيعه وزيادة عرضه .

والمفروض أن يؤدى البحث والدراسة على الطبيعة ، إلى اختيار أنسب المواقع وأقلها ارتفاعا ، بقصدتقليل مكعبات الحفر إلى أقل قدر محكن . وليس تمة شك في أن هذا العمل الهندمي شاق بقدر ما هو خطير . ولعه يمثل — كما قلنا — أهم مرحلة من مراحل العمل الفنى في المشروع المقترح بصفة عامة . ويمكن أن ندرك ذلك على ضوء العلم بأن الحفر ، طلوب في المرتفعات ، التي يصل منسوبها في المتوسط لما أكثر من ٥٠٥ متر ، وتزيد بحوالي أقل من ٢٠٠ متر عن منسوب أبو حمد . هذا بالاضافة إلى أن هذه المرتفعات صلبة وقوية ، لأنها ترتكز على لسان من الصخور الجرانيتية ، التي تمثل امتداداً من صخور جبال البحر الأهر . ويشير التقرير الغني إلى ضرورة حفر القطع أو القناة بانحدار يبلغ حوالي ه سنتيمتر في كل كيومتر واحد . ويكفل ذلك الانحدار الهادىء ، وصول القطع بعد حوالي حس كيلومتر الحل قاع الوادى الذي يتم فيه الحفر .

وريئًا يتم الحفر فى هذا القطع والقناة ، التى تحقق الجريان على المناسب والانحدرات الملائمة ، يصبح انسياب الماء ... فى نظر التقرير ... سهلا وممكنا ، فى جرى ممهد واضح المعالم إلى حد كبير فى الانجاه العام نحو الشيال . ويتبع ذلك المجرى الممهد .. كما يظهر فى المشروع المقتر ... جرى وادى قبقبة . وقد قلنا ... من قبل .. أنه وادى جاف عظيم الامتداد ، على المحور العام من الجنوب إلى الشال فى صحراء العطمور ، وانه ينساب إلى جرى النيل النوبي ويقترن به . وتشير المدراسة الأولية التى سجلها تقرير العرض انهنى للاقتراح ، إلى صفات هذا المجرى المرتفب فى وادى قبقبة ، من حيث شكله العام ، ومن حيث صفة الجسور الوضحة . المرتفعة ، التى تحدد جوانب هذا اوادى الكبير .

<sup>(</sup>۱) فلكر فيا يتعلق بالفرق بين منسوب النيل فى موتع أبو حد فى فصل المناسب المرتفعة والمناسب المرتفعة والمناسب المرتفعة والمناسب المنطقة التناسب المرتفعة المناسب المنطقة التناسب المنطقة المناسب المرتفعة المناسب المرتفعة الفرق الذى سجل فى السنوات التى كان الفيضان فيها عاليا . والمفهوم أن القرق فى المناسب كما سجل فى سنة ١٩٥١ بلغ ١٩٥٤ مترا ، هى الفرق بين مفسوب عايو ١٩٥١ مترا ومنسوب أضطل ١٩٥٦ مترا . هذا وقد سجل الفرق فى سنة ١٩٥١ مترا ، هذا وقد سجل الفرق فى سنة ١٩٥١ مترا ، هما الفرق فى سنة ١٩٥٨ مترا ، هما ويتدر صغر القياس عند موقع أبوحد ١٩٥٩ مترا فوق مستوى سطح البسر .

ويمكن القول أن التقرير الفني كان حاسها في عرض وتقرير الصفات ، التي تؤهل ــ فى جملتها ــ المجرى المرتقب فى بطن وادى قبقبة للجريان المنتظم على المناسيب المعقولة . التي تستجيب لكل الأهداف الطلوبة ، اللهم في بعض المُواقع المحدودة للغاية . وتقع معظم هذه المواقع في منطقة الانتقال بين الجزء الأوسط والأدنى من وادى قبقبة ، بين خطى العرض ٢٢°و ٤٠ °٢١° شمالا . كما تظهر في بعض الأجزاء الشهالية قبيل أن يقترن وادى قبقبة بالمجرى الأدنى لوادى علاقى ، شهال خط العرض ٥٢٢ شمالا بقليل . وقد اقترح التقرير فى هذا الحجال ضرورة تجسير جوانب وادى قبقبة فى مثل هذه المواقع ، بالعارق التى تكفل ارتفاعها ارتفاعا يتلائم مع مناسيب الجريان المتوقعة . ويخص التقرير بالذكر تجسير جوانب الوادي من ناحية الشرق ، فى مسافة طولها بضعة عشرات من الكيلومترات ، عند الموقع الذي يلتتي فيه المجرى الرئيسي لوادي قبقبة مع روافله المعروف باسم بحر بلا ماء . هذأ ويشير التقرير أيضا إلى ضرورة وضع جسر آخر على الجانب الآخر ، قرب موقع بأر كليب وعلى بعد حوالى خمسة كيلومترات من هذا البئر بالذات . ويستهدف هذا التجسير منع تسرب بعض الجريان المائى في اتجاهات جانبية ، صوب بعض الأخوار الجانبية ، التي تمثل روافد للمجرى الرئيسي لوادى قبقبة . كما يستهدف التجسير أيضًا منع تسرب الماء صوب الغرب في بعض الأخوار الجانبية ، التي تتصل بالمجرى الرئيسي بعد أن يقترن بوادي علاقي شمال خط العرض ٤٠ °٢٢ شمالا .

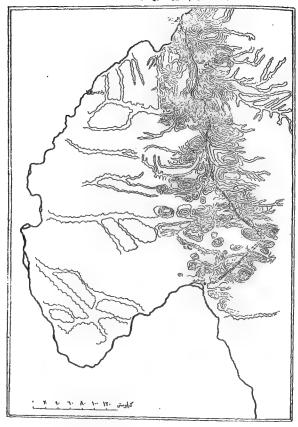
ويمكن للباحث أن يتابع على الخريطة المرفقة ، التي تضمنها التقرير ، صورة تقريبية للمجرى المقترح كما ورد في تصور أباتا باشا . ويظهر في الرسم — الكروكي — كما المواقع التي تصور أن العمل يجب أن يلتزم عندها ببناء الجسور لتحديد جوانب المجرى ، ومواقع الجريان المائي المقترح تحديدا وإضحا ، والمحافظة على هذا الجريان على مناسيب معقولة في الاتجاه الشهالي ، إلى أن يقترن بالنيل ، وينساب في المجرى الرئيسي حند المحرقة على فم وادى علاقي . ويظهر على الحربطة أيضا بيان واضح للتحديد العام المقترح ، للمواقع التي يشتن عندها القطع ، التي تمر فيه الفناة التي تحقق الحريان فيا بين أبو حد والأحباس العليا لوادى قبقية . والجدير بالذكر بعد ذلك كله ، أن هذا الاقتراح الذي ابتكره أباتا باشا ، وعرض تفاصيله الفنية على صديقه

المهندس الكبير ، لا يكاد يختلف من حيث الجوهر العام ومن حيث التفاصيل ، عن الاقتراح الذي ناقشته الجدمعية الجغرافية في جلستها ، التي عقدت في ١٩ ديسمبر ١٨٩١. ومع ذلك فان ثمة اختلافات في بعض التفاصيل الدقيقة بينهما ، والتي ربما ترتبت على مزيد من الخبرات والبيانات التي تجمعت فيا بعد ، في السنوات التالية إلى سنة ١٩٠٠.

ولعل من الضرورى أن نشير إلى أن التقرير الفنى لمذا المشروع المقترح ، قد تضمن عرضا طريفا لأهم النتائج التى يمكن أن تحقق من وجهة النظر الاقتصادية ، ويتمخض عنها الجريان المائى فى اللراع المقترحة فى صحراء العطمور . ويرى أن المجرى الجديد المقترح النيل ، فيا بين أبو حمد والمحرقة ، جدير بأن يدبر بعض الماء بشكل منتظم المأرض على الجانبين ، والمفهوم أن هذا القدر من الماء يمكن أن يعول مظهراً من مظاهر الحياة بأسلوب جديد تماماً . ويعنى ذلك الوفاء بحاجة الزراعة ، فى بعض المساحات على جانبي النهر أو المجرى الجديد المقترح ، أو فى بطون بعض الأودية الجافة والأخوار الجانبية ، فى قلب الصحراء . وتسجل فى هذه المناسبة المحانى المعميقة ، التى يتمخض عنها الفهم السليم لهذا الأمر ، وما يرتبط به من احتهالات التطور والتغيير من وجهة النظر العمرانية والاقتصادية ، بالنسبة للأرض السودانية على وجه الحصوص . كما نعبر من جانبنا عن قيمة هذه الاحتهالات ، ومن الحدورة الجديدة المشرقة ، التى من شأنها أن تماق الأرض فى صوراء العطمور وعن المصرورة الجديدة المشرقة ، التى من شأنها أن تماق الأرض فى صوراء العطمور على جانبي الحيرة الحير من خلقا جديدا .

ويصور التقرير من ناحية أخرى قيمة هذه الدراع الماثية في خدمة الملاحة المهربة من حيث كونها وسيلة مثلي من وسائل الربط والاتصال الرخيص بين كل من مصر وااسودان . وهو يشير إلى احتمالات انتظام هذه الخدمة النهرية ، وصلاحية المجرى المقترح للقيام بهذه الوظيفة ، وما يقتضيه ذلك الهدف من حيث إنشاء الأهوسة (1) في بعض المواقع المعينة ، للتغلب على الانحدارات الشديدة ، وانحدار الماء باندفاع شديد في بعض المواقع على القطاع الطولى الممجرى المتوقع ـ ويعبر

 <sup>(</sup>١) يشير التقرير إلى أن احيّال تنظيم لللاحة في المشروع المقترح لحفرقناة عباس التاني ، يطلب إنشاء أو وضع هويس على القناة الصناعية ، على مسافة كل ٢٧ كيلو مترا من أبو حد إلى المحرقة .



ذلك عن إدراك حقيقى للرجة الانحلار ، واحتمالات تلغق أو اندفاع المياه الجارية بسرعات شديدة ، لا تكاد تلائم الملاحة النهرية . ويشير التقرير إلى أن الحاجة قد تتطلب وضع أربعة أهوسة ، في مواقع معينة ، من أجل تنظيم حركة منتظمة للملاحة في الانجاهين الصاعد والنازل .

ويبرز التقرير من ناحية ثالثة حجم التسرب من بطن المجرى ، واحتالات الفاقد من حجم الجويان المائى ، كتيجة مباشرة لما تتميز به التكوينات السطحية في قيمان الأودية الجافة من صفات خاصة من وجهة النظر الميكانيكية . ويسجل التقرير بعد ذلك كله ، أن هذا التشرب من شأنه أن يحدث ، ومع ذلك فانه لن يمثل فاقدا حقيقيا ، وما يحتمله هذا التعبير من معانى . ذلك أن الماء المتسرب من بعلن المجرى ، صوف يؤدى بالمضرورة إلى ارتفاع ملحوظ فى مناسيب الماء الباطنى فى آبار صحراء المطمور ، وزيادة حجم الايراد المائى الكلي فيها بصفة عامة . وهكلما يمكن القول أن الاقتراح يرى أن فى خلق هذا المجرى الجديد المقترح ، وأن جريان ماء النيل فيه ،عاملا خطيرا بالنسبة لصحراء العطمور ، من وجهة النظر الاقتصادية ومن وجهة نظر العمران . بل إن التقرير يكاد ينطق بالاقتناع الكامل بقيمة الجريان ومن وجهة نظر العمران . بل إن التقرير يكاد ينطق بالاقتناع الكامل بقيمة الجريان من وجهة نظر العمران . بل إن التقرير يكاد ينطق بالاقتناع الكامل بقيمة الجريان المأئى ، المذى من شأنه أن يؤدى إلى تغيرات أساسية فى كل معالم الحياة ، فى بضمة مثات الآلاف من الأفادنة على جانبى الحبرى الجديد المقترح ، وفى بطون الأودية الجانية .

ويشير التقرير – بالاضافة إلى كل هذه المؤايا الاقتصادية – إلى كل الجوانب المهمة ، اتى من شأن المشروع المقترح أن يحققها من وجهة نظر الجريان المائى ، وضبط النهر . وتتمثل هذه الجوانب فى تنظيم وترويض التصرفات فى المجرى ، بالشكل الذى يرفع أو يزيد من كفاءة الانسان وقدرته على إحكام السيطرة على الايراد الهليمي فى النيل . ويمنى ذلك أنه يرى فى المشروع المقترح خطوة على العطريق ، فى مجال تسوية الايراد المائى ، بالأسلوب الذى يلائم بقدر ما يلجى احتياجات الرى ، وتنظيم عمليات مناوبات توزيع الماء ، فى ترع التوزيع الكبرى والصغرى فى مصر . والمفهوم أن طبيعة العمل الهندسي الفنى ، من أجل تشفيل هذه الذراع المقترحة ، تتطلب وضع قنطرة موازنة فى الموضع المناسب عند بلاية المدراع . ويكون من شأن هذه القنطرة تنظيم عملية تقسيم الماء ، أو تحقيق الجريان

المقنن فى المجرى الرئيسى النيل النولى . فيا بين أبو حمد والشلال من ناحية ، وفى المجرى المجليد المقترج فى صحراء العطمور من ناحية أخرى . ويرى التقرير أن هذا المجرى الجديد المقترح كطريق المجريان المائى ، تكون له الكفاءة الكاملة لتمرير كل الايراد المائى ، من المياه المخترنة فى مواقع منتخبة على النهر فى السودان . أو من المياه التي ينتظر توفيرها بتقليل الفواقد فى منطقة المستنفعات فى حوض بحر الجبل .

هذا ويمكن عن طريق إطلاق بعض الماء في المجرى الجلميد المقترح ، أن يصير التحكم في الجريان المائي بطريقة أفضل ، من وجهة النظر الهيدرولوجية . ويكون ذلك على اعتبار القدرة في التحكم في مواعيد وصول المياه عن طريق هذا الذراع إلى مصر . ويعني ذلك من ناحية أخرى وصول الماء في الموسم المناسب . من حيث الوفاء ببعض الاحتياجات في الشهر أو الشهور ، التي تنخفض أو تتدهور المناسيب التي يحققها الجريان في النيل الأعظم في مصر . وهذا معناه أن الجريان في هذه الذراع المقترحة ، سوف يسهم في رفع مناسيب الجريان في النيل الرئيسي ، في أثناء الفترة ` الحرجة خلف المحرقة . هذا بالاضافة إلى اعتقاد أو يقين كامل في أن هذه اللمراع المقترحة يمكن أن تسهم بدور إيجابي ، في مجال مجابهة خطر الفيضانات العالمية ، وقممها المرتفعة في بعض السنوات . ذلك إنه يمكن أن يكون منصرفا لكل المياه ، التي تمثل القمم المرتفعة للفيضان العالى ، وكل زيادة في التصرفات تزيد عن التصرف المعتدل ، الذي يمكن أن يؤثر تأثيرا سيمًا أو هداما على جسور النيل الأدنى ، وجسور ترع التوزيع الكبرى في شهرى أغسطس وسبتمبر . ويمكن أن تقوم هذه الدراع بهذه الوظيفة ، إذا ما تحولت إلى حوض كبير من أحواض التخزين ، ووضعت الخطة التي تنصرف بموجبها كميات من مياه موسم الفيضان العالى ، وبحيث لا تنصرف المياه مرة أخرى إلى النيل الرئيسي ، إلا بعد زوال كل مرحلة الخطر والضغط على جسور النهر وفروعه ، واتجاه المناسيب إلى الانخفاض بشكل مؤكد . وهذا من شأنه على كل حال أن يؤدي إلى زيادة ملحوظة في طول الفترة أو عدد الشهور ، التي تكون فيها المناسيب في مجرى النيل الأدنى مرتفعة بالشكل، أو بالقدر الذي يلائم احتياجات الزراعة والرِّي في مصر .

وقد أخذ التقرير الأمر مأخذ الجلد ، كوسيلة من وسائل القدرة على استكمال العرض الفني ، بالنسبة لكثير من التفاصيل ، التي تلقي مزيداً من الأضواء على المشروع المقترح . واشتمل العرض على بعض نتائج البحث والدراسات الأولية ، وعبر عن رغبة صاحب الفكرة في التأكد من بعض الافتراضات ، وتقدير الحسابات والبيانات الخاصة باحتمالات الفاقد من الماء الجارى في الذراع المقترحة ، نتيجة للتسرب في تكوينات القاع والجوانب ، التي يغلب عليها أن تكون رملية خشنة وناعمة ، ونتيجة للتبخر فى حالتى الجريان المنتظم أو التخزين . وذكر فيا يتعلق باحتمالات الفقدان بالتبخر أو بالتسرب ، أنه يتوقع أن يكون كبيرا بصفة عامة . ومع ذلك فانه لا يتوقع أن تزيد احتمالات الفاقد بالتبخر من سطح الماء الجاري المكشوف عن معدل الفاقد بالتبخر من سطح الماء الجاري في المجرى الرئيسي للنيل النوبي . ويمكن القول أنه ساق ذلك التقدير على اعتبار أن الجريان المائي وسطحه المكشوف في كل منهما يمر أو يتعرض لظروف متشابهة إلى حد كبير ، من حيث درجات الحرارة والنهايات العظمى في كل شهر من شهور السنة المختلفة ، ومن حيث درجات الرطوبة النسبية بصفة خاصة . ونشير إلى أنه قد قدر احتمالات هذا الفاقد ، يما يعادل حو الى ٦٠ سنتيمترا عمقا ماثيا على سطح الجريان في الذراع المقترحة في أثناء السنة . ويرى أن هذا الفاقد ــ في حد ذاته ــ يكون مؤديا إلى أ حدوث تغيرات جوهرية ، فيما يتعلق بدرجة الرطوية النسبية في صحراء العطمور ، إ ووضع حد الجفاف الشديد ، الذي يسيطر عليها في كل شهر من شهور السنة ﴿ ا

أما فيا يتعلق باحتالات الفقدان بالتسرب من قاع وجوان الذراع المقترحة ، فنشير إلى أنه يتوقع أن يكون كبيرا أو هائلا ، فى السنوات الأولى التى يصير فيها تمرير المياه وتحقيق الجريان فى هذه المدراع على وجه الخصوص . ويتوقع التقوير مرة أخرى أن يتناقض معدل هذا الفاقد السنوى بالتسرب من سنة إلى سنة أخرى . ويمكل يدعو إلى قدر كبير من الاطمئنان . ويمكن القول أن هذا التقدير قد حدد احتالاته ، على اعتبار أن قوام التكوينات السطحية فى بطن الوادى وجوانبه وعلى سطح الصحراء خشن ، وأنها تتراوح بين الرمال الناعمة والخشنة ، وأن المسافات البينية فى هذه التكوينات كبيرة ، وتساعد على القسرب . وليس ثمة شك فى أن انتظام البينية فى هذه التكوينات كبيرة ، وتساعد على القسرب . وليس ثمة شك فى أن انتظام

الجريان المائى ، وخاصة من مياه الفيضان ، سوف يؤدى بالضرورة إلى إرساب طبقات متواليات ، من الحمولة العالمة من الطين والسلت والطمى وغير ذلك من المعتنات اللحقيقة . ويؤثر هذا الارساب على ميكانيكية التكوينات في القاع ، وعلى المحبم وسعة المسافات البينية . ويعنى ذلك أن الارساب المستمر في الذراع المقترحة ، من شأنه أن يقلل من كية انفاقد بالتسرب مع مرور الوقت . ويتصور – بعد ذلك كله – أن بعض الفاقد بالتسرب من تكوينات القاع والجوانب لن يضيع هدرا ، أو يصبح فاقدا حقيقيا . بل إن بعض هذا الماء المقسرب سوف يجد طريقه مرة أخرى على شكل جريان سفيل بطي، إلى مغيرى النيل الرئيسي ، وأن بعضه الآخر سوف يؤدى من ناحية أخرى ، إلى رفع مناسيب وحجم الماء الماطني ، في الآبار المنتشرة على جوانب المجرى الجليد في أرض مناسيا العطمور .

#### \* \* \*

والآن بعد أن عرضتا تلك الفكرة ، التي اسهدفت خلق مجرى جديد للنيل في ذراع طويلة يبلغ طولها حوالى ٥٠٠ كيلومتر أو أزيد قليلا - نود أن نشير إلى أننا قد أضفنا من عندنا بعض الاضافات التي أضفت على الفكرة مزيلا من الرضوح . وقد نسهدف من ناحية أخرى الاشارة إلى أمرين ، على جانب كبير من الأهمية ، من وجهة النظر المرضوعية . ويكون ذلك بقصد إلقاء الأضواء من جديد على المشروع ألمقترح ، بعد مرور حوالى أكثر من قرن من الزمان ، على مجرد طهير الفكرة في أصلها وقوامها العتبق . ويعني ذلك توجيه الأنظار إلى الفكرة مرة أخرى ، والقاء مزيد من الأضواء عليها ، على أمل إجراء الدراسات والمباحث الفنية ، وتقييم المشروع المقترح من وجهة النظر الفنية البحتة .

ويمكن القول أن المنتفعين بمياه النيل في مصر بصفة خاصة ب يشعرون بالحاجة الملحة المستمرة ، إلى مزيد من البحث عن مشروعات مقترحة ، في أثناء السنوات القليلة القادمة أكثر من أي وقت مفي . وربما كانت هذه الحاجة مظهرا المحاتيا معبرا عن التكهف والرغبة الرامة إلى تلبية الاحتياجات المتزايدة إلى المام في مصر من ناحية ، وإلى زيادة في القدرة على ضبط الجويان والتحكم في إيراد

النهر . وجدير بالفنيين والباحثين فى مجالات الدراسات الماثية ، أن يضعوا فى اعتبارهم هذا الأمر ، وأن يبقلوا الجهد في مجال العمل ، الذي يستهدف الاستفادة من مزاياً المشروع المقترح ، بالنسبة لكل من الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان على السواء . وهذا المشروع العتيق يمكن أن يكون – لو تحققت سلامة الفكرة التي بني عليها من وجهة النظر الفنية والهيدرولوجية ــ دعامة من الدعامات ، التي ترتكز اليها خطط التنمية الاقتصادية ، من حيث الزيادة الجديدة في حجم الانتاج في قطاع الزراعة ، ومن حيث توسيع رقعة الأرض المنزرعة توسيعا أفقيا مرة أخرى . ونشير في مجال عرضَ الأمر الأول إلى أن مشروع المجرى الجديد المقترح للنيل في صحراء العطمور . الذي تمخضت عنه أفكار وأبحاث النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وحظى بالمناقشة والدراسة الموضوعية ، في أواخر ذلك القرن ، لم يلق جانبًا من جوانب العناية الحقة ، أو البحث الموضوعي الرزين المخلص على الطبيعة ، بالشكل الذي يقطع الشك باليقير . وقد حدث كل هذا في الوقت الذي حظيت فيه مشروعات ومقترحات كثيرة أخرى ، بدراسات وأبحاث فنية •وضوعية ، كلفت مصر بضعة ملايين من الجنيهات ، في السنوات المبكرة من القرن العشرين . ونحن ـــ بطبيعة الحال – لايمكن أن نرجم بالغيب ، ولا نملك القدرة على الحكم ، ولكننا . نرغب رغبة حقيقية وملحة في التعرف على تعليل مقبول، يفسر ذلك الاعراض من جانب الباحثين الفنيين والخبراء في علم ضبط النيل ، عن مشروع المجرى الجديد المقترح ، فى الصورة التي اقترحها أباتا بأشا ، أو فى غيرها من الصور . وهكذا تحلق علامة ـ استفهام كبيرة فى سهاء هذا الموضوع ، وتلوح للباحث من -هني إلى حين . وهو يتسائل دائمًا عن موضوعية ذلك الاعراض ، أوإن شئت الاهمال بالنسبة لمجرد الفكرة في حد ذاتها . هل هذا إهمال عن إيمان حقيقي بعدم صلاحية هذه الفكرة للبحث والدراسة من وجهة النظرالفنية البحتة ؟ أم أن خبراء النيل في هذه الفترة التي سيطر فيها الاستعار هم الذين ـــ لحاجة في نفسهم ــ ضيعوا الفكرة ، وطمسوا معالمها تحت ستار من التناسي والنسيان (١) ..

<sup>(</sup>١) عرض أباتا باشا فكرة هذا المشروع المقرح على سير وليم جارستن قبيل سنة ١٩٠٦ ، ولكنه لم يلق قبولا لأن مصر كانت منصرفة في ذلك الوقت إلى تحقيق بضي المشروعات الحيوية ، في مجال تطهير المجرى في مجر الحيل ، من السلود النباتية التي كانت تسطل الجريان المائى الحر ، وتحقق مزيدا من الفاقد في المستنقصات .

ومهما يكن من أمر فان التقرير الفني ، الذي تمخضت عنه خلاصةالدراسات والخبرات والمباحث الفنية ، التي قام على تحقيقها لفيف من الخبراء والمشرفين على النبل، ومشروعات ضبط النهر إلى سنة ١٩١٢ ، لم يمنح هذه الفكرة التفاتة . كما تغاضي عنها أيضا تقرير ضبط النيل في سنة ١٩٢٠<sup>(١)</sup> ولم يشير إليها بتعايق مناسب ، لامن قريب أو من بعيد . هذا في الوقت الذي تضمن فيه هذا التقرير ، دراسات أصلة لكثير من المشروعات المقترحة ، وإشارات كثيرة إلى عدد من الاقتراحات الهزيلة ، بشأن استخدام بعض الأخوار والوديان الجافة والاحواض المنخفضة على جانبي النهر ، كمنصرف لمياه الفيضانات العالمية ، وحماية مصر من غائلة الفيضانات الخطيرة<sup>(٢)</sup>. ولا بد للباحث على ضوء ذلك كله أن يتصور أن الاهمال والتغاضي عن الفكرة ، التي يتضمنها مشروع أباتا باشا ، ومجرد إغفالها المقصود ، وعدم التعرض لنقدها نقداً موضوعيا ، متعمد بقدر ما هو تعبير صريح عن هدف مرسوم . ويمكن القول في وضوح أن سياسة الخبراء البريطانيين ، الَّذين كان لهم وحدهم حق التحكم والاشراف والتسلط على شئون الرى فى كل من مصروالسودان. وضبط النيل ومباحثه الفنية بصفة عامة في ذلك الوقت ، كان من شأنها إهمال وإغفال أي اقتراح أو أي فكرة تستهدف الربط بين مصر والسودان ، بطريق سهل للملاحة والمواصلات . ولعل من الطريف حقا أن نذكر إن هذه الفكرة ، ليست أول فكرة تحظى بالاهمال والاغفال وعدم العناية ، بل إن ثمة أفكار كثيرة قد حظيت باهمال مماثل ، واتهم أصحابها فوق ذلك كله بالتخويف. ونضرب للماك مثلا بالفكرة التي عالجت أمر التخزين المستمر في داخل حدود الأرض المصرية، ومع ذلك فانها تتمخض الآن عن سد أسوان العالى ، الذي يعتبر عملا هندسيا جبارا يلغ حد الاعجاز .

أما الأمر الثانى فنشير فيه إلى أن التفكير في هذا المشروع المقترح ، في أواخو القرن التاسع عشر ، وعلى ضوء الخبرات المتوفرة في ذلك الوقت ، لم يحقق الفرصة

<sup>(</sup>١) سير مردوخ ماكدونلد : ضبط النيل (النسخة العربية)

 <sup>(</sup> ٣ ) راجع بيان الأعمال المفترحة في مجال ضبط النهر ، وزيادة القدرة في السيطرة على الجريان ،
 فير الجزء الأول من تقرير ضبط النيل . صفحة ٣ .

الكاملة في مجال الحكم السليم على جوهر الفكرة . وليس ثمة شك في أن مجرد التفكير في إعادة النظر فيه على أساس من البحث الموضوعي السليم ، الذي يستند للى حصيلة كبيرة ومتزايلة عن النيل من وجهة النظر الهيدرولوجية ضرورى الغاية ، بالنسبة لكل من مصر والسودان . ونحن على — ضوء من إيماننا وإحساسنا باهمال المشروع المقترح المتعمد ، منذ تنفيذ وتشغيل سد أسوان التحزين السنوى — باهمال المشروع المقترح المتعمد ، منذ تنفيذ وتشغيل سد أسوان التحزين السنوى المعلومات وإجراء الاختبارات ، التي تكشف وجه الحقيقة ، وتؤدي إلى التحقق من كل الاقتراضات ، التي بنيت عليها هذه الفكرة المقترحة . ويدرك الباحث أهمية هذه الدراصة والموافع إليها ، على اعتبار أن حياة الانسان على ضفاف النيل ، في مجراه الأدنى والأوسط ورفاهيته ، وأن الخطط الموضوعة من أجل التنمية ألاقتصادية وتوسيع قاعدة الانتاج ، ما زالت في حاجة ملحة إلى مزيد من فرض الاقتصادية وتوسيع قاعدة الانتاج ، ما زالت في حاجة ملحة إلى مزيد من فرض والعمل في مشروعات هندسية فنيه ، قيعني ذلك — في وضوح — متابعة البحث والعمل في مشروعات هندسية فنيه ، قيعتي مزيلا من القدرة على السيطرة على الايراد الذي للنيل من ناحيتين متباينتين ، من حيث طبيعة العمل الفني . ومن حيث صفة الذي المرجوة .

وتتمثل الناحية الأولى من هاتين الناحيتين ، في العمل اللى يؤدى إلى زيادة حجم الايراد الطبيعي بصفة عامة . ويكون ذلك الهمل ، على اعتبار أن هذه الزيادة جليرة بأن تحقق مزيلا من حصة الماء بالنسبة لكل من مصر والسودان . والمفهوم أن هذه الزيادة في الحصص تتمخض في كل مرة ، عن نتائج طبية — كما قلنا من قبل — فيا يتعلق بتوسيع رقعة الأرض المنزرعة في مصر والسودان ، توسيعا أفقيا ، قبل — فيا يتعلق بتوسيع رقعة الأرض المنزرعة في مصر والسودان ، توسيعا أفقيا ، وزيادة حجم الانتاج من قطاع الزراعة . ونشير إلى أن هذا النمط من أنماط الأعمال الفنية ، مرتبط ارتباطا وثيقا بتقليل حجم الفاقد من إيراد النيل ، من منطقة الفقدان العظمى في مستنفعات بحر الجبل ، سواء تم الفقلان عن طريق التبخر من سطوحها الكبيرة المكشوفة ، أو عن طريق التسرب .

أما الناحية الثانية من العمل ، فقوامها مواصلة البحث الفنى ، في الاتجاه الذي يحقّق تنظيم الجريان المذتى ، وتسوية الايراد الطبيعي السبّوى بالشكل الذي يستقيم

مع طبيعة الاحتياجات والمطالب المائية . وتكون الوسيلة إلى ذلك الهدف عن طريق يؤدى إلى ممارسة أسلوب من أساليب التخزين ، التي تخضع لنظريات التخزين السنوى أو المستمر أو المعادل (1) . وهذا ضرب آخر من ضروب متابعة الخطط الموضوعة في مجال تصميم وتنفيذ الأعمال الهندسية الفنية ، بقصد تلبية الاحتياجات المتزايدة إلى الماء ، والوفاء بكل ما من شأنه أن يحقق احتمالات التنمية الاقتصادية في مصر والسودان على السواء.

وليس ثمة شك ــ بعد ذلك كله ــ في أن إنجاز العمل الخلاق في سد أسوان العالى ، وتشغيله بكامل طاقته ، وفقا للخطة الموضوعة لن يضع حدا للعمل الجاد في نفس الاتجاه . وقد أشرنا من قبل إلى أن الجهود لا يجب أن تتوقف أو أن تصل إلى نقطة ، تمثل نهاية لمشروعات ضبط النهر ، وخاصة أن الزيادة الطبيعية للسكان في مصر ما زالت مستمرة من سنة إلى أخرى (٢) ، وجذه الزيادة في عدد السكان كبيرة ومخيفة ، وهي تلهب الظهور ، وتبحو إلى مزيد من الماء ، ومزيد من الأرض المنزرعة ، ومزيد من الانتاج بصفة عامة.. ويمكن القول أن صلاحية فكرة مشروع المجرى الجديد المقترح ، من وجهة النظر الفنية البحتة ، والأخذ بها وإدخال بعض التعديلات الأساسية على جوهرها وتفاصيلها ، بالشكل الذِّي يستقيم أو يتناسق مع خطة تشغيل السد العالى ، من شأنه أن يقدم أو يخقق أضخم معونة في مجال التخزين وتسوية الايراد الطبيعي ، وزيادة حصة مصر من الماء . ويفهم ذلك على أساس إطلاق دفعات من الفيضان في أواخر يوليو وأغسطس وسبتمبر في هذه الذراع المُقترحة ، وحجزها وتخزينها في حوض للتخزين ، يشمل حوض واذي قبقُبَة . هذا وتخصص في نفس الوقت نسبة من الجريان المائي ، تعادل الاحتياجات ، التي تني برى الأرض المنزرعة في مصر ، المعرور والجريان في أنجري الأصلى النيل النوبي . ومها يكن من أمر ، فإن الذي يهمنا أن ندرك أن الذي يَرْتُبُ عَلَى ممارسة ذلك الاسلوب ، يتمثل في نتيجتين على جَانب كبير مَن الاهنية ، من وجهة انظر الهيدرولوجِية . ويمكن القول أن لكُل تليجة من هاتين النتيجيّن مقالهم عمية ،

<sup>(</sup>۱) الشام : مياه النيل من صفحة ۹۲ إلى ۹۲ - The Mile. و ۱) الشام : مياه النيل من صفحة ۹۲ الله 206 - 276 - 206 ا الهم 206 - 276 - 206 الناسب (۲) الشامى : ضبط النيل والتوسع الزرامي في الجمهورية العربية للتحدة صفحة ۲۰۷ Hurst; H. E. :

سواء تمثلت هذه النتيجة فى أسلوب ضبطاالنهر على المدى الطويل ، أو على المدى القصير فى الوقت الحاضر.

وتتمثل النتيجة الأولى فى إدراك حقيقة ما يترتب على حجز حجم كبير من مياه الفيضان ، فى شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر ، فى هذه الذراع الجلديدة ، بعد تحويلها إلى حوض كبير من أحواض التخزين . ويمكن القول أن هذا الحجج ، من شأنه أن يخلص هذا الحجم من الماء فى حوض التخزين ، من نسبة كبيرة من الحمولة العالمة به . ونشير بهذه المناسبة إلى أن المراسات والمباحث الفنية ، تؤكد أن الحمولة العالمة بمياه النيل تزايد بشكل ملحوظ ، فى موسم الفيضان من حوالى منتصف يوليو إلى أواخر أكتوبر . وهى ترتفع حكا قلنا — من حوالى \* \* ف جزء فى المليون فى شهور الفيضان من لموط الخياض المناسيب إلى حوالى \* \* ف جزء فى المليون فى شهور الفيضان من الروافد الحبيشة (۱) . ومها يكن من أمر فان الحجز فى هذه الذراع المقترحة ، الميكون فى جملته من الايراد المائى ، الذى تزداد فيه نسبة الحمولة من العالمة بماء النهر ، من طين وسلت وصلصال وغير ذلك من المفتنات الدقيقة .

ويمكن القول أنه إذا ما أطاقت هذه المياه المحبورة في حوض التحزين ، بعد نباية شهر سبتمبر إلى حوض التخزين في محيرة ناصر أمام جسم السد العالى ، تكون قد تخلصت من حجم كبير من حمولتها من الرواسب العالقة بها . ويترتب على ذلك الأمر — من وجهة النظر الخاصة بالاطهاء — أن يتناقص حجم الارساب في حوض التخزين أمام جسم سد أسوان العالى ، بنسبة تتفق وحجم الجمولة العالقة ، التي تتخلص منها الما في حوض التخزين في حوض وادى قبقبة . وهكذا تكون هذه النتيجة الأولى من النتائج الايهابية ، التي تحقق ميزة اقتصادية بالنسبة لتشغيل السد العالى ، وتنظيم المناوبات الرى في كل للساحات المنزية في مصر ، مفيدة ومجدية للمنتفعين بمياه النيل على المدى الطويل . ذلك أن هذه التنجة تكفل زيادة عدد السنوات ، التي المنبع على المدى الطويل . ذلك أن هذه التنجية تكفل زيادة عدد السنوات ، التي سنغرقها الارساب في حوض التخزين في مجيرة ناصر ، حتى يصل إلى منسوب يستغرقها الارساب في حوض التخزين في مجيرة ناصر ، حتى يصل إلى منسوب

Simalks, Y.M.: Filling Aswan Reservoir in the Future. 1942 Simalka, (\) Y.M: The Suspendid Matter in the Nile 1940.

١٤٥ مترا فوق مستوى سطح البحر . ويعنى ذلك أيضا أن الاحتمال قائم وكبير ، في زيادة تلك الفترة عن التقدير الحالى ، والذى قلنا أنه يبلغ حوالى ، ه سنة من تاريخ التشغيل الكامل للسد العالى .

أما النتيجة الثانية التى نتوقعها على المدى القصير ، فانها تتمثل فى زيادة حجم حصة مصر والسودان من مياه النيل فى السنة . وتعتبر هذه النتيجة حتمية ومباشرة ، يتمخض عنها تشغيل المدراع المقترحة ، وتحويلها إلى حوض للتخزين وفق-أساليب ونظريات التخزين السنوى Annual والتخزين المعادل Virtual . وهذه الزيادة — فى حد ذاتها — هدف عزيز نسعى إليه ، وتتلهف إلى تحقيقها خطط التنمية الاقتصادية فى كل من الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان . وهى تعنى — فى وضوح زيادة فى احتمالات التوسع الأفتى فى مساحات كبيرة جليدة قاباة للزراعة ، فى كل منها .

ويمكن أن نتفهم الكيفية التى تتحقق بها الزيادة فى حصة السودان على ضوء العلم بالحق القائم بنسبة ٥٠ / من أى زيادة فى إيراد النيل الطبيعى، بعد تشغيل السد الهالى تشغيلا كاهلا. ويمكن للسودان أن يستفيد من هذه الزيادة على أساس سحب الماء بعد تشغيل المد بعد تشغيل المد بعد تشغيل كاهلا. ويمكن الماء المتراكم فى حوض التخزين ، لرى مساحات فى أرض صحواء العطمور ، ويطون الأودية الجانبية القابلة للزراعة فى هذه الصحواء , كما يمكن أن يتحقق السحب فى أى موضع آخر حسب خطة مرسومة من مياه أى رافد من الروافد الرئيسية ، أو من النيل الرئيسي جنوبخط عرض أبوحمد . ويمكن القول من الروافد الرئيسية ، أو من النيل الرئيسي جنوبخط عرض أبوحمد . ويمكن القول أن هذه المدراع المقترحة ، وجريان الماء فيها ، من شأنه أن يضفى على العموان فى الأرض السودانية تغيرات أساسية على مدى واسع . ولعلمه يساعد أو يؤدى إلى تثبيت حجم من البلبو ، المنين يمارسون حياة البلاوة فى أرض للمطمور ، ويقومون بهجرات فصلية على أوسع ملى ، فيا بين الأرض المصرية والأربض السودانية ، بهجرات فصلية على أوسع ملى ، فيا بين الأرض المصرية والأربض السودانية ، وعلى المحافرة والتعلين فى بكل الأرض ، للمتشرة على جوانب حوض فى عال البحث عن المهادن والتعلين فى بكل الأرض ، للمتشرة على جوانب حوض فى عال النبحث عن المهادن والتعلين فى بكل الأرض ، للمتشرة على جوانب حوض فى على الدور قيقية .

أما الكيفية التي تتحقق بها الزيادة في حصة مصر من للله . فانها تفهم على ضوء

من علمنا بالطريقة : أوالخطة الموضوعة ، التي سوف يتم على أساسها تشغيل سد أسوان العالى ، وسحب المياه من بحيرة ناصر ، بعد وصول منسوب الحجز على جسم السد إلى ١٨٢ مترا ، فوق مستوى سطح البحر . وتشير خطة التشغيل المقررة إلى الآن ، إلى أن السنة تنقسم إلى قسمين أساسيين هما . فترة الملء وفترة التفريغ. والمقصود بفترة الملء ، القسم من السنة الذي يمتد من أول شهر أغسطس عند ما ترتفع المناسيب في موسم الفيضان إلى آخر شهر ينايرالتالي . وتتحقق في هذه الفترة التي تستغرق نصف السنة ، كل فرص الحجز والتخزين ، إلى أقصى منسوب للحجز أمام جسم السد العالى . أما فترة التفريغ فتشمل الفترة التي تستغرق النصف الآخر من السنة ، من أول شهر فبراير إلى آخر شهر يولية . ويصيرف هذه الفترة سحب الماء من حوض التخزين في بحيرة ناصر بحساب دقيق(١). وبمكن القول أن خطة التشغيل تراعي في هذه الفترة ، التي تستغرق الفترة الحرجة المعروفة بهذا الاسم في الوقت الحاضر ، تصريف أو سحب كل المياه في حوض التخزين فوق منسوب ١٧٥ مترا عن مستوى سطح البحر . ويكون ذلك الاجراء بقصد الاستعداد لاستقبال الحجم الهائل من مياه الفيضان التالى ، فى أواخر يوليو وأوائل أغسطس(٢٣) . ويعنى ذلك بالضرورة تنظيم السحب ، وانتظام تصريف الماء من حوض التخزين في بحيرة ناصر ، تنظيما يتناسق مع نظام مناوبات الرى في مصر من ناحية ، ومع الرغبة فى التخلص من أى حجم من الماء ، الذى يحتمل أن يزيد فى أثناء هذه الفترة ، من مارس إلى يوليو عن الاحتياج*ات* للرى والملاحة من ناحية أخرى . . ﴿ ﴿ وَهُكُذَا لِيُعْتَمِلُهُ ﴾ في السنوات إلتي يُسجل الايراد الحائي السنوي فيها زيادة شبه منتظمة منأن يكون هنالة احتمال كبير للفاقد من للماء في حوض البخرين . وتلتن م . خطة التشغيل بالتخلص من بعض الماء في الوقت المناسب و والمبوط بمنسوب سطح بحيرة ناصر إلى تنسوب عالاً إحتراً فوق صعنوى سطح البحر .. وليس ثمة شك ف أن استغلال الدراع اللقتنجة في معتولة العطمور ، بخيث تستقبل وتحنون دفعات من اسياه الفيضائله ، من استصف شهر يؤليوا إلى آخر اشهرا سبتيب ، يكون اكفيلا

<sup>(</sup>۱) الشامى : مياه النيل ۱۷۸

<sup>&</sup>quot; " ( ﴿ ) حَكَابُ الْمُعْلَى " الدَّاثْمِ لشيد " الانتاج " القوش " كنت و مدم المستح " و وا

مجلوث حالة من حالات الموازنة . وقد يترتب على ذلك عدم الحاجة إلى التخلص من بعض الماء المختزن في مجيرة ناصر . ذلك أنه في مثل هذه الحالة ، لن تكون تمة حاجة ملزمة للوصول بمنسوب الماء في مجيرة ناصر أمام جسم السد العالى ، إلى منسوب ١٧٥ مترا . ويعنى ذلك أن حوض التخزين في وادى قبقة ، من شأنه أن يخفف من حدة حجم الماء الكبير في موسم الفيضان بصفة عامة . وهذا في واقع الأمر يمكن . أن يعبر أوأن يوضح ما نعنيه بالتخزين المعادل .

### التصميم الجديد للمشروع القترح وخطة التشغيل:

ومهما يكن من أمر فان احتمالات الأخذ بهذه الفكرة \_ في جملتها \_ ، وتنفيذها في المستقبل القريب أو البعيد ، سوف تتزايد بشكل المحوظ وخاصة بعد تنفيذ بعض المشروعات والمقترحات ، التي تستهدف زيادة الايراد الطبيعي السنوى ، وبالتالى زيادة صحة كل من مصر والسودان . ويعنى ذلك أن هذه الفكرة قد تصبح ضرورة تقتضيها الحاجة الملحة ، بعد إنمام بعض مراحل العمل الفنى ، في مجالات تقليل حجم الفاقد ، بالتبخر أوالنتج أو التسرب في منطقة المستقطت ، في حوض بحر الجبل والسوباط الآدنى . والمفهوم أن من طبيعة هذه الخطوة الهامة ، في حوض بحر الحبل والسوباط الآدنى . والمفهوم أن من طبيعة هذه الخطوة الهامة ، عمين تقوم على دراسها وبحث احتمالاتها هيئة مياه النيل المشتركة \_ المصرية السودانية عمين الزيادة في حجم الايراد الملبعي السنوى بصفة عامة . وتترتب تلك الزيادة وتعنى هذه الزيادة من تاجيم الايراد المائى الدائم من بحيرات وروافد المضبة الاستوائية وتعنى هذه الزيادة من ناحية أخرى أن تكون هناك باستمرار أحجام كبيرة من المياه في بحيرة ناصر فوق منسوب ١٧٥ مترا ، وهى التي يتحتم التخلص منها قبيل أول أعسطس وتدفق الفيضان ، وتسجيل المناسيب العالية العجريان المائى في النهل وبداية فترة الملء .

هكذا يمكن القول أن خاق اللراع المقترحة فى العطمور ، وتحويلها إلى حوض من أحواض التخزين ، من شأنه أن يجابه كل احتمالات الزيادة المتوقعة فى إيراد النبل الكلى . ويقتضى ذلك تشغيل هذه الذواع وحوض التخزين فيها وفق الخطة ، التي تتناسق مع خطة تشغيل سد أسوان العالى ، وتنظيم مناوبات الرى فى مصر من ناحية ، بقدر ما تتناسق مع طبيعة الزيادة الكلية فى حجم الايراد الماثى

والظروف المحيطة بها من ناحية أخرى . ويعنى ذلك أن يصير تنسيق الجريان تنسيقا ، يؤدى إلى تخزين رصيد من الماء فى حوض التخزين فى وادى قبقبة ، يكون معادلا لأى زيادة فى حجم الايراد الطبيعى فى النيل ، مضافا إليها أى زيادة يسجلها حجم الرصيد من الماء الحتزن ، فى حوض بحيرة ناصر فوق منسوب ١٧٥ مترا . والمفهوم أن يتم تخزبن هذا الرصيد كله من مياه الفيضان ، فى الفترة التى تمتد من حوالى منتصف يوليو إلى آخر سبتمبر على وجه التقريب . أما السحب أو إطلاق المياه من هذا الحوض فى وادى قبقبة ، فيمكن أن يتم حسب التوقيت المعين ، الذى يستجيب لطبيعة الاحتياجات لرى الأرض المنزرعة فى مصر ، وعملية السحب من بحيرة ناصر ذاتها . ويستازم الأمر فى مجال تنفيذ هذا المشروع المقترح ، وخالق حوض التخزين فى المجرى الجديد فى صحراء المعطمور ، متابعة العمل على ضوء حوض التخزين فى المجرى الجديد فى صحراء المعطمور ، متابعة العمل على ضوء الخلوات التالية :

#### ( أولا ) العمل عند بداية الذراع :

لقد أشرنا من قبل إلى أن بلاية الدراع المقترحة تكون عند موقع قريب من موقع أبوحمد ، وعلى فم وادى الشيخ على وجه التحديد . ويتطلب الممل إنشاء قنطرتين عند هذا الموقع . ويكون من شأنهما تقسيم الايراد المائى ، اللى يمر في النيل عند موقع أبوحمد إلى قسمين غير متكافئين . والمقصود من هذا التقسيم ، أن ينساب حجم من الايراد المائى في طريقه الطبيعى في مجرى النيل الرئيسي خلف موقع أبوحمد ، وأن يوجه القسم الآخر من هذا الايراد الطبيعى ، للجريان في اللذاع المقترحة في صحراء العطمور . ويجب أن توضع — من أجل ذلك ... قنطرة من هاتين القنطرتين على مجرى النيل الرئيسي ، في الموقع المناسب من وجهة النظر الفنية ، قرب موقع أبوحمد . ويمكن أن تمتبر جزيرة مجرات التي تشغل حيزا كبيرا من النيل وتقسم مجراه العريض إلى مجريين ، موقعا مناسبا تماما لانشاء هذه القنطرة ، ووضع وتقسم مجراه العريض إلى مجريين ، موقعا مناسبا تماما لانشاء هذه القنطرة ، ووضع الأساس المتين القوى البناء ، الذي يتحمل ضغط الماء على المنسوب العالى في موسم المتين القوى البناء ، الذي يتحمل ضغط الماء على المنسوب العالى في موسم يقع عليه المناسب . أما القنطرة الثانية مناه المقاطرة الأخيرة ، ومجموعة الفتحات يقع عليه المقرح ، و مجموعة الفتحات

المجهزة فيها بالروافع الميكاتيكية ، التحكم الكامل فى حجم الماء ، الذى يسمح له بالانطلاق على دفعات ، وفق الحساب المعين بدقة وتقدير فى اتجاه الشهال فى الذراع المقترحة .

ولعل من الضرورى أن نشير بهذه المناسبة ، إلى أن طبيعة العمل الهندسي التصميم الفنى ، لكل قنطرة من هاتين القنطرتين مختلف تماما . والمفروض أن يوضع في الاعتبار عند التصميم النهائي ، سرعة الجويان وحجم الماء الجارى ، والمناسب التي يصل إليها الجويان في النهر في موسم الفيضان ، والفياغط (۱۱) بالنسبة لكل قنطرة منهما . ويعنى ذلك أن تكون الفنطرة على مجرى النيل الرئيسي من حيث القوة والقدرة على تحمل ضاغط محسوب بدقة كبيرة ، جديرة بالوفاء بأهداف خطة التشغيل والموازنة عليها ، والتحكم في الجريان المتلفق وتقسيمه على المناسب العالمية في موسم الفيضان من كل عام . ومع ذلك فأنه يمكن القول أن تشغيل كل قنطرة من القنطرتين معا ، وفي وقت واحد ، مجيث تفتح بعض العيون أو الفتحات في القنطرة على فم الذراع المقترحة ، وتقفل بعض الفتحات في القنطرة الأخرى على مجرى النهر الرئيسي ، من شأنه أن يقلل من احتالات زيادة الفياغط عن المعدل الدي يتحمله بناء قنطرة ما على مجرى النهر .

## ( ثانيا ) الممل في خلق المجرى وتهذيبه :

لعل من الطبيعي أن يكون الجوبان في مجرى وادى قبقبة ، كما أداد مشروغ أباتا باشا ، على اعتبار أن هذا المجرى الطبيعي له الصفات الطبيعية ، التي يتحقق معها الجريان بسهولة كبيرة ، في الجزء الذي يقع دون خط كنتور ۴۰٠ متر . وهذا في حد ذاته يوفر علينا الكثير من الجهد في مجال الحفر ، ويوفر لذا الكثير من المال . ومع ذلك فان حفر القطع المكشوف في مرتفعات خط تقسم المياه في الاتجاه على المواقع المنتخبة على الطبيعة ، يمثل مرحلة من أهم وأخطر مراحل العمل كله ، " المال لم تكن أخطرها جميعا . ويفهم ذلك على اعتبار أن الحفر وسيلة مثل ، يستمان بها من أجل خلق الماليات والجريان بها من أجل خلق الاتصال المباشر والجريان .

<sup>(</sup>١) الضاغط تمبير في مقصود به ما يعادل ارتفاع عود الماء أمام جسم البناء في عرض الهر .

بالحاذبية ، بين الاحباس العليا لوادى الشيخ والاحباس العليا لوادى قبقبة .
ونحن تعتقد أن الحفر المطلوب ، يمكن أن يمر على نفس الاتجاهات ، التى حدها
التقرير الفتى الذى عبرعن الفكرة القديمة ، والتى أشرنا أنها فى الصفحات القليلة
السابقة . ويكون ذلك على اعتبار أنه قد اختار هذه الاتجاهات والمواقع ، بعد
دراسة وبحث ، تمخضت عنها مناقشته الفكرة والمشروع المقترح فترة طويلة
من ناحية . ومروره بالمنطقة والتعرف عليها من ناحية أخرى . ولكن ذلك لا يمنع
البحث الذى يستهدف تحديد هذه الاتجاهات ومواقع الحفر المناسبة ، من أجل
خلق هذا القطع .

والمنهوم أن مكعبات الحفر في هذا القطع الكبير ضخمة للغابة ، وأن الحفر صعب لأن الصخور والتكوينات ، التي سوف يتم فيها الحفر يغلب عليها أن تكون من الصخور القديمة النارية والمتحولة ، والتي قلنا أنها تمثل من وجهة النظر الجيولوجية ، امتداحا للسان من الصحور ، التي يتكون منها العدود الفقرى لتلال البحر الأحمر . كما تتطلب عملية تجهيز القناة اللازمة لترير المياه أو تحقيق الجريان في هذا القطع ، كفاءة عالية في حساب الانحدارات ، وإعدادها على الصورة التي تلائم صفة المناسيب ، وحجم الجريان المائى المقرر توجيهه في هذه اللواع المقترحة. ويمكن القول أن هذه القناة يجب أن تكون ، من حيث العمق، ومن حيث ارتفاع الحسور ، ومن حيث مساحة القطاع الرأسي في المواضع المتفرقة على طول امتدادها ، مناسبة من وجهة النظر الهيدرولوجية ، لترير حوالي ٣٥٠٠ متر مكمب الثانية ، وهو أقصى تصرف مقترح في شهر أغسطس من كل عام .

ومهما يكن من أمر، فان الخبرة الضخمة والثقة العالية، التي اكتسبها الانسان المصرى بالذات ، في مجالات العمل الصعب في شق الأنفاق ، وعمليات الحفر في قناة التحويل في الصحور الصلبة القوية ، في مواقع العمل في السد العالمي ، وينا من الفرص الموفقة ، بقدر ما تحقق الانسان تجاحا في مجال القيام بهذا الجهد المضخم الجبار في أرض العطمور . هذا بالاضافة إلى أن طبيعة الآلات التي استخدمت في حفر الأنفاق وتجهيزها ، وشق الحجرى الجديد للنيل ، جنوب موقع أسوان مباشرة ، تكون كفيلة بأن تنهض بنفس اللمور ،

وأن بمكن الانسان المصرى من شق أو خلق أطول قطع صناعي مكشوف في العالم :
ولا بمكن أن تحدد بطبيعة الحال طول هذا القطع على وجه الدقة ، لأن هذا التحديد
يتوقف على نتائج بعض الدراسات والأبحاث ، المفروض القيام بها على الطبيعة عند
خط تقسيم المشار إليه ، كما أنه يتوقف على اختيار مواقع الحقر ، وتحديد المناسيب
التي يصل اليها الاتحدار المناسب ، وتقدير حساب مساحة القطاع في قناة تمريز المياه
في مواقع متفرقة ومتوالية مع الاتحدار العام صوب الشهال ، من ناحية أخرى .

ونود أن نشير في هذا المجال إلى أن الظروف الحيطة بالعمل الشاق ، في هذه الأرض تلائم الانسان المصرى ، ويمكن أن ينهض فيها بكل العمل بكفاءة تامة وخبرة عالمية مطمئتة . ونلكرأن هذا الانسان قد سجل من قبل ، وفي نفس هذه الأرض الصحراوية الحارة ، وفي عيط كل الظروف الطبيعية القاسية ، نموذجا رائعا من نماذج العمل الخلاق ، والحلق المادى الرائع الذي ما زال يعبر عن هذه القدرات . ذلك أنه أمهم في أواخر القرن التاسع صشر بكل جهده في مذ وإنشاء خط سكة حديد أبو حمد — حلقا ، ومعجل أرقاما فياسية في التقدم برأس السكة ، وإنماز العمل بدقة وإتقان كاماين ، في قاب الصحراء في شهوز القيظ الشليط .

# (ثالثا) انشاء السد وتحويل الذراع الى حوض التخزين :

تقتضى الخطة المقترحة تحويل الدراع الجديدة ، التي تخترق أرض صحراء العطمور إلى حوض من أحواض التخزين . ويتطلب ذلك اختيار الموقع المناسب من وجهة النظر الفنية ، لانشاء جسم سد كبير قرب نهاية الدراع المقترحة ، وقبيل اقترانها المباشر مرة أخرى بالنيل الرئيسي ، وتدنق الجريان المائى منها إلى حوض التخزين في بحيرة ناصر . ويجب أن يراعي في تصميم هذا السد ، ووضع قواحد البناء فيه ، أمران هامان ، من حيث الوظيفة التي يقوم بها ، ومن حيث علاقة هده الوظيفة بحوض التخزين في مجيرة ناصر وتشغيله »

۱ ـ يتعلق الأمر الأول بمنسوب الحد الأقصى العجيز والتخزين في مجيرة ناصر أمام جسم السد ، بعد التشغيل الكامل السد العالى . والمفهوم أنه من الضرورى أن يكون وضع بناء السد المقترح ، على النحو الذى يتلائم مع هذا المنسوب ، والذى يسجل فى أقصى ارتفاع له ۱۸۲ مترا فوق مستوى سطح البحر . ويعنى ذلك أن يكون التصميم والموقع المنتخب للبناء : فى وضع مناسب تراعى فيه احتمالات تغير المنسوب فى مجبرة ناصر ، التى تعتبر خلف موقع هذا السد المقترح – فيا بين ١٧٥ و ١٨٢ مترا .

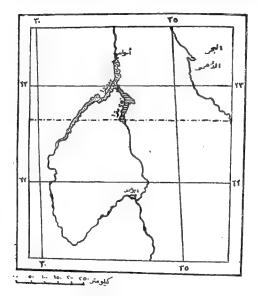
٧ - ويتعلق الأمر الثانى بتصميم جسم السد المقترح ، ومراعاة عامل الارتفاع المناسب للبناء ، الذى يتناسب مع طبيعة الجريان المائى ، ومراعاة ارتفاع الضاغط وحجم التخزين وسعة حوض التخزين . كما يجب أن يراعى عملية حساب الفتحات ، وصلاقة ذلك بحساب التصرفات وإطلاق المياه ، من حوض التخزين أمام جسم السد المقترح ، إلى حوض التخزين في مجيرة ناصر ، خلف جسم هذا السد المقترح .

ونحن – على كل حال – لا تملك الوسيلة القاطعة ، التى يمكن أن نقلر على أساسها سعة حوض التحزين ، فى وادى قبقبة تقديراً دقيقا . وقد يتطلب ذلك الأمر المرور على جسور الوادى ، والنعرف على كثير من صفاته ، والظروف المحيطة بأعراقه على طول امتلاده من الجنوب إلى الشهال ، والمحيطة بامتلاد وحدود الحوض ومناسيب تلك الحدود . والمفهوم أن هناك بعض الجوانب التى تتطلب التجسير ، إلى مناسيب معينة ، للوفاء بامكانية الحيجز والتحزين على منسوب معين . كما قد تتطلب الجوانب فى مواقع أخرى ،، وضع التكسيات من الصحور الصلبة كما قد تتطلب الجوانب فى مواقع أخرى ،، وضع التكسيات من الصحور الصلبة المقوية من أجل تهذيب المجرى بالشكل الذى يتلائم مع سرعة الجريان المذى وقدرته على النحت الجانبي من ناحية ، ويتلائم مع شوين الماء بقدر معين في الحوض من ناحية أعوري (١٠) .

و نضيف إلى ذلك ضرورة حساب احتالات الفاقد بالتبخر من سطح حوض التخزين على المناسب المختلفة ، واحتالات الفاقد بالتسرب في التكوينات السطحية في قاع الحوض وجوانبه . ويمكن القول أن حساب الفاقد بالتبخر ، لن يمثل مشكلة عويصة ، لأن حصيلة اللمراسات والأبحاث التي أجريت من أجل حساب الفاقد في النيل النوبي ، يمكن الاعتماد عليها في هذا التقدير. وقد قلنا أن الظروف الطبيعية المحيطة بالجريان الماثي في المذراع المقترحة ، تحقق هذه الفرصة . ويقدر

 <sup>(</sup>١) يتوقع الباحث أن يقع معظم حوض التخزين في الأرض المصرية ، إلى خط العرض ٢٢
 شمالا . أما ذيل هذا الحوض نانه أن يوغل في الأرض السودانية إلا بمقدار ضئيل .

الفنيون الفاقد بالتبخر فيا بين أسوان بحوالى ٧. / من مكعب التنخرين : في حالة بمارسة أسلوب التخزين السنوى . أما الفاقد من مكعب التخزين السنوى فيها بين حالها وعطيرة ، فانه يقدر بحوالى من٥٠٨ / إلى١٠ / من هذا المكعب . أما حساب الفاقد بالتبخر من مكعب التخزين المستمر ، فيقدر بحوالى ١٨ / في السنة (١) . وإذا انتقلنا إلى حساب الفاقد بالتسرب ، نشير إلى صعوبات فنية ، تتطلب دراسات وأبحاث عميقة متكررة في الحقل والمعمل معاً . كما يقتضي الأمر مراءاة احتمالات



بيان كروكي لحوض التخزين المقترح في اللراع المقترحة في العطمور

<sup>(</sup>١) كتاب المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القوى سُنة ١٩٥٥ صفحة ١٢٩ و ١٣٠

تنا قص معدلات الفاقد بالتسرب ، بعد مرور أو انقضاء عدد من السنوات ، نتيجة للاطماء المنتظم فى قاع حوض التخزين .

ومهما يكن من أمر ذلك كله فان سعة حوض التخزين في الذراع المقترحة ، يجب الوصول بها إلى أكبر قدر ممكن ، حيث ليس ثمة عمران يخشى عليه على جوانب الحوض . ويراعى في تقدير هذه السعة اعتبارين هامين ، من وجهة النظر الهيدرولوجية .والمفهوم أن كل اعتبار منهما يعبر عن احتمالات كبيرة الزيادة في الايراد الطبيعى للنيل في المستقبل القريب .

ويتمثل الاعتبار الأول فى الاحتبالات الكبيرة المتوقعة ، فى مجال تنفيذ بعض المشروعات المقترحة المدروسة ، التى من شأنها – كما ذكرنا من قبل – أن تؤدى إلى زيادة كبيرة فى حجيم الايراد الطبيعى السنوى . ونسجل بهده المناسبة أن هيئة مياه النيل المشتركة بين مصر والسودان ، تضع فى صميم تفكيرها هذا الهدف ، وتسعى المي تقليل الفاقد الضخ ، من مستنقعات حوض بحر الجبل . والمفهوم أن هذا الفاقد الكبير ، يتراوح – كما قلنا – بين نهاية صغرى تبلغ حوالى ٢ مليارات من الأمتار المكعبة ، في السنة ، وبين نهاية عظمى تبلغ حوالى ١٨ مليارا من الأمتار المكعبة ، في السنة ، ويكن أن نضيف إلى هذا الفاقد حجيما من الفاقد أيضا من المطر المباشر ، والذى يبلغ حوالى ٩ مليارات من الأمتار المكعبة ، على حوض بحر الجبل في السنوات بيلغ حوالى ٩ مليارات من الأمتار المكعبة كحد أدنى ، وبين حوالى ٢٧ مليارا من الأمتار المكعبة كحد أدنى ، وبين حوالى ٢٧ مليارا من الأمتار المكعبة كحد أدنى ، وبين حوالى ٢٧ مليارا من الأمتار المكعبة كحد أدنى ، وبين حوالى ١٧ مليارا من الأمتار الملعبة كورة الحقيقية في الايراد الطبيعي للنيل ، ويجب أن نضع في الاعتبار أن هذه الزيادة في حجيم الايراد ، تكون من الماء الذى تتخفض فيه الحمولة العالقة ، من الرواسب بصفة عامة . ويمكن أن ننظر إلى هذه سعة حوض تتخفض فيه الحمولة العالقة ، من الرواسب بصفة عامة . ويمكن أن ننظر إلى هذه الزيادة على أساس أنها مياه صالحة للتخزين ، لأنها لا تكاد تؤثر على سعة حوض الزيادة على أساس أنها مياه صالحة للتخزين ، لأنها لا تكاد تؤثر على سعة حوض

<sup>(</sup>١) يقدر الفاتد من المطر المباشر على حوض بحر الجل عل أساس أن مساحة الحوض الكلية تبلغ ١٠ آلاف من الكيلومترات المربعة ، وأن متوسط المطر السنوى يبلغ حوالى ١٠ سنتيمترا في السنة . (راجع كتاب مباه النيل صفحة ١٤) .

التخزين إلا بقدر ضئيل . وهي -- على كل حال -- زيادة طبيعية ، يمكن أن تضيف إلى حساب حصة مصر السنوية من إيراد النيل الطبيعي ، بواقع ٥٠ / ، حوالى ٧ مليارات من الأمتار المكعبة في حالة الحساب على أساس الحد الأدنى ، وحوالى ١٣ مليارا من الأمتار المكعبة في حالة الحساب على أساس الحد الأعلى الزيادة المتوقعة في السنة .

أما الاعتبار الثانى قانه يتمثل في احتمال توالى عدد من الفيضانات العالمية ، في عدد من السنوات المتوالمية . وهذا معناه احتمال زيادة طبيعية في حجم الايراد الكلى ، بشكل يؤدى إلى وجود حجم كبير من الماء في حوض التخزين أمام جسم سد أسوان العالى ، على منسوب أكثر من ١٧٥ مترا فوق مستوى سطح البحر . والمفهوم أن خطة أو أسلوب التشغيل الموضوع يقتضى — كما ذكرنا من قبل التخلص الكامل من هذا القدر الزائد من الماء عن ذلك المنسوب ، في الوقت المناسب قبيل حلول موعد الفيضان التالى . من أجل ذلك ، فان تقدير حساب السعة في حوض التخوين المقترح في وادى قبقية ، يجب أن يقوم بوظيفة من شأبها أن تقلل بقدر الامكان من اللجوء إلى أسلوب التخلص من أى قدر من الماء في بحيرة ناصر بقدر الممكان من المحود إلى أسلوب التخلين المعترب أعلى من أحل الوفاء باحتمال وفق أسلوب التخزين المعترب ، ويعنى ذلك ضرورة العمل على زيادة سعة حوض التخزين المقترح ، من أجل الوفاء باحتمال وفق أسلوب التخزين المعادل ، بالاضافة المهادي التحذين المعادل ، بالاضافة المن تشهيله الهادي التحذين المعادل ، بالاضافة المهادي المهادي المهادي المهادي التحذين المعادل ، بالاضافة المهادي ال

و هكذا يجب أن يتكون تقتليز السعة التكلية فحوض الشغوين في واحت فيه به المستوين المستوين واحت في المتحدد من المستوين السعة التكلية في المستوين المستوين من الأحباس الاستوائية يجتوب موقع ملكال مصافة اليها احتساب فنفات الماء من التنصابات العالمية ، والتي تمثل على الخارجة للمستوينة المستوينة المشاركة المستوينة المشاركة المستوينة المشاركة المستوينة ا

وسبتمبر ، تقلر بحوالى ٨ مليارات من الأمتار المكعبة سنويا ، فيجب أن يوضع في الاعتبار حساب سعة حوض التخزين المقترح بحوالى ١٥ مليارا من الأمتار المكعبة هذا بالاضافة إلى حوالى ٢ مليارا من الأمتار المكعبة ، لحجابهة حساب احتمالات الفاقد بالتبخر أو بالتسرب من حوض التخزين فى صحراء العطمور . ويعنى ذلك أن تصبح السعة الكلية المقدرة لهذا الحوض وفى وادى قبقبة حوالى ١٧ مليارا من الأمتار المكعبة . ونذكر بهذه المناسبة أنه يجب أن يتم ملء هذا الحوض من مياه المفيضان ، الذى ترتفع فيه نسبة الحمولة العالقة من الرواسب فى شهور يوليو وأغسطس وسبتمبر على الأقل . وهذا الأسلوب من شأنه أن يقلل من مكعبات الارساب فى حوض التحزين فى بحيرة ناصر ، وخاصة إذا ما وضعنا فى الاعتبار أن ذلك يؤدى من ناحية أخرى إلى زيادة الاعتباد على الكية الزائدة من الإيراد الطبيعى ، من الأحياس الاستوائية ، فى ملء حوض التحزين فى بحيرة ناصر .

## خطة التشغيل القترحة لللراع وحوض التخزين:

نذكر في مجال الحديث عن طبيعة ونظام التشغيل المقترح ، من أجل التحزين في الحوض ، الذي يجرى فيه الحجرى أو الذراع المقترحة ، أن السنة يجب أن تنقسم إلى فترتين هما : فترة الملء وفترة السحب والتفريغ . وتعتبر الفترة التي تبدأ من منتصف شهريوليوو مجتد إلى أول شهرأكتوبر ، أنسبالفترات، التي يجب أن يتحقق فيها إطلاق دفعات المياه المقررة ، إلى حوض التحزين المقترح . ويفهم ذلك على اعتبار أن ملء هذا الحوض ، يجب أن يتم في وقت الفيضان ومن ذرواته العالية في هذه الشهور . وهي حكم قلنا – المياه التي من شأنها أن تؤثر بالفرورة العالقة ، والتي تمثل حجم كبيرا من الرواسب ، والتي من شأنها أن تؤثر بالفرورة على سعة حوض التحزين في مجيرة ناصر أمام جسم صد أسوان العالى. ويقتضي نظام المتشفيل المقترح في هذه الفترة ، التي تستغرق ٧٧ يوما ، قفل البوابات لسد الفتحات المياه ، في السد المقترح عند فم الذراع . وتحقق هذه العملية حجز كل دفعات المياه ، التي تنظلق بحساب موضوع في حوض التحزين من منتصف يوليو إلى آخر مستمير .

موقع أبو حمد ، والتي تخصص الجربان في المجرى الجلديد المقترح : وملء حوض التخزين تخضع لحساب واعتبارات فنية دقيقة . وهذا الحساب المعين مفروض فيه أن يتناسق من ناحية مع التصرفات في النيل الرئيسي ، في كل من النصف الثاني من يوليو وأغسطس وسبتمبر ، وأن يتناسق من ناحية أخرى مع طبيعة وحجيم الاحتياجات الرى في الأرض المنزرعة في مصر . ويعني ذلك أن يكون حساب الحصة بالقدر الذي يخفف من حدة أو ارتفاع قدم الفيضان إلى أقل قدر محكن ، كما يكون الحساب بالشكل والحجم ، الذي لا يؤثر مجال من الأحوال على الحد الأدني للنصرفات المطلوبة ، للوفاء باحتياجات الرى والملاحة في هذه الشهور .

وهكذا يمكن القول أن إطلاق دفعات الماء في المجرى المفترح، في الفترة من يوم ١٦ إلى ٣١ يوليو ، يجب أن يكون بحساب دقيق ، بحيث لا يتجاوز التصرف في اليوم الواحد ١٥٪ أمن التصرف الكلي للنيل عند موقع أبوحمد. ويعني ذلك أن التصرف قى هذه الذراع المقترحة في أثناء النصف الثاني من يوليو يقلر بحوالى ٥٠ مليونا من الأمتار المكعبة في اليوم الواحد . أما في شهرى أغسطس وسبتمبر الذي يصل فيهما الفيضان وقممه العالية ، فيجب أن ترتفع هذه الحصة ارتفاعا يتناسق مع الزيادة الفعلية في تصرفات النيل خلف موقع أبو حمد . وتقدر كمية المياه أو الحصة المقررة المقترحة بواقع ٢٩٠ مليونا من الأمتار المكعبة في اليوم . الواحد من أيام شهر أغسطس ، أو ما يعادل حوالى ٤٠٪ من التصرف اليومى في النيل النوبي عند ، وقع أبو حمد . أما الحصة التي تحصص للجريان في شهر سبتمبر ، فيقدر لها أن تكون بواقع ٧٤٠ مليونا من الأمتار المكعبة في اليوم الواحد . ويعادل هذا النصرف حوالي ٣٦٪ من التصرف اليومي ، عند نفس الموقع في أيام شهر سبتمبر . ويمكن القول أن من شأن هذه الحصص - المشار إليها في كُل من النصف الثاني من يوليو وأغسطس وسبتمبر – أن كالأ حوض التخزين ، الذي قدرتا ' سعته بحوالى ١٧ مليارا من الأمتار المكمبة<sup>(١)</sup>. ويمكن أن ندرك ذلك على ضوء الأرقام التي بينها الجدول التالى .

 <sup>(</sup>١) تقدر هذه السعة المقدرحة على اعتبار وصول منسوب الحجز على خط كتتور ٢٥٠ متراً جن
 بهتوي مطح البحر . ويتطلب ذلك خوائط مساحية من الدوجة إلاول ، بإلتاكه من ميلامة التقدير .

الحصة الكلية	التصرف اليومى فى الدراع المقترحة	التصرف اليومى عند أبوحمد	الفترة
ملیون متر مکعب ۱۳۹۹ م ۷۶۲۰۰	ملیون متر مکعب ۵۰ ۲۹۰ ۲٤۰	ملیون متر مکعب ۳۰۸۰۵۰۰۰ ۲۲۲۹ ۹۲۵	من _ إلى الله الله الله الله الله الله الله ال

أما فيا يتعلق بنظام السحب والتفريغ من حوض التخزين في هذه الذراع ، فاند لن يبدأ إلا في أثناء الفترة أو الوقت، الذي تحدده خطة مرسومة . والمفهوم أن هذه الخطة يجب أن تخضع خضوعا كاملا ، لخطة السحب ومجليات التفريخ من بحيرة ناصر أمام جسم السد العالمل . كما يجب أن تتناسق هذه الخطة من ناجة ثانية مع المناسب ، في هذه البحيرة واحتالات التغيرات التي تطرأ عليها من شهر إلى شهر في أثناء فترة التفريغ . ويعني ذلك بالمضرورة ، إطلاق دفعات من المياه في حوض التخزين المقترح إلى بحيرة ناصر ، بالطريقة التي تتناسق مع مواعيد السحب وإطلاق التصرفات ، التي تقتضيها مناوبات الرى ، من قناة التحريل — عند أسوان — لرى الأرض المنزرعة في مصر . ويجب أن يتم هذا التفريغ — على كل حوالى - ١ بعقة كاملة ، في أثناء الفترة فيا بين أول ديسمبر و ١٥ يوليو ، يبواقع الحوالى - ١ مليونا من الأمتار المكمبة في اليوم الواحد ، أو ما يعادل حوالى • ١٨ متر مكحب في الثانية .

هذا ويمكن القول - بعد ذلك كله - أن تنفيذ هذا المشروع المقترح الضخم ، اللذي يحول بمقتضاه وادى قبقبة إلى حوض من أجواض التخزين السنوى والمعادل ، من شأنه أن يحقق مزايا اقتصادية هائلة ، بالنسبة لكل من مصر والسودان . وهو - بالنسبة لمصر - يحقق في المدى القصير ، زيادة في حصة الماء السنوية ، يحيث تزيد من حوالى ٥٥،٥٥ مليارا من الأمتر المكعبة ، التي يحققها تشغيل السد العالى والتخزين في مجيرة ناصر ، إلى حوالى ٧٠مليارا من الأمتر المكعبة ، ويمكن

أن تحقق هذه الزيادة بداية لخطة جديدة ، تستهدف توسيع مساحة الأرض المنزرعة في الأرض القابلة للزراعة في مصر . وتقدر تلك المساحة ، التي يمكن أن تضاف إلى رقعة الأرض المنزرعة ، بعد إتمام مراحل النوسع الحالى على المياه ، التي يحققها تشغيل السد العالى ، بحوالى ١,٨ مليون من الأفادنة . ويعنى ذلك زيادة المساحة الكلية للأرض المنزرعة المروية بمياه النيل من حوالى ٨ مليون فلمان ، إلى حوالى ٨ مليون من الأفادنة . وهلما الرقم الأخير يمثل - كما قلنا - أقصى احتمال للتوسع الأفنى في الأرض المنزرعة في مصر على وجه التقريب (١) .

أما في المدى الطويل فان هذا المشروع المقترح ، من شأنه أن يؤدى إلى تقليل حجم الرواسب وأثر الاطماء على حوض التخزين في بحيرة ناصر بمقدار كبير . ذلك إن اقتطاع حوالى من ٣٦ / إلى ٨٦ / ، من الايراد المائي في شهرى أغسطس وسبتمبر من مياه الفيضان العالى ، من شأنه أن يقلل من حجم الارساب بنسبة معقولة ، إلى حد كبير . هذا بالاضافة إلى أنه يمنح الفرصة، لأن يمثل حوض بحيرة ناصر من مياه الموارد الاستوائية ، التي تعتبر أقل تأثيرا على أحواض التخزين ، من حيث حجم الحمولة العالقة بها ، ومن حيث الاطماء الذي يترتب على حجزها أما جسم السد .

ويعتبر المشروع المقترح — بالنسبة للسودان — وميلة حقيقية ، تستهدف تحسين حالة الحياة والعمران ، على جانبى المجرى المقترح . ويمكن أن يحقق الجريان المائى والتخزين فى وإدى قبقية ، فرصة مناسبة لزراعة مساحات من الأرض فى بطون الأودية الجانبية . هذا بالاضافة إلى ما يمكن أن يؤدى اليه مورد الماء العلب اللمائم ، من حيث عودة إلى النشاط إلى حقول التعدين ، التى شهدت نشاطا بشريا رائعا ، فى وقت قديم (٧). وهو يحقق من ناحية ثالثة ، حياة أكثر قيمة واطمئنانا ، بالنسبة لرعاة الإبل فى أرض العطمور والعتباى . وينتظر أن تحظى قطعان الرعاة ، بورد ."

<sup>(</sup>۱) راجع الملحق وقم (۱) في تقرير لجنة خيرا امشروعات الري الكبرى فى ١٠ مايوسنة ١٩٤٩ (۲) يششل النشاط في تاريخ مصر القديمة ،كما يشمثل في نشاط الفيائل العربية وهي في العلويق. إلى السودان .

الماء العذب الوفير ، سواء تمثل فى الجريان فى المجرى نفسه ، أو تمثل فى مياه الآبار ، التى سوف ترتفع مناسيب الماء فيها ، على جانبى حوض التخزين .

ومهما يكنى من أمر ، فاننا ندعو إلى دراسة شاملة وبحث أصيل عميق ، لكل الاحتالات ، الله من شأنها أن تلتى على المشروع المقترح مزيدا من الأضواء ، وتقطع الشك باليقين . ويكون ذلك – على كل حال – سبيل من السبل التى تستهدف استكمال حلقة من حلقات البحث ، في مجال ضبط النهر .

# حيازة الارض فى تنجانيقا

# دراسة تطورية

# للدكتور محمد عبدالفني سعودي

مدرس الجفرافيا بمعهد الدراسات الافريقية

مرت حيازة الأرض في شرق إفريقية عامة بمرحلتين كبيرتين هما مرحلة ما قبل وصول الأجانب ، ونقصد بها فترة ؟ السيطرة الأبانية على ورخلة ما البيطانية على المسيطرة الألمانية ثم البريطانية على تنجانيقا ، ، وإن اختلفت مسميات هذه السيطرة تحت إسم مستعمرة حيثا ؟ وقت إسم حاية ووصاية أحيانا . ولما لحة نظام الحيازة سنقسم الدراسة إلى قسمين : حيازة الوطنيين ، وحيازة الأجانب .

## أولا: الحيازة الوطنية:

(4)

كانت تتشابه ظروف الحيازة في منطقة شرق إفريقية بوجه عام قبل وصول الأجانب ، فيحتل الوطنيون الأرض أو يتركونها حسب احتياجاتهم ، الأرض للديهم مثل الماء والهواء والضوء ، هدية الطبيعة لم حتى يعيشوا (١٠). ويربطهم بالأرض وباط متين لأنها أرض أسلافهم اللين لا زالت أرواحهم تلعب دورا كبيرا في حياتهم الحالية (٢٠)، ولأنها مصدر رزقهم وحياتهم سواء مارسوا زراعة أو زعيا . و يختلف حيازة الأرض عما هو معهود لدينا أو مألوف ، فهي هنا خيازة جامية ، الأرض بمقتضاها ملك للقبيلة أو للجاعة تبعا لعاداتها وتقاليدها القديمة ، ونظرا لاتساع مساحة البلاد وتعدد القبائل فلا بد وأن تتنوع العادات والتقاليد

Matheson, T. K., Bovill, E. W. : East African Agriculture 1950, P. 11. (1)

الخاصة بنظام الحيازة ، كما أن هذه القواعد أو تلك ليست ثابتة بحال ، فكل تعميم في النهاية لا بد وتظهر له استثناءات محلية، فيين الجماعات الزراعية في تنجائيةا مثلا نجد أن الشائع هو الحيازة الجاعية بواسطة القبيلة أو العشيرة ، ولا زال الفرد في معظم الأحيان لا يملك الأرض لنفسه ، ولكن له حق استغلالها ، فهو مالك لفا الأرض أو للمزرعة وليس مالكا للأرض ذاتها .

The owner of the farm, but not the owner of the soil.

ووراثة حتى الاستغلال هذا ممكن سواء كان عن طويق الأم أو عن طريق الأب . ونظرا لاتساع مساحة الأراضي وكفايتها لحاجة السكان قبل وصول الأجانب كانت توزع على أفراد الجاءة لاستغلالها ، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة ، خاصة إذا كانت أرملة أو مطلقة لأن الزوجة عادة ما تزرع في حقل زوجها (٩٠ وتخلف مساحة المزرعة تبعا لاختلاف ظروف التربة وتبعا لعدد أفراد الأسرة ، فالأسرة الكبيرة معناها وفرة في الأبدى العاملة ، ومن هنا كان تعدد الزوجات من الأمور المرغوبة ، وقد وجد أن مساحة المزرعة الوطنية في مديريتي البحيرة والغربية غو سبعة أفدنة والغلات موزعة فيها كالآتي (١) :

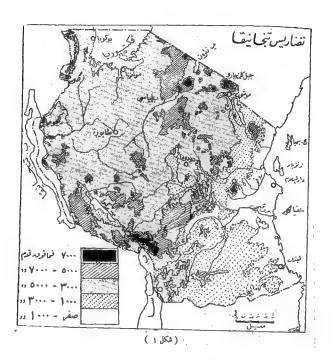
۱۸٫۶ فدان	حبوب وفول سودانى ومواد بقولية
١,٨٩ قدان	كسافا وبطاطا
۹۳٫۰ فدان	قطن
ه٣٠، فدان	غلات أخرى
٧,٣٠	المجبوع

ويقوم بتوزيع الأرض عادة زعيم الأرض أو رئيسها chef de terre. الذي يعرف حدود أرض القبيلة، ويعرف المستغل منها وغير المستغل ، ولا تظهر له سلطة أو نفوذ كبيركلما كانت مساحة الأرض متسعة والسكان قليلمون ، لأنه في هذه الحالة لن يظهر نزاع على الأرض أنو احتكاك بين العشائر أو الأسر في داخلها .

Malcolm, D. W. : Sukumaland : An african People and their country, (1)

A study of Land use in Tanganyika, 1953, P. 52.

Savile A. H. African agriculture in Tanganylka, in East African(Y) Agriculture P. 238.



هذا وتتم الزراعة المتنقلة التي تمارسها الأسر في داخل حدود أرض القبيلة أو العشيرة هذا النظام من الزراعة الذي يعتبر المعلاج الوحيد لتدهور التربة وبالتالى فشل المحاصيل ، غير أن الانتقال من أرض إلى أخوى قد يرجع إلى عوامل أخرى غير تدهور التربة مثل المرض أو سوء الحظ المتواصل ، عدم وجود الماء أو المرعى الكافي لماشيته المتزايدة ، أو عراكه مع زعم الأرض أو رئيس القرية ، أو المعين الشريرة والحسد من جيرانه (١) عندئذ يقوم رب الأسرة بالتحرك إلى أرض جديدة وقطهيرها من أدغالها وحشائشها واستغلالها ويسقط حقه في أرضه القديمة .

وفي المناطق التي يغلب عليها الرعى كأراضى الماسلى مثلا ، نجد أيضا أن حتى الاستغلال أو الملكية جماعية بالمضرورة ، فني كثير من هذه المناطق ظهر أن الملكية الفردية للأرض غير عملية ، فندرة الماء تجعل الحيازات الفردية إما مستحيلة أو غير اقتصادية ، كما أن مساحات كبيرة من المراعى لاتستغل إلا بخزء من المعام مما يتطلب معه هجرة موسمية بحثا عن كلاً ومورد ماء .

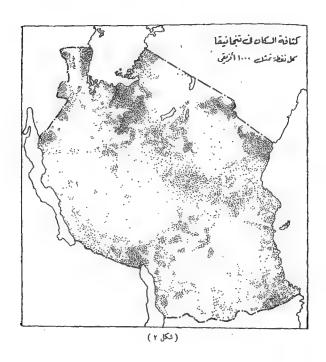
وتظهر الحيازة الجماعية أيضا عند الجماعات الزراعية التي تجمع إلى جانب الزراعة شيئا من تربية الحيوان حيث تترك حيوانات العشيرة لترحى في جميع الأراضي التي تركت للراحة والتي تمت فوقها الحشائش الطبيعية مرة أخرى .

إذا إعلى أن هذا لا يمنع بمال من ظهور الملكية الفردية أحيانا حتى في الجماعات التي تمارس فيها القبائل الاقتصاد الفمى Subsistence Economy ، على سبيل المثال تظهر الملكية الفردية عند أقبيلة الواشاجا في بساتين الموز (Vihamba) بينا نجد أن الأرض التي تزرع غلات سنوية عند نفس القبيلة ملكيها أو حيازتها جاعبة وعرضة لتغير المستغلين بين الحين والحين ، وعند بعض القبائل الأخرى مثل Wabena نجد أن مجرد تطهير الفرد لقطعة الأرض من نباتها الطبيعي يعطيه حتى ملكيتها ، وإن كانت هناك قيود في نفس الوقت تتمثل في أنه لا يمكن يعطيه عنه لفرد خارج حدود عشيرته (٧).

Op Cit.; P. 49. (\)

International Bank for Reconstruction and Development: The Economic (\(\cappa\))

Development of Tanganyika P. 93.



على العموم كان لدخول الاقتصاد النقدى المتمثل في زراعة البن كا هو الحال عند قبائل الهيا Haya غرب بحيرة فكتوريا والواشاجا في منطقة كلمنجارو والقطن عند قبائل الهيا Taya غرب بحيرة وكتوريا والواشاجا في منطقة كلمنجارو والقطن عند قبائل زيترا Enza والسوكوما جنوب بحيرة فكتوريا — كان له أثره في ظهور الحيازات الفردية بصورة واضحة في هذه المناطق ، كذلك تساعد الفلات الشجرية اللمائمة ، وفي بعض الحالات بناء المساكن الدائمة الثابتة ، فهذه المعوامل مجتمعة أو منفردة تعدل من نظم الحيازة التقليدية . بل يصل الأمر إلى حد أن بعض الأراضي لا يمكن نقل استغلالها بتاتا من فرد إلى آخر كما هو الحال عند قبيلة نياكوسا Ryakusa شيلة نياكوسا المرتفعات البركانية (۱).

ومن الأمور الشائعة في النظم التقليدية أن يرهن الفرد حق استغلال الأرض لغيره نظير قرض معين ، وإن كان في إمكانه استعادة حقوقه في الاستغلال بمجرد دفع دينه مهما طالت مادة الرهن ، بينها في الوقت الحاضر إذا احتل المقرض الأرض لمدة طويلة أو قام فيها باصلاحات ظاهرة وزرعها غلات دائمة ، اقتربت حيازته للأرض من الملكية الفردية وإلا فعلي صاحب الاستغلال الأصلي أن يدفع تكاليف الاصلاحات والمسكن قبل أن يسترد أرضه (٢٠).

## ثانيا: الحيازة الأجنبية:

تختلف تنجانيقا عن كينيا وأوغنده في أن الاستجار الألائي مر عليها قبل الانتداب والوصاية البريطانية ، ومن هنا كان هناك بعض الاختلاف في نظام الحيازة عنهما نقيجة لاختلاف السياسات الاستجارية الدولة المستحمرة في كل حالة ، فالملكية في تنجانيقا حددها قانون الأرضى الصادر سنة ١٩٧٣ ، حيث نجد في الفقرة رقم(٦٦) كل الأراضي تحت رعاية الحاكم العام لاستخدامها

Daniel Biebuyck : Land Holding and Social Organization, in Economic (\)
Transition in Africa, Edited by Herskovits, Harwitz 1964, P. 108.

Op. Cit. P. 94. (Y)

لصالح الوطنيين بالطرق المباشرة وغير المباشرة ولا يمس القانون أى حقوق أعطيت من قبل (1<sup>1</sup>).

# و يمكن أن نخرج من هذه العبارة بما يأتى :

 ا ــ أنه لا توجد أراضى عددة الوطنين ومن هناكان على الحاكم الدام أن يضع فى الاعتبار الحاجات والمطالب الحاضرة والمستقبلة لهذه الجماعات الوطنية .
 ٢ ــ أى حقوق صدرت قبل هذا التاريخ لا تمس (والمقصود بها الحقوق التى منحت فى فترة الاحتلال الألماني) .

٣ - أن منح الأراضى لغير الوطنيين غير ممنوع ما دام هذا في صالح الوطنيين ويفسرون هذا بأن وجود الأوربيين في هذه المناطق له حسناته حيث يساعد على استغلال موارد البلاد ، وجذب رؤوس الأموال والارتقاء بأساليب الزراعة وعاكاة الوطنيين لهم . فتزداد بهذا ثروة البلاد .

ويقضى القانون أيضا بأن حيازة الأرض بايجار إسمى يتراوح بين ٢ سنت و ٢ شلن الفدان سنويا ، وألا تزيد المدة عن ٩٩ سنة ، وإن كانت معظم المدد المصرح بها بصفة عامة هى ٣٣ سنة ، ولا تزيد المساحة الممنوحة عن ٥٠٠٠ فلمان إلا بعد موافقة الحاكم العام ، ولا يحق لأجنبي أن يتنازل أو يرهن أو يهب حيازته لأى فرد آخر ، كذلك ليس له الحق في التأجير من الباطن بدون ، وافقة الحاكم العام .

ويطلب من صاحب الأرض إصلاحات تختلف قيمتها باختلاف مساحة الملكية ، فالك ٣٠٠ فنان فأقل يطلب منه إصلاحات دائمة لا تقل قيمتها عن ٢٠ شلن للفنان ويظهر أثرها خلال السنوات الثلاث الأولى من العقد ، وإصلاحات إضافية أخرى لا تقل عن ١٠ شلن للفنان يظهر أثرها خلال الخمس سنوات الأولى ، ولملكى أكثر من ٣٠٠ فنان يضاف ٢ شبل على كل فنان يزيد على المثاثة (٢) ، وتراجع عقود الايجارات على قترات في المعتاد كل ٣٣ سنة .

Charlotte Leubuscher : Tanganyika Territory : A study of Economic (1) Policy under Mandate, 1944, P. 31.

Matheson, Bovill, P. 17. (Y)

هذه السياسة البريطانية تختلف عن السياسة الألمانية فيما يختص بالأرض لأن السياسة الألمانية تتبع في متح الأرض الملكية الثامة Prechold وذلك لأن هذا النظام معمول به في ألمانيا ذاتها ، وكذلك في مستعمراتها . ومعنى تغيير هذا النظام هو فقان ثقة الألمان المستقرين في المستعمرات وفقان رؤوس الأموال .

فاذا كان نظام حيازة الأرض بالايجار Leasehold معروف لدى البريطانيين في مستعمراتهم ، وكذلك نظام مراجعة الإيجارات حتى يشترك الأهالى بنصيب في ارتفاع قيمة الأرض الناتيع عن زيادة الخدمات العامة والاصلاحات شائع. للدى البريطانيين ، فإن السياسة الأيانية تتبعطريقا آخر وهو زيادة الضريبة على الأرض كلما زادت قيمتها . وتقدر هذه القيمة على فترات .

## ذكرنا هذا لنفسر النقط الآتية :

الحكم الألماني منحت إبان فترة الحكم الألماني منحت إبان فترة الحكم الألماني وتوقف المنح بهذه الطريقة إفي إعهد الانتداب والوصاية البريطانية وحلت إلى علها الحيازة بالايجار.

٢ -- أن السياسة الاستعهارية تختلف باختلاف تقاليد ونظم الدولة المستعمرة
 وأن الاستعهار البريطاني لم يمس الحقوق التي أعطيت في فترة العهد الالماني .

## التطورات والتمديلات في طرق عرض الأرض:

١ -- كانت الأرض قبل الانتداب البريطاني تختار بواسطة المشترين أنفسهم ولكن وجداً في عام ١٩٢٨ أن هذا العمل غير اقتصادى ، لذلك أصبحت الادارة هي التي تحدد وتعلن عن الأرض في مزاد على بين الحين والحين . وتتيجة لاز دحام بعض المناطق بالأوربيين وتركزهم أغلقت بعض المناطق في المديرية الشهالية . وتنجأ والوسطى أمام الأجانب ١٠٠ .

٢ -- حدث تغيير بعد ذلك عام ١٩٥٣ فبدلا من تحديد الأرض وعمل مزاد
 على نجد أن الأرض يعلن عن تقديم عطاءات لها بايجار محدد وبقسط حده الأدنى

Tanganyika Report for the year 1953, P. 136. (1)

لا يقل بأى حال من الأحوال عن إيجار ٦ سنين وتفحص كل العطاءات بواسطة بلنة وتمنح الأرض لمن هو أكثر استحقاقا ، وليس من الضرورى الذى يدفع إيجارا عاليا . ولكن القانون لم ينسى سلطة الحاكم العام فقد هنجه سلطة منح الأرضى بدون عمل عطاءات في أى وقت ما دام قد اقتنع بأن هذا مفيد الصالح العام .

وعند انتهاء مدة الاستغلال بمكن أن تتجدد الملكية بدون عطامات ، ولكن على الحاكم العام أن يضع في الاعتبار قيمة الأراضي المجاورة والتي أن نفس النوع ويحدد الايجار عادة بأعلى إيجار في المنطقة (1).

 ٣ ــ تأنفت هيئة لاستغلال الأرض Iand utilization Board عام ١٩٥٠ و ووظيفتها الاشراف على جميع شئون الأرض وتقديم التوصيات اللازمة للحاكم العام ، وقد قسمت الهيئة تنجانيقا إلى الأقسام الآتية :

(١) المناطق المرتفعة ذات التربة الخصيبة والمناخ المعتدل والمطر الوفير والتي توجد بصفة أخاصة حول الجال في المديرية الشهالية وفي أ والحقة أ Lizaboro في مديرية المرتفعات الجنوبية ، ومعظم هذه الأراضي «شفولة إلى حد الكفاية بالا جانب بحيث لا توجد مساحات كبيرة لم تستغل بعد وخاصة في المديرية الشهالية ، ألما في مديرية المرتفعات الجنوبية فتوجد مساحات كبيرة لم تستغل بعد تتيجة لعدم تقدم المواصلات وبعد المكتب «شروعا لاستغلالها».

التلال المنتشرة في أنحاء تنجانيةا والتي يصعب الوصول إليها وبعضها
 يستغله الافريقيون وتجرى أبحاث لمعرفة مدى إمكانيات استغلالها في الزراعة .

٣ ــ مناطق السفاناشبه الجافة والتي تغطى مساحات واسعة من تنجانيةا
 وهذه أيضا تتولى الهيئة دراسة الاقتراحات الخاصة باستغلالها

للناطق المنخفضة الصالحة للاستغلال تحت نظام المزارع الواسعة كما
 في مزارع السيسل التي تشغل الشقة الساحلية وظهيرها

Thid. P. 135. (\)

جِدول رقم ( 1 ) تطور الساحات واللكية الخاصة بالأجانب

المساحة الممنوحة لهم	عدد الملكيات	السنة
437,447,13(1)		1914
{Y, · 14, · 4V	1771	1951
7,111,987	174.	1974
(1)4,4,4,4%	1195	1904
371,300,7(7)	1709	1909

يتضع من الجدول السابق ما يأتى فيما يختص بالمساحة :

إن المساحة الممنوحة في أي عام من هذه الأعوام هي حوالي ١ / من مجموع مساحة البلاد إذا عرف أن مساحة تنجانيقا تبلغ ١٨٠٠ و ٣٣١ ر ٢١٩ فدانا.

٢ – أن المساحة التي آلت الزراع غير الوطنيين قد زادت عام١٩٣٨ بما
 يقرب من نصف مساحة ١٩١٣ .

٣ - إلا أن هناك في الواقع فترة غير ظاهرة في الجدول بين سنتي ٣٠ . ٣٥ وهي فترة التأثر بالكساد العالمي ، فنجد أنه تبع هذا الكساد قلة الطلب على الأرض ولي فترة التأثر بالكساد العالمي ، فنجد أنه تبع هذا الكساد قلم ١٩٣٥ ثم ما لبثت أن عاد للصعود مرة أخرى عام ١٩٣٧ حيث تملكوا في هذه السنة وحدها نحو ١٩٧٥,٥٩٣ فنان ، ولكن هذه المساحة منها نحو ١١٠,٠٠٠ فنان كتلة واحدة منحت للورد Chesham لاستغلالها في مديرية المرتفعات الجنوبية (٤).

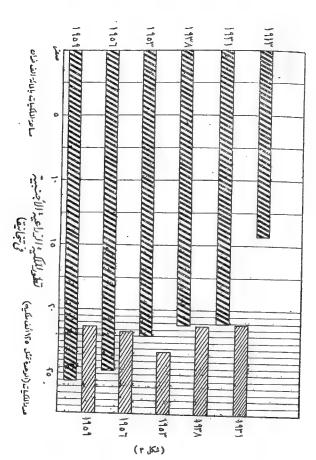
٤ -- أن المساحة زادت عام ١٩٥٣ بنحو ٩١,٠٠٠ فدان عنها في عام ١٩٣٨
 وارتفعت هذه الزيادة إلى نحو ٢٥٠,٠٠٠ فدان في عام ١٩٥٩

Charlotte Leubusher, Tanganyika Territory, P. 32. (\)

Tanganyika Report for the year 1959 Part II P. 48. (Y)

Tanganyika Report for the year 1953, P. 148. (Y)

Charlatte Leubusher P. 32. (1)



ويتضح من الجدول انسابق أيضا فيما يختص بعدد الملكيات ما يأتى :

١ -- تتخذ الملكيات اتجاها مخالفا المساحة فينها اتجهت المساحة إلى الزيادة اتجه عدد الملكيات إلى التقصان فكانت سنة ١٩٩٨ ، ١٩٩٠ ملكية فأصبحت عام ١٩٩٠ ما ١٩٩٨ ملكية وإن زادت عام ١٩٩٩ إلا أنها مع ذلك لم تصل إلى عددها عام ١٩٣٨ أى قبل الحرب العالمية الثانية .

٢ ـــ زاد عدد الملكيات في فترة الكساد العالمي أيضا إذ وصلت عام ١٩٣٥ الله المالية عام ١٩٣٠ (١) .

وإذا عرفنا أن المساحة نقصت في هذه الفترة فعني هذا أن الملكيات قد انقسمت وهذا يبدو طبيعي لأن الكساد العالمي كان له أثره في تقسيم الملكيات إلى وحدات صغيرة ، بمعنى أن كثيرا من أصحاب الملكيات الكبيرة تنازلوا عن أجزاء من ملكياتهم .

وهناك ملاحظات أخرى على الجلنول رقم (٢) الذى ببين توزيع الملكيات على القوميات وهي :

۱ - أن حوالى ٩٠ / من مجموع الملكيات الزراعية فى أيدى أربع قوميات وهي البريطانية والأمانية والهندية واليونانية وذلك فى عامى١٩٣٨ ، ١٩٣٨ وانخفضت النسبة إلى ١٨٣٧ : عام ١٩٥٩ ، ولا يرجع هذا التناقص فى نسبة ملكيات القوميات الأربع إلى انخفاض عدد الملكيات وإنما يرجع إلى نمو الملكيات الأخرى والتى لم تكون إلا عددا ضليلا من قبل فقد وصلت ملكيات البعوات التبيرية عام ١٩٥٩ إلى ٢٦٦ ملكية بمساحة قدوها ١٦٨٥ فدائار.

۲ -- أن نسب القوميات الأربعة ما عدا الألمانية مالت إلى الانتخاص بين عامى ١٩٣٥ م ١٩٣٨ فكانت نسبة ما مملكه كل قومية من القوميات الأربعة الكبرى وهي البريطانية والألمانية والهندية واليونانية على الترتيب عام ١٩٣٠ هي ٢٠٠٧ م ٢١٨٠ ، ٢١٨٨ م ٢١٠ ، ٢٦٠٨ عام ١٩٣٨ ثم المحكست الآية منذ ١٩٥٣ فالت كلها نحو الزيادة ما عدا الملكية الألمانية ، وكانت

Ibid. P. 33. (1)

جدول رقم ( ٢ )توزيع الكيات على القوميات المختلفة

1 (1)	1404	61 (2)	1404	(3)	1444	. (3)	1941	,
متوسط مساحة الملكية بالفدان	عددالملكيات	متوسط مساحة اللكية بالفدان	عددالملكيات	متوسط مساحة اللكية بالفدان	عددالملكيات	متوسط مساحة الملكية بالفنان	عددالملكيات	الجنسية
1461	٤٧٣	Y0.4	ላሉን	1441	.33	3031	٠ ٢ ٥	برنطاق
717		٦٧٠	( \ 3	>1.	300	1.74	440	اللاق
>>>	440	247	٧٣٧	366	۸۷۲	314	407	هندى وياكستاني
14/0	444	10	747	674	444	477	727	يوتاني
1407	٠,٠	140.	\$	1111	0)	\.\.\	33	جنوب إقريقية
1799	**	4131	*	7997	10	1444	•	سويسرى
3:7	EY4	1904	. 37	3441	174	31.4	144	بعرج
106.	1704	1431	1195	114.	179.	15114	1,771	

Charlotte Leubuscher : Tanganyika Tarritory : A study of Economic Folicy under mandate, P. 208. €.

Tanganyika Report 1953 P. 147. (Y)

Tanganyika Report 1959 Part II P. 48.

59 Fart II P. 48. (Y)

النسب بنفس الترتيب ﴿ ٣٦،٤ ، ٣٢،٢ ، ١٩،٤ واستمرت الزيادة في [: الملكيات الأخرى دون الألمانية في إحصاء ١٩٥٩ . هذا أمر طبيعي لأن ملكية الألمان قد صودرت وقت الحرب ، والعامل الثاني النقص الذي عانته ألمانيا في الرجال بعد الحرب .

٣ – أن هذه القوميات الأربعة لا تتصدر القائمة من حيث عدد الملكيات فحسب بل تتصدرها أيضا من حيث المساحة المملوكة فقد بلغت نسبة ما يملكون إلى مجموع المساحات الممنوحة للأجانب في نفس السنين ٩٠٪، ١٨٥٪ ٩٠٪ ١٨٨٠٪.

وإذا قارنا هذه الملكيات بعضها ببعض نخرج بالنتائج الآثية :

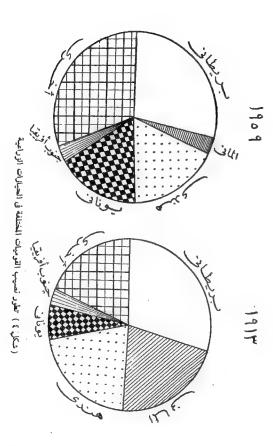
## 1 - اللكية البريطانية:

تتصدر الملكيات من حيث المساحة فوصلت إلى ما يزيد عن لم مجموع المساحات المملوكة للأجانب في عامي ١٩٥٣ ، ١٩٥٩ ، ونفس الكلام يقال عن نصيبهم من حيث عدد الملكيات عدا عام ١٩٥٨ إذ احتلت القومية الألمانية المكان الأول ، هذا كما نلاحظ كبر متوسط مساحة الملكية البريطانية عن أى ملكية أخرى فقد بلغت ما يقرب من الثلاثة آلاف فدان عام ١٩٥٩

#### ٢ القومية الإلمانية:

احتلت القومية الألمانية من حيث المساحة المرتبة الثانية بعد البريطانية في عامى ١٩٣١ ، ١٩٣٨ وكانت ٢٠٠١ إن، ١٩٣١ / ٢٠٥٠ إلى الزيادة فكانت ٢٠٠١ إن، ٢٣٥٥ / ٢٠٥٠ / ٢٠٥٠ المنوحة المشوحة للأجانب في التاريخين السابقين ثم أصبحت. الأخيرة بين هذه القوميات الأربع في عامي ١٩٥٣ ، ١٩٥٩

وإذا نظرنا إلى متوسط المساحة عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٩ نجد أن الملكية الألمانية لها أصغر متوسط ، وإذا لاحظنا نقصها أيضا منذ عام ١٩٣٠ أنتركنا أن هذا يشير إلى ظهور طبقة من الفقراء البيض .



77**0** (10)

#### ٣ \_ القومية الهندية الباكستانية :

أما نصيب هؤلاء فيظهر فيه النقص سواء في علد الملكيات أو المساحة من عاد المهم المواد على المهم المهم المهم على المهم المه

## ٤ - القومية اليونانية:

وهذه احتلت المكان الرابع عامى ١٩٣١ ، ١٩٣٨ من حيث عدد الملكيات ولكنها بعد ذلك احتلت المكان الثالث نتيجة لتدهور الملكية الألمانية وفي نفس الوقت زاد متوسط الملكية عند الميزن عنه عند الهنود والباكستانيين فوصل إلى ما يقرب من الضمف عام ١٩٥٣ وإلى ما يقرب من الثلث عام ١٩٥٩ . وكان أول ظهور الميزانيين هنا قبل الحرب العالمية الأولى للعمل في السكك الحديدية في المستعمرة الأثانية .

#### ه ـ القومية السويسرية:

وهذه زاد نصيبها على طول الخلط من حيث عدد الملكيات أو المساحة وإن كان عام ١٩٣٨ يمثل قمة المساحة بالنسبة لهذه القومية .

## ٦ - جنوب افريقية:

وهؤلاء معظمهم من البوير همجروا جنوب أفريقيةهربا من الاضطهاد البريطاني وكانوا يمتلكون نفس المساحة تقريبا التي كان يمتلكها السويسريون عام ١٩٣٨ ولكنها هنا مقسمة على ٥١ ملكية ومن هنا كان متوسط الملكية ١١١٦ فدان بينا كان هذا المتوسط عام ١٩٣١ فدان ، ويلاحظ أن نصيبهم زاد سواء في مدد الملكيات أو في المساحة أو في المتوسط .

<sup>.</sup> Fitzgeraald, W. Africa 1961 P. 236. (1)

جدول ( ٣ ) ملكيات الأجانب موزعة على الديريات الختلفة في عامي 1978 ، 1999 بالالف فدان

(7)147.	(D)14W	المديرية
۳۰	٤١	البحيرة
18.	٨	الوسطى
7.	44	الغربية
10.	114	المنوفية
011	٤٠٤	الشرقية ·
٤١٠	ξοV	الشالية
78.	135	تنجا
٧١٠	£ Y V	المرتفعات الجنوبية

# يلاحظ على الجنول السابق :

١ — أن المشروعات الزراعية غير الوطنية تتركز في أربع مديريات من الثمانية وهي الشرقية والشهالية والمرتفعات الجنوبية وتنجا فضلا عن بدء ظهور المديرية الوسطى عام ١٩٦٠ كمنطقة لقيام المشروعات الزراعية الأجنبية ، ويتفق هذا التوزيع مع توزيع العناصر الأوربية والمندية والباكستانية فالمديرية الشرقية والشهالية وحدهما بهما ما يقرب من نصف الأوربيين ونصف الهنود والباكستانيين في إحصاء ١٩٥٧ (٣).

ويمكن تفسير هذا بأن المديرية الشرقية تتمتع بسهولة في المواصلات إلى جانب زراعة أهم غلة تجارية في أيدى الأوربيين والهنود وهي السيسل فضلا عن أن يها مراكز الأدارة ، وهناك نسبة من الأوربيين يعملون كوظفين ، كما يقوم ٨٠٠/ من الهنود والباكستانيين بالتجارة كوسطاء بين المنتجين والمصدرين ، ويشرفون على بعض مؤسسات التصلير والاستيراد ، ولذلك لا بد من قربهم

Economic Development of Tanganyika P. 462. (1)

Charlotte Leubusher : P. 202 (Y)

International Bank for Reconstruction and Development P. 82. (7)



ملاحظة : هذا التوزيع عام ١٩٦٠ ، والوحدة تساوى . ه الف فدان

من مراكز الادارة أما المديرية الشهالية فهى مديرية مرتفعات كلمنجارو وميرو .وهذا أمر هام بالنسبة للاستيطان الأوربي ، فضلا عن سهولة اتصالهٔ بالمنطقة الساحلية ، وبسكك حديدكيتيا .

ويشبه وضع مديرية تنجا المديرية الشرقية في معظم الوجوه بينها تجدأن مديرية المرتفعات الجنوبية رغم ارتفاعها وغزارة أمطارها لا تصل إلى مستوى المديرية الشهالية ويرجع هذا إلى موقعها اللناخلي وعدم تقدم المواصلات مما يحول دون قيام المشروعات الزراعية الناجحة اقتصاديا .

٢ ــ ظهر أن متوسط مساحة الملكية أقل من المتوسط في مديريتي الشرقية والشهالية عن مناطق الاستقرار الأوربي الأخرى ، ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى أن معظم الأرض التي في أبدى الأوربيين تزرع قطنا وبنا ، وهذه الأنواع .من الأنسب أن تدار على وحدات أصغر .

٣ ــ أكبر متوسط لمساحة الملكية الزراعية ظهر في مديرية تنجا ومعظم ملكية الأوربيين هناك متخصصة في زراعة السيسل ولا تتميز بهذا فحسب ، بل بها أكبر مساحة في أيدى الأوربيين سواء عام ١٩٣٨ أو عام ١٩٦٠ ، ويزيد على هذا أن فيها أكبر مساحات من الملكية التامة وهذا ناتج عن أن معظم مزارعها ترجع حقوق ملكيتها إلى العهد الألماني .

#### خاتمـة:

إذا كانت المساحة التي يحتلها الأجانب قد وصلت إلى ٢٥٥ مليون فلان فان هذه المساحة يجب أن نعرف أيضا أنها في أكثر الأراضي جودة وأحيانا في أكثرها اعتمالا في المناخ في المطر ، وعادة ما تنسب هذه المساحة إلى مساحة 1.1 / تنجانيقا الكلية حتى تبلو ضئيلة عديمة الأهمية لأنها في هذه الحالة تبلغ من مساحة البلاد ، وبذلك حاول المستعمر أن يظهر ضآلة نصيب المستوطنين وأنه لا توجد مشكاة أرض على الاطلاق.

ولكن الحقيقة غير ذلك فهناك من الظروف الطبيعية ما يعوق استغلال مساحات ضخمة من تنجانيقا كعامل المطر وعامل التربة وذبابة التسى تسى وسنعالج هنا يعض هذه العوامل لنبين كيف أن المستوطنين كان لهم الغنم وترك للأفريقيين الغرم ، فاذا بدأنا بعامل المطر سنجد أن هناك مساحات واسعة يقل فيها المطر عن ٣٠ بوصة خاصة في الأجزاء الوسطى وهذه بالتالى يصحب قيام الزراعة فيها دون رى صناعى ، بل ومن ناحية موسم المطر نجد أنه موسم قصير فى معظم البلاد يتبعه فصل جفاف طويل وقاس مما يستلزم زراعة غلات مقاومة للجفاف ، بل إن الأمطار إذا ما سقطت هطلت بشدة عاصفة مما بجعل انسياب الماء السطحى كبيرا وسريعا فلا تستفيد منه التربة كثيرا .

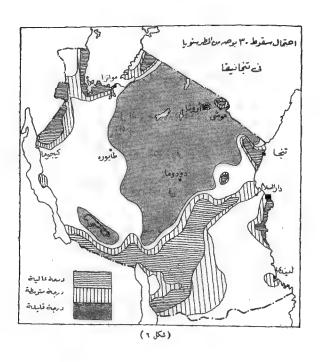
ويضاف إلى هذا أيضا الذبذبات المطرية الحادة التي تعانيها البلاد ومن هذه الناحية قسم تقرير اللجنة الملكية البريطانية تنجانيقا إلى أكثر من قسم (١٠) .

١ - مناطق يحتمل سقوط الثلاثين بوصة فيها بدرجة عالية ، يمعنى أن درجات الفشل تتراوح بين صفر ، ه كل ماثة سنة وهذه هى المناطق الصالحة للانتاج الزراعى وهذه تشمل مساحات محددة فى منطقة كلمنجارو وميرو فى الشهال الشرق إلى جانب شقة ساحلية تمتد إلى مرتفعات أوزمبارا ، وتضيق هذه المنطقة الساحلية لتتسع مرة أخرى جنوب دار السلام وتشمل دلتا نهر روفيجى ، فضلا عن منطقة كبيرة فى مديرية المرتفعات الجنوبية شهال بحيرة نياسا ، ومساحات ضيئيلة غرب وجنوب غرب بحيرة فكتوريا .

٧ - مناطق يحتمل سقوط الثلاثين بوصة فيها بدرجة متوسطة بمعنى أن درجات الفشل فيها تتراوح بين ٢٥ - ٣٠ كل ماثة سنة وهذه لا تمنع قيام الزراعة وإتما تصبح الزراعة فيها حدية وغير مضمون نجاحها وهي أقرب إلى الرعى منها إلى الزراعة . وتشمل هذه معظم غرب تنجانيةا إلى جانب مساحات كبيرة في جنوبها .

٣ ــ مناطق احتمال سقوط الثلاثين بوصة فيها قليل وهي التي نتوقع الفشل فيها بين ٣٠ ، ١٠٠ وهذه لا تصلح على الاطلاق للانتاج الزراعي وهذه وحدها تشمل نحو لم مساحة تنجانيقا ومعظمها في وسط وهمال تنجانيقا امتدادا للظروف المناخية في الجزء المقابل من كينيا . (راجع ش ٢)

East Africa Royal Commission 1953-1955 Report, H. M. O. Reprinted (1) 1961, pp. 253, 254.



ويزيد من صعوبة استخدام الرى الصناعى طبيعة النصريف المائي الناتج عن طبيعة المطر الموسمى القليل بحيث تتحول الأنهار في فصل الجفاف إلى مناقع وغدران .

ولأن كان قد ظهر في بعض الأحوال أنه يكون الحصول على الماء بطريقة أشرى إلا أن هذا قد يتم بتكاليف باهظة ، والحصول على الماء هنا ليس لفتح مناطق جديدة فحسب ، بل لتحسين أحوالى المعيشة في كثير من المناطق الحالية حيث يستغرق الحصول على الماء للقرية أحيانا مسيرة يومين أحدهما للذهاب والآخر للاياب .

وقد قام الباحثون بعمل تقديرات لموارد الماء وتوفره فيأرجاء تنجانيقا عام 1978 وظهر منه ما يلي (١) :

١ - أن ١٠ / من مساحة البلاد تتوفر فيها موارد المياه ويتركز بها نحو
 ٣٣ / من السكان .

٢ -- أن ٨ / من مساحة البلاد تتوفر فيها موار د المياه نوعا وتعول نحو ١٨ / ٠
 من السكان .

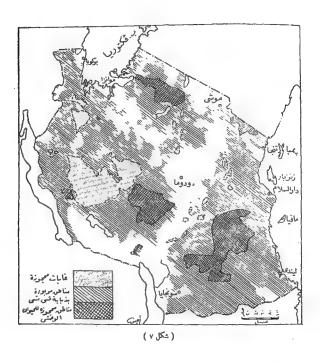
٣ -- أن ٢٠٪ من البلاد تعد فقيرة في موارد مباهها وتعول نحو ١٨٪ من السكان .

٤ - أن ٢٦ / من مساحة البلاد يمكن أن تعد دون ماء تقريبا ولذلك فهى غير مسكونة تقريبا ، وإذا كانت هناك بلحين على مسكونة تقريبا ، وإذا كانت هناك بلحين إلا أن هذه الصورة لا زالت تنطبق إلى اليوم على تنجائيةا إلى حد كبير .

وأما ذبابة التسى تسى فتغطى نحو ٢٠٧,٠٠٠ ميلا مربع أو نحو ٦٠٪ (٣) من مساحة تنجانيقا ، والخطرفيها هنا أنها متوطنة تنتشر في غرب البلاد في مساحة ٩٤٠٠٠ ميلا مربعا ، وبما يزيد عن ٨٦,٠٠٠ ميلا مربعا في الجنوب ، وتتفتى

Ibid. P. 259. (1)

International Bank for Reconstruction and Development, P. 19. (Y)



**.777**...

للأسف هاتان المنطقتان مع المناطق الجيدة من حيث احتمال المطر ، وهناك منطقة ثالثة موبوءة مساحتها ٢٠٠٠٠٠ميل مربع في شهال تنجانيقا ولكنها تتفق مع مناطق الرعى .

ومعنى هذا أن هناك حتى فى المناطق الصالحة من حيث الماء أجزاء غير صالحة لا للزراعة ولا للرعى بسبب مرض الذبابة الذى قد يقضى على الانسان وعلى الحيوان. ولمنا أضفنا إلى هذا عامل التربة الجدباء حينا وعامل سوء المواصلات أحيانا أدركنا أن المساحات الصالحة للانتاج ليست كما نتصور وأن الافريقيين لا شك يعيشون فى ضيق فى كثير من جهات تنجانيقا بسبب حجز الأجانب لأجود الأراض.

### الراجسع

#### تقــارير:

- East Africa Royal Commission 1953-1955 Report, His Majesty's Stationary Office, Reprinted 1961.
- Economic Development of Tanganyika, Intarnational Bank for Reconstruction and Development, Jhons Hopkins 1961.
  - Tanganyika Annual Reports for the years 1953, 1959.

#### كتب:

- -Fitzgerald, W.: Africa, A social, Economic and political Geography of its Major Regions, Methuenn nith Edition 1961.
- Charlotte Leubusher: Tanganyika Territory: A Study of Economic Policy under mandate, Oxford University Press, London 1944.
- -- Hailey, Lord : An African Survey, Oxford University Press 1957.
- Herskovits, M., Harwitz, M. Economic Transition in Africa, Routledge and Kegan Paul, London 1964.
- --- Matheson, T. K., Bovill, E. W., East African agriculture, Oxford University Press, London 1950.
- -- Malcolm, D. W.: Skumaland, An African People and their Country, A study of Land Use in Tanganyika, Oxford University Press, 1953.

# بعض الجوانب الجغرافية لحضارات أمريكا الوسطى

الله كتور يوسف عبد الجيد فايد مدرس بقسم الجفرافيا كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

تعتبر أمريكا الوسطى من المناطق التى سكنها الانسان منذ زمن قدم وقد قامت بها حضارات راقية . كذلك كانت أمريكا الوسطى أول منطقة نزل بها الأوربيون فى فترة الكشوف الجغرافية فى العالم الجديد ، ومن هنا بدأ المستعمرون البيض ينشرون استهارهم واستغلالهم الاقتصادى للامريكتين . وقد أدى هذا التاريخ الحافل لأمريكا الوسطى إلى التأثير على حياتها السياسية والاقتصادية قديما وحديثا ، ولا شك أن المشاكل التى تثور بين آن وآخر فى المنطقة لها جذور قديمة ترجع إلى المراحل الأولى من تاريخها وترجع كذلك إلى وجود خليط بشرى بها .

ولفهم المظاهر الحضارية لأمريكا الوسطى يحسن أن نعرض عرضا سريعا لظروف موقع المنطقة ومظاهر السطح فيها على أساس أنها المسرح الذى مثلت عليه الأحماث البشرية بأدوارها المختلفة .

الموقع : يمكن اعتبار أمريكا الوسطى منطقة عبور بين قارتي أمريكا الشهالية وأمريكا الشهالية وأمريكا الشهالية وأمريكا الشهالية وجزء صغير التحرفي الجنوب يتبع القارة الجنوبية ، وتتكون منطقة أمريكا الوسطى من تركيب متناخل من اليابس والماء مع عدد كبير من الجزر المختلفة المساحة هنا وهناك . وتقع أمريكا الوسطى كلها إلى الشهال من خط الاستواء ويمر ملار السرطان إلى الشهال من جزيرة كوبا ، لذلك تقع المنطقة برمتها في العروض المدارية . وتمتد أمريكا الوسطى من الغرب إلى الشرق أكثر من امتدادها من الشهال إلى الجنوب ، إذ هي من احتدادها من الشهال إلى الجنوب ، إذ هي المدرين خطى طول ٥٥٠ غربا ، ١١٧٠

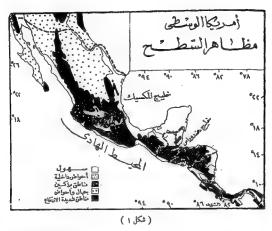
غربا . وتضيق أمريكا الوسطى إلى أقصى حد فى منطقة برزخ بنما ، وقد كان هذا الجزء يستخدم فى العبور بريا من الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى قبل شق قناة بنما بزمن طويل عند ما كانت منتجات الاجزاء الغربية من أمريكا الجنوبية وخاصة الفضة من بيرو تنقل على ظهور البغال حتى سواحل البحر الكارببي، ثم تشحن فى السفن لنقلها إلى أسبانيا .

ا ـ شبه جزيرة كاليفورنيا السفلي وهي عبارة عن جزء ضيق طويل من اليابس وتمتد بها سلسلة جبلية في الوسط تشبه العمود الفقرى . وتعتبر شبه جزيرة كاليفورنيا امتدادا لأمريكا الشهالية من ناحية البنيه . وأهم السلاسل الجبلية في أمريكا الوسطى هي سلسلة جبال سيرا هوارز Sierra Juarez ويصل ارتفاعها إلى نحو ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر . وجبال سيرا سان بدرومارتير Sierra San Pedro Martir في الموسط ، أما في الجنوب فتوجد سلسلة سيرا سان لازارو Sierra San Lazaro واتحدار هذاه الجبال أشد عنفا ناحية خايج كاليفورنيا عنه في جانب المحيط الهادى . أما خليج كاليفورنيا نفسه فهو امتداد جنوبي لوادى كوتشلا Imperial Valley وادى أميريال (Coachella Valley)

٢ – الأراضى المتخفضة في شمال غرب المكسيك وتشمل في جزئها الشمالى دلتا نهر كلورادو . وفي الداخل تحوى إقليا متنوعا في تضاريسه حيث توجد بعض الأحواض التي تحيط بها المثلال (شكل ١) .

٣— جبال سيرا مديرا الغربية Sierra Madré Occidental وهي جبال مرتفعة ، وتبدأ قرب الحدود بين المكسيك وولاية أريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية وتمتد من الشهال إلى الجنوب حوالي ١٨٠٠ كيلو متر وتعتبر من الحواجز التضاريسية الحامة إذ تقل بها الممرات . وتوجد معادن كثيرة في هذه السلسلة الجبلية مثل الفضة والنحاس والرصاص والزنك . وتقطع هذه الحبال أعداد من الأودية المحيقة (1)

Max. Sorre, Mhexique, Amerique Centrale, dans "Geographie Universelle (1) Vidal De Le Blache, Paris, 1928, pp 16 - 19.



Meseta Centreal del Norte الشائل Meseta Central del Sur والجنوبي المحمد المسميل المسميل المحمد ويزداد الارتفاع في القسم الجنوبي حيث بصل أحيانا إلى Bolson de Mapimi متر . وتكثر في الفضية الأحواض وأهمها حوض مابيرين المكسيك اللي Bolson de Mayran. وحوض مايران Bolson de Mayran وفي الجنوب يوجد حوض المكسيك اللي توجد به مدينة المكسيك ذاتها Mexico City ومن الأحواض الأخرى حوض بويبلا Bolson de Toluca. وحوض تولوكا

 م جبال سيرا مديرا الشرقية Sierra Madré Oriental وامتدادها من الشهال إلى الحنوب أقل من مجال سيرا مديرا الغربية . وتكون هذه السلسلة في الواقع الحافة الشرقية للهضية الوسطى وتكثر بها الانكسارات والآخاديد .

٣ ــ سواحل خليج المكسيك وتعتبر هنا امتدادا للسهول الساحلة في ولاين تكساس ولويزيانا وتقطعها بعض الجبال والثلال التي تصل إلى الساحل مباشرة . وتنشر في هذا القسم التكوينات الرسوبية من الحجو الحيرى والحجر الرملي . ۷ – منخفض بالساس Baisas Depression ويقع إلى الجنوب من الهضبة الوسطى وتنصرف مياه هذا الجزء بواسطة نهر بالساس وقد كان هذا المنخفض مغطى بماء البحر بين خليج المكسيك والمحيط الهادى .

 ۸ -- جبال سيرا مديرا الجنوبية Sierra Madré del Sur ويصل ارتفاعها إلى نحو ٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر وتنحدر انحدارا شديدا على الجانبين .

 ٩ ــ مرتفعات واهاكا Oaxaca Highlands إلى الشرق من حبال سيرا مديرا الجنوبية ، وهي هضبة متقطعة شديدة التضر س تقل بها الأراضى المستوية وتجرى بها الأودية في جميع الاتجاهات .

۱۰ - منخفض تهوانتبك Tehnantepec Iowland وارتفاعه لا يزيذ عن سمر فوق سطح البحر وهو يشبه منخفض بالساس في أنه كان يصل بين المجلين الأطلسي والهادى.

11 - مرتفعات شيابس Chiapas وتشمل سلسلتين جبليتين متوازيتين - تفصل بينهما منخفضات وتسمى السلسلة الجنوبية سيرادى سوكونسكو Sierra de ويجرى ويكرى Sierra de Chiapas ويجرى ثهر شيابس في الجزء المنخفض من هذا القسم .

۱۷ -- شبه جزيرة يوكاتان Yucatan والجزء الغربي من جزيرة كوبا وجزر البهاما Bahamas وهنا تسود التكوينات الجيرية والرملية وبعض جزر البهاما ذات أصل مرجاني . كذلك تسود مظاهر الكارست ( Karst ) خاصة في يوكاتان وغرب كوبا ، وقد يكون لهذا أثر في قيام وذبول الحضارات البشرية في المنطقة كما سيرد فيا بعد خاصا بالمراحل المختلفة لحضارة المايا Maya .

Nicaragua ونيكاراجوا Houndras في هندوراس Houndras ونيكاراجوا المتعادية في هندوراس Houndras ونيكاراجوا وتمتد في هذا القسم أيضا سلسلة من البراكين تصل حتى بنا (۱) أما الساحل الشرق فهو منخفض ويطلق عليه إسم Mosquito Coast

(1)

Philip L. Wagner; Nicoya, A Culuural Geography. Univ. of Calif. Publications in Geoglaphy. Volume 12 1958, No. 3 pp 195 - 205.

١٤ - جزر الأنتيل الكبرى باستثناء غرب كوبا ويتميز هذا القسم بالسلاسل الجبلية المتوازية التي تفصل بينها أحواض منخفضة يقع بعضها على ارتفاع تحت مستوى سطح البحر .

١٥ – جزر الأنتيل الصغرى وتسود القسم الغربي منها التكوينات البركانية
 بينها نسود التكوينات الجيرية في الجزر الشرقية وتلتني المجموعتان في جزيرة
 جواد يلوب Guadelope

ولا شك أن لمرقع أمريكا الوسطى ومظاهر السطح بها آثار لا تنكر على حضاراتها البشرية قديما وحديثا . فلقد ظلت المنطقة في نظر القوى الاستمارية منطقة عبور بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادى ومن ناحية أخرى منطقة انتقال بين أمريكا الشهالية والجنوبية ، وقد ساعد على هذا ضيق اليابس في هذا القسم من الأمريكتين — ووجود خليط جنسي وحضارى يسمح باستيماب أى دخيل أو عابر من الخارج .

ومن ناحية السطح وأثره نلاحظ أن معظم سكان المنطقة قديما وحتى الوقت الحاضر يتركزون في إقليم الهضبة الوسطى وإلى حدما على الساحل الشرق . ومن الهضبة الوسطى انتشروا شهالا في الأجزاء السهلية ولكنهم تجنبوا السلاسل الجلية الموعرة في الغرب والشرق . وحتى في الهضبة ذاتها نجد توزيع السكان يتباين من جزء لآخر فالكثافة تزداد في الأحواض المنخفضة وتقل في الأجزاء المرتفعة من جزء لآخر فالكثافة تزداد في الأحواض المنخفضة وتقل في الأجزاء المرتفعة المنفرسة .

والآن ننتقل إلى الكلام عن المظاهر الحضارية التي شكلت تاريخ أمريكا الوسطى ونجد لأول وهلة أن تاريخ المنطقة ينقسم إلى مرحلتين حضاريتين واضحتي الممالم وهما مرحلة الهنود الحمر التي بدأت من تاريخ سكنى الانسان للمنطقة حتى مجيء الأسبان ثم مرحلة الرجل الأبيض منذ بدء الاستجار الأوربي حتى حصول على استقلالها .

# مرحلة الهنود الحمر في أمريكا الوسطى:

قبل أن نتعرض للمظاهر الحضارية لهذه الحضارة يجمل بنا أن نطرح بعض الأسئلة ثم نجيب عليها ، تلك الأسئلة هي : من هم الهنود الحمر ؟ من أين أنوا ؟ ومتى أنوا إلى هذه الجهات ؟ .

يمثل الهنود الحمر سلالة رئيسية من السلالات البشرية المعروفة تتصل الصالا وثيقا بسلالة المغول . وعلى هذا الأساس فان الهندى الأحمر في العالم الجديد يعتبر مهاجرا ويغلب على الظن أن تاريخ الانسان في العالم الجديد لا يتجاوز ٤٠٠٠٠ سنة مهاجرا ويعتقد النحض أنه أقل من ذلك ( ٢٥٠٠٠ سنة ) بينها يعتقد النحون أنه يصل إلى ويعتقد البعض أنه أقل من ذلك ( ٢٥٠٠٠ سنة ) بينها يعتقد النحون أنه يصل إلى أن الموطن الأصلى للانسان هو حوض الأمزون .

ويتفق معظم علماء الأجناس البشرية على أن الانسان جاء إلى العالم الجديد من قارة آسيا عن طريق سيبيريا ومضيق برنج إلى شبه جزيرة ألاسكا ومنها انتشر إلى يقية أرجاء الأمريكتين

ويختلف الهنود الحمر في حضاراتهم وصفاتهم الجسمية من مجموعة لأخرى ، فلا توجد وحدة بشرية بينهم ، فبعضهم يتصف بطول إلقامة ( ٦ قدم ) ، والبعض الآخوون يتصف بقص القامة ( ٥ قدم ، ٤ بوصة ) ، كذلك يختلفون في لون البشرة فبعضهم بني اللون وبعضهم غامق اللون ، كذلك شكل الأنف يتدرج من الأنف المتوسط والكبير . ويتميز بعض الهنود الحمر بالعيون المنحرفة والبعض الآخر بالعيون النوردية .

ويغلب على الظن أنه كانت للهنود الحمر صلات في العروض الملارية بجزو بولينيزيا ويحوض البحر المتوسط . وقد كانت حضارات الهنود الحمر بدائية فلم يجلبوا معهم أية حضارات زراعية ، وانما معرفتهم للزراعة بدأت في العالم الجديد . وقد جلب الهنود الحمر معهم عند هجرتهم إلى أمريكا بعض الأسلحة كالحراب والسهام . ومن الحيوانات التي صيوها معهم الكلاب . وكانوا يصنعون القوارب الصغيرة التي استخدموها في المناطق التي كانت توجد بها أنهار . وقد ظل بعض المضود الحمر على مستوى متخفض من الناحية الحضارية ، ووصل البعض الآخر

إلى مستويات متوسطة بينها رقمي بعضهم إلى مستوى مرتفع . وتباينت لذات ولهجات الهنود الحمر حتى أن أمريكا الوسطى وحدها حوت بين جنباتها من لذات واللهجات عددا يفوق اللذات واللهجات التي توجد في أوربا وآسيا كلها مجتمعة.

# الستويات الاقتصادية للهنود الحمر:

يمكن تقسيم الهنود الحمر فى أمريكا الوسطى من ناحية المستوى الاقتصادى إلى ما يلى :

(أولا) جاءات الجمع والالتقاط والصيد : يضطر أغلب هؤلاء الهنود إلى التجول هنا وهناك بمثا عن الغذاء ذلك لاتهم ينهكون الموارد الطبيعية البيئة وما زال بعضهم يزاول هذه الحرفة حتى الوقت الحاضر . ومهارة هذه الجماءات محدودة للغاية وهم لا يعرفون عمل الآنية أو الملابس ، ويقومون ببعض الصناءات الجملدية البسيطة . وأهم الجماعات التي تزاول هذه الحرف هي :

(۱) سكان كاليفورنيا السفل Baja California حيث تسود الظروف المصحراوية . وقد أرسلت بعثات دينية إلى هذه الجماعات غير أن بعض الأمراض المتناكة قد انتقلت من الأوربيين إلى أولئك الهنود فانقرض معظمهم ولم يبق مهم إلا القليل وبسبب قرب منطقتهم من البحر نجدهم قد اعتمدوا على الغذاء البحرى مثل السلحفاة والأسياك . كذلك كانوا يقومون بجمع النباتات مثل Misquite, Mescal فوالنوع الأول عبارة عن نبات محراوى شوكى مسئدير الساق وله ثمار تحتوى على عصارة ، ويستخدمه الهنود كغذاء لما له من خاصية منبهة . أما النوع الثانى فهو عبارة عن نبات شوكى أيضا له جذور طويلة وله بذور تجفف وتطحن لاستخدامها

(ب) المجموعة الثانية تشمل قبائل سرى . Seri Indians وقد كانوا يعيشون على سواحل صحراء سنورا Sonora وبعضهم كان يسكن جزيرة تيبورن , Tiburoa وكان مستواهم الجضارى هو أقل المستويات بين الجماعات الهندية في أمريكا الوسطى ولم بعرف بالضبط السبب في ذلك وما إذا كان هذا التأخر يرجع إلى أصول حضارية أو إلى ظروف يهية .

(ج) حاءات شيشيمك Chichimec Indians ، وهم يسكان الصحراء الوسطى في المكسيك ، وكانوا يعتمدون في غذائهم على النباتات الصحراوية التي تنمو في تلك المنطقة ، كما كانوا يربون الكلاب ويأكلون لحمها ويستخدمون شعرها في عمل الملابس .

(ثانيا) الجماعات المتخصصة في الصيد: وقد ظهرت هذه الجماعات في شهال أمريكا الوسطى وقد أطلق عليهم صيادوا الجاموس البرى. وقد هاجروا جنوبا أمام ضغط جاءهم من الشهال. وقد عرف هؤلاء ركوب الحيل ، كما بعلموا الزراعة أيضا. وأهم قبائل هذه المجموعة هي قبيلة أباش Abachi وكانوا يتصفون بالوحشية والقسوة وقد قاموا بعمليات السلب والنهب من القبائل الهندية الأخرى.

(ثالثا) الجماعات الزراعية : وقد كانت الجماعات الزراعية في أمريكا الوسطى ممن استخدموا الفأس في الزراعة ولم تعرف استخدام المحراث أو الحيوان الزراعين لم يعرفوا استخدام المحراث فهو لم يعرف في العالم الجديد :

# انواع الزراعة عند الهنود الحمر في أمريكا الوسطى :

. (أولا) الزراعة البلائية : وهى ليست متخصصة وإنما توجد جنبا لجنب مع حرفتى الجمع والصيد. وقد وجد هذا النوع من الزراعة فى جنوب المكسيك حيث الظروف لم تكن مواتية لقيام زراعة متقدمة .

(ثانیا) الزراعة القروية : وهي من الأنواع التي تعتبر أصيلة في أمريكا الوسطى ، وقد قام هذا النوع من الزراعة حيث تتوفر موارد مياه كافية وتربة خصبة . وكان إنتاج هذه الزراعة يوجه لسد الحاجة المحلية .

أَوْرَ ثَاكُ ) الزراعة ذات الوسائل المتقدمة : وهنا تبدأ الوسائل الزراعية في الالتجاء إلى طرق الرى وعمل المدرجات حيث يخشى من انهيار التربة . ولم يكن عمل المدرجات واسع الانتشار في أمريكا الوسطى ومعظمها كان يوجد في أراضي حضارة المايا Maya ، كذلك وجدت بعض عمليات للرى على مياه نهر كلورادو ت

(رابع ) الزراعة بقصد التصدير : وقد وجد هذا النوع من الزراعة عند جماعات المايا حيث قامت مراكز استقرار كبيرة نسبيا ، وكان لا بد لهذه المراكز من أن تستجلب حاجتها من المواد الغذائية من مناطق أخرى .

ويمكن 'حصر المناطق التي لم تزاول فيها الزراعة في هذه المرحلة من حياة أمريكا الوسطى في كاليفورنيا السفلي وجزء من صحراء كلورادو وجزء صغيرة على الساحل الشهالى الغربي للمكسيك وفي صحراء شيشيمك ومنطقة صغيرة في شمال شرق المكسيك .

# المحاصيل التي قام الهنود الحمر بزراعتها في امريكا الوسطى:

لم يركز الهنود الحمر اهتهامهم على استثناس الحيوان وإنما انجهوا إلى الزراعة . وتعتبر المكسيك من أهم مناطق الحضارات الزراعية القديمة .

والموطن الأصلى للذرة هو المكسيك . وأهم المحاصيل هي الحبوب خاصة المدرة سد Zea Mays ، والبقول والقرع Chayoti ، ونبات يسمى Chayoti ، ونبات يسمى المدرة سو نوع من الفاكهة لونه يشبه التفاح وله بدور وتغلى ثماره في الماء ثم تؤكل . كذلك زرعت الطاطم Tomatl والفلفل Capsicum Annum والمخلف والمحافا وتسمى أحيانا المانيوك Manihot Utilissima ويبلغ طول هذا النبات ما بين ٣ ، ٤ قدم وأوراقه عريضة سميكة وفي جذوره توجد كيات كبيرة من الغذاء . وكان الهنود الحمر يقومون بعصر جذور هذا النبات لاخراج العصارة السامة منها ثم تطهى الجدور بعد ذلك وتؤكل . وتعتبر الكسافا من أهم أنواع الغذاء لدى الهنود الحد .

كذلك قام الهنود بزراعة الفول السوداني Achras Hypogaca وهو من النباتات الوطنية في شرق أمريكا الوسطى ، وفي جزر الهند الغربية يسمى Mani . أما الكاكاو Theobroma Cacao فكان الهنود الحمر يستخدمونه كشراب ومن الطريف أن نذكر أن بذور الكاكاو كانت تستخدم أحيانا كعملة . وقام الهنود الحمر بزراعة الباباز أو قاوون الشجر Papaya وأشجاره كثيرة الفروع وتتدلى التأر من الشجرة في مجموعات بالقرب من الحذع وتصل الشجرة

فى حجمها إلى حجم شجرة الجوز ، وفى داخل ثمرة الباباز توجد بذور سوداء سامة والتمار ليست لذيذة الطعم ولكنها تساعد على الهضم ومن الأشجار أيضا الأثاناس وهو من الأنواع الوطنية فى أمريكا الجنوبية وقد جاء إلى المكسيك فى وقت مبكر (1).

ومن نباتات الألياف زرع الهنود الحمر شجرة الصبار الأمريكي Agavo ومن أنواعه ما يسمى Mescal وله ألياف طويلة خشنة تستخدم في صناعة الأكياس وهو ما زال يزرع في المكسيك حتى الوقت الحاضر أما القطن ( Gossypuin hirsutum ) فتوجد منه أنواع ملونة مثل الأصفر والبرتقالي والنوع الذي يوجد في جزر الهند الغربية يسمى Barbadense وهو طويل التيلة .

ومن نباتات المكيفات زرع الهنود الحمر الطباق بنوعيه Nicotiana rustica, ومن نباتات المكيفات زرع الهنود الحاء من أمريكا الجنوبية أما النوع الثانى فهو أصيل في أمريكا الوسطى .وقد استخدم الطباق بطرق متعددة منها السيجار في المكسيك .

ومن النباتات البرية التى استغلها الهنود الحمر نبات يسمى Peyott وهو يشبه التين الشركى وينمو في القسم الجنوبي من الحضبة الوسطى ويجمعه الهنود الحمر ويأكلون الجزء العلوى من النبات وله أثر مخدر وقد انتشر استعاله بين الهنود الحمر في أمريكا الوسطى والشهالية .

### الحيوانات التي استانسها الهنود الحمر في أمريكا الوسطى:

تم استثناس الكلب هي المكسيك وكذلك الديوك الرومى التي كانت تذبح لأغراض دينية كما استأنس الخنزير ونوع من البط هو Muskavi Duck ، كذلك قام الهنود الحمر بتربية النحل في المناطق المنخفضة .

Isabel Kblly: The Archaeology of The Aulton - Tupcacuesco Area of (\) Jalisco, Ibero - Americana: 26, 1945, P. 16

#### اللغات الأصلية للهنود الحمر في أمريكا الوسطى:

(أولا) مجموعة Tito — Aztecan في شهال غرب المكسيك ووسطها وعلى الساحل الغربي لأمريكا الوسطى إلى الجنوب من المكسيك (¹).

(ثانياً ) مجموعة Mayoid وهي لغة المايا ومنها اشتقت لغة الهواستك Muastec

(ثالثاً) مجموعة Chibchoid ومركز هذه المجموعة اللغوية في كولمبيا في أمريكا الجنوبية تم امتدت تهالا حتى شملت أجزاء من أمريكا الوسطى .

(رابعاً ) مجموعة Arawak وتوجد فى الجزر الممتدة من ساحل أمريكا الوسطى حتى جزر الأنتيل الصغرى .

(خامسا) مجموعة Carib وتوجد في الجزء الجنوبي من أمريكا الوسطى قريبا من أمريكا الجنوبية .

و إلى جانب هذه المجموعات الرئيسية وجلت لهجات فرعية عديدة في المكسيك منها . Mixtec, Tarascan, Otomi ; Totonac ; Zapotec

#### التطور الحضاري للهنود الحبر في أمريكا الوسطي:

توجد بعض مقاييس للتمييز بين الحضارات الراقية وغير الراقية في أمريكا الوسطى ، وأهم هذه المقاييس هي مدى تطور نلدن واللغات . ويوجد حد فاصل بين الحضارات الراقية والمتأخرة يسير مع خط يمتد من خليج المكسيك مارا بمدينة المكسيك ثم يصل إلى ساحل المحيط الهادى عند مدينة كلياكان Cutiacan وإلى الشهال من هذا الحد وجلت الحضارات المتأخرة بينا وجلت الحضارات الراقية إلى الجنوب منه حيث نجد حضارة التلتك Toltecs وحضارة المايا Mayas وحضارة الأتلك Axtecs (7).

R. H. Barlow: The Extent of the Empire of the Culhua Mexica, Ibero - (1)

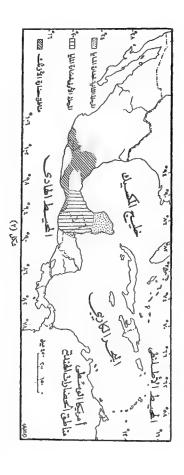
Americans: 28, Univ. of Calif Berkeley Los Angeles, 1949, pp 8 - 12

Preston E. James: Latin America, 3 Rd. Edition, 1959, The Odyssey Press, (Y) New York, P. 575

ومن المهم أن نعرف أن هذا التقسيم المستويات الحضارية في أمريكا الوسطى ما زالت له آثار حديثة في المنطقة ، فألجزء الشهالى من المكسيك تسوده في الوقت الحاضر عناصر ثورية غير منظمة ، بينها في الجنوب توجد جماعات زراعية مستقرة قمرف معني ملكية الأرض والحفاظ عليها .

ويلاحظ أن معظم الحضارات الراقية في أمريكا الوسطى قد قامت في الهضبة الوسطى الجنوبية Meseta Central Del Sur ويرجع تاريخ بعض هذه الحضارات إلى ٤٠٠٠ أو ٤٠٠٠ سنة ، وأقدم الملذن في المنطقة هي كويكولكو Cuicuilco إلى الجنوب من الموقع الحالى لمدينة المكسيك .

وقد كانت مدينة تولا مركزا لحضارة التلتك وكانت لغتهم هي الناهوا . وقد عبد التلتك الإله الأفعى وقد ميزوه بالشعر الأشقر والعيون الزرقاء وأطلقوا عليه إسم Quet Zalcoatl . وقد بدأت حضارة التلتك في الاضمحلال في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد أن طغت عليهم موجات بشرية من الشمال . وكان أهم هذه الموجلت التي أتت من الشمال هي جماعات الأزتك ، وكان لهم إله خاص بهم . وقد أطلق الأزتك على أنفسهم إسم Tenochea وقد قامت مراكز استقرار الأزتك في جزر في وسط مستنقعات كي يسهل عليهم حماية أنفسهم من الأعداء . وأهم الجزر التي استقرو بها هي التي توجد في وسط مستنقع تكسكوكو Техсосо في منخفض المكسيك وقد أصبح هذا المكان مدينة المكسيك فيها بعد ﴿ (شكل ٢). وكان لدى الأزتك تقويما دورته ٥٢ سنة. وقد زادت أعداد الأزتك وغزوا مناطق مجاورة لهم ، ويقال أن عدد السكان في عاصمة الأزتك قد يبلغ ٢٠٠٠٠٠ نسمه . وقد اتخذ الأزتك إله حرب أطلقوا عليه إسم Huizolopochtli وكان هذا الإله يتطلب الضحايا البشرية ولماكان الأزتك لا يرغبون في تقديم أنفسهم كقرابين بشرية لذلك كانوا يقلمون له أعلماءهم ، وقد زادت كراهية القبائل الهندية الأخرى للأزتك مما جعلهم يتحدون ضدهم . وقد عرف الأزتك بناء الأهرامات المدرجة . وقد جاب الأزتك مساحات واسعة من أمريكا الوسطى مشتغلين بالتجارة وقد تاجروا بالعبيد والكاكاو مستخدمين بذور



الكاكاو وريش الديوك الرومى كعملة ، كما استخدموا تراب الذهب التعامل . أحانا (1)

ونتيجة الغزو انتشر الأزتك نحو الجنوب والشرق على طول الجزء الجنوبي من خليج المكسيك ووصلوا إلى ساحل المحيط الهادى في الجزء الذي يعرف حاليا يحمهورية نيكاراجوا Nicaragua وكان الأزتك ما زالوا يتقدمون ويتوسعون عندما جاء الأسبان إلى أمريكا الوسطى .

أما جماعات المايا فكانت تختلف عن الجماعات السابق ذكرها . فقد بدأ المايا حضارتهم في مرتفعات جواتهالا الحالية ثم تحركوا نحو الشهال . ويرجع تاريخ حضارة المايا إلى سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد . وكانت أقدم مراكزهم هي التي وجدت بالقرب من مدينة فيراكروز Vera Cruz وقد انقسمت حضارة المايا لي فترتين ، وقد بلغت الفترة القديمة أوجها في القرنين الأولين من العصرالمسيحي وكانت مراكز هذه الفترة في بالنكوى Palenque وكوبان Cuban وكوبريجوا وكتنت مراكز هذه الفترة في بالنكوى Palenque وكوبان الحديثة فقد وجدت في تشيشن — أثرًا ويكسومال Tymal أما مراكز Mayapan وقد كان المايا أقل حباللقتال من الأزتك . أما إله المايا فكانوا يسمونه Kukulkan وكان المايا يهتمون بدراسة الفلك ، وكان عندهم تقويم قصير وآخر طويل وقد تميزت تقويماتهم بالدقة الكبيرة (۲) .

ومن الحقائق التاريخية الهامة أن الفترة القديمة لحضارة المايا اضمحلت ثم مضى قرابة قرن من الزمن وبعد ذلك ظهرت المرحلة الثانية . ولا يعرف بالضبط الأسباب التي أدت إلى ظهور المرحلة الحديثة أو السبب في تغيير بعض المراكز التي عاشت فيها الحضارة القديمة . وهناك عدة اقتراحات لتعليل اختفاء المرحلة الحضارية الأولى منها الاضمحلال الاجتهامي أو انتشار الأمراض أو ضعف التربة بسبب كثرة الزراءة . وقد استمرت المرحلة الحضاوية الثانية لجماعات المايا حتى مجيء الأسبان وكانت قد وصلت إلى مرحلة المنبول .

Ibid, P. 56.7 (1)

Philip Drucker, Robert F. Heizer and Robert J. Squier: Excavations at La (Y) Venta Tabasco, 1955: Washingtion, 1959. P. P 263 - 264.

#### مرحلة الاسبان في امريكا الوسطى ( ابتداء من سئة ١٤٩٢ ):

وصل كريستوفر كولمبس فى رحلته الأولى إلى جزيرة سان سلفادور فى يوم ٢٧ أكتوبر سنة ١٤٩٧ . وفى رحلته الثانية وصل إلى جزيرة هسبانيولا Hispaniola وفى المرة الثالثة جاء إلى خليج هندوراس Honduras ثم اكتشف نهر الأورنيوكو فى آخر رحلاته إلى العالم الجديد .

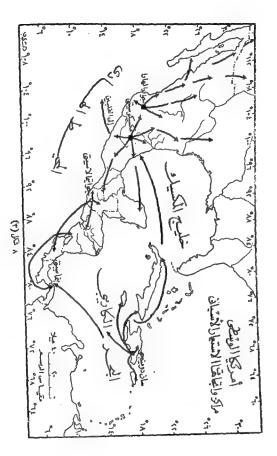
وبمجرد أن نمى إلى عام الأوربيين ما اكتشفه كولمبس بدأت بعثاتهم تتوافد على أمريكا ، وقد بدأ الأسبان يستعمرون هسانيولا نحت قيادة كولمبس نفسه فأحضروا بدور القمح وقصب السكر ، كما أحضروا بعض الحيوانات مثل الخيول والدجاج من العالم القديم . وقد كانت هسانيولا مأهولة بالسكان قبل وصول الأسبان إليها ويقدر عدد سكانها عند بدء الاستهار الأسباق بحوالى نصف مليون نسمة وقام الأسبان بتنظيم الهنود لتعدين الذهب ولم يسمحوا لحم بانتاج المواد الغذائية مما أدى إلى حدوث اضطرابات في النظم الاجتماعية السكان ، ولم يكن أمام الهنود ما يستطيعون عمله إزاء جشع الأسبان سوى الانتحار بواسطة أكل الكسافا فحات منهم عشرات الألوف .

وقد انتشر الأسبان من هسانيولا إلى جزيرة كوبا وذلك فيا بين ستنى ١٥٠٨ ،

١٥١٠ ، ومنها إلى كوستاريكا وكان أول مركز استقرار أسبانى على القارة ذاتها
هو مدينة فيراجوا Veragea (شكل ٣) . وقد كان للأسبان في أتوسعهم
هدفين أولهما أن يمدوا نفوذ أسبانيا وسلطانها فوق رقعة واسعة من الأرض وأن
ينشروا سيطرة الكنيسة الكاثوليكية في تلك الأرض الجديدة ، وثانيهما أن يجمعوا
ثروة كبيرة .

وقد حاول الأسبان في سعيهم لجمع الثروة الحصول على التوابل ولكنهم لم يجدوا الكثير منها في أمريكا الوسطى ، وكانوا يسعون أيضا وراء الذهب ولم يكن هناك الكثير منه كذلك ، إذ أن المنطقة ليست غنيه بالذهب (1) . ومن الطريف

Mineral Deposits of Central America, Geological Survey Bull. 1034, 1957 (1)
PP 36 - 38.



أن نذكر أن الأسبان قد اتبعوا طريقة معينة في البحث عن معدني الذهب والفضة إذكانوا يعتقدون أن الذهب معدن الشمس والفضة معدن القمر وعلي هذا الأساس فان وجود الذهب يرتبط بالمناطق المنحفضة الحارة ، بينها توجد الفضة في المناطق المرتفعة المباردة . وقد صادفت تلك القاعدة بعض النجاح في أمريكا الوسطى .

وفي سنة ١٩٥٧ اكتشف الأسبان الفضة في تكسكو وفي أور وابان ١٥٤٦ لل الغرب منها . كذلك وجدت الفضة في زاكاتيكاس Zacatocas سنة ١٥٤٦ سنة ١٥٤٦ وكان هذا المنجم أول المناجم الكبيرة في المكسيك ، ثم فتح منجمان آخران هما جوانا هواتو Guanajuato سنة ١٥٥٤ وسان لوى بوتوزى San Louis على إنتاج Potosi. الفضة من هذه المناجم . وتبعا للناك تجمع السكان في مناطق استخراج الفضة وقامت مراكز عمران تطورت حتى أصبحت مدنا كبرى (١١) . غير أن الهنود الحمر لم مراكز عمران تطورت الفضة إذ أن مناطقها تركزت في الجزء الثهالي من المكسيك حيث الحضارات الهندية المتأخرة كما ذكرنا سابقا لذلك اضطر الأسبان إلى جلب جماعات هندية من الجنوب . وكنت أهم العقبات أمام تعدين الفضة هي زيادة بحما المعمق الذي وصل إليه التعدين إذ ينغ ٥٠٥ متر كذلك واجهتهم صعوبة تصريف الميان المنجم النباتي كورد القوى كما المينات الباطل أيضا لهذا الغرض .

وقد قام الأسبان بتربية البغال في الأجزاء المنخفضة من المكسيك حيث يتوفر المرعي وذلك حول فيراكروز وسان لوى بوتوزى وفي منخفض بالساس Balsas
المرعي وذلك حول فيراكروز وسان لوى بوتوزى وفي منخفض بالساس Depression
وكانت البغال تحمل المواد الغفائية إلى المناجم ثم تحمل الفضة من المناجم إلى الساحل . وكان مركز تجمع الفضه هو جواد الهارا . وكان مركز تجمع الفضه هو جواد الهارا . ملكسيك حيث كانت توجد دار لسك النقود . وقد استخدمت العملة المسكوكة في المكسيك في دول أوربية عديدة وكلك في الصين وجزر الفلبين . وأدى تعدين الفضة في المكسيك إلى ثراء التاج الأسباني ، وإلى اهتام الأسبان في المكسيك وإغفالهم جزر الفلد الغربية مما أدى إلى تغلغل نفوذ دول أخرى فيا .

Sherburne F. Cook £ Lesley Byrd Simpson: The Population of Gentral (1)

Mexico in the Sixteenth Century, 1948 PP 17 - 46

أما جواتيالا فقد قامت أهميتها الاقتصادية على إنتاج الكاتكاو . أما بنها فقد استمدت أهميتها من كونها معمرا لنقل المعادن المستخرجة من الأجزاء الغربية من أمريكا الجنوبية مثل الفضة التي كانت تستخرج في بيرو وتنقل عبر بنما إلى جزر الهند الغربية ومنها إلى أسبانيا .

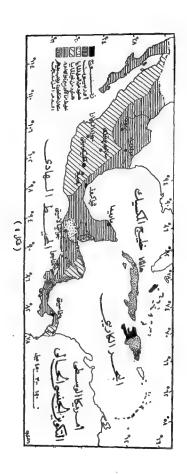
وقد اتجه الأسبان أيضا إلى الزراعة فقاموا بانتاج الذرة والقطن والكاكاو وقصب السكر . وقد أعطت الحكومة الأسبانية للقواد العسكريين إقطاعيات تسمى الواحدة منها Bacomindero وله حق استغلال الرض ومن عليها ولكنه لا يملك الأرض ذاتها (۱) .

وكانت لأسبانيا الجديدة صلات تجاربة مع الفلين ، إذ كانت هذاك سفن تجاربة تبنى في الفلين وبحارتها من الفلين أيضا تقوم بنقل التجارة بين البلدين وكانت هذاه السفن تسمى Manilla Galleon . وكانت الرحلة من الفلين إلى المكسيك تستغرق أربعة أشهر وفي العودة تستغرق ستة أشهر ، وأهم ما كانت تحمله تلك السفن من المكسيك الفضة والأواني وكانت تحمل الحرير من الفلين لمل المكسيك وفي سنة ١٥٦٠ قتل مجلان في جزر الفلين ولما كانت لأسبانيا المتيازات هناك فقد أرسلت حملة من المكسيك لغزو الفلين في سنة ١٥٦٠ وقامت الحملة من ميناء نافيلاد هله Navidaa على الساحل الغزني المكسيك بقيادة ليجازيي الحملة من ميناء نافيلاد قبيان أ، وقد ظلت الصلات التجارية بين الفلين والمكسيك قائمة حتى قيام الثورة المكسيكية سنة ١٨١٣

# التوسع الاسباني في الكسيك :

حاول الأسبان التوسع في المكسيك نحو الشيال وذلك في ثلاثة انجاهات أحدها على طول المرتفعات الشرقية حيث أقاموا مدينة مونتريه .Montrréy ، والآخير إلى الغرب من جبال سيرامديرا الشرقية والانجاه الثالث على طول الأراضي المنخفضة مبتدئين من كوليا كان .Culiacan غير أن تقدم الأسبان نحو الشهال . كان صعبا للخاية لأنهم واجهوا جماعات قوية من الهنود الحمر ، لذلك حاول الأسبان استمالتهم إلى جانبهم (شكل ٤) .

Carl Sauer: Colima of New Spain in the Sixteenth Century. Ibero - (1) Americana; 29, 1948, PP 24 - 35,



وفى مجال الاقتاع بدأت بعنات التبشير فى الظهور فى الميدان ، وكان أم أولئك المبشرون هم جاعات الجزويت (١) الذين كانت قلة مهم تنتىي لأسبانيا أما الغالبية فكانت من تشيكوسلوفاكيا وجنوب ألمانيا وإيطاليا . وقد تعلم لمبشرون لفات الهنود الحمر وبنو! الكنائس وحاولوا إغراء الهنود بالاستقرار حول أماكن العبادة . وقد جلب الجزويت معهم حيوانات مثل البقر والأغنام وكذلك جنبوا بعض النباتات مثل الموالح والكروم والزيتون . ومن المحبيب أن بعض الجماعات المعنية التي كانت تسكن أقصى شهال المكسيك جاءت إلى الجزويت تطلب منهم المعونة والمساعدة .

وقد استمر هذا النشاط التبشيرى حتى سنة ١٧٦٧ عندما قرر التاج الأسباني طرد الجزويت من المكسيك خشبة نفوذهم وعدد الجزويت إلى روما حيث قام بعضهم يتأليف كتب عن المكسيك وعن أجزاء أخرى من أمريكا الوسطى .

وبعد رحيل الجزويت جاءت إلى المكسيك بعثات الفرنسكان الذين توغلوا شهالا حتى وصلوا إلى كاليفورنيا . وقد أخذ نفوذ بعثات التبشير فى الاضمحلال خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر . وعندما قامت الثورة فى المكسيك كان زعيمها قسيسا .

وكانت ثورة المكسيك ذات جلور اقتصادية إذ أن معظم الأراضى الزراعية الجيدة قد استولى عليها الأمراء . وقد نتج عن الثورة بعض إصلاحات وأعطى الهنود بعض حقوق سياسية واجناعية كانوا محرومين منها من قبل حتى أنه في سنة الهنود بعض حقوق سياسية واجناعية كانوا محرومين منها من قبل حتى أنه في سنة وكان هندى الأصل ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتولى فيها هندى مثل هلما المنسب الكبير . ثم توالت الثورات على المكسيك ودول أمريكا الوسطى وكانت أسبابها اقتصادية في أغلب الأحوال . وقد خطت تلك الثورات وما حققته من إصلاحات في المكسيك ودول أمريكا الوسطى الأخرى خطوات واسعة نحو إصلاحات في المكسيك ودول أمريكا الوسطى الأخرى خطوات واسعة نحو المتياسي والاقتصادي والاخطرابات

Dasy, George F., and Peter Gerhard, Settlements in Baja California: (1) 1768 - 1930, P 574.

#### References

- 1--COOK, S. F., and SIMPSON. L. B. The Population of Central Mex.co in the Sixteenth Century, Ibero-Americana, 31, Berkeley, Calif., 1948.
- 2--COOK, S. F. Soil Erosion and Population in Central Mexico, Ibero-Americana, 34, Berkeley, Calif., 1949.
- 3—DEASY, G. F. and GERHARD, P. «Settlements in Baja California: 1768-1930, «Geographical Review, Vol. 34., 1944, pp. 574-586.
- 4—DICKEN, S. N. «The Basin Settlements of the Middle Sierra Madré Oriental Mexico, «Annals of the Association of American Geographers, Vol. 26, 1936, pp. 157-178.
- 5-DICKEN, S. N. «Monterrey and Northeastern Mexico»., Annals of the Association of American Geographers, Vol. 29, 1939, pp. 127-158.
- 6—HIGBEE, E. C. «Agriculture in the Maya Homeland» «Geographical Review. Vol. 38., 1948., pp. 457-464.
- 7—JAMES E., PRESTON. Latin America, Third Edition, New York, The Odssey Press, 1959.
- 8-JONES, C. L. Guatemala, Past and Present, Uçiversity of Minnesota Press, Minnesota, Minneapolis, 1940.
- 9—KROLBER, A. L. Cultural and Natural Areas of Native North America, Berkeley, Calif. 1939.
- 10—SAUER, C. O. The Aboriginal Population of Northwestern Mexico, Ibro-Americana, 10, Berkeley, Calif., 1935.,
- 11—SAUER, C. O. The Personality of Mexico; «Geographical Review. Vol. 31, 1941, pp. 353-364.
- 12—SAUER, C. O. «The March of Agriculture Across the Western World»» (in Eighth American Scientific Congress, Proceedings, Vo. V., 1942, pp. 63-65.)
- 13—SORRE, Max. Mexique, Americque Centrale (Geographie Universelle, Vol. 14)., Paris, 1928.
- 14—SPINDEN, H. J. «The Population of Ancient America, «Geographical Review, Vol. 18, 1928, pp. 641-660.
- STEWARD, J. H. (ed.). Handbook of South American Indians, 6 Vols. (Smithsonian Institution, Bureau of American Ethnology, Bulletin 143), Washington, 1946-1950.
- 16—TANNENBAUM, F. The Mexican Agrarian Revolution, New York, 1933.
- 17—WAGNER, PHILIP L., Nicoya, «A Cultural Geography» University of California Publications in Geography. Vol. 12, 1958, No. 3.

# تاريخ اللغة السريانية

#### للدكتورة زاكية محمد رشدي

اللغة السريانية هي امتداد للغة الآرامية في العصر المسيحي حيث كانت في بادىء أمرها تسمى بالآرامية والمتكلمون بها بالآراميين (١)

والآراميون أمة قديمة كبيرة موطنها البلاد المساة في العهد القديم بآرام وهي قسمان : آرام النهرين (٢) وآرام الشام (٢) . والمرجح أنها سميت به من آرام ابن سام بن نوح لأنه أول من تبوأها وعرها بولده (٤) . والآرامية هي إحدى اللهات المعروفة باللهات السامية (٩) كالأكدية والفينيقية والعبرية والعربية والحبشية (١) ؛ إلا أن دخول المسيحية أوائل القرن الثاني الميلادي بلاد الآراميين جعل هؤلاء الذين اعتنقوها ينفرون من تلك التسمية القديمة ويعدونها مرادفة الوثنية والالحاد ، للله سارعوا بالأخذ بكلمة و سريان ، (٢) تلك التسمية التي أطلقها عليهم اليونان المنانية ، وجعلوا اسم الآراميين

<sup>(</sup>١) نولدكه ص ٢١ من المقامة .

<sup>(</sup> ٢ ) هي البلاد التي تسمى أيضا سوريا الحارجة والجزيرة وجزيرة الهرين وما بين الهرين وحدها شرقا كردستان وغربا آسيا الصغرى وسوريا وبادية الشام ، وشهالا أرسينية وجنوبا السراق الدرف أو بلاد العرب .

 <sup>(</sup>٣) وهى البلاد التي تسمى أيضا بسوريا وسوريا الداخلة والشام وبر الشام وتحد ثها! بآسيا الصغرى
 وشرقا بالفرات والبادية وجنويا بجؤه من بلاد العرب وغربا بالبحر المتوسط ويدخل فيها اليوم فيليقية
 وفاسطين

<sup>( ؛ )</sup> القرداحي ص ١ من المقامة .

<sup>(</sup>ه) نولدكة المقاسة ص ٣١

<sup>(</sup>٦) القرداحي ص ز من المقامة .

 <sup>(</sup>٧) اسرائيل ولفنسون ص ١٤٦ ، تاريخ الأدب السريان ص ١٣ ، نولدكه ص ٣١ ،
 دوفال ص ه

لسكان القرى الوثنية مثل حران في الجزيرة (1) ؛ إذ لما تولى اليونان هذه البلاد سنة ٣١٢ ق. م ووجدوا فيها من آثار ملوكها الأستوريين ما وجدوا أطلقوا عليها إم أسوريا وقد اشتقوه من أسور في اليوناني، وهو أشورفيا لآرابي، ثم اختصروه سوريا وخصوا إمم أستوريا بالقسم الشرقي من آرام النهرين الذي هو مهد المدولة الأستورية وعاصمتها . والمدليل على أن سوريا أصله أستوريا أن الأقلمين من الميونان والمرومان كانوا يخلطون بينها وبين أستوريين وسوريين كما قال القديس هيروم وتفسير الفصل ٢٠ من سفر إشعيا الذي، وهيرودوت اليوناني في كتبه (٢).

وعلى ذلك فالسريانية هي لغة السريان المسيحيين في الرها (٢) ، وتاريخها مرتبط تماما بتاريخ الكنيسة المسيحية في سوريا ، ومع كل فان كلمة والآرامية ، لم تتقطع بالله مطلقة حس تحديد الجنسية فقد استمرت تطلق على القومية نفسها وتجدها في الكتاب المقدس كاسم قوم في مواضع يمكن تفسيرها بالوثنيين ومن هنا فان كلمتي آرامية وسريانية كانتا مترادفتين (٤) .

كانت الرها وما جاورها من البلاد الموطن الأصلى لهذه اللغة السريانية (٥٠) ، ولهذا فانها تعرف أحيانا بلغة الرها أو الجزيرة ، وقد انتشرت هذه اللغة إلى ما وراء موطن نشأتها الأصلى بكثير في إقليم واسع في غرب آسيا ، وظلت منتهشة فيه نيفا وألف عام فقد اتخذتها الأمم التي كانت تجاور السريان والتي كانت دوتهم في الحضارة لغنها الأدبية (٢٠) . وكانت الرها مملكة مستقلة في القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأولى بعد الميلاد ، والراجع أن أصل ملوكها من العرب

<sup>(</sup>۱) دوقال ص ه - ولفتسون ص ۱۶۲

<sup>(</sup>۲) القرداحي س و

 <sup>(</sup>٣) هي إحدى مدن الجزيرة في ثبال ما بين المبريين بين الموصل والشام وكان يسبها السريان (أورهاى) ويسمها العرب (أورفة) ويسمها الأوربيون Eidessa ويسمها التصاري في المؤلفات السريانية (المدينة المهاركة أو المدينة المؤممة).

<sup>(</sup> ٤ ) دفال ص ه و ٦

<sup>(</sup>ه) بروكلمان ص ١ ، ثولدُكه ص ٣١.

<sup>(</sup> ۲ ) نولدكه ص ۳۱ من المقلمة .

كما تدل عليهم أساؤهم « معن ووائل وأبجر » (١) كما كانت ذات حضارة عظيمة وكان لها أسرها وضربت السكة (٢) وأهلها تقدمها في النواحي، الاجهاعية التلتي الدين الجديد وهو المسيحية . وأقدم نص يشير إلى دخول المسيحية إلى الرها هي قصة فيضان نهر ديصان التي أشارت إلى أن النهرجيها فاض سنة ٢٠١ م قد بخرب هيكل كنيسة المسيحيين (٣) . وقد تحولت المدينة هي وماوكها بعد ذلك التاريخ إلى هذا المدين الجديد ، أما الجهات المجاورة مثل حران ومنبج فقد بقيت حلى العكس لفترة طويلة وقفا على سكن المجرس (٤) .

كانت السريانية هي لفة الرها الأدبية قبل دخول النصرانية يزمان طويل فلما 
دخلت النصرانية الرها وبنيت الكنائس اتخذت النصرانية الفقة السريانية لفة 
كلاف ، وترجم ربولا إليها الكتاب المقلس عن اليونانية تلك الترجمة المشهورة 
باسم البسيطة (١٠) ، كما ترجم إليها كثير من الآداب والعلوم اليونانية وصارت لفة 
التأليف المسيحي حتى أن النصارى في مصر والشام والعراق وإيران درسوها 
وأخذوا جميعا يستعملونها في دراساتهم كوسيلة للتعبير عن جميع نواحي ثقافتهم 
ولا سيا الثقافة اليونانية حتى صارت لغة الفلسفة والطب والعاوم الطبيعية ؛ بللك 
اكتسبت اللغة السريانية أهمية كبيرة وأصبحت الرها منذ ذلك ألحين مركز الإشعاع 
على جميع سوريا المسيحية ليس فقط على الأقاليم الرومانية بل أيضا على الأماكن 
الحجاء الواقعة تحت حكم الفرس (٧).

بدأ العصر الذهبي لهذه اللغة بظهور القرن الثالث الميلادي على أثر اعتناق أبجر التاسع ملك الرها للمسيحية ، فلما جاء القرن الرابع كانت السربانية قد

<sup>(</sup>١) تاريخ الأدب السرياني ص ١٢

<sup>(</sup>٢) درفال ص ٢

<sup>(</sup> ٣ ) تاريخ الأدب السرياني ص ٤٨

١ (٤) دوفال ص ٢

<sup>(</sup>أه ) تولدكه ص ۳۱ ، ولفنسون ص ۱٤۸

<sup>(</sup> ۲ ) دوقال ص ۲

<sup>(</sup>٧) دوفال ص ٧ ، نولدكه ص ٣١ من المقلمة

بسطت وهذبت وأصبحت لغة النصرانية في جميع الأرجاء إلا في بعض نواح من فلسطين (1) ، وتظهر اللغة وإملاؤها في شكلها النهائي في تلك المخطوطات البديعة التي ورثناها عن القرن الخامس الميلادي بشكل لا يترك مجالا الشك في أن اللغة لم تبلغ ما وصلت إليه ولم تتحول من لغة شعبية إلى لغة أدبية إلا بمجهود دراسي منظم ، ومن المؤكد أن الأساليب اليونانية كانت ذات أثر كبير فيا وصلت إليه اللغة ، ولا يقتصر هذا التأثير على نقل كثير من الكلمات اليونانية إلى السريانية فحصب وإنما في مخاكة النحو اليوناني والأبنية اليونانية . وطريقة استجال الكلمات. ويتخلط هذا التقليد حتى يبلغ إلى دقائق اللغة ؛ يؤكد ذلك كثرة ما نقل عن اليونانية ومنا نسج فيه على منوال اليونانية حالي رسالة عن القرن الثالث الميلادي (٣) .

لم يقتصر التأثير اليونانى على التأثير الغوى بل انتقل إلى التأثير الدينى ولهذا للم المسيحيون فى ألوهية الأبطال وانتقلوا منه إلى ألوهية أم المسيح نفسها وكان لآراء مدرسة أنطاكية التى أنشئت حوالى سنة ٢٦٠ م تأثير كبير فى انتشار المعتقدات اليونانية . إذ تولى أبناؤها أعمال الكهنوت فى كثير من البلاد ومنهم نسطوريوس اللدى كان أسقفا على مدينة القسطنطينية والذى انتشرت دعوته حتى صار له أتباع كثيرون نتج عنهم الانقسام الذى ظهر فى الكنيسة المسيحية .

كذلك استطاعت بعض المؤثرات العبرية أن تجد طريقها إلى اللغة السريانية خلال النراجمالمختلفة للكتاب المقدس التي ظهر فيها أثر اليهود قويا (4)

لم تكن اليونانية أو العبرية هما المؤيران الوحيدان على السريانية فقد كان القرن الخامس كذلك حافلا بالحوادث التي أثرت عليها وأخذ المسيحيون بتجادلون حول طبيعة المسيح وكان من أثر هذه المنازعات قيام كثير من المجامع التي حاوات التقريب بين وجهات النظر المختلفة وكان من بينها مجمع أفيزوس الذي عقد سنة ٤٣١ م

<sup>(</sup>۱) بومشتارك نولدكه ص ۳۲

<sup>(</sup> ٢ ) تاريخ الأدب السرياق ص ١٥ ، تولدكه ص ٣٧ ، ولفنسون ص ١٤٨

<sup>(</sup>٣) ثولدكه ص ٣٢ من المقدمة .

<sup>( ؛ )</sup> نواد که ص ۳۲ ، اسرائیل و افتسون ص ۱۶۸

والذى انتهى بانسحاب المسيحيين السريان الذين اعتقوا عقيدة نسطوريوس أسقف القسطنطينية المعزول والقائلين بالطبيعتين ، وكونوا جماعة دينية منفصلة (1) ثم رحلوا إلى البلاد الفارسية وسموا بالشرقيين أو النساطرة ، وهناك نشروا لغتهم ودرس بها الطب والعلوم الطبيعية في مدرسة جنديسابور وغيرها من ممارس المسريان في البلاد الفارسية . وبهذه اللغة أيضا نشر المبشرون النساطرة تعاليمهم لا في الشرق الأدنى وحده بل في الشرقين الأوسط والأقصى أيضا (7) ولذلك نجد آثارا سريانية في تركستان والهند بل وفي الصين . وقد بني لنا في هذه اللغة نض مكتوب باللغتين السريانية والصينية. وجد في مدينة سن ــ ين ــ فو ويرجع إلى القرن العامن للميلاد ويذكر فيه نجاح المبشرين النساطرة في الصين .

دخلت السريانية كذلك مصر ولكن في الأديرة وبين رجال الدين وبخاصة في الاسكندرية . وكذلك كانت هناك صلات بين كنيسة الرها والكنيسة المسيحية في جنوب فرنسا ، وهاجر إلى فرنسا كثير من السريان في عهد القيصرية الأولى حوالى سنة ٨٠٠ م ٢٠٠٠ .

بتى فى الرها المسيحيون القاتلون بالطبيعة الواحدة وهم الغربيون أو اليحاقية تجت النفوذ الرومانى (٤٤) ، وتبع ذلك أن أغلقت مدرسة الرها أبوابها فى وجه صريان فارس سنة ٤٨٩ م – بأمر الامبراطور زينون وإغراء كير (kyr) أسقف الرها – لأنهم اعتبروهم خارجين على الدين ، وكانت الرها فى ذلك الحين أكبر المدن التعليمية ، فقام النساطرة بانشاء مدارس خاصة لهم اشتهرت منها مدرسة فصدين (٥٠).

بذلك افترقت اللهجتان الرئيسيتان ــ اللتان قضتا حياة مشتركة في الرها ــ نهائيا وسلكت كل واحدة منهما طريقها مستقلة عن الأخرى في تفسير الكتب

<sup>(</sup>۱) هاتش ص ۲۸ ، نولدکة ص ۳۳

<sup>(</sup> ٢ ) تاريخ الأدب السرياني ص ١٣ ، هاتش ص ٢٨

<sup>(</sup>٣) تاريخ الأدب السريان ، ص ١٣ ·

<sup>(</sup> ٤ ) بروكلمان ص ۲ ولفنسون ص ۱٤۸

<sup>(</sup> ه ) نولدكة ص ٣٣ ، اسرائيل ولفنسون ص ١٤٨ ، دونال ص ٧

المقدسة . ومن هنا نشأ تراث مزدوج أو ما سورا مزدوجة ؛ واحدة لأصحاب الطبيعة الواحدة أو اليعاقبة ، والثانية لأصحاب الطبيعتين أو النساطرة (١) .

عرفت لهجة أصحاب الطبيعتين بالشرقية أو النصيبينية وكانوا هم أحيانًا يسمون بالمشارقة ، أما أصحاب الطبيعة الواحدة فقد أطلق على لهجتهم اللهجة الغربية ، وكانوا هم أيضا يسمون أحيانًا بالرهاويين<sup>(7)</sup>.

انتشرت المسيحية في سوريا اللماخلة غرب الفرات بين الأوساط التي يسود فيها العنصر اليوناني لهثل أنطاكية في شهال سوريا ولذلك لم تتمكن اللهجة الشعبية من الارتقاء حتى تصل إلى مستوى اللغة الفصحى ، ولم تستخدم اللغة السريانية الكنسية في الأديرة حول أنطاكية وحلب إلا فيا بعد عندما عم الدين الجديد وتمتع بحماية السلطة المدنية ، وحينتذ أضبحت اللهجة الرهاوية لغة العلم أو اللغة الفصحى ليس فقط بين المعاقبة وإنما بين الملكانيين والمارونيين أيضا وباختصار بين السريان الغربيين (7).

وفى أثناء ذلك كان مسيحيوا الجليل الذين أقصوا إلى ما وراء الأردن في فلسطين القديمة قد تخلصوا من النفوذ اليونانى ، واستخدموا لهجتهم الآرامية في المبادات ، ونشأ عن هذه المعاثرة الضيقة أدب كنسى وصل إلينا في إنجيل ضمن مخطوطة محفوظة في مكتبة الفاتيكان ، وقطع متفرقة « وبخاصة بعض المزامير وتراتيل دينية وقطع من المهدين القديم والجديد » محفوظة في المتحف البريطاني ومكتبة سان بطرسبرج ، وهذه اللهجة تعرف باسم المسيحية الفلسطينية أو السريانية الفلسطينية ، وتشغل قسها خاصا في المجموعة الآرامية ، وهي مستقلة عن السريانية بالمغني الملقيق (٤٤).

وتعتبر هذه اللهجة المسيحية الفلسطينية إحدى اللهجات الدارجة أو الشعبية الثلاث التي نشأت عن انتشار السزيانية ؛ فالسريانية قد اختلطت أكثر من غيرها

<sup>(</sup>١) ، (٢) دو فال ص ٧

<sup>(</sup>٣) ئولدگ، – بروكلمان – دوةال ص ٧

<sup>(1)</sup> دونال ص ٧ ء ٨

اختلاطاً كبيرا أثناء انتشارها وذبوعها في الأقالم البعيدة ، وهذا الانتشار أثر فيها تأثيرا كبيرا حتى أصبح الذين يتكلمونها لا يفهم بعضهم بعضا . وهؤلاء هم السوريون والفلسطينيون والشرقيون . وقد تحولت لهجة هؤلاء الشرقيين أكثر من اللهجتين الأولتين إلى لهجة بربرية ، واقتربت من اللهجة الكلمانية التي ترتبط بها بصلة القرابة (17.

انتشرت لهيجة ما بين النهرين الغربية في مدن سوريا من الفرات حتى ماردين ، فكان اتساع المرقعة التي انتشرت فيها اللغة سببا في أن كل مركز من المراكز الكبيرة مثل ملطية وسميساط وحران أصبحت الهيجته خصائص تميزها عن غيرها ، ولكن تأثير اللهجة الرهاوية باعتبارها اللغة الفصحى قضى شيئا فشيئا على هذه الاختلافات (٢)

وكما لم تكن السريانية لهجة الرها فحصب وإنما كانت لهجة ملطية وماردين وضواحي هذه المدن ؛ كذلك كانت اللهجة الشرقية في أقاليم دجلة تشتمل على أنواع كثيرة من اللهجات ، وكان أكثر هذه الأنواع نقاء هو لهجة نصيين شرقي دجلة وأكثرها اختلاطا هو لهجة بيت جرى أو الجرميين على الضفة اليسرى جنوبي نهر الزاب الصغير ، وهذا النوع الأخير مثله في ذلك مثل النبطية التي في العراق يدخل في الآرامية الشرقية وليس في العراق بلخي المقيق (٣٠).

ومما لا شك فيه أن تعدد اللهجات واختلافها قد أثرا على النطق السرياني حتى في أفواه المثقفين في مختلف البقاع ، ولكنا نجد مع ذلك أن السريان الشرقيين قد حافظوا في ترائهم على الأصل القديم عافظة دقيقة في بعض الأحيان كا حافظ عليه الغربيون أحيانا أخرى ، إلا أن اللغة الغربية هي التي حافظت على نطق الرها في الشكل المنقح أو الصيغة المطورة التي كانت مستعملة بين سنتي ٢٠٠ ، ٢٠٠ أي في المندة التي بلغت فيها اللغة عصرها الذهبي (٥).

<sup>(</sup> ۱ ) دوقال ص ۱۰

<sup>(</sup> ۲ ) دوفال ص ۱۱

<sup>(</sup>٣) دوقال س ۱۱ و ۱۲

<sup>(</sup> ٤ ) نولد که ص ٣٣

بناء على ذلك لا تشتمل السريانية الأدبية إلا على لهجنين شرقية وغربية ('') ، والفرق بينهما يكاد يكون معدوما من ناحية شكل الكلمات وتركيب الجمل ، ولكنه ينحصر في النطق والترقيم . فتظهر هذه الاختلافات في اللهجة أحيانا كتلك التي تتعلق بالصوامت والصوائت ، وفي النحو أحيانا أخرى كذلك الذي يظهر في علامات الترقيم والضغط ('') .

لم يقتصر الانقسام على اللغة فقط بل امتد حتى شمل الكتابة أيضا (٣) فبعد أن كان الحط الأسطونجيل (٤) هو الحط السائد في جميع الكتابات السريانية أنشأ المعاقبة في أواخر القرن السابع خطا مستقلا بهم هو الحط الغربي أو السرطا أي السريع كما أنشأ النساطرة حوالي القرن الثامن خطا جديدا لهم هو الحط النسطوري أو الشرقي (٥).

كان الخط الأسطر بحيلي قبل ذلك الانقسام هو الخط الوحيد الذى لا منزع له في سوريا وما بين النهرين ، ومع ذلك فقد ظل مستعملا بعد ذلك ، ولكن يلاحظ على النصوص المكتوبة به في عصر الانقسام وما يليه ميلها إلى الرداءة فالحروف غالبا صغيرة وقلت العناية برسمها ، والكتابة أكثر تشابكا ، وأصبحت الروابط بين الحروف أسمك بماكانت عليه في الأزمان الماضية . أما الخط اليعقوبي فسمى بالسرط أو السريع الأنه أسرع في الكتابة وأكثر استمارة من الخط فسمى بالسرط أو السريع الأنه أسرع في الكتابة وأكثر استمارة من الخط الألافوي الأسطر نجيلي وبعرفه الهنود باسم الخط الماروني وهو ينسب إلى يعقوب الرهاوي ؛ أحد مشاهير العلماء وأحد أصحاب الطبيعة المواحدة ، وكان من رجال اللاهوت أحد مشاهير العلماء وأحد أصحاب الطبيعة المواحدة ، وكان من رجال اللاهوت كذلك نسبة إلى النصف الأخير من القرن السابع (٧٠) أما الخط النسطوري فسمى كذلك نسبة إلى نسطوريوس وهو زعم الجماعة التي أطاق عليها اسم الشرقيين

<sup>(</sup>۱) بروکلمان ص ۲ ، دوقال ص ۸

<sup>(</sup> ۲ ) درقال ص ۸

<sup>(</sup>٣) نولد که ص ٣٣

<sup>(</sup>٤) يفسر بعضهم معناه بخط الانجيل ويقسره الآخرون بالخط المستدير

<sup>(</sup> ٥ ) روبتسون من ولفنسون من ١٤٩

<sup>(</sup> ۲ ) هاکش ص ۲۷

أو النساطرة ويعرف فى الهند عادة باسم الخط الكلمانى ويتميز بدقة حركاته فقد. ميز بين الأماله القصيرة والطويلة كما ميز بين الضمتين المفتدحة والمقفولة على نحو لا تجده فى الشكل الغربى .

ظهرت بعد الانقسام السابق فرقة ثالثة وكانت تدعى الملكيانية وهم الجماعة المتكلمة بالسريانية من النصارى الذين اعتنقوا عقيدة شخص المسيح والذين اجتمعوا في وثمر كاقيدونيا سنة ٤٥١ م . كانوا أرثوذكما من وجهة نظر اليونان على حين كان النساطرة واليعلقية هراطقة إذا قيسوا بالمعيار الكلقيدوفي . ولما كانت الملكانية قد افترقت في الحقيدة والشئون الكنسية عن كل من الفرعين الآخرين من السريانية المسيحية فليس غربيا عليهم أن يبتدعوا إذن طريقة خاصة في الكتابة ، وقد اشتقت هذه الطريقة من الخطيان الحديدين والخطون الخديدين والخطورى (٥٠) ه

خلفت لنا هذه الفرقة بعض المخطوطات الملكانية ولكتها ليست كثيرة فلم نعثر منها إلا على أربعة عشر مخطوطا ، ورخا نسخت قبل نهاية القرن السادس عشر وقد كتب أقدمها في دير أو صومعة مار إلياس على الجبل الأسود بالقرب من أنطاكية سنة ١٠٤٥ م ويشتمل على مقطوعات إلقائية من الأناجيل وتقويم لأيام القديسين من العام ودروس مختارة لمناسبات خاصة (٣).

وكان من أهل فلسطين ملكية فترجُوا الكتاب المقدس إلى لهجتهم وكانت ترجَمْهم حرفية دقيقة لم يراعوا فيها المعانى ولا ترتيب الكلمات في الجملة على قواعد اللغة الآرامية . ولم يبق لنا من كتبهم إلا القليل ، وكان إملاؤهم غير واضح وغير مشكل بحيث يمكن الاختلاف في نطق كلماته ، وهذا هو السبب في أن هذه اللهجة لم ثلق عناية كافية . وقد ظل أصحابها يتكلمون بها في فلسطين حتى انقرضت أيام الفتح العربي (٣) .

<sup>(</sup>۱) هاتش ص ۲۸ و ۲۹

<sup>(</sup>۲) هاتش ص ۲۹

<sup>(</sup> ٣ ) ثاريخ الأدب السرياني ص ١١ وهاتش ص ٢٩

أدى الانقسام واضطهاد الغربيين الشرقيين وإغراؤهم السلطان بهم في بعض الأحيان والعكس من اضصهاد الشرقيين للغربيين في أحيان أخرى إلى هجرة الشرقيين إلى فارس وخووج المبشرين منهم شرقا حتى بلغوا الهند والصين . كل الشرقيين إلى فارس وخووج المبشرين منهم شرقا حتى بلغوا الهند والصين . كل ذلك أدى إلى انتشار اللغة في هذه البقاع ، وكان من نتيجة ذلك فساد اللسان السرياني مما دفع علماء السريان في كل من الفرقتين إلى ضبط القراءة الصحيحة النصوص المقدمة فقام يعقوب الرهاوى زعيم الفرقة الغربية باستعارة الصوائت اليونائية وهي A . R . A ، O ووضعها بين الحروف (1) ، ولما كان السريان لم يألفوا وجود الصوائت بين الحروف فقد نفروا من استخدام هذه الطريقة فرأى الرهاوى أن يضع هذه الصوائت إما فوق الحروف و وإما تحتها على السواء في المكان الذى يوجد يه فراغ في الحرف وبذلك عم استمال هذه الطريقة في المكتابة السريانية وأبي به فراغ في الحرف وبذلك عم استمال هذه الطريقة أخرى لضبط الحركات وهي طريقة النقط المروفة فاستعملوا نقطة أو نقطين توضع فوق الحروف أو تحتها طريقة النقطة أو أفقية أو ماثلة ليوضع كل شكل حركة من الحركات (٢).

بلغت اللغة السريانية عصرها المذهبي مع القرن السايع وكان جزء من السريان في ذلك العصر تابعا للامبراطورية الرومانية والجزء الآخر تابعا للفرس . وقد ظهر الانقسام بشكل واضح في الانقسامات الكنسية التي تسببت عن الجدل حول طبيعية المسيح واصتقر سريان الفرس المسيحيون على تعاليم نسطوريوس واستقر سريان الرومان على عقيدة الطبيعة الواحدة أو اليعاقبة (٣) .

امتد العصر اللهبي الثقافة الأدبية السريانية حتى القرن الثاءن وفي خلال هذه الفترة كان ينظر إلى اليونانية على أنبوذج يحتذى ، وكان لها تأثير قوى على السريانية فتسرب عدد من الكلمات الجديدة إلى اللغة الفصيحة ، وتتميز هذه الكلمات الأجنبية عن تلك التي وصلت داخليا في اللغة العامية بأنها دخلت بصيغتها الأصلية وبنهاياتها . وهذه الكلمات الأجنبية توجد بكثرة في الترجمات على وجه

<sup>(</sup> ۱ ) دو فال س ۲ }

<sup>(</sup>۲) درفال ص ۵۰ – ۲۵

<sup>(</sup>٣) نولدکه ص ٣٣

الخصوص . وإلى جانب هذا كانت هناك الترجمات الحرفية مثل المكسابلا السربانية والهرقلية . وكما أثرت اليونانية على السربانية كذلك كان للسربانية أكبر الأثر في إحياء التراث اليوناني القديم ، فقد عمد اليونان إلى التراجم السربانية لتراثيم فأعادوا نقلها إلى اليونانية بعد أن تبين لهم أن التراجم السربانية كانت تقوم على استبدال الكلمات اليونانية بكلمات سربانية ، وقد قامت التراجم الأخيرة على نفس الأساس باستبدال الكلمات السربانية بنظيرتها اليونانية كلمة كلمة .

وضع القرن الثامن نهاية لعصر التقدم هلا وكان فتح العرب للأقالم السريانية نهاجة للمركز القيادى للغة السريانية وفقدت مركزها كلغة المتكلمين المتفين (١٠). وأصبحت سوريا من المبلاد التي دخلت في حوزة المسلمين وكانت الاضطرابات التي وقعت في الجزيرة وسوريا سببا في اضطراب الماهد المنظمة فأهملت المملاس واندثر التراث الأدبي وهاجر التلاميذ إلى الصوامع والأديرة (٢١). على حين قويت شوكة العرب في الحجاز وأخذ سلطانهم بمتد وفتوحاتهم تتسع حتى شملت بلاد الآرامين إذ فتح عياض بن غنم مدينة الرها سنة ١٧ الهجرة فاضمحلت هذه اللغة منذ أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع وأخذت تضعف شيئا فشيئا تبعا لانتشار المناهزية وصار ما خصص للعامة عند السريان منذ ذلك المهد يكتب إما بالعربية وإما بالسريانية والعربية ومن والموبية ومن أهوم والموبية ومن الموسر بربهلول:

Rubens Duval (ed.) Lexicon Syriacum, auctore Hassano Bar Bahlule, Paris, 1888.

Bar Ali (Isho) Syriac-arabic glosses. Ed. by وقاموس برعلي Richard I. H. Gottheil.

رأى السريان بعد تعلمهم العربية أنه من الأسهل عليهم.أن يكتبوا لغتهم العربية بالحروف السريانية ، ومن هنا نشأ نوع من الكتابة تسمى بالكتابة الكرشونية ،

<sup>(</sup> ۱ ) نولدکه ص ۳۲ ، دوفال ص ۹ ، بروکلمان ص ۲

<sup>(</sup> ۲ ) دوقال ص ۹

وقد استعماوا لها بعض إضافات لبعض الحروف السريانية للكماوا بها الحروف العربية الناقصة في الأبجدية السريانية (٢٠) .

أثر الشعر العربي على الشعر السريانى تأثيرا واضحا فظهرت فيه القوافى ولم تكن معروفة فيه من قبل فلم يكن يعرفها السريان الأقدمون كافرايم وبالاى ونرسى واسمق وأول من أدخاها يوحنا بن خالمون من القرن الحادى عشر الميلادى ثم حلا حدوه بعض الشعراء حتى نهاية القرن الثانى عشر فعم استعمالها عند جميع الشعراء حتى أصبحوا لا يعلون من يهمل القافية فى شعره فى طبقة الشعراء الفاضلين ، ولكن سرعان ما اضمحل الشعر السرياني وأصبح أشبه بكلمات تستخرج من قاموس لتصف إلى جوار بعضها (\*) .

أثر كذلك النحو العربي على النحو السريانى فى عصر النهضة الأخيرة للعلوم السريانية ، ووضع ابن العبرى كتابه فى النحو الكبير «كتاب الأشعة» على غوار كتاب «المفصل» للزمخشرى :

لم تؤثر المربية على السريانية فقط بل كان التأثير منبادلا بينهما وأقدم مثل لتأثير السريانية على المربية هو الأبجدية النبطية التى استعارها العرب لكتابتهم والخط النبطى مشتق من الآراى ، والاملاء العربي القديم قريب من الاملاء الآراى ، ويظهر ذلك في رسم الكتابة في فجر الاسلام أى في الخط الكوفى (٣) فقد كانت الفتحة الممدودة التى تقع في وسط الكامة لا ترسم تقليلا السريانية على النحو الذي المجده في المصحف العماني مثل وكتب ، ويقابلها في الرسم الحديث وكتاب ، ، ويتجلى كذلك في رسم بعض الكلمات الدينية مثل وصاوة وزكوة ، فأنها ترسم بالواو على الرسم السريانية ، كا يظهر في استعارة بعض الصيغ السريانية مثل ملكوت وكهنوت . وكذلك صيغة الصفة المشبة باسم المفعول فانها منقولة عن صيغة المحد المج المفعول في السريانية كثيل وجريح .

 <sup>(</sup>١) الذكور محمد خدى البكرى – وثائق موبية بأجديات غير عربية مجلة كالية الآداب مجله ١٧ إلحزء الأول مايو ١٩٥٥ ص ٢٤

<sup>(</sup> ٢ ) تاريخ الأدب السرياني ص ١٥

<sup>(</sup>٣) تاريخ الأدب السرياني ص ٩ ، اسرائيل ولفنسون ص ١٣٧ ، ص ١٦٠

كذلك أثرت السريانية على العربية في نشأة الحركات العربية في فجر الاسلام التي ينسب وضعها إلى أبى الأسود الدؤلى في عهد على بن أبى طالب فقد استخدم أبو الأسود طريقة الشكل بالتقط عند النساطرة في وضع الشكل العربي فوضع نقطة فوق الحرف لتدل على فتحة ونقطة تحت الحرف لتدل على كسرة ونقطة فوق السطر مباشرة أو بعد الحرف الأخير للكلمة على السطر لتدل على الضمة فاذا كانت الحركة متبوعة بغنة استبدل التقطة باثنين (11) وقد نقل اليهود عن العرب هذه المطريقة في الشكل في اللغة العبرية في الأندلس ، وانتشرت ، عنهم بعد ذلك في سائر الكتابات العبرية ، وقد أشار العرب أنفسهم إلى كثير من هذا كما فعل الجواليقي في المعرب وأمثاله ممن تناولوا نفس الموضوع ولم يقتصر تأثير السريانية على العربية في المعرب وأمثاله المعرب وأمثاله الموالية قبل المعرب المسيحي على اللغة الفارسية في ذلك العصر فقط وإنما أثراء الآرامية قبل المعر المسيحي على اللغة الفارسية المتوسطة (١٢).

كذلك أثر الأدب السرياني تأثيرا كبيرا في الأدب العربي ذلك أن العرب حينا ابتدأوا يهتمون بالعلوم والفلسفة اليونانية وحاولوا نقلها إلى لغتهم كانت الترجات السريانية هي الواسطة في هذا النقل وأكثر المترجين المشهورين مثل حين بن إسحق وابنه اسحق إبن حنين وحبيش بن الأعصم ويحيى بن البطريق وابن زرعه كانوا ينقلون عن السريانية (77).

ومن المحقق أن السريانية عاشت بعد ذلك في الرها وأنها بقيت كذلك لغة الكتابة والتأليف عند علماء السريان (٤) وكانت كثرتهم تسكن بغداد وغيرها من مدن العراق أيام بني العباس ، وكانوا قد تعلموا العربية فنقلوا إليها كتبا كثيرة مما كانوا قد ترخوه من اليونانية إلى السريانية في الفلسفة والنحو والحكمة والطب وغيرها ، وبذلك كانوا ذوى فضل في نقل علوم اليونان إلى العرب ، والعلم مدين لهم بهذه التراجم المدقيقة لعدد عظم من أمهات المولفات اليونانية القيمة والتي لولاها لضاعت هذه المؤلفات . يضاف إلى خلك عدد من السجلات التاريخية المتراجم عليها الأفيزوسي وديونسيوس التلمحري ويشوع العمودي

<sup>(</sup>١) أبو عمرو الداني – المحكم في نقط المصاحف ص ٤

<sup>(</sup>۲) اسرائيل ولفنسون ص

<sup>(</sup>٣) ثاريخ الأدب السريان ص ١٤

<sup>(</sup> ٤ ) نولد که س ٣٣

وميخائيل السريانى وابن العبرى ، فبدون هذه السجلات ما استطعنا أن نصل إلى كل ما وصلنا إليه من معلومات عن تاريخ الكنيسة وعن كثير من الحوادت السياسية التي وقعت أثناء حياة المؤلفين (1) .

لم يطل العهد باللغة السريانية بعد ذلك فقلت العناية بدراستها بعد فترة وجيزة ولم تعش إلا بين عدد قليل جدا من المثقفين الذين أرادوا أن يستعملوا تلك اللغة في تاليفهر وخاصة في الكنيسة .

وفى أثناء القرن العاشر قامت نهضة أدبية كانت بمثابة رد فعل الثقافة العلمية فى العراق العربي ، وبعد أن كان السريان قادة العرب فى العلوم الفلسفية عادوا فخضعوا لتأثير المدتية العربية وبقيت السريانية لغة مدرسية إلى جانب العربية التي كانت لغة التخاطب. وكانت مراكز هذه النهضة عند اليعاقبة فى الأديرة المجاورة للرها : فى ملطية وطور عبدين وشال ماردين ، وعند النساطرة فى نصيبين وتكريت والمقاطعات الواقعة شرق اللجلة ، واختلط عدد من اليعاقبة بالنساطرة فى هذه الأقالم ، وكونوا مدرسة مشتركة حيث اختلط التراثان (٣) . وقد أعاد يوحنا أسقف قرتمين استعال الكتابة الأسطرنجيلية فى طور عبدين بعد أن كانت قد ماتت فيا منذ نحو من ماثة عام (٣) .

تبدلت الحالة في القرنين الثانى عشر والثالث عشر فبعد أن كانت الكتب تترجم من السريانية إلى العربية في صدر الاسلام أصبحت تترجم من العربية إلى السريانية في هذه الفترة وإذا بابن العبرى ومعاصريه يترجمون كتب ابن سيئا والفخر الرازى وأضرابهما من فلاسفة المسلمين من العربية إلى السريانية (4).

كذلك امتازت هذه الأرمنة الأخيرة بظهور عدد كبير من المفسرين والنحاة الذين يعكسون فيا يتعلق بالنحو مناهج المدارس العربية الشهيرة في البصرة والكوفة وأشهر المفسرين عند السريان قاطبة هو ابن الصليبي وأشهر نحاتهم في هذه الفترة هو ابن العبرى. ولم يكن السابقون عليه من فرقته أو من النساطرة عالجوا إلا أجزاء

<sup>(</sup>١) تاريخ الأدب السرياني ص ١٤

<sup>(</sup>۲) در قال ص ۹ ، ص ۱۱

<sup>(</sup> ۳ ) هاتش ص ۲۲

<sup>( ۽ )</sup> تاريخ الأدب السرياني ص ١٥

خاصة من النحو . وقد أعطانا ابن العبرى فى مؤلفٍ قيم جدا مذهبا كاملا ذكر فيه الفروق الأساسية فى التقاليد واللهجات السريانية ، وفى كل هذا نجده يتيع ! عن قرب تقاسيم النحاة العرب ، وقد انخذت هذه الكتب النحوية نموذجا احتلته الله الكتب التى ألفت فيا بعد ، وقد أخذ عنه المارونيون أكثر قواعدهم ۵

بنهاية القرن الثالث عشر انقرض استعهال اللغة السريانية تقريبا وإن ظلت دراستها باقية إلى اليوم في قليل من الأديرة ، كما لم يبق منها إلا بعض البقايا في بعض نواحي العراق الشهالية في عدد من البلدان فيها بين بحيرة أورميا وبحيرة فان حيث يقيم بعض النصارى من النساطرة ويسمونهم بالأشوريين ، وفي شمال الموصل حيث يوجد بعض آلاف من اليهود يعيشون على فلاحة الأرض . وفي طور عبدين ت وهي نواح جبلية في البلاد الفارسية حيث يقيم بعض اليعاقبة . وبعض لهج*ات في* ثلاث من مدن سوريا منعزلة بعضها عن بعض الأولى مسيحية وهي معلولة ، والثانيتان سكانهما من المسلمين وهما جبعدين ونجعة . ولكن لهجات هذه المبلاد تختلف كثيرا عن اللهجات القديمة إذ أنها جاورت جهات تأثرت بلهجات تركية وعربية وفارسية وأردية ؛ ومن أهم هذه اللهجات لهجة الفلليخي وهي لهجة يتكلم بها قرب الموصل ، ولهجة طور عبدين ولهجة بجيرة أورميا ، وكالها لغات يتكلمها غير المثقفين وليست لغات أدبية (١) غير أن المبشرين الأمريكيين قد اجتهدوا في القرن الماضي في استخدام هذه اللهجة في الكتابة فترجموا إليها بعض الكتب وخاصة الانجيل وألفوا فيها ــكما يفعلون منذ قرن في اللهجات الحامية الموجودة في جنوب السودان ــ ولكن هذه الحركة قد فشلت <sup>(۲)</sup> وبذلك يكون الستار قد أسدل على تلك اللغة التي عاشت زمنا كانت فيه لغة دولية لأرقى أم الشرق الأدنى د ونستطيع بعد ذلك السرد لأصل هذه اللغة وتطورها أن نذكر باختصار

١ - مؤلفات تحتوى على تراجم وتفاسير في كتب النوراة والأناجيل لكثير
 من فحول القسيسين والعلماء

المؤلفات التي ظهرت فيها (٣٠ .

<sup>(</sup>١) ولفنسون ص ١٥٩

<sup>(</sup>٢) تاريخ الأدب السرياق ص ١٦

<sup>(</sup> ۲ ) اسرائيل ولفتسون ص ۱٤٨ و ١٤٩

 ٢ ــ مؤلفات تحتوى على مجادلات بين أساطين الطائفة النسطورية وبين قادة الفكر من أصحاب المذهب اليعقوبي . وبسبب الخلاف بين هذين المذهبين كثر التأليف ، وكان هذا الخلاف في بادىء أمره سياسيا أكثر منه دينيا .

 ٣ ــ مؤلفات تحتوى على شرائع وقوانين مستمدة من التوراة والانجيل والحياة القومية وطائفة من القصائد الدينية كان يترنم بها في الكنائس.

 ٤ ــ مؤلفات في تاريخ الكنيسة السريانية وأبطالها ، ومن هذا النوع مصنفات يظن أنها لا تزال مدفونة في الأديرة والصوامع لم تقع عليها أعين الباحثين .

مؤلفات في الفلسفة والطب والعلوم والطبيعة والفلك والحساب والكيميا
 والجغرافيا ، ويضاف هذا النوع إلى المؤلفات التي نقلت عن اليونانية إلى السريانية
 بما نقل بعد إلى العربية .

٣ -- مؤلفات في الجدل بين المسيحية والاسلام .

#### اهم الراجع الاجنبية

- Baumstark, Geschichte der syrischen Literature, Bonn, 1922.
- Brockelmann, Die syrische und die christlich-arabische Lätterature, p. 1.—74.
- Duval, La Litterature Syriaque, 3.ed., Paris, 1907, Grammair Syriaque, Paris, 1881.
- Hatch, An Album of dated Syriac manuscripts, Boston, Massachusettes, U.S.A., 1946.
- Nöldeke, Conpendious Syriac grammar, transl. into English by James A. crichton, London, 1904.

٣ -- أسرائيل ولفنسون -- تاريخ اللغات السامية -- القاهر ة -- ١٩٣٩

٧ – جبريل القرداحي – المناهج في النحو والمعانى عند السريان – طبعة ثانية – روما – ٩٠٩

 ٨ - الدكتور محمد خلى البكري - وثائق عربية بأجليات غير عربية - مجلة كلية الآداب جاسمة القاهرة مجلد ١٧ : ١ ص ٢٣ - ٤١ - القاهرة - ١٩٥٩

 ٩ - الله كتور محمد حملي البكري و الله كتور مراد كامل - تاريخ الأدب السرياني ، من أقدم عصوره إلى اللخح العربي القاهرة - ١٩٤٩

Printed by Cairo University Press,

ALY ASSEM

Director

mit ausdruecklichen Worten ihren Abstand von den in der Aussage unvermeidlich mitgegebenen Wertungen kenntlich zu machen und durch einschraenkende Wendungen, waehrend sie die einen Wertungsvorgaenge durch ihre Aussage notwendig in Bewegung setzen, zugleich auf die Moeglichkeit anderer Wertungsvorgaenge gegenueber den bezeichneten Erscheinungen hinzuweisen. Der Anspruch auf wertfreie Aussagen (sogenannte «objektive» Aussagen) ist, trotz seiner weiten Verbreitung besonders auch in den Wissenschaften, von der Sprache her gesehen eine ebenso wahnhafte wie gefaehrliche Ideologie. Redlichkeit der Aussage und damit echte Objektivitaet laesst sich nur erreichen, wenn man die Wertungen, unter denen man sprechen muss, nicht, im Wahne «objektiv» naemlich wertungsfrei sprechen zu koennen, verschleiert, sondern sie sich selbst und den Aufnehmenden tunlichst fuehlbar und einsehbar macht und damit die mit sprachlicher Notwendigkeit in jede Aussage mit einsprechende wertende Subjektivitäet kontrollierbar in das Kalkul der Aussage einsetzt.

Wer diese Lage erfasst hat, wird offen sein fuer eine Erforschung des eigentlichen Wortlebens, fuer das Zusammenarbeiten, ja man koennte sagen das Zusammentanzen der Worte in ihren Stammeszusammenhaengen, ihren Sinnzusammenhaengen und ihren Bildungszusammenhaengen, fuer ihre Zusammenarbeit mit ihren Gegensatzworten, den bewusst vergegenwaertigten und den unbewussten aber nicht ungekannten. Denn jedes Wort sieht bei jeder Verwendung in naeherem oder fernerem Zusammenhang mit seinen Stammverwandten, auch wenn sie in ganz anderen Sphaeren taetig sind, mit seinen Sinnverwandten, die im gleichen Sinnbezirk und in nachbarlichen Sinnbezirken arbeiten und ihre Bezeichnungstaenze um die Erscheinungen ausftuhren, und mit seinen Sprachmoeglichkeiten durch Ableitung, Zusammensetzung, Substantivierung, Adjektivierung, Verbalisierung hervorgebracht wurden, und mit seinen Partnern, die zur Bezeichnung des Gegensaetzlichen mit ihm den Contretanz um die Gesenstande der Bezeichnung aussfuhren.

Vielleicht ist sogar den Lesern dieser Ausfuehrungen Lust und Antrieb gewachsen, der Brforschung dieser Zusammenhaenge weiter zu folgen, was ein unveraechtliches Ergebnis einer Einfuehrung waere, wie sie in diesen Darlegrungen versucht wurde.

wertender Weise zu wirken beginnen. Schon allein der Ton einer Aussage, den man ja auch beim Lesen von geschriebener oder gedruckter Sprache wirklich vernehmen kann oder aber unerlaesslich zu erraten suchen muss, weil man sonst den Bedeutungsgehalt der Aussage einfach nicht erfassen kann, so sehr macht der Ton die Musik, schon allein der Ton einer Aussage kann ihr etwa den Charakter einer Behauptung, einer geaeusserten Ueberzeugung oder den Charakter zweifelnder Andeutung, schwebender Ironie oder irgend einer anderen Verhaltungslage geben, kurz er kann, ja er muss eine Stellungnahme des Sprechenden zu dem von ihm Gesprochenen ausdruecken, naemlich in wie weit er sich mit dem Ausgesagten identifiziert (sich, wie man sagt, «dahinterstellt») oder wie weit er sich vom Ausgesagten selbst distanziert zurueckhaelt, vor ihmverwahrt. Jede noch so kunstreiche Bemuehung, im Ton einer Aussage die im Aussagenden wirksamen Wertungen nicht hervortreten zu lassen, kann doch hoechstens dazu fuehren, dass der Aufnehmende entsprechend kunstreich vorgehen muss, um diese Wertungen dem Ton der Aussage zu entnehmen. Ein wirklich wertungsfreier Sprachton ist nicht moeglich, weil die wertende Funktion eo ipso zum Sprachton gehoert und ein wirklich «tonloses» Sprechen nur ein Nichtsprechen sein koennte.

Aus all dem ergibt sich, dass die Erkenntnis vom Stande des Menschen in seinen Worten und zu seinen Worten noch eine ganz besondere Bedeutung fuer denjenigen hat, der Wissenschaft treibt und damit fuer die Wahrhaftigkeit und Redlichkeit seiner sprachlichen Aeusserungen in besonderer Weise verantwortlich wird. Nichts erscheint bedenklicher als jene besonders auch in den Wissenschaften weitverbreitete Wortbetrachtungsart, die es, ohne sich um die Tatsachen des Sprachlebens viel zu beknemmern, fuer die ausgemachte Aufgabe der Worte haelt, dass sie gemeinte Gegenstaende welcher Art auch immer festlegend (fixierend) bezeichnen und feste (fixierende) Begriffe bilden sollen, unter denen sich diese Gegenstaende summieren und mit deren Hilfe sie sich behandeln (manipulieren) lassen. Einen Begriff zu bezeichnen, der sich definieren laesst, erscheint diesen Wortbetrachtern als das Ideal der Wortleistung schlechthin. Aber die sogenannte Definition eines Begriffes ist, abgesehen davon, dass sie gar nicht moeglich ist, sprachlich gesehen ein widersinniges Unternehmen. Der Begriff wuerde ein totes Gehaeuse, das nichts mehr in sich begreifen koennte, wenn er sich definieren liesse. Er lebt davon, dass er sich nicht definieren laesst, er wuerde sonst im eigentlichen Wortsian definiert, naemlich beendet und unbrauchbar. Wirkliche Sprachgenauigkeit ist nur moeglich, wenn man von der schwebenden Offenheit der Wortgehalte weiss und die Worte diesem Wissen gemaess gebraucht und aufnimmt

Bezeichnend ist, wie oft gerade sorgsams und sich fue ihre Aussage verantwortlich fuehlende Sprechende das Beduerfnis haben, nicht nur im Ton, sondern

Die Erkenntnis dieser Lage ist fuer alle Sprechenden und fuer alle Sprache Aufnehmenden bedeutsam genug. Denn wenn man leicht einsehen kann, dass die entscheidenden geistigen Lebensvorgaenge entweder ueberhaupt Wertungsvorgaenge sind oder doch immer Wertungsvorgaenge mit enthalten, so muss man sich bei allen Sprachueberlegungen unerlaessich klarmachen, dass im ganzen Sorachleben und besonders in der Wortbildung und beim Wortgebrauch,naemlich beim Anwenden der in den Worten lebenden Gehalte und beim Neu-Laden der Worte mit Gehalten den immerfort wirksamen Wertungsvorgaengen eine grundsaetzliche Bedeutung zukommt. Denn Wertungsvorgange sind schon mit der Sorache, mit dem Sprechen selbst gegeben. Man koennte die Formulierung aufstellen: Sprechen ist in bestimmtem Sinne immer schon ein Werten. Indem man etwas ausspricht, das heisst Erscheinungen in Worte verwandelt, in Sprache transformiert und transsubstantiiert, hebt man sie aus der Menge des in diesem Augenblick nicht Ausgesprochenen heraus, hebt sie in das «aufmerksame» Bewusstsein, also aus dem auf seine Weise immer wirksamen «stillen» Bewusstein heraus und wertet sie, positiv oder negativ, je nach dem Ursprung oder Anlass des Sprechtriebes, schon allein durch dieses Aussprechen.

Zu diesem allgemeinen, schon mit dem Sprechen selbst gegebenen Wertungsvorgang treten bei der ueberwiegenden Zahl sprachlicher Aeusserungen noch verschiedenartige gewollte und ungewollte, nicht zu vermeidende Sonderwertungen. Das haengt einmal damit zusammen, dass in allen Worten, die wir verwenden, aus der allgemeinen oder besonderen Sprachueberlieferung her, schon Wertgehalte. Wertladungen wirksam sind, die sich bei der neuen individuellen Verwendung nicht ohne weiteres ausschalten lassen, und ja auch bei der bewussten und vor allem bei der unbewussten Wortwahl des Sprechenden eine entscheidende Rolle spielen. Sehr oft verraet der Sprechende seine eigentliche Gesinnung, und zwar gerade auch dann, wenn er sie beim Sprechen verbergen moechte, durch seine unbewusste Wortwahl. Zum zweiten aber haengt dieses unvermeidbare Hinzutreten von Sonderwertungen beim Sprechen mit der den Worten innewohnenden oder ihnen neuzuverleihenden Bezeichnungskraft zusammen. Bezeichnung (Signification) kann immer nur von einem Blickpunkt her geschehen. Jede Erscheinung aber sieht von verschiedenen Blickpunkten aus betrachtet sehr verschieden aus, und indem man einen Blickpunkt fuer die Bezeichnung wachlt, vollzieht man schon eine Wertung und setzt weitere Wertungsvorgaenge bei sich selbst und bei den Aufnehmenden in Bewegung. Die ausdruecklich im Sprechen kundgegebenen Wertungen sind also gleichsam nur die Wellengipfel, die sich aus einer immerzu mitwogenden Flut von Wertungsvorgaengen herausheben.

Zu beachten bleibt da bei, dass die Bezeichnungskraefte der Worte auch noch durch den «Ton», in dem man sie ausspricht, in jeweils besonderer und zwar in Sprache und seine eigentlichen Worte zu schonen. So wird er vielleicht ein Sprachfreund.

Sicher aber ist, dass seine Individualsprache, auf so viele Weisen geworden und abgewandeli, eine immerwachrende Nutznieszung dessen i.t, was andere vor ihm und mit ihm gesprochen haben und sprechen und zugleich, in allen ihren wechrelnden Leistungen, ein - sein Beitrag zum grossen Sprachleben, das weit ueber ihn hinausreicht.

Der aufmerksame Leser wird, wachrend er die Schilderung des einen sprachlichen Lebenslaufs las, selbst bemerkt haben, dass sich auch tausend und wieder tausend andere solche Lebenslaeufe finden, denken und schildern liessen. Br sieht aber schon an diesem einen Beispiel, das aus so vielen, die sich bieten wuerden, herausgegriffen wurde, den ganzen paradoxen Stand des Menschen zu seinen Worten und in seinen Worten. Der Mensch empfaengt seine Worte von anderen - und macht sie doch selbst! Er kann neue Wortkoerper bilden - aber doch nur mit den Mitteln, die ihm eine neberlieferte Sprache zur Verfuegung stellt. Er kann vor allem den uebernommenen Worten neue Gehalte und neue Gehaltsnuancen geben - und bleibt doch dabei an die schon in den Worten gegebenen Gehalte und an das schon lebende Leben der Worte in einem grossen Bezeichnungsspiel gebunden. Ja, er kann nicht einmal wissen, wie weit er den neuen Wortgehalt und die neue Bezeichnungskraft selbst in die kleinen Klangkoerper einbringt, und wie weit dieser Gehalt und diese Bezeichnungskraft schon in diesen Klangkoerpern als Moeglichkeit vorhanden waren und sich ihm nur neu offenhart haben.

Der Mensch empfaengt seine Worte von anderen, die sie selbst wieder von anderen empfangen und zu den ihren gemacht haben. Er findet sich in Sprachund Wortgemeinschaften, grossen, ganze Voelker und ganze Kulturzonen umfassenden, und kleinen und kleinsten, in menschlich oder beruflich oder 
gegenstaendlich bestimmten Verbindungen begruendeten - und steht doch wieder 
mit seinen Worten, die neu durch ihn leben und so nur fuer ihn leben, ganz allein 
und ganz fuer sich.

Er bezeichnet mit seinen Worten, was ihm, aussen und innen, begegnet, und hat es in ihnen zum zweiten Mal, aber er hat es doch nicht als ein Festes und in festem Besitz, sondern in einer eigentuemlichen Schwebe, die allen Veraenderungen dieses Besitzes offen bleibt, und die Lebendigkeit seines Geistes, seines Brkennens, seines Weltergreifens, seines ganzen Inneren ist von diesem Offenbleiben abhaengig, ja kommt nur durch dieses Offenbleiben zustande, und wenn sich diese ebenso fruchtbare und beglueckende wie beunruhigende Offenheit schloesse, wuerden sein Geist und seine Seele erstarren und absterben.

von seinem Zutun und von erworbener Uebung ist - wenn er gewahr wird, dass sein ganzes Bewusstsein wortgebunden, dass seine Bewusstseinsschwelle eine Wortschwelle ist, und dass sein Bewusstseinsschwelle eine Wortschwelle ist, und dass sein Bewusstseinsstrom, der vielberedete stream of consciousness, immer in Worten, deutlicheren und undeutlicheren, vor sich geht - wenn er schliesslich gewahr wird, dass er nie, ausser im traumlosen Schlaf, ohne Worte lebt, und dass, wie sein kærperliches Leben von seinem Blutspiegel, sein seelisches und sein geistiges Leben von seinem Wortspiegel abhaengt, sich in diesem Spiegel ausdrueckt und ihn in sich ausdrueckt, dann wird ihm sein eigenes Sprachverfahren und sein Verfahren mit den Worten wichtig und immer wichtiger, und er verbindet mit seinem unwilkuerlichen Sprachgebrauch und Wortgebrauch einen gewollten, gezielten und gekonnten.

Und die Lust am Sprachverfahren und Wortverfahren und am Wortesetzen steigert sich noch, wenn er entdeckt, dass eine gehobenere Existenz nur moeglich wird, wenn man das Selbstverstaendliche nicht mehr ausspricht sondern nur das Nichtselbstverstaendliche, und dieses nur abgekuerzt, andeutend und pointiert und nicht so lange ausgeredet, bis daran nichts mehr zu verstehen, nichts mehr zu erraten bleibt. Er entzieht sich drohender Gewoehnung und drohender Bequemlichkeit im Wortgebrauch: den Phrasen und Halbphrasen, den Floskeln, den sich immer leicht anbietenden Gewohnheitskonstruktionen der Saetze, und mit dieser Entdeckung oeffnet sich sein Sinn nicht nur fuer gepraegten, gehaltgeladenen Ausdruck, der die Fruchtbarkeit des Geistes im Hoerenden und im Sprechenden selbst hervorruft, sondern auch fuer von mal zu mal und von Menschen zu Menschen wechselnde Individualsprachen, Kotteriesprachen, Zirkelsprachen zwischen Zweien und Einigen und Gruppen, fuer eine Art von geistigem Rotwelsch, in dem Sinne, dass auch hier die Redenden ihr gemeinsames Metier, ihre gemeinsame Art der Lebensbewaeltigung und Weltbewaeltigung so gut kennen, dass sie sich als Wissende in abgekuerzten Sonderworten und Sonderwendungen ueber Situationen, Absichten und Moeglichkeiten, die dabei auftreten, und ueber ihre Beurteilung verstaendigen koennen.

Aber nicht nur die Unerschoepflichkeit der Sprache und des Wortlebens kann unserem Freund nach seinen Spracherlebnissen ins Bewusstsein treten, sondern auch ihre Erschoepflichkeit, ihre Begrenztheit, ihre Gefaehrdung durch Verbrauch. Und mit der Entdeckung dieser Gefaehrdung wird sich, neben der durch seine Sprachbust gesteigerten Wortkuehnheit, auch seine Sorgsamkeit in der Sprach-und Wortverwendung steigern. Hat er einmal zusammengezogen, praegnant und neuartig gestaltet, Konventionelles bei seinem Sich-Ausdruccken ausgeschlossen, so laesst er nun auch wieder locker, laesst sich eine leichte, halb leere, ja banale Wendung hingehen, und gebraucht - aber freilich laechelad - das Konventionelle, um seine eigentliche

Frenndes, mit sich wiederholenden und mit neuen Worterlebnissen der angedeutenden Art und mit deren Auswirkungen fuer seine Individualsprache.

Und nun glaube ich, kann der Leser sich das Weitere schon selbst ausdenken, und sich ausmalen, was unserem Freund in seinem sprachlichen Lebenslauf noch alles begegnen kann, oder was er ihm begegnen lassen will. Der Leser kann zum Beispiel noch eine Berufssprache auf unseren Freund und sein Wortleben wirken lassen, foerdernd oder hemmend, bereichernd oder einschrumpfend und erstarren machend, denn einen Beruf hat er inzwischen ergriffen und uebt ihn aus. Er kann ihn dann etwa noch die Verwaltungssprache (auch eine oft nicht unwichtige Sondersprache) begegnen lassen, denn da unser Freund ein Mann von einigem Freiheitssinn ist, muss er sich oft mit der Buerokratie, von welcher Art auch immer, auseinandersetzen, muss sie zu benutzen, zu bekaempfen und einzudaemmen trachten und dabei, als eines seiner Mittel, auch ihre Sondersprache benutzen.

Wir koennen unseren Freund dann in eine Ehe fuehren und ihn zugleich die bedeutsame sprachliche Ehe mit seiner Frau eingehen lassen und ihn dem Wortwesen seiner Kinder gegenueberstellen, sowie seine Eltern dem seinen gegenuebergestanden haben. Wir koennen ihm noch viele neue Sprachwandlungen und Sprachstufen und Neuentfaltungen seiner Worte zuschreiben und koennen seine Worte sich verfestigen, absterben und erstarren lassen. Wir koennen ihn selbst sterbend ganz vergehen lassen oder wir lassen ihn nach dem irdischen Tode weiterleben und noch die Engels-oder die Teufelssprache Iernen und vielleicht gar ein paar Broeckchen der Gottessprache, wobei ihm dann sicher seine irdische Sprach-und Wortexistenz in einem neuen Lichte erscheinen wuerde.

Das also darf dem Leser und seiner Phantasie ueberlassen bleiben, die sich vielleicht am bisher Dargelegten schon fuer die Moeglichkeiten des Sprachund Wortlebeas geschult hat. Nur ueber zwei der fuer unsern Freund noch moeglichen oder wahrscheinlichen Sprach - und Worterlebnisse soll noch kurz etwas angedeutet sein:

Es kann, frueher oder spaeter, ein bewusstes Verhaeltnis zu seinen eigenen Worten in ihm entstehen und eine Lust an diesem Verhaeltnis. Wenn aber diese Sprachlust und Wortlust einmal in ihm erwacht und dann, wenn auch manchmal verebbend, zu einer seiner starken Regungen wird, wenn er merkt, wie leicht ihm die Worte oft hervorspringen, wie blitzschnell sie sich bewegen und alles ergreifen und verwandeln koennen, wie sie auch wieder zoegern, versagen und sich verweigern koennen, sodass man sie zwar gebrauchen kann, sie sich aber im Gebrauch nicht mit Gehalt fuellen und keine Bezeichnungskraft ausueben-wenn er weiter bemerkt, dass dieses Wortfluten und Wortebben nicht ganz unabhaengig

ihnen unwillkuerliche Einfaelle schon in der andern Sprache kommen, dass sich sogar eigene Verse in dieser Sprache in ihrem Munde bilden. Sie empfangen sehr viel fuer ihre eigene Sprache durch dieses Wohnen in einer anderen. Ihr Wortleben insbesondere empfaengt viele neue Elemente und Moeglichkeiten, und sie machen - spracherregt - etwas Eigenes aus dem Empfangenen, bringen das hervor, was die Wissenschaft Lehnschoepfungen nennt. Die Fruchtbarkeit und freilich auch die Gefahr der Sprachberuehrung wird in ihrem Wortleben sichtbar: es kommt zur Uebernahme von Fremdworten, die im Sprachspiel wegen ihrer Reize oder wegen ihrer Unuebersetzbarkeit oder einfach, weil sie nichts Adaequates in ihrer eigenen Sprache finden, in fremder Form festgehalten und vielleicht sogar nach fremden Sprachregeln behandelt werden. Es kommt zu Lehnworten, die in die eigene Sprache auf verschiedene Weise eingemeindet und in ihr abgewandelt werden. Es kommt zu Lehnuebersetzungen, das heisst zur Bildung von Worten und Wendungen in der eigenen Sprache, die fuer Gehalte stehen und Gehalte bezeichnen, die man in der andern Sprache kennen gelernt und an denen man Anteil genommen hat. Und es kommt zu eben jenen schon genannten Lehnschoepfungen, in denen, gleichsam im Wettkampf mit der anderen Sprache, in der eigenen entsprechende, ja womoeglich an Bezeichnungskraft und and Fuelle noch staerkere Worte und Wendungen gefunden werden,

Nach solchen Spracherlebnissen bleibt diese andere Sprache vielleicht lebenlang eine Begleiterin unseres Freundes neben seiner eigenen, bietet ihm eine Sprachwelt und Wortwelt, in der er seinen Geist erfrischt, aus der er immer wieder heruebernimmt und in die er hinuebergibt. Denn der Sprecher einer zweiten Sprache empfaengt nicht nur, er kann denen, die sie als erste sprechen, auch wieder vieles zurueckgeben, indem er, unwillkuerlich und willkuerlich, ihre Sprache nach der seinen behandelt und ihr dabei Neues an Worten, inneren Wendungen und Bezeichnungskraeften zubringt. Unser Freund aber erfachrt bei dieser Begleitschaft seines aeusseren und inneren Lebens durch eine zweite Sprache nicht nur die Schwierigkeiten, Kuenste, Moeglichkeiten und Nichtmoeglichkeiten des Uebersetzens und des Wiedergebens von einer Sprache in die andere, er erfachrt zugleich, dass ganz aehnliche Vorgaenge sich innerhalb der eigenen Sprache abspielen: beim Verstehen und Wiedergeben der Worte eines anderen, und beim Uebersetzen eines Gehaltes aus einer Sprachschicht oder-zone in die andere. und dass es sich auch dabei niemals um ein Finden von Gleichem, sondern immer nur um ein Finden von Entsprechendem handeln kann.

Dem Aufenthalt im einen anderssprachigen Lande folgen vielleicht andere in anderen Laendern, der Liebe zur zweiten Sprache folgt vielleicht die Liebe zu einer dritten und zu noch mehreren Sprachen. Das Begreifen der Menschen und Voelker aus ihren Sprachen und das Begreifen ihrer Sprachen aus ihren Leben wird vielleicht ein fortlaufender Zug in der sprachlichen Existenz unseres

noch feiner zu nuancieren. Bei dem allen will und muss er die Fachsprache seiner Wissenschaft und anderer Wissenschaften lernen und muss sich, hoerend. lesend, schreibend und discutierend, auf die Wissenschaftssprache (eine neue Sondersprache) einlassen und sie sprechen und schreiben lernen. Mitten in diesen fuer seine Individualsprache und ihre Schichtungen nicht unbedeutenden Sprachbewegungen findet er einen Freund, der das gleiche oder ein anderes Fach studiert. Sie finden sich in gemeinsamen Interessen innerhalb und ausserhalb der Wissenschaft, in gemeinsamen Auffassungen und Erlebnissen auf vielen Gebietenoder sie treffen gerade in den Gegensaetzen ihrer Interessen und Auffassungen aufeinander, die durch den persoenlichen Anreiz und das Gefuehl der Verbundenheit jenseits aller Gegensaetze ueberspannt werden und ihnen die Lust fruchtbarer Auseinandersetzungen immer neu gewachren. Ihrer beider Wortleben geht eine durch fast taegliche Gemeinsamkeit gesteigerte und ausgedehnte Verbindung ein, und sie merken bald, dass sie ausser allen anderen Sprachen und Sondersprachen, in denen sie sich, verschieden und doch verwandt, zu bewegen gelernt haben, auch noch eine Zweiersprache haben, die nur sie beide nicht aber Andere richtig sprechen und verstehen koennen, und dass die Zulassung eines anderen zu ihrer Gemeinsamkeit wenn ueberhaupt moeglich, in ihrem Grade davon abhaengig wird, wie weit er das Spiel ihrer Wortgehalte mitspielen, und wie weit er die Nuancierung der ueblichen Wortgehalte in ihrer Zweiersprache begreifen, erleben und erwidern kann.

Die beiden haben ausser vielen anderen auch literarische Interessen. Sie entdecken Literaturwerke in anderen Sprachen, die sie schon vom Hoerensagen oder aus Uebersetzungen so bewegen, dass ihr Verfangen erwacht, sie in der Originalsprache zu lesen. Und nun finden sie in der Sprache ihrer ausgewachlten, gar nicht allen andern zugaenglichen und darum ihnen selbst noch wertvolleren, anderssprachigen Autoren mit einmal ihnen wichtige Lebensgehalte viel besser, viel verwandter ausgesprochen und aussprechbar als in den Schichten, Zonen und Gliederungen ihrer eigenen Sprache, in denen sie sich bisher bewegt haben. Und ihre Zweiersprache erhaelt Zustrom ganz neuer Sprachelemente, bezieht sie ein, verwandelt sie sich an und verwandelt sich selbst auf sie zu.

Sie haben das Głueck, vielleicht im Zusammenhang mit ihren Berufen oder ihren Berufsvorbereitungen, in dem Land dieser anderen Sprache eine laengere Zeit leben zu koennen, oder sie haben den Mut, sich einen solchen laengeren Aufenthalt in den Bezirken ihrer entdeckten und orwaehlten «Fremd» sprache, die ihnen aber viel mehr eine besonders nahe und verwandte ist, zu verschaffen und nun diese Sprache nicht mehr nur miteinander sondern auch mit solchen zu teilen, die sie als Muttersprache sprechen. Sie werden soweit vertraut mit dieser anderen Sprache, dass sie nicht mehr in und aus ihrer eigenen Sprache uebersetzen muessen, wenn sie die andere sprechen oder hooren, so vertraut, dass

Zustand blicken zu lassen. Die herzhaften Ausdruccke und listigen Wendungen der Volkssprache (der Dialekte) tuen es ihm jetzt vielleicht besonders an, und er nimmt sie in seine Sprache aneignend oder nachbildend herueber. Noch mehr wendet er sich der Hochsprache zu, ihren Feinheiten und Erlesenheiten, ihrem Glanz und ihrer Wuerde. Er entzueckt sich an den Moeglickeiten der Sprachsteigerung, und bemerkt doch auch wieder ihre Grenzen und Gofahren und wird ihnen abhold. Er uebertreibt und untertreibt, um das eigentlich Gemeinte hervortreten und wirken zu lassen, um das geliebte Wesen zu erfreuen, zu gewinnen, einen Geist mit dem andern Geist ineinandertauchen zu lassen, um mit seinen Wortschaetzen seinem kostbarstem Schatz zu dienen.

Gedichte - mag er sie auch schon bisher nicht ohne Bewegung gelesen und hergesagt haben - beginnen ihm neu zu reden, ihn neu zu bewegen. Er merkt die Kraefte und die Wirkungen des dichterischen Sagens, des Nicht-aus-sagens, dass das Unausgesagte viel vielsagender und erregender ist als das Ausgesagte, dass das Weltumwandeln und Weltumsetzen der Sprache in der Dichtersprache seine Hoche erreicht, er merkt, bewusster oder unbewusster, dass das eigentliche Sprachwesen in der Dichtung anfaengt und endet. Er versucht selbst zu dichten, die rhythmische Bewegung, die sich in ihm regt, in Sprachrhythmen wiederzugeben, merkt vielleicht sogar, dass Rhythmus und Klang, ja auch der Reim, kein blosser Schmuck der Dichtersprache sind, sondern sinnversiochten, den eigentlichen Sinn des Sinnes erst ergreifbar und wirksam machen.

Wie aber ist der andere Mensch, der dies alles hervorgerufen hat und an den dies alles sich richtet? Wie nimmt er es auf? Was und wie gibt er zurueck, Br, der selbst wieder in einem eigentuemlichen Sprachlebenslauf aufgewachsen ist, und der selbst vielleicht auch gerade aehnliche Erweckungen und Neuwertungen seiner eigenen und anderer Sprach - und Wortschaetze erlebt hat? In sprachlichen Begtueckungen und Enttaeuschungen, in Sprachgelingen und Sprachversagen kann sich unter Liebenden ein Sprachleben entfalten, das alles bisher von ihnen sprachlich, das heisst aber seelisch und geistig Erlebte weit hinter sich zurueck laesst.

Indessen - wir sind noch lange nicht am Ende - ist unser Beispielfreund an die Hohe Schule gekommea. Er studiert eines oder mehrere Faecher und sieht sich noch in anderen um. Er findet, wenn er Glueck hat, wie vor ihm die Schwester, einen Lehrer der ihn anzieht, zum Beispiel einen trockenen, an dessen Klarheit und Schaerfe er die eigenen Worte messen, den eigenen Geist wetzen muss, vor dem er mit keiner vagen Aussage durchkommt, der ihn zwingt seine Wortverwendung zu praezisieren. Oder er findet einen nicht minder klaren aber wortkuehnen, der seine Sprachkraefte zugleich anreizt und loest und ihn dazu bewegt, seine eigenen Worte noch kuehner zus Sinn zu beladen und ihre Gehalte

Widerstandes, auf eine Kunstschule gezogen und in die Plastikklasse gegangen, wo sie einen begeisternden Lehrer gefunden hat, der seine Schueler lin alle Finessen nicht nur der Plastik sondern der ganzen modernen Kunstlage einfuehrt, mit den entsprechenden sprachlichen Mittelle. Bei den Begegnungen der Geschwister hat der Bruder erstaunt die Sprache und die Wortbildungen und Wortfaerbungen der Kuenstlersphaere und der Kunstsphaere (wieder eine Sondersprache) kennengelernt, und erst im Scherz und dann unvermerkt auch im Ernst selbst davon angenommen -denn er hat seine Schwester gerne, versteht sich gut mit ihr und will und muss dieses Verstehen, das ja vor allem auch auf gemeinsame Worte und auf den gemeinsamen Gebrauch der Wortkrachte begruendet ist, in der neuen Lage aufrecht erhalten.

Indessen hat er, der Bruder, schon seit længerer oder kuerzerer Zeit begonnen Briefe zu schreiben und Briefe zu beantworten. Zunaechst hat er halb gemusste geschrieben: an Eltern und Verwandte, Paten und sonstige Respektspersonen, dann schon mehr getriebene und gewdite an Freunde und Freundinnen - endlich Liebesbriefe. Er liebt egluecklich oder unghecklich, und - grausamer oder rettender Weise ist das fuer sein Sprachwesen und sein Wortwesen gewissermassen gleichgewichtig, fast gleichviel, wenn nicht sogar bei so manchem die unglueckliche Liebe sprachlich ergiebiger wird, weil manche Menschenarten sich im Glueck leicht absaettigen und unproduktiv werden. Er liebt, sagten wir. Er sieht die Welt verwandelt und sieht ein Wesen, das sie ihm verwandelt. Jetzt glaubt er die Urgruende des Menschseins und des Weltseins erst richtig gewahr zu werden, die eigenen Kraefte und Abgruende, Leibes und der Seele, erst richtig zu fuehlen. Alles bisher Gewohnte kommt ihm unbefriedigend, des Eigentlichen ermangelnd, ja vielleicht arm und blass vor. Die bisher noch still uebernommenen

Er hat andere Aengste, andere Erhebungen, andere Gebete. Er hat Wuensche Begehrungen, Ziele, bei denen er fuehlt, dass seine Existenz von ihrer Brfuellung, ihrem Erreichen abhaengig ist. Er rafft alle seine Sprachkraefte und Wortschaetze zusammen um sich auszudruecken, um das geliebte Wesen und dessen Worte zu verstehen, um sich selbst zu verstehen und sich diesem geliebten Menschen verstaendlich zu machen. Er empfindet ein Ungenuegen an allen bisherigen Worten und ein neues Genuegen an neu gelingenden Worten. Er merkt, mehr als je vorher, dass es verschiedene Worte gibt, niedrige und hohe, bis an den Rand zu fuellende und leer bleibende, dass Worte absinken und dass Worte sich verwandeln und steigern koennen. Er gewahrt die Sprachschichten und merkt, dass in jeder die Worte von anderen Gehalten bewohnt werden und zu anderen Bezeichnungen fachig sind. Die gewoehnliche Umgangssprache wird ihm laestig ja widerwaertig, und wird ihm doch wieder muetzlich und lieb, um sich darin zu verbergen und niemand Unzastaendigen und Stoerenden, in seinen erhoehten.

Hebereinkunft handelt, und dass es (wie Goethe kraeftig gegen einen Grammatikolaeubigen demonstriert) die Grammatik in der Wirklichkeit der Sprache gar nicht gibt, sondern dass sie eine Erfindung der Grammatiker ist, die natuerlich oft geneigt sind, sie aus einem beschreibenden Hilfsmittel und Uebereinkunftsmittel in einen Gesetzeskodex i mzudeuten und die Sprache wie in ein Prokrustesbett hineinzulegen und darin zurechtzustrecken und zurechtzuhacken, oder ihre Grammatik der Sprache als ein Art Schlafrock anzuziehn, um nicht von der lehendigen Schoenheit des Sprachleibes und von seinen regsamen Gliedern beunruhigt zu werden. Zugegeben, dass es nicht leicht ist, Einzuweihenden von jungen Jahren das Nuetzliche dieses Hilfsmittels der Grammatik einsichtig zu machen, und ihnen einleuchtend zu machen, wie sinnvoll es doch auch sein kann, gegen alles leicht aufkommende ausbruechige Wesen wohlgeschuetzte Sprachkonventionen zu ueberliefern und sich ihnen zu unterwerfen, da man ia sein geistiges Blut, sein Sprachblut, ebenso wie sein leibliches Blut, ab und zu auch ruhig in seinen Bahnen kreisen lassen muss und nicht immerzu wallen, brausen und stuermen lassen kann und nicht immerzu verspritzen oder fuer hohe oder minder hohe Ziele vergiessen.

Wie dem allem aber auch sei, die Sprachsystematik der eigenen und mancher anderen Sprache wirkt auf das Sprach-und Wortleben des Aufwachsenden ein, und diese Einwirkungen werden wieder von ihm teils willig aufgenommen, teils mit Gegensetzungen erwidert und umgestaltet.

Nach der Schule kommt unser Heranwachsender (nehmen wir einmal an, er sei maennlichen Geschlechtes und von kraeftiger Konstitution) zu den Soldaten. Hier lernt er, wollend oder nicht, eine Sondersprache, die Soldatensprache kennen, die wieder ihre Schichten hat, von den Befehls-und Unterrichts-und Waffenerklaerungsfloskeln der Offiziere und Unteroffiziere bis zu dem Wortschatz, in dem sich die sogenannten Mannschaften verstaendigen und unterhalten. Mitsoldaten aus ganz verschiedenen Landesteilen und Lebensschichten sind nah um ihn, er lernt den Wortschatz verschiedener Staemme und Staende auf die besondere Weise kennen, die ein solches Zusammenleben mit sich bringt, und erwidert auf dieses vielfaeltige Wortwesen auf seine Weise. Er befreundet sich mit einem einfachen, aber wegen seiner Sauberkeit und Redlichkeit ihm besonders sympathischen Kameraden, dem Sohn eines einfachen Foersters. Dieser Freund ist ein leidenschaftlicher Jaeger und nimmt unsern Freund auf Urlauben in seine Heimatfoersterei und zum Jagen mit. Unser Freund lernt cine weitere Sondersprache von ganz anderer Art, naemlich die Jaegersprache und deren Wortschatz kennen, lieben und verwenden, und in seine Individualsprache auf verschiedenen Wegen uebertragen.

Aber unser Beispielfreund hat auch noch eine Schwester. Die hat von kleinauf kuenstlerische Regungen gehabt und ist indessen, trotz elterlichen

werden muss, mit denen man die verschiedenen Lernstoffe anpacken kann, mit Einsprengungen von natuerlicher und kuenstlicher, grader oder schraeger Terminologie-und dass zum zweiten gewisse Sprachkonventionen ueberliefert werden, in denen omans sich ausszudruecken hat, wenn man erreichen will, dass der andere denkt, man habe ihn verstanden, und er verstehe auch wieder, was man meint. Dieses Scheinverstehen ist ein wichtiges Moment im menschlichen Umgang. Daneben aber ist das Schulkind den Worten und Saetzen seiner Mitschueler ausgesetzt und in sie hineingestellt, die wieder aus ganz anderen oder aus aehnlichen Sprachkinderstuben hervorgegangen sind, und dem Jargon oder den Jargonen, die sich in einer Schulklasse unter Schuelern herausbilden oder mit ihren Wortbildungen und ihrem Wortgebrauch von Klasse zu Klasse uebergehen.

In dieser Schulsprache und Schuelersprache sind auch wieder nicht wenige Moeglichkeiten zur Vielfalt des Wortlebens geboten, und auch hier bildet das Kind, bei aller Uebernahme, doch auch selbst, auswaehlend bei der Annahme, vorbeigehenlassend und abstossend, weiter an seiner eigenen Sprache, seinem eigenen Wortwesen und Wortgebrauch. Und es richtet, unter Einwirkung der Eltern, die die Schulsprache noch einmal lernen muessen, denn inzwischen hat sie sich veraendert, und unter Einwirkung von Lehrern und Mitschuelern. doch zuletzt selbst in sich die Worte der Schulsprache und der Schuelersprache und die Worte seiner Familien - und seiner Kindersprache miteinander und gegeneinander aus. Ausserdem spielt aber das Kind auch noch, und spielt nicht nur mit seinen Mitschuelern und mit Kindern gleichen oder aehnlichen Standes, sondern auch mit so manchen Kameraden ganz anderen Standes: von der Gasse oder vom Haus, von Nachbarhaeusern und Nachbargaerten, die ihm ihre Spracherlebnisse und ihr Wortwesen zutragen. Es kommt in den Ferien aufs Land, aufs Dorf, lernt Dialektworte und Dorfworte, in denen laendliche Lebensauffassungen wirksam sind, und taucht sich vielleicht beglueckt in ein derbes Wortelement, das ihm gemaesser duenkt als die Sprache, die es ia nun auch immer mehr lernen soll und gezwungen lernt, nicht mehr nur lernbegierig und lernlustig sich aneignet. Und es haelt vielleicht mit besonderem Vergnuegen in sich fest, was ihm Eltern und Lehrer verweisen, und bereichert in jeden neuen Ferien nach Moeglichkeiten seinen laendlichen Wortschatz und dessen Gehalte.

Und nun muss es in der Schule auch noch systematisch Sprachen lernen: die eigene sogenannte Muttersprache als System, und sogenannte fremde Sprachen, das heisst solche, die andere Sprachgemeinschaften ausgebildet haben und sprechen oder gesprochen haben. Dabei lernt es die nuetzlichen Schrecken der Grammatik kennen, Schrecken, weil ihm niemand sagt und wirklich zeigt, dass es sich um blosse Hilfsmittel der Sprachbeschreibung und der sprachlichen

das Sprechen wie die Sprache gelernt hat, deren vordem und vielleicht vor Jahrtausenden Gesprochenes und Ueberliefertes oder deren soeben Gesagtes er in sich aufnimmt, und mit denen er, als gegenwaertigen Mitsprechern, das Sprechen und die Sprache immerfort austauscht.

So hat jeder heute in einer Sprache Sprechende zugleich seine Individualworte, die Worte einer grossen Sprachgemeinschaft mit langer Geschichte, und die Worte mehrerer oder vieler Sprachgemeinschaften, in denen die grosse Sprachgemeinschaft, sich gliedernd und sich verzweigend, lebt. Die Sprachverhaeltnisse und die Wortverhaeltnisse, die auf diese Weise entstehen, koennen wir uns nicht vielartig und feingliedrig genug denken. Der verfeinertste und verwickeltste leibliche Organismus wird noch ueberboten durch die Organismen des Wortwesens, in denen der menschliche Geist lebt.

Nehmen wir das Kind von Eltern, sagen wir, einer mittleren Schicht, Es lernt das Sprechen, die Sprache und vor allem die Worte zunaechst von diesen Eltern, vor allem meistens von der Mutter. Lassen wir die Mutter von hoeherem Stande hergekommen und von geistigeren und kuenstlerischen Interessen sein. den Vater aus einfacheren Verhaeltnissen oder im Berufsleben (wie es haeufig geschieht) vereinfacht, um nicht zu sagen versimpelt. Lassen wir dann noch eine Amme oder ein Kindermaedchen aus baeurischem Stande dazukommen, und eine Grossmutter, die durch Gaben und Lebensschicksale in hochkultivierte Verhaeltnisse hineingewachsen ist, und wir haben schon beim Sprechenlernen und Wortelernen des Kleinkindes die vielfaeltigsten Einwirkungen und Auswirkungen beisammen, die von der Artikulation der Laute, dem Melos der Wortklaenge, ueber die Wortformen und die Wortauswahl, bis zu den Wortgehalten in allen ihren Verzweigungen reichen. Trotzdem lernt das Kind, indem es das Verschiedenste lernt, auch noch seine eigenen Worte, seine besondere ihm eigene Sprache, weil es aus dem dargebotenen Lernbaren oder dem ihm absichtlich Beigebrachten auch wieder selbst waehlt und seine eigenen Regungen, Visionen, Verknuepfungen in das Gelernte mit eingehen laesst.

Mit dieser seiner Familien- und Kindessprache kommt das Kind zur Schule (wir koennen es auch vorher noch in einen Kindergarten bringen und die Worte der Mitkinder und der Kindertanten verschiedenster Herkunft auf das Kind einwirken lassen). In der Schule muss es, wollend und nicht wollend, die Schulsprache lernen. Das ist wieder ein seltsames Ding, das aus vielen verschiedenen Einstroemungen zusammengekommen und zusammengebraut ist, ueberall achnlich und doch auch sehr verschieden, je nachdem wer die jeweils Brauenden waren und gerade sind, und woher sie ihre Wortgerste und ihren Worthopfen genommen oder bekommen haben. Aber im Allgemeinen laeuft es doch darauf hinaus, dass einmal so etwas wie eine Lernsprache, eine Folge von Lernworten tradiert

die vielfaeltigen Erscheinungen denkend zu ordnen und denkend auseinanderund zusammenzuhalten, und endlich der begreifliche Wunsch, andere fuer eine
Einsicht oder Ansicht zu gewinnen und darauf festzulegen, kurz die eigentlichen
Antriebe und Absichten des Sprechens, stehen dieser Erkenntnis und ihrem
Vollzuge geradezu entgegen. Es handelt sich um das nicht leicht zu begreifende
und nicht leicht fuer wahr zu nehmende echte Paradoxon der Sprache: naemlich
dass sie aussagt und doch im Aussagen viel, wenn nicht alles, verschweigt,
dass sie bezeichnet und doch die Bezeichnung auch wieder offen laesst, dass
sie die Gegenstaende ergreift und in neue Existenz verwandelt und sie doch
zugleich in sich bestehen laesst, ja dass sie mitten in dem einen Ergreifen schon
mit den Moeglichkeiten neuen und andern Ergreifens spielt, sodass man in
einem gewissen Sinne von ihr sagen kann, was Heraklit von dem Orakelgott in
Delphi gesagt hat: Οῦτε λέγει οῦτε κρύπτει ἀλλά σεμαίνει: sie sagt nichts,
sie verbirgt nichts, sie deutet an.

Wer aber dieses Paradoxon als grundgegebene Tatsache nicht begreift oder nicht wahr haben will, und wer nicht begreifen lernt, dass in ihm allein die eigentliche Lebendigkeit und die koenigliche Schoepfungskraft sowohl der Sprache wie des menschlichen Geistes und des Erkennens der Welt durch den Menschen zuletzt begruendet ist, der kann vom eigentlichen Wesen der Sprache nichts erfahren.

Fuer dieses paradoxe Wesen der Sprache spielen die stets wechselnden und sich veraendernden und doch so eindringlich wirksamen, bestimmten und bestimmenden Gehalte der Worte die entscheidende Rolle. Denn es sind ja die Worte, die gerade durch die eigentuemliche « Dauer im Wechsel », die wir ihren Gehalten zusprechen muessen, das Ergreifen und Verwandeln der Welt in der Sprache immer neu bewerkstelligen.

Wenn aber diese kleinen Klangkoerper und ihre Kraeste und Gehalte bei jedem Sprechen neu entstehen, so sind sie doch fast immer auch vor diesem Neuentstehen schon vorhanden in einer eigentuemlichen und komplizierten Ueberlieferung. Sie werden vom Sprechenden, der sie neu produziert, zugleich aus einem Vorrat genommen, den er schon hat, und den er mit anderen gemeinsam hat, sie werden gebraucht. Und nur dadurch, dass es Sprache unter Menschen schon gibt, kann sie immer neu entstehen. Die Art dieser Neuentstehung ist einerseits vom Sprechenden abhaengig, von seiner Wesensart, seinen Kraesten, seinen Umstaenden, seiner Lage, und andererseits von den Sprachgemeinschaften, in die er hineingeboren ist und in denener lebt, und wieder von deren natuerlicher und geschichtlicher Lage. Dass einer und wie einer sprechen kann, kommt naemlich unter anderem auch daher, dass es vor ihm und mit ihm schon Andere in der gleichen Sprache Sprechende gab und gibt, Andere, von denen er sowohl

sagen: sie bezeichnen, und zwar Dinge, Eigenschaften, Taetigkeiten, Zustaende, Vorgaenge, Beziehungen in ihrem sinnlichen Dasein und Ablauf, und ebenso menschliche Begriffe, Vorstellungen, Regungen, Verhaltungen und deren Beziehungen untereinander und zur sinnlichen Welt: in ihrem seelisch-geistigen Dasein und in ihrem fortschreitenden geistigen Sich-Ereignen. Man sagt auch: Worte haben eine Bedeutung. Und das ist sicher in dem doppelten Sinne richtig, dass sie auf das durch sie Bezeichnete hindeuten, und dass sie es immer auch ansdeuten, naemlich es auslegen, ihm einen Sinn oder Nichtsinn geben.

Nimmt man so die Worte als Weltdarsteller und Weltumsetzer in eine andere Existenzart und spricht ihnen einen Gehalt zu, so koennte man diese Wortgehalte zu genauerer Beschreibung und Beobachtung einteilen in Begriffsgehalte, Vorstellungsgehalte, Regungs - oder Gefuehlsgehalte und Wertungsgehalte. Nur muss man sich dabei immer darueber klar bleiben, dass das eine Hilfseinteilung fuer unser Begreifen ist, und dass in Wirklichkeit diese verschiedenen Wortgehalte nicht getrennt, sondern aufs engste miteinander verbunden vorhanden sind oder produziert werden.

Die wichtigste Beobachtung aber, die wir vor allem machen und hervorheben und die wir, wenn wir Sprache in ihrem Wesen begreifen wollen, immer neu in uns befestigen muessen, ist die: dass alle diese Gehalte der Worte niemals fixiert sind, sondern immer in wechselnder und sich nuancierender Bewegung, dass sie bei jedem Wortgebrauch neu und sich veraendernd entstehen!

Da es kein Sagen ohne ein miteinwirkendes Gegenueber gibt, sei es ein wirkliches, ein gedachtes oder ein unbestimmt angenommenes und sei es das eigene Ich des Redenden da also jedes gesagte oder geschriebene Wort zwischen zwei seine Bedeutung mitbestimmenden Polen steht, naemlich zwischen dem Wortaussprecher und den Wortempfaengern (den Verstehenden - oder Nichtverstehenden) und da alle Umstaende, innerliche und aeusserliche, bei Wortaussprechern und Wortempfaengern und in ihrer naeheren und weiteren Umgebung, am Wortgehalt mitwirken, und da ferner die umgebenden Worte, die gesagten und die verschwiegenen aber gewusst und ungewusst gekannten, und dann noch alle syntaktischen Zusammenhaenge auf den Wortgehalt einwirken - so ist es nicht uebertrieben zu sagen, dass jedes Wort bei jedem Gebrauch eine neue Bedeutung erhaelt.

Diese Tatsache wird nicht gerne erkannt. Und diese Erkenntnis wird - wie man mit einem Modewort zu sagen pflegt - nicht gerne vollzogen! Das hat seinen guten Grund: der Wunsch, die Welt mit Worten zu ergreifen, der Wunsch, Gemeintes moeglichst genau zu bezeichnen und genau mitzuteilen, also der Wunsch sich auszudruecken und verstanden zu werden, und weiter der Wunsch.

Herzlos nannte ich die Bezeichnung «Sprechwerkzeuge» - denn bedenken wir, was fuer liebliche Zungen sich dabei in den lieblichsten Bewegungen an was fuer reizende Zachne legen und zwischen ihnen hervorschauen koennen, und was fuer bluehende, schoen geschwungene und bewegliche Lippen dabei, und wie bezaubernd, spielen koennen - wenn freilich auch manchmal wieder schwerfaellige und lallende Zungen, schiefe und haessliche Zachne und rohe und plumpe Lippen bei dieser Batstehung der kleinen Klangkoerper beteiligt sind

Aber nicht mur herzlos, auch unzutreffend koennte man diese Bezeichnung 
« Sprechwerkzeuge » nennen. Denn es gehoert doch wohl zum Wesen eine 
Werkzeugs, dass es um bestimmter Verrichtungen willen da ist und fuer sie gemacht 
ist. Diese sogenannten Sprechwerkzeuge aber sind offenbar zunaechst gar nicht 
um des Sprechens willen da, sondern schon vor allem Sprechen und ausserhalb 
alles Sprechens, und haben ganz andere, in sich sinnvolle und vom Sprechen 
ganz unabhaengige Faehigkeiten und Taetigkeiten. Sie schmecken und lecken, 
sie waelzen und beissen und stechen, sie greifen und blasen und hauchen und 
kuessen und tun wer weiss was ganz anderes. Und diese Lautbildnerei ein, 
und werden erst durch die Beteiligung der vielfaeltigsten seelischen Regungen 
und Bewegungen zu - sprechenden!

Und so stehen wir schon bei der Hervorbringung dieser kleinen beweglichen und veraenderlichen Klangkoerper, die wir «Worte» nennen, vor einer geheimnissollen Verknuepfung geistiger, seelischer, materieller, organischer und mechanischer Bewegungen und ihrer Brgebnisse, stehen vor dem, was man das Wunder der Sprache genannt hat, dass sie naemlich eine sinnliche, von sinnlichen Instrumenten hervorgebrachte und von sinnlichen Instrumenten aufgenommene Brscheinung ist, und doch zugleich eine geistige, auf Geistiges wirkende und von geistigen Kraeften erfasste.

Diese kleinen Klangkoerper haben also eine Seele. Sie haben Aktivitaet. Sie sind einmal hervorgebildet und ausgesprochen, einmal zum Erklingen gebracht oder in Schriftzeichen als erklingend vorgestellt-mit Kraeften geladen und wirken mit diesen Kraeften sowohl auf ihre Gesippen, naemlich auf ihre Mit-Worte ein, wie auf ihre Aussprecher zurueck und noch besonders auf alle, die sie hoerend oder lesend aufnehmen und in sich einlassen.

Fragt man sich, welcher Art diese Kraeste sind und was sie eigentlich leisten, so koennte man hochgreisend antworten: diese kleinen Klangkoerper nehmen Welt in sich auf, stellen sie dar, das heisst schassen sie in einer andern Existenzart neu, und bringen wieder, in den sie Ausnehmenden, Welt hervor, und auch das in jener zweiten eigentuemtich anderen Existenzart. Schlichter koennte man

#### GRUNDGEDANKEN ZUR WORTIKUNDE

von

#### RUDOLF FAHRNER

Ψυλής ἐστι λόγος ἐαυτὸν αύξων (Heraklit)

Man kann die Phaenomene der Sprache und der Sprachen von sehr verschiedenen Gesichtspunkten aus betrachten. Nicht sinnlos erscheint eine Betrachtung von den Worten her und auf die Worte hin, weil die Worte so etwas wie Grundelemente der Sprache sind, und zwar hoechst bewegliche, sich aeusserlich und innerlich abwandelnde, immer neu entstehende und vergehende lebendige!

Was sind eigentlich Worte? Kleine Klangkoerper, einfache und zusammengesetzte, die sich, nach auch wieder in sich wandelbaren Gesetzen, bilden und veraendern, und die, wie die Wissenschaft so herzlos sagt, von den menschlichen Sprechwerkzeugen hervorgebracht werden.

Sprechwerkzeuge ! - Man meint damit zuerst die Zunge. Das ist der Hauptbeteiligte, weshalb in einigen Sprachen das gleiche Wort fuer Zunge und fuer Sprache gebraucht wird, weshalb man sagen kann «mitvielen Zungen reden», wenn einer viele Sprachen spricht, und weshalb beim Pfingstwunder feurige Zungen ueber den Haeuptern der Apostel erscheinen als sie, einfache Maenner, mit einmal viele Sprachen sprechen und verstehen konten.

Also die Zunge meint man vor allem, wenn man von den Sprechwerkzeugen spricht. Dann die Zaehne, das Zahnsleisch, den Gaumen und die Kehle, an die und zwischen die hinein sich diese Zunge beim Sprechen legt, um verschiedene Wege fuer die durchstreichende Atembuft zu bilden, zu verschiessen, wieder leicht zu loesen oder aufzusprengen, und das alles indem sie-die hoechst bewegliche-die verschiedensten Gestaltungen annimmt. Und endlich meint man mit Sprechwerkzeugen die Lippen, die sich leicht oder heftig oeffinen und schliessen und - sich vorwoelbend oder einziehend - das Gestroeme der Laute aufhalten und manche ueberhaupt erst entstehen lassen.

#### CONTENTS

#### OF THE EUROPEAN SECTION

RUDOLF FAHRNER					
Grundgedanken Zur Wortkunde	***	 	 	 	1

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year; in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Librarian, Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the Editor of the Bulletin Prof. M. H. El-Bakry, Faculty of Arts, Giza, U.A.R.

Back numbers of this Bulletin are available at 30 P. T. for each Part

## BULLETIN

0F

### THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXIII—PART II

December 1961

# BULLETIN

OF

## THE FACULTY OF ARTS



VOL, XXHI—PART II

December 1961

CAIRO UNIVERSITY FRESS

